



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

رحلة في افق
المسألة والمعرف

١-٢

مركز وسيرة الامام الخميني
للمطالعة والتفكير والتعلم

مسيرة الامام الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رحلة في افاق الحياة والمعرفة

كاتب:

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

نشرت في الطباعة:

مؤسسه الرسول الاكرم (صلي الله عليه وآله وسلم)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
22	رحلة في افاق الحياة والمعرفة
22	هوية الكتاب
22	المجلد 1
22	اشارة
26	الإهداء
28	شكر وتقدير
30	المقدمة
32	الحوار الأول : مع آية الله الشيخ فاضل الصفار
32	اشارة
34	التمهيد
38	القسم الأول
38	عوامل النجاح وسر الصمود
41	بوادر الاصطدام مع السلطات
44	فراصة الإمام الراحل (رحمه الله)
45	يحترمه الجميع
46	المؤمن يألف ويؤلف
47	هل ما حصل انقلاب؟
53	جهات المواجهة
57	أخطر المواجهات
58	عوامل وسر نجاح الإمام الشيرازي (رحمه الله)
60	المرجعية العليا
63	أهم عوامل النجاح في شخصية الإمام الراحل (رحمه الله)

67	تحمل بلا حدود
69	على منابر الجمعة
71	جمع الكل تحت الراية
72	إدارة المؤسسات بالمعنويات
74	مع وفد الأمم المتحدة
78	القسم الثاني
78	منايع عبقرية الإمام الشيرازي (رحمه الله)
79	الإمداد الغيبي
83	رويا ذات دلالات
87	رسالة إلى السيد الشيرازي (رحمه الله)
89	الذكاء الخارق
91	حافضة عجيبة للأحاديث
93	مع علماء حوزة مشهد
95	أقرب الآراء إلى روح الإسلام
98	القسم الثالث
98	عالمية الطرح في فكر الإمام الشيرازي (رحمه الله)
104	تغيير الغرب واليهود
107	الجهاد عند الإمام الراحل (رحمه الله)
107	مع وفد قادة الحركة الأفغانية
109	الإمام الراحل (رحمه الله) والأكراد
112	العمل في أفريقيا
113	الإمام الشيرازي (رحمه الله) ومنهجية الوكالة والوكلاء
117	مؤلفات المدرسة الشيرازية
118	جماهير المقلدين
119	ارتباط المرجع بمقلديه

- 121 أنت وابنه سواء .
- 122 هدفة الحياة .
- 123 اللقاء الأول بعد الفراق .
- 125 الإمام الراحل (رحمه الله) والحركة والوهابية .
- 131 الشعائر الحسينية .
- 133 القسم الرابع .
- 133 الإمام الشيرازي (رحمه الله) والقضية العراقية .
- 134 المحور الأول: العشاير .
- 139 تنتهون إلى المصالحة .
- 140 المحور الثاني: هو التعددية السياسية .
- 142 المحور الثالث: محور الإصلاح والنهضة .
- 143 المحور الرابع: مسألة الشورى (شورى الفقهاء المراجع) .
- 144 المحور الخامس: مبدأ اللا عنف .
- 146 عواطف الإمام الشيرازي (رحمه الله) .
- 146 تتبع الأخبار العالمية .
- 152 الإمام الشيرازي (رحمه الله) وكربلاء المقدسة .
- 156 الإمام الراحل (رحمه الله) طاقة هائلة .
- 158 الإمام الرجل (رحمه الله) مُجدداً .
- 159 الإمام الراحل (رحمه الله) وأخلاقه النبوية .
- 161 تكران الذات .
- 163 معالجة الأزمة المالية .
- 165 القسم الخامس .
- 165 الإمام الراحل (رحمه الله) وجوانب من الإدارة والعاطفة .
- 168 مؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله) .
- 169 النظم والنظام تحرر من الاستبداد والاستعمار .

170	الإبداع في العمل المؤسساتي
171	المؤسسات الإجتماعية
174	الإمام الراحل (رحمه الله) والمرجعيات الأخرى
176	أفكار المرجعيات العليا
178	الإمام الراحل (رحمه الله) وأساليبه التربوية
182	التشويق المستمر لطلب العلم
183	دور الإمام الراحل (رحمه الله) في تقوية الحوزات
185	تعددية أممية
186	المشورة الدائمة
187	الإمام الراحل (رحمه الله) وأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى
188	الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) بلا حدود
191	الإمام الراحل (رحمه الله) والإصلاح
194	القسم السادس
194	الإمام الشيرازي (رحمه الله) والرحلة إلى مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام)
197	في مدينة مشهد المقدسة
199	الإمام الراحل (رحمه الله) يسكن مع طلابه
203	باقة ورد هدية للإمام الراحل (رحمه الله)
204	التدريس المميز
209	سيدة الموسوعات
212	الكراسات رسائل توعوية
215	شرح كتاب السماء و العالم من بحار الأنوار
218	الحروب التي شنت على الإمام الراحل
220	الحلم والصبر من سجايا الإمام الراحل (رحمه الله)
222	أفراح الإمام الراحل (رحمه الله) بأولاده
223	تنظيف فراش المكتب

- 224 ويرفض السنائر المستخدمة
- 225 ما كان يملك إلا صاية واحدة
- 225 أتريد أن تصنع مني طاغوتاً يا دكتور؟
- 228 القسم السابع
- 228 الإمام الشيرازي (رحمه الله) رجل التحديات الكبرى
- 229 لو استطاع لغير العالم
- 232 يطالب بالوحدة في زمن الشتت
- 234 الإمام الراحل (رحمه الله) والمجتمع
- 235 العمل دائماً
- 235 حفظ التوازن بين المرجعية والموازن الاجتماعية
- 238 انقسام الأصحاب تحت ضغط الظروف
- 240 الإمام الراحل (رحمه الله) والحكومات
- 244 حرب الدعايات ضد الإمام الراحل (رحمه الله)
- 244 الصبر و التحمل
- 245 اللاعنف بلا حدود
- 245 لا للشعارات
- 246 الصلب القوي أمام الشدائد
- 247 مهرجان صفر الشعري
- 250 عندي أهداف كبرى
- 255 الحوار الثاني: مع فضيلة الحجة الشيخ علي الرميثي دام عزه
- 255 اشارة
- 257 القسم الأول
- 257 نبذة تعريفية عن الشيخ الرميثي
- 259 اللقاء الأول
- 259 مقومات الشخصية الناجحة

260	السبب وراء المشاكل
264	النظرة إلى الدنيا
265	مع الحوزات العلمية
267	أهم الآراء والأفكار
268	الحكومات الإسلامية
271	مع المناوئين
272	محاورة الجهل
274	مستوى التفكير
276	مع المراجع العظام
278	الأحزاب المناوئة
280	المرجع الأمة
281	مع المنبر الحسيني
283	مع الشعائر الحسينية
284	موانع تأسيس الفضائيات
285	خلفيات العداوات
286	لماذا كان يفعل ذلك؟
288	اللاعنف بلا حدود
289	مصادر كتب
291	المغربيات
292	القسم الثاني
292	إشارة
292	للزهد صور أخرى
295	الصورة الأولى
296	الصورة الثانية
298	الصورة الثالثة

300 الصورة الرابعة
303 الصورة الخامسة
305 الصورة السادسة
307 الصورة السابعة
309 الصورة الثامنة
311 الصورة التاسعة
316 الحوار الثالث: مع آية الله الشيخ حسن الغديري
316 اشارة
318 بداية المعرفة
322 تجسيد الفضائل
323 الأخلاق الفاضلة
323 مقومات النجاح
324 النظرة الايجابية
324 التنظيم والتقوى
325 مع الثقيلين
325 الكويت أم كربلاء المقدسة؟
325 الآراء السياسية
326 تجسيد الصفات الأخلاقية
327 العبادة والعلاقة مع الله
328 احترام الآخرين
328 الأصل العمل
329 الحريات
330 الإرهاب الجسدي والفكري
332 نظرة إلى واقع المسلمين والغربيين
333 وسائل الإعلام

334 المنبر الحسيني
336 دور المرأة في المجتمع
339 صفات نائب الإمام (عليه السلام)
341 الحوار الرابع: مع فضيلة الحجة الشيخ حسن الاصفهاني (رحمه الله)
341 اشارة
344 التعريف بسماحة الشيخ الاصفهاني
346 حديث البدايات
348 رسائل مختلفة
356 زيارة السيد الخميني
357 زيارة الامام الراحل للشيخ المنتظري
358 زيارة الشيخ محمد يزدي
359 السيد الشيرازي (رحمه الله) والعشائر العراقية
360 محاولات التسقيط في الكويت
364 شهادة الميرزا جواد التبريزي (رحمه الله)
367 برنامج الامام الراحل (رحمه الله) في قم المقدسة
370 من أخلاقيات الامام الراحل (رحمه الله)
378 زيارة الشيخ أحمد جنتي
378 زيارة السيد الخامنئي
380 زيارة أنمة الجمعة
385 إذاعة كربلاء
387 الضائقة المالية
388 زيارة سامراء
389 تربية الأبناء
390 محاولات الاغتيال
395 في رحاب الإمام الحسين (عليه السلام)

396	استقبال السيد الخونساري
397	الساندويش الفكري
398	حكومة النبي والأمير (عليهما السلام)
399	تزويج الأبناء
400	عبادة السيد الراحل (رحمه الله)
401	الشؤون الشخصية
402	حصار ربيع قرن
404	الخوف من الله تعالى
405	سرور السيد الشيرازي (رحمه الله)
406	الكسل يزعبه
409	الإبداع الفكري للسيد الشيرازي (رحمه الله)
411	شكر ودعاء الختام
413	الفهرس
425	المجلد 2
425	هوية الكتاب
425	إشارة
429	الحوار الخامس: مع فضيلة الحجة الشيخ ناصر الأسدي دام عزه
429	إشارة
431	المقدمة
435	من دفاتر الأيام
437	تمهيد
439	القسم الأول
439	في مدرسة حفاظ القرآن
444	مرحلة التعميم
448	البرنامج الأسبوعي لسماحة السيد الراحل (رحمه الله)

- 453 نظام الهيئات والمؤسسات .
- 454 أسلوب السيد الشيرازي (رحمه الله) .
- 456 تطور فكر ومنهجية السيد الشيرازي (رحمه الله) .
- 459 مقومات النجاح .
- 462 زيارة العسكريين (عليهما السلام) في سامراء المشرفة .
- 464 الإمام الراحل (رحمه الله) والآخرون .
- 465 الإمام الراحل (رحمه الله) مع المطران كابوجي .
- 465 إذاعة كربلاء المقدسة .
- 467 الإمام الراحل (رحمه الله) وحوزة النجف الأشرف .
- 469 موقف سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) .
- 471 الإمام الشيرازي (رحمه الله) يرفض الرد المباشر .
- 472 موقف آخر .
- 474 مؤلفات الإمام الشيرازي (رحمه الله) .
- 474 الشخصية الإبداعية للإمام الراحل (رحمه الله) .
- 478 الإمام الراحل (رحمه الله) والعشائر العراقية .
- 480 الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) والحركة الوهابية .
- 482 الإمام الراحل (رحمه الله) وإدارة المال .
- 486 سلطان المؤلفين .
- 487 وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله) .
- 491 مقلدوا السيد الراحل (رحمه الله) .
- 493 نظرة الغرب .
- 499 أول رسالة عملية .
- 526 هجرة الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) .
- 529 دروس الإمام الراحل (رحمه الله) .
- 533 نشاطات في الكويت .

567 السبيل لتحقيق أهداف الإمام الراحل (رحمه الله)
570 علاقة الإمام الراحل (رحمه الله) بالأئمة الأطهار (عليهم السلام)
575 السيد الراحل (رحمه الله) والدنيا
581 اهتمام الإمام الراحل (رحمه الله) بالطلبة الأكاديميين
583 علاقة الإمام الراحل (رحمه الله) مع المراجع
584 الإمام الراحل (رحمه الله) ونظام البهلوي
585 القسم الثاني
585 شهادات وانطباعات من حياة الإمام الراحل (قدس سره)
585 العمامة
587 كراس العلمية
588 بحث الخارج
589 بعث مجاميع إلى العاصمة وغيرها للتنسيق والتبليغ
591 التنبؤات
594 قادة المجاهدين الأفغان يلتقون سماحة السيد الراحل (رحمه الله)
596 الوكالات المرجعية
598 تملك السكن
599 المؤتمرات
600 كتاب (الأصول) وتدرسه في الحوزة
602 الإمام الشيرازي (رحمه الله) ، يؤسس تنظيماً
604 المؤسسات
606 لقطات
609 التعبئة للهجرة
610 التخطيط للمستقبل
611 عدم رد المحتاجين
611 كتاب الله

613	التواصل
614	الفكر الحضاري
618	القضاء
620	الاجتماعات التوعوية
621	العلاقات مع حركة حرية إيران
622	مع تنظيم الحجّية
623	العمل المتواصل
623	محاولات الاغتيال
625	من وصايا السيد الشيرازي (رحمه الله)
626	الهجرة إلى مشهد المقدسة
628	جامع الإمام زين العابدين (عليه السلام)
629	القسم الثالث
629	تأسيس الجمعيات
629	تعزية الاخرين
629	فلم عن الايتام
631	بحوث الخارج
631	العمل الإداري
632	تشكيل نواة للتنظيم
634	قرار التأسيس
636	الانشطة المكتبية
639	صلاة الجماعة في مكتب السيد الاستاذ (رحمه الله)
641	المجالس الحسينية
641	الجلسات الهادفة
648	أعمدة المرجعية
651	أعمدة مكتب سماحة السيد الراحل (رحمه الله)

- 655 المستشارون السياسيون
- 656 الرصد الإعلامي
- 656 الدائرة الثانية في المكتب
- 657 الحراك الثقافي
- 658 مكتب السيد الراحل (رحمه الله) مركز لنشر الكتاب في العالم
- 661 إجازة مفتوحة
- 662 الاقتصاد المرجعي
- 666 الإبداع الفكري
- 669 مكتبة عامة وأخرى خاصة
- 671 قضية العراق الجريح
- 671 جوانب من عمل الإمام الراحل (رحمه الله) التي عمل فيها للعراق
- 676 شخصية سماحة الإمام الشيرازي (رحمه الله)
- 683 حركة تزويج الشباب
- 684 مشروع حركة التعميم
- 686 القسم الرابع
- 686 الهجرة إلى مشهد المقدسة
- 687 التدريس العام
- 687 فوائد التدريس
- 688 وفد المعارضة السعودية
- 691 الهدايا العامة
- 694 الأنشطة الإنسانية
- 695 أوقات الفراغ
- 696 إهداء وردة
- 696 بعد الشقة وصعوبة الاتصالات
- 697 كيف تمت العودة ؟

- 699 التحريض على التقدم الاقتصادي
- 700 لجنة للزيارة والتعاون
- 700 تأسيس حي لإسكان العراقيين
- 701 ختان الأولاد
- 702 محطة بث تلفزيوني
- 702 وفد أفريقيا
- 703 وفد السلام الهندي
- 703 مع رئيس جمعية الخوجة
- 705 قضايا المسلمين
- 707 مع العلماء والأعلام
- 709 تأيين العلماء
- 710 وللوجهاء أيضاً
- 711 البرقيات
- 711 المجلس العائلي
- 712 بعض المسؤولين المرجعيين
- 714 زيارة الشيخ القرآني
- 715 لقاء المتطرفين من عناصر المخابرات
- 716 الافتاء
- 717 مع الاطباء توصيات في الصميم
- 719 الرعاية الصحية
- 719 البقيع الفرقد
- 720 ذكريات الشهيد الشيرازي (رحمه الله) عام 1981 م
- 721 لقطات مشعة
- 723 التعبئة للهجرة
- 724 التدريس العام

- 725 (بحث الخارج) العربي
- 726 البرامج السنوية
- 727 الانتخابات الحزوية
- 728 المجالس الأسبوعية
- 729 اقتراح الهجرة على الشهيد الصدر الاول (رحمه الله)
- 729 المواكب الحسينية في منزل سماحته (رحمه الله)
- 730 إطفاء الغضب
- 731 لقاء عائلي
- 732 الروح الرياضية
- 732 المعارضون المحافظون
- 738 الممانعة والحرب الباردة
- 740 الإعلام المضاد
- 743 الظلم تحت عباءة القانون!
- 744 الممانعة والحرب الباردة
- 752 الحرب على الفساد
- 757 قصتي مع المتطرفين
- 762 الإهمال
- 765 وماذا بعد الإفطار صباحاً؟
- 766 وماذا يجري خارج السجن؟
- 767 إطلاق سراح البعض من زملائي
- 767 عباس عامليان (رحمه الله)
- 768 جولات أخرى من التحقيق
- 772 الاضرار عن الطعام
- 775 مجلس خبراء الاقتصاد
- 777 الأخلاق من أهداف الرسالة الإسلامية

777	التكرار والتأكيد لانضاج المطالب
778	مسجد الإمام الرضا (عليه السلام)
779	الاستخلاف
781	نبذة تعريفية عن الشيخ ناصر الأسدي
781	الهجرة إلى الكويت
781	في قم المقدسة
782	في سورية
782	العودة إلى العراق
784	الحوار السادس: مع فضيلة الحجة الشيخ عبد الأمير النصراوي حفظه الله
784	إشارة
786	المقدمة
787	أنمة البقيع (عليهم السلام)
788	نظرة عالمية
790	المواقف السلبية
795	اسباب التشكيك
797	اللامركزية في العلم
798	الموقف تجاه عبد الكريم قاسم
799	الحوزة بعد رحيل الامام الشيرازي (رحمه الله)
801	الموقف من الثورة الإيرانية
802	سلسلة المحن
804	في سجن الفضيلية
808	الوحدة الاسلامية
808	الوحدة مع الحفاظ على العقيدة
810	ضياغ الكتب
811	علاقات مرجعية

- 812 مع الشيوعيين
- 813 أخلاق الأنبياء (عليهم السلام)
- 814 لماذا كربلاء .
- 818 الحوار السابع: مع الوجيه الحاج مصطفى الصراف (المؤذن) حفظه الله ..
- 818 اشارة ..
- 820 هجرة السيد الشيرازي من كربلاء المقدسة ..
- 834 هذه هي أخلاق السيد الراحل (رحمه الله) ..
- 840 الحوار الثامن: مع الوجيه الحاج جبار الياسري ..
- 840 اشارة ..
- 844 أخلاق الإمام الشيرازي (رحمه الله) ..
- 848 الفهرس ..
- 860 تعريف مركز ..

رحلة في افق الحياة والمعرفة

هوية الكتاب

رحلة في افق الحياة والمعرفة

سيرة ومسيرة الإمام المجدد

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1439 هـ - 2018 م

مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية

ص: 1

المجلد 1

إشارة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1439 هـ - 2018 م

مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية

VA 22150 USA،Springfield، 7900 Backlick Rd

ص: 2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

ص: 4

جهد المقلّ أمام النعمة العظمى، وهدية الفقير للمعطي بوفرة، من نترقب ظهوره ومنتظر حضوره...

إلى بقية الله الأعظم الحجة المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ولي كل نعمة، مدار الدهر وناموس العصر.

نهدي ثواب هذا الجهد المغلف بتواضع أرواحنا، للتعريف بأحد وكلائه العاملين العاملين، والذي كان بحق مصداقاً لهذه الرواية الشريفة في فترة غيبته الكبرى:

«أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم».

كان الإمام المجدد السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) المصداق الحقيقي لذلك البعض ممن خالف هواه وأطاع مولاه، حيث بذل كل نفسه وروحه وعقله في سبيل الدفاع عن حرم أهل البيت (عليهم السلام) في زمن قل الناصر والمعين وتخاذل الكثيرون، وتحمل أعباء المرجعية والجهاد لأكثر من نصف قرن، لم تحدّه الجغرافيا

أو تحبسه بين جدرانها كل الأسوار والحواجز التي وضعت أمامه، رغم كل عمره الذي قضاه مطارداً من الأنظمة المستبدة في بلده أو بلدان أخرى، وأعطى كل وجوده في سبيل رفع الظلمة عن أتباع الإمام المهدي (عليه السلام) بخاصة والتعريف بهم، وتقديم أئمتهم (عليهم السلام) منارات يهتدى بها في ظلمة الدنيا الحالكة، ورفع لواء الدفاع عن المسلمين بعامة مذكراً بحضارتهم ومجدهم، وموقداً فيهم جذوة الإسلام المحمدي الأصيل.

فرحمه الله وأعلى درجاته وجعله ورؤاه وأفكاره منهاجاً لاستنقاذ البلاد والعباد.

بجوار سيد الشهداء (عليه السلام)

كربلاء المقدسة

مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية

ص: 6

هذه الكتب التي ستصدر تباعاً وتحت عناوين متعددة، تغطي رحلة الإمام الشيرازي الراحل (قدس سره) في حياته وجهاده، وما تركه من بصمات لا تمحى في ذاكرة تاريخ المرجعيات الدينية الشيعية، وهي نتاج جهود اشترك فيها الكثيرون، أفراداً ومؤسسات.

نخص بالشكر منهم:

فضيلة الحجة الشيخ مرتضى معاش لمتابعته الجادة.

الأستاذ حيدر الجراح للتحريير وتقويم النص.

الوجيه الأخ محمد أمين خوشنويس الذي كان مهموماً بالمتابعات وإجراء الحوارات.

فضيلة الشيخ حسين الفاضلي والسيد حازم الموسوي والأخ حامد تقي بور الذين تكبدوا العناء في إجراء الحوارات مع مختلف الشخصيات.

فضيلة الشيخ رسول الفدائي، فضيلة السيد فاضل الطباطبائي، فضيلة الشيخ مكي الحائري، وفضيلة الشيخ جاسم الأديب، الوجيه الأخ هاشم المطيري للمتابعة والاهتمام.

الأستاذ طالب أديب لمراجعة بعض المجلدات.

مع الشكر والتقدير لكل من ساهم في الطباعة والصف والإخراج والتنضيد والطبع وغير ذلك.

كما نشكر المؤسسات التي ساهمت في إنجاز هذا العمل، كمؤسسة النبأ للإعلام والثقافة، ومركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث.

ونعتذر إن نسينا أحداً قدم مساهمة في هذه الكتب، سانلين المولى عز وجل أن يتقبله في ميزان أعمالهم قبولاً حسناً، إنه نعم المجيب.

ص: 8

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعترته الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

أما بعد، لا تطمح أن تكون هذه المجموعة من الكتب وتحت عنوان رئيسي واحد يجمعها وهي موسوعة الإمام الشيرازي (قدس سره).

لا تطمح أن تكون موسوعة دينية أو اجتماعية أو فلسفية أو تاريخية أو فقهية، بل هي عمل موسوعي يحد ذاته يعالج عدداً من المواضيع والملفات التي قضى الإمام الراحل (رحمه الله) عمره الشريف مهتماً بها وفي كافة المجالات المعرفية.

وهي تحاول أن تلم - ولو بالحد الأدنى - بما كتبه الإمام الراحل (رحمه الله) حول عدد من العناوين، مثل: (الاستبداد - الإصلاح - التسامح - التنظيم - الحرب والسلام - الحكومة - الدولة - الشورى - ولاية الفقيه - العنف واللاعنف - الاحزاب)، إلى آخر ذلك من عناوين، مع المامعة موسعة حول ما تناولته أقلام كتاب مختلفين، وهي تجهد في اللحاق بهذا النتاج الضخم للإمام الراحل (رحمه الله).

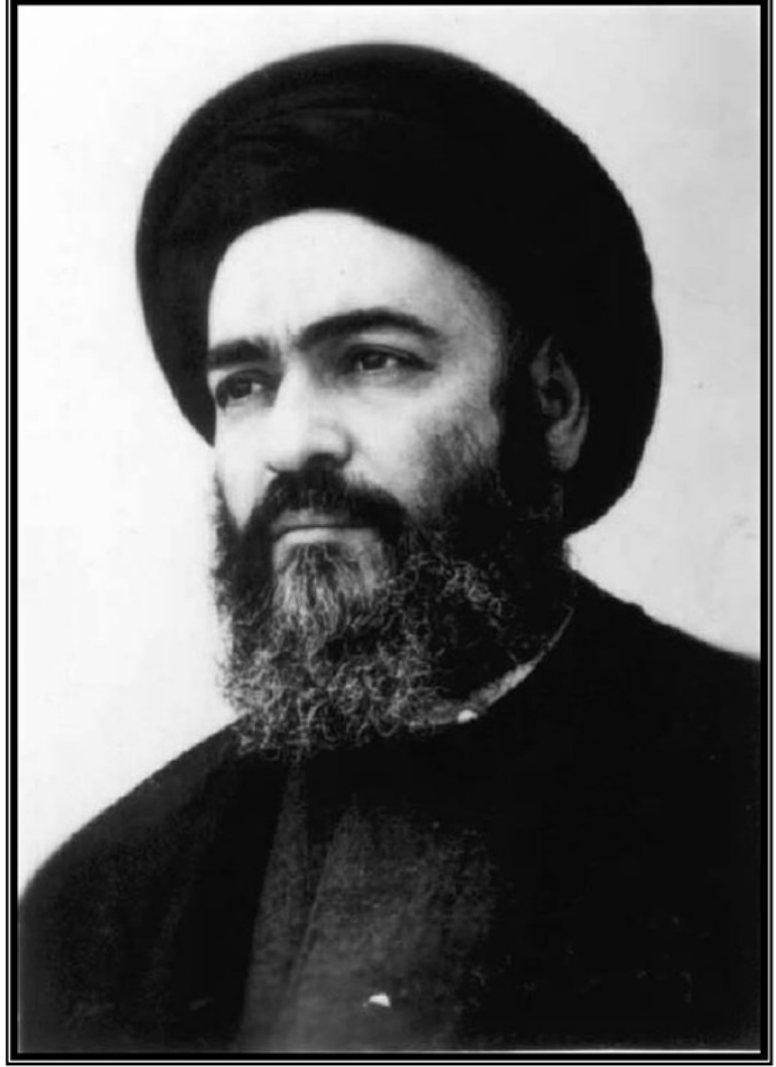
ولا تنسى الموسوعة وهي تتوغل في العوالم الشيرازية الغنية باهتماماتها أن تتناول عدداً من القضايا والمواضيع عبر بلدان متعددة من قارات العالم، حيث

انشغل الإمام الراحل (رحمه الله) بمسئولياتها دون النظر إلى الجنسية والعرق والطائفة.

فكان إن انصب إهتمامه نحو العراق وإيران والكويت وسوريا وتركيا وأفغانستان وباكستان وفلسطين ومختلف القضايا العربية والإسلامية، وغير ذلك من جغرافية إسلامية لم تقتصر على الحيز المكاني المتعارف عليه بحدوده المصطنعة، فاهتم (رحمه الله) بالوجود الإسلامي في الأمريكتين والدول الأوربية، لما لهؤلاء المهاجرين إلى تلك البلدان من أثر ودور في النهضة الإسلامية المنشودة.

ويحاول هذا الجهد بالدرجة الأساس أن يجمع قدر الإمكان وبما توفرت لدى العاملين عليه من مصادر وارشيف ووثائق، جميع كتابات الإمام الراحل (رحمه الله) إلا ما ندر، وجميع ما كتب عنه وهو النزر اليسير، ليكون وثيقة مهمة من وثائق مرجعية دينية شيعية نذرت عمرها وبنائها لخدمة الإسلام والمسلمين، وحاولت - وقد نجحت في الكثير - أن تغرس الوعي وتشره في أوساطهم، وهو - أي الإمام الراحل (رحمه الله) - كان همه الأكبر والمتواصل إيقاظ ذلك الوعي من سباته.

نطمح من خلال هذا العمل، أن نرد ولو بعض الدين لواحد من مراجع الدين الشيعة والذي لم يألو جهداً في الدفاع عن مصالح الإسلام والمسلمين في فترات شهدت سيطرة الأنظمة الاستبدادية على مقدرات البلدان العربية والمسلمة، وكانت فترة زاخرة بالتيارات والحركات الفكرية والسياسية المتعددة، والتي قارعها الحجة بالحجة، ولم يكتف بالتنظير فقط، بل عمل جاهداً على تطبيق تنظيراته تلك على أرض الواقع.



ليس أقدر من التلميذ على تقديم صورة قلمية لمعلمه، خاصة إذا لازمه لفترات طويلة في قاعة الدرس وخارجها، وحضر معه نشاطاته الاجتماعية أو الثقافية، وتلمس عن قرب همومه وما يشغل تفكيره، واطلع عن كثب على سلوكه وطريقة عيشه، التي تتوزع بين المأكل والملبس والتعامل مع الآخرين، وحالات الفرح والحزن.

تأخذ تلك الصورة أسماءً وأشكالاً متعددة تبعاً لنوع الكتابة أو الحديث فيها؛ فهي قد تكون مذكرات أو سيرة ذاتية أو شهادات، والمذكرات هي ذلك النوع من أنواع الكتابة التاريخية وثيق الصلة بالسيرة الذاتية، والفرق بين السيرة الذاتية والمذكرات هو أن الأولى تروي قصة حياة الكاتب وتسجل خبراته ومنجزاته في المقام الأول، على حين تعنى الأخرى - أي المذكرات -، قبل كل شيء، بوصف الأحداث وتعليلها، وبخاصة تلك التي لعب فيها كاتب المذكرات دوراً أو تلك التي عايشها أو شهدها من قريب أو بعيد، ومن هنا وقوعها في منزلة متوسطة بين (موضوعية) التاريخ و(ذاتية) السيرة الذاتية.

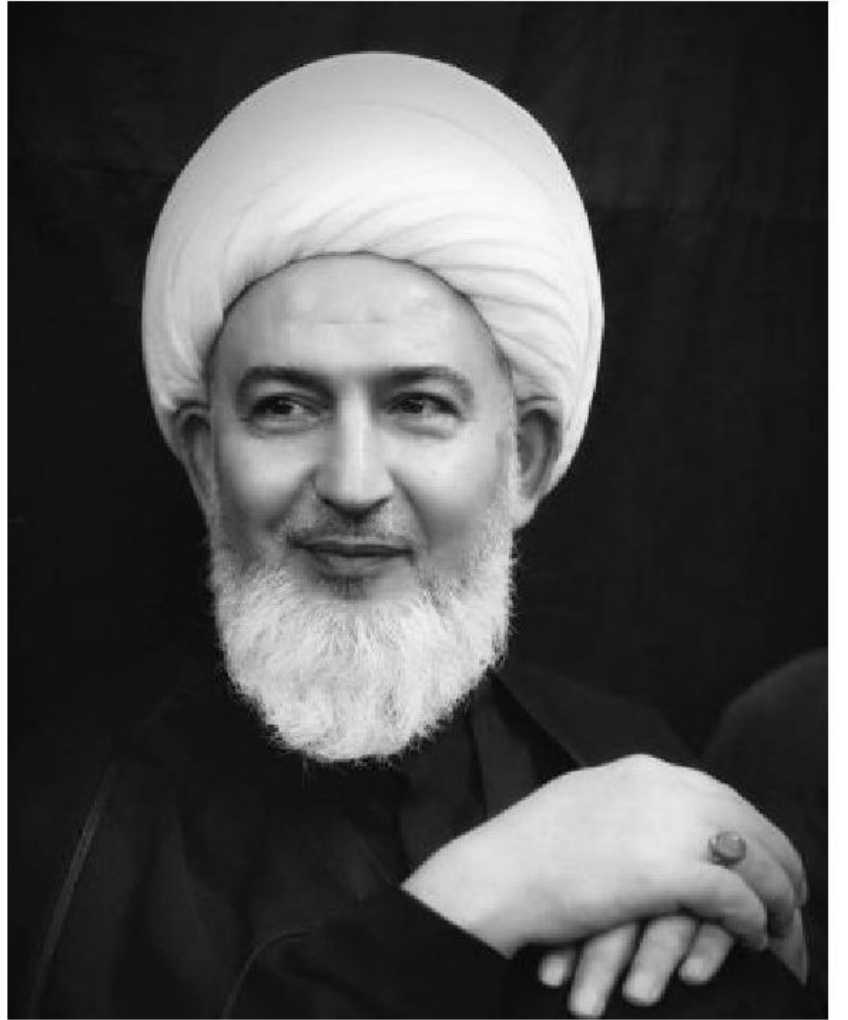
الشهادات هي الحديث عن الآخرين، من واقع القرب منهم، ونقل أحداث عاشوها وعاصروها وكانوا شهوداً عليها وعلى تطورهما، وهي أيضاً نقل تقوم به الذاكرة لملاحم من تاريخ قريب فيه الكثير من فعل الأشخاص وحركتهم

في واقعهم المعيش.

وهناك ضرورة للتمييز بين الشهادات والمذكرات، فالشهادات هي أكثر تعبيراً من المذكرات، لأن المذكرات كما يرى المؤرخون والمهتمون بالتدوين التاريخي، تخضع لاستراتيجية الخطاب الحذر، وأغلب المذكرات هي في الحقيقة شهادات فقدت البعض من أصالتها، لأن المذكرات لا يكتبها إلا صاحبها.

إن سير الشخصيات العامة والمشهورة التي تسجل الخفي من تجاربهم وترصد المواقف في المحطات المهمة في حياتهم، تعتبر مصدراً ثرياً ومهماً للتعرف على البيئة التي نشأوا فيها والأجواء التي عاشوا في مناخاتها والأفكار والمفاهيم السائدة في عصرهم؛ وهذا النوع من الوثائق والشهادات يتيح للأجيال المتعاقبة الاطلاع على تجارب أصحابها والتعرف على نظرتهم للحياة ومواقفهم من الأحداث ومدى تأثير المبادئ والقيم على مسيرة الإنسان وحكمه على الأشياء والمواقف والأحداث.

الصورة



في الأوراق القادمة، يقدم آية الله الشيخ فاضل الصفار شهادته على فترة تاريخية طويلة نسبياً تمتد لأكثر من ستة عشر عاماً، كان فيها قريباً من الإمام الشيرازي الراحل (قدس سره) بدءاً من كربلاء المقدسة، مكان الولادة والتعرف على الإمام الراحل (رحمه الله)، مروراً بابران، محطة الهجرة القسرية في عهد النظام السابق في العراق.

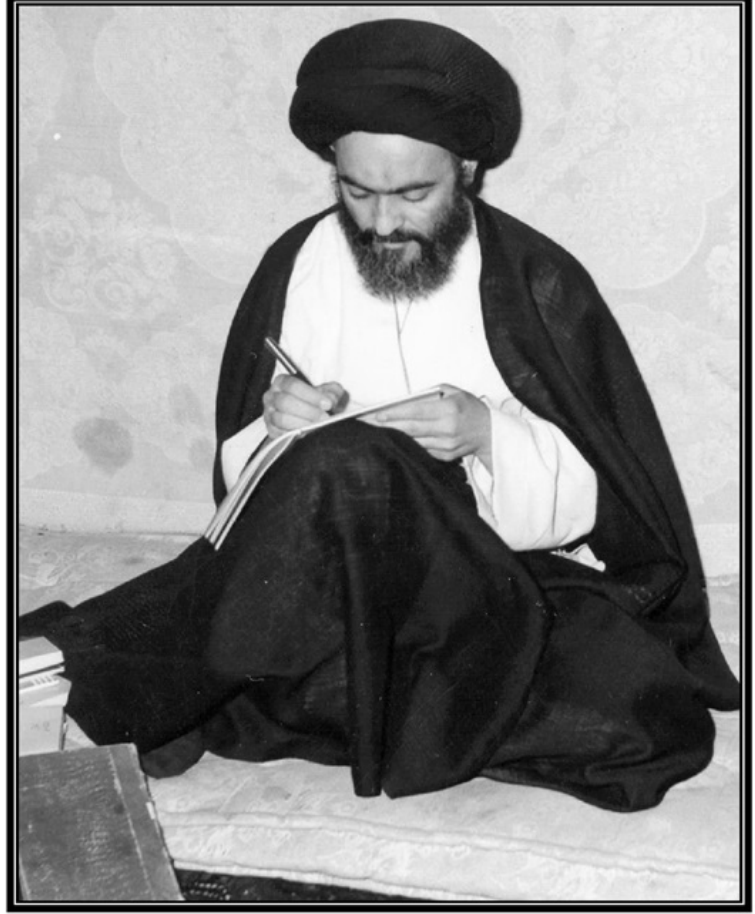
ما سجله الشيخ الصفار من لقطات بقيت في ذاكرته، يساهم من خلالها

في محاولة أبرز الصورة الحقيقية لبعض الشخصيات والأحداث التي ارتبطت بالامام الراحل (قدس سره) ، وهو في مساهمته يحاول أن يكون محايداً في توصيف بعض تلك الشخصيات بقدر الإمكان، وبذلك فإنه تنحى جانباً عند التعرض للتحليل النفسي والاجتماعي، تاركاً الأمر إلى المختصين في هذا المجال للتعمق في تحليل تلك الشخصيات التي مرت في حياة الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) .

في هذه الأوراق، كثيراً ما يأخذ الشيخ الصفار المبادرة في حديثه، دون انتظار توجيه سؤال محدد، وربما يعود ذلك لتزاحم الذكريات التي تريد الخروج من ذاكرته، ولا يستطيع أحياناً ملاحظتها؛ ومع اعترافه بأن هذه الشهادة التي يقدمها عن الإمام الشيرازي الراحل (قدس سره) ضرورية ومهمة، إلا أنه يعتقد أنها جاءت متأخرة نوعاً ما، لان الكثير من الأحداث والوقائع والشخصيات جرى ما جرى عليها في الذاكرة من نسيان واضمحلال.

شهادة الشيخ الصفار جرت على سبع جلسات متقاربة في تواريخها من العام (1425 هـ - ق - 2005 م) ، وفي مكان جغرافي واحد، هو مدينة قم المقدسة في ايران.

في هذه الشهادة للشيخ فاضل الصفار، عدة عناوين رئيسية وأخرى فرعية، فرضتها طبيعة الأحداث والذكريات التي يرويها الصفار، دون التقيد بمرحلة زمنية تسبق الأخرى، مع اسئلة هي أقرب إلى المداخلات أو الاستفزاز لإخراج المزيد من الذاكرة المتخمة بالوجوه والتفاصيل.



عوامل النجاح وسر الصوم

يبدأ الشيخ الصفار شهادته تحت عنوان (عوامل النجاح وسر الصوم) بهذه الكلمات:

تخبرنا حقائق التاريخ التي نطالعها بأن الحديث عن العظماء أمر في غاية الأهمية، وهذه الأهمية تعود إلى مكانته ودوره في مجتمعه أو أمته، وفيما قام به وقدمه في حياته للآخرين. ويمكننا الاستعانة بحديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يقول فيه: «من ورخ مؤمناً فقد أحياه»⁽¹⁾. فالحديث عن العظماء يوحى بالعظمة، والفخر والاعتزاز.

كثيراً ما طرح وي طرح عليّ السؤال عن الإمام الراحل (قدس سره)، باعتباري تلميذاً له، من قبل كثير من الأخوة المؤمنين - مجتمعين أو متفرقين مراراً وتكراراً - وأينما كنت، سواء في إيران أم في سوريا، أم في العراق، أم أماكن أخرى. رغبة من هؤلاء في التعرف على شخصيته الفذة (أعلى الله مقامه)، وعن سيرته الكبيرة، فيقولون لي: أنت كنت من تلاميذه، وعشت معه مدة من الزمن، فنحب أن تحدثنا عنه بإسهاب، وتخبرنا عن شخصيته وصفاته وسيرته ومشاريعه

ص: 17

1- راجع سفينة البحار: ج2 ص641 مادة (ورخ) وفيه: قد ورد عن سيد البشر (صلى الله عليه وآله وسلم): «من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه».

حين نتحدث عن الإمام المجدد آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره) فهو حديث عن عظيم من عظماء هذا العصر الذي نعيشه، فهو الفقيه والناطقة، سلطان المؤلفين وقدوة المؤمنين، الذي نذر نفسه وحياته لرسالته ودينه ومقلديه في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

الحديث عن مثل هذه الشخصية، وعن النهضة الثقافية والفكرية التي حمل رايتها لتغيير المجتمع، حديث واسع وطويل، وحافل بالعبر والتجارب.

عشت مع الإمام الراحل (قدس سره) أكثر مما عشت مع والدي، فقد هاجرت من العراق وأنا في سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، وعاشرت الإمام الشيرازي (قدس سره) نيفاً وعشرين سنة، عشتها في ظله الوارف، فلمست منه أشياء كثيرة لعلي لم ألمسها من والدي الذي فارقت مبعراً، فكنت اعتبره الوالد كما اعتبره المرجع والأستاذ، واعتبرني واحداً من أبنائه كما كنت أشعر بذلك. من خلال تلك الصلة القريبة والتي ربطتني بالإمام الراحل (قدس سره)، كان طلب هؤلاء الأخوة المتكرر مني أن أتحدث عن حياة الإمام الراحل (قدس سره)، وغالباً كنت أردد وأقول لهم هذا الجواب: (بأنني كثيراً ما أتردد في ذلك، بسبب الحيرة التي تتابني وهي من أين أبدأ في حديثي).

ووجه الحيرة في ذلك يعود إلى أن الإمام الراحل (قدس سره) رجل قلّ نظيره، ورجل سبق عصره، وتقدم على أقرانه وزمانه مراحل بعيدة، لأنه شخص واسع في مده وفي أبعاده، فكل نقطة وكل زاوية من زوايا حياته الشريفة تصلح أن تكون بداية للحديث، وتحتاج إلى الكثير من ذلك الحديث وقد لا نفيه برغم ذلك حقه.

على قدر ما تسعفني ذاكرتي، وكنت يومها بين الخامسة أو السابعة من العمر، أدركت السيد الراحل (قدس سره) في أيام المجد الذي صنعه في كربلاء المقدسة والأنشطة الرائعة التي كانت تقام هناك بإشرافه وتشجيعه وتشويقه، قبل أن يغادر العراق في عام (1390هـ - 1970م) حيث هاجر إلى الكويت.

كان الإمام الراحل (رحمه الله)، يوم صلاة الجماعة في حرم سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، ولعل صلاته كانت أكبر صلاة جماعة تقام في كربلاء المقدسة، وهي مهيبة جليلة، وحينما كنا نذهب ونراها نعجب ونبهر بها، لأنها كانت جامعة لشرائح المجتمع الكربلائي وغير الكربلائي من الزوار الكرام، لأن الزائرين الذين كانوا يقصدون زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) كانوا يلتحقون بصلاته أيضاً.

الصورة



تلك الصلاة كانت تضم العالم، والمثقف والأمي والتاجر والعامل والزائر والمقيم وغيرهم، وكان الحرم الشريف للمولى أبي عبد الله (عليه السلام) يمتلئ بالمصلين، في ذلك السن كنت أجل شخصيته وأحبه، وكنت أفتعل العذر من أجل أن أحظى بمحادثته، ولكنني ماذا كنت أستطيع أن أفعل في تلك السنوات من العمر؟ وماذا أجد من عمل في مثل هذه السن؟ كنت أذهب محاولاً التقرب منه، فكان بشخصيته المحبوبة وجاذبيته المشهودة وابتسامته الحنونة التي لم تكن تفارق محياه الشريف، وترحيبه بكل من يقدم عليه، أو (ملكاه) على حدّ تعبير العراقيين كان لطيفاً جداً، وهذا ما كان يشجعنا على الاتصال به والتواصل معه، مع أننا أطفال

صغار، وهو مرجع كبير وإمام مهيب، فكننت أذهب إليه وهو جالس على سجادة الصلاة، فأقبل يده الكريمة وأسأله مسألة شرعية بسيطة على قدر فهم صبي في تلك السن، وكان كل قصدي التقرب منه والتزود من هذا الوجه الحنون العطوف الهش البش، فأقول له: هل هذا حلال أم حرام؟ وكان يجيني - ولعله يعرف هدفي وغايتي - بالحكم الشرعي، فكننت بأي حجة أو عذر أحاول أن أتصل به.

أما ما سمعته عن سيرة الإمام الراحل (رحمه الله) في كربلاء من الناس القدامى من الكبار في السن، من الذين عاصروه وعاشروه وعاشوه وهم في كربلاء، فهناك أشياء كثيرة سمعتها من أناس ثقات وبعضهم من ذوي الشأن، فهو معروف عنه وإلى الآن - حيث عدنا إلى العراق بعد سنين الهجرة والاعتراب - كما نسمع من كبار السن في كربلاء المقدسة ومن المشايخ الكبار الذين عاصروه وعاشروه والإشادة به، وبأنه رسخ في العراق الحس الديني والإيماني، وحول مدينة كربلاء المقدسة إلى واحة للفكر والثقافة والنهضة إضافة للتدين، وهذا لم يكن منحصرًا في كربلاء المقدسة، وإنما إشعاعاته كانت واسعة وعريضة.

بوادر الاصطدام مع السلطات

بدأت الحكومة المركزية في بغداد العاصمة، بعد انقلاب تموز العام 1968 تخشى من تحرك الإمام الراحل (رحمه الله)، فتصدت لتحد منه منذ أيامها الأولى - مع أن المسافة بين كربلاء المقدسة وبغداد أكثر من مئة كيلو متر، والمواصلات كانت ما زالت بدائية، في ذلك الوقت حيث كان التواصل فيه تواصلًا ضعيفًا إلا أن الحكومة أخذت ترصد أنشطته، وتتابع أفكاره ومشاريعه، وأحيانًا تتعرض له

الصورة

□

ص: 20

فمن قصصه مع هذه الحكومة وأزلامها ما نقله أحد الأشخاص الثقات من أهالي كربلاء المقدسة، قال:

كانت هناك مكتبة خاصة مقابل ساحة باب الشهداء لحرم الإمام الحسين (عليه السلام) هي مكتبة السعادة، وتعود للمرحوم (السيد سعيد زيني) (1) - وأنا رأيتها أيام صغري - كانت مكتبة واسعة ومرتبّة بشكل جميل قياساً إلى مكتبات ذلك الوقت، وكان صاحبها السيد سعيد من وجهاء كربلاء المقدسة ومن الشخصيات المقبولة والذين لهم ثقلهم في المجتمع وفي الدولة، وله كلمة مؤثرة ومسموعة في أوساط الناس، وكانت مكتبته من الأماكن القليلة جداً في كربلاء المقدسة التي يتوفر بها هاتف.

وفي أيام ترقب ثبوت رؤية هلال شهر رمضان أو عيد الفطر كان المسؤولون المهمون في المحافظة يجتمعون في مكتبته؛ لأن مكتبته قريبة من مصدر القرار، والإمام الراحل (رحمه الله) الذي كان تواجهه - غالباً - إما في الحرم الحسيني المطهر أو في بيته، حيث يقع بيته قرب مكتبة السيد سعيد وتفصله عن المكتبة بما لا يتجاوز - إذا حسبتها بالخط المستقيم (200 - 250 متر)، فبيته كان يقع في شارع الإمام علي (عليه السلام)، والبيت موجود إلى الآن، ومكتبة السيد سعيد زيني تقع إلى جانب الحرم من جهة باب الشهداء (رضوان الله عليهم) فهي قريبة جداً.

ففي ذلك اليوم وكان قد ثبت عند الإمام الراحل (رحمه الله) عيد الفطر، اجتمع

ص: 21

1- كان عميد أسرة (آل زين-ي)، وهي أسرة علمية برز فيها عدد من العلماء والأدباء والخطباء، يرتقي نسبها إلى العلامة السيد علي بن السيد سيف الدين من سلالة الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام).

المحافظ وقائد الشرطة وغيرهم في مكتبة السيد سعيد زيني، واتصلوا بأحد المسؤولين في بغداد لكي يعلموهم بأن السيد الشيرازي (قدس سره) في كربلاء المقدسة أعلن العيد؛ ولا أذكر من كان الطرف الآخر على الهاتف، هل هو رئيس الوزراء أو وزير الداخلية - فالقصة جرت منذ زمن بعيد نسبياً وأنا سمعتها من أحد كبار السن - المهم أن الطرف المسؤول في بغداد سأل المحافظ حول وضع كربلاء المقدسة وكيف تسير الأمور فيها، لأن المحافظ كان قد أخبرهم عن ثبوت العيد عند السيد الشيرازي (قدس سره)، وفي هذه الأثناء كان مرور السيد الشيرازي (قدس سره) وقد أنهى صلاة المغرب والعشاء وهو ذاهب إلى بيته، وغالباً ما يتمشى في تلك المناطق إلى بيته، سأل المسؤول في بغداد، المحافظ عن الوضع في كربلاء المقدسة، فأجابهم: إذا كان لكربلاء أهمية عندكم، فعليكم إخراج السيد الشيرازي منها، لأن بقاءه في كربلاء تهديد للحكومة فيها.

والظاهر أن هذه القضية - إعلان العيد بعد ثبوت رؤية الهلال - كانت إحدى العوامل والأسباب التي جعلت السلطة تشعر بخطورة وجوده على الحكومة، فأخذت تعجل في اتخاذ مواقف مضادة له ولتحركاته لاسيما في كربلاء المقدسة التي كانت مهد حركته ومركز انطلاقه.

وكان من نتائج هذه المكالمة وغيرها أن أصدروا قراراً باعتقال جمع من المؤمنين القريبين منه، وتعرضوا إلى حوزة كربلاء المقدسة بالمضايقة والظلم والتنكيل. وكان الإمام الراحل (قدس سره) وجماعته من الأوائل الذين عانوا من الإرهاب والعنف الذي انتشر - فيما بعد - في العراق كله، ولكنه ابتداءً من حوزة كربلاء المقدسة، وانتشر حتى عمّ البلاء العراق برمته.

ومن الذكريات الأخرى التي استرجعها - وقد سمعتها من عدة طرق من الثقاة بالنسبة إلى فراصة الإمام الراحل (رحمه الله) أو قوته المعنوية أو ما شئتم فعبروا، فأهل المعرفة لديهم تفسيرات متعددة لها - هذه القضية:

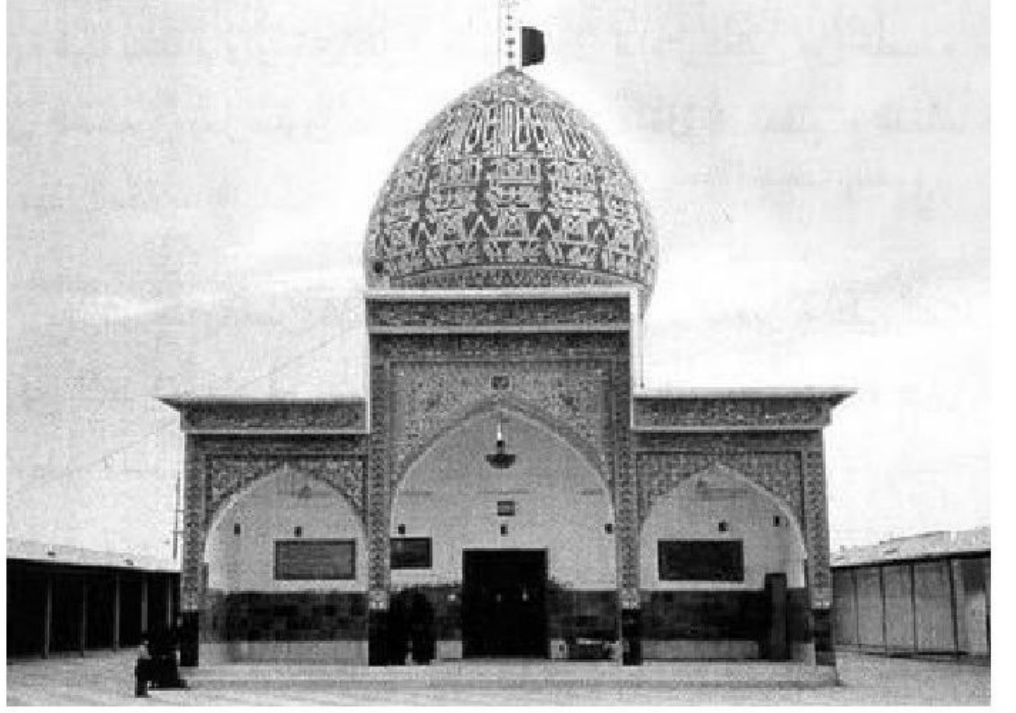
ذكر أحد السادة من أهالي كربلاء المقدسة وكان من مرديه وأصحابه، وأولاده اليوم من أهل الخير والصلاح. قال: إنه في يوم من الأيام فقد أحد أبنائه، فقد أثره ولم يعرف أين يجده؟ فبحث عنه يومين أو ثلاثة أيام ولم يصل إلى نتيجة أو خبر عن ولده، وظل قلقاً عليه لا يهدأ له بال حتى يجد ولده.

وكان من طبع وسجايا الإمام الراحل (قدس سره) السؤال عن أحوال الناس والمجتمع البعيدين عنه والقريبين، كما كان يعتبر متابعاً - وبامتياز - للأخبار والأحداث العالمية، حيث كان يترصد الأخبار ويعرفها ربما قبل إذاعتها من وسائل الإعلام العامة، فكيف بالمسائل الشخصية، والعلاقات الخاصة مع الأشخاص القريبين عليه! وفي مدينة مثل كربلاء المقدسة التي كانت صغيرة في ذلك الزمان؟ فهو باهتمامه وتفقده لأحوال الناس واطلاعه على أوضاعهم ما كانت تقوته فائتة.

فوصل الخبر للسيد الشيرازي (رحمه الله) أن فلاناً فقد أحد أبنائه وهو يبحث عنه من مدة ولم يجد له خبراً، يقول السيد: حينما كان السيد الشيرازي (رحمه الله) ينزل من باب حرم الإمام (عليه السلام) على الدرج المؤدي إلى الصحن الحسيني الشريف، سلمت عليه وصافحته، فاستخبر عن أحوالي وقال: مالي أراك على غير ما يرام، خيراً إن شاء الله؟ فأجبت السيد وبانكسار وألم: لقد فقدت

ابني منذ أيام، وأنا ابحث عنه من غير نتيجة، وقد سألت عنه عدة جهات ولم أحصل له على خبر.

الصورة



فتأمل السيد الشيرازي (رحمه الله) قليلاً، واضعاً يده على جبهته وقال: اذهب إلى مرقد (السيد أحمد بن هاشم) (1) تجد ولدك هناك إن شاء الله؛

استأجر الأب سيارة، وذهب إلى مرقد السيد أحمد بن هاشم فوجد ابنه هناك!

هل القصة تدل فيما تدل على فراسة الإمام الراحل (رحمه الله)؟ أي أنه كان عنده علم بوضع المجتمع العراقي، والظروف المحيطة به، ولعل الموسم كان موسم زيارة السيد أحمد بن هاشم فتوقع مثل هذا التوقع، أو أنها نوع من النورانية الإلهية التي يلهم الله عز وجل بها عباده الصالحين بالصواب في العديد من الأحيان، وفي الحديث الشريف الوارد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل» (2).

يحترمه الجميع

من الخصوصيات التي كانت عند الإمام الراحل (رحمه الله) والتي سمعتها من

ص: 24

1- وينص صاحب موسوعة (دائرة المعارف) بقوله: أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المجاب ابن محمد العابد ابن موسى بن جعفر (عليه السلام) المشهور بأحمد بن هاشم أو أبو هاشم الموسوي الظاهر هو الذي قبره بشفاناً على ثلاثة مراحل بكربلاء. وقد دون هذا النسب الشريف في المشجرات العائلية المنتشرة في كربلاء وخارجها، وفي مصنفات كثيرة مخطوطة ومطبوعة.

2- بحار الأنوار: ج 67 ب 2.

عدد كبير من الثقات كبار السن في كربلاء المقدسة أيام كان يعيش بينهم، ونسمعها الآن أيضاً من الناس بعدما عدنا إلى كربلاء بعد حوالي ربع قرن من الفراق، حيث يستعيد الكثيرون ذكرياتهم مع الإمام الشيرازي (قدس سره)، فمن هذه الخصوصيات أنه كان يحظى باحترام ومحبة كل أفراد المجتمع على الإطلاق، ومن جميع الطبقات، فلم تكن هناك شريحة في المجتمع - خصوصاً المجتمع الكربلائي - لا تحترمه ولا تجله، حتى الناس الذين ليس لهم علاقة بالدين بل لهم علاقة بالفسق والفجور والعصيان كانوا يحترمونه جداً، حتى إن الكثيرين يتذكرون أنه كان من دأبه في أوقات معينة، أن يتمشى فيها على النهر - نهر الحسينية الذي يسقي كربلاء وبساتينها - ويفكر في شؤونه الخاصة، وفي الشؤون العامة، وفي إصلاح البلد، فكان يصادف أن يلتقي بمجموعة من الشباب الطائش المغرر به يعملون بعض المنكرات، وبعض الأعمال التي يشغلون بها في تلك الأماكن الخالية، حيث كانوا يتخذون من بعض الزوايا وأطراف النهر أماكن لللهو المحرم، فكانوا بمجرد أن يشاهدوه من بعيد يجمعون - وبسرعة - كل أدواتهم ويخفونها على جانب، ويقفون له بكل احترام وإجلال، فيسلم عليهم ويسلمون عليه ويقبلون يده، ويودعونه بكل أدب واحترام أيضاً.

وهذا النوع من المكانة والتقدير قلما تجده في مجتمع من المجتمعات، هكذا يحترم العالم ويجل ويقدر حتى من قبل أناس لا علاقة لهم بالعلم ولا بالتدين.

المؤمن يألف ويؤلف

وكان من صفاته التي يشهد له الناس بها - حتى الآن - من الكبار الذين كانوا في ذلك الزمان صغاراً، أن الإمام الراحل (قدس سره) عندما كان يمر في الأزقة أو

الشوارع ويرى بعض الأطفال يلعبون كان يسلم عليهم، ويقف يسألهم بعض الأسئلة فيجيبونه، ثم يقبلون يده.

وهذه صفة من صفات الأنبياء (عليهم السلام) وسيرتهم وقد تأثر بهم السيد (رحمه الله) ، حيث يلزم على الإنسان أن لا يتعالى على المجتمع الذي يعيش فيه، على اختلاف شرائحه وطبقاته ومستوياته، يحب الجميع ويسعى لهداية الجميع، ولا يفكر أن هذا طفل أو ذاك كهل، فكان يحترمه الجميع بمختلف مستوياتهم لعظم أخلاقه.

وأما المثقفون والمفكرون والإعلاميون فخواطرهم وذكرياتهم كثيرة، وأنا رأيت جملة من الشعراء والأدباء في كتبهم وفي دواوينهم يسجلون كيف كان الإمام الراحل (رحمه الله) يلتقي بهم ويحتضنهم ويشجعهم ويتواصل معهم.

الخواطر والذكريات عنه في كربلاء المقدسة كثيرة جداً، وقد فاجأني هذا السؤال، لأنه يحتاج إلى استعداد مسبق لم أتوفر عليه اللحظة، ويتطلب إثارة بعض الدفائن والذكريات حتى تستحضرني المواقف التي وقفها السيد الإمام الراحل (قدس سره) .

هل ما حصل انقلاب؟

* من خلال تلك المقدمة والتي تصلح مدخلاً لحوار أوسع معكم، ذكرت أن الإمام الراحل (قدس سره) كان ولا زال يتمتع بحضور كبير في المجتمع الكربلائي، وأن الجميع كان يكن له مشاعر الحب والإجلال والمودة، فكيف تمكنت حكومة البعث في بغداد من إلحاق الأذى به، والتصنيق عليه، رغم كثرة المحيطين به؟

- هناك عدة ظروف محيطة في حياة السيد الراحل (رحمه الله) أدت إلى جملة من هذه النتائج السيئة والثمرات المرة، واحدة منها: النظام الحاكم في العراق، فالنظام الحاكم بدأ بطشه بحوزة كربلاء المقدسة وبشخصياتها الكبيرة وقد ابتداءً

بحوزة كربلاء قبل غيرها، لأنها كانت متصدية له، وكانت الحالة في أعلى درجات المواجهة والصدام العنيف، فليس هناك أعلى من درجة الحكم بالإعدام على كبار الشخصيات العلمية في كربلاء، فأعلى حكم يمكن أن تصدره الدولة تجاه شخصية من الشخصيات هو الإعدام، ونظام الحكم البعثي واجه الإمام الراحل (رحمه الله) بذلك، ولعل أول حكم صدر بحق هذا الرجل العظيم هو هذا الحكم الظالم، حيث لم يتدرج من الحبس ثم يتصاعد إلى الإعدام.

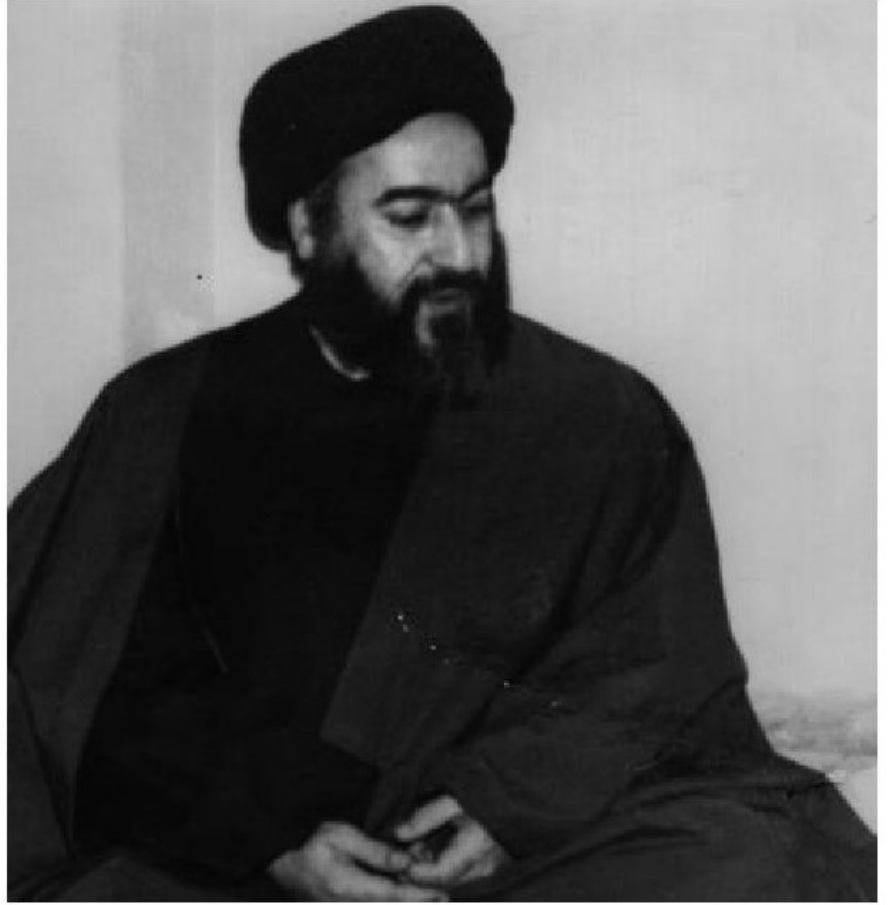
هناك عرف عند السلطات المستبدة بأن الأحكام القضائية أو الأحكام السياسية تصدر تدريجياً، لأن الخلاف السياسي هو خلاف بالرأي، وليس صاحبه مجرماً حتى يحكم عليه بهذه الأحكام القاسية، فتبدأ من الاستدعاء للتحقيق، ثم تتدرج إلى التوقيف الاحتياطي، ثم يؤخذ منه تصريح أو تعهد بعدم إشهار المعارضة، وإذا خالف تتخذ بحقه عقوبات سياسية رادعة كالسجن، والسجين السياسي عادة يُعامل معاملة خاصة، لأنه سجين رأي وليس سجين جرم أو جنائية أو ما أشبه ذلك. أما إن الحكم يصدر فوراً بالإعدام من دون أي سابق إنذار لشخص كبير وله تأثير في المجتمع فهذا معناه أن السلطة قررت المصادمة والمواجهة علناً مع حركات الإصلاح في المجتمع، وحركة الإمام الراحل (رحمه الله) كانت حركة نشيطة ولها تأثيرها وتياراتها فكرياً وسياسياً، وكانت المعارضة السياسية أيضاً قد قررت المواجهة الفعلية العلنية، وواجهت الدولة بأشد الأساليب المتاحة لها كرد فعل على أعمال الحكومة الظالمة. ومن ذلك أن المرحوم الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره) [\(1\)](#) - شقيق الإمام الراحل (رحمه الله) - وفي ذكرى

ص: 27

1- ينحدر سماحته من أسرة عريقة في العلم والسياسة والفضل، من نسل المجدد الشيرازي الأول السيد محمد حسن الشيرازي (رحمه الله)، ومن ناحية الأم يكون الميرزا محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) [^] قائد ثورة العشرين في العراق، ووالده المرجع الديني الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) اجتهد على يد مراجع كبار واهتم بالجوانب الفكرية والاقتصادية والسياسية إلى جانب تخصصه في الفكر الإسلامي. مارس دوره الموجه في الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة وغيرها، إلى جانب تبنيه لها وذلك بالتعاقد مع أخيه الأكبر الإمام الراحل المجدد الثاني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)، وقد أمضى فترة طويلة من حياته بين الاعتقال والنفي. إتخذ من لبنان مقراً له عام 1970 م، وقبل ذلك كان يتردد كثيراً على سوريا، أسس جماعة العلماء عام 1977 م إلى جانب تبنيه لها كما أسس الكثير من المؤسسات التربوية والثقافية والدينية والاجتماعية في كل من العراق وسوريا ولبنان وأوروبا وأستراليا وساحل العاج وسيراليون ونيجييريا وكينيا. وضع أول لبنة في تأسيس الحوزة العلمية الزينية في سوريا عام 1975 م وقد خرجت هذه الحوزة منذ تأسيسها إلى اليوم المئات من الطلاب من مختلف الجنسيات وتعتبر اليوم أكبر وأهم الحوزات في هذه البلدة الطيبة وهي ما زالت اليوم تمارس كل الصيغ للوصول إلى تحقيق الأهداف الإسلامية عامة. اغتالته مخابرات النظام العراقي في بيروت عام 1980، وأصبحت تقام له مجالس تأبين سنوية.

ميلاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وخلال المهرجان الكبير الذي كان ينظمه أهالي كربلاء المقدسة والحوزة العلمية بتوجيه السيد الشيرازي (رحمه الله)، قال (رحمه الله) :

الصورة



ويل للعراق فليله لا ينقضي***حتى تقوم حكومة الإسلام

كان مثل هذا التحدي، وهذا التعبير العلني في مناسبة عامة يعتبر عند نظام

ص: 28

الحكم البعثي من أعلى درجات المواجهة والصراحة بالعداء لهم، والحديث عن حزب البعث العراقي وأن أصوله مسيحية وكذلك يهودية، لأن مؤسسه (ميشيل عفلق)⁽¹⁾ وأنه من أذيان المستعمر، وأنه كذا - هذا الكلام - في ذلك الزمان كان كفراً بالقومية والوطنية البعثية، ومن كان يستطيع التكلم به جهاراً وعلى رؤوس الأشهاد؟

الصورة



وهذا كان - بالحقيقة - شعاراً وسيفاً يجرده الإمام الراحل (رحمه الله) الذي كان يعتبر في أعلى درجات المواجهة مع السلطة الحاكمة في العراق، ولذا حكمت السلطة عليه بالإعدام غيابياً ودون محاكمة، خرج على أثرها سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) من العراق تحت جنح الظلام وهو خائف يترقب.

ص: 29

1- هو أحد مؤسسي حزب البعث الذي أصبح فيما بعد حزب البعث العربي الاشتراكي. ولد في دمشق لعائلة متوسطة تدين بالمسيحية الأرثوذكسية، تلقى تعليمه في المدارس الفرنسية في سورية الواقعة تحت الانتداب الفرنسي، وانتقل إلى باريس ليلتحق بجامعة السوربون حيث بلور أفكاره الحزبية. تأثر عفلق بحركة الإنبعث الإيطالي بزعامة جوزيبي مازيني فحملها بأهدافها إلى الواقع العربي ولم يكن الفكر البعثي وليد ثقافة ميشيل عفلق بل استورد عفلق فكرة الانبعث الإيطالي بأهدافه (الوحدة - الحرية - الاستقلال). قام عفلق عام 1941 بتكوين أول جماعة سياسية منظمة باسم الإحياء العربي التي أصدرت بيانها الأول في شباط. وبمساعدة صلاح الدين البيطار والدكتور مدحت البيطار، عقد المؤتمر التأسيسي في 7 نيسان عام 1947 في دمشق، وانتخب ميشيل عفلق عميداً للحزب. في عام 1952 تم دمج حزب البعث العربي مع الحزب الاشتراكي بقيادة أكرم الحوراني ليصبح حزب البعث العربي الاشتراكي. توفي العام 1989 في بغداد.

وبعد خروجه من العراق لم تكنف الحكومة - في ذلك الوقت - بإصدار حكم الإعدام عليه، بل لو وجدوا اسمه أو رسالته العملية أو كتاب من كتبه أو صورته عند أي شخص كانوا يعتقلونه ويحكمون عليه بأشد العقوبات، وقد يعدم فوراً، وربما كانوا يتجاوزون عقوبة الأشخاص والأفراد لتصل إلى الأسر والعوائل، فأى أثر من آثاره كانت السلطات البعثية تجده عند أسرة أو عائلة كان يكفي جرماً لتعذيبهم أو قتلهم، فيحكم على الرجال بالإعدام فوراً، وعلى النساء والأطفال بالتضييق والتنكيل.

فاسم الإمام الراحل (رحمه الله) كان - بالحقيقة - مرعباً بالنسبة للسلطات البعثية في العراق، ولذا كانت تعلن الحرب على كل شيء يتعلق به حاضراً كان أو غائباً، فكان اسمه تهمة، وصورته جريمة، ورسالته جنائية، وكتابه كبيرة من الكبائر، والحكم على من يحمل أي شيء أو أثر من آثاره بالإعدام فوراً ودون محاكمة يعد من أهول وأقسى الأحكام.

من الطبيعي أن سلطة بهذا العداء وتلك العقلية وهكذا تصرفات، لا ترحم ولا تتهاون مع هذه القضايا التي تعتبرها خطيرة جداً، كانت لا ترحم المجتمع كله، فكل من وجدوا عنده رسالة السيد الراحل (رحمه الله) أو صورته، أو كتاباً من كتبه أو كتاباً يتحدث عنه كان حكمه الإعدام فوراً، وفي المدة الأخيرة التي اشتدت فيها الأزمة بين السلطة الحاكمة والإمام الراحل (رحمه الله)، كان البعثيون لو عرفوا أي شخص اتصل به ولو بسلام عابر دون كلام كانوا يعدمونه مباشرة ولا يسجنونه، وإنما يعدمونه فوراً وبدون أي سابق إنذار أو جرم أو ذنب إلا أنه اتصل أو سلم على الإمام الراحل (رحمه الله).

* هل في ذاكرتكم بعض الأمثلة على ذلك؟

- هناك مجموعة من الأخوة ذهبوا إلى الكويت في ذلك الوقت الذي كان فيه سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) قد وصلها واستقر فيها، فلما رجعوا إلى كربلاء المقدسة تم اعتقالهم، وإلى يومنا هذا لم يظهروا، ولم يعرف عنهم خبر منذ ذلك الوقت، وحتى الآن لا أعلم إن كانوا مرتبطين به أو ذهبوا إلى زيارته فقط أو إنها تهمة باطلة قد لفتت عليهم، وكثير من الناس الذين كانوا في أيام الإمام الراحل (رحمه الله) وكان لهم علاقة مباشرة معه وهم معروفون بذلك، حكم عليهم بالإعدام، وهؤلاء - بالحقيقة - أكثر من أن نحصيهم.

* هل استمرت هذه الحالة من التصنيق والتنكيل بتلامذة ومريدي الإمام الراحل (رحمه الله) بعد خروجه من العراق؟

- نعم استمرت هذه الحالة حتى بعد خروج الإمام الراحل (رحمه الله) من العراق إلى الكويت - وللأسف - استمرت هذه السياسة الظالمة تحكم المجتمع العراقي عامة والكربلائي خاصة، إلى آخر فترة من حكومة البعث البائدة؛ كان اسم الإمام الراحل وكتبه وفكره وصوره مُحارَبة، وحاملها مجرم يحكم عليه بالإعدام، والفترة طالت، وهذا أمر طبيعي، لأن هذا الظلم شكل فراغاً كبيراً في المجتمع العراقي حيث فقد القادة الحقيقيين، وبقي فيه البعث يعشش على الأتقاض، ويعيش على أشلاء أجساد الشهداء.

لم يكتف حزب البعث بالحكم - الذي استحوذ عليه بانقلابه - فقط، وإنما كان يعمل على تغيير جوهر الإنسان وقلبه ونفسه ومشاعره وفكره وعقله، ليسهل الاستحواذ على هذا الإنسان، هذه العملية الممسوخة من التغيير الذي

أجراه نظام الحكم البعثي على العراق والعراقيين، جعل بعضهم يفقد توازنه ليعيش حالة انفصام في الشخصية، وصراعاً داخلياً كبيراً، ففي الوقت الذي يؤمن بشيء تراه يمارس أشياء ضد ما يعتقد وعكس ما يؤمن به، وهذه الحالة هي من أشد أنواع الانفصام، لأنها تحول الإنسان الحر إلى إنسان مسلوب الإرادة والاختيار.

حتى وصل الحال - ببعض الناس - أن الابن يتجسس على أبيه، والزوجة على زوجها، والصديق على صديقه؛ حوّل البعثيون المجتمع العراقي إلى ثكنات عسكرية، وسجون مفتوحة واسعة الأسوار، ولا أحد يعلم متى يدخل السجن الصغير ذا الأسوار وهل سيخرج سالمًا، لأن الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود، أي أنه تحول إلى مجتمع ليس له قيمه وعاداته وتقاليده وأعرافه ودينه، التي تعارف عليها.

هذا كان أحد الأسباب في قضية استفراد السلطان البعثية الحاكمة في محاربة السيد الراحل (رحمه الله)، وهناك أسباب أخرى داخلية نابعة من داخل المجتمع ومن بعض العاملين في الحقل الإسلامي أو في الحوزة العلمية، حيث كان لها دور أساسي في القضايا المعروفة، والتي تعرض لها السيد الراحل (رحمه الله).

كل ذلك أدى إلى الصدام بين الإمام الراحل (رحمه الله) والسلطات العراقية، ولست هنا في مقام الاستعراض لهذه المسألة وتناولها بالتفصيل، ولكن سأقتصر في حديثي عن الأسباب المؤثرة فقط.

جبهات المواجهة

لا يخفى أن الإمام الراحل (رحمه الله) لم يكن مجرد عالم دين ومرجع تقليد فقط، وإنما كان مفكراً وقائداً ومجاهداً، ولقد حارب ثلاثة من الأنظمة المستبدة،

وهي تعد من كبريات الأنظمة السياسية في المنطقة، وهو غريب طريد ومحارب ووحيد، وهذه الأنظمة هي:

الأولى: نظام الحكم في العراق.

وبالخصوص نظام حزب البعث الذي كان بطشه وطيشه وجبروته معروفاً للجميع، حتى ضرب به المثل، فلقد كان الإمام الراحل (رحمه الله) عدوه اللدود، وحاربه أكثر مما حاربه بعض جهات المعارضة السياسية العراقية المتصدية لهذا الشأن في السر.

كنا نسمع كلماته ونقرأ كتبه ومحاضراته، ونراقب عن كثب كل أعماله، ولهذا الحديث باب واسع، وإني أتحدث عن أيام أدركتها ولاحظتها وشاهدتها بأم عيني، فقد كنت أراقب وأرى تحركات ونشاطات الإمام الراحل (رحمه الله) ضد نظام الحكم في العراق وأنا في المهجر أكثر من عشرين سنة، ولا أنقل في هذا الحوار ما سمعته في كربلاء المقدسة، لأنني كنت صغيراً آنذاك!

الثاني: نظام الشاه في إيران.

فقد حارب الإمام الراحل (رحمه الله) نظام الشاه في إيران أيضاً، والذي كان يعده الغرب الشرطي الأساسي في المنطقة، وكان معروفاً عن الشاه أنه يملك خامس أقوى جيش في العالم في ذلك الحين، فكان يواجهه ويحاربه، لأنه كان عميلاً للغرب ومفسداً في بلده وظالماً لشعبه.

الثالث: أنظمة الاستبداد في المنطقة.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يواجه كل نظام يظلم رعيته سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين، فكان يحاربه ويواجهه، حتى أن صحيفة سعودية كتبت في أوائل الثمانينات وهي على ما أعتقد صحيفة (المسلمون)، كتبت: (إن

هناك شخصيات من علماء الشيعة يشكلون أكبر خطر علينا - المقصود هم الحركة الوهابية(1) - والشخصية الأولى هو السيد محمد الحسيني الشيرازي، بأفكاره وبحركته الواسعة ضد الحركة الوهابية).

لأن حركة السيد الشيرازي (رحمه الله) كانت حركة نهضوية للمجتمع، ولل فكر الشيعي في أوساط الشيعة وغير الشيعة، وطبيعي أن مثل هذه الشخصية المؤثرة تحارب من قبل الأنظمة السياسية والأنظمة الدينية المنحرفة.

هذا الذي استذكره وأشرحه وأفسره ليس انقلاباً بالمعنى المفهوم للانقلاب

ص: 34

1- تنسب الفرقة الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدى. في سنة 1143هـ- أظهر محمد بن عبد الوهاب الدعوة إلى مذهبه الجديد، ولكن وقف بوجهه والده ومشايخه، فأبطلوا أقواله، فلم تلق رواجاً حتى توفي والده سنة 1153هـ، فجدد دعوته بين البسطاء والعوام فتابعه حثالة من الناس، فثار عليه أهل بلده وهموا بقتله، ففر إلى (العبينة) وهناك تقرب إلى أميرها وتزوج أخته، ومكث عنده يدعو إلى نفسه وإلى بدعته، فضاق أهل العبينة منه ذرعاً فطردوه من بلدتهم، فخرج إلى (الدرعية) شرقي نجد، وهذه البلاد كانت من قبل بلاد مسيلمة الكذاب التي انطلقت منها أحزاب الردة. فراجت أفكار محمد بن عبد الوهاب في هذه البلاد واتبعه أميرها محمد بن سعود، وعامة أهلها. وكان في ذلك كله يتصرف وكأنه صاحب الاجتهاد المطلق، فهو لا يعبأ بقول أحد من أئمة الاجتهاد لا من السلف ولا من المعاصرين له، هذا ولم يكن هو على الحقيقة ممن يمت إلى الاجتهاد بصله!! هكذا وصفه أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وهو أعرف الناس به، وقد ألف كتاباً في إبطال دعوة أخيه وإثبات زيفها، ومما جاء فيه عبارة موجزة وجامعة في التعريف بالوهابية ومؤسسها، قال فيها: (اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولا والله ولا عشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال، فإن الله وإنا إليه راجعون).

على السيد الراحل (رحمه الله)، وإنما هي نتائج تصيب كل مَنْ يعمل في الحقل الاجتماعي والإصلاحي صادقاً مخلصاً مجاهداً، أو - إن صح التعبير - كل من يسبح على عكس التيار العام يُبتلى بالعزلة.

وهذه الصِّفة كان يعاني منها حتى الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) وفي مدة مديدة من أعمارهم الشريفة - أي من حياة العزلة عن المجتمع -، فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان طيلة خمساً وعشرين سنة في بعض الروايات التاريخية جليس الدار، مع أنه حجة الله على الأرض.

وكذا ولده الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء وعلى تراب كربلاء ظل وحيداً فريداً وهو ريحانة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، هو واثنان وسبعون شخصاً من أصحابه فقط، فأين الأمة الإسلامية؟ أين تلك الجموع الغفيرة التي آمنت برسول الله، واتبعته؟!

فغالباً ما يبتلى المصلحون والقادة الريانيون بالعزلة، إما العزلة الناشئة من سياسة السلطة، أو العزلة الناشئة من المصالح، أو تراحم المصالح، وبالنسبة لبعض الحالات قد لا يسمى انقلاباً، بمقدار ما يسمى ابتلاء، فهذا نوع من الابتلاء والامتحان.

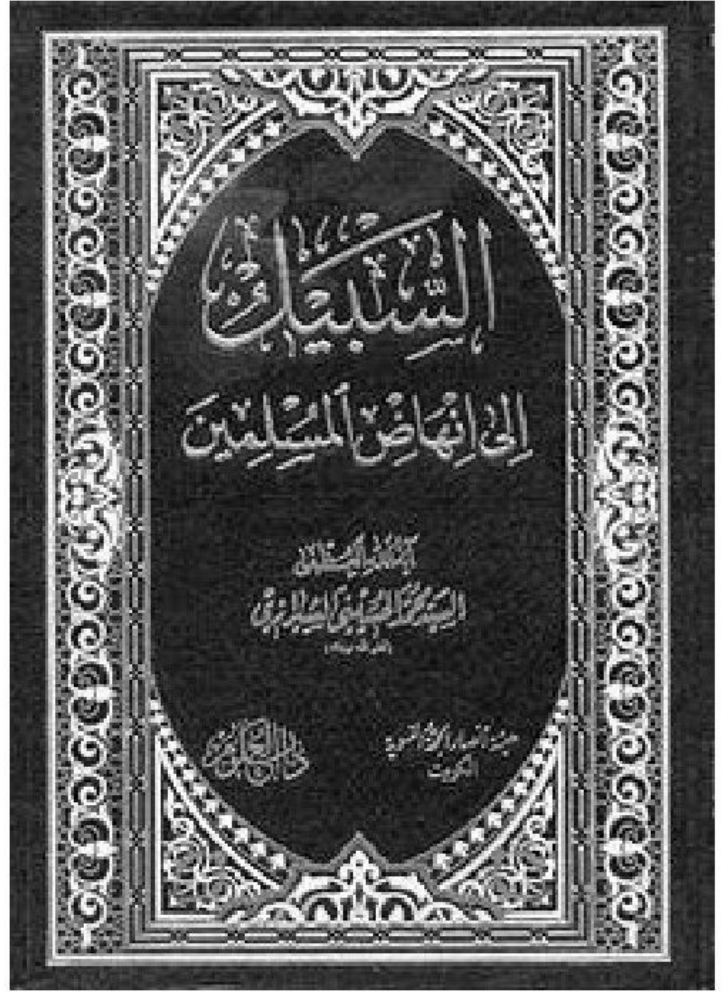
كان الإمام الراحل (رحمه الله) يدرك هذه الحقيقة، وهذا واضح في الكثير من محاضراته، فإنه شأن المصلحين، ولعله يشير إلى هذه الحقيقة في أحد كتبه - حسبما أعتقد (السيبل إلى إنهاض المسلمين)⁽¹⁾:

ص: 35

1- بحث فيه السيد الراحل (رحمه الله) سبل النهوض بالمسلمين إلى المجد والحضارة، ومن بعض العناوين التي طرحت فيه: إلى حكومة ألف مليون مسلم، الأمة بين المأساة والعلاج، الحاكم الأعلى بانتخاب المسلمين، نشر الوعي في البلاد الأجنبية، وغيرها من العناوين.

إن المجاهدين غالباً يبتلون بعدة مخاطر، إحداها التذويب من قبل السلطات السياسية التي تحكم عبر الإغراء بالمال، أو الإغراء بالمنصب، وشيئاً فشيئاً يجعلون المجاهد ينسلخ عن أهدافه العليا التي رسمها.

الصورة



والخطر الثاني - وهو خطر صعب أيضاً - التعب، فالمجاهد في وسط الطريق قد يتعب، ويتخلى عن أهدافه فيتحول من مجاهد إلى إنسان عادي إذا لم يكن مع السلطة، ويقول: أنا أدّيت ما عليّ، ويترك أهدافه المتبقية ويصاب بالملل، يصاب باليأس من تحقيق الأهداف، لا سيما إذا طالت فترة الجهاد والعمل.

لذا مدح الباري عز وجل المجاهدين الصابرين إلى نهاية الطريق في قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَصَدَ إِلَىٰ نَجْوَىٰ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (1).

قيمة المجاهدين وأهمية انجازاتهم تظهر أكثر لدى صبرهم وصمودهم واستمرارهم على العمل إلى نهاية المطاف.

أخطر المواجهات

* هل اقتصرنا الأخطار على الإغراء وحده، أم أن هناك أخطاراً أخرى

ص: 36

تعرض لها وواجهها في مراحل حياته المتعددة؟

- ما أكثر تلك الأخطار، فالكثير من المحاولات كانت موجهة إما إلى الإمام الراحل (رحمه الله) شخصياً، أو إلى المقررين منه كتلاميذه.

كما كانت هناك إغراءات كثيرة جداً، لكن الطرف الآن لا يسمح لي بالتكلم عن بعض الشواهد والأمثلة التي أعرفها جيداً، ومنها عرضت عليه بعض الدول مناصب وسلطات عليا، يعني: أن يكون الحاكم الأول في بعض تلك الدول، فلم يقبل تمسكاً بمبادئه وأفكاره.

وحتى في العراق إذا كان الإمام الراحل (رحمه الله) ساكتاً على سياسة النظام البعثي، ولا يواجهها بشيء من الاحتجاج والتمر عليها، لم يصبه أذى، فإن النظام كان يريد من الناس أن يؤيدوا أو يسكتوا عن تصرفاته وظلمه، وربما كانوا يفسحون له المجال، أو توضع تحت تصرفه المزيد من الصلاحيات والامكانيات، فيعيش في راحة، وفي المقابل يرى النظام يسوق البلد والناس إلى ضلالاته وأفكاره المنحرفة إلى حيث يريد، لا إلى حيث يريد الإسلام، ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) لم يكن يريد العيش مع الظالمين.

عوامل وسر نجاح الإمام الشيرازي (رحمه الله)

* ماهي بنظركم مقومات نجاح الإمام الراحل (رحمه الله) في حياته وحركته العلمية والثقافية؟

- توفرت لدى الإمام الراحل (رحمه الله) الكثير من عوامل النجاح ومقوماته.

كنا عند أحد الأخوة وهو من الثقات ومن أهل الخبرة وليس شخصاً يتحدث بالتخمين أو الحدس، وإنما هو من المعاصرين والمطلعين على كثير من الجهات الفكرية، وعلى عدد من العلماء، وعلى كثير من البيوتات المرجعية

والعلمية، ولقد تحدث عن هذا الموضوع؛ ورأى أن الإمام الراحل (رحمه الله) قد ابتلي بجملة من الابتلاءات القاسية جداً في حياته وخلال مسيرته.

الابتلاء الأول: الحكومات المحلية.

الابتلاء الثاني: الحكومات العالمية؛ لأن حركة الإمام الراحل (رحمه الله) الفكرية لم تكن حركة عادية، تقتصر على محيطه المحلي أو الإسلامي الأوسع، فهو حتى بالنسبة إلى الغرب كان لديه مجموعة أفكار، ويطمح إلى تغييره من خلالها، وكان يدعو المسلمين والمفكرين إلى تحويل النصارى واليهود إلى مسلمين.

فكتاب (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام)⁽¹⁾ أطروحة الإمام الراحل (رحمه الله) التي كتبها للعالم بأجمعه، وليس للعالم الإسلامي فقط، وفيه الكثير من تلك الأفكار والطموحات.

ومن الطبيعي أن يتخوف الغرب من تلك الحركة الفكرية للإمام الراحل (رحمه الله)، لأنها كانت حركة مخيفة حتى بالنسبة إلى الدول الغربية، وخصوصاً أن أسرة آل الشيرازي أسرة معروفة تاريخياً بجهادها، وعندها تاريخ عريق في محاربة ومجاهدة الاستعمار وخصوصاً البريطاني، والبريطانيون معروفون بأساليبهم الماكرة وفي تحركاتهم، لأنهم لا ينسون من يحاربهم ولكن يبدوون بالقضاء عليه بالتعبير العراقي الدارج ب- (القطنة) أي بطرق غير مباشرة، يضغظون

ص: 38

1- كتاب حول النهوض بالواقع الإسلامي وصياغة أو ضاعه بصياغة إسلامية جديدة وفق مبادئ الإسلام الحنيف، يقع في 736 صفحة تناول فيه سماحة السيد (رحمه الله) العديد من المباحث ضمن تسعة فصول، وقد أُلّف في مدينة قم المقدسة وطبعته مؤسسة الفكر الإسلامي في بيروت سنة 1413 هـ - / 1992 م.

عليه مباشرة أو على أتباعه، ويحجّون حركة الطرف المجاهد، أو العامل ضدهم.

فأولاً: ابتلي الإمام الراحل (رحمه الله) بمحاربة أنظمة كبيرة، ثم ابتلي بمجتمع فيه أصحاب قرار ونفوذ بعضهم لا يفهمونه، وكثير من أفكاره التي كان يطرحها في وقتها - وقد لاحظت جملة منها - وصلت الأمة إليها بعد عشر سنوات، حتى الدعوة إلى إقامة حكومة إسلامية، الإمام الراحل (رحمه الله) كان قد طرحها في الستينيات من القرن الماضي ودعا إليها في تلك السنوات في العراق، وكتب كتابه المعروف (نريدها حكومة إسلامية)⁽¹⁾ و(الحكم في الإسلام) و(إلى حكم الإسلام)، وأمثال هذه الكتب التي كتبها في ذلك الزمن الذي كان مجرد الطموح والتطلع إلى حكومة إسلامية يعد ضرباً من الأوهام والخيالات، أو كان أشبه بالحلم في أنظار الغالبية العظمى من المسلمين، ولكن نرى اليوم أن هذا الحق صار ثقافة، ففي كل مكان هناك دعوة وحركة ونشاط يطالب بهذا الحق.

ولأجل ذلك تحمل الإمام الشيرازي (رحمه الله) جميع أنواع المواجهات حتى من قبل أنظمة غريبة: المواجهة السياسية والإعلامية والدعائية وغيرها، وكذلك مواجهة من قبل نفس المجتمع الشيعي أيضاً، وكان يتصدى لكل ذلك بمفرده.

المرجعية العليا

كان البعض يطرح هذا السؤال متعجباً: لماذا لم تصل المرجعية العليا إلى

ص: 39

1- كتاب حول الحكومة الإسلامية تناول فيه الإمام الشيرازي (رحمه الله) عدة مواضيع حول حكومة الإسلام ومنها: إعادة الحكم الإسلامي، الحاكم الإسلامي، انتخاب الحاكم الإسلامي، الغنى ونفي الفقر في الحكومة الإسلامية وغيرها من المواضيع المتعلقة بحكم الإسلام.

الإمام الراحل (رحمه الله) بالرغم من تفوقه العلمي وعمله الدؤوب، مع أنه كان يعد من أقدم المراجع، وقد امتدت مرجعيته إلى أكثر من أربعين سنة؟!

و الجواب كما ذكره هذا الشخص الخبير: لا- ينبغي التعجب من ذلك بل العجب كيف بقي الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الآن، على الرغم من أن أنظمة كبرى في المنطقة نزلت إلى حربه؟ فنظام صدام وحده حاول اغتياله أربع مرات وهو في قم المقدسة بعيداً عن العراق، واحدة من هذه المحاولات أنهم دخلوا وأطلقوا الرصاص عليه، وهذا ليس في أوائل الثورة الايرانية، بل لعله بين سنة (1979/1399 - 1980/1400هـ) في هذه الحدود الزمنية تقريباً.

وحتى في اثناء الحرب التي شنها صدام على إيران، حيث كان يرسل فيها طائراته إلى أي مدينة في ايران يتمكن من الوصول إليها وقصفها خاصة مدينة قم المقدسة، وقد استهدفوا محل إقامة الإمام الراحل (رحمه الله) - في واحدة من تلك الغارات والضربات الجوية التي قامت بها الطائرات العراقية - حيث كان يستقر في إحدى الحسينيات(1)، ويقيم في السرداب، وقد هجر بيته لما وصله من أنباء بمحاولة الطائرات العراقية قتله عبر استهداف منزله، واختار الحسينية محلاً لإقامته حماية بالإمام الحسين (عليه السلام) ولكون بناءها أقوى؛ بينما بيت الإمام الراحل (رحمه الله) عبارة عن بناء قديم متهالك، تكاد جدرانها تتداعى عليه، إلا أن لطف الله سبحانه أن قذائف الطائرة سقطت على البيت المحاذي والمجاور للحسينية.

ص: 40

1- خصصت مباني خاصة سميت بالحسينية أو المجلس الحسيني لإقامة العزاء والمآتم على مصاب أهل البيت (عليهم السلام) . واستخدمت الحسينيات على مر التاريخ لعرض حادثة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) على الناس من خلال الخطيب، والذي غالباً ما يجلس على المنبر متوسطاً الناس، ليبيكي الناس على المقتل، ثم تبدأ شعائر أخرى كاللطم أو التطبير إلى غير ذلك.

وقد علم بعض أصدقائنا الذين كانوا خارج إيران، من مصادر خاصة أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان مستهدفاً شخصياً في هذه الغارة بالذات، وقد اتصلوا بسماحته، وقالوا له: سيدنا أنت مُستهدف، مما ألجأه ذلك إلى الخروج من قم إلى مدينة مشهد، ولم يكن في حسبانته أن يترك قم رغم هذه الغارات الهمجية والوحشية، وعلى الرغم من كل الضغوطات التي مورست ضده.

وفي ذلك الوقت وفي تلك الظروف الصعبة - وأتذكر تلك الأيام جيداً قد خلت مدينة قم المقدسة من أهلها وصارت مدينة أشباح - كان الإمام الراحل (رحمه الله) مصراً على البقاء فيها، ولكن بعد هذه الغارة صار لازماً عليه - ووفق المستجدات الجديدة - وربما شعر بالتكليف الشرعي أن يخرج منها لحفظ النفس من الخطر، ومن الضرر، فخرج مضطراً.

نعم، كان ذلك الرجل - الخبير - يقول: لا- تتعجب لماذا لم تصل إليه المرجعية العظمى، على الرغم من أنه ولمدة خمس وأربعين سنة كان متصدياً للمرجعية وله مقلدون كثيرون في شتى بلاد الإسلام، وكانت أسرته ولأكثر من مائة وخمسين سنة تتولى مهام المرجعية، وتكاد تكون الأسرة الوحيدة التي تتصدى للمرجعية هذه المدة الطويلة، وهذه نقطة مهمة وأساسية، كما أن ثلاثة أو أربعة من كبار مراجع هذه الأسرة واجهوا الاستعمار البريطاني، وأفتوا بفتاوى - كانت مؤثرة إلى حد كبير - ضده.

فطبيعي والحال هذا أن يكون الإمام الراحل (رحمه الله) مستهدفاً من قبل أولئك الأعداء بمختلف الوسائل والآليات و منها تسقيط شخصيته، فالعجب كيف بقي حياً يواصل نشاطه الديني و يزاوُل مهام المرجعية، وهو إلى الآن مطروح كمرجعية كبرى، وفي العالم الإسلامي كمفكر وعالم دين مسلم كبير، وأنصاره

فئة ليست بالقليلة، فلها من الأنصار والمفكرين والتلامذة والروّاد، والمؤسسات ما يُبهر العقول.

أهم عوامل النجاح في شخصية الإمام الراحل (رحمه الله)

الأول: الإخلاص

إن عوامل النجاح في شخصية الإمام الراحل (رحمه الله) كثيرة ومتعددة، وأتصور أن واحدة منها ولعله أهمها هو: الإخلاص في العمل، وقد لاحظت ذلك كثيراً في شخصيته، فمثلاً ما كان يحب أن تتسمى الأشياء أو تنتهي باسمه، مثل الحسينيات أو المساجد أو المؤسسات فكل عمل كان يعمل به يريد به وجه الله، ويدعو إلى أن يسمى هذا العمل أو هذه المؤسسة بأسماء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، فالإمام الراحل (رحمه الله)، يكاد يكون المرجع الأكثر إيماناً - بحسب ما لاحظناه - بالعمل المؤسسي ضمن إطار العمل المرجعي على مختلف جوانبه.

ولا نبالغ إذا قلنا أسس مئات المؤسسات خلال تصديه للمرجعية، على الرغم من كونه في ضائقة مالية شديدة، لم يكن يجمع الأموال التي تصل عنده، ولم يملك شبراً من الأرض مع وصول مبالغ طائلة بيده و اتساع مرجعيته، ولكن مع ذلك توفاه الله وعليه ديون كثيرة، حيث كان ينفق تلك الأموال في بناء المؤسسات في جميع أنحاء العالم، وأنت قلماً تجد أرضاً أو منطقة في العالم سواء في العالم الإسلامي أو العالم الأوروبي، التي يمكن أن تقام فيها مؤسسة إلا وكان للإمام الشيرازي (رحمه الله) فيها واحدة أو أكثر، ولكن لم نجد ولا حتى مؤسسة واحدة أو حتى مدرسة واحدة باسمه، بل كلها بأسماء الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أو بأسماء ذريتهم أو أسماء العلماء الماضين.

ص: 42

حتى إن بعض الأخوة حينما أسسوا مؤسسة، احتاروا في تسميتها بأي اسم من أسماء المعصومين (عليهم السلام)، فكل الأسماء قد اختيرت للمؤسسات، فقاموا يبحثون عن أسماء أبناء الأئمة (عليهم السلام)، وأصحابهم (رضوان الله عليهم)، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يعلل هذا الموضوع - وكنت أسمع منه ذلك - فيقول: يلزم أن نسمي كل مؤسساتنا وأعمالنا باسم أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم الباقون، ونحن زائلون، وكان (رحمه الله) يقول: تسجيل المؤسسة بأسمائهم المباركة هو الذي يبقى وأما نحن فنذهب وننقضي، نحن عندنا دور نؤديه ونذهب وينتهي هذا الدور، وهم الذين يبقون.

وهذا الشعور والمنهج وتلك الطريقة قلما تجده عند أهل الشأن، وليس من القبيح أو المستهجن تسمية المؤسسة باسم الفرد، فقد يكون ضمن السياق الطبيعي والعقلاني، ولكن إذا لاحظنا قمة الإخلاص - إخلاص العمل وصفاء النية - نرى عمل السيد الراحل (رحمه الله) في كمال التفاني والإخلاص، بأن لا يحب الإنسان أن يكون شيء باسمه.

والأعجب أنني رأيت أن بعض الأعلام جمعوا بعض محاضرات الإمام الراحل (رحمه الله) أو بعض آرائه وكتبوها في كتبهم من دون ذكر اسمه، وفي بعض الموارد رأيت بعض الأشخاص يأتي إليه ويطلب منه أن يكون كتاب ألفه الإمام الراحل (رحمه الله) باسمه، فيقول له: لا مانع عندي اجعله باسمك، وهذا في الحقيقة قمة الإخلاص، و من شأن العمل الناشئ من الإخلاص أن يدوم ويستمر، فهذا العامل الأول.

الثاني: المثابرة في العمل

أما العامل الثاني فهو: المثابرة والجهد والاجتهاد الكبير في العمل. فالإمام

الراحل إلى آخر عمره - كما هو عهدي به -، لم يكن عنده نظام متعارف عليه للنوم، وإنما كان الأصل عنده اليقظة والعمل، والنوم عند شدة التعب من العمل فقط، أي إذا لم يطاوعه جسمه للعمل كان يخلد إلى النوم، وقد كان في مدة مديدة من عمره - والذي أعرفه وعاشته فيه - لا ينام في اليوم أكثر من أربع ساعات، مع أن الساعات الأربع - خصوصاً بالنسبة لرجل في مثل عمره الشريف وحركته الدؤوبة وما لاقاه في هذا العمر وبالنسبة إلى مجهوده الكبير الذي يبذله، وإلى تعب - قليل جداً.

فالعمل نقطة أساسية في التطور، وطالما كان يدعو إلى هذه القاعدة، وفي كتبه كثيراً ما تلاحظ استخدام هذه المفردة: (كثرة العمل) و(كثرة الجهد)، وكان يوصينا ويوصي كل الأصدقاء والتلاميذ الذين كانوا مرتبطين به بالمشاورة في العمل حيث كان يقول: اقتدوا بأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم كانوا يعملون كثيراً، وأنتم أيضاً اعملوا كثيراً، وإذا سأله شخص عن النوم؟ يقول: وراءك نوم طويل، ويكرر قوله وراءك نوم طويل، أخر نومك إلى القبر. هذه المشاورة أيضاً نقطة أساسية وركيزة مهمة من ركائز وعوامل نجاح الإمام الراحل (رحمه الله).

الثالث: منهجية الإمام الراحل (رحمه الله) بالعمل

وهي نقطة مهمة جداً في تصوري، كانت تعتمد منهجيته في العمل على الجذب لا على الدَّفْع، وهذه نقطة تحتاج إلى شرح مطول، ولكن كفكرة نحن نطرحها بشكل مختصر.

كان يرى الإمام الراحل (رحمه الله) أن الكل أصدقاء، لذلك كان مبناه التَحَمُّل والمداراة لمختلف شرائح الناس، مع أن شخصاً في موقعه كمرجع تقليد ومصدر

للقرار وإدارة شؤون المجتمع المسلم، عادة ما يتلى بأناس حُصماء ألداء، وما أظن أن أحداً من المعاصرين كالإمام الراحل (رحمه الله) ابتلي بالخصومات وبالمخاصمات بهذا القدر، حتى إن بعض الناس لم يكونوا خصوماً له فقط، بل كانوا محاربيين له طيلة أربعين سنة من أعمارهم التي عاصروه فيها، وقد وظفوا عمرهم لمحاربته، وتحضرني الآن أسماء وعنوانين الكثير من الشخصيات الذين تقننوا في الأساليب لمحاربته ولعل بعضهم ما حارب صداماً، ولا حارب نظاماً ظالماً بقدر ما حارب الإمام الشيرازي (رحمه الله)، ابتداءً من التّهم والتلفيق إلى قطع أي وسيلة ارتباط أو وسيلة اتصال، وكانوا يتعمدون إذا رأوا شخصاً له شأن واعتبار وعنده ارتباط به أن يصرفوا عليه الكثير من الوقت والجهد والمال لأجل قطع علاقته بالإمام الراحل (رحمه الله).

هناك الكثير من الأمثلة والشواهد، وفي الحقيقة لست الآن في وارد استعراض هذه المسألة بالتفصيل، ولكن مع ذلك لم أسمع منه كلمة واحدة ضد أحد من خصومه، وكثيراً ما كانوا يأتون ويسألون سماحته عن فلان وعن فلان وينقلون له أخباراً سيئة، وهو يذكرهم دائماً بالخير.

هذه السياسة لا تجدها إلا عند أناس اقتدوا بالأنبياء (عليهم السلام)؛ لأن الأنبياء هم الذين عرفوا الحق وعرفوا الحقيقة ورأوا نور الله، توفر الإمام الراحل (رحمه الله) على هذه الطاقة من التحمل، وامتلك هذا القلب الواسع الكبير. أما بعض الناس المغرر بهم فقد كانوا يأتون إليه ليؤذوه ويتجاسروا عليه، حتى إن البعض وصل به عدم (الخوف من الله) إلى حد أنه اتهمه بأشياء يخجل الإنسان أن يعبر عنها، ونسبوا إليه أشياء لا تقال حتى لإنسان عادي، ولكنهم نسبوها إليه ظلماً وعدواناً.

أذكر مرة أن جماعة جاءت إليه وكانوا يحرضون عليه، وقيل لهم: احذروا من أن تتأثروا به لأن أخلاقه عالية جداً فلا يخدعكم ولا يغركم بأخلاقه، فجاؤوا ودخلوا عليه حتى يروه عن قرب، لأنهم سمعوا عنه كثيراً، والإمام الراحل (رحمه الله) كان من دأبه أنه إذا أتى إليه زائر يحترمه كثيراً بغض النظر عن مكانته، فيستقبله بكل رحابة صدر وبشاشة وترحيب ويقدم له هدية، وكان من ضمن الأشياء التي كان يهديها عادة الكتب، وفي إحدى المرات دخل عنده جماعة من الشباب - من المغرر بهم - وجلسوا عنده، فسألهم عن أحوالهم وأخبارهم، إذ كان من دأبه أن يسأل عن اسم الشخص وعنوانه، ومن أي بلد هو؟ وهل هو متزوج أو أعزب؟ وماذا يعمل؟ وما أشبه من هذه التفاصيل لأجل أن يتعرف عليه أولاً ثم يوجهه ويرشده ثانياً.

ومن العجائب أنه لم يكن ينسى التفاصيل، فلو جاءه هذا الشخص الذي يسأله الآن بعد سنتين أو ثلاث سنوات، ربما كان يتذكر كل التفاصيل التي سمعها منه في الجلسة الأولى، فيكاد أن يكون ذهنه حاسوبياً - إن صح التعبير - في هذه المسألة.

وكعادته احترم هؤلاء الشباب وقدم لهم الشاي، ومن ثم أوصى الموظف الذي يقوم بشؤونه أن يأتي لهم بمجموعة من الكتب قدّمها لهم، ولكن واحداً منهم كان صلفاً فأخذ الكتب ورماها في وجه الإمام الراحل (رحمه الله) وقال له: أنت تريد خداعنا بهذه الكتب! فما قابله بشيء ولم يرد عليه سوى بابتسامة ارتسمت على وجهه المبارك، وكان لسان حاله يقول كما قال الله العظيم في كتابه الكريم:

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)(1)، أو كما كان يقول جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»(2).

وكان هنالك شخص من كبار المحاربين للإمام الراحل (رحمه الله) - وهذه الواقعة أنقلها بواسطة شخص محل ثقة كبيرة عندي - كان هذا الرجل يتبع أخبار الإمام الراحل (رحمه الله) وأعماله ومشاريعه، وأينما يجد ما يرتبط به من قريب أو بعيد إلا ويقوم بقطعه، ولم يتردد من جر المسألة إلى أي سلطة ظالمة لأجل إيدائه أو تلامذته فيرمونهم السجن، هذا الرجل لم يكن عنده أي ورع أو مانع عن الاستعانة بكل وسيلة ظالمة أو سبيل باطل.

وكان هناك شخص من أصدقاء الإمام الراحل (رحمه الله) ، وهو في نفس الوقت صديق لذاك الرجل أيضاً، وكان من الناس المنصفين، وعنده شأن ووجاهة واحترام، فنقل قائلاً: كنت جالساً عنده - الشخص المناوئ للإمام الراحل (رحمه الله) - وجاء اسم السيد، فبدأ حملته بمهاجمته. فقلت له: أنا أعرفك منذ سنوات طوال وأنت تحاربه، فهل رأيته عن قرب أو جالسته أو حدثته؟

قال: لا!! فقلت: لماذا تحاربه إذاً؟!

قال: يكفيني أن أدري حقيقته!!

فقلت له: ما هو رأيك أن ارتب لك لقاء معه، حيث نذهب أنا وإياك إليه وندخل عليه، ونجلس عنده، وأنت بعد اللقاء اعمل برأيك، وافعل ما تريد أن تفعل. أنت حاربت وتحارب السيد الشيرازي (رحمه الله) كل هذه السنوات الطوال فاحتمل احتمالاً أنك تعصي الله وتغتاب وتتهم وتبهت، فبالنتيجة السيد

ص: 47

1- سورة الفرقان: 7.

2- بحار الأنوار: ج 20 ص 117.

ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن عائلة محترمة، لا يخفى تاريخها عن أنظار الناس، فليس شخصية أتت من المجهول، بل هو معروف وأنت تحاربه. ضع هذا الاحتمال في بالك فاجلس معه، ومن ثم قرر قرارك.

يقول: قال لي: لا لست مستعداً أن أفعل هذا الشيء. فقلت له: لماذا؟! قال: أنا أخاف أن أدخل على السيد ويسحرنى بأخلاقه..!!

هذا اللون من الإصرار على الحرب والمعاداة والمناكدة في الحقيقة عجيب جداً، ومع ذلك أنا شخصياً لم أسمع كلاماً من الإمام الراحل (رحمه الله) ضد هذا الرجل، والإمام الراحل (رحمه الله) كان يعلم بما يعمل، ويعرف كثيراً عنه.

ولقد كانوا يضغظون على بعض مقلدي الإمام الراحل (رحمه الله) ويحاولون التأثير فيهم حتى يعدلوا عن تقليده.

على منابر الجمعة

وهناك مثال آخر، ذات مرة كنت جالساً في غرفة الإمام الراحل (رحمه الله) في الأيام التي كنا معه في مدينة مشهد المقدسة، بعد خروجه من مدينة قم أثناء الحرب العراقية الإيرانية واستهدافه أكثر من مرة، وكنا قد وصلنا إلى مشهد المقدسة قبله بيومين أو ثلاثة أيام.

وهذه واحدة من مناقبه الكثيرة حيث إنه سكن في مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) مع الطلبة، ولم يرتض السكنى مع عائلته في بيت أو فندق، فأسرته كانوا في مكان وهو في مكان، وهذا فيه كلام كثير من المناقب والفضائل. وكما قلت - سابقاً - إن الإنسان يحدار بماذا يتكلم؟ ومن أي نقطة يبدأ كلامه في موضع الحديث عن تلك الأخلاق الرفيعة التي كان يحملها الإمام الراحل (رحمه الله).

ولقد ألقى شخص من أئمة الجمعة المعينين من قبل السلطة الإيرانية في مدينة مشهد المقدسة خطبته المعروفة ضده، وفي الوقت الذي كان الكثير من علماء وشخصيات قم المقدسة وطهران هاجروا إلى مدينة مشهد المقدسة، وكان لهم موقعهم الكبير في إيران، والإمام الراحل (رحمه الله) مهما كان فهو رجل ضيف، ومستهدف من قبل طائرات النظام البعثي، وكان هناك من له شأن ومكانة في المجتمع الإيراني أكثر منه ومعروف وغير مستهدف، لكنهم تركوا الحديث عن هؤلاء جميعاً، وتولوا الحديث عن الإمام الراحل (رحمه الله) يتعرضون إليه وينددون به، والحديث معروف والخطبة موجودة موثقة، أيضاً مذكورة في محلها.

نعم، على منبر صلاة الجماعة تهجموا عليه، واتهموه بتهم وأهانوه إهانات وقالوا ما قالوا وبس ما قالوا.

كنت جالساً عند الإمام الراحل (رحمه الله) في الغرفة التي في وسط المدرسة ولم يكن يدري بالخبر بعد، وكان بعد الظهر من يوم الجمعة، فدخل أحد الإيرانيين من أهالي مشهد المقدسة ونقل له الخبر، وقال له: فلان كان على منبر الجمعة وتحدث عنك بكذا وكذا، ونقل كلام الرجل للإمام الراحل (رحمه الله)، ولكنه (أعلى الله مقامه) ظل يستمع ولم يرد بكلمة واحدة، لقد تبسم فقط!!

وكذلك كان هناك بعض الأعلام ممن كانوا يتكلمون عنه بصورة سيئة، وكتبوا عنه أشياء أسوأ، وكانوا لا يجيزون الرجوع إليه بالتقليد، ولا يجيزون إعطاء الحقوق له وما أشبهه، وكان يأتي عند سماحته (رحمه الله) شباب وشيوخ يسألونه عن تقليد هؤلاء وعن دفع الخمس إليهم، فكان يجيب: نعم جاز.

حتى أن بعض مقلديه كانوا يعطون خمسهم أحياناً إلى غيره فكان يجيزهم، رغم أنه بحاجة إليها لأنها كانت تسد النقص، حيث كان يقترض كثيراً

وما رأيت حتى لمرة واحدة يذكر واحداً من هؤلاء الذين كتبوا أو تحدثوا ضده بسوء، فلم ينتقص منهم، بل على العكس نجده كان الوحيد الذي يدافع عنهم، حفاظاً على حيثية وسمعة المرجعية ودورها في العالم الشيعي، فكان الإمام الراحل (رحمه الله) على استعداد أن يبذل ماء وجهه لمصلحة الدين والمذهب، وكم واجه من الضغوطات حتى يحمي أناساً؟ أويحمي سمعة الدين وسمعة المرجعية وسمعة شخصيات ذات ثقل ووزن في العالم الإسلامي؟

جمع الكل تحت الراية

هذه واحدة من نقاط قوته، لو تقرأون كتب الإمام الراحل (رحمه الله) وأفكاره، تجدون إن واحداً من أهم محاور فكره هي جمع الكل، هذه الكلمة التي تكاد تكون نادرة في أذهان الكثيرين من القادة والزعماء والسياسيين والشخصيات.

الناس غالباً ليسوا مستعدين لتحمل الخصومة، ولا مستعدين لتحمل من يخالفهم في الرأي، ولكنه كان يعطي الراتب حتى لمخالفيه، ولمن يسبّه ويشتمه، وكان عندما يأتي إليه يستقبله ويقدم له النصيحة، وهو يعلم أنه يأخذ منه النفع ويوصل إليه المصلحة، حتى إن واحداً من الأعلام كان يقول: أنا أتعجب أن يد السيد ليس فيها ملح (1) بالنسبة إلى الكثيرين..؟! لأن الكثير من الواجهات والرموز يصلهم خير السيد (رحمه الله) ولكنهم يضمرون الشر له.

وبتصوري إن هذا نوع من الابتلاء الإلهي ونوع من الامتحان، وفي سيرة

ص: 50

1- ما غرّر فيه الخبز والملح، قول شعبي عراقي مأثور يرد للدلالة على نكران الجميل من الآخرين الذين مهما فعلت لأجلهم فانهم يتنكرون له ولا يعترفون

الأئمة الأطهار (عليهم السلام) شواهد كثيرة على هذا الموضوع ولعل الله (عز وجل) اصطفى الإمام الراحل (رحمه الله) ليكون أمثولةً وحجةً ونموذجاً للعالم الصابر، المجاهد المضحي.

وهناك نقطة أساسية في كل فكر متقدم وفي كل قائد حكيم؛ إنه يجمع المختلف، وطالما كان يستشهد في كتبه ومحاضراته بذلك.

وإذا اختلف اثنان من أصحابه كان يوصيهما بتحمل الآخر، والافتداء بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع حوله أناساً وكان يعلم بعلم النبوة أنهم بعد وفاته يرتدون عنه، وكان يعلم أنهم يضربون ابنته ويقتلون، وكان يعلم أنهم يؤسسون إلى خذلان أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعلم كل ذلك.

إدارة المؤسسات بالمعنويات

ومع كل ذلك كان الإمام الراحل (رحمه الله) يجمع هؤلاء حوله ويستشهد بهذه السيرة النبوية وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذه نقطة أساسية من عوامل النجاح في فكره وفي طريقته بالتعامل مع الآخرين.

ربما يمكننا أن نعتبر أن منهجيته في العمل منهجية جاذبة، لأنها تعتمد على المناقبيات في الإدارة، فإن إدارة الأمور تعتمد على الكثير من القواعد، ولها عدة مناهج وعدة منهجيات، منها منهجية السلطات التي تعتمد على القرار والمناصب، ومن خلال المناصب والوظائف الحكومية تدير أمورها، ومنهج آخر للإدارة هي الإدارة بالأموال، ومنهج ثالث للإدارة هي المصالح، سواء أكان المال أم غير المال، وهناك منهج رابع وهو منهج الأنبياء (عليهم السلام)، وقد شرح بعض

تفاصيله في كتاب (فقه الإدارة)، وهذا المنهج هو الإدارة بالقيم الإنسانية العليا، الإدارة عبر الأخلاق، والإدارة عبر المعنويات. وقد كان يؤمن بهذا الأسلوب في الإدارة، ويعمل به.

كان الذي يسير في ركاب السيد الراحل (رحمه الله) محارب من قبل السلطات، وربما يتعرض إلى السجن والتشريد، وربما أكثر أصحابه تعرضوا إلى هذا الشيء.

وأما من حيث المال فقد كانوا في ضائقة مالية عموماً، لأن السيد الراحل (رحمه الله) لم يكن يصدق عليهم بالأموال الكثيرة، بل كان يعطي أقل القوت وكان يدعوهم إلى تأسيس المؤسسات، وعندما يأتي بعض مقلديه ويقولون: سيدنا نريد تأسيس مؤسسة، كان يعطيه عشرة آلاف تومان فقط! رغم أنها تكلف عشرة ملايين تومان مثلاً، ثم يقول: أنا أعطيتكم هذا المال للبركة، وعليكم تحصيل الباقي.

لم يعرف عنه أنه كان يدير أموره عبر الأموال أو عبر المصالح الضيقة، فالذي يريد مصلحة شخصية لا يأتي في ركابه، فليس معه إلا مواجهة الطغاة والتشريد والسجن والفقر المدقع والزهد الدائم.

وعند النظر إلى بيته وأسرته وأصحابه والمعتقدين بسيرته لا تجدوهم أغنياء، ومع ذلك كله كان يدير الأمور وله تأثير على القلوب، وعلى الأرواح بشكل كبير، حتى إن إحدى الشخصيات الكبيرة في إحدى الحكومات التي تصدت لمحاربتة ومواجهته، حينما سئل: لماذا أنت بهذا القدر من النشاط والجهد - المادي والمعنوي - لتشن الحرب على السيد الشيرازي (رحمه الله)، فليس عنده ما يستدعي الحرب عليه بهذه الشراسة والقسوة؛ هل لأنه يبني مستشفيات ومدارس ومؤسسات خيرية إنسانية، ويكتب كتباً، وتلاميذه يكتبون كتباً، وليس

عنده الشيء الذي يشكل خطورة عليكم، فلماذا تحاربوه بكل هذه القوة والقسوة؟!

قال: أنت بحسب الظاهر ترى أن هذا النشاط عادي وبمنتهى البساطة، ولكن المشكلة أن السيد الشيرازي مفكر، وفكره يغزو الآخرين.

ثم قال: لو نترك السيد الشيرازي يعمل بحريته فلا يبقى لنا شبر نتواجد فيه، وهذا الكلام من شخص يعتبر من أهل الفكر - وللأسف - وله مكانة كبيرة في إحدى الدول، فالسيد الشيرازي يغزوه في أفكاره!!

وهذه حقيقة فلو اطلعت على بعض حواراته مع بعض السياسيين أو المفكرين، لرأيتم كيف يقنع الطرف المقابل بكل سهولة؛ لأن حجته دامغة.

مع وفد الأمم المتحدة

بعد دخول صدام إلى الكويت(1) كانت الدول تتهياً وتستعد لإخراج صدام

ص: 53

1- في 2 أغسطس من عام 1990 تقدمت فرق الحرس الجمهوري مختربة الحدود الدولية باتجاه مدينة الكويت، وتوغلت المدرعات والدبابات العراقية في العمق الكويتي وقامت بالسيطرة على المراكز الرئيسية في شتى أنحاء البلاد ومن ضمنها العاصمة. قامت السلطات العراقية ولأغراض دعائية بنصب حكومة صورية تحت مسمى جمهورية الكويت برئاسة علاء حسين من 4 أغسطس سنة 1990 إلى 8 أغسطس من نفس العام أي لمدة أربعة أيام. اعتبرت الكويت المحافظة التاسعة عشر للعراق وتم تعيين عزيز صالح النومان، وهو قائد الجيش الشعبي في الكويت، بمنصب المحافظ لها. وكانت النسخة العراقية من الأحداث والتي نشرته قنوات الإعلام العراقي هو أن انقلاباً عسكرياً حصل في الكويت بقيادة الضابط الكويتي علاء حسين الذي طلب الدعم من العراق للإطاحة بأمير الكويت ولكن هذا التحليل لم يلاق قبولاً من الراي العام العالمي.

من الكويت، وفعلاً أخرجوه منها(1)

وفي هذه القضية أحاديث ومناقشات كثيرة للإمام الراحل (رحمه الله) .

في ذلك الوقت جاء وفد من إحدى المنظمات العالمية - وأعتقد إنه وفد من الأمم المتحدة - وكان الوفد خماسياً أو سداسياً، وبعضهم يتكلم اللغة العربية، وطلبوا اللقاء معه في المكان الذي كان يستقر فيه، ولم تكن هناك رغبة من قبل السلطات الإيرانية المحلية، أن يأتي طرف عالمي، وبلتقي به، لأنهم كانوا يريدون التعمية والتعقيم عليه، ولكنهم جاؤوا والتقوا به خفية.

وعندما جلسوا عنده لم يكن الإمام الراحل (رحمه الله) يدع مثل هذه الفرصة تمر من دون أن يقدم لهم فكرة ورؤية حضارية.

قال: أنا عندي ملاحظة على القوانين العالمية في الأمم المتحدة، ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار.

قالوا باستغراب: ما هي؟ حيث لم يكونوا يتوقعون من عالم أو مرجع - جالس في زاوية من زوايا بيته المتواضع لم يجتاز عتبة داره إلى الشارع في مدينة قم لسنوات عديدة - أن تكون عنده أفكار تطويرية للأمم المتحدة، ولقوانينها العالمية!!

قال لهم: نحن نلاحظ أن القوانين في الأمم المتحدة أو السياسة المتبعة في الأمم المتحدة سياسة مبنية على التناقضات وليس على الحقيقة.

ص: 54

1- حرب الخليج الثانية، تسمى كذلك عملية عاصفة الصحراء أو حرب تحرير الكويت (17 يناير إلى 28 فبراير 1991)، هي حرب شنتها قوات التحالف المكونة من 34 دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق بعد أخذ الإذن من الأمم المتحدة لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي.

ومثل هذا الكلام بالنسبة لهذا الوفد كبير جداً لأنه يهدد كل المؤسسة بالخطر ويجعلها تحت السؤال.

قالوا: لماذا؟!؟

قال: صدام حاكم ظالم، وعنده جيش قوي، والكويت بلد صغير طمع صدام فيه ودخله وظلمه وهجر أهله، وقتل الناس الأبرياء، ثم ثلاثون دولة أو أكثر اجتمعت لأجل إخراج صدام من الكويت بصلاحيات وبقوانين ومقررات من الأمم المتحدة، باعتبار أن صدام ظالم ومعتد، والظالم والمعتدي ينبغي أن يُطرد، وهذا لا بأس به، ثم أخذ الإمام الراحل (رحمه الله) يتحدث عن حزب البعث ويقول لهم: إن حزب البعث يشن حرباً شعواء على الشعب العراقي مدة مديدة، ولم ينج منه لا امرأة ولا طفل ولا كبير ولا صغير، وعنده مقابر جماعية يومية، ويشن حرباً طاحنة على الشعب الأعزل، لكن الأمم المتحدة، وهذه الدول الثلاثون وغيرها يتفرجون ويسكتون، بل ويبررون ويقولون: إن إنقاذ هذا الشعب المظلوم من يد هذا الحاكم الظالم هو تدخل في الشؤون الداخلية.

ثم قال: وهذا تناقض واضح وبيّن؛ لأنه إذا كان المعيار لإخراج صدام من الكويت أنه ظالم فهو في بلده أيضاً ظالم، بل الظلم في هذه الحالة أشد وأقسى؛ لأن الكويت بالقياس إلى كل العراق تضاهي محافظة من محافظات، في حين أن كل العراق من أقصاه إلى أقصاه مظلوم!! وإذا كان المعيار العدوان، فكلاهما عدوان، حيث يقوم بعدوان متكرر ويومي على شعبه، فلماذا في حالة تتكلمون، وفي حالة تسكتون؟!؟

وقام الوفد بتسجيل كلامه وقالوا سننقله إلى المسؤولين في المنظمة.

نلاحظ من هذا اللقاء الذي جرى على غفلة من أنظار الحاكم الموقع الذي

ص: 55

يتبوأه الإمام الشيرازي (رحمه الله) عالمياً، وهذا دليل على أن العالم وأصحاب الشأن كانوا يعرفون قوته الفكرية والمعنوية، وإلا فلماذا جاؤوه إليه ولم يذهبوا إلى غيره وفيهم من هو أكثر شهرة، وفيهم من هو أكثر سلطة، وفيهم من هو أكثر مالاً منه؟

والشيء الثاني: مستوى الهدفية عند الإمام الراحل (رحمه الله)، ومستوى حربه على الظلم، و نكران الذات الذي يجسده، فحينما يأتي إليه أمثال هذا الوفد لا يطالبهم بأشياء شخصية تتعلق به وبوضعه، بما أنه كان في ذلك الوقت كالسجين في داره، بل تحدث عن شأن شعب مظلوم، أراد إنقاذه من الظلم.

مغزى ما أريد قوله، إن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يدير الأمور بالأخلاق، وهذا أيضاً يفتح باباً واسعاً للحديث عن هذه القضية، وهذه واحدة من نقاط قوته ونجاحه، حيث إنه كان يتعامل بالمعنويات، ويتعامل بالقيم النبيلة، ولا يتعامل بالمناصب ولا بالأموال ولا بالمصالح الشخصية، فهذه كلها زائلة، ولكن القيم والمبادئ لها ثبات في حياة المجتمعات الإنسانية.

منابع عبقرية الإمام الشيرازي (رحمه الله)

* على ضوء ما ذكرتموه من أخلاقيات ومناقب ومواقف للإمام الراحل (رحمه الله)، يتبادر إلى أذهاننا سؤال حول منابع عبقريته وسرها، رغم ولادته في بيئة يمكن أن يقال عنها إنها بيئة كابثة ومكبوتة، بما أنها بيئة منغلقة محدودة، وتعاني من استبداد سياسي مزمن، ولم يكن لأقرانه مثل تطلعاته ولم يمتلكوا مثل أفكاره، حتى إنه يقال - وقد سمعت من أحد المقربين -: إن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يفكر في توحيد البلاد الإسلامية، عن عمر لا يتجاوز بضع سنوات، فما هي برأيكم منابع عبقريته؟

- يمكن الجواب عن هذا السؤال من زوايا عديدة، ولكن نكتفي ببعض الإشارات إلى المراد:

أتذكر - وهذه القصة تعود إلى 18 سنة تقريباً - أنني كنت جالساً عند واحد من كبار الأساتذة فجرى الحديث عن الإمام الشيرازي (رحمه الله) فوصفه - في مقام المقارنة بين كفاءات ومظاهر القوة في شخصيته، ونقاط القوة في غيره من رجالات الأمة - بكلمة موجزة جداً لكنها دالة على منابع نبوغه وقوة فكره، لا سيما أنها صادرة عن شخص أقل ما يقال فيه أنه من أهل الخبرة، ولم يكن إنساناً عادياً لأنه إلتقى بالكثير من المراجع الكبار من العلماء في العراق وإيران ولبنان وفي أماكن أخرى كالخليج.

قال: لقد عايشت وعاصرت كثيراً من العلماء، فوجدت أن لكل عالم منهم بعض ملامح النبوغ ولكن وجدت السيد الشيرازي (رحمه الله) ممتلئاً في الإيجابيات، وهذا نص عبارته: ما تفرق في العلماء الآخرين من الإيجابيات، اجتمعت في السيد الشيرازي (رحمه الله).

وهذه العبارة وإن كانت جداً موجزة، إلا أنها دالة في الحقيقة على أن لكل شخصية من الشخصيات نقاط للعظمة، فالشخصية المميزة لا تكون كذلك بلا سبب، وإنما هناك نقاط بارزة في حياته، وكل النقاط البارزة التي تفرقت في الآخرين لتضفي عليهم العظمة اجتمعت في شخصية السيد الشيرازي (رحمه الله).

و أما السؤال الذي طرح، فهناك عوامل و مسائل متعددة.

الإمداد الغيبي

المسألة الأولى: اعتقد - وبما لمست من سيرته - إن الإمام الراحل (رحمه الله) كان لديه تسديد معنوي، وتأيد وإسناد غيبي، لأن طاقته سواء في الفكر أم العمل، أم الصبر، أم الإرادة، أم التفاؤل كانت كبيرة. حيث كان شخصية لا تعرف الشاؤم والملل، واليأس وغيرها من الصفات السلبية، فكنت تجده في أسوأ الظروف وحالات الهزائم متفائلاً، حتى إنه في كثير من الأحيان حيث كانت تصيبه أو أصحابه أو العالم الإسلامي هزأت عنيفة يأتي لك بشعاع من النور من قلب الهزيمة ليفتح أمامك باب الأمل.

ولا يعقل أن يأتي هذا النحو من المعنوية العالية من قبل شخص بطاقاته الإنسانية العادية، فلا بُدَّ من أن يكون هناك دعم وتأيد غيبي.

هناك سببان ربما جعلوا السيد الشيرازي (رحمه الله) في أن تكون له خطوة من

1- السيد مهدي بن حبيب الله الحسيني الشيرازي، مرجع شيعي في القرن 13 الهجري. ولد سنة 1304 هـ- في مدينة كربلاء المقدسة في العراق، وبدأ تعلمه فيها حيث تعلم فيها قراءة القرآن الكريم. ثم سافر مع والده إلى مدينة سامراء المقدسة وأخذ فيها دروسه في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والحساب والهندسة، وحفظ القرآن الكريم ومقامات الحريري وألفية ابن مالك والتهذيب في المنطق والجزري في التجويد و متن الشاطبي وشطراً من متن المطول، وقد تتلمذ في فن التجويد على المقرئ حسين الهندي. كما درس أيضاً في سامراء المقدسة التفسير والأخلاق والتجويد والجفر والطلسمات والدراية والحديث والرجال والهيئة. درس الفقه والأصول على يد كبار الفقهاء والأصوليين. * عائلته وأبناؤه ينتمي إلى عائلة الشيرازي وهي عائلة شيعية دينية مشهورة، ومن رجال هذه العائلة السيد محمد حسن الشيرازي مؤسس نهضة التنبك في إيران، والشيخ محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين في العراق. وقد أنجب السيد الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) من الأبناء: السيد محمد: أكبر أبنائه، وهو مرجع ديني سابق، عاش في كربلاء المقدسة والكويت وقم المقدسة، حيث توفي فيها سنة 2001. وخلف السادة: (محمد رضا - مرتضى - جعفر - مهدي - محمد علي - محمد حسين). السيد حسن: عالم من علماء الشيعة، ومؤسس الحوزة العلمية الزينية في دمشق، اغتيل سنة 1400 هـ- في بيروت في لبنان. السيد صادق: مرجع حالي من مراجع الشيعة في مدينة قم المقدسة. وابناؤه هم السادة: (علي - حسين - أحمد - جعفر). السيد مجتبي: عالم من علماء الشيعة، عاش في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف وقم المقدسة ومشهد المقدسة، انتقل بعد الثورة الإيرانية للعيش في المملكة المتحدة. له ابن اسمه (مصطفى). * مؤلفاته - شرح العروة الوثقى / شرح على كتاب العروة الوثقى. - رسائل في مباحث أصولية. - رسالة في التجويد. - رسالة حول فقه الإمام الرضا. - كشكول في مختلف العلوم. - الدعوات المجربات. - رسالة في الجفر. - هدية المستعين في أقسام الصلوات المندوبة. - أجوبة المسائل الاستدلالية. - ذخيرة العباد. - ذخيرة الصلحاء. - الوجيزة. - بداية الأحكام. - تعليقة على العروة الوثقى / ولا يزال مخطوطاً ولم يُطبع بعد. - حاشية على كتاب وسيلة النجاة، الرسالة العملية للسيد أبي الحسن الأصفهاني. * وفاته توفي في الثامن والعشرين من شهر شعبان 1380 هـ، ودُفِنَ في مقبرة (آل الشيرازي) في حرم الإمام الحسين (عليه السلام).

كان صاحب روح معنوية كبيرة ، لم ادركه ولكن التقيت بأناس كثيرين من كبار السن ممن أدركوه وشاهدوه، والكثير منهم كانوا يقولون: عند وفاته كُسفت الشمس. وهو أمر متواتر عند الناس في العراق ولا سيما في كربلاء المقدسة، وقد التقيت كثيراً من الناس الذين أكدوا ذلك وقالوا إننا لاحظنا هذا الموضوع، وتزامن كسوف الشمس مع وفاة هذا المرجع الكبير يدلُّ على عظمة فريده، وعن قوة هائلته فيه، والبعض كان يقول بحدوث آيات أخرى في وفاته.

الصورة

□

ص: 60

ومن الطبيعي أن يستجاب دعاء شخص مثل السيد الميرزا مهدي (رحمه الله) حيث كان يدعو لشأن ولده كثيراً.

السبب الثاني: ما حصله السيد الراحل (رحمه الله) من بركات المسجد السهلة (1)؛ حيث كان الناس يذهبون ليلة الأربعاء إلى المسجد السهلة ويقفون إلى الصباح يتعبدون الله تعالى، وكان السيد الراحل (رحمه الله) مواظباً على هذا البرنامج،

ص: 61

1- أحد أكبر المساجد التي شُيّدت في الكوفة خلال القرن الهجري الأوّل، وما زال أثرها وذكورها خالداً إلى الآن. ويبدو أنّ بني ظفر هم بُناة المسجد الحقيقيّون، وهؤلاء بطنّ من الأنصار نزلوا الكوفة، ولهذا عُرف المسجد أوّل الأمر بمسجد بني ظفر، ثمّ إنّ المسجد عُرف ب- (مسجد السهلة)، وهي التسمية المتداولة حالياً. * المشاهد أو المقامات التي تُزار الآن داخل المسجد هي: 1 - مقام الإمام علي زين العابدين السجّاد (عليه السلام): يقع وسط المسجد. 2 - مقام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): يقع وسط المسجد تماماً، ومحرا به مُجوّف. 3 - مقام الإمام المهديّ المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف): يقع في وسط الضلع القبلي. 4 - مقام النبي الخضر (عليه السلام): في الزاوية بين الضلعين الجنوبي والغربي. 5 - مقام النبي إدريس (عليه السلام): يُقال إنّ كان بيت إدريس، يقع في الزاوية بين الضلعين الجنوبي والشرقي. 6 - مقام الصالحين: ويُعرف بمقام الأنبياء هود وصالح (عليهما السلام)، يقع في الزاوية بين الضلعين الشمالي والشرقي. 7 - مقام النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام): يُقال إنّ كان بيت إبراهيم (عليه السلام)، يقع في الزاوية بين الضلعين الشمالي والشرقي. وقد ألحق بالمسجد قديماً صحنٌ واسع، وهو مقسّم إلى قسمين: الأوّل: الذي في الطرف الجنوبي (خان الزوّار)، وهو شبيه بالخانات الشاخصة الآن على طريق النجف الأشرف - كربلاء المقدسة القديم، ويعود تاريخه إلى حوالي 300 سنة. والثاني: يقع في الجانب الشمالي، وفيه بيوت خدم المسجد، وقد هُدّمت أوائل سنة 1979م.

فإنه وإن لم يتحدث بذلك، لكن عدّة قرائن تُبيّن أنه قد نال هناك الشيء الكثير. واعتقد أن هذا كان أحد أسباب توفيقاته.

أشرت سابقاً: ليس عجباً أن السيد الشيرازي (رحمه الله) لم يحقق الانتشار لكل ما أراه وطرحه ونادى به، ولم يتحقق له كل ما كان يريده، بل العجيب أنه كيف استطاع البقاء قوياً وصامداً، وبقي له كل هذا الحضور، على الرّغم من كل الضغوطات التي مورست عليه من الاتجاهات المختلفة، ومن الحكومات المختلفة، ومن الخصوم الكثيرين.

ولا شك في كونه من مصاف الرعيل الأول من المراجع الكبار، وأعتقد أن السبب في ذلك غيبي، وله الكثير من الشواهد.

رؤيا ذات دلالات

رأى أحد المؤمنين العراقيين حلماً بحق السيد الراحل (رحمه الله) في

ص: 62

1- إحدى مدن إيران، والحوزة العلمية فيها تعتبر واحدة من أهم المراكز العلمية الدينية للشيعة بعد النجف الأشرف. توجد بالمدينة العديد من المزارات الدينية أهمها مرقد السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم (عليه السلام). * سبب تسميتها بقم: هناك أقوال متعددة في ذلك: - منها: إنها في الأصل كانت (كوميدان) ثم خففت، فصارت (كم) ثم عربت إلى (قم). - ومنها: إنها سميت باسم حصن (كم) الذي يقع على بعد حوالي 20 كيلومتراً إلى الجنوب الغربي منها، وكان يعرف بجودة زعفرانه، والزعفران (الكمي) عرب في كتب التاريخ إلى (الزعفران القمي). - لكن ورد في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنما سمي قم لأن أهلها يجتمعون مع قائم آل محمد (عليه السلام) ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه». كما في سفينة البحار: ج 2 ص 446. * تزخرف قم المقدسة اليوم بالعديد من المؤسسات والمدارس العلمية يزيد عددها على 60 مؤسسة ومدرسة منها: - المدرسة الفيضية: تعتبر مركز إدارة الحوزة العلمية في قم يعود تأسيسها إلى العهد الصفوي. - جامعة دار الشفاء: تأسست في العهد القاجاري واتسعت لتصبح جامعة كبيرة. - المدرسة الحجتية: أسسها الفقيه الراحل السيد محمد حجت حسين على حسن الكوه كمرى التبريزي، وهي مخصصة حالياً لدارسة قسم من الطلبة غير الإيرانيين وتعتبر المركز العالمي للدراسات الإسلامية. - مدرسة آية الله الكلبايكاني: وهي من المشاريع الحديثة وتضم معهداً لعلوم القرآن. - مدرسة الرسول الأعظم: أسسها الإمام الشيرازي سنة 1406 هـ. ق وخرجت مآت من الفضلاء والمبلغين. - مدينة العلم: وهي من أضخم المشاريع العلمية السكنية في قم. - جامعة الزهراء (عليها السلام): وهي مدينة جامعية حديثة خاصة بالنساء. - جامعة الصدوق: وهي أكبر مدينة جامعية حديثة في قم تحتوي على 6 مؤسسات جامعية. - جامعة المفيد: وهي مشروع جامعي حديث وكبير أيضاً. - وهناك معاهد ومؤسسات ومنتديات ومجامع علمية أخرى تابعة للحوزة وهي متخصصة في مجالات عديدة كالتبليغ والبحث. * معالم قم المراقد والقبور: من معالم المدينة كثرة المراقد لأبناء أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأحفادهم، إذ يبلغ عدد مراقدها المشهورة نحو 16 مرقداً من أبرزها: - مرقد السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): هو من أشهر المراقد المقدسة فيها وأحد أبرز المعالم الدينية في إيران. - مرقد السيد موسى المبرقع بن الامام محمد الجواد (عليه السلام): وهو جد السادات الرضويين توفي سنة (296 هـ). - مرقد السيد حمزة بن الامام موسى الكاظم (عليه السلام). - مرقد اسماعيل بن أحمد (من أحفاد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)) - مراقد الأربعين كوكباً (جهل اختران) وهي منسوبة إلى 16 من أبناء الأئمة (عليهم السلام) وأحفادهم مع عدد من أنصارهم. - مراقد (خاكفرج) وفيها مدافن عدد من أحفاد الأئمة (عليهم السلام). - مرقد السيد ابراهيم المعروف ب- (شاه ابراهيم)، والسيد محمد من أبناء الإمام الكاظم (عليه السلام). - مرقد السيد احمد بن قاسم (من أحفاد الإمام الصادق (عليه السلام)). - مرقد علي بن جعفر (من أحفاد الإمام الصادق (عليه السلام)). - مرقد حمزة بن أحمد بن الإمام السجاد (عليه السلام). - مرقد علي بن حسين بن موسى بن بابويه والد الشيخ الصدوق (ت 329 هـ). - قبر المحدث الشريف زكريا بن آدم بن عبدالله بن سعد الأشعري القمي (ت 1013 هـ). - قبر إسحاق بن آدم بن عبدالله الأشعري القمي من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام). - إبراهيم بن محمد الأشعري من أصحاب الإمام موسى الكاظم (عليه السلام). - أحمد بن إسحاق وكيل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (ت سنة 258 هـ). - إدريس بن عيسى القمي من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام). - محمد بن جعفر صاحب كتاب كامل الزيارات، وقبره في مقبرة بابلان. - جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه القمي (سنة 369 هـ). - علي بن إبراهيم القمي صاحب التفسير (توفي في القرن الرابع الهجري). - والكثير من العلماء والفضلاء.

كَمّاً وفيراً من الناس متجمهرين في الشارع، نساءً ورجالاً بمختلف الأشكال وقالوا: سيخرج الإمام المهدي (عليه السلام) من هنا، ونحن ننتظر ظهوره، وفجأة رأينا فارساً، وعندما اقتربنا منه رأينا الفارس بهيئة السيد الشيرازي (رحمه الله) ، والناس يتمسحون ويتبركون به.

قال: عندما نقلتُ هذا الخبر إلى السيد الراحل (رحمه الله) جرت دموعه، فإن الرؤيا وإن لم تكن حجة شرعاً إلا أنها من المبشرات.

ص: 65

ولا شك أن مظاهر التأييد الإلهي ومظاهر المعنويات كثيرة في السيد الإمام الراحل (رحمه الله) ، وهذا ملاحظ وملحوظ كثيراً.

رسالة إلى السيد الشيرازي (رحمه الله)

جاء أحد الأخوة من الأصدقاء القريين يطلب اللقاء الخاص بالسيد الراحل (رحمه الله) في تلك الأيام التي مورست الضغوطات الشديدة بحقه، وكان أخوه مرتبطاً ببعض الجهات التي لها دور في تلك الضغوطات، فكان مبعوثاً من قبلهم يحمل رسالة خاصة يريد أن يطرحها عليه بانفراد، فطلبت من السيد الراحل (رحمه الله) وكان من دأبه أن لا يردّ أحداً في موعد، فصار الموعد الساعة الثامنة ليلاً، وكان الفصل شتاء، فأردت الخروج من الجلسة لأتركهما بانفراد لكن السيد الراحل (رحمه الله) أمرني بالبقاء. وكان هذا من سيرته، حيث لم يكن يجعل مثل تلك الجلسات مغلقة تماماً مع الطرف الآخر، وإنما يدعو الآخرين للحضور ليكونوا شهوداً على القضية، أو لبعض الملاحظات الأخرى - فقد لاحظت فيه الدقة الشديدة حتى في الجزئيات، وهذا يفتح باباً للحديث عنه في كثير من المسائل، حيث كان يراعي كل صغيرة وكبيرة، ولا يكون غافلاً أبداً، فلا يغفل عن الأشياء حتى عن المسائل الجزئية - على كل حال حصل اللقاء، وأتى الشخص وقال: كان للمسؤولين اجتماع خاص، وقرروا فيه أن موقفهم منك قد وصل حده وكفى مماثلة، فهم يريدون إنهاء الأمر معك، أي يريدون أن ينهوا القضية ويغلقون الباب الذي تأتيتهم منه الريح المقلقة لهم وينتهي الموضوع ويسجنوك في دارك، إلا أن تكتب ما يريدون.

وكان يعتقد أن السيد الراحل (رحمه الله) سيكتب ما يريدون من التأييد لهم

لكن أجابه السيد الراحل (رحمه الله): تكليفي أن أقول كلمة الحق ولا أؤيد ما هو غير صحيح، وأعمل بالحق، فقد قال تعالى: (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (1)، فأنا أفعل ما يملية تكليفي عليّ، وليفعلوا ما يريدون أن يفعلوا.

فقال الرجل مُحدراً: سيدنا إنهم قد قرروا وحسموا الموضوع، وليس هناك أحد يقف إلى جانبك.

فاحمرّ وجه السيد الراحل (رحمه الله)، ورفع بصره و يده اليمنى إلى السماء وقال: الله معي .. قال تلك الكلمة، وأشار تلك الإشارة، وانتهى اللقاء!

حقيقةً كان السيد الشيرازي (رحمه الله) مرتبطاً بالله بكل كيانه، حيث لم يقف أحد إلى جانبه، ولم يحصل على أي سند من الناس، فلم يعتمد على غير الله، وكان الله سبحانه وتعالى كان ناصره ومسانده ومؤيده في الكثير من جوانب حياته.

وكان في أشد الاختناقات وأقوى المضايقات وأعظم الأزمات كالطود الشامخ الذي لا ترعزه الرياح؛ كان يتعرض إلى ضغوطات كثيرة باستمرار، تكفي بعضها لأن تصدم غيره وأن تميته من هولها، ولكنه كان يخرج منها بكل جدارة بانتصار جديد، وبحيوية ونشاط، حيث كان يخطط لكل شيء، وكان من نعم الله عليه أن تتقلب القضية التي يراد بها إيذاؤه معكوسة تماماً و ما ذلك إلا لسعة قدراته في مختلف المجالات.

والنقطة الجوهرية في سيرة السيد الراحل (رحمه الله) أنه كان معنوياً مرتبطاً جداً بمصدر غيبي، والذي كان يعايشه ويغور في شخصيته يشعر بأن هناك إسناداً

وإمداداً غيبياً يحفظه ويسدده، ولعل تلك الضغوطات كانت سبباً في علو درجاته، وهذا مما لا شك فيه عندنا.

دخلت عليه ذات مرّة، فرأيتَه متضيقاً ومتأدياً جداً، وكان ذلك إثر اعتقال مجموعة من أصحابه وتلامذته، فكان يتكلم في سبب الضغوطات، فقال: إن هؤلاء يؤذون الناس بسببنا، فقرأت له آية قرآنية بصورة عفوية وتلقائية، ولم أكن أهدف إلى شيء من ورائها سوى الاستشهاد بالكتاب العزيز على ما يحدث، ولكن شعرت بأن السيد الراحل (رحمه الله) قد ارتاح عندما سمعها، وكأنه انفتح أمامه باب للأمل والنصر، قرأت له قوله تبارك وتعالى: (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (1).

نظر إليّ السيد الراحل (رحمه الله) بارتياح، وانشرحت أساريه، وكان هذه الآية الشريفة نزلت على قلبه مثل ماء بارد لأن القلوب المؤمنة تطمئن بذكر الله سبحانه، وهذا شيء لا يشعر به الإنسان عادة إلا أن يكون له ثقة بالله سبحانه وتعالى، وأن يكون مؤمناً إيماناً قوياً بأن هذه المرحلة التي يمر بها هي اختناق ابتلائي، وليست اختناقاً ناشئاً من أشياء أخرى حتى يتمرد أو ينزعج أو يتشاءم، وإنما يعتبره مرحلة الجهاد.

فلا شك أن واحداً من أهم نقاط قوة السيد الشيرازي (رحمه الله) هو الإمداد الغيبي.

الذكاء الخارق

الشيء الثاني الذي وجدته في السيد الشيرازي (رحمه الله) هو حضور الذهن والذكاء الخارق للعادة، وقد قلت لبعض الأخوة عدة مرات: إن ذهنيته تكاد

ص: 68

تكون مثل الحاسوب، فإذا أراد شخص أن يصف حضوره الذهني الدائم حتى في التفاصيل، أمكنه التمثيل بالحاسوب، حيث يحفظ كل ما تخزنه فيه.

فمثلاً: رأيت أناساً كثيرين كانوا يفارقون السيد الراحل (رحمه الله) مدة طويلة بعد لقائهم الأول معه، وبمجرد رؤيته لهم مرة ثانية يتذكروهم ويتذكر كثيراً من تفاصيل ذلك اللقاء.

وفي إحدى الأيام أتى رجل وسلّم على السيد الراحل (رحمه الله)، وكان ذلك في الكويت، وجلس عنده فترة قليلة، وبعد عشرين سنة لما دخل على السيد الراحل (رحمه الله) مرة ثانية، تذكره وعرفه وعرف اسمه وعرف أباه وعمله، وأين هو موجوداً فرحب به وتحدث معه باسمه وبتفاصيل أحواله، وكأنه قد تعرف عليه اليوم أو البارحة، وقد رأيت بعض الناس ممن أتوا بعد عشرين سنة، أو بعد خمس عشرة سنة.

في حين أن أي إنسان قد يتعرض بعد سنة أو سنتين إلى نسيان الكثير من الأحداث أو الأسماء أو الوجوه، وربما لا يتعرف على بعض أصدقائه إذا فارقهم مدة أو ربما ينسى مكان العمل السابق، أما السيد الراحل (رحمه الله) فلم يكن كذلك.

وأتذكر أن الكثير من العلماء والمراجع الكبار كنا نذهب ونزورهم وملتقي بهم في الأيام التي كانت الأوضاع في قم المقدسة بسيطة وسهلة.

كانت الحالة العلمية والطبيعية في بيوتات العلماء والمراجع الكرام سهلة جداً، فكان من السهولة على الإنسان العادي أن يدخل على المرجع، ويجلس عنده ويسلم عليه ويُقبّل يده، ويسأله مسألة شرعية أو علمية.

ولكن بعدها أصبحت المسألة صعبة وصارت هناك أجهزة إدارية ومكاتب وما أشبه، ففي تلك الأيام كنا ندخل على العديد من المراجع، لزيارتهم

بالمناسبات، ونرى أن الناس يوجهون له السؤال فيجيب، لكن أحياناً يتردد في الجواب فيراجع كتاباً يقرأه ثم يُعطي الفتوى، إلا أنني لا أتذكر حدوث مثل ذلك في السيد الشيرازي (رحمه الله)، ولذا كنا نسأله ولا نسأل غيره في المسائل الشرعية، حتى في بيته لم يكن هناك لجنة استفتاء كبيرة بل كان يجيب شخصياً عن المسائل.

نعم كان الشيخ المعيني (رحمه الله) كاتباً عنده لمدة من الزمن فكان يكتب الأجوبة، ولكن تعرض على سماحة السيد (رحمه الله) بعد الظهر وقبل جلسة السيد الراحل (رحمه الله) العامة بساعة أو أقل أو أكثر، كل الأجوبة يأتون بها إلى غرفته، فيقرونها السؤال والجواب، فيصححها أو يغير في العبارة ثم يمضي الجواب الصحيح ويمهره بالختم.

وكثيراً ما كنت أراه وأشارك في بعض الجلسات، فلم تكن هناك لجنة استفتاء بشكلها النظامي، وكانت أسئلتنا عند السيد الراحل (رحمه الله)، نحن والطلاب الذين كانوا مرتبطين بنا وغيرهم.

ولا أتذكر مرة من المرات توقف أو تردد حتى في المسائل الصعاب، أو في مسائل الفقه الدقيقة، حيث كان يجيب عن أدق الأسئلة مباشرة، ولو سألته للاستزادة عن وجه الجواب كان يذكر السبب فوراً وبلا توقف.

حافضة عجيبة للأحاديث

لا شك أن الحضور الذهني غير الطبيعي واللافت للإنتباه، من نقاط العبقرية لديه، وقد لاحظت أن بعض الذين عملوا في تهميش كتب السيد الراحل (رحمه الله) لتخريج الروايات، كانوا لا يعثرون في المصادر الروائية على بعض الروايات النادرة التي ينقلها السيد الراحل (رحمه الله)، فكانوا يسألونه عن مصدر

الرواية، حيث لم يجدونها في الكتب المعروفة حتى في موسوعة بحار الأنوار⁽¹⁾ الذي هو جامع لدرر الأخبار، وفيه نسبة عالية من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تقريباً، فكان السيد الراحل (رحمه الله) وباللحظة يقول: ارجعوا إلى الكتاب الفلاني تجدونها فيه.

مع أن الكتاب - مثلاً - موسوعة (الفقه) يمكن أن يكون السيد الراحل (رحمه الله) قد كتبه عندما كان في كربلاء المقدسة أو في الكويت، مع الفاصلة الزمنية البالغة أكثر من اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة، فيتذكر السيد الراحل (رحمه الله) مصدر الرواية فوراً، وفعلاً يرجعون إلى الكتاب فيرون الرواية موجودة فيه. هذا الحضور الذهني العجيب، الذي كان ينعم به.

وبطبيعة الحال لم أشاهد كل طريقته و منهجه في الكتابة، ولكني مُطَّعٌ على بعضها، في تصوري أنه كان يعتمد على حافظته المستوعبة لكم كثير من الدروس، فعندما يريد أن يكتب المطلب أو الرواية فإنه كان يكتبها عن حفظ لا عن مراجعة للمصدر الأصلي، وهذه إحدى أسرار كثرة الكتابة عنده، لأنه لا يحتاج إلى الرجوع إلى كثير من المصادر، وبعد أن يكتب الكتاب تأتي لجنة تحقيق من ورائه وتضبط هذه المتون، وكان يعتقد بأنه إذا كان يريد أن يكتب بالطريقة المتعارفة فإنه ما كان يقدر أن يصل إلى الهدف الذي كان يريد الوصول إليه في كتابة أكثر من ألف كتاب في مختلف الشؤون العلمية والفكرية والثقافية للمسلمين.

ص: 71

1- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، أحد كتب الحديث المشهورة لدى الشيعة الإثني عشرية. ألفه الشيخ محمد باقر المجلسي في زمن الدولة الصفوية. يحتوي على الكثير من الأحاديث، ويعد من أكبر كتب الحديث حيث يتكون من 110 مجلدات.

كان السيد الشيرازي (رحمه الله) بمدينة مشهد المقدسة، في أيام حرب المدن(1)- في (الحرب العراقية الإيرانية)(2)- وفي شهر رمضان المبارك فرصة جيدة للمناقشات

ص: 72

- 1- حرب المدن: فشلت الهجمات الجوية العراقية على إيران في تحقيق أي تأثير استراتيجي. وكان الرد الإيراني على الغارات العراقية أكثر تهديداً للعراق. فقد فشل الجيش العراقي في إدراك حقيقة صعوبة: مسافة الطيران إلى طهران كانت أطول منها إلى بغداد. فلو تمكنت إيران من الحصول على صواريخ بالستية، مثل صواريخ سكود الروسية، لكان بإمكانها استهداف بغداد، بينما في نفس الوقت لم يكن ممكناً لصواريخ سكود العراقية من الوصول إلى العاصمة الإيرانية البعيدة. بعد ذلك بوقت قصير، حصلت إيران بالفعل على صواريخ سكود ومنصات إطلاق، وذلك من ليبيا وسوريا. ولأن القوات المسلحة لعشرات الدول كانت مجهزة بهذه الصواريخ في الواقع، يمكن الافتراض بثقة بأن إيران سعت أيضاً إلى شراء صواريخ سكود في السوق السوداء. لم يستمر التفوق الصاروخي الإيراني طويلاً. فبمساعدة شركات ألمانية بشكل خاص، تم تمديد مدى صواريخ سكود العراقية عن طريق تركيب خزانات وقود أكبر. وبنجاح كبير، أصيبت طهران بالتالي بأكثر من 500 صاروخ - تضاعف وزن حمولة هذه الصواريخ بفضل خزانات الوقود الإضافية. وأطلقت إيران حوالي 200 صاروخ سكود وصلت في الغالب إلى بغداد، إلا أنها لم تصب أهدافاً استراتيجية. ولا تزال الآثار السلبية للحرب المدمرة موجودة في البلدين.
- 2- الحرب العراقية الإيرانية، أطلق عليها من قبل الحكومة العراقية آنذاك اسم قادسية صدام بينما عرفت في إيران باسم الدفاع المقدس (بالفارسية: دفاع مقدس). هي حرب نشبت بين العراق وإيران من سبتمبر 1980 حتى أغسطس 1988، خلفت الحرب نحو مليون قتيل وخسائر مالية بلغت 400 مليار دولار أمريكي، دامت الحرب ثماني سنوات لتكون بذلك أطول نزاع عسكري في القرن العشرين وواحدة من أكثر الصراعات العسكرية دموية، أثرت الحرب على المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط وكان لتأثيرها بالغ الأثر في العوامل التي أدت إلى حرب الخليج الثانية والثالثة.

العلمية لتواجد الكثير من أعلام قم المقدسة، وبعضهم مراجع أو فقهاء من المرشحين للمرجعية، وكان من عادة العلماء أن يجلسوا في مثل هذه الليالي المباركة ويحضر عندهم أهل الفضل ويتبادلون الحوار العلمي، فشكل بعض علماء مشهد المقدسة وفداً بعضهم من كبار الشخصيات والفضلاء من حوزة مشهد - ولا أعلم أنه كان وفداً عفويًا، أو حقيقياً - حيث كانوا في حيرة لتشخيص الأعلام من بين هؤلاء الأعلام، فأحضر الوفد مجموعة من الأسئلة ليوجهاها إلى العديد من العلماء للنظر في موضوع الألفية. وبعد أن زاروا جمعاً من الأعلام حضروا عند السيد الشيرازي (رحمه الله)، ولم يكن أحد حاضراً في ذلك المجلس غيره، فكلما طرحوا عليه سؤالاً أجاب عليه جواباً كاملاً وذكر مدارك الجواب والأدلة عليه، وإذا كان جوابه يستند إلى رواية تحدث من حيث سندها ومن حيث دلالتها ومن كل الحثيات، وإذا كان يستند إلى الشهرة أو إلى سيرة المشرعة أو إلى حكم عقلي، يبيته بتفاصيله، ويذكر الاشكالات التي يمكن أن تورده عليه ويوجب عنها أيضاً إن كان له جواب.

وبعد ذلك اللقاء، عندما بدأ السيد الراحل (رحمه الله) درسه - وأعتقد أنه كان درس البيع من المكاسب - في سرداب مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام)، حيث محل إقامته، - ولا زال السرداب موجوداً، لكن أعتقد أنهم غيروا في معالمه، وفي تلك الأيام كان سرداباً كبيراً جداً، وما كان مقطّعاً كما هو اليوم - فأول ما شرع بالتدريس اكتظ المجلس بالطلبة وامتأ السرداب بالحضور، ولم تستوعب مساحته لأعداد الطلبة، بل كان الحضور المكتظ يخرج إلى ساحة المدرسة، وفي الممرات المؤدية، كان هناك أيضاً بعض الطلبة يحضرون لاستماع الدرس، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على قناعة أكثر الطلاب والعلماء بسعة علميته،

حيث أشاع الوفد الزائر عنه هذه العلمية الكبيرة.

أقرب الآراء إلى روح الإسلام

النقطة الثالثة التي أعتقد أنها واحدة من أهم نقاط عبقرية السيد الشيرازي (رحمه الله) هي الفهم العرفي في مسائل الفقه، وهي نقطة مميزة ومهمة جداً عند الفقهاء.

فقد كان لجمع من الفقهاء ذهنية عرفية عالية جداً، هي من نقاط قوتهم، منهم الفقيه الهمداني (رحمه الله) (1)، وقد لمست ذلك من سماحة السيد (رحمه الله) بوضوح، فكثيراً ما ترى الأعلام في مناقشاتهم الفقهية أو الأصولية يخوضون في النقاش نقضاً وإبراماً وحلاً في الأدلة العقلية، أو في الدقة الفلسفية؛ لكن السيد

الراحل (رحمه الله) يوصل إليك عمق المطلب بحسب الفهم العرفي، وبسهولة متناهية وترى رأيه مطابقاً مع روح الشريعة في مختلف الجوانب، - غالباً - وليس رأياً شاذاً أو غير منسجم مع المتون الشرعية.

أتذكر أننا كنا ندرس كتاب (الأصول) (2) لسماحة السيد الراحل (رحمه الله) عند

ص: 74

1- الشيخ رضا بن محمد هادي الهمداني النجفي. رجل دين وفقه ومرجع شيعي إيراني، كان يستوطن العراق، اشتهر بتأليفه كتاب مصباح الفقيه حتى صار يُقال له صاحب المصباح. وكان من تلامذة السيد محمد حسن الشيرازي، وقد تسّم المرجعية بعد وفاته إذ كتب حاشية على رسالته العملية الموسومة بنجاة العباد، ثم كتب رسالته العملية التي أسماها ذخيرة الأحكام.

2- كتاب علمي عميق في علم أصول الفقه للإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) طبع في 8 أجزاء، تناول فيه المباحث الأصولية المعمقة كالتمايز بين العلوم، علائم الحقيقة والمجاز، حقيقة الأمر، المرة والتكرار، مقدمة الحرام، دلالة النهي على الفساد، التقييد كال تخصيص، الشهرة جابرة وكاسرة، التردد بين الجزء والمانع، وغيرها، وقد طبع الكتاب مراراً عديدة في قم وبيروت.

أحد الأساتذة الكبار(1) في مدينة قم المقدسة لمدة سبع أو ثمان سنوات - ولا شك أنه من أعلام الأساتذة من حيث العلم ومن حيث الأسلوب، وهو من بيوتات معروفة بالفضل والمرجعية. وكان منهج السيد الراحل (رحمه الله) في كتابه أن ينقل مختلف الآراء وربما ذكر عشرة أقوال أو أكثر ثم يذكر رأيه -، وبعد أن استمر أستاذاً بتدريس الكتاب مدة طويلة، واطلع على منهجية السيد الراحل (رحمه الله)، قال لبعض الحاضرين في الدرس في مقام التقييم بين الآراء: أنا لاحظت آراء السيد الشيرازي (رحمه الله) بالقياس إلى آراء غيره، فعندما تقرأها تستغرب قليلاً منها في البداية، لأنها خلاف المألوف في الأجواء العلمية السائدة، أو في طريقة عرضها عند بعض العلماء من الإيغال في البحوث العقلية والفلسفية، وخصوصاً في المسائل الأصولية، ولكن حينما تتأمل في رأيه تأخذ به، وعندما تتأمل به أكثر بعد مُدَّة تصل وترى أن هذا الرأي هو أقرب الآراء إلى روح الإسلام وهو أقرب من غيره إلى الحق، لأنه متفق مع مضامين الآيات والروايات.

فقد كان السيد الراحل (رحمه الله) مستوعباً لمختلف جوانب الشريعة، أي لا يأخذ الرأي الفقهي كراي فقهي محض، بل كان يلاحظ القرائن الخارجية التي قد تسهم في صناعة الرأي، فيلاحظ الجانب الاجتماعي والجانب السياسي والجانب الاقتصادي وحتى الجانب العلمي كذلك.

خذ مثلاً كتاب (الآداب والسنن)(2)، الكثير من الأعلام كتبوا في الآداب

ص: 75

1- آية الله السيد حسين الشاهرودي نجل المرجع الديني السيد محمود الشاهرودي، من مشاهير أساتذة البحث الخارج في حوزة قم المقدسة.

2- من تأليفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في مدينة قم المقدسة عام 1406هـ. ضمن موسوعة الفقه الاستدلالية، ويقع في أربعة أجزاء.

والسنن، وأكثر الموسوعات الروائية فيها آداب وسنن، ولكن للسيد الراحل (رحمه الله) بيانات وتعليقات في الآداب والسنن ناضجة جداً، وأي إنسان حتى غير المتدّين، بل حتى غير المسلم عندما يقرأها يجدها مليئة بما تنفعه جداً، وموافقة للطبيعة والفطرة البشرية، وهي مستندة أيضاً إلى الروايات، أي عندما يحلل لك الرواية أو الآية كما في تفسيره (تقريب القرآن إلى الأذهان) يعطيك رأياً ناضجاً ومكتملاً في تفسير الآية أو في معناها أو في مضامينها، فتأمل الرأي الذي يستظهره من الآية لتراه متطابقاً مع الكثير من الروايات، ومتطابقاً مع المضامين التي وردت في الزيارات، ومتطابقاً مع المضامين الواردة في الأدعية، ومتطابقاً مع فهم المتشريعة.

وهذه نقطة مميزة ومهمة جداً عند الفقيه أن يكون له قدرة على فهم العرف، والعرف محور أساسي في الفتوى، لأنه يتدخل في تشخيص الموضوع، وتشخيص حدود الحكم أيضاً، هذه هي مهمة العرف، وليست مهمة (لغة) أو مهمة متخصص أو غير ذلك. أعتقد أنها نقطة أساسية جداً في عبقرية السيد الشيرازي (رحمه الله) ونبوغه.

عالمية الطرح في فكر الإمام الشيرازي (رحمه الله)

من المزايا المهمة التي امتاز

بها الإمام الشيرازي (رحمه الله) : خروجه عن الدائرة الإسلامية في الدعوة إلى الإسلام، باعتبار أنه لم يكن يعتبر نفسه مرجعاً دينياً فقط، بل كان مصلحاً كبيراً، وليست للمرجعية عنده موضوعية، وإنما المرجعية في نظره طريقية، لأنها طريق إلى خدمة الإسلام وإلى نشر تعاليمه في جميع أنحاء العالم، لذلك هو:

أولاً: لم يحصر نفسه في الدائرة الشيعية التي هو مرجع من مراجعها، بل كانت بعض الأنشطة والكتابات والمناقشات والحوارات التي يقوم بها تشمل غير الشيعة الإمامية من عامة المسلمين، وفي هذا كلام مفصّل حول علاقاته بالدروز(1) والزبيديين(2) في اليمن، والعلويين(3) في تركيا، وعلاقاته مع أبناء السنة

ص: 77

1- طائفة دينية، يسمون بالدروز نسبة لشتكين الدرزي. يُشير الدرزي إلى أنفسهم باسم الموحدون نسبةً إلى عقيدتهم الأساسية في توحيد الله أو بتسميتهم الشائعة (بنو معروف) ويعتقد الباحثون أن هذا الاسم هو لقبيلة عربية اعتنقت الدرزية في بداياتها أو ربما هو لقب بمعنى أهل المعرفة والخير.

2- الزيدية هم طائفة دينية إسلامية متفرعة عن الشيعة ويعتبرون أقلية بينهم، معظمهم في اليمن اليوم، وتواجدوا سابقاً في نجد وشمال أفريقيا وحول بحر قزوين، وتسمى أحياناً بالهادوية ولكنها تسمية خاصة بفرع فقهي داخل الزيدية نسبة إلى يحيى بن الحسين. يؤمنون بإمامة زيد بن علي، بعد الإمام السجاد (عليه السلام). لا يؤمنون بالعصمة باستثناء للأئمة الثلاث الأولين وهم الإمام علي بن أبي طالب والحسن والحسين بالإضافة لإيمانهم بعصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). يرفضون مبدأ الغيبة وتوارث الإمامة ويؤمنون أن كل من تتوفر فيه شروط الإمامة بإمكانه الخروج ومواجهة ما يعتبرونه ظلماً. شروط الإمامة عندهم أن يكون عالماً في الشؤون الدينية، لا يعاني من عيوب جسدية ومن سلالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عبر ابنته فاطمة (عليها السلام).

3- العلوية وتسمى كذلك النصيرية هي طائفة من الشيعة الجعفرية الإثني عشرية، نسب إليهم عدم اعتمادهم على نظام المرجعيات الدينية (الذي يعد أساسياً عند من سواهم)، وكذلك وجود القليل من الكتب في الفقه والحديث تميز هذه الطائفة. وهي تعتمد بشكل أساسي على الكتب الشيعية وعلى رأسها الكتب الأربعة ومصنفات أخرى كثيرة يشتركون فيها مع بقية الإثني عشرية. وهم اليوم يتواجدون في الجبال الساحلية السورية ويختلفون عن علويي المغرب أو الزبيديين في اليمن أو تركيا. وهم من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، انعزلوا لبعض الظروف السياسية القاهرة التي كانت تضطهدهم في كل مكان، وقد سعى آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) وجمع علماءهم ليبيّنوا حقيقة مذهبهم بعد خروجهم عن تلك الظروف السياسية، فأجمع علماءهم على بيان وقعه أكثر من 80 عالماً مهماً من علمائهم وطبع تحت عنوان (المسلمون العلويون شيعة أهل البيت) عشرات المرات في سوريا ولبنان وغيرهما.

أيضاً والأنشطة التي كان يمارسها في هذا المجال كثيرة ومتنوعة.

بل كانت له أطروحة نظرية واستراتيجية لتغيير العالم الغربي، ودعوته إلى الإسلام، وهذه نقطة أساسية في المرجعية الشيعية يكاد ينفرد بها الإمام الشيرازي (رحمه الله)، حيث لم نعثر في تاريخ المسلمين على مرجع تقليد بنى خارطة عمل على هذا الأساس، وكانت له في هذا السبيل عدة خطوات، ومن هذه الخطوات كتب كتابين يُعدان من أهم كتبه في هذا المجال، الكتاب الأول هو: (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام)، وهو أطروحته لتغيير العالم كله على ضوء قيم الإسلام ومبادئه، وهذا الموضوع واضح من عنوان

ص: 78

الكتاب، ولا شك أن هذه البنود الأربعة هي الإيمان، الحرية، الرفاه، السلام، هي من أهم الغايات في الشريعة الإسلامية التي تدعو الناس إليها.

وفي هذا الكتاب وجه الإمام الراحل (رحمه الله) النقد للسياسة الغربية في العالم عموماً باعتبارها المسيطرة على الوضع العام، أي الوضع الدولي، فبين نقاط الضعف فيها، وبيّن السياسة الجديدة التي ينبغي أن يمضي عليها العالم.

وهذا الكتاب في الحقيقة غني جداً في الأفكار والتصورات حول هذه القضايا العالمية.

وأما الكتاب الثاني فهو (الغرب يتغير)، في هذا الكتاب كان الإمام الراحل (رحمه الله) يتصور - وهذا ما سمعته منه في أواخر عمره الشريف أي قبل أن يفارقه بسنوات - بأن الغرب على الرغم مما فيه من بعض الأساليب الديمقراطية، أو الديمقراطية النسبية، حيث لم يكن يعتقد بأن الديمقراطية الغربية ديمقراطية حقيقية بكل معنى الكلمة وإنما فيها شيء من آليات الديمقراطية، فكان في هذا الكتاب وفي المحاضرات والحوارات الخاصة أيضاً يقول هذا الشيء: لا بدّ من تغيير الطريقة الغربية في الديمقراطية ولا بدّ من تقويمها، وهذا التعبير أدق من التعبير الأول؛ باعتبار أن هذه الديمقراطية تحمل في طياتها الكثير من التناقضات؛ سواء في طريقة الانتخاب، أم في الرجال الذين تأتي بهم إلى السلطة، وسواء في السياسة الخارجية، أم في السياسة الداخلية، وكان عنده إشكالات أساسية على هذا الموضوع، وكان يطمح إلى تقريب الديمقراطية أكثر إلى الإسلام أرفع مستواها الأخلاقي والإنساني أكثر وأكثر عبر مزاجتها بمبادئ الإسلام.

ثانياً: المسألة الأخرى التي كان يدعو لها السيد الراحل (رحمه الله)، وكتبها في عدة موارد من كتبه وذكرها في محاضراته هي: إن الممارسة الغربية للديمقراطية

لا بد أن تتطور؛ لأنه انكشف زيف هذه الأساليب، فغير معقول أن البشرية ترتفع وترتقي إنسانياً، ولكن من حيث أساليب السياسة تبقى متخلفة، وقد وضع السيد لتغيير العالم الغربي خطة تتكون من عدة مسائل عملية، أشير إلى المهم منها:

1 - دعا إلى تكوين منظمة عالمية للدفاع عن حقوق المظلومين، ودعوته إلى تكوين هذه المنظمة العالمية هو لأجل نصره المظلومين، وجمع الطاقات الخيرة في العالم، الطاقات الإنسانية المسلمة وغير المسلمة، جمعها وصَبَّها في اتجاه تغيير العالم نحو الإسلام ونحو المبادئ الإنسانية، وأسس لهذه المسألة ووضع اللبنة الأساسية والأولية لهذا المشروع العالمي.

ولكن ما يؤسف له أن العالم الإسلامي ما زال متأخراً عن التفكير في مثل هذه الاستراتيجيات وفي العمل لإنجاح مثل هذا المشروع، وربما بمرور الزمن يأتي مَنْ يتبنى هذه المشاريع ويعتمد هذه الخطوة، وسيصل العالم الإسلامي والإنساني في يوم ما إلى نتيجة أنه لا يمكن تغيير العالم إلا بالتماسك والتوحد بين القوى الخيرة، والتنسيق بينها إسلامية كانت أو غير إسلامية.

2 - تعلم اللغات لإبلاغ الرسالة، الشيء الثاني الذي كان يدعو إليه الإمام الراحل (رحمه الله) بعض أصدقائه الوكلاء والمبلغين، هو تكثيف الجهود لإلقاء كلماتهم ومحاضراتهم باللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية، وقد تأسست لجنة لمتابعة هذا الهدف، وقامت بترجمة الكتب وبعضها كتبه الفكرية، وذلك من أجل أن تبدأ الحركة نحو تغيير العالم الغربي، وقد دعا إلى هذا في عدة محاضرات، بل إن أحد الأصدقاء قال: في أواخر أيام حياته بعث إلي يطلبني وكنت في مدينة أخرى، وحضرت عنده وقال: هناك عدة أهداف كنت قد رسمتها، وأطمح إلى

تحقيقها، وربما لم أوفق لإنجاحها، ولكن ربما من سيأتي بعدي من الأصدقاء أو المؤمنين المصلحين يأخذون بهذه الأفكار ويعملون عليها - وربما كان السيد الراحل (رحمه الله) يجد في هذا الشخص المخاطب هذه القابلية والاستعداد - فقال له: ماذا تقصدون سيدنا؟ قال: يلزم علينا السعي لتغيير ثلاث دوائر:

أولاً: يلزم تقوية الفكر الشيعي وفكر أهل البيت (عليهم السلام) بين أفراد الطائفة الحقة، ليكونوا أكثر ثباتاً ورسوخاً في إيمانهم وسيرهم وعملهم.

ثانياً: أن نحاوّر أبناء السنة وندعوهم إلى الشيع وندخلهم في ولاية علي والأئمة من ولده (عليهم السلام) .

ثالثاً: ندعو الكفار وأهل الكتاب من النصارى واليهود إلى الإسلام، ويلزم رسم خطة في هذا المجال، وأنا لم أوفق لتحقيق هذا الهدف، ولو كان الأجل يمهلني لسعيت في هذا المجال. ولكن الأجل كان أسرع من هذا الطموح والأمل.

هذا مضافاً إلى حركته العالمية، حيث لو ذهبنا إلى العالم الغربي قلما نجد مدينة من المدن المهمة في العالم الغربي، إلا وقد أسس فيها مؤسسة ما، فهدفه ليس فقط جمع المسلمين، وإنما كان هدفه أن تتحول هذه المؤسسة إلى مؤسسة متينة واسعة ومتجددة في المجتمع الغربي من أجل تغييره، وفعلاً كان (قدس سره) يدعو بعض وكلائه وأصحابه إلى التحرك على غير المسلمين من أجل إدخالهم في الإسلام، وإقناعهم بمبدأ الحوارات البناءة في هذا المجال.

وهنا أتذكر خاطرة عن الإمام الراحل بالنسبة إلى إسرائيل، هذه الدولة الصهيونية، ولا شك أنه لم يكن يدعو إلى الصلح مع إسرائيل، وكان يعتقد بأن إسرائيل زائلة، ولا بد في يوم من الأيام أن تزول هذه الدولة المصطنعة، وهذا

التحليل لموضوع الدولة الصهيونية ناشئ من كونها دويلة مزروعة عنوة وبالقسوة بين أعدائها، حيث يقول: من غير المعقول أن هناك دولة يمكن أن تبقى ويحيطها خصومها من كل جانب، وهم المسلمون، ولكن المشكلة أن بقاء هذه الدويلة ناشئ من سببين:

السبب الأول: الدعم الغربي لها وبعض الديمقراطية التي تتمتع بها الحياة السياسية في الدولة الصهيونية.

السبب الثاني: الضعف السياسي الذي يعيشه المسلمون باعتبار أن الحكومات الإسلامية أكثرها حكومات مستبدة، قامعة للصوت الحر، ومانعة للفكر من الانتشار، وداخلة في ضمن معادلات دولية مع الدول الكبرى من أجل الحفاظ على إسرائيل، والدخول في مشروع ما يسمى بعملية السلام أو إلى الصلح معها.

فلذلك أَلَّف كتاباً في هذا المجال عنوانه: (الصلح مع اليهود استسلام لا سلام)⁽¹⁾. وعنوان الكتاب ينم عن خلاصة الفكرة التي كان يدعو إليها، وكان يدعو الغرب والمفكرين الغربيين في كتبه وحواراته التي يجريها، إلى سحب اليد عن هذه الدولة، حيث لا يمكن لها أن تدوم، في الوقت الذي تعد أهم عوامل عدم الاستقرار في العالم وليس في المنطقة فقط.

وهذا الكلام يمثل موقفاً وتحركاً مهماً من قبله، حيث إن المنطقة إذا يراد لها أن تكون مستقرة سياسياً وأمنياً، لابد من رفع بؤر التوتر منها، وأولها هذه

ص: 82

1- تناول فيه المؤلف عدة مباحث منها: من هم اليهود؟ ومن هي إسرائيل؟ الأصل الجديد لليهود اليوم، مزاعم اليهود، الطابع التجاري لديانة اليهود، اليهود في البلاد العربية، فلسطين في التاريخ وغيرها من المباحث، طبع الكتاب سنة 1422هـ- في بيروت.

الدولة المصطنعة، والمسلمون تثقتهم مهزوزة بالسياسة الغربية بسبب وجود هذه الدولة، وذلك لأنهم يرون أن هناك تناقضاً في السياسة الدولية التي يقودها الغرب، فمن جهة يدعمون إسرائيل ويقوونها ويمدونها بالسلاح، فتشن إسرائيل عدواناً متواصلًا على المسلمين بشكل وبآخر، ومن جهة ثانية يدعون المسلمين إلى المصالحة معها.

ولو كان الغرب يسمع هذا الكلام ويطبقة، ما كانت تذهب المليارات من الأموال هدرًا وعبثًا، وما كان هناك الحاجة إلى تجيش آلاف من الجنود وجلبها إلى المنطقة، وما كانت تذهب مئات الآلاف من الضحايا من هذا العالم، وما كانت تحصل مثل هذه الزعزعة وعدم الاستقرار في العالم نتيجة لهذا الموضوع وهذا الانحراف السياسي الدولي.

تغيير الغرب واليهود

ألخص كلامي بالنسبة إلى توجيه الإمام الراحل (رحمه الله) نحو الغرب، تغيير الغرب نفسه؛ وقد كان يدعو صراحة حتى إلى تغيير اليهود، أي دعوة اليهود إلى الإسلام والإنسانية؛ فهناك مشتركات كثيرة بين الأديان السماوية؛ لأن ما يدعو إليه الإسلام هو ما تدعو إليه الفطرة بقطع النظر عن المبتنيات والمعتقدات، ومنها مسألة الإنسانية ومسألة الرحمة ومسألة التسامح واللاعنف، وهي نقطة أساسية في الإسلام، وفي الحديث الشريف: «بعثت بالحنيفية السهلة»⁽¹⁾.

وأذكر في هذا المجال (انتفاضة الحجارة) الفلسطينية، حيث بدأوا بها أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، وكانوا سابقاً يستخدمون السلاح في المقاومة، ثم

ص: 83

تركوا السلاح واستخدموا الحجارة، وفي ذلك الوقت كانت الانتفاضة الفلسطينية في ذروتها وفي أوج قوتها، لأن جيلاً جديداً نشأ في الفلسطينيين يطالب بحقه في الأرض، ألقى السلاح وبدأ يرمي الحجارة، فبعث الإمام الراحل (رحمه الله) مرسولاً إلى ياسر عرفات، وقال: لا بد وأن الحق يؤخذ في يوم ما، ولكن عليكم المطالبة بحقوقكم عن طريق اللاعنف، والحجارة عنف، فإذا تركتم الحجارة ستصلون إلى أهدافكم بشكل أسرع وبضحايا أقل.

وبالفعل نحن نرى الآن وبعد مرور سنوات طويلة على انتفاضة الحجارة، ودائماً الشعب الفلسطيني يعطي الضحايا والقتلى والسجناء والجرحى وحياء المجتمع الفلسطيني غير مستقرة، وهذا نتيجة العنف الذي يمارسه أصحاب الحق! لأن الظالم ظالم ولا يبالي بالظلم أبداً، فيقتل ويعذب ويسجن ويصادر الأموال، وممكن إذا مارس المظلوم العنف سيعطيه المبرر أكثر إلى الظلم والعدوان، وحيث إن العالم لا يحكمه الضمير الحر بل المصالح والاتفاقات، ولأن المعسكر الدولي يقف إلى جانب الظالم لا المظلوم، فلذا كان السيد الراحل (رحمه الله) يدعو أصحاب الحق إلى استخدام الأساليب السلمية في المطالبة بحقوقهم كلها.

كان (قدس سره) يدعو الغرب أيضاً إلى التخلي عن السلاح، وله أطروحة جاهزة في هذا المجال، وأن السلاح هو عمل غير عقلائي. لو لاحظتم أول كتاب (الصياغة الجديدة)، وفي أوله يذكر السيد الراحل (رحمه الله) عنواناً مثيراً وجذاباً جداً وينم في الحقيقة عن عمق، والعنوان هو: (عالم العقلاء أم عالم المجانين؟)، ولا يقصد من العقلاء والمجانين المعنى اللغوي، بل المعنى السياسي، أي الذين هم عقلاء ولكن تصرفاتهم طائشة ومتناقضة.

وحاصل البحث: إن الذين يديرون العالم وييدهم أزمة الأمور وأزمة القرار السياسي والتسليحي في العالم، ليسوا بعقلاء، بل مجانين؛ لأن هناك كثير من التناقضات، ويذكر المسألة بالتفصيل في محله.

فمثلاً: تراهم يصرفون مئات المليارات لأجل بناء آلاف المستشفيات، ويصرفون في المقابل مليارات الأموال لأجل شن الحروب حتى يملؤن هذه المستشفيات بالقتلى والجرحى!!

فمن جهة نرى هناك توجه نحو السمو في رعاية الصحة العامة والحفاظ على سلامة البيئة، ومن جهة أخرى يصنعون أسلحة يلوثون بها البيئة، ويقتلون بها الناس!! فهل هذا عالم عقلاء أم عالم مجانين!؟

فمعنى دعوته الغرب، هو أنه يجب عليه أن يتخلى عن السلاح، ويتخلى عن الحروب حتى تصل البشرية إلى مستوى راقٍ من الديمقراطية ومن التفاهم، ومن السمو الإنساني، والشعوب تتلاحم.

وأكمل هذه الفكرة بأن دعا إلى رفع الحدود الجغرافية بين دول العالم، ودعا إلى الأمة الواحدة، وإلى الأخوة في الإنسانية. هذه مجموعة من الأفكار، والمحاور التي تدعو الغرب إلى تغيير سياسته التي يسير عليها، وإصلاح العالم نحو المبادئ السامية للإسلام.

في هذا المجال الكلام طويل جداً ولكن وبشكل إجمالي أقول: لا تكاد تحدث حادثة في أية بقعة من العالم، سواء أكانت مرتبطة بالمسلمين أم بغير المسلمين إذا كان فيها بُعد إنساني أو بُعد حقوقي، إلا وللسيد الراحل (رحمه الله) فيها متابعة ورأي، وله مساع لإصلاح الوضع.

ومن الأشياء التي لاحظتها عنده ومن ضمن المباني الفقهية له في باب الجهاد - وهذه قد تكون من مبتكراته، وعلى فرض أن أحداً سبقه إليها، إلا أنه بلورها ووضع معالمها بصورة أكبر - هي: إن الجهاد في سبيل الله لا ينحصر في الدفاع عن بيضة الإسلام، فهو في نظره أن الجهاد يكون لعدة أهداف:

1 - لنشر الإسلام.

2 - دفاعاً عن الإسلام.

3 - إنقاذ المستضعفين في الأرض، ويستدل على ذلك بمثل قوله تبارك وتعالى: (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) (1)، وفي قوله تعالى: (الْمُسْتَضْعَفِينَ) يقول الإمام الراحل (رحمه الله): هذا بند ومحور أساسي من أهداف الجهاد في الإسلام، إذا إنقاذ المظلوم وحماية صاحب الحق

- ويقطع النظر عن الفكر والعقيدة - من مهمات المجتمع المسلم أيضاً، وكان للسيد الراحل (رحمه الله) في أي قضية تحدث في العالم وفيها مظلوم، رأي وله توجه، وله مساع أيضاً في هذا المجال، وذلك عبر إصدار البيانات وإصدار التوجيهات المناسبة لمعالجة هذا الوضع.

أما فيما يتعلق بالوضع في العالم الإسلامي فحدث ولا حرج.

مع وفد قادة الحركة الأفغانية

أتذكر زاره وفد من قادة الحركة الأفغانية، وذلك قبل الخروج السوفييتي

ص: 86

من أفغانستان، وقبل مجيء حركة طالبان، فقد كانت الحركة الجهادية الأفغانية هي التي تقف في مواجهة الروس، حيث قام زعماء الفصائل الأفغانية المناهضة للوجود السوفييتي بتشكيل جبهة موحدة، ثم اجتمعوا جميعاً تحت اسم (حزب الوحدة الإسلامية) (ID)، واختاروا أميناً عاماً له، فجاء وفد من قادة الحركة الأفغانية، وكان بعضهم من الشيعة الإمامية، ولعل بعضهم كان من السنة أيضاً، فجاءوا إلى مدينة قم وزاروا مجموعة من العلماء الذين لهم شأن في الساحة الأفغانية، ومن ضمنهم زاروا الإمام الراحل (رحمه الله) أيضاً، لقد قدموا لينقلوا صورة عن الوضع الأفغاني للعلماء، ولكي يستمعوا لتوجيهاتهم في الشأن الأفغاني، وقد كانت للسيد الراحل (رحمه الله) مرجعية كبيرة في أفغانستان، ولعلها كانت المرجعية الأولى في الساحة الأفغانية.

وبعض الذين كانوا في الوفد لم يلتقوا به من قبل، ولكنهم سمعوا عنه بعض الكلام السلبي والدعايات المغرضة، فلم يكونوا مقتنعين بشخصيته وبفكره بالقدر الكافي، ولكنهم ولمتطلبات السياسة وضرورة المصلحة قدموا إلى إيران والتقوا به، فكان فيهم من مقلديه، ومن لا يعتقد به، حينما التقوا به وخرجوا من عنده وبعد جلسة حوار خاصة بهم - إذ لم أحضر هذا الاجتماع الذي استمر

ص: 87

1- حزب الوحدة (وحدة إسلامي) عبارة عن اتحاد توصلت إليه ثمانية أحزاب من الشيعة في مدينة باميان يوم 18 يوليو (تموز) 1989، وكان الحزب يسيطر على منطقة هزارجان وسط أفغانستان قبل أن تخرجه طالبان من تلك المنطقة عام 1998. لكن أعضاء التحالف بدأوا يلتزمون مرة أخرى وضموا الطاجيك والاوزبك العرقين والهزارة في جبهة مشتركة لمعارضة خطة مفاوضات السلام مع طالبان التي وضعتها الولايات المتحدة، وعموماً الأحزاب الشيعية ضعيفة، مقارنة بالأحزاب السنية، التي سيطرت عليها باكستان، ومنها حزب الوحدة، وحركة نصر، وحركة الشورى والاتفاق، وحرس الجهاد، والحركة الإسلامية، وحزب الله.

حوالي الساعة، إلى الساعة ونصف - خرجوا متأثرين به جداً، وكان أحد أبرز قادتهم - والذي قد قُتل فيما بعد على يد طالبان في أفغانستان - الأشد إعجاباً بشخصيته، فصرح قائلاً: أنا أتأسف جداً على الحركة الأفغانية التي لم تتعرف على السيد الشيرازي من قبل، فسئل: لماذا؟ قال: لأنه أمدنا بمعلومات قيّمة وكثيرة عنا وعن بلدنا أكثر مما نعرفه نحن أهلها، وأعطانا وزودنا بحلول ومقترحات لمعالجة الوضع السياسي والجهادي، ورسم لنا خطة لمستقبل أفغانستان عبر تصورات متنوعة لهذا المستقبل، والحال نحن الأفغان، ورغم أنه مضى زمن طويل يزيد على عشرين عاماً في الحركة الأفغانية الجهادية تقابل ضد الروس ليس لدينا هذا التصور وهذا الشمول في النظرة إلى الوضع الأفغاني.

وهكذا الحال في قضية كشمير⁽¹⁾، وقضايا أخرى أيضاً، حيث لا يمكن أن توجد حادثة، أو مشكلة ما تقع في العالم الإسلامي، وغير الإسلامي إلا وله فيها مساع، وله فيها رأي ونظر، ولو تأملنا قليلاً واسترجعنا الذكريات والخواطر سنجد كثيراً منها في هذا المجال.

الإمام الراحل (رحمه الله) والأكراد

كان له مواقف مشرقة ومشرقة تجاه الحركة الكردية في شمال العراق، في سبيل رفع الظلم والجور والتمييز العنصري الواقع عليهم، على الرغم مما كان

ص: 88

1- كشمير هي المنطقة الجغرافية الواقعة ما بين الهند وباكستان والصين في شمال شرق آسيا. والصراع حول كشمير يشير إلى نزاع إقليمي بين الهند وباكستان (وبين الهند والصين) حول كشمير، في الشمال الغربي لشبه القارة الهندية. نشبت بسببها حروب ومواجهات عسكرية بين البلدين، تبعها مؤتمرات قمة، سعياً إلى حل هذه المشكلة التي زاد خطرها خاصة بعد انضمام الدولتين إلى النادي النووي.

يتعرض له من ضغوط كثيرة من حكومة العراق وقتها لأجل أن يصدر بياناً أو تصريحاً ضد الحركة الكردية، ولكنه كان يدافع عن الحركة الكردية، وكان يقول: هؤلاء أصحاب حق بغض النظر عن قربهم أو بعدهم من المذهب، أو قريبين من الإسلام أو بعيدين عنه، فهذه المسائل لا يأخذها بنظر الاعتبار، فإنهم أصحاب حق، فلا ينبغي أن يسلب حقهم، لأجل قوميتهم أو عنصرهم أو لأي شيء آخر، وقد زاره أوائل الثمانينات إدريس البارزاني(1) ولعله يومذاك كان الشخص الثاني في الحركة الكردية بعد ملا مصطفى البارزاني(2)، وهو صاحب

ص: 89

1- ولد عام 1944 في قرية بارزان في الوقت الذي كان يعيش البارزانيون حياة قاسية، ألتحق إدريس البارزاني سنة 1962 بصفوف البيشمركة وأدى دوراً بارزاً في تقريب وجهات نظر الأحزاب، وأول من وضع اللبنة الأساسية للجهة الكردستانية، وقاد ملحمة هندين سنة 1966، وانتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني في مؤتمره الثامن سنة 1970، وكان عضواً فعالاً في المفاوضات بين الثورة الكردية والحكومة المركزية، وبعد نكسة عام 1975 عاش منفياً في المخيمات الإيرانية، انتخب في المؤتمر التاسع لعام 1979 عضواً للمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني ومشرفاً على الشؤون العسكرية، عمل فترة طويلة مسؤولاً للعلاقات العامة للحزب، توفي يوم 31/1/1987.

2- زعيم كردي من كردستان الجنوبية شمال العراق، شارك أخاه الأكبر أحمد البارزاني في قيادة الحركة الثورية الكردية للمطالبة بالحقوق القومية للأكراد، لكن هذه الحركة تم أخمادها من قبل السلطة الملكية في العراق والقوات البريطانية المحتلة التي استخدمت ولأول مرة في التاريخ الأسلحة الكيميائية ضد المناطق التي سيطر عليها الثوار الأكراد، وفي عام 1935 تم نفي البارزاني مصطفى إلى مدينة السلیمانية مع أخيه الشيخ أحمد. في عام 1942 فر البارزاني من منطقة نفيه لبدأ حركته الثورية الثانية. وبعد تولي الرئيس العراقي عبد السلام عارف الحكم إتفق مع عدد من القادة الأكراد (سياسيين وعسكريين) وبضمنهم البارزاني على حل شامل للقضية الكردية حيث أعلن اتفاق أبريل عام 1964م، والذي تضمن منح الأكراد الحقوق الثقافية والإسهام في الحكم وبعض الحقوق الأخرى، إلا أن التيار القومي العربي تمكن من التسلل إلى السلطة ونسف كل ما أتفق عليه فاستمرت الدولة باجرائها القمعية للشعب الكردي، فتجدد النزاع المسلح بين الطرفين، وظلت القضية الكردية تؤرق حكومة بغداد والبارزاني يقض مضجع القيادة العراقية. غادر بعدها البارزاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث توفي فيها عام 1979م، في مستشفى جورج واشنطن إثر مرض عضال.

وقد أسس السيد الراحل (رحمه الله) بعد خروج الشمال من تحت سيطرة صدام ونظامه حسينية فيه، وعيّن بعض الوكلاء يعملون لهداية الناس وإصلاحهم، وكذلك تقديم المساعدات الإنسانية إليهم، ولا يقول: هذا كردي، أو هذا عربي؛ إذ لا يوجد هكذا تصور في ذهنه، وكان في مجال الحركة والعمل يدعم الكل ويؤيدهم، فكان يحاول أن يساعد كل مظلوم وينصره، ولعله من المراجع القلائل من الذين كان لهم وكلاء في شمال العراق، لذلك نرى الأكراد كانوا يحترمونه كثيراً، ويعترفون بدوره الطيب في نصرة مظلومية الأكراد، وهم يكونون له غاية التقدير لمواقفه، وفي كتاب (تلك الأيام .. صفحات من تأريخ العراق السياسي) ذكر السيد الراحل (رحمه الله) بعض الإشارات والذكريات والخواطر في هذا المجال.

كما أذكر أنه بعد سقوط النظام الصدامي وأبان الحكومة الأولى زار بعض الأصدقاء في لقاء خاص بهم صالح⁽¹⁾، وهو أحد القيادات الكردية، فأهدوه

ص: 90

1- ولد الدكتور برهم أحمد صالح عام 1960 في مدينة السليمانية في كردستان العراق. اعتقل من قبل نظام حزب البعث مرتين بتهمة انتماءه للحركة التحررية الكردية، غادر العراق متوجهاً إلى المملكة المتحدة لأتمام دراسته بعد الإفراج عنه. انضم سراً إلى صفوف الاتحاد الوطني الكوردستاني (UK) أواخر عام 1976 ومن ثم أصبح عضواً في تنظيمات أوروبا ومسؤولاً عن مكتب العلاقات الخارجية للاتحاد في العاصمة البريطانية لندن. تم انتخابه عضواً في قيادة الاتحاد في أول مؤتمر للحزب عام 1992، حيث تم تكليفه بمهمة إدارة مكتب الاتحاد الوطني الكوردستاني في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أصبح ممثلاً لأول حكومة في إقليم كردستان لدى الولايات المتحدة الأمريكية.

كتاب (تلك الأيام) فأشاد بالكتاب وبمواقف السيد الراحل (رحمه الله) ، وقال: نحن لا ننسى مواقفه تجاه القضية الكردية، وتجاه حمايتنا.

وهذا بالفعل موجود لدى الأكراد، إذ لهم احترام شديد جداً تجاه السيد الراحل (رحمه الله) ، ويقدرّون مواقفه كثيراً، حتى إن جلال الطالباني (1) - في توليه لمنصب رئاسة الجمهورية - عندما زار كربلاء المقدسة جاء لزيارة مكتب السيد الشيرازي (دام ظله) احتراماً وتقديراً للمواقف، مع أن بعض أصحابنا المجاهدين القدامى وبعضهم من قادة المتدينين الإسلاميين، من الحركات والأحزاب الإسلامية لم يفعلوا هذا، مهما يكن من أسباب.

العمل في أفريقيا

وأيضاً لاحظنا اهتمام الإمام الراحل (رحمه الله) في أفريقيا والسعي لهدايتها إلى الإسلام فبعث إليها المبلغين، وأسس المدارس ووضع الوكلاء، وأوكل مجموعة من الأفارقة للعمل في أفريقيا، ففي كينيا هناك نشاط واسع، وفي سيراليون وبلاد أخرى، ومن الذين اهتموا بذلك الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) الذي كان

ص: 91

1- ولد طالباني في قرية كلكان التابعة لقضاء كوي سنجاك قرب بحيرة دوكان. أنظم إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة الملا مصطفى البارزاني سنة 1947م، وعندما كان عمره 14 عاماً، وبدأ مسيرته السياسية في بداية الخمسينات كعضو مؤسس لاتحاد الطلبة في كردستان داخل الحزب الديمقراطي الكردستاني.

يتحرك هناك بنشاط بالغ، وكذلك هناك من الرعيل الأول من تلاميذ السيد الراحل (رحمه الله) ذهبوا إلى أفريقيا، والتقوا بمجاميع كبيرة من الأفارقة، واهتدى على أيديهم الكثير من الأفارقة.

وهذا كله ينم عن أن حركة السيد ما كانت حركة محدودة أو مغلقة، وإنما كانت - في حقيقتها - حركة إصلاحية عالمية تبدأ من إصلاح الإنسان نفسه، ثم إصلاح المجتمع، ثم إصلاح الوضع الدولي بشكل عام، والوضع السياسي فيه، فلا يمكنك أن تعتبره مرجعاً محدوداً في عمله، إنما هو مرجع عام شامل، وفي كل الاتجاهات، إذ لا تجد قضية من القضايا تحدث في هذا العالم إلا وله فيها اهتمام ورأي وسعي لإصلاح بعض الوضع فيها.

هذا كلام بشكل مجمل عن هموم وحركة الإمام الراحل (رحمه الله)، ولا مجال للتفصيل الآن أكثر.

الإمام الشيرازي (رحمه الله) ومنهجية الوكالة والوكلاء

* كم تقدرون عدد وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله) وأنشطتهم وبلادهم؟

* وما هي مستوياتهم وكفاءاتهم؟

* وإلى أي حد كانوا يلتزمون بإرشاداته التي تطرق لها في كتاب (إلى الوكلاء في البلاد)؟

* وبشكل عام كيف كانت نظرتهم إلى الوكلاء وترابطه معهم؟

* وكيف كان تعامل الوكلاء معه؟

- هذا سؤال مهم كثيراً، فالذي لاحظته أن أسلوب الإمام الراحل (رحمه الله) أو طريقة عمله، كانت مبنية على الانفتاح، فلم يكن يجعل حواجز بينه وبين الوكلاء بل حتى الناس، فكان يهتم بأي طاقة من الطاقات أو شخص من

الأشخاص إذا كان يتلمس فيه الخير وإنه يمكن أن يقدم بعض الشيء وأن يخدم الإسلام بعض الخدمة، ثم يعطيه اعتباراً معنوياً، ويشجعه للعمل، طبعاً على اختلاف في المستويات بعضهم على مستوى المأذونين، وبعضهم على مستوى الإجازة، وبعضهم على مستوى التوكيل.

وكان من السهل أن يأتيه شخص يطلب منه وكالة، فإذا عرفه وأن له مسجداً أو موقفاً أو أي قناة للخدمة ويُرَكَّب من قبل جماعة ويوثق من حيث التدبير والفكر فإن الإمام الراحل (رحمه الله) وبشكل صريح يعطيه وكالة على اختلاف مراتب الوكالات طبعاً، ولم أجد في يوم من الأيام أنه منع أحداً من العمل بسبب الوكالة، ولا سحب وكالة من أحد، وكان غالباً ما يستشهد بسيرة المرحوم السيد أبي الحسن الأصفهاني⁽¹⁾ ويقول: كانت سيرته هكذا، وتعرفون أن مرجعية السيد أبي الحسن كانت كبيرة جداً، ويُشهد لها بالكفاءة من الناحية الإدارية، حيث كانت تدير المجتمع الشيعي في أزمته صعبة مثل أزمة القحط والجوع

ص: 93

1- السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني. مرجع وفقه شيعي إثني عشري، تسلّم المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائيني، فصار من كبار مراجع الشيعة وقياداتهم الدينية والسياسية في إيران والعراق. ولد سنة 1277 هـ - في إحدى القرى التابعة لمدينة فلاورجان التابعة لمحافظة أصفهان، وينتمي لأسرة متدينة، فوالده محمد كان من رجال الدين في أصفهان، وكذلك جده عبد الحميد الذي كان أحد طلاب محمد حسن النجفي - المشهور بصاحب الجواهر -، وينتهي نسب عائلته بواسطة اثنين وثلاثين عقباً إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام). في عام 1307 هـ، هاجر الأصفهاني إلى مدينة النجف وتلمذ عند رجال الدين والمراجع الموجودين آنذاك أمثال الشيخ حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي -، وقد تبوأ هناك المرجعية والقيادة الدينية والسياسية.

والأوبئة الخطيرة التي كان يمر بها العراق وغير العراق، فقد كان المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني يكفل عوائل الناس.

وقد نقل لنا السيد الراحل (رحمه الله) : لما توفي السيد أبو الحسن الأصفهاني حزن عليه العراقيون واستمر عليه الحداد أربعين يوماً، وأقاموا له العزاء بكل طوائفهم حتى المسيحيين، وسائر القوميات والجاليات وكافة مكونات الشعب العراقي، و من المعلوم أن المجتمع العراقي متنوع في أطيافه ومذاهبه وقومياته، فالجميع نصبوا عليه العزاء واستمر عزاءهم أربعين يوماً، حتى إن علب السكائر طبعت باللون الأسود حداداً عليه.

هذا لأنه كان صاحب مرجعية مديرة ومدبرة في المجتمع، وكانت تتحمل مسؤوليات ومهام كبيرة في أوساطه.

فكان يذكر نقاط القوة في السيد أبي الحسن الأصفهاني والتي تمكن بها من الخدمة الجيدة، واحدة منها هي مسألة الانفتاح في موضوع الوكالات، فلذلك ترى عنده وكلاء من طالب المقدمات - يعطيه نسبة من الوكالة والاعتبار - إلى طالب البحث الخارج، وإلى المجتهد. كل على قدر نسبته، وعلى دوره وموقعه يعطيه اعتباره ووكالته، وكان بعضهم من غير أهل العلم ولكنهم متدينون ووجهاء في مجتمعاتهم.

وهكذا كان الإمام الشيرازي (رحمه الله) ففي أي مكان من العالم تجد له وكياً أو وكلاء، فلو ذهبت إلى أي منطقة في إفريقيا ترى شخصاً من أهل العلم وكيله، وربما تجد في البلد الواحد الكثير من الأشخاص عندهم وكالات منه، طبعاً مع حفظ المستويات. ونادراً ما تشاهد مكاناً في العالم ليس للإمام الشيرازي (رحمه الله) أو لتلاميذه أو لوكالاته فيه وجود.

وأما سبب التوسعة في الوكالات فلأنه كان يرى الوكالة طريق إلى ترويح الشريعة، فالهداية - والتي هي من مسؤولياته - تتوقف على نشر الوكلاء بكثرة، فإن كل وكيل شمعة مضيئة في تلك المنطقة، - كل بنسبته وحسبه -، فلا شك أن وجوده أفضل للناس.

نعم كان البعض يُشكل عليه بأن المستوى العلمي لبعض الوكلاء ضعيف، أو أن البعض مستواه الإداري ضعيف، وهو كلام صحيح بالنسبة؛ لأن التوسعة في الوكلاء والوكالات تستلزم هذا النوع من المشاكل والسلبيات، لكنه كان ينظر إلى الأمر من باب التزاحم في معادلة الأهم والمهم، فكان يرى أن الأهم هو إعطاء الوكالة وتحمل بعض الأضرار التي تنشأ منها؛ لأننا إذا لم نكثر الوكلاء في المجتمع المسلم وغير المسلم معناه أن المجتمع يبقى بلا قيادة، ويبقى بلا توجيه، فلا شك أن بعض التوجيه أفضل من عدمه، وبعض الإصلاح أفضل من عدمه.

وقلما تجد مرجعاً له هذا العدد من الوكلاء كالإمام الشيرازي (رحمه الله)، حتى أن وكلاءه ربما بلغوا الآلاف، على اختلاف مستوياتهم ودرجات وكالاتهم وأدوارهم.

نعم بعض الوكلاء كانوا رموزاً، ويعتبرون من الرعيل الأول من وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله)، وكثير منهم كان يجسد أفكاره وتوجهاته.

ولا شك أن للإمام الراحل (رحمه الله) السهم الكبير في هذا التحرك العالمي الحاصل الآن في النهضة الشيعية في العالم، وله سهم كبير في صعود وضمود النواب الشيعة في مجالس الأمة، أو الوزارات، أو الحكومات في بعض البلاد. هذا في الوقت الذي كان الشيعي هو الضحية دائماً، وليس له أي شيء، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) صنع للشيعة وجوداً حقيقياً في حياة الأمة الإسلامية اليوم.

وعندما كان مقيماً في دولة الكويت وبجهداته الحثيثة أصبح للشيعة ثلاثة عشر نائباً في مجلس الأمة، وكانت القضية بالنسبة إلى العالم الشيعي والإسلامي قضية نادرة، فالحكومات كانت تعادي الوضع الشيعي، ولا تثق بإعطاء بعض الصلاحيات السياسية أو الإدارية للشيعة، وهكذا الحال نفسه في أفغانستان، والهند وباكستان وكشمير والعراق وغير ذلك من البلدان.

وقد اعتمد في نشر مرجعيته وأفكاره على البنى التحتية للمجتمع المسلم، فإن البنى التحتية للمرجعية تقوم على عدة عوامل، منها: الوكلاء، فبعض الوكلاء يمثلون توجهاته الإصلاحية، وبعضهم يمثل توجهاته في بناء المؤسسات، وبعضهم يمثلون الثقل الفكري والعلمي.

مؤلفات المدرسة الشيرازية

ربما في عام (1994 أو 1995م) قاموا بإحصاء مجموع ما كتب في مدرسة الإمام الشيرازي (رحمه الله) من كتب نهضوية وتوعوية في العالم الإسلامي، وهذه الإحصائية ربما كانت الأولى، فكان العدد خمسة آلاف عنوان من كتبه أو كتب تلاميذه. أما إذا أردنا جمعها في هذه السنة - عام 1428هـ - المصادف 2007 م - لا شك أن هذا العدد قد تصاعد كثيراً، فأى مدرسة علمية، تمكنت أن تنجز هذا الإنجاز؟!

ولا نستطيع القول إن شخصاً واحداً تمكن من تمثيل شخصية السيد الراحل (رحمه الله) بكل أبعادها ومميزاتها، فهو وجود نادر، وتمثيله صعب، ولا أبلغ في ذلك، وقد ذكرت سابقاً أن ما تفرق في الآخرين من الكمالات اجتمعت فيه، فهو شخصية فذة، ونادرة في الحقيقة، واهتماماته كثيرة وواسعة، ولم يستطع

وكيل أن يمثل كل توجهاته وكل شخصيته، لكننا - وبشكل عام - نستطيع القول إن كل مجموعة من الوكلاء مثَّلت بُعداً من أبعاد شخصية السيد الراحل (رحمه الله)، فبعضهم في جانب المؤسسات والبعض الآخر في بُعد الخطابة والمحاضرات التوجيهية، وبعضهم في الجانب العلمي وبعضهم في الجانب التربوي، وبعضهم في الجانب الحضاري والإصلاحي وهكذا.

جماهير المقلدين

* سماحة الشيخ، هل يمكنكم أن تحدثونا عن عدد مقلدي الإمام الراحل (رحمه الله)؟

* وما هي النشاطات التي كانوا يمارسونها؟

* وهل لديهم مؤسسات معينة؟

* وما هي القوميات التي ينحدرون منها؟ وكيف كان ارتباطهم وعلاقتهم بالإمام الراحل؟

- حصر عدد المقلدين وتشخيصه صعب جداً، ولكن في الحقيقة أن مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) كانت مرجعية عالمية، فله مقلدون في كل العالم الإسلامي، في أي مكان يوجد تقليد ومقلد، وقد تختلف نسبة هؤلاء المقلدين بالنسبة لبقية المراجع الأعلام من حيث السعة والصيق، ففي أفغانستان، كان أقوى مرجع فيها، وفي الخليج ربما كانت مرجعيته المرجعية الثانية، وفي الكويت ربما كان هو الأول مثلاً.

أما في العراق فبسبب الظروف السياسية التي مرَّ بها، حيث كان مُحارباً شخصه وفكره، بل كل ما يمتُّ إليه بصلة ويرتبط به، فكانت النسبة أقل، لكن في بلاد الشام له مقلدون بنسبة جيدة، وفي الهند وباكستان له نسبة جيدة من

المقلدين، وفي أفريقيا عنده نسبة لا بأس بها، وفي أوروبا عنده نسبة جيدة، فهو ليس مرجعاً منحصرأ في بلد، أو إقليم أو قومية أو لغة، وإنما له أتباع ومقلدون من كل القوميات، فالأتراك مثلاً في إيران كان منهم نسبة كبيرة يقلدونه مع أنهم ليسوا بعرب، فقد كانت مرجعيته عالمية أممية، وهذا ما كنا نلمسه جيداً من خلال مراجعة الناس له، ومن خلال الاستفتاءات التي تصل إليه، وكذلك رسالته العملية التي طبعت بعدة لغات، العربية والانجليزية والتركية والاوردية والفارسية وغيرها. ولا شك أن مرجعيته من المرجعيات العامة الشاملة التي كانت منتشرة في كل أصقاع الأرض.

ارتباط المرجع بمقلديه

* كيف كان ارتباط الإمام الراحل (رحمه الله) بمقلديه؟

* وكيف كان ارتباطهم به؟

- لم يكن الإمام الراحل (رحمه الله) يضع أو يصنع حواجز بينه وبين الناس، وهذه نقطة امتياز كبيرة جداً - فإن غالب الشخصيات المهمة تحول الحواجز بينهم وبين عموم الناس - فكان يستقبلك في أي وقت كنت تدخل عليه، ومهما يكن مستوى الشخص الزائر له والداخل عليه، سواء أكان من البسطاء أم من المهمين أم من الأثرياء، فسهولة يمكنه أن يصل إليه ويلتقي به شخصياً.

لم يكن يضع حاجزاً بينه وبين الناس؛ لذلك حصل على محبة خاصة بينهم، وهذه من العلامات المميزة في علاقاته، فهو بمقدار ما ابتلي بخصوم ألداء - كما تكلمت عنه في كلام سابق - حصل على محبين أوفياء جداً، فمحبه محب شديد، ومبغضه - مبغضه شديد، مُحبوه تحمّلوا الكثير لأجل الإيمان

به، فمنهم من تعرض للسجون والتشريد والتهجير والقتل والفقير والجوع وغير ذلك.

ارجعوا إلى الجماعة الذين كانوا يقلدونه ويرتبطون به، وانظروا ماذا كان يحصل لهم؟ وماذا كانت حياتهم؟ إنه لم يرض لمرجعيتيه الراحة، بل اعتمد على الجهاد، فليس أمام الذي يتبعه إلا الجهاد، دون أي شيء آخر، فقد حارب ثلاثة أنظمة كبرى في المنطقة، وحارب الاستعمار بأشكاله، وكان عنده ممارسات ونشاطات لتغيير الوضع الدولي بشكل عا، وهذا أمر كبير، ومن الطبيعي أن أتباعه ومقلديه في أي مكان يعيشون فيه يكونون محاربين، فلا تقبل بهم تلك الأنظمة.

وفي نفس الوقت نرى أنه عندما توفي، لم يكن يملك شبراً من الأرض، بل مات مديوناً ديناً كبيراً، وكذلك الحال مع بعض أولاده الكرام حيث يجري نفس الشيء، وكذلك بعض تلاميذه، فلا تجد تلاميذه الملتزمين بفكره ومنهجه بلا نشاط، بل قد لا تجد فيهم الثري الذي يرفل بالمال، وحتى الثري فيهم ترى عنده مؤسسة يخدم فيها الأيتام، أو يخدم فيها المجتمع، فلا يوجد ما يعتبرونه منافع شخصية لهم أو لأولادهم أو لأتباعهم، وهذه قضية مهمة، فلذلك لا يملك المقلد إلا أن يحبه حباً كبيراً.

وكثيراً من هؤلاء المقلدين قدموا لأجله تضحيات كبيرة، - بسبب الضغوطات التي تمارسها بعض الحكومات عليه وبعض الجهات المنافسة له، وهذا حصل بالفعل كثيراً، فعلى الرغم من الخوف والإرهاب، ما تخلى عنه أصحابه، وبقي قوياً، وبقي متماسكاً إلى آخر فترة من عمره الشريف، والسر في ذلك هو أسلوبه في العمل، حيث يُشعر الإنسان إذا كان صغيراً بأنه والده في الحقيقة، لا مرجعه فحسب، فيأخذ منه العطف والمحبة والحنان والفكر والتوجيه والهداية أكثر

مما يأخذ من أبيه، فكيف بالشخص الذي هو وأمه وأبوه ينهلون من هذا النمير العذب، وهذه حالة قلماً تجدها في شخصية كبيرة مثله، وقد شاهدت أناساً صغاراً في السن يدخلون عليه فيقوم لهم إجلالاً واحتراماً ويحدثهم ويمازحهم، ويهدي لهم الكتب وما أشبه.

أنت وابنه سواء

فالعلاقة بينه وبين مقلديه والناس الآخرين علاقة حب في الحقيقة، فالسيد الراحل (رحمه الله) كان يعشق الناس ويحبهم بكامل إخلاصه، ولا يحبهم لأجل مصلحة، بل يحبهم

لأجل أنهم بشر، لأجل أنهم مؤمنون، لأجل أنهم أصدقاء، وقد لا تجد أنه يفرق بينك وبين ابنه، فأنت وابنه سواء، فلا يشعر بالفرق، ولعل الفرق في قلبه موجود لكنه لا يشعر به، خصوصاً لمن عاشه عن قرب، فقد عايشته أكثر مما عايشه بعض أقربائه وربما أولاده، فقد عايشته فكراً وعايشته روحاً وعايشته سيرةً، ويمكن بعض أولاده كانوا بعيدين عنه وغير موجودين بقربه بسبب بعض الظروف التي ألجأتهم إلى الهجرة، وربما بعضهم كانوا صغاراً في السن.

الصورة



فعندما تتعامل معه - سواء أكنت مقلداً عادياً أم وكيلاً، أم في أي مستوى من المستويات - لا تشعر بأن بينك وبينه أي حاجز أو فرق، وهذه صفة مهمة،

وهي من الأشياء التي أخذها من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان رحيماً عطوفاً دائماً، ففي أي وقت تدخل عليه يستقبلك بكل رحابة صدر، وقد قال سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) (1).

وكما ابتلي بخصوم ألداء، كسب أصدقاء أشداء، أشداء في حبه وفي أتباعه، وتعرضوا إلى كثير من الضغوطات وما تخلوا عنه، بل يفتخرون بأنهم من أتباعه والمتأثرين بأفكاره. والحديث في هذا المقام طويل جداً.

هدية الحياة

* ما هو عدد السنوات التي عاشت فيها الإمام الراحل (رحمه الله) معاشرته قريبة جداً؟

- كانت الفترة التي عاشت فيها سماحته (رحمه الله) ما يقارب سبعة عشر عاماً من عمري، كنت فيها معه يوماً، ألتقي به أكثر مما ألتقي بأهلي، لم أكن ألتقي بهم إلا- في ساعات قليلة أمر عليهم في البيت، وعندما أكون خارج البيت أكون عند سماحته (رحمه الله)، نذهب إلى دروسنا أو تدرسينا أو محاضراتنا، ومن الدروس التي نحضرها دروسه، كانت لقاءاتنا به متواصلة، فكنا معه كالأبناء مع الأب، وكثيراً ما كان يدعونا إلى غرفته الخاصة، إلى طعام الغداء، ولكنها لم تكن دعوة غداء مجردة، بل يترتب عليها توجيه وعمل، أو بحث فكرة، أو نصيحة.

أستطيع أن أجزم بأن كل حياته كانت هادفة، ليس لديه شيء اسمه عبث أو فراغ، أو عنده شيء بلا هدف، فأني جلسة وأي مائدة وأي عمل بل أي لحظة وثانية يجب أن يكون فيها استثمار لمشروع ما، وهذه نقطة قلماً تجدها في شخص

ص: 101

مهما يكن عظيماً، إلا في المعصومين (عليهم السلام) ، فحياتهم كلها في محضر الله وفي خدمة الله، وكان كذلك!

كنت تشعر بأن حياته هي هكذا، إما ذكر أو عبادة أو موعظة أو توجيه، لا يوجد عنده شيء اسمه تسلية، أو شيء اسمه راحة، كأن يقول: الآن أريد أن أخلد إلى الراحة.. كراراً ومراراً كان يأتيه أناس وفي نهار الصيف الحار في وقت نوم القيلولة، ويطلبون لقاءه وبعضهم ربما كان إنساناً عادياً من إحدى المدن من طهران أو أصفهان أو من الخليج، فيوقفوه، فكم من الهدفية في حياته؟

لم أجده في يوم من الأيام يسحب حتى خطأً صغيراً على الورق بشكل عبثي ولا معنى له، أو بعنوان تسلية، ولم أره في يوم من الأيام يمسك مسبحة يدور حباتها بين أصابعه تسلية دون التسييح وذكر الله، وحتى عندما يجلس وحده فتراه يفكر في أمر ما أو قضية معينة.

كان ينصحن كثيراً لو ذهبنا إلى بعض المجالس رعاية للآداب والعلاقات الاجتماعية حيث كنا ندعى إليها، فيقول (رحمه الله) : إذا حضرتم أحد المجالس ووجدتم المتحدث لا يتكلم بكلام قد يكون نافعاً لكم، ولعله نافع للغير من عموم الناس، لكنه بالنسبة لكم غير نافع، حاول أن لا تجلس بدون فائدة، بل أشغل فكرك في مسألة معينة مفيدة تستغل فيها هذا الوقت الذي تقضيه، أي استثمر الوقت. أجعل في بالك رواية أو آية شريفة أو مسألة شرعية وأشغل فكرك في البحث فيها.

وكان دائماً يكرر هذا الحديث الشريف لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على مسامعنا: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(1).

اللقاء الأول بعد الفراق

* سماحة الشيخ، متى كان أول لقاء بينكم وبين الإمام الراحل (رحمه الله) ؟

* وماذا دار بينكم من حديث؟

* وما هو الانطباع الذي تولد لديكم عنه في ذلك اللقاء؟

- تكلمت سابقاً عن ولادتي وطفولتي وشطر من شبابي في مدينة كربلاء المقدسة، وبعد ذلك خرجت من العراق في عام (1980م) إلى سوريا، وذلك قبل نشوب الحرب العراقية الإيرانية بما يقارب الأسبوعين؛ إذ عندما كنت في سوريا شقَّ صدام الحرب على إيران، وباعتبار أنه كان لنا بعض الأنشطة الدينية في العراق، وفي تلك الفترة شهدت موجة كبيرة من القمع والاعتقالات الشرسة، شنتها سلطة البعث خصوصاً على أصحاب التوجهات الدينية في كربلاء المقدسة، وذلك لما لهذه المدينة من أثر كبير ومكانة عالية في الحركة العلمية الدينية؛ ولوجود أنشطة الإمام الراحل (رحمه الله) ووجود الحوزة العلمية في سوريا، كل ذلك كان يدلُّ على أن أبناء هذه المدينة مرتبطين بهذا الاتجاه، فكانوا يعتقلون بمجرد عودتهم من سوريا، وقد كان لدي مجموعة من الأصدقاء من المؤمنين الذين كنا نعمل معهم اعتقلوا، وكنت أنا تحت الرقابة حتى أتقنا الله عز وجل من الاعتقال.

فبعد مدة قضيتها في سوريا سافرت إلى طهران لنباشير العمل، وكان السيد الراحل (رحمه الله) قد وصل إلى إيران قبلنا بفترة قليلة، وكان يسكن في نفس هذا البيت (2) في مدينة قم المقدسة ولم يكن هذا البيت بهذه الكيفية وهذا الشكل

ص: 102

1- وسائل الشيعة: ج 1 ص 114 / من وصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لابي ذر رضوان الله تعالى عليه.

2- البيت الذي اجري فيه الحوار.

الذي عليه الآن، حيث جرت عليه عدة تغييرات، هذا رغم ما هو عليه الآن من بساطة في البناء والأثاث، فماذا كان من قبل؟ حيث كان أصغر من هذا، وبنائه كان قديماً.

عندما توجهنا ونحن مجموعة من الأخوة والأصدقاء ووصلنا إلى طهران، قررنا المجيء إلى مدينة قم المقدسة لنزور السيد الراحل (رحمه الله)، وكنا في ذلك الوقت في ريعان الشباب، وكان يجلس في الغرفة، وهي غرفة الاستقبال الأولى في هذا البيت، فدخلنا مع مجموعة الأصدقاء وكان جالساً في ناحية من الغرفة، وكانت محاسنه سوداء لطيفة، لم تغيرها سنوات الشيخوخة أو الكهولة، ووقفت أنا من بعيد لكي استمتع بالنظر إلى وجهه؛ لأنني فارقته وأنا في السادسة أو السابعة من العمر، وعندما التقيت به كان عمري ثمانية عشر عاماً، ولكن هيبته لم تشجعني للإقدام عليه من قرب رغم أنه كان بساماً ومرحاً جداً، وعندما يرى شخصاً يطلب منه المجيء إلى قربه، فيسأله مَنْ أنت؟ وابن مَنْ أنت؟ وماذا تعمل؟ فتراه يقيم نوعاً من العلاقة السهلة بينه وبين الشخص الذي يقدم عليه لأول مرة خاصة.

المهم بعض الأصدقاء الذين كانوا معنا - وكانوا أكبر سنّاً منا وكانوا يترددون عليه من قبل - ذهبوا وسلّموا عليه، وطلبوا منه موعداً للقاء، فاتفق (رحمه الله) معهم على موعد معين، وكان يعرف أننا قدمنا من العراق، وأن اهتمامنا ينصب على القضية العراقية، فدعانا - في ذلك الموعد المحدد - على وجبة غداء، وفي نفس الغرفة التي كان يجلس فيها، وعندما قدمنا عليه لم يجلب لنا الطعام من المطاعم الخارجية، بل كان الطعام من إعداد البيت، وكان عبارة عن أكلة الشريد المشهورة عند العراقيين والمعروفة بـ (التشريب) وتصنع بطريقة

خاصة، لكنه لم يكن يشبه الثريد المعروف بل كان من البساطة بحيث يشبه الماء، حتى إنني أذكر أن الأواني المستخدمة كانت من النحاس، ومن اللطائف أن هذا الثريد باللحم - حسب الاسم - لم يكن فيه شيء من اللحم، بل عبارة عن ماء زائداً حبة بطاطا مسلوقة.

المهم كان معمولاً بطريقة تدل على البساطة الشديدة في المأكل، وبعد تناولنا الطعام جلسنا إليه، وبدأ يتحدث إلينا حول العمل، وضرورته ضد نظام صدام الظالم، وضرورة التماسك من أجل هذا الهدف، ودعانا إلى بناء النفس وتقويتها حتى تتمكن من تحقيق الأهداف المطلوبة، كي نستطيع أن نقوم بالمهمة التي ندرنا أنفسنا لها.

كان هذا أول لقاء لي بالسيد الراحل (رحمه الله) بعد فراق طويل.

الإمام الراحل (رحمه الله) والحركة الوهابية

* كيف كان ينظر الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الحركة الوهابية؟

* وما هو برنامجها في مواجهتها؟

- اعترف الوهابيون في بعض نشراتهم - على ما أذكر جريدة (المسلمون) وهي جريدة سعودية، وكان التيار الوهابي له تأثير كبير عليها - : (إن أخطر شخصية علينا من الناحية المذهبية والدينية هو السيد محمد الشيرازي، وهو يشكل تهديداً حقيقياً للحركة الوهابية).

والحديث قديم جداً، لا أذكره بالنص ولكنه بهذا المضمون، فإن السيد الراحل (رحمه الله) منذ أن كان في العراق تحرك ضد النشاط الوهابي الهدام شخصياً، ومن ضمن هذه الحركة كتابته لمجموعة من الكتب، والكراريس الصغيرة، لصد

الدعاية الوهابية ضد الشيعة، وكانت هذه الكرايس تحمل عناوين:

- من هم الشيعة؟ (1) - أعراف الشيعة (2). - قضية الشيعة (3).

- هكذا الشيعة. - قصة الشيعة. - واقع الشيعة.

- مقالة الشيعة. - الشيعة والشريعة. - أفكار الشيعة.

- نظرة الشيعة. - نهج الشيعة.

وغير ذلك من عناوين التي تتضمن توضيحات أولية عن الشيعة وعن التشيع.

في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، وعندما بدأت تنشط الحركة الوهابية بسبب اكتشاف النفط في منطقة الخليج، وقيامها وبدعم من أموال النفط الهائلة بمد نشاطها إلى خارج الحدود السعودية، بدأ الإمام الراحل (رحمه الله) بهذا التحرك التوعوي، وكذلك المرحوم الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله)، وبتنسيق وتوجيه منه، طلب منه أن يتحرك لإعادة بناء مراقد أئمة البقيع (عليهم السلام) وكادت الجهود أن تثمر وتنجح لولا اغتيال السيد حسن (رحمه الله) على أيدي عملاء لمصالح صدام وغيره.

والملاحظ أن مدرسة السيد الراحل (رحمه الله)، سواء شخصه أم تلاميذه أم

ص: 105

1- من تأليفات سماحته في كربلاء المقدسة/ وهو تعريف موجز وشامل حول الشيعة والتشيع ويشتمل على بعض الدلائل من كتب السنة على حقانية الشيعة.

2- من تأليفات سماحته في كربلاء المقدسة/ وهو تعريف موجز وشامل عن حياة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وتعريف عام للشيعة والتشيع.

3- من تأليفات سماحته في كربلاء المقدسة/ وهو تعريف موجز وشامل حول الشيعة والتشيع وبعض كلمات أئمة أهل السنة في مدح أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

الخطباء التابعين له أم المتعاونين معهم، دائماً في حالة صد للمد الوهابي والموجة الوهابية سواء في العراق، أم في أي مكان آخر يكونون فيه، وهذا أمر حاصل حتى في الوقت الحاضر من خلال الأسلوب الإعلامي الجديد الذي توجه إليه الشيعة على مستوى الفضائيات ومواقع الانترنت، والمدارس والمبلغين.

فقناة الأنوار الفضائية أول قناة تأسست وأخذت تتحدث باسم الشيعة بكل صراحة وبكل شجاعة، ومن خلال متابعتي لبعض القنوات الشيعية كان بعض الإعلاميين يتخرجون من طرح التشيع، يتخرجون من طرح أسماء أئمة الشيعة أو يتحدث عن سيرتهم حتى في المناسبات المهمة، حتى إن أحد المسؤولين بإحدى القنوات الشيعية التي تأسست بعد سقوط نظام صدام، قال: نحن كنا نتخرج من أن نطرح التشيع في الإعلام، أو نبث فكر أهل البيت (عليهم السلام) في قناتنا، لكننا تشجعنا عندما رأينا قناة الأنوار، فأصبحت لدينا الشجاعة الكافية لذلك.

وهناك قناة أخرى مدعومة من قبل دولة مهمة كانت تحجم وتتحرج من طرح اسم التشيع وفكر أهل البيت (عليهم السلام) علناً، لكنهم تأثروا بقناة الأنوار حينما أقدمت بشجاعة وثقة وأعلنت عن نهج أهل البيت (عليهم السلام) وبكل صراحة وشفافية، وطرحت الفكر الشيعي على الملأ، ورأوا أن العالم استقبل هذا الفكر لأنه فكر صحيح، وفكر حق وهداية ونور، وبادروا - القائمين على تلك القناة - إلى تغيير اسم القناة، وبدأوا وبشجاعة يطرحون فكر الشيعة.

وهناك قناة أخرى كنت أشاهدها، وكانت تمثل طائفة كبيرة من الشيعة المتدينين، كانوا لا يسلطون الضوء على الفكر الشيعي حتى لاحظت أنه اتصل متصل بأحد البرامج التي تبث مباشرة في أيام عاشوراء فسألهم عن الإمام الحسين (عليه السلام)، فما كان من مقدم البرنامج إلا أن غيّر الكلام بشكل حتى لا يركز

كثيراً تخرجاً من قضية الإمام الحسين (عليه السلام) لمصالح سياسية أو اجتماعية!!

العديد من المدارس الأخرى لم يكن عندها هذه الشجاعة والثقة بالنفس في الطرح للتشيع كما هو الحال في مدرسة السيد (رحمه الله) ، وهذه حقيقة وأمانة يلزم أن تقال للتأريخ وحفظ الحقائق، وهو أمر لا مبالغة فيه.

ويلاحظ ذلك في كتبه، ففي أي كتاب من أبسط الأفكار إلى أعمقها، تجده لا يطرحها إلا وفيها رواية عن الأئمة (عليهم السلام) ، أو يأتي على ذكر سيرة من سير الأئمة (عليهم السلام) ، وفيها مطالبة بحقوق الشيعة ورفع الظلمة عنهم.

كان للسيد (رحمه الله) هذه القدرة على مكافحة المد الوهابي، وهي تبتدئ من تقوية المدرسة، ثم المسجد ثم تأسيس فضائية - بل فضائيات - ثم إصدار النشرات وقد اصدر اتباعه المجلات، والنشرات باسم أهل البيت (عليهم السلام) .

هذا بالإضافة إلى أنه شخصياً كتب الكتب والكتيبات وألقى الكثير من المحاضرات والخطب بهذا الاتجاه، وكذلك سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) (1) كتب كتاب (حقائق عن الشيعة) (2) وهو كتاب

ص: 107

1- آية الله العظمى السيد صادق بن مهدي بن حبيب الله الحسيني الشيرازي. هو ثالث أبناء المرجع السيد مهدي بن حبيب الله الشيرازي. تصدى للمرجعية الدينية بعد وفاة شقيقه الأكبر سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي سنة 2001. وقد بدأ سماحته بتدريس الخارج فقهاً وأصولاً منذ أربعين عاماً وذلك من الكويت عام 1398 هـ- ولا زال مستمراً في قم بالتدريس ويحضره الكثير من العلماء والفضلاء. ألف سماحة السيد عدداً من الكتب المختلفة في الفقه والأصول والتاريخ والثقافة الإسلامية العامة.

2- حوار عقائدي تناول فيه المؤلف عدة مباحث عقائدية، منها: السجود على التربة، بناء القبور، تزيين المشاهد، تقبيل الأضرحة، التوسل بأولياء الله وغير ذلك، ألف سماحته الكتاب في كربلاء المقدسة، وقد طبع مراراً في بلاد متعددة.

للتوجيه والتعريف بشيعة أهل البيت (عليهم السلام) .

كان البعض يسجل عدداً من الاشكاليات على كتب السيد الراحل (رحمه الله) ، فيما يتعلق بلغتها السهلة والبسيطة، بدعوى أنه كيف يقوم بكتابة هذه الكتب سهلة اللغة والطرح، والبسيطة في الفكرة والتوضيح مع أنه مرجع تقليدي؟

لكن لا يخفى أن هذا النوع من الكتابة كان تحركاً مدروساً من قبل سماحة السيد (رحمه الله) ، فمن أهداف هذا المنهج أنه موجه لشريحة من المجتمع، وهؤلاء المعترضون لم يدركوا فكرته وأهدافها وبعدها في المستقبل، ولم يكن هذا العمل - إصدار هذه الكتب المتسلسلة - عملاً صغيراً، بل عمل كبير! وله نوافذه الكثيرة في مواجهة الضلالات والخرافات التي تدعو إليها الوهابية وغيرها من دعوات الضلال، فكانت عنده خطة واسعة تبتدئ من المسجد والمدرسة إلى العمل السياسي والهيئة السياسية، وإلى الحركة الإعلامية التي بدأت - الآن - تظهر آثارها.

فقناة الأنوار الفضائية هي واحدة من نتائج أفكار السيد الراحل (رحمه الله) وجهوده، وليست حصيلة الوضع القائم كما يتوهم البعض، فهذا الزخم في الأفكار، وهذا التطوير في الأفراد والتراكم من التحريك والتفعيل، أنتج مجموعة من النتائج في هذا الزمان، وهي الثمار المتمثلة بقناة الأنوار، والمؤسسات الموجودة في كل مكان والمدارس والمعاهد وغيرها، فإن وكلاءه وأصحابه الآن يديرون خمس فضائيات شيعية⁽¹⁾، ولدى مجموعة من رموز مدرسته مواقع على

ص: 108

1- هذا العدد من الفضائيات في زمن الحوار، ولكن الآن أي عام 1437 هـ. ق فقد تجاوزت عدد الفضائيات المرتبطة بخط السيد الشيرازي 16 فضائية، منها الأنوار والزهراء والمهدي والإمام الحسين والشعائر، وهي بلغات متعددة العربية والفارسية والإنكليزية والأردية.

الانترنت، وهي مواقع مهمة وتقوم بدور فعال في الدفاع عن العقيدة وهداية الناس⁽¹⁾، حتى اتهمت المدرسة بالتشدد كثيراً في موضوع العقيدة والتمسك بالولاية لأهل البيت (عليهم السلام) لما يشاهدونه من جهودهم وجهادهم، وإحياء ذكرهم (عليهم السلام)، فقلما ترى مرجعاً للتقليد يلبس السواد على الإمام الحسين (عليه السلام) لمدة شهرين، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) كان يلبس السواد على مصاب الإمام الحسين (عليه السلام) ولشهرين متواصلين، وعلى مصائب أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً ويتعدى هذا من الأمور المظهرية إلى الأمور الجوهرية.

فمن الطبيعي أن يكون هذا المنهج يتحرك في منطقة الخطر والخطوط الحمراء في مواجهة الفكر الوهابي وغيره من أفكار الضلالة، وما كان الوهابيون يستصغرون هذا العمل، بل يؤمنون بأنه وطلابه ووكلاءه الذين هم في احتكاك مع المجتمع السني من أقوى الجماعات التي لها السهم الأوفر في هداية الكثير من أهل السنة إلى المذهب الحق مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا أمر يشيد له الكثير من الساكنين في أوروبا وسوريا ولبنان وإفريقيا وغيرها من البلدان.

ص: 109

1- تشكلت هذه المواقع بلغات متعددة بلغت 20 لغة، منها: - موقع الإمام الشرازي الراحل (ALSHIRAZI.COM). - موقع مؤسسة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تعنى بنشر أخبار وأفكار المرجع الشيرازي (SHIRAZI.IR) - موقع النبا التي تعنى بنشر الفكر الإسلامي الحضاري (ANNABAA.ORG). - موقع مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية (SHIRAZIONLINE.ORG). - موقع منظمة الشيعة رايس ووتش، التي تعنى بالدفاع عن حقوق الشيعة عالمياً: (SHIRIGHTSWATCH.ORG). - موقع التقى الثقافية التي تعنى بنشر آثار آية الله السيد مرتضى الشيرازي (MALSHIRAZI.COM). - وعشرات المواقع الأخرى.

هذه قضايا يجب أن تحفظ، ولكن مع الأسف في ذلك الزمن لم يكن هناك نشاط توثيق وأرشفة لهذه النشاطات، ولو وثقت - لوجدنا أن الكثير من الناس صاروا شيعة بفكره وتوجيهه وحركته، وتم إنقاذ عشرات الآلاف من الناس من الفكر الوهابي، ومن ضلالات الوهابية، والآن - خلال العشر سنوات الأخيرة - بدأت تظهر بعض ثمارها، حيث تحول الكثير إلى الشيع وأصبحوا من دعائه.

وعلى كل حال هذا يحتاج إلى دراسة مفصلة، وسيتبين أن السيد الراحل (رحمه الله) من أكثر المرجعيات الدينية التي تصدّت إلى الوهابية وضلالاتها.

الشعائر الحسينية

وبما أن بعض المنهزمين - ومع الأسف - يتصورون أن الإصرار على فكر أهل البيت (عليهم السلام) وتركيز هذا الفكر في المجتمع يعتبر نقيصة وعيباً في المجتمع، خصوصاً فيما يتعلق بالشعائر الحسينية، فبعض المنهزمين يقولون: إن هذه الشعائر توجب استهزاء الناس بنا، وتوجب السخرية وما أشبه، وبعض من الذين يدعون التحضّر والتطور يرون أن هذه - الشعائر الحسينية - تتنافى مع الحضارة، وكأن الحضارة والتحضر توجب على الإنسان التخلي عن أفكاره معتقده، أو عن أصلاته ودينه، لأجل ذلك كله، سئل السيد الراحل (رحمه الله) في استفتاء حول إقامة مراسم العزاء، والشعائر الحسينية⁽¹⁾ على سيد الشهداء (عليه السلام)

ص: 110

1- الشعائر الحسينية هي شعائر دينية يمارسها المسلمون الشيعة لاستذكار معركة كربلاء ومقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وغالباً ما تشط ممارسة هذه الشعائر في شهري محرم وصفر حسب التقويم الهجري وبالأخص في يوم عاشوراء ويوم الأربعاء. ومن الشعائر الحسينية المشهورة: الخطابة الحسينية، التطبير، اللطم، الزنجيل، المشي على الجمر وغيرها من الشعائر المقدسة.

أو أنه إذا استوجبت ضعف التشيع وضعف المذهب أو جلبت استهزاء الناس بنا هل مع ذلك تقني باستحبابها، أم لا؟

فأجاب: الشعائر الحسينية مستحبة، واستهزاء الناس بها لا يوجب رفع اليد عن الأحكام الشرعية، وقد دخل الملايين - بهذا التعبير - في الإسلام بسبب هذه الشعائر الحسينية.

وإذا تتبعتم محاضراته ترون أن لديه قصصاً كثيرة في مجال نقاط قوة التشيع التي لا شك أن الشعائر الحسينية هي واحدة منها، بل من أقواها، وهذا فلولا الشعائر الحسينية لكانت الوهابية قد غزت العالم إما بالمال أو بالدعاية، أي بالترغيب والترهيب، لكن التركيز على شعائر الإمام الحسين (عليه السلام) وتقوية المجالس الحسينية التي لمدرسة الإمام الشيرازي (رحمه الله) القدم الأول في هذا المجال - وهذا معروف والكل يشهد بهذا، بعضهم يشهد به مدحاً، وبعضهم قدحاً - ولولا هذا التوجه ما صار سوراً وحجاباً يصد الضلالات الوهابية عن المجتمع المسلم،، فالشعائر الحسينية هي التي مسكت المجتمع الشيعي، وفي الأيام التي عشنا فيها في سوريا، كنا نلمس في أيام عاشوراء كيف تؤثر الشعائر الحسينية في المجتمع السني، وتجذب الكثير من الناس إلى الإيمان بالتشيع.

ص: 111

الإمام الشيرازي (رحمه الله) والقضية العراقية

* ما هي رؤية الإمام الراحل (رحمه الله) حول (القضية العراقية)(1)؟

* وكيف كان يعمل لعلاج الأزمة وخلص المؤمنين من نظام البعث؟

* وكيف يلزم أن يكون نظام الحكم هناك بعد التغيير وفق رؤيته؟

- هذا سؤال مهم جداً وفيه محاور كثيرة للكلام حوله.

بالنسبة إلى مواقف الإمام الراحل (قدس سره) حول القضية العراقية وتصوراتهِ حول ماضي العراق ومستقبله حديث طويل، ولكن الآن نحن بدأنا نشعر بأن بعض النتائج التي وصل إليها الوضع السياسي في العراق كانت من توقعاته قبل عشرين أو خمس وعشرين سنة.

ففي يوم من الأيام كان الوضع مأساوياً في العراق كما هو الآن، لأن مأساوِيته التي يعيشها في الوقت الحالي هي ثمار لتلك المأساة التي كانت في زمان حزب البعث(2)، وكانت المسألة تكاد تكون محبطة، والناس متشائمون إلى أبعد حد

ص: 112

1- وهي التسمية التي عرفت بها في الاوساط السياسية قبل العام 2003.

2- هو تنظيم قطر العراق لحزب البعث العربي الاشتراكي. ترجع بداياته إلى أوائل الخمسينات وقد شارك الحزب في أول حكومة بعد يوليو 1958. وصل إلى الحكم لأول مرة بعد حركة 8 شباط 1963 التي قام بها صحبة ضباط بعثيين. أقصاه عبد السلام عارف عن الحكم في 18 تشرين الثاني من نفس العام. عاد الحزب إلى الحكم بعد انقلاب 17 تموز 1968. حلت سلطات الاحتلال الأمريكي الحزب وحظرته بعد عام 2003.

تجاه الوضع في العراق، والسؤال الذي كان على كل لسان هو: إلى أين ينتهي الوضع؟ وكيف يمكن القضاء على هذا النظام الظالم السفّك الوحشي الذي خرج عن حدود الظلم إلى منتهى الوحشية بكل معنى الكلمة؟!

كانت هناك تصورات كثيرة، الدول العظمى لها تصورات، والدول الإقليمية لها تصورات أخرى، ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) كان من دأبه التنبيه على مأساوية الوضع العراقي، وتأكيده على هذا الشكل من المأساة حتى في حواراته الخاصة ولقاءاته، وفي محاضراته دائماً كان يوصي الأصدقاء بعدم النظر في الأمور إلى هوامشها أو إلى ظواهرها فقط، وإنما كان يدعو إلى النظر إلى الجذور العميقة والبنى التحتية والأصول الأساسية لكل مشكلة كانت تطرأ ولكل قضية تحدث، وكان له بالنسبة إلى إنقاذ العراق من ظلم حزب البعث إستراتيجية مبنية على خمسة محاور، وهي:

المحور الأول: العشائر

لقد كان يرى بأن العشائر العراقية هي محور مهم جداً في المجتمع العراقي، وقوة هائلة لا يمكن الاستغناء عنها، وفي كثير من الأحيان كان (رحمه الله) يقول: إن البعثيين إنما سيطروا على الوضع بالعراق بعد أن نزعوا السلاح من أيدي العشائر.

الصورة

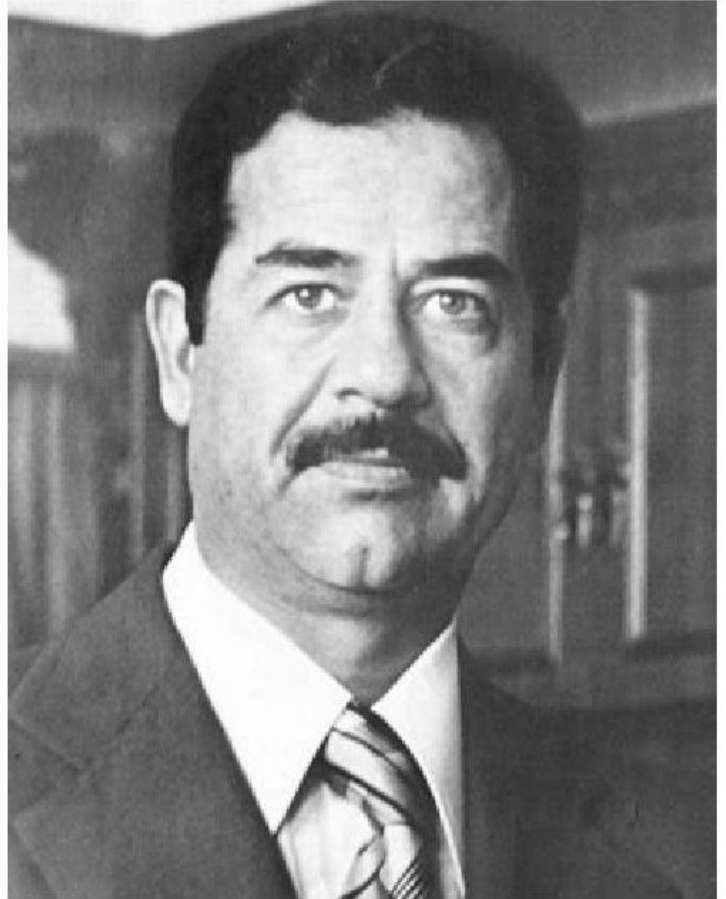


فالعشائر قوة جماهيرية كبيرة، وفيهم

الأكارم والخيرون، وقدر كبير من التدين والالتزام، واحترام المرجعية الدينية، فحزب البعث وضمن سيناريو معين وضمن تكتيك خبيث خدع الناس، وأخذ السلاح من أيدي العشائر العراقية، ثم تسلل إلى وسط هذه العشائر ونظّم بعض رؤسائها وأبنائها فجمّد هذه الطاقة الكبرى، ثم سخر بعضها لخدمته. وكان يرى بأن إنقاذ العراق من جحيم صدام(1) ومنّ حوله من الأزمات، يجب أن يعتمد على عدة محاور منها العشائر.

وفي الحرب العراقية الإيرانية قدم الإمام الراحل (رحمه الله) مقترحاً إلى المتصدين للحرب في إيران.

الصورة



وكانت الفكرة عند بعض القادة الإيرانيين في الحرب هي مواجهة صدام جيشاً

ص: 114

1- صدام حسين عبد المجيد التكريتي الذي ينتمي إلى عشيرة البيجات، هو رابع رئيس لجمهورية العراق في الفترة ما بين عام 1979م وحتى 9 أبريل عام 2003م، وخامس حاكم جمهوري للجمهورية العراقية. ونائب رئيس الجمهورية العراقية بين 1975 و1979. وصل صدام إلى رأس السلطة في العراق حيث أصبح رئيساً للعراق عام 1979م بعد أن قام بحملة لتصفية معارضيه وخصومه في داخل حزب البعث. وفي عام 1980م دخل صدام حرباً مع إيران استمرت 8 سنوات من 22 سبتمبر عام 1980م حتى 8 أغسطس عام 1988م. وقبل أن تمر الذكرى الثانية لانتها الحرب مع إيران غزا صدام الكويت في 2 أغسطس عام 1990. والتي أدت إلى نشوب حرب الخليج الثانية عام 1991م. ظل العراق بعدها محاصراً دولياً حتى عام 2003م حيث احتلت القوات الأمريكية كامل أراضي الجمهورية العراقية قبض عليه في 13 ديسمبر عام 2003م في عملية سميت بالفجر الأحمر.. تم بعدها محاكمته بسبب الجرائم التي ارتكبتها وتم تنفيذ حكم الإعدام عليه في 31 ديسمبر عام 2006م.

بجيش، وتحطيم صدام من خلال تحطيم قوته العسكرية، ولذلك استمرت الحرب ثماني سنوات، فعلى كافة الجبهات كانت الحرب مستمرة ومستعرة، لكن كانت للسيد الراحل (رحمه الله) - وفي الشهور الأولى من الحرب - فكرة في كيفية مواجهة هذا النظام، فقد كان يشترك مع البقية في نقطة واحدة وهي أنه لا بد من إزالة صدام وإسقاطه، ويختلف معهم في كيفية الإسقاط وآلية المواجهة.

فقد كانت خطته من ثلاثة محاور لإسقاط صدام عن طريق الحرب المدعومة بسيناريو كبير، أي رسم تصوراً ووضع خطة ثلاثية، وقدمها إلى كبار أصحاب القرار في إيران، وكان مستعداً لتنفيذها، فيسقط صدام من الحكم خلال ستة أشهر.

وهذه الخطة كانت مبنية على أساس ثلاثي، وهي:

الأول: الحرب العسكرية

وهي إشغال الماكنة العسكرية العراقية، وكانت ماكنة كبيرة جداً وهائلة عن طريق جيش بجيش.

هذه النقطة مهمة جداً، فإشغال الجيش كان أمراً ضرورياً، وذلك لأن السلطة وكبار قادة الجيش هم من البعثيين، وطوع أمر صدام، ولم يكن باستطاعة أحد في الجيش - البعثي وغير البعثي - أن يتخلف عن أوامر صدام؛ لأن المقاتل في ساحة المعركة لا يستطيع رفض أمر القائد، ورفض الأمر يعني الإعدام فوراً، مع أن أكثر الجيش العراقي لم يكن مقتنعاً بالحرب حقيقة، وكثير من الانسحابات والهزائم التي أصيب بها الجيش العراقي وقعت لأن الجيش لم يكن مؤمناً بالحرب، وهذه القضية لها تفاصيل كثيرة لست بصدد بيانها، فالكثير منهم كانوا يهربون من الجبهة، فقسّم يفرون إلى إيران وقسم يفرون إلى الشمال

ص: 115

وهكذا، فالجندي العراقي كان غير مقتنع بالحرب، وغير واثق بالقيادة السياسية والعسكرية له، فكان مهزوزاً بعض الشيء.

الثاني: دعم العشائر العراقية وتسليحها

تقوية العشائر وإمدادها بالمال والسلاح لتفجير الوضع من الداخل.

والمجتمع العراقي مجتمع عشائري، من الشمال إلى الجنوب، قائم على أساس العشائر، والعشائر هي قوة حقيقية وطنية محبة لبلدها، محبة لأهلها، ولكن صدام جمدها من خلال انتزاع السلاح من أيديها، وجعل العيون عليها من المخابرات والأمن لكتفم أنفاسها؛ والغرب كان يعرف هذه القوة من خلال تجاربه الاستعمارية في العراق خلال القرن الماضي، ففي ثورة العشرين مثلاً كان للعشائر العراقية القول الفصل بإخراج البريطانيين من العراق.

وكان يقول: يلزم علينا أن نُفعل دور العشائر في العراق، ندعمها بالمال وندعمها بالسلاح، ولكن قوة العشائر كانت مجهولة بالنسبة للكثير من القادة فنبههم إليها ولكنها لم تستثمر.

الثالث: كسب الإعلام العالمي

في ذلك الوقت كان الإمام الراحل (رحمه الله) قد حدد ميزانية تقدر بملايين الدولارات للإعلام العالمي لتحريكه ليتضامن مع الشعب العراقي لإسقاط الوجه المقتنع لصدام، لأن صدام كان يتلبس بالعروبة، وبالوطنية ولكنه كان كاذباً فيجب فضحه على رؤوس الأشهاد.

فصدام لم يكن عربياً في منهجه الذي دعا له، ولا تهمة مصالح الوطن والوطنية، بل الذي يهيمه نفسه وحكمه فقط، والشواهد على ذلك كانت كثيرة، فقد كان يتلبس بالقومية العربية، لكن بالحقيقة لم يكن مؤمناً بهذا الشعار الذي

ص: 116

يرفعه كذباً وزوراً، ولذلك ضرب العرب وبكل الاتجاهات، فقد احتلّ الكويت، وضرب السعودية، وضرب سوريا، وضرب الفلسطينيين، وضرب شعب العراق، فالعالم العربي كله يئن من وطأة صدام وتعنته وطغيانه.

فالقومية العربية التي كان يرفعها حزب البعث العراقي على الرغم مما في المبدأ القومي من ملاحظات وثغرات، قضية كاذبة ليست حقيقية، والوحدة والحرية أيضاً كذلك.

كان يقول السيد الراحل (رحمه الله) : المشكلة هي أن حكومة صدام في بادئ أمره تنفق الملايين من الأموال لشراء الإعلام، بل كان يدفع الملايين.

وأنتم رأيتم في قضية كوبونات النفط وغيرها، حتى بعض نواب المجالس في الدول الأوربية التي لها بعض الديمقراطية نسبياً، أوفي العالم العربي وبعض الإعلاميين والمتقنين، كان صدام يشترهم لتجنيدهم لصالحه، ولتبييض وجهه الأسود فقد كان يعطيهم النفط والأموال، ويعطيهم كوبونات، حتى يلفقوا الحقيقة، ويشوهوا الواقع، والكثير من القنوات الفضائية تدعم موقفه، وبرامج كثيرة تُبث عنه أيضاً، وكانت تدّعي أنها من أصحاب الانفتاح (1).

فكان رأي السيد الراحل (رحمه الله) أنه يجب أن نسقط القناع المزيف لصدام في العالم، ونسقط اعتباره في العالم العربي، ونحرّك الشعب من الداخل فيطالب بحقوقه، ونضعفه من الحدود بالمشاغلة بالحرب ليستقط صدام.

هذه كانت بعض ملامح الخطة الثلاثية التي قدمها بإخلاص، ويّين لهم أسباب ودواعي هذه الخطة، وذلك لأن المجتمع العراقي غير مؤمن بصدام، ولكنه مغلوب على أمره إذ ليس بيده شيء يفعل، فلا أموال له ولا قوة ولا

ص: 117

1- استذكار من الشيخ الصفار حول الحاضر.

سلاح، فهو لاحول ولا قوة له.

والجيش العراقي - أيضاً - غير مؤمن بالحرب، فهو أيضاً يودُّ لو أنه يسقط هذا النظام حتى يتخلص من ضغطه.

ولكن القيادات الايرانية لم يستمعوا لكلامه، واستمرت الحرب لمدة ثمان سنوات راح الكثير من الضحايا خلالها، وانتهت من دون سقوط صدام.

تتهون إلى المصالحة

وقد قال السيد الراحل (رحمه الله) للقيادات الايرانية حول نتائج الحرب: تتهون إلى المصالحة.

قالوا: وما السبب في ذلك؟

قال (رحمه الله): لأسباب عديدة و منها أنه لا يوجد سابقة تاريخية لمثل ذلك، وحتى لو كانت هناك سابقة تاريخية فلا يُسمح لإيران بأن تغزو العراق، وتسقط الحكومة العراقية، لأن العالم العربي سوف يتكاتف لحماية صدام.

وفعالاً وقفت العديد من الدول العربية إلى جانب صدام، بالإضافة إلى دعم الدول الغربية بالأموال والمواقف والأسلحة، فقد دعموا نظامه بكل السبل، حتى بالمقاتلين! وفي الجبهات كان المقاتلون من المصريين و السودانيين! وحتى ملك الأردن (الملك حسين) (1) كان شخصياً قد شارك في الحرب، عندما قام هو وصدام باستعراض سحب جبل لأحد المدافع الموجهة إلى إيران، وشارك باطلاق الصواريخ وما أشبهه، وقد ظهر على شاشات التلفاز في ذلك الوقت،

ص: 118

1- الحسين بن طلال (14 نوفمبر 1935 - 7 فبراير 1999)، ملك المملكة الأردنية الهاشمية من عام 1952 حتى عام 1999.

فالعالم العربي تكاتف لحماية صدام.

من ذلك يمكن ملاحظة أن الإمام الراحل (رحمه الله) دعا إلى تقوية العشائر ودعمها منذ ذلك اليوم، والآن وبعد سقوط النظام نلاحظ الأميركيين والبريطانيين، وقوات التحالف عموماً والقوات العراقية بمختلف طوائفها أرادوا أن يواجهوا العنف والإرهاب والقاعدة(1) وفلول البعثيين، وعن طريق وزارة الداخلية ووزارة الدفاع، لكنهم لم يجدوا حلاً ناجحاً لذلك، ولكن عندما التجأوا إلى العشائر العراقية نجحوا، والعشائر في محافظة الأنبار خلال هذه المدة الأخيرة(2) استطاعت فعلاً أن تطهر الأنبار بنسبة كبيرة من وجود القاعدة، فبدأ المجتمع العشائري يتحرك، وعندها ضعف وجود القاعدة كثيراً.

فقد كانت الفكرة عند السيد الراحل (رحمه الله) قبل (25 سنة) واضحة وضوح الشمس وبقوة، والآن بدأت تظهر أكثر إلى الناس والحكومة، فقد رأوا أن هناك قوة هائلة وسط هذه الجماهير لا يمكن التغاضي عنها، فإذا روعيت حق رعايتها ستكون أحد عوامل الاستقرار والبناء في البلد.

فالمحور الأول لإنقاذ العراق من براثن صدام ونهجه كان هو محور العشائر.

المحور الثاني: هو التعددية السياسية

كان يدعو الإمام الراحل (رحمه الله) إلى التعددية السياسية، والمقصود هو

ص: 119

1- (قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين) اسم لجماعة عسكرية تصنف على أنها من أخطر الحركات الإرهابية في العالم. كان يقودها القائد (أبو مصعب الزرقاوي) في العراق الذي قتل بعد استهدافه بضربة جوية استهدفت منزله، كان يقطن به في محافظة ديالى. والجماعة تضم أفراد من مختلف الجنسيات.

2- أجري هذا الحوار في العام 2007.

التعددية الإيجابية لا- السلبية، بمعنى التعددية التي ترعى حقوق كل الطوائف والشرائح بنسبتها بالمجتمع، وأكثرية المجتمع العراقي حسب التقسيم الديموغرافي شيعة، وهناك أقلية سنية، وهناك طائفة كردية أيضاً، بعضها سنية وبعضها شيعية، فهو ومنذ ذلك الوقت كان يدعو إلى حكومة الأكثرية، ولكن ينبغي أن تعطي للأقلية حقوقها الكاملة، لأن مأساة العراق قائمة على أساس تولى الحزبية التي تقدم الأقلية على الأكثرية وتعطيها زمام الحكومة، فهضمت حقوق الأكثرية، فطبيعي عندما تكون الحكومة من الأقلية وهي تريد أن تحكم الجماهير التي تخالفها في الرأي والاتجاه، لا بد وأن يكون هناك استبداد وقمع، إذ ليس من الممكن أن يصبح هناك تفاهم وانسجام بين الحكومة التي تمثل الأقلية وتهضم حقوق أكثرية الشعب، فالحل إذاً هو أن تعطي لكل ذي حق حقه.

ولا نقول إن الأكثرية تأخذ أكثر من حقها، ولا الأقلية يهضم حقها، ولا الأكراد يهضم حقهم، بل كل طائفة من شرائح المجتمع لا بد أن تأخذ حقها بحسب نسبتها في الشعب عامة.

وهذه المسألة مسألة عقلانية، وكان يؤكد عليها السيد الراحل (رحمه الله) وهي من أولويات الحكم المتوازن، والعالم اليوم يدعي أنه لم يتوصل إلى الآن إلى صيغة وشكل حكم أفضل من الديمقراطية حسب مزاعمه، ومن أولويات المسائل الديمقراطية هو أن يكون الأكثر تمثيلاً في الشعب هو الحاكم وفي عين الوقت يعطي للآخرين حقوقهم، فكان السيد الراحل (رحمه الله) يدعو إلى هذا المبدأ بقوة، لأنه نابع من العدالة واحترام حقوق الإنسان. أما مبدأ التوافقات أو الاتفاقات ونحوها الذي يقوم على أساس القوة فلا يظن أنه سينجح في النهاية في تقدم البلد وتطويره أو بنائه، لأن الاتفاق والتوافق يحصل لمصلحة ويرتفع لمصلحة، بخلاف

الأكثرية والأقلية فإنها قائمة على الحق، والحق ثابت لا يتغير.

المحور الثالث: محور الإصلاح والنهضة

وكان يستمده الامام الراحل الراحل (رحمه الله) من الآيات الشريفة:

1- آية الحرية: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(1).

2- آية الأخوة الإسلامية: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(2).

3- آية الأمة الواحدة: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)(3).

4- آية الشورى: (وَأْمُرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)(4).

5- آية المسالمة واللاعنف: (ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً)(5).

فكان السيد الراحل (رحمه الله) ينظر إلى أبناء المجتمع على أنهم أخوة، وبالنتيجة فإبناء الإنسانية أخوة بقطع النظر عن قوميتهم ودينهم واتجاههم السياسي، وفي الوقت نفسه نحن أمة مسلمة، فيجب - إنسانياً - أن نكون متحررين.

ص: 121

1- سورة الأعراف: 157.

2- سورة الحجرات: 10.

3- سورة الانبياء: 92.

4- سورة الشورى: 38.

5- سورة البقرة: 208.

فكان يقول (رحمه الله) : إن الوضع في العالم الإسلامي وليس في العراق فقط يحتاج إلى إحياء هذه الآيات المباركة، وفي هذه المسألة العراق كموجبة جزئية من الأمة، وإلا فإنه (رحمه الله) كان يدعو إلى تطبيق هذه الآيات المذكورة في كل العالم الإسلامي، لأن منشأ المشاكل في العالم الإسلامي هو التفرقة والفنويات والتعصب الأعمى والاستبداد والذي غذى هذه المبادئ الهدامة وقواها القانون الوضعي، لأنه ميز بين العالم الإسلامي بالحدود الجغرافية بين البلدان، وميز بين المسلمين بالجنسية والإقامة، ثم ميز بين أبناء البلد الواحد بالموالي للسلطة والمخالف، في حين أن القرآن الكريم يدعو إلى الحرية والأخوة.

فهذا المحور أيضاً دعا إليه السيد الراحل (رحمه الله) وجعله من أهم محاور إنقاذ العراق في الدائرة الصغرى، والأمة الإسلامية في الدائرة الكبرى.

المحور الرابع: مسألة الشورى (شورى الفقهاء المراجع)

كان يرى السيد الراحل (رحمه الله) أن العالم الإسلامي - ومنه المجتمع العراقي - سيبقى متمزقاً إذا لم تكن هناك تنسيقات، ولم تكن هناك تفاهات وتشاور على مستوى القيادات العليا للأمة الإسلامية.

(شورى الفقهاء) هذه، ليست منحصرة في المذهب الإمامي، وإنما حتى لأبناء العامة من السنة أيضاً ينبغي أن يكون بينهم شورى، ويجب أن يكون هناك ثلاثة مجالس في الحقيقة تدير شؤون المجتمع المسلم ضمن نظام داخلي متوازن ومعقول وهي:

الأول: مجلس شورى الفقهاء الشيعة، يرى مصالح الشيعة.

الثاني: مجلس شورى الفقهاء السنة العامة من الجمهور. يرى مصالحهم.

الثالث: وهناك مجلس ثالث هو حصيلة هذين المجلسين، والذي تقرر فيه المسائل العامة، فكل مجلس يقرر لأبناء طائفته، فلو كان الناس في بادئ أمرهم وبعد سقوط النظام قد ذهبوا إلى هذا الحل، وشكلوا هذه المجالس للفقهاء على اختلاف مستوياتهم سواء فقهاء على مستوى المرجعيات، أم على مستوى الوكلاء - بأن توجد مجالس للتنسيق والتفاهم وتقريب وجهات النظر واتخاذ القرارات المشتركة - لأمكن إيجاد المزيد من الثقة والتنسيق المشترك.

ومن أكبر الظن أنه لو عمل ذلك لما وصل الوضع في العراق إلى هذا الوضع المأساوي، وإلى هذه المشاكل! لأنه - كما هو واضح - هذه هي المشكلة الأساسية في العراق، وهي التي جعلت أوضاعه تتأزم وتتفاقم أكثر، وهي انعدام الثقة بين الأطراف المختلفة، وانعدام الثقة معناه أن كل طرف من الأطراف، يفكر بأن الطرف الثاني يتآمر عليه، فيحاول أن يعرقل خططه ويعرقل مسيرته، ويحاول أن يعترض على طريقته، فصار الأكثر - للأسف الشديد - هادمين لا بنائين، وفي موقع الهدم لا في موقع البناء، في حين أننا لو كنا قد شكلنا مثل هذه المجالس التنسيقية، التحوارية لإعادة الثقة، لوحدنا المجتمع العراقي، وأطفأنا بالتالي الكثير من الفتن، وفي نفس الوقت بنينا البلد بأيدينا جميعاً، واستطعنا أن نتخذ قرارات مشتركة، وليس أحداً يسحب عرضاً والآخر طولاً.

المحور الخامس: مبدأ اللاعنف

كان السيد الراحل (رحمه الله) يدعو إلى نهج اللاعنف والسلم في كل عمل وخطة، سياسية كانت أو اجتماعية أو إدارية، وكان يدعو إلى المؤتمرات وإلى الإضرابات الجماهيرية العامة، وهذه المسألة ذكرها تفصيلاً في بيان أصدره أيام

تكون البيان الذي أصدره ذلك الوقت من خمس أو ست نقاط أساسية كحلول للوضع العراقي، مع بيانات أخرى جمعت ضمن فصول عديدة في كتاب اسمه (العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل) هذا الكتاب وثَّق الانتفاضة الشعبانية، ووثق التاريخ السياسي العراقي للماضي وللحاضر، وفيه أطروحات للمستقبل.

واجتمع على كتابته ثلثة من تلاميذ الإمام الراحل (رحمه الله)، وكتبوه خلال فترة وجيزة - خلال عشرين يوماً تقريباً - وأتذكر أن ذلك كان في شهر رمضان المبارك، فالانتفاضة كانت في شهر شعبان، وفي شهر رمضان كتب هذا الكتاب، وخلال عشرين يوماً من شهر رمضان طبع ونزل إلى الأسواق، ونفذ بسرعة، وإلى الآن ليس موجوداً، والظاهر أن بعض الأجهزة السياسية في الدول المجاورة للعراق بنت سياستها على هذا الكتاب، لأنه كتاب توثيقي، وكتاب معلوماته دقيقة، وليست مبنية على مجرد الاحتمالات، وإنما على أسس وضوابط وموازن علمية

ص: 124

1- انتفاضة 1991 في العراق أو الانتفاضة الشعبانية هي مجموعة من عدة مظاهر للاضطراب وعدم الاستقرار في مناطق جنوب وشمال العراق وقعت مباشرة بعد حرب الخليج الثانية، تسمى بالانتفاضة الشعبانية لقيامها في شهر شعبان من العام الهجري. شملت الاضطرابات قيام مواطنين عزل بمحاصرة المعسكرات والدعوة إلى إسقاط النظام، وبعد قيام القوات العراقية بعمليات قمع للمواطنين تحول الأمر إلى انتفاضة شارك فيها مسلحون وعناصر من الجيش العراقي بأسلحتها والياتها العسكرية، اندلعت الانتفاضة في أربعة عشر محافظة من أصل ثمانية عشر تعداد المحافظات التي يتكون منها العراق، أي بمعنى خروج أكثر من (77 عليهم السلام) من الشعب العراقي منتفضاً على النظام الحاكم انذاك، واستمرت الانتفاضة إلى أن تم إبادتها بتدخل عسكري وإبادة بشرية كبيرة من قبل النظام الحاكم الذي كان يرأسه صدام حسين.

دقيقة، والكتاب ترجم إلى عدة لغات منها الفارسية، واعتقد إلى اللغة الانكليزية، وفي هذا الكتاب جملة من تصورات الإمام الراحل (رحمه الله) التي طرحت هناك، ومنها هذه البيانات، والذي يريد أن يعرف تصوراته للعراق، واستراتيجيته للساحة العراقية عليه أن يقرأ كل ذلك في هذا الكتاب.

عواطف الإمام الشيرازي (رحمه الله)

* كيف كانت عواطف الإمام الراحل (رحمه الله) تجاه العراق؟

- يمكن بمقدوري أن أجزم، بأنه لا- يوجد يوماً التقيت به - وكنت التقي به كل يوم تقريباً - إلا وتحدث فيه عن العراق، وعن كيفية إنقاذه، وأحياناً في اليوم الواحد أكثر من عشر مرات يذكر هذا الشيء، وقلماً يتحدث في محاضرة من محاضراته إلا ويذكر ويسلط الضوء على الجانب العراقي وعن الوضع العراقي.

تتبع الأخبار العالمية

كان من دأبه أن يتتبع الأخبار إلى وقت متأخر من الليل، حتى قبل أن ينام يسمع أخبار العالم، وما يجري في العالم ثم ينام، وأول ما يستيقظ من نومه وبعد أداء العبادات والأذكار يفتح المذياع، ويستمع إلى الإذاعات، ففي الكثير من الأحيان تجد الخبر عنده قبل أن تديعه بعض الوكالات الخبرية، وهذه كانت من القضايا المثيرة للإعجاب، فالخبر دائماً عنده جديد، وتستغرب من أين جاء بهذه الأخبار؟! ومن أين حصل عليها؟!

نعم، كان لديه تتبع شديد للأخبار، وكان يقول (رحمه الله) : أنا بالليل أسمع المذياع قبل أن أنام لعلهم يقولون أسقط صدام، وأنام بوجاء أن أفتح المذياع

صباحاً وأسمع قد سقط صدام.

وإذا رأيت محاضراته وهو لديه كم وفير من المحاضرات، والتي يمكن أن أؤمن عددها ببضع آلاف محاضرة، وما جمع منها إلى الآن حسب ما ذكروا لي ثلاثة آلاف، لكن مجموع محاضراته قبل عشر سنوات كانت أكثر من ثلاثة آلاف، وفي الكثير منها حديث عن العراق. أما بعضها فكانت بشكل كامل عن العراق، وأما بعضها الآخر فكانت فيها إشارات فقط.

لم يكن الشيء الذي يقوله عن الساحة العراقية استعراضاً للمشاكل، وإنما كان يطرح الحلول دائماً، فهو كالطبيب الذي يشخص المرض ويصف الدواء المناسب للعلاج.

وكان من اشاراته وتوقعاته السياسية الدقيقة أنه في أيام الانتفاضة وفي الأسبوع الأول منها حيث كانت الساحة كلها متفائلة بأن هذه الانتفاضة سوف تطيح بنظام صدام وتسقطه، وتريح البلاد والعباد منه، لكن الإمام الراحل بعد أسبوع من انطلاقها تحدث عن فشلها، وهذه تعتبر أيضاً من عناصر قوته عن التنبؤات في المستقبل.

فقد زرته بعد أسبوع من الانتفاضة عصباً، فقال (رحمه الله) : اجمع الأصدقاء لدي كلام حول الانتفاضة في هذه الليلة.

وعندما جمعنا الأخوة والأصدقاء الذين كانوا موجودين والذين هم ممن يهتمهم الوضع العراقي والمستقبل العراقي، وكان التجمع في الغرفة الكبيرة التي هي الآن مكتب المرجعية، وقد كان متحمساً إلى الكلام بشكل عجيب، والساحة كانت متفائلة كثيراً، وكان من دأبه هو التفاوض والأمل، ما كان يعرف لليأس معنى في كل القضايا، وفي أسوأ الحالات الظلامية والتشاؤمية تراه يفتح لك باب

ص: 126

فرج وبصيص أمل يولده لديك.

جلس الإمام الراحل (رحمه الله) على المنبر وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، الانتفاضة في تصوري سوف تفشل.

هذا الكلام يومذاك كان عكس التيار العام كله، عكس التيار السياسي، عكس تيار الإعلام، لأن العالم نزل إلى الإطاحة بصادم، والانتفاضة كانت قائمة، وكربلاء المقدسة كانت محررة في ذلك الوقت وبأيدي المجاهدين لأن كربلاء المقدسة تقريباً ولمدة (13 إلى 17 يوماً) صارت فيها حكومة مستقلة عن بغداد.

ولكنه، قال (رحمه الله): الانتفاضة ستسقط، ستفشل!

ويبين السبب، أي كلام هذا الكلام، بحيث أنت في ذروة الأمل، ويأتي الإمام الراحل (رحمه الله) ويقول لك كلاماً هو خلاف المتوقع وعكس المأمول..!!

ولكن عندنا علم بأنه يمتلك درجة عالية من الحكمة والعمق السياسي والقدرة على تحديد الأمور بحيث يستطيع أن يقنعك في الحال بمواجهة هذا الرأي، فبدأ (رحمه الله) يحلل، فقال: إن هذه الانتفاضة ستفشل لأنها لا تحمل عوامل الانتصار، وينقصها أسباب النجاح.

شرح أسباب ذلك فقال (قدس سره): الانتفاضة ستفشل لثلاثة عوامل:

العامل الأول: فقدان القيادة؛ لأنه ليس لهذه الانتفاضة قيادة واضحة، فطبيعي أن بحراً من الجماهير النائرة ضد نظام الحكم وليس لها قيادة واضحة، ستفشل وتشتتها الأهواء والآراء.

العامل الثاني: ممارسة العنف، فإن بعض الجماهير بدأوا يمارسون العنف ضد مؤسسات الدولة، وأخذوا يقتلون بلا محاكمة، لأن البعض يرى ويشاهد

أشخاصاً بعثيين قد آذوا الناس من قبل ولا يستطيع أن يتمالك أعصابه، إما لأن هذا البعثي قد سجن والده، أو قتل أخاه، أو صادر أمواله، أو رفع عليه تقريراً أدى لإعدام أخوانه أو سجنه؛ إذ كان من دأب الصداميين إيذاء الناس وظلمهم، فيأتي أبناء هؤلاء الضحايا ولا يتحملون مشاهدة هؤلاء البعثيين، ويكون لديهم سلاح فيقتلونهم أمام الناس جهاراً نهاراً، وبعض البعثيين قتلوا في بيوتهم.

نعم، هؤلاء الذين كانوا يؤذون الناس وإن كانوا يستحقون العقوبة لكن الكلام في طريقة العقوبة، فإنها بهذا الشكل العشوائي ليست صحيحة، وطريقتها الصحيح أن يدفع إلى القضاء، والقضاء يحاسبه فيعاقبه، ولكن بعض الناس بدؤوا يمارسون العنف بالإفراط، وذلك نتيجة الضغط والقمع الذي كان متراكماً في قلوبهم، فلم يتحملوا، وكانوا يقتلون البعثيين أمام أنظار الناس.

ولا شك أن العنف يجعل البعثيين يستمتتون في الدفاع عن أنفسهم، وعن النظام الذي يحميهم؛ لأنهم يعلمون أنه سوف لا يسلم بعثي من العقاب، فلماذا لا يتمادون في فسوقهم، وأساليبهم العنيفة؟!

والناس تعلم أن العديد من البعثيين في العراق ما كانت لهم مصلحة في بقاء النظام البعثي، لأنهم أُجبروا على دخول الحزب، ولذا كانوا يكرهونه ولا يريدون استمرار حكم صدام، لأنهم هم أنفسهم كانوا منزعين من وجوده، لأن حكم صدام - في الواقع - كان مبنياً على فئة صغيرة هي عصابة صدام، والحزب والجيش وغيرهما كانا بالحقيقة أحد أجهزة أعوان صدام، وهذا فيه تحليل مُفصّل.

فاعامل العنف غير المبرر الذي مارسه بعض رجال الانتفاضة، فنَّهر الناس منهم بدلاً من أن يتعاطفوا معهم، وكان من المفروض أن يستخدموا السلم

واللا عنف، ويبدون للناس وجه الرحمة لا وجه الغضب، وأما المجرمون من البعثيين فيقدمون إلى المحاكمة العادلة حتى يبدأ الناس يمدون لهم أيديهم ويسحبونها عن حماية النظام الجائر وعن قوة النظام، فتقوى الانتفاضة ويضعف النظام، فيسقط.

العامل الثالث: التدخل الخارجي، وهو واضح حيث تدخلت بعض الدول الإقليمية فملأوا العراق بصور بعض الرموز والزعماء، وسرّبوا الكثير من الشباب لأجل استثمار الوضع المضطرب هناك، ومن الطبيعي أن أمريكا وأمثالها من القوات الدولية تفهم هذا جيداً - لأنه من أوليات الأمور - وليست مستعدة لأن تحقق أهداف دولة مجاورة أو غيرها، فهي تعمل لمصالحها، ولا - تحب أن يأتي آخرون ليستفيدوا من عملها، وهذا الشيء واضح في معادلات السياسيين، وأصحاب المصالح لا يقدمون عملاً لله وحباً للناس بل كل عمل يعملونه يريدون أن يحصدوا ثماره.

فالسياسي يفكر في المصالح والمفاسد، ولا يفكر في المبادئ، وقد قرأت تصريحاً للقائد العسكري لقوات التحالف بالكويت بعد ذلك، يقول فيه: إنه كان قرارنا الزحف إلى بغداد لإسقاط النظام، لكن عندما وجدنا أن هناك نفوذاً لبعض الدول المجاورة للعراق - وهو نفوذ سياسي - أتى لنا القرار من واشنطن بإيقاف المعركة، وعلى العكس بل فسحنا المجال لصدام باستخدام الجو لقمع الانتفاضة.

فالأمريكان أنفسهم حركوا الشعب للانتفاضة على صدام، ثم بعد ذلك هم أنفسهم فسحوا المجال للنظام بقمع الانتفاضة، ولا شك بأن أمريكا دوراً في قمع الانتفاضة في ذلك الوقت. كل ذلك كان بسبب التدخل الخارجي من دول الجوار.

فهذه العوامل الثلاثة: انعدام القيادة الموحدة والواضحة، واستخدام العنف، ونفوذ الدول المجاورة، وأيضاً سماح المنتفضين لتلك الدول، والمخترقين مخابراتياً كان له التأثير السلبي على مجريات الأحداث، فهذه الأسباب لم تبق الانتفاضة عراقية محضة، فستنتهي إلى الفشل. وهذه القراءة كانت مفاجأة ودقيقة في ذلك الوقت.

فالإمام الراحل (رحمه الله) كان لديه تحليل دقيق وقراءة صحيحة، ووضع معالجات لهذا الوضع المتأزم، فهو من دون مبالغة كان يتنفس العراق صباحاً ومساءً، نهاراً وليلاً، وفي كل أوقاته وأزمانه. وكان يُشكل على العديد من الخطباء الذين يصعدون المنبر ويقول لهم: لماذا لا تدعون لإنقاذ الشعب العراقي من براثن الظلم الصدامي البعثي؟ لماذا لا تفضحون نظام صدام وتكشفون أسراره؟

كان يقول (رحمه الله): ادعو لقضاء حوائج الناس، ادعو لشفاء المرضى، ولكن هذه القضية مهمة لماذا لا تذكرونها على المنابر؟

وقد كتب عشرات الكتب حول العراق، وأطلق على نظام العراق مصطلحات الآن أخذت دورها في الرأي العام.

وقد كان يعبر عن الطاغية ب-(هدام)؛ وهي مفردة مستخدمة الآن في الرأي العام العراقي، وفي وسائل الإعلام.

فحتى في محاضراته الفقهية أو في جلساته الخاصة كان يتنفس العراق، ويحنُّ إليه، وكانت له الكلمة المشهورة: لقد اشتقت إلى كربلاء.. التي تحمل ما تحمل من معان، وتعبر ما تعبر من أحاسيس ومشاعر.

أما حديثه عن مدينة كربلاء المقدسة وعلاقته بها فحديث ذو شجون، وقد أَلَّفَ كتاباً صغيراً حول علاقته بكربلاء المقدسة اسمه (عشت في كربلاء) ، ويقول البعض عن هذا الكتاب: لقد أصبحت هناك ملازمة بين هذين الاسمين - السيد الراحل (رحمه الله) وكربلاء المقدسة - ملازمة في الاتجاه الفكري والمرجعي والسياسي وفي كل الاتجاهات.

فعندما تقول هذا شخص من كربلاء، معناه أنه متأثر فكرياً بالإمام الراحل (رحمه الله) ، وعندما تقول إن هذا من أتباعه، هذا يعني الاهتمام بشأن كربلاء، وليست كربلاء كحدود، بل كربلاء كمدينة مقدسة، كربلاء كعبة الشيعة، وقلبها النابض ودمعها الجاري بهذا اللحاظ، وإلا فالإمام الشيرازي (رحمه الله) كان لا يؤمن بالحدود الجغرافية أصلاً، وهو دعا إلى إزالة الحواجز الجغرافية بين الدول الإسلامية خاصة، وحتى إن البعض من أهل المعرفة من المخضرمين في دراسة التاريخ المرجعي كان يقول: إن السيد يطير بجناحين مهمين، إنه يطير بمرجعيته على الرغم من محاربتة، وعلى الرغم من الضغوطات السياسية والمرجعية والاجتماعية والاقتصادية عليه.

وهذان الجناحان هما: جناح العراقيين ولا سيما الكربلائيين منهم، وجناح الأتراك⁽¹⁾، إذ إنه خدم الكربلائيين خدمة عظيمة جداً، وبعض أهالي

ص: 131

1- حيث إن جمهور الأتراك في إيران وغيرها عدلوا إلى تقليد السيد الشيرازي (رحمه الله) بعد رحيل المرجع آية الله العظمى السيد كاظم الشريعتمداري (رحمه الله) ، وكان لهم الثقل الكبير جداً على الساحة الشيعية.

كربلاء المقدسة يقولون ويصرحون بذلك، وقد قال لي أحد الفضلاء: إن الكثير من أهل المعرفة من الذين عاصروا الإمام الراحل (رحمه الله) في كربلاء المقدسة يصرحون بأنه لا يوجد كربلائي من الجيل السابق عصره، إلا ولالإمام الراحل (رحمه الله) فضل عليه من جهة تدينه ونشاطه.

فهو (رحمه الله) وفيّ لكربلاء المقدسة، والكربلائيون بادلوه هذا الوفاء، الكربلائيون دفعوا وبذلوا جهوداً كبيرة جداً من أجله، وتأثروا به تأثراً فكرياً ومرجعياً وسياسياً.

ولهذا قالوا: إن هناك ملازمة بين كربلاء المقدسة والسيد الراحل (رحمه الله) في الفكر والحياة المعاصرة.

كان (رحمه الله) وفيّاً لأهالي كربلاء المقدسة، وخدم تلك المدينة خدمة عظيمة، وإلى الآن أثاره وإشعاعاته جليلة وبينه، وهو ملموس عند الجميع ويظهر لدى أصحاب الخواطر الأدبية وأصحاب المذكرات والشعراء وغيرهم من أهل الآداب، وقد قرأت بعض كتبهم.

فما من زائر وما من سائح زار كربلاء المقدسة أو عاش فيها إلا ومدحهم، وأشاد بكرمهم، وبدماعة أخلاقهم وانفتاحهم الفكري والثقافي، ومن الواضح أن لكل قاعدة استثناءات إلا أن الكلام عن الصبغة العامة لهم.

فأهالي كربلاء المقدسة وبركات سيد الشهداء (عليه السلام) لهم تأثير كبير على الساحة العراقية، وعلى الساحة الشيعية عموماً.

فهم في مقدمة القادة للوضع الشيعي، والشواهد على ذلك كثيرة، وحتى على مستوى المرجعية الدينية، ونحن لسنا في مقام استعراض التاريخ المرجعي والتاريخ الحوزوي، فكربلاء المقدسة فيها بركات كبيرة جداً بفضل وبركات

سيد الشهداء (عليه السلام)، في تاريخ المرجعية الشيعية⁽¹⁾ نجد أن المفاصل الحيوية في التاريخ المرجعي الشيعي كربلائية؛ لأنها كانت ناشئة من كربلاء المقدسة، فحوزة قم المقدسة⁽²⁾ منشأها من كربلاء المقدسة، لأن مؤسسها الشيخ عبد الكريم الحائري وقد تخرج من حوزة كربلاء المقدسة. وكذلك منشأ الحوزة الزينية في منطقة السيدة زينب⁽³⁾ في سوريا من كربلاء المقدسة، لأن مؤسسها السيد حسن الشيرازي خريج حوزة كربلاء المقدسة، وحوزة كاشان منشأها من كربلاء المقدسة؛

ص: 133

1- المرجعية الدينية هي مفهوم شيعي معناه رجوع المسلمين الشيعة إلى من بلغ رتبة الاجتهاد والأعلمية (على خلاف في اشتراط الأخيرة) في استنباط الأحكام الشرعية، ومن أصبح مؤهلاً لمنصب الإفتاء وأصدر آراءه في الأحكام الفقهية في كتاب يسمى الرسالة العملية يعبر عنه ب- (المرجع الديني) أو (آية الله العظمى) في المصطلح الشيعي، يرجع الشيعة إلى المراجع أو مراجع التقليد لمعرفة الأحكام الفقهية، وقد يمتد نفوذ المراجع إلى التدخل في مسائل سياسية واجتماعية كما وقع ذلك مراراً في تاريخ المرجعية الشيعية.

2- الحوزة العلمية فيها تعتبر واحدة من أهم المراكز العلمية الدينية للشيعة. والحوزة العلمية لفظ اصطلاحي للمدرسة الفقهية التابعة للمذهب الجعفري، وتنقسم هذه الحوزة العلمية إلى عدة مدارس في العصر الحالي، منها: في النجف الاشرف، وكربلاء المقدسة وقم و مشهد و اصفهان و سوريا، و المنطقة الشرقية و ... الاختلاف في هذه المدارس اختلافٌ جغرافي لاعلمي، فكلها المنهج ذاته للتحصيل العلمي.

3- الحوزة العلمية الزينية حوزة شيعية تقع في سوريا، وتعتبر من أهم الحوزات الشيعية، أسسها آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي عام 1976 م، وقد درس فيها العديد من الأساتذة كآية الله المعظم السيد مرتضى الشيرازي (دام ظلّه) والشيخ المحمدي والشيخ الفاضلي والكثير من العلماء والفضلاء. للحوزة العلمية الزينية أكثر من 1000 طالب من 26 جالية من مختلف الجنسيات كالسورية و العراقية والأذرية والإيرانية والأفغانية والهندية والباكستانية والصومالية والأفريقية والكويتية والسعودية وغيرها.

لأن مؤسسها المولى النراقي(1) خريج حوزة كربلاء المقدسة، والمراجع الكبار الذين غيَّروا الوضع الشيعي علمياً أو اجتماعياً منشؤهم في كربلاء المقدسة درسوا فيها، وخرجوا مجتهدين ثم انطلقوا إلى العمل، كالسيد بحر العلوم(2) والشيخ جعفر كاشف الغطاء(3) وصاحب الفصول الميرزا القمي(4) وصاحب الرياض(5)، والسيد المجاهد والميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) وغيرهم، وهذه آثار كبيرة جداً يطول عنها الحديث.

وفي رواية ينقلها السيد عبد الله شبر(6) في حق كربلاء المقدسة، وأنا أنقلها عنه، يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : «ليكونن لشيعتنا فيها خيرة إلى

ص: 134

- 1- الشيخ مهدي النراقي عالم دين شيعي من أهل نراق. هو محمّد مهدي بن أبي ذرّ النراقي الكاشاني المعروف بالمحقّق النراقي. ولد بقرية نراق من أعمال كاشان. تتلمذ لدى الوحيد البهبهاني وغيرهم. توفّي في الثالث والعشرين من محرّم 1209 هـ- بالنجف، ودُفن فيها.
- 2- السيّد محمّد مهدي بن السيّد مرتضى بن محمّد بحر العلوم الطباطبائي، وينتهي نسبه إلى الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام).
- 3- الشيخ جعفر بن خضر بن يحيى النجفي المعروف بالشيخ جعفر كاشف الغطاء. من تلامذة المجدد الوحيد البهبهاني، ويُشار إليه بلقب الشيخ الأكبر، وسمي باسم كاشف الغطاء نسبة إلى كتابه كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، وصار لقباً لعائلته وذريته من بعده، ولا تزال ذريته تسمى بأل كاشف الغطاء.
- 4- الشيخ أبو القاسم بن حسن المشهور بالميرزا القمي والفاضل القمي والمحقق القمي. ولد سنة 1152 هـ-، وتتلّمذ لدى السيّد حسين الخوانساري وغيره. ثم هاجر إلى العراق وسكن كربلاء المقدسة حقبة من الزمن ثم عاد إلى بلاد فارس توفي سنة 1231 هـ.
- 5- الميرزا عبد الله بن عيسى الإصفهاني التبريزي الأفندي، من تلامذة العلامة محمد باقر المجلسي ومن المجازين بالرواية عنه، بالإضافة إلى غيره من أعلام التشيع.
- 6- السيد عبد الله بن محمد رضا بن محمد آل شبر. رجل دين ومُحدّث ومتكلم ومُفسّر شيعي عراقي، عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري والنصف الأول من القرن الثالث عشر.

ظهور قائمنا صلوات الله عليه»(1)، يعني كربلاء المقدسة لا تخلو من الناس الأفذاذ الصالحين الذين لهم تأثير، والذين لهم مكانة معنوية، والحديث عن كربلاء المقدسة يطول في هذا المقام.

فكان حنينه إلى كربلاء المقدسة وعلاقته بأهالي كربلاء علاقة الأب والأبناء، علاقة الأسرة الواحدة، وأنت ترى وتشعر فعلاً أن علاقته بالكربلايين كأنه أبوهم عندما يتحدثون معه، وعندما يجلسون عنده، وهو لم ينفك عنهم، ولم يتركهم في أشد الظروف حراجه، فقد كان يقف دائماً وأبداً إلى جانب كربلاء المقدسة، والشواهد على هذا كثيرة جداً.

الإمام الراحل (رحمه الله) طاقة هائلة

* طرح الإمام الراحل (رحمه الله) مرجعيته في سن مبكرة، حيث كان يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، كيف تنامت مرجعيته مع وجود مرجعيات كبيرة؟

- في الواقع كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يحمل عدة عوامل قوة، وهذه العوامل ساعدت على نمو مرجعيته المباركة، ومن المفارقات أن عوامل القوة هذه كانت في حقبة من الزمن، أحد عوامل عرقلة مرجعيته وانتشارها.

الصورة



تعلمون أن السيد الراحل (رحمه الله) يكاد يكون المرجع الأبرز في هذه الأزمنة المتأخرة

الذي واجه حروباً طويلة وعريضة، ضد شخصه الكريم، وضد مرجعيته المباركة، ومع ذلك ظل في خط المنافسة في المرجعية الواسعة.

فقد كانت هناك مرجعيات أكبر منه سناً في هذا المجال، ومع ذلك كانت مرجعيته في زمانها تنافسها، ولم يكن يتحجّم أو يتوقف، بل كان دائماً في توسع ونمو، ولولا هذه الحروب السياسية والإعلامية، وضغوطات المرجعية الدينية عليه لا شك أنه كان يصبح مرجعاً كبيراً يكاد ينعدم نظيره.

نعم، هنالك عوامل لقوته، كما أن هنالك عوامل مانعة من ظهور فاعلية تلك القوة، فقد كان يحمل في نفسه طاقة كبيرة جداً، مما أدى وساعد مرجعيته على الانتشار في كل مكان، وحسب قول أحد أصحاب القرار في هذا البلد(1) ليس لنا خيار آخر، فلا بد أن نعرقل عمله لأنه إذا لم نعرقله سيغزونا، ولن يبقى لنا شبر في هذا البلد، لأنه طاقة فكرية كبيرة، وطاقة عملية كبيرة..!!

ولا شك أن الطاقة لا يمكن أن تتحجم. نعم يمكن أن تعرقل قليلاً، أو تؤذى، ولكن أن تتحجم أو تقف فهذا أمر صعب، ولا شك أن الله تبارك وتعالى يمد العاملين: (كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَؤَآءٍ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)(2)، فكان يستشهد بهذه الآية دائماً ويستلهم منها العزم فهو كان يعمل ليل نهار وعلى كل الاتجاهات، ولا شك أن العمل من عوامل التقدم.

الإمام الرجل (رحمه الله) مجدداً

الشيء الثاني أنه كان مجدداً بحق، فقد كان يحمل أفكاراً جديدة، وأفكاراً

ص: 136

1- يقصد إيران.

2- سورة الإسراء: 20.

منيرة تشخص أمراض الأمة وتضع الحلول لها، ولا شك أن هذه الأفكار النيرة تجد لها رواداً ومحبين ومؤيدين في المجتمع المسلم، والآن نلاحظ أن المجتمع يبحث عن الفقيه والمرجع الذي يواكب حياته، ويعطي الحلول لمشاكله اليومية، وهذا الشيء كنت تراه في شخص السيد الراحل (رحمه الله) فقد كانت لديه حلولاً لمشاكل مستقبلية وليس حلول المشاكل الحاضرة فقط.

فإنك قد لا تجد في الفقهاء السابقين عليه والذين عاصروه على كثرتهم في عصره، مَنْ كتب في (فقه المستقبل)(1)، أولاً تجد في الفقهاء مَنْ كتب في (فقه السياسة)، أو في (فقه القانون) و(فقه المرور)(2).

و(فقه البيئة) و(فقه العولمة)(3)، وهي تكاد تكون من نقاط القوة، لأن الفقيه هو من يدير أمور الناس، والفقه هدفه إدارة الحياة وتنظيمها ضمن موازين الشرع، فإذا كان الفقيه يحمل هذه القدرة فلا شك أن هذه من عوامل التقدم.

الإمام الراحل (رحمه الله) وأخلاقه النبوية

والشيء الثالث: أخلاق الإمام الراحل، وهو النقطة المهمة، فأخلاقه بدرجة من السعة والأريحية والدمائة بحيث لا تبرر للعدو عداوته، بل تقلب العدو إلى صديق، وتقلب الصديق إلى حبيب، وهذه من أخلاق الأنبياء (عليهم السلام).

ص: 137

1- كتاب فقهي استدلالي بحث فيه السيد الراحل (رحمه الله) عن المستقبل برؤية فقهية وما يترتب على المستقبل من أحكام شرعية.

2- بحث فقهي استدلالي، تعرض فيه الإمام الشيرازي (رحمه الله) إلى أحكام المرور المختلفة برؤية فقهية استدلالية موسعة.

3- كتاب فقهي استدلالي ضمن الموسوعة الفقهية، بحث سماحة السيد (رحمه الله) عدة مباحث حول العولمة ولكن بمنظار فقهي.

ففي أوج الأزمة التي كان يتعرض لها السيد الراحل (رحمه الله) من قبل بعض الجهات، وكان فيها سجون ومعتقلات ومداهمات لبيته وإيذاء لطلابيه، كان بعض كبار أصحاب الجهة التي كانت تباشر الضغط السياسي والاجتماعي عليه هم أنفسهم يقولون: أخلاق السيد الشيرازي (رحمه الله) أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الصورة



ذكر لي ذلك أحد أصدقائي وهو صديق لهم بأن مجموعة من كبار قادة الجهة التي آذت الإمام الراحل (رحمه الله) وحاربتة كانوا جالسين - وقد كان معهم يستمع لما يقولون لكونه ثقة عندهم - فكانوا مجتمعين يفكرون في اتخاذ موقف من السيد الراحل (رحمه الله) وكيف يمكنهم مواجهة أنشطته؟ وكيف يضغطون عليه؟ وكيف يؤذونه؟ وكيف يحجمون تحركه؟

فبعض كبارهم أقر هناك وقال: حقيقةً أخلاق السيد الشيرازي هي من أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال: فأنا بادرتة وقلت له إذا أنتم تعرفون أن أخلاقه أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلماذا تحاربوه وتضغطون عليه، ولماذا تؤذوه؟!

فقال كبيرهم: ماذا نفعل؟ ولكن هذه مصالح سياسية تستدعي هذا العمل!!

ونفس الحال مع شخص آخر من أصدقائنا، وقد ذكرت قصته من قبل، فقد كان هنالك شخص من الشخصيات العراقية يحارب الإمام الراحل (رحمه الله) حرباً عشواء في أي مجال يتمكن من ذلك، فقال له صديقنا وهو صديق له أيضاً:

ص: 138

نأخذك إلى السيد الشيرازي، فقط تراه، ومن ثم تعامل معه، إن كنت ترى إن كان من الصحيح أن تحاربه، فحاربه، أو من الصحيح أن تصالحه، فصالحه. قال: لا أذهب إليه فقلت: لماذا؟! قال: لأنني أخشى أن يسحرني بأخلاقه العالية.

فحسن أخلاقه ورحابة صدره وسماحته يشهد بها القريب والبعيد، العدو والصديق، الحاقد والمحب، وإنك لا تجد من يُشكل عليه من جهة أخلاقه، بل على العكس تماماً الكل يشيدون بهذا الجانب، وما أكثر الشواهد والأدلة على هذا، وحتى إنه صار مؤخراً مطمئناً للآخرين، أي اتخذ بعض الجاهلين حسن الأخلاق وسعة الصدر عند سماحته لتمرير بعض مصالحتهم الشخصية أو الفتوية.

نكران الذات

ذات مرة أرسل أحد مقلدي السيد الراحل (رحمه الله) الحقوق الشرعية بيد أحد أصدقائه الذي لم يكن قد رأى سماحته (رحمه الله) من قبل، وكان عمره الشريف في أواخر العشرينات أو أوائل الثلاثينات. فجاء يسأل عن السيد (رحمه الله) فأجابه بعض المغرّر بهم: سأخذك إلى السيد. لكنه ذهب به إلى شخص آخر كان يصلي في الحرم، - وهذه القصة جرت في كربلاء المقدسة - وكان له شكل حسن ومنظر جميل. فقال لصاحب الحقوق: بأن هذا الشخص هو السيد الشيرازي! فقد كانوا يحاولون بشتى الطرق أن لا تصل الحقوق الشرعية إلى السيد الراحل (رحمه الله). فأعطاه الرجل الحقوق الشرعية، وكان خصماً للسيد الراحل (رحمه الله) ويحاربه ويؤذيه إلى حد العدوان وليس مجرد الإيذاء، ولكن بعد احتكاكه بأهل كربلاء المقدسة عرف أن هذا الذي استلم الحقوق الشرعية ليس هو الإمام الراحل (رحمه الله)، وعرف أن



للسيد (رحمه الله) صلاة جماعة كبيرة في حرم الحسيني الشريف، وكان المكبرون له ثلاثة أو أكثر، أحدهم يوصل التكبير للآخر - وأنا شاهدت هذه الصلاة - وكان في الصفوف الأولى العديد من الكبار الذين خالفوا الإمام الراحل (رحمه الله) فيما بعد وحاربوه سنين طوال؛ لأنهم اختلفوا معه في بعض التصورات السياسية، فهم كانوا يريدونه لهم، وهو كان يريدهم للإسلام فافتروا عنه، على كل حال كانوا في الصفوف الأولى يصلون خلفه، وصلاة الإمام الراحل (رحمه الله) فيها حديث طويل، فعندما اتضح الأمر للرجل أتى إلى السيد الشيرازي (رحمه الله) وقال له: سيدنا، أنا مبعوث بيدي حقوق شرعية من قبل فلان، وأرشدوني إلى شخص آخر من الناس، وأنا الآن لا أعرف تكليفي؟ فقال له السيد وبكل أريحية وتسامح: اذهب مطمئناً فقد وصل الحق إلى أهله.

وأيضاً بعض كبار مقلدي الإمام الراحل (رحمه الله) كانت لهم أموال ضخمة، فكان يبعث الحقوق الشرعية، إلى مرجع آخر، ممن كتب ضد السيد الراحل (رحمه الله) وذلك لبعض الأسباب السياسية أو غيرها، وعندما كانوا يخبرون السيد الراحل (رحمه الله) بالأمر كان يأذن في ذلك، مع أنها قضية حساسة جداً فأى سعة صدر هذه؟! ولكنني أحتار من أين أتحدث عن أخلاقه المثالية.

والآن ترى السمة الأخلاقية هي البارزة في أولاده وفي أكثر تلاميذه، حتى

الأعداء يشهدون بها، فلم يكن الاشعاع الأخلاقي له منحصرأ في شخصيته، بل تعدى إلى أصحابه.

ومن الأوصاف الجليلة جداً عندهم هي أن السلام فاش بينهم بشكل كبير، يُسلمون على الصغير وعلى الكبير يحبون الناس ويخدمونهم، ولذا ترى أن المؤهلات الخدمية عندهم كثيرة، والاحترام بينهم شديد، وعلى ما في بعض تلاميذ السيد الراحل (رحمه الله) من جوانب العظمة والسمو والرفعة تجدهم في أشد حالات التواضع، وهناك شهادة بحقهم في هذا من العدو والصديق، وحتى من غير المتدينين وهذا هو الجانب المهم في الإمام الراحل (رحمه الله) خاصة، وفي أتباعه وتلاميذه بنحو عام.

معالجة الأزمة المالية

* كان الإمام الراحل (رحمه الله) دائم العوز والعجز اقتصادياً، حتى لقي ربه مديوناً، كيف كان يعالج أزماته الاقتصادية؟

- هذا واضح، فالكل يعلم أن الإمام الراحل (رحمه الله) توفي عن دين يقدر بمليون ونصف مليون دولار على ما ذكر، هذا يعني أنه كان يعالج أزماته المالية بالديون، فكان يقترض من أجل أن يدعم مشاريعه التنموية في كثير من الأحيان.

وأنا سمعت من بعض أولاده الأفاضل أن (ماء وجوههم) حقيقة تذهب لشدة الضغط عليهم، لأنه تأتيهم أزمات يضطرون إلى بعض الناس، وليس لهم ما يسدُّ الرَّمق، لا لنفس الإمام الراحل (رحمه الله) ولا لأولاده ولا لأخوته، فليس عندهم شيء من الحطام كالسيارات أو القصور أو الأراضي والعقارات، فأثاث بيوت الطلبة العاديين يمكن أن تكون أحياناً أفضل من أثاث بيتهم، وجدران

بيوتهم أفضل من جدار بيتهم، وقد تجد أن لباس الطالب أفضل من لباس السيد المرجع نفسه، مع العلم أنه كانت تمر تحت أيديهم الملايين، وعندهم الكثير من التجار الذين يتمنون أن يقول لهم السيد الراحل (رحمه الله) : اعملوا لي الشيء الفلاني.

حتى بيته الذي رحل عنه أوقفه ثم سكن فيه، مع أنه لم يشتره، وكان أحد التجار قد أهده له، وقد رأيت أحد أولاد(1) الإمام الراحل (رحمه الله) في سوريا - كان في وقته المدير العام أو المشرف العام للحوزة العلمية في سوريا- وأحد التجار الخليجين أهده داراً في السيدة زينب (عليها السلام) فرفضها، والدار فيها بعض التحسينات، وليس فيها شيء مميز ولكن يمكن أن تكون مريحة بالسكن للسيد وأهله، إلا أنه رفضها بأن تكون ملكاً شخصياً، ولا أعلم أنه أوقفها لله تعالى أو أرجعها لأهلها.

ص: 142

1- هو السيد جعفر، النجل الثالث للإمام الشيرازي (رحمه الله)، ولد في مدينة كربلاء المقدسة، ثم هاجر بصحبة والده إلى الكويت إثر المضايقات التي تعرض لها الإمام الشيرازي (رحمه الله)، نشأ وترعرع في ظل والده، ثم انتقل إلى قم المقدسة وبدأ دراسته على يد كبار الأساتذة، منهم آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (رحمه الله) و آية الله السيد مرتضى الشيرازي (دام ظله)، ثم أكمل دراسته للسطوح العليا عند والده وعمه آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله)، و آية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني (دام ظله)، حتى نال درجة الاجتهاد من بعض الأساطين إثر كتابته كتاب (التجري)، ثم هاجر إلى سوريا وتصدى لزعامه الحوزة العلمية الزينية، ثم هاجر إلى إيران ليستمر في نشاطه العلمي عبر التدريس والتحقيق والتأليف، وهو الآن يستمر في تدريس خارج الفقه والأصول.

الإمام الراحل (رحمه الله) وجوانب من الإدارة والعاطفة

* كان الإمام الراحل (رحمه الله) كثيراً ما يسمح بالتصرف في الحقوق الشرعية، وفي الإطار الشرعي، وكان يمنح الإجازة للتصرف في الثلث أو النصف، مع أن بعض الوكلاء قد لا يحتاط في ذلك، وقد يبلغ الثلث أو النصف كما كبيراً من المال، ما هو السبب في ذلك؟

- يمكن الإجابة على هذا السؤال من وجوه عديدة: وجه يتعلق بالجانب الحوزوي للطالب أو الوكيل، ووجه آخر يتعلق بالدور الاجتماعي للوكيل، بالنسبة إلى الحقوق الشرعية كان الإمام الراحل (رحمه الله) يجد بأن المصالح العامة للمسلمين لا تنهض بقبض اليد أو إمساكها في موضوع الإنفاق، وهناك أكثر من طريقة و منهجية، يتبعها العلماء بالنسبة للحقوق الشرعية، فبعض المراجع يحصرون مسألة قبض الحقوق الشرعية أو جمعها بأنفسهم مراعاة لجانب الاحتياط، أو مراعاة لموازن عديدة، ولبعضهم منهجية واسعة جداً بحيث يُعطي صلاحية إلى المقلد نفسه بأن ينفق الحقوق الشرعية في الوجوه التي يراها مناسبة.

ومنهجية الإمام الراحل (رحمه الله) كانت منهجية متوسطة جامعة بين الأمرين، بمعنى أنه في عين الحال الذي يُركّز على قبض الحقوق الشرعية كان في نفس الوقت يعطي المجال إلى الوكيل لأن يأخذ دوره الاجتماعي فيها، ومن الواضح أن الجانب المالي من أهم نقاط القوة لأي شخصية، أو لأي وجيه في المجتمع، وحيث

كان للسيد الراحل (رحمه الله) حركة نهضوية للأمة، وما كانت حركة مختصة فقط في بُعد الحوزة، وإنما عنده منهجية إصلاحية تبدأ من الشخص وهو صغير إلى أن يُلحد في قبره، وتبدأ من الأسرة وتمتد إلى الدولة، فلذلك كان يرى بأن من المصلحة إعطاء الصلاحيات إلى الوكلاء في أن يتصرفوا في بعض الأموال، فيما يتعلق بالمصالح العامة، وقَلَّمَا كان يُقيد الوكيل، بل كان يُعطي حسب مستوى الوكيل، وحسب دوره الاجتماعي ومكانته والموقع الذي هو فيه، فبعضهم كان يعطيه إجازة في الثلث، وبعضهم في الربع، وبعضهم في النصف، وفي بعض الموارد - النادرة بالنسبة إلى بعض الشخصيات - أعطى إجازة في الكل، خصوصاً بالنسبة إلى الوكلاء الذين لهم قابلية جيدة، وموقعهم موقع مهم.

وكان يرى بأن الحقوق الشرعية ينبغي أن تصرف في المصالح العامة، كطباعة بعض الكتب، أو تأسيس المجلات، أو تكوين المؤسسات، بالإضافة إلى إعطاء الفقراء والمحتاجين وما أشبهه.

وكان يرى - كما يوافق بعض الفقهاء - عدم ضرورة التقسيم الدقيق للحقوق الشرعية إلى سهمين: سهم السادة، وسهم الإمام (عليه السلام)، بمعنى التقسيم الحُدِّي كأن يفرز الفقيه سهم السادة - فلا يُصرف إلا في شؤونهم - عن سهم الإمام (عليه السلام) ليُصرف في المصالح العامة، بل كان يرى - وقد أثبت - أن هذه سيرة الفقهاء منذ زمان الأئمة (عليهم السلام) إلى العصور المتأخرة، وكان ينقل عن جملة من الفقهاء هذه المسألة التي طرحها

في (الفقه القانون) بأن السيرة جارية على جواز خلط الحقوق الشرعية من الأُخماس والزكوات والصدقات وما أشبه ذلك، فللفقيه أن يدمج الحقوق ويصرف منها؛ حيث لا مائز بينها من حيث المؤدى.

هذا ما ذكره الإمام الراحل (رحمه الله) في مؤلفاته، مضافاً إلى ما كان يذكره

ففي (الفقه القانون) لديه إشارات إلى هذا الموضوع مع تحليل مفصّل وهو موضوع مهم جداً.

فكان يرى السيد الراحل (رحمه الله) بأن الفقر الذي ورد في النصوص - بالنسبة إلى تقسيم الحقوق الشرعية - لا ينحصر بالفقر المادي، بمعنى أن الفقير ليس فقط هو الذي يحتاج إلى المأكل والملبس، وإنما كان يرى (رحمه الله) الفقر أعم من المادي والمعنوي، بل كان يرى السيد الراحل (رحمه الله) بأن الفقر المعنوي أكثر وأهم من الفقر المادي، فلذلك وسّع في دائرة صرف الحقوق الشرعية فيما يتعلق بتأسيس المجالات أو كتابة الكتب أو تأسيس المؤسسات. فلم يمانع في صرف بعض الحقوق في هذا المجال، وكان (رحمه الله) يقول: كما أن بدن الإنسان بحاجة إلى طعام كذلك عقله بحاجة إلى فكر، بحاجة إلى وعي، وقلبه بحاجة إلى إيمان، فليس من الصحيح وليس من روح الإسلام، مراعاة جانب المعدة في حقوق الفقير وعدم مراعاة جانب العقل و الروح، وبلا شك أن العقل والروح أهم من الجسد.

لمثل هذا المغزى كان يوسّع، ولمثلها كان يعطي بعض الصلاحيات إلى الوكلاء بالحقوق الشرعية أن يصرفوها فيما يرونها مناسباً في المصالح العامة، وكثيراً ما كنتُ ألاحظ بأن قسماً من الوكلاء يأتون فيعطيهم إجازة الصرف، أو يعطي المقلدين من الذين عندهم حقوق شرعية فيستجيزونه ليصرفوها في بناء حسينية، أو يصرفوها في طباعة كتاب، أو يصرفوها مثلاً في إرسال مبلغين، فكان يجيزهم فوراً، ومن دون تردد، أعتقد أن هذا هو المغزى والدافع. وهو دافع لا يخلو من متانة وقوة، فإنها نظرة واسعة لروح التشريع وأهدافه، وقد أسس على ضوئها هذا المبنى.

والذي يريد التفاصيل يستطيع قراءة (الفقه القانون) (1).

مؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله)

* ما هو سبب إصرار الإمام الراحل (رحمه الله) على تأسيس المؤسسات؟

* وما هو عدد مؤسساته التي أسسها والتي نجحت نجاحاً باهراً؟

* ولماذا بعض المؤسسات توقفت عن العمل؟

* وكيف كان انطباعه حين يسمع بذلك؟

- هذا السؤال يحتاج إلى إجابة مطولة، ولكن بشكل موجز ومختصر أقول: كانت مؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله) بالمئات، هذا بحسب المعنى الاصطلاحي للمؤسسة. أما إذا أطلقنا اسم المؤسسة على كل تجمع قائم، الذي يشمل الهيئات ويشمل اللجان الخيرية وما أشبه ذلك فإنها تتجاوز الآلاف، ولا شك في هذا الشيء.

وأما الفلسفة في تأسيسها تعتمد على عدة مسائل كان السيد الراحل (رحمه الله) يؤكد عليها في أثناء حواراته ولقاءاته، وفي كتبه أيضاً أشار إلى هذا الشيء.

كان يرى أن إنقاذ المسلمين من الاستبداد الداخلي، والاستعمار الخارجي من الواجبات الشرعية، وكما طرح هذه الفكرة في كتبه الفكرية. كذلك طرحها في الكتب الفقهية، ففي كتاب (إيصال الطالب إلى المكاسب) (2) تناول هذه المسألة

ص: 146

1- كتاب حول القانون الإسلامي ضمن موسوعة الفقه، تناول فيه سماحة السيد (رحمه الله) عدة مباحث قيمة، منها مصادر القانون في الإسلام، قانون التساوي بين الذكر والأنثى، مرونة القانون، وغيرها من المباحث المهمة والمتنوعة حول الرؤية الفقهية للقانون.

2- شرح لكتاب المكاسب للشيخ الأعظم الأنصاري (رحمه الله) في 16 مجلداً، وهو من الشروح المفيدة والنافعة لطلاب العلوم الدينية.

بمناسبة من المناسبات، وذكر الأدلة الشرعية على وجوب إقامة التنظيمات، وله في نفس الكتاب وبمناسبات مختلفة إيماءات وإمحاءات إلى أن على المسلمين أن يعملوا لأجل التخلص من البرائن الاستعمارية، ومن السيطرة والهيمنة الاستعمارية عليهم، ولقد جعل هذه المحاور في كتب مثل كتاب (طريق النجاة)⁽¹⁾ أو كتاب (السييل إلى إنهاء المسلمين) بل حتى في كتاب (الأصول) الذي كتبه بقلمه للبحث الخارج، هناك أيضاً بمناسبة من المناسبات ذكر طريقة إنقاذ المسلمين، وكيف يمكن أن نحرر الأمة الإسلامية من المشاكل، كما طرح (شورى الفقهاء)، مع أن الإنسان في بدو النظر لا يجد مناسبة لطرح الشورى في كتاب أصولي، لكنه كان ينتهز وجود أي رابط يمكن أن يربط به المسائل، فيطرحها لغرض الإرشاد وإيصال فكرة الإصلاح إلى أذهان الجميع.

النظم والنظام تحرر من الاستبداد والاستعمار

وقد كان يرى بأن الأمة الإسلامية ينبغي أن تتحرر من قوتين، قوة داخلية وهي الاستبداد، وقوة خارجية وهي الهيمنة الاستعمارية، ولا يمكن للأمة

ص: 147

1- وهو آخر جزء من موسوعة الفقه، بحث فيه سماحة السيد (رحمه الله) طرق نجاة المسلمين، واستدل عليها بالآيات والروايات الشريفة.

الإسلامية أن تتحرر من هاتين القوتين وهي بعيدة عن النظم والنظام.

فلاستبداد عنده جيوش مجهزة للقمع وللسيطرة على الشعوب، فعنده عسكر وتنظيمات اجتماعية ومخابراتية ودعائية، وعنده الكثير من الأشكال والتنظيمات التي تقوي الكيان الاستبدادي.

والاستعمار أيضاً له قوة منظمة من كل الجوانب، وأما إذا أراد المسلمون كأمة، التحرر فلا بد من أن تنتظم؛ وكان يقول: ليس من المعقول أن تتحرر أمة فوضوية ومشتتة وغير متناسقة وغير منسجمة مع بعضها البعض، وتتغلب على قوة نظامية وأجهزة منتظمة مع بعضها البعض.

فكان يدعو إلى التنظيم، وإلى وجوب إقامة التنظيم الإسلامي، ولا شك أن التنظيم مصطلح واحد، ولكن تحته مصاديق عديدة وكثيرة، منها: الحزب السياسي، والهيئة والمؤسسة والصحيفة والإذاعة وهكذا.

الإبداع في العمل المؤسسي

إن الأمة بحاجة إلى توجيه فكري وثقافي كما هي بحاجة إلى توجيه سياسي، والمحور الأساسي لهذا العمل هو المؤسسة، فلذلك يرى المنتبع أن حركة الإمام الراحل (رحمه الله) مبنية على أساس المؤسسات لا على أساس الأشخاص والأفراد.

فكان (رحمه الله) يحث الوكلاء جميعاً على العمل، أو يبعث الوكيل إلى مكان من أجل عمل، ويدعوه إلى تكوين مؤسسة وجمع الناس، لأن المؤسسة:

أولاً: تبلور شخصية الوكيل، ولا تجعل جهوده مشتتة أو ضائعة هنا وهناك.

ثانياً: هي مركز لجمع الطاقات وتجميع الأفراد والمحاو.

ثالثاً: هي مركز إشعاع للفكر، وانطلاق للعلاقات، وللتأثير والتأثر.

رابعاً: هي طريقة للنظم والتنظيم.

فلذلك فلما تجد في بقعة من بقاع العالم لا سيما البقاع المهمة، إلا وللسيد الشيرازي وتلامذته ومدرسته، قائمة حضور فيها، وهذه الخطة تعتبر من سمات هذه المدرسة أي إن أبسط وكيل من وكلائه تراه أول ما يفكر به هو أن يعمل مؤسسة، ومن خلالها يبدأ عمله المكلف به.

إن هذه الثقافة صارت عرفاً عاماً في هذه المدرسة، وضمن الأعراف السائدة فيها، فترى الطالب الذي يحضر درس السيد الشيرازي عنده مؤسسة، وهو أمر بديهي جداً، ولهذا نرى بعض وكلاء الآخرين يغبطون تلامذته على هذه المسألة، حيث لديهم مرجعية كبيرة، ولها من الأموال والكتب، والتلاميذ الكثير، ولكن اهتمامهم أقل بالمؤسسات، بينما ترى بعض صغار التلاميذ من تلامذة الإمام الراحل (رحمه الله) أو أبسط وكيل من وكلائه لديه مؤسسة.

المؤسسات الاجتماعية

منها ما يرتبط بالمسائل الاجتماعية كالزواج الجماعي مثلاً، وهي ثقافة تروجها بعض الدول اليوم لتشجيع الزواج. وقد سَنَّها الإمام الراحل (رحمه الله) قبل عشرين أو خمس وعشرين سنة (1) وبعض الدول الآن بدأت تتبنى هذه الثقافة، ويعرضونها على قنواتهم الفضائية.

أحد أصدقائنا وهو من كربلاء المقدسة عنده مؤسسة باسم (الإمام السجاد (عليه السلام)) للتزويج، زَوْج حوالي ألفا وثمانين أو ألفا وستة وثمانين زوجاً، وهذه مؤسسة واحدة في كربلاء المقدسة، فكم غيرها من المؤسسات في إيران،

ص: 149

1- أجري هذا الحوار مع الشيخ الصفار في سنة 2007.

ومثلها المؤسسات التي في دول الخليج مثلاً وغيرها من الأماكن، حتى التاجر المرتبط بالسيد (رحمه الله) يفكر في بناء مؤسسة، وقد أوجد التجار الكثير من المؤسسات، وكلاؤه هم من أهل العلم والفضل وجلّ تفكيرهم ينصب على إقامة المؤسسات، في حين أن الكثير من أهل القدرة لا زالوا لا يعرفون الخطوة الأولى لتكوين المؤسسة، لأنهم يفتقدون ثقافة تأسيس المؤسسة!!

المؤسسات التي بناها السيد الراحل (رحمه الله) وأثرت في الساحة الإسلامية وكان لها دور كبير في المجتمعات هي مؤسسات كثيرة جداً، وعلى سبيل المثال أنا أذكر نماذج مختصرة - فإن الحديث يطول عن هذا الموضوع -:

الصورة



الحوزة العلمية في جوار حرم السيدة زينب (عليها السلام) هذه مؤسسة واحدة، ولكنها تضم عشرات المؤسسات المترابطة والمتداخلة فيما بينها، وعلى مدى ثلاثين سنة قدّمت الشيء الكثير للشريعة وللتشيع في التوجيه الديني من محاضرات وأفكار، ومن مؤتمرات ومؤسسات فرعية تابعة لها، ومن طباعة صحف ومجلات مختلفة، ومن توعية دينية واجتماعية وإلى آخره من نشاطات الحوزة الكثيرة. تأسست هذه المؤسسة سنة (1975 للميلاد) وهي إلى الآن ثرية في عطائها بإذن الله تعالى.

وإذا ذهبتم إلى كندا - مثلاً - فهناك مؤسسات عديدة وكبيرة تعد من مؤسسات السيد الراحل (رحمه الله)، فيها الكثير من المرافق الحيوية، مضافاً إلى المدارس

ص: 150

التي تحتويها والمراكز الثقافية التابعة لها.

وهذه المؤسسات موجودة أيضاً في لندن، وكذلك الحال في الكويت التي توجد بها مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

والتي أسسها حين نزل الكويت، وصحيح أن اسمها مدرسة ولكن تحتوي على الكثير من الأنشطة والفعاليات.

فمدرسة واحدة على الرغم من أنها ليست ثرية من الناحية المالية إلا أنها تضم ست فضائيات، مع أن الإعلام لا يمكن أن ينهض بلا دعم متواصل، حيث يقول الإعلاميون: إنه مستحيل، فالإعلام لابد له من دعم كبير، وإذا أراد أن يكون قوياً فلا بد من توفير دعم دولة وليس دعم تاجر، أو ما أشبه ذلك، ولكن مدرسة الإمام الراحل (رحمه الله) في الكويت قامت بتأسيس الكثير من المؤسسات الإعلامية، حتى على مستوى الفضائيات، تلك المؤسسات تحتاج إلى الكثير من الدعم والأموال فتنهض من دون الرجوع إلى دولة، فهذا ينم عن تراكم كبير في التجارب، بحيث إن مجموعة من الأفراد من أتباعه أو من وكلائه يقدرون على إطلاق فضائية، والفضائية تنافس الكثير من الفضائيات الأخرى المدعومة من الدول، وهو إنجاز كبير فعلاً.

والحديث عن المؤسسات طويل وعريض، ويمكنكم أن تجروا جرداً للمؤسسات الكبيرة والصغيرة التي أسست على عهده من قبل تلامذته، ومن بعد عهده وإلى يومنا هذا، فهذا حقيقة موضوع جدير بالاهتمام، ولا بأس أن يوثق ويوضع له دليل خاص وتعريف بهذه المؤسسات، لأن هذا بحد ذاته إنجاز كبير، وحتى دول كبيرة لها إمكانات وطموحات فكرية وسياسية ما استطاعت أن تبني هذا القدر والكم الوفير من المؤسسات، وهي قد لا تستطيع الإنجاز بهذا الحجم الكبير، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على البركة في هذه الأعمال

ص: 151

والأنشطة ولعل من أسرار ذلك هو الإخلاص الذي كان يتمتع به السيد الراحل (رحمه الله) وبعض القائمين على هذه المؤسسات.

الإمام الراحل (رحمه الله) والمرجعيات الأخرى

أما بالنسبة لعلاقته بالمرجعيات الأخرى، فقد كان يحترم الجميع، يعظم شأنهم ويشمن جهودهم.

في الأيام الأولى من مجيئه إلى إيران، كان يقوم في اليوم الواحد بزيارات عديدة، للعديد من المراجع والأعلام، فقد كان متحرراً من العزلة التي ضربت عليه بالإقامة الجبرية فيما بعد، فقلما تجد شخصية لها شأن لم يذهب لزيارتها، وقد زاره - بمجرد وصوله إلى إيران قادماً من الكويت - كل الشخصيات العلمية أو معظمها، وقد كانت لديه مواقف مهمة جداً بالنسبة للثورة في إيران، بل وله سهم حقيقي في إيصال صوت الثورة إلى العالم، حتى قال أحد رجالات الشاه - وهو اردشير زاهدي -: إن الخميني فجر الثورة من إيران، والشيرازي أوصل صوتها إلى العالم.

أي لم يكن دور الإمام الراحل (رحمه الله) بالنسبة إلى الثورة الإيرانية، بالدور المنفرد أو المساهم البسيط، وإنما كان له دور أصيل وعميق في مساهمته، حتى إن الكثير من الأخبار والأفكار التي كانت توجه الساحة الإيرانية كان من تأثير السيد الراحل (رحمه الله) وأصحابه. وهذا الكلام ما تناقلته الشخصيات العاملة في ذلك الزمان، بل قد احتضن السيد الراحل (رحمه الله) وهو في الكويت مجموعة من قادة الثورة وكان يرعاهم ويوفر لهم احتياجاتهم، وربما يتكفل ببعض شؤونهم.

بل حتى إن بعض الضغوطات التي واجهها الإمام الراحل (رحمه الله) من قبل

بعض العلماء في الحوزة العلمية كانت ناشئة من هذا الدعم والتأييد لهذه الحركات والأنشطة.

ولكن نلاحظ أنهم لم يعطوا السيد (رحمه الله) حقه، وهذا أمر مشهود ومعروف.

شاهد الكلام: كان للإمام الراحل (رحمه الله) دور تأثيري كبير على السياسة، وعلى أصحاب القرار.

وكما قلنا سابقاً إن السيد الراحل (رحمه الله) بعث مبعوثاً إلى (ياسر عرفات) (1) فقال له: إذا أردت أن تنتصر يجب أن تتمسك بالأساليب السلمية في العمل أي اللاعنف وأن تتركوا العنف، لأن العنف يضيع الحق.

وهذه الخطوات إنما كان يقوم بها لأنه كان يرى أن صلاح الأمة وأخذ حقوقها يجب أن يتم على كل الاتجاهات وفي كل المستويات.

أما بالنسبة إلى لقاءاته بالمراجع الكرام فأنا شاهدت وحضرت جملة من هذه اللقاءات التي كان يلتقي فيها بالمراجع، ولقد قلتُ من قبل أن كل المراجع قاموا بزيارته عندما نزل قم المقدسة، وكان في برنامجه اليومي زيارة للمراجع الآخرين، فكان يزورهم ويزورونه، ويحبهم ويحبونه.

الصورة



ص: 153

1- سياسي فلسطيني وأحد رموز الحركة الفلسطينية من أجل الاستقلال. رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية المنتخب في عام 1996.

حينما كان يجلس الإمام الراحل (رحمه الله) مع المراجع يطرح عليهم الأفكار الحيوية التي تمسُّ مشاكل الأمة الإسلامية كنظرية شورى الفقهاء، وقد طرحها تقريباً على كل المراجع الذين التقى بهم، وقد كنت حاضراً في بعضها، حيث جرى حوار في موضوع (شورى الفقهاء)، وقد حاورته بهذا الأمر يوماً، وقلت لعل بعض الفقهاء لم يعتقد بهذه النظرية إما من جهة الحكم أو من جهة وجود الموانع، فقال (رحمه الله) : أنا طرحت هذه الفكرة على كل المراجع، وكلهم موافقون عليها، وعندما تسنح لي الفرصة أو المجال وتخف الضغوطات - علينا، وعلى غيرنا - أستطيع أن أجمعهم خلال مدة وجيزة، وربما خلال ستة أشهر أجمعهم كلهم في مجلس الشورى، وفي ذلك الزمان كبار المراجع من العراق وإيران كانوا على قيد الحياة، أي إن المراجع الكبار كانوا موجودين في تلك الأيام التي جرى فيها هذا الحوار الذي أنقله لكم.

وقال سماحته (رحمه الله) : إذا سنحت لي الفرصة أنا أجمعهم؛ لأنهم مقتنعون بالفكرة، ولكن نحتاج إلى فسحة سياسية حتى نستطيع أن نحقق هذا المشروع، ولو أعطيت المجال أنا لصنعت هذا الشيء بنفسى.

كان السيد الراحل (رحمه الله) يزور المراجع، وكان يطرح معهم مثل هذه المواضيع المهمة، أو يطرح عليهم مشاكل ويطالبهم بالحلول.

فمثلاً: في إحدى المرات - وقد ذكر ذلك بنفسه لنا - زار أحد المراجع في قم المقدسة، وكان من المراجع المهمين في خوزستان في ذلك الوقت. قال: إذا احتاجت الدولة إلى بعض الميزانية كيف يمكن أن تحلوا المشكلة اقتصادياً؟! وهل

يمكن للدولة أن تأخذ الضرائب من الشعب، مع أنها محرمة في نظر الإسلام؟! فقال ذلك المرجع: نعطي إجازة في صرف الحقوق الشرعية في هذا المجال، لكن السيد الراحل (رحمه الله) لم يكن مقتنعاً بهذا الجواب كما أشار إلى ذلك في (فقه الاقتصاد)، فهل هنالك بعض المجال للدولة في أخذ الضرائب بمقدار الضرورة التي يحددها شورى الفقهاء؟! لأن هذه حالة استثنائية وليست حالة أصيلة، باعتبار أن الضرورات تبيح المحظورات، و تقدر بقدرها وطريقة الجمع بين القاعدتين هو الأخذ بالمقدار المطلوب على قدر رفع الضرورة عند الاضطرار إلى ذلك فقط، مع تخطيط دقيق و بحث مستمر للخروج من هذه الضرورة.

فعلى كل حال كان بعض المراجع يأتون لزيارته، وبعض المراجع الآن هم من الأحياء، وكنْتُ أراهم عندما يأتون لزيارته، فما من شخص يدخل عليه من المراجع إلا ويبحث معه مسألة شورى الفقهاء، أو التعددية السياسية، والتصدي لإنقاذ الأمة الإسلامية والسعي للاكتفاء الذاتي في الأمة للانفكاك من التبعية للغرب ونحوه.

وقد طرح أحدهم مرجعيته بعد ارتحال السيد الخوئي (قدس سره) ، وطبع رسالته العملية فتعرَّض إلى بعض الضغوطات هنا لأجل الكف عن ذلك. فكان يقول لبعض تلاميذه - أنا أتعجب من (الجماعة) لماذا يغتاظون، ويتضايقون عندما أ طرح مرجعيتي ويصادرون رسالتي العملية؟! إذا كانوا يحاربون السيد الشيرازي فهو (حامل همَّ الإسلام على رأسه دائماً)، - وهذا التعبير من مرجع، تعبير ينم عن تشخيص كبير ومحدد في جهة مهمة - فيمكن أن يزاحمهم في جملة من القضايا، ثم كان يقول: هناك مرجع آخر حاربوه وأغلقوا عليه بابه، لأنه كان معهم في مدة، ثم بعد ذلك خالفهم وافترق عنهم، أما أنا فلماذا؟! لست كالسيد الشيرازي، ولا

كالمرجع الآخر - فلماذا يغتاظون مني؟!

شاهد الكلام: إن تحرك السيد الراحل (رحمه الله) على المرجعيات وزيارة المراجع له كانت تصب في الإتجاه الإصلاحي، وفي الإتجاه التوجيهي، ولو كان الأجل أمهله مدة من الزمان أعتقد أنه ربما كان يستطيع أن يوصل مشروع شورى الفقهاء إلى مرحلة التطبيق، وإذا لم يكن على مستوى كل الفقهاء لا أقل من بعضهم، فقد كان باستطاعة السيد الراحل (رحمه الله) أن يوصل شورى الفقهاء الى النضوج والارتقاء، ويوصل هذه الفكرة إلى مرحلة متقدمة في الأمة، ولكن لله في خلقه شؤون، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

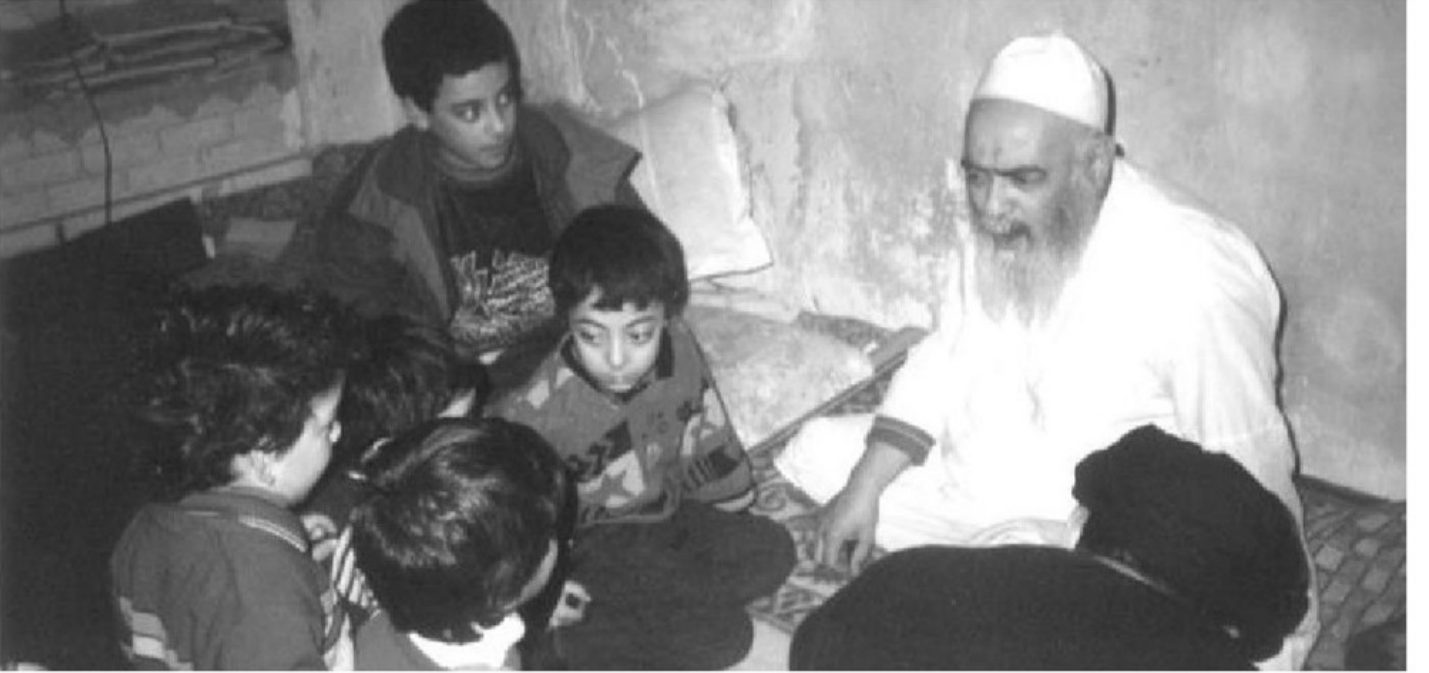
الإمام الراحل (رحمه الله) وأساليبه التربوية

* كيف كانت خططه وأساليبه في تربية أولاده وأقربائه؟

* وكيف كانت علاقته مع أسرته وأرحامه وبالعكس؟

- هذا السؤال له عدة جوانب، الجانب العاطفي يحتاج إلى كلام كثير، وأستطيع أن أنقل لكم انطباعاتي ولكن بشكل مختصر، فأنا ما رأيت في حياتي علاقة روحية بهذا الشكل من الانسجام بينه وبين أولاده وأرحامه، ويمكن لي أن أتذكر الأيام التي كان فيها الإمام الراحل (رحمه الله) هنا، وكان لديه ما شاء الله من الذرية، فقد بارك الله سبحانه وتعالى في ذريته، وكان من دأبه أن يزوجهم وهم في

الصورة



ص: 156

مقتبل العمر وفي الشباب، فغالباً كان بيته يضحج بالأولاد، وما رأيت في يوم من الأيام بيته إلا وهو مكتنظ بالأطفال.

من اللطائف التي كان يتمتع السيد الراحل (رحمه الله) بها - وهذه حالة نادرة - أنه حينما كان يكتب أو يطالع كان يطالع في مكان وفوق رأسه أطفال عديدون يصيحون ويقفزون ويلعبون. وكانت له علاقات متميزة مع كل طفل منهم، فكل فرد منهم له علاقة خاصة تمتاز عن العلاقة مع غيره، خصوصاً مع الأطفال الصغار. وأحياناً كان ينقل قصص بعض أحفاده في المحاضرات التربوية، ولم يكن ذلك إلا لأجل أن يتخذها عبرة، أي إنه ما كان ينقلها لأجل التسلي بل ينقلها للعبرة.

فالجانب العاطفي في حياته جانب شديد الأهمية، وإلى الآن آثار أخلاقياته ومعنوياته على أولاده وأحفاده جليّة وواضحة، فعندما ترى تعاملهم - أولاده وأحفاده وأسباطه الذين التقوا واحتكوا به - تحس بعمق علاقتهم مع الناس وعلاقتهم مع بعضهم البعض وهي علاقة تكاد تكون نادرة، فالاحترام الكبير والتقدير المتبادل والتدين والوقار والفضائل جلية عليهم.

كما أن لديهم حقيقة الشيء الكثير من المكارم والفضائل، والشخص قد يعجز عن التكلم فيها، ولقد رأيت السيد الراحل (رحمه الله) عدّة مرات - في المناسبات كموايد الأئمة (عليهم السلام) - يجلس في الديوانية العامة (البراني) ويأتي أخوه الأصغر (1) ليسلم عليه، فينحني عليه لتقبيل يده ويجلس، ثم يأتي السيد محمد رضا (رحمه الله) وينحني على يد والده (رحمه الله) ثم على يد السيد عمه (دام ظله) لكي يقبلها ويجلس، ثم يأتي السيد مرتضى ليسلم على أخيه الأكبر السيد محمد رضا (رحمه الله) فينحني على

ص: 157

1- سماحة آية الله العظمى السيد صادق بن مهدي الحسيني الشيرازي.

يديه حتى يقبلها بعد تقبيل يد والده وعمه. مع أن كل واحد له موضوعية في شخصيته وفي استقلالته، وإلى الآن أشاهد هذه المشاهد المشرفة حقيقة، وهذه طبعاً مناقيبات عالية، وهذه الأخلاق العالية يعود الفضل في جانب كبير منها إلى الإمام الراحل (رحمه الله).

وهذه المناقبات لا تجدها إلا في بيوت العلماء الذين أخذوا الشيء الكثير من أخلاق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

أما في الجانب الإداري فقد كانت لديه نظرية يكاد يمتاز بها عن غيره من الأعلام والمراجع الكرام، فإذا رأينا المراجع وبيوتاتهم، فإن الأبناء لهم الرأي الأول في بيت المرجع، أي إن ابن المرجع هو الأمر النهائي باعتبار علاقته بالده، وإنه أقرب الناس إليه، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) لم يكن يؤمن بمثل هذه النظرية، بل كان يؤمن بعكسها، وإلى مدة طويلة ما كان يسمح لأولاده في التصدي للأمر، فمن يدير المكتب ومن يتعامل معه هم غير أولاده، فقد كانت مهمتهم الدراسة فقط، وفي الكثير من المسؤوليات التي تقتضي السفر أو الذهاب إلى خارج إيران، أو التعامل مع قضية لم يكن يسمح لأولاده بأن يتصدوا، وكان يبعث تلاميذه من غير أولاده، لأنه يرى بأن تصدي الأولاد لإدارة المرجعية ليس بالأمر الصحيح، لأنه قد يؤدي إلى المحسوبيات أو التفرد، ولم يكن يؤمن بالتفرد ولا بالمحسوبية.

ولكن بسبب الظروف السياسية والقمع الشديد الذي تعرض له أجبر في المدة الأخيرة بأن يدع أولاده للتصدي بعض الشيء لعدد من القضايا، وإلا فإلى مدة عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة وعندما كانت الظروف جيدة ما كان يسمح لهم أن يتصدوا لشيء من الأعمال إلا الدراسة والتدريس والعلاقات العامة

ونحوها، حتى أن الوكيل المطلق له لم يكن ابنه.

وفي كثير من الأحيان كنت أرى الناس وأعضاء المكتب لهم نفوذ وسلطة، وابنه ليس له نفوذ، ولو أراد شيئاً يطلبه من المسؤولين أو يقدمه بصيغة مقترح لا أكثر ولا أقل.

وفي الكثير من الجلسات القرار ليس لابنه، بل له صوت واحد والقرار للجماعة وللأكثرية، وإلى يومنا هذا أبناء الإمام الراحل (رحمه الله) هكذا يتعاملون، لأنهم أيضاً يتصفون بالمرونة ويحترمون آراء الآخرين، ولا يؤمنون بالتفرد، بل اسلوبهم قائم على التعددية ونظام المؤسسة لا المحور الواحد.

وفي تصوري أن نظرية الإمام الراحل (رحمه الله)، نظرية ناضجة وواعية، حيث كان لا يرى التسلط للأبناء على الأمور لكونهم أبناء مراجع، فابن المرجع له مكانته واحترامه ودوره المهم، ولكن يجب أن تكون الاعتبارات الأخرى هي الحاكمة.

ويكاد السيد الراحل (رحمه الله) أن يكون من المراجع المعدودين الذين تكون عائلتهم جميعاً في خط العلم من أولاده وأسباطه وأحفاده، بل من النقاط التي لاحظتها وسمعتها من الأكابر أن أسرة آل الشيرازي منذ زمان المجدد الشيرازي إلى اليوم - أي حوالي (150-170 سنة) - المرجعية متناوبة فيهم جيلاً بعد جيل، ويكاد أن يكون البيت الوحيد الذي لم تفارقه المرجعية، بكفاءة وجدارة كاملة.

وهذا الأمر ينم عن توفيقات كبيرة في هذا البيت.

وقد لاحظت الكثير لم يكن أولاده أو أحفاده في خط العلم، ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) هو وأولاده في ذلك الخط.

وكان دائماً يوجه محاضراته - لنا ولغيرنا - ويقول: ادرسوا كثيراً، وكونوا علماء وحلماء. وكان يعطي منهجية في هذا السبيل، وأحياناً يقترح لنا كتباً للدراسة، فإذا جلست عنده يسألك ماذا تدرس؟ وأي كتاب تقرأ؟ مثلاً تقول له: مكاسب⁽¹⁾، أو تقول له: كفاية⁽²⁾، أو غيرها من كتب الدراسة. ثم يقول (رحمه الله): هل درست شرح التجريد⁽³⁾، فإن كان الجواب بالنفي شوق على دراسته.

كان دائماً يشجع على الدراسة لأهمية الموضوع، وكان يشجع تلاميذه على التصدي للتدريس فضلاً عن أولاده، حتى إذا وجده أهلاً للتدريس، قال له: أنت على اعتبارك فلان بن فلان اذهب ودرّس البحث الخارج، وهذه القضية أيضاً واحدة من نقاط التميز عند الإمام الراحل (رحمه الله)، إنه هو بنفسه في أيام حياته الشريفة كان يشجع طلابه على التصدي للأمور الكبيرة، والتصدي للأشياء الصعبة كتدريس البحث الخارج⁽⁴⁾، أو لكتابة الكتب والرسائل، وقد لاحظته يقول لجملة من العلماء: اكتبوا رسالة عملية واطبعوها، ولكن في ذلك الزمان كانوا مُدرّسين، فقال لهم: اكتبوا رسالة واطبعوها، واطرحوا أنفسكم للمرجعية، والآن هم من المراجع ولله الحمد. وهذه حالة تكون نادرة في هذا

ص: 160

- 1- كتاب المكاسب للشيخ الأعظم استاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الانصاري (قدس سره).
- 2- كفاية الأصول للشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالأخوند المتوفى عام 1329 هـ.
- 3- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للخواجه نصير الدين الطوسي، شرحه جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلبي.
- 4- المرحلة الأخيرة من الدراسة في الحوزات العلمية عند الشيعة الاثني عشرية، سميت بالخارج لأن التدريس فيها يتم خارج نطاق الكتب التي يعتمدها الأستاذ في تحضير مادته.

الباب، بأن يدعو الإنسان الآخرين إلى منافسته في المرجعية !!

وهذا يؤكد النظرية التي آمن بها وعمل عليها وهي: إنه كان يريد المرجعية كطريق وليس هدفاً، وإنما هي وسيلة ليس أكثر من ذلك.

فلذلك أنت الآن إذا تدخل في أسرة آل الشيرازي لا ترى أن القيمة والمكانة لابن السيد، لأنه ابن السيد فقط ولا غير، بل لأنه صاحب فكر وقاد، ولأنه صاحب تقوى وخدمة ومتفوق على أصحابه لا أقل من بعضهم، ولكن المنهجية العامة في هذا البيت هي منهجية العلم والفقاهة.

دور الإمام الراحل (رحمه الله) في تقوية الحوزات

* ما هو دوره في تفعيل الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة وسائر الحوزات العلمية؟

- هذا السؤال بحاجة إلى توضيح البنى التحتية للحوزة، لأن تقوية الحوزة العلمية عادة تتم عبر عدة طرق ووسائل:

منها إقامة المدارس وتقويتها بالمنهجية والنظام المتين، ومنها استيعاب الطلبة، ومنها تقوية العلماء والفضلاء.

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يقوم بها كلها، فكان له في كربلاء المقدسة أكثر من (15-16) مدرسة، وكلها مرتبطة به بشكل أو بآخر، وكان يديرها ويعطي رواتب شهرية لكل الطلاب، بل لعله هو المرجع الوحيد الذي كان يعطي الراتب الشهري لكل طالب وحتى في الأماكن النائية من العالم، وراتبه الشهري العام كان يوزع في الهند وباكستان وأفغانستان وإيران والخليج وسوريا ولبنان، وفي كل مكان في العالم يوجد به حوزة، فأينما توجد مدرسة وفيها طلاب علوم

ص: 161

دينية كان يعطيهم الراتب الشهري (الشهرية)، وهنالك مَنْ هو أقدر منه من حيث المال، لكن لم يكن مثل السيد الراحل (رحمه الله).

وهذه المسألة استمرت في إيران، فعندما وصلها، - وإيران بلد جديد عليه لأنه نشأ في العراق -، كان يعتبر نفسه في مرحلة انتقالية وليس أكثر، ويتقرب متى تتغير الظروف حتى يرجع إلى بلده، ولكن مع ذلك كان يرضى كل الحوزات والمدارس التابعة له والتي كنت أحصيتها في الأيام التي كنت متواجداً في إيران حوالي (13 - 14) مدرسة، ثم أخذ برعاية الحوزة العلمية بشكل عام، وكانت رعايته لها نوعية، وما كان ذلك بدون (هدفية).

وكان السيد يعطي لكل جالية مجالاً، ويحتضنها بشكل من الأشكال، فلأفارقة كان يعطي دوراً، وللإيرانيين هناك مدارس مختصة بهم وهناك مدرسة أو مدرستان تعطى للأفغانيين، ويشجعهم لإدارة هذه المدارس وتربية الطلاب الأفغانيين، وللباكستانيين والهنود، كان يعطي مدرسة أو مدرستين في الوقت الذي كانت فيه هذه الجاليات تعتبر مستضعفة في الحوزة - مع الأسف - وللعراقيين كان يعطي مدرسة، وخصوصاً بعد انتفاضة شعبان ارتفعت الأعداد من حوالي (175) طالباً إلى (500) طالب، وخرّجت هذه المدرسة الكثير من الأساتذة والمدرسين والخطباء والمؤلفين والمحققين. هذا إلى الوقت الذي كنت أنا فيه، أي حوالي سنة (1997م) وأما بعد خروجي من إيران فلا أعلم هل تأسست مدارس جديدة أم لا؟ والذي أذكره أن (16) مدرسة كان يراها في ذلك الوقت.

وليس ذلك فقط، بل حتى في بيته ومكتبه المرجعي يكاد أن يكون المكتب الوحيد في ذلك الزمان الذي ترى فيه العراقي والإيراني والهندي والأفغاني والباكستاني والتركي، فكل الجاليات كانت موجودة، وبعضهم أعضاء في

مكتبه، أي كان عنده تنوع حقيقي، وأممية حقيقية في مكتبه، وأممية حقيقية في مدارسه، وأممية حقيقية في أفكاره، وكلهم ما كانوا مجرد منفذين بل أصحاب قرار فيه؛ لأنه يؤمن باللامركزية في العمل، فالمحور من الأفغانيين يعطيهم إعتبارهم، ويعطيهم دوراً في صناعة القرار، والمحور من الهنود والباكستانيين كذلك، والمحور من العرب والعراقيين لهم دورهم أيضاً، وكذلك محور الإيرانيين، وهكذا فكان يعطي كل ذي محور حقه منها ويمنحه الحرية والدعم للعمل نحو الأفضل.

تعددية أممية

عندما تدخل في بيت السيد الراحل (رحمه الله) ترى تعددية حقيقية، والقرار مُتقَسَّم بين الجميع، والكل يشترك في صناعة القرارات المشتركة، وأما في المسائل الخاصة فتري الكل يتميَّز وله خصوصيته، وهذه جنة حضارية وطريقة متطورة، وإلى الآن الكثير من المؤسسات والهيئات والجمعيات، ما وصلت إلى هذا الأسلوب الإداري الحضاري، حتى في الكثير من الحكومات لم تصل إلى هذا النحو من التعدد الحقيقي، ولكنه هذه الظاهرة الحضارية كانت مطبَّعة في مكتب السيد الراحل (رحمه الله) قبل (25 - 30) سنة، ولا ننفي وجود بعض المشاكل في هذا الأسلوب، ولكن المشاكل هي نتيجة تخلف الأمة، أو قصور الأفراد لا قصور الأسلوب، أو تقصيرهم، هذه الطريقة والأسلوب - في الحقيقة - ينمُّ عن سعة وشمولية في التفكير، فلذلك أنت عندما تأتي إلى بيته ترى التنوع الكثير، وكثيراً ما كان يأتي بعض الأصدقاء لأول مرة، فعندما يدخلون ويرون هذا التنوع يقولون: هنا الأمم المتحدة؛ لما يجدونه من تنوع وتعدد وتنسيق.

والمحاضرة الأسبوعية التي كان الامام الراحل يلقيها في يوم الأربعاء هي محاضرة توجيهية بخصوص طلبته، محاضرة خاصة في الفكر والعقيدة والأخلاق كان يلقيها على الطلبة، فعندما تأتي وتدخل إلى القاعة ترى العراقي والخليجي والإيراني والأفغاني والهندي والتركي كلهم مجتمعين فيها، وترى المعمم وغير المعمم، ومن النقاط المتميزة فيها أنه لا- يميز بين طلبته، كطالب المقدمات عن غيره من الطلاب، فالكل يجلسون في مجلس واحد على قدم المساواة، والكل متعايش معها، ومؤمن بهذه الطريقة التي تراعي المستويات، وتحترم الجميع في وقت واحد.

فليس الطلاب طبقات، فلا توجد طبقية في معاملة الإمام الراحل (رحمه الله) لتلاميذه وطلابه، حتى ابنه وتلميذه يعاملهم بنفس المعاملة، مثل ما أن ابنه له حصّة من الاعتبار فتلميذه له حصّة من الاعتبار كذلك.

المشورة الدائمة

كثيراً ما كان تجاه بعض الأحداث يدعو العديد من ثقاته إلى غرفته الخاصّة.

فقد تحصل مشكلة ما كمشكلة سياسية في إحدى الدول الإسلامية، فيقول: حدثت مشكلة في ذاك البلد، كيف نحلها؟ أي يطرح السؤال ويترك المجال لكل واحد ليقول رأيه، ابنه له رأي، وتلميذه أيضاً له رأي، الصغير أو الكبير، طالب المقدمات، ومدرس بحث خارج، الكل مشترك في الجلسة ولهم رأي فيها، ويشتركون في القرار، وكان للسيد الراحل (رحمه الله) بنفسه رأي أيضاً، أي مستوى من التربية والانفتاح هذا؟ وأي مستوى من احترام الأفراد وكفاءاتهم عنده؟

فأسلوبه مع أولاده هكذا تماماً، فما كان يُشعرك أن هذا ولده، وهذا

أبعد، فالكل قريبون منه والكثير من الأخوة كانوا يشعرون بأن كل واحد منهم عنده بمنزلة واحد من أولاده، ولا يوجد فرق بيننا وبينهم سوى أن ذلك من صلبه، وهذا من غير صلبه.

أنت تشعر هذا الشعور، وهو أيضاً يُشعرك به، وما أكثر الأيام التي كان يدعوننا فيها إلى غرفته الخاصة، وعلى مائدته نأكل، أيام برد، وأيام حر، يدعوك أو يدعك تدخل إلى بيته وبكل حرية فترى غرفته، وترى مائدته، وكأنك تتحدث مع أبيك بصراحة وبكل ارتياح، وبكل حرية تتحدث معه مع رعاية الجانب الأدبي والأخلاقي طبعاً، وكان في بعض الأحيان يتمازح مع بعض طلابه أو أصحابه، يتمازح معهم ويتمازحون معه تمازح الأب مع أبنائه، هكذا كان شعورنا.

وأعتقد وربما أستطيع أن أجزم أن كل الذين عاشروه وكانوا يجلسون معه لهم مثل هذا الانطباع، وكانوا يعيشون نفس الشعور الذي عشناه.

فنحن وهو أسرة واحدة، أب وأبناء، فإذا كان يتعامل مع تلميذه هكذا، فكيف كان تعامله مع ابنه؟

والحديث عن هذا طويل وجميل لما فيه من نفحات تربوية، ولمسات أخلاقية راقية.

الإمام الراحل (رحمه الله) وأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى

* ما هو موقف الإمام الراحل (رحمه الله) من سائر الأديان والمذاهب؟

* وكيف كان يحاول التأثير عليهم؟

- كان الإمام الراحل (رحمه الله) في الواقع يُفرِّق بين مسألتين في التعامل مع الآخرين:

ص: 165

أولاً: الحفاظ على الأصالة، فهو معروف بتصلبه في ولانه لآل البيت (عليهم السلام)، وأذكر أننا وجمع من الطلبة طلبنا من أحد أساتذتنا أن يدرسنا كتاب (الأصول) للإمام الراحل (رحمه الله) وهو شخص أجه وأحترمه كثيراً - حقيقة - وهو من الأساتذة الكبار، ولعله من النوادر الذين رأيتهم في حياتي الدراسية من حيث العلم والتقوى والأخلاق، ولكن يمكن أن لا يرضى أن أذكر اسمه وإلا ذكرته، وأسأل الله تعالى أن يطيل في عمره ويحفظه ويجزيه جزاء العلماء العاملين.

وعندما طلبنا منه تدريسنا كتاب الأصول، قال: أستخير الله في ذلك، فاستخار الله فكانت الاستخارة جيدة، وافق على تدريسه، ولكنه واجه مشكلة شخصية له من حيث الموقع، حيث كان ابن مرجع من كبار المراجع، وكان في نفسه شخصية علمية كبيرة، ومعروف في أوساط علمية وقفت ضد الإمام الراحل (رحمه الله)، فتحدى كل هذه الظروف، وهذه القصة قديمة، وفي يوم من الأيام قال لنا: أنا في الواقع أرى من اللازم أن أدرس كتاب السيد الشيرازي، وأرّج له، فسأله أحد الأخوة: لماذا؟

قال: لأنني أعتقد أنه موالٍ لأهل البيت (عليهم السلام)، وهذا الكلام له مفهوم كبير في العرف الحوزوي.

الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) بلا حدود

وقد لاحظت وضوحه وصراحته حتى في كتبه الفقهية، فعندما يريد أن يمثل لمطلب فقهي في المسائل الإيجابية يذكر الأسماء التي تتعلق بأسماء أهل البيت (عليهم السلام)، مثلاً في موضوع الزواج يذكر (زينب وعلي) أو (زينب

ومحمد)، وفي الأمثلة السلبية يذكر أعداء أهل البيت (عليهم السلام) ويضعهم مثلاً.

دققوا الآن أنتم في هذه المسألة، في مواضيع المعاصي، في أمثلة المعاصي، - لا سيما في كتبه الشرحية للمكاسب والكفاية خاصة - يأتي بأسماء أعداء آل البيت (عليهم السلام)، وأما في المسائل الإيجابية فيأتي بأسماء أهل البيت (عليهم السلام)، فأبي درجة من الولاء هذه؟

فكان هو، متصلباً بولائه لآل محمد (عليهم السلام) حتى مؤسساته كلها سُميت بأسمائهم، ولا يوجد كتاب من كتبه إلا وذكرهم ومجدهم ومدحهم.

ولكن في نفس الوقت ما كان يؤمن بأن المواجهة مع المذاهب أو الأديان بالعنف أو بالقطيعة هو الصحيح.

كان يعتقد بأن هناك موقفان: موقف في العلم والفكر والمعتقد، وموقف في العمل، وفي العمل يجب أن نصادق الجميع، ونعاشي الكل لأجل أن نؤثر عليهم أو نحفظ مودتهم.

وفي مدة من الزمن كنت أتابع بعض كتبه أراجعتها وألاحظها، فأوصاني بوصيتين:

الوصية الأولى: كان يؤكد أن تروى الروايات من كتبنا المعتبرة الروائية أو الفقهية ونحوهما، لأن الفقيه الكبير والمحدث الثقة كلاهما حجة فيما يرويانه وإن لم يذكر الفقيه سند الرواية في كتابه. طبعاً بشرط أن يكون قد استند إليها الفقيه وعمل بمؤداها.

فبعض الإشكالات التي يذكرها البعض ناشئة من عدم المعرفة بهذا الأمر، حيث يقولون هذه الرواية لم ترد في الكتب الروائية، فلا تصلح وإن وردت في الكتب الفقهية للعلامة أو للشهيد أو للشيخ الطوسي (رحمهم الله)، لأنهم

رووها من غير مصادرنا بحسب الظن.

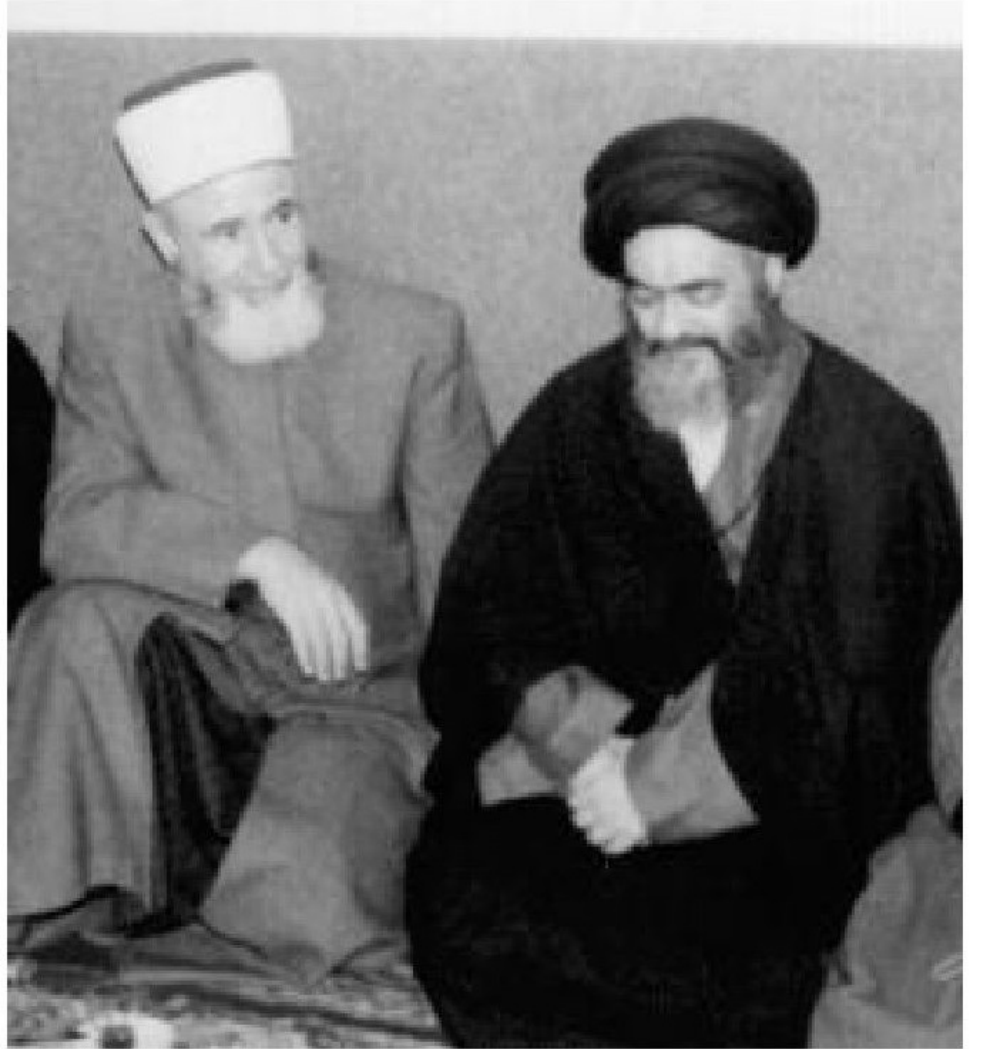
لكن السيد الراحل (رحمه الله) كان يرى خلاف ذلك حيث يحتمل أنها رويت من أحد مصادرنا التي لم تصل إلينا، وهذا ينم عن نورانية خاصة.

الوصية الثانية: عدم ذكر أي كلام عنيف ضد أي مذهب من المذاهب، وذلك لأنني أريد أن أصلحهم.

المسألة الأخرى التي يمكن ملاحظتها في كتبه أنه لا يذكر أسماء خصوم آل محمد (عليهم السلام) الأوائل أصلاً، وإذا ذكروهم بأسمائهم في مكان فإنما هو لاعترا فهم بفضيلة من فضائل أهل البيت (عليهم السلام) فيذكرهم لذكر تلك الفضيلة، وهذه كتبه مليئة بهذا المنهج ويمكن ملاحظتها.

فكان يرى بأن هناك موقفان، موقف يأخذ جانب الفكر والهدى والضلال فهم على ضلالتهم وعلى باطلهم، ولكن الموقف الثاني هو الموقف العملي فنحن نريد أن نصلحهم، ونريد أن نهديهم إلى سواء السبيل، فلذلك لم يكن عنده مانع من الانفتاح والتحاور معهم، فإذا أتى إليه أحدهم وأراد أن يزوره استقبله بكل رحابة صدر، وأحياناً كان يبعث مبعوثين إلى الشخصيات الكبيرة منهم لأجل محاورتهم.

الصورة



وحتى في كتبه التي تناول فيها الفكر السياسي أو الحقوقي مثل الفقه

السياسة(1) والفقهاء الدولة الإسلامية دعا إلى وجوب احترام حقوقهم وإعطائهم حق التمثيل في الجمارك والوزارات وإن كانت الحكومة تتبع الأكثرية، فكان يفرق بين بطلان العقيدة وبين جانب الإنسان الذي له حقوقه وحاجاته، ولا يجوز أن يكون الأول مبرراً لهضم الثاني.

الإمام الراحل (رحمه الله) والإصلاح

* لماذا تحمل الإمام الراحل (رحمه الله) مسؤولية المرجعية وهو في عمر مبكر؟

- مسألة الوظيفة والإصلاح، نقطة جوهرية بمسؤوليات المرجعية.

وحقيقة كان الإمام الراحل (رحمه الله) يرى ويتنبأ بمستقبل العالم الإسلامي، فكان يرى بأن العالم الإسلامي ذاهب بسيره الحثيث صوب الهاوية، وذلك من أوائل الخمسينات والستينات من القرن الماضي، باعتبار أن المد الشيوعي كان قوياً، والمد القومي أيضاً، والأحزاب المنحرفة بدأت تتوزع وتتنوع وتنتشر في العالم الإسلامي، والغرب بدأ ينشر أفكاره الضالة، وليس من المعقول أن نترك المجتمع الإسلامي بلا رعاية، فلا بد من تحرك للعلاج، فتحرك سماحته (رحمه الله) منذ البداية، وكان تحركه الأول على المراجع في العراق في ذلك الزمن.

تحرك وحاوهم ودعاهم إلى العمل، ولكن وجد بأنه لا مناص من التصدي الشخصي، خصوصاً وأن والده السيد الميرزا مهدي (قدس سره) فارق الدنيا والإمام الراحل (رحمه الله) كان في عمر الشباب، فإذا لم يتحرك ولم يتصد للمرجعية في ذلك الزمان، كان يسرع الانهيار إلى العراق وغيره، لأن

ص: 169

1- يقع في جزئين بحث فيه سماحة السيد (رحمه الله) مجموعة متعددة من مباحث السياسية بنظرة فقهية.

المؤامرات كبيرة، والأمة غير مستعدة لمواجهةها بسبب الجهل وسياسة الحكومات المحلية، فتوجهه الإصلاحية وتحركه كان لأجل الوقوف أمام المد الغربي، وأمام المد الشيوعي، وأمام المد المفسد في الأمة. هذا الذي دعاه إلى التصدي المبكر للمرجعية، لأن الساحة الإسلامية كانت بلا قيادة، صحيح أن لها مرجعيات مهمة وجلييلة ولكن تلك المرجعيات كانت مهتمة بالجانب الديني أكثر من غيره. أما الجانب القيادي فقد كان فيه فراغ كبير، ولولا أن حكومة البعث كانت تتصدى لمحاربة الإمام الراحل (رحمه الله)، وحكمها عليه بالإعدام، وسجن أخيه المرحوم السيد حسن، واعتقال مجموعة من تلامذته النشيطين لتمكن من إنجاز الكثير من المشاريع النهضوية، ولكن بدأت حكومة البعث تتمدد بالتضييق عليه، ثم الحكم عليه بالإعدام، وخروجه إلى الكويت، وبعده تم تصفية حوزة كربلاء المقدسة، لتبقى مقفلة الأبواب لمدة (35) سنة، والآن بحمد الله تعالى أعيد إليها بعض النشاط بهمة جملة من الأخوة العلماء والأفاضل.

ولذا يرى البعض أن السيد الراحل (رحمه الله) لو كان باقياً في العراق لما تمكن صدام من أن يصل إلى التماذي الكبير على الشعب ومقدراته، بل كان وضع العراق أفضل بكثير، حيث كانت له قوة هائلة في العراق، والجماهير كانت ملتفة حوله، وتسمع منه وتطيع أمره، فكان يمكنه أن يحد من البعثيين وإجرامهم، ولكن صداماً أدرك ذلك فبدأ بالبطش به ثم حكم عليه بالإعدام، فاضطر السيد الراحل (رحمه الله) إلى الهجرة، وكان إلى آخر يوم من حكمه وقبل سقوطه إذا كان يسمع عن شخص أنه يُقلد السيد الراحل (رحمه الله) أو

مرتبط به كان يسجنه أو يعدمه؛ لأنه يعتبر اسم الشيرازي خطأ أحمر، فضلاً عن الأشياء المتعلقة به.

أعتقد أن هدفه الإصلاحي هو الذي دعاه إلى هذا المنهج، وهناك تقييمات أخرى في تصوري ولكن لا يسع المجال لذكرها.

ص: 171

الإمام الشيرازي (رحمه الله) والرحلة إلى مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام)

* هل جمعتم رحلة معينة برفقة الإمام الراحل (رحمه الله) ، على قلة أسفاره وماذا تحتفظون من ذكريات عن تلك الرحلة؟

- سافرت معه في أيام حرب المدن حين قام صدام بقصف مدينة قم، وكان السيد الراحل (رحمه الله) يشرح الأسباب التي دفعت صدام إلى قصفها، وهو مستاء جداً من هذه الحملات، وسخافة المبررات و العقول التي تحكم العراق.

لم أرافق الإمام الراحل (رحمه الله) في مغادرته مدينة قم، لقد سبقته بالخروج منها، وبعد ثلاثة أيام من وصولنا إلى مدينة مشهد المقدسة، وصل السيد الراحل (رحمه الله) إليها.

لم أوفق للسفر مع سماحته (رحمه الله) إلا مرة واحدة، وهي من مدينة قم إلى مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) وهو لم يكن يسافر إلا لضرورة قصوى كالسفر في تلك الأيام التي بلغت الحرب بين العراق وإيران الذروة، وراح صدام يضرب المدن كثيراً ومنها مدينة قم المقدسة، وفي تلك الأيام - وحسب جملة من القرائن - كان سماحة السيد (رحمه الله) مستهدفاً شخصياً، أو من ضمن المستهدفين في ضرب مدينة قم من قبل النظام الصدامي.

ومن ضمن الشواهد: إن السيد الراحل (رحمه الله) في أيام القصف خرج من

البيت الذي كان فيه، لأنه من حيث البنى التحتية كان بناءً متصدعاً و منهياراً، فهو قديم جداً، وأتذكر أنه كان يكفيه صوت أو رعد أو عصف أو أي انفجار قوي وإن كان بعيداً بعض الشيء لأن تنهار جدرانه، وينهدم البيت على من فيه.

فنقل سكنه من هذا البيت إلى الحسينية الكربلائية الصغيرة المسماة بدار الحسين (عليه السلام)، ونزل في السرداب لأن بناء قوي، فصارت صلواته وإقامته أكثر أمناً بهما. بقي السيد الراحل (رحمه الله) في هذا المكان مدة أثناء حرب المدن وقصف قم، وأتذكر أنه عندما كان يضرب صدام قم وطهران، تحولت طهران إلى شبه مدينة أشباح مع أن المعروف أنها في الأيام العادية تجمع حوالي (13) مليون نسمة، وقد ذهبت إليها في أيام حرب المدن، وفي منتصف النهار، في أوج النشاط في النهار وجدت هناك أفراداً قلائل يتمشون هنا وهناك،.. فما بالك بمدينة صغيرة كمدينة قم فإنها هُجرت تماماً، وخلت شوارعها وأزقتها، ولم يبقَ فيها إلا أفراد قلائل، ومنهم السيد الراحل (رحمه الله)، حيث هو ومعه جماعة من أصحابه حوله، سكنوا سرداب الحسينية و أما عائلته فقد سكنوا الطابق الثاني من الحسينية⁽¹⁾، ولكنه رفض أن يخرج من قم حتى وقت الضربة التي تعرّض فيها للخطر القريب جداً، حيث وصلت الطائرات العراقية قم وضربت السوق المجاور لبيته (سوق قم)، والضربة كانت عنيفة جداً، وراح فيها الكثير من الضحايا، والخسائر البشرية الكبيرة جداً، ومن ضمن المناطق التي استهدفت الحسينية التي كان يسكنها، ولكن من لطف الله سبحانه وتعالى ما أصابت الحسينية مباشرة،

ص: 173

1- هذا أيام القصف بالطائرات و أما أيام القصف بالصواريخ فلم يغادر السيد الراحل (رحمه الله) بيته بل سكن السرداب و أما عائلته فقد خرجوا إلى منطقة قريبة من قم اسمها (مؤمن آباد) فسكنوا هناك، وكانوا يترددون عليه.

فقد سقط الصاروخ على البيت المجاور تماماً، ولا يبعد عن مسكن السيد الراحل (رحمه الله) إلا بضعة أمتار.

وفي نفس الليلة جرت اتصالات معه من قبل بعض الأخوة والأصدقاء الذين كانوا يعيشون في ذلك الوقت خارج إيران وجملة منهم من أهل الخير ولهم خبرة في قضايا الاستهداف للشخصيات في الصراعات وقالوا للسيد الراحل (رحمه الله) : أنت المستهدف في هذه الضربة ظاهراً.

وذكروا أن ذوي الاطلاع يؤكدون ذلك، حيث لم تكن مسألة القصف تلك عفوية، ولا يستبعد احتمال استهداف السيد الراحل (رحمه الله)، وتوجد القرائن وشواهد أخرى في هذا المجال، لأن صدام حاول اغتيال السيد (رحمه الله) أربع مرات ولم يتمكن ولله الحمد وكانت هذه طريقة سهلة جداً لاغتياله.

لذلك أحسَّ السيد (رحمه الله) في هذه المرحلة بالخطر، وشعر بأن تكليفه الشرعي أن يخرج من مدينة قم. في الوقت الذي كاد أن يكون الوحيد من الأعلام والأساتذة أو من القلائل الذين ظلوا مقاومين في قم، فقرر الخروج بعد ذلك إلى مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام).

وبعد هذه الحادثة بيوم أو يومين قررنا الذهاب إلى مشهد بصحبة العائلة وجملة من أصدقائنا وأصحابنا من ضمنهم أولاد السيد الراحل (رحمه الله)، - السيد رضا والسيد مرتضى - حيث كانوا موجودين معنا في نفس اليوم الذي ذهبنا.

في تلك الرحلة لم أصحاب السيد الراحل (رحمه الله) في الطريق، ولكن صحبته في محل إقامته في مشهد؛ لذلك يوجد لدي بعض الخواطر الجيدة عنه هناك.

لقد تأخرتم كثيراً لتوثيق مثل هذه الذكريات الجميلة، فلقد مضى عليها الكثير من الأيام، ولو كانت في وقتها لكانت بالعشرات من القضايا الهامة ومن

المناقبيات والنوادر التي كانت موجودة، ولكن الآن استذكر منها بعض القضايا والأشياء القليلة جداً.

في مدينة مشهد المقدسة

كان الإمام الراحل - قبل انتقاله إلى مشهد - قد شرع في بناء (مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) بواسطة وكيله (1) هناك، وهي إلى الآن معروفة، وتعتبر من محاور الحوزة العلمية في مشهد المقدسة. في ذلك الوقت لم تكن هذه الحوزة - المدرسة - مكتملة بعد من حيث البناء، بل كانت بحاجة إلى بعض الأمور التكميلية حتى يمكن السكن فيها، ولا أذكر هل كان ينقصها الأبواب أو الشبابيك أو كانت تحتاج إلى الزجاج فقط، فلا أدري على وجه التحديد الآن، ولكن المتيقن أنها كانت ناقصة وليست كاملة من هذه الناحية، حتى نفايات البناء لم تخرج من المدرسة بعد.

أما عن الفراش والاثاث، فقد كانت قليلة جداً، فالكثير من الأشياء والأغراض ناقصة أو غير موجودة أصلاً.

ومن حين وصولي إلى مدينة مشهد استأجرت غرفة صغيرة وسكنت مع العائلة فيها، وفي الليل كنا نلتقي جميعاً بالحسينية أو في مكان آخر، ثم إن السيد رضا والسيد مرتضى رأوني في الليل، وقالوا: غداً في أول الصباح احضر إلى المدرسة، لكن لم يخبروني السبب، ولم يقولوا لي ما هو الموضوع بالضبط! وكان ذلك في أواخر شهر شعبان.

في الصباح الباكر حوالي الساعة السابعة أو السابعة والنصف صباحاً ذهبت إلى المدرسة، فرأيت مجموعة من أصدقائنا الذين قدموا إلى مشهد المقدسة من

ص: 175

1- حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي السيّاح.

قم المقدسة، وكذلك السيد رضا والسيد مرتضى وباقي أولاد السيد (رحمه الله) كانوا موجودين جميعاً، وجمهرة من السادة والأصدقاء اجتمعوا هناك، وفي حوالي الساعة الثامنة والنصف، أو التاسعة رأينا الإمام الراحل (رحمه الله) قد أصبح أمامنا، وهذه القضية كانت مفاجأة كبيرة ومفرحة جداً بالنسبة لنا، فهي مفاجأة من جهة ومفرحة من جهة أخرى؛ لأننا كنا قلقين على وضعه، فكيف به إذا كان في مأمن من الخطر، ونكون معه في هذه المرة وفي هذا المكان أيضاً، فكانت هذه نعمة كبيرة وعظيمة جداً، رغم عدم اكتمال المدرسة وعدم كونها مجهزة لاستقباله بعد.

لكن همم الشباب وفرحهم الغامر بقدمه جعلنا ننهض ونقوم بحملة عمل شعبي، فساحة المدرسة وسرديها كان مليئاً بالتراب والحجارة والأسمنت والجص وكل ما يتوقع من نفايات البناء، والغرف كلها كانت وسخة وفيها نفايات البناء، وقد كنا مجموعة من عشرين أو خمسة وعشرين شخصاً، ولقد عملنا عملاً جماعياً، فأتينا بالأدوات - رفوش وعربات وزناويل - وغيرها وبدأنا بنقل النفايات إلى خارج المدرسة.

ومن اللطائف أن أولاد الإمام الراحل (رحمه الله) لا سيما (السيد محمد رضا) و(السيد مرتضى) كانوا يشاركوننا في هذا العمل، ووقفوا إلى جانبنا، رغم أنهم كانوا يقدرون على أن يأتوا بالعمال ليرفعوا الأتقاض إلى خارج المدرسة، ولكن الحالة المعنوية والارتباط الروحي جعل الجميع كتلة من النشاط، وجعل جميع الرجال إخوة متفاعلين مع بعضهم البعض أكثر من عمال البناء، فراح الجميع يعملون دون أن يفكر أحدهم ما هو هذا العمل أو ذاك الشيء.

فبدأنا بحملة تنظيف واسعة للمدرسة، وكل النفايات والأوساخ حملناها إلى الخارج، وبعد ذلك أتوا بسيارات شحن كبيرة حملت تلك النفايات إلى

خارج المدينة، والألطف من ذلك أن الإمام الراحل شخصياً كان موجوداً معنا في هذه الحملة، أي إنه أيضاً اشترك بالعمل، ونزل معنا، وأتذكر أنه كان واضحاً عباءته وعمامته وصايبته (1) على جانب في السرداب، وراح يعمل بتنظيف السرداب، ونحن كنا نحاول أن لا ندعه يعمل معنا، إلا أنه كان بصراً على المشاركة، لأن وجوده بيننا كان نعمة عظيمة جداً، وأتذكر أن بعض الأصدقاء تأثروا معنوياً بشكل كبير جداً، ولقد تأثروا بهذا الموقف منه إذ وجدوه في مثل هذا الموقع.

في أمثال هذه المواقف لعل البعض يتفجعون عن المشاركة، أو أنهم لا يرون العمل مناسباً لهم، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) كان يرى نفسه مع بقية الأخوة والأصدقاء سواء بسواء، فعمل الجميع بجد ونشاط حتى نظفنا المدرسة كلها، وكسناها وغسلناها بالماء، وجهازناها بالإمكانات المتاحة لنزوله فيها، وفي اليوم الأول هيأنا غرفة واحدة لكي تكون محلاً لإقامته.

الإمام الراحل (رحمه الله) يسكن مع طلابه

ومن الأشياء التي رأيتها هناك أنه اتخذ موقفاً تأثرنا به جميعاً، وبالنسبة لي فلقد كان فيه الكثير من العبرة والموعظة، وكذلك بالنسبة لعموم الأخوة والأصدقاء، فمدينة مشهد كما تعرفون مدينة مقدسة وسياحية منذ قديم الأيام، وفيها الكثير من الفنادق، والكثير من الشقق المفروشة والدور المجهزة، وهناك الكثير من مقلدي الإمام الراحل (رحمه الله) ممن كان مستعداً أن يستقبله ويستضيفه

ص: 177

1- تلبس الصاوية فوق الدشداشة، وقد تعارف عند أهل العلم لبس الصاوية والتي تخاط بطريقة تكاد تختص بهم.

عنده، ويعطيه منزلاً لينزل فيه، ولكنه لم يقبل أن ينزل في بيت أحد أبداً، ورفض الإقامة في أي فندق، بل أقام معنا في المدرسة على قلة الإمكانيات وعدم ملاءمتها للسكن، فنزل في غرفة، كان يجلس ويطلع فيها، وصارت مقره ومكان عمله إلى أن نظفنا بقية المدرسة، وقمنا بتقسيم الغرف على الطلاب والأصدقاء الذين هاجروا معنا، فكانت هجرة جماعية، فكنت أقسم كل غرفة وأضع فيها ثلاثة أو أربعة، وأذكر أرقامهم وأسماءهم إلى الآن هي في بالي، ولكن الطابق الأرضي جعلناه لسماحته، لسكنه هو ولمكتبه، فغرفة للقاءات، وغرفة للمحاضرات، رغم أن الطابق الأرضي غير مجهز ولم يكن فيه إمكانيات ملائمة ومناسبة، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) لم يقبل بأن يذهب إلى فندق ويعيش فيه، وإنما قال: أنا أواسي طلابي وأصحابي. وفعلاً هو سكن في المدرسة مع الطلاب، والمدرسة غير صالحة، والجو كان بارداً وشتائياً، وكانت بعض الشبابيك من غير زجاج مما يزيد من وطأة البرد على من يسكن المدرسة، ولم يكن فيها إمكانيات للتدفئة، فكان ينقصها الكثير من الحاجات كالفراش والأثاث وباقي لوازم المعيشة.

وكانت عائلته تقيم في مكان آخر وهو يقيم في المدرسة، فكان أفراد العائلة - زوجة الإمام الراحل (رحمه الله) وأحفاده وربما بناته - يأتون لزيارته في الليل، يزورونه لمدة ساعة أو ساعة ونصف يجلسون معه ويذهبون إلى منزلهم، وهو طول النهار معنا في المدرسة.

من هناك انطلق السيد الراحل (رحمه الله) للعمل في مشهد، رغم وجود بعض التجاذبات السياسية بين العديد من الجهات، فقد تصدى أحد الشخصيات المعروفة في خطبة صلاة الجمعة للإمام الراحل (رحمه الله)، وتكلم ضده بصراحة،

وتهجم عليه هجوماً سياسياً لإسقاطه.

ومن المفارقات أنني كنت جالساً عنده، في عصر ذلك اليوم الذي تحدثوا ضده في خطبة الصلاة، وكانت الساعة حوالي (4 أو 4:30) عصراً على وشك أذان المغرب بقليل حين أتى شيخ من المشايخ المشهدين، ودخل عليه في غرفته - في الغرفة التي كانت في وسط المدرسة، وليس على الجناح الأيمن أو الأيسر، إنما في الغرفة الوسطية - فقد كنت حاضراً في تلك الجلسة، فقال له: سيدنا اليوم في صلاة الجمعة ذكرك إمام الجمعة فلان، أو خطيب من الخطباء و تكلم ضدكم، وذكر خلاصة كلامه، وهو كلام تعسفي و مؤلم جداً.

ونقل أنه كان مما قال: (إن هجرته إلى مشهد لا تحسب لله، لأنه أتى حتى يروّج لمرجعيته)...!! بالإضافة إلى كلام فيه الكثير من الظلم، والتجني على الإمام الراحل (رحمه الله)، لأننا نعرف بأنه ليس هو الوحيد الذي كان في مشهد المقدسة، بل هناك نسبة كبيرة من أعلام الحوزة أتوا إلى مشهد المقدسة، في ذلك الحين بعضهم مراجع، وبعضهم من المؤهلين إلى المرجعية، وبعضهم من المسؤولين ومن المتصددين للشأن السياسي، فهؤلاء جميعاً جاؤوا إلى مشهد المقدسة، وبعضهم كانوا من مدن أخرى غير مشهد المقدسة فذهبوا إلى مدنهم، وأما من ليس له مدينة أخرى أو أقرباء في مناطق لا تظالها صواريخ صدام ذهب إلى مشهد المقدسة، فلم يكن الإمام الراحل (رحمه الله) الوحيد الذي خرج من مدينة قم المقدسة، بل كان مستهدفاً ومضطراً وغريباً في الوقت نفسه.

وعلى كل حال اجتمع العشرات من كبار الأساتذة في مشهد المقدسة، ومنهم سماحته (رحمه الله) ولكنهم فسروا مجيئ السيد الراحل (رحمه الله) بتلك الطريقة، والأسباب والدواعي بعضها معروفة وبعضها لا يعرفها غير الله عز وجل،

ص: 179

وعندما أكمل الشيخ حديثه لم يجبه الإمام الراحل (رحمه الله) بكلمة واحدة سوى التبسم!! ولا أدري هل كان هذا الشخص قد أرسله البعض حتى يوصل الخبر للسيد الراحل (رحمه الله) ويرصد رد فعله، أو هو كان يتكلم بصورة عفوية وبمحبة؟ لكن السيد الراحل (رحمه الله) أراد أن يقتدي بأمر المؤمنين (عليه السلام) في القصة المعروفة حينما رد على من شتمه بقوله تبارك وتعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)(1) فلربما أراد أن يعمل بالآية، وهو هكذا دأبه دائماً، فمثل هذا الموقف بالنسبة إلى سماحته ليس بغريب، وعادته تجاه الذين يتكلمون ضده، أو حتى الذين يسبون، أو الذين يتهمونه إتهامات رخيصة جداً لم يكن يجيبهم بشيء أبداً، بل كان يغيض الطرف عنهم، ويغض النظر، ويسير بمنهجه دون أن يلتفت، مقتدياً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

وقد كنا مطلعين على بعض سيرة السيد الراحل (رحمه الله) في المدرسة، فقد كانت الدروس متوقفة، ثم حلّ شهر رمضان المبارك، فكننا نراه في الليل وفي النهار ومنذ الصباح الباكر وحتى في آخر الليل دائب العمل، ولا يضيع وقته، فكان سماحة السيد (رحمه الله) ينام - في تلك الفترة - بعد صلاة الفجر، وبعد الاستيقاظ يتمشى في صالة المدرسة، وهذه سُنَّة من سننه، ويقضي وقت المشي دائماً في التفكير، وأحياناً كان يصادف أن يدعو واحداً من الأصدقاء لكي يتمشى معه، ومنّ يتمشى معه لا يقصان الحكايا والنكات، وإنما كانا يفكران سوية، ويتناقشان في مصالح المؤمنين أو في حلّ مشاكلهم أو في موضوع يهم الإسلام والمسلمين.

ص: 180

1- سورة الفرقان: 7.

في يوم من الأيام جاء أحد المؤمنين، وقد جلب معه إلى الإمام الراحل (رحمه الله) باقة من الورد المميز، حيث كانت لها خصوصيات من حيث الجاذبية والنضارة واليناعة واللون والرائحة، وقدمها لسماحته كهدية، وفي الوقت الذي كان يتمشى فيه بالصالة كان مجموعة من الأخوة يقومون بشؤون الخدمات، فنأدى سماحته أحدهم وقال له: خذ هذه الباقعة من الورد واذهب ووزعها على هؤلاء الأخوة الموجودين هنا.

فقال له: سيدنا هذه لكم، لأنكم لا تملكون وسيلة للتسليية، ولا راحة لديكم، وهذا الأخ جلبها لكم كي تستريحوا روحياً، وتستمتعوا بها قليلاً.

حيث كان من الضروري في تلك الأجواء الضاغطة والكابتة أن يستمتع السيد الراحل (رحمه الله) بالنظر إليها و يشم من غيرها الزاكي.

فأجابه سماحة السيد (رحمه الله): هؤلاء أوجب مني لأن يحصلوا على هذه الهدية؛ لأنهم شباب فهم أخرج إليها.

وبالفعل بعث هذه الباقعة من الورد ووزعها عليهم، وهذا التصرف لم يكن غريباً بالنسبة إليه، وإنما كان هذا دأبه ومتعارف عنه، وقد شاهدته في موارد عديدة يقبل الهدية من أي شخص ولا يردّها ويحتفظ بها ثم يوزعها على من هم حوله، فلذلك بعض الأخوة كان يفرح كثيراً إذا جلس عند سماحته (رحمه الله) فيدخل عليه أحد الأشخاص ومعه هدية، لأنه في أحيان كثيرة تأتيه هدايا ثمينة جداً فيقوم بتوزيعها على الجالسين.

ذات مرة - في أوائل الثمانينات - جاء أحد الأخوة حاملاً معه جهاز تسجيل

من نوع حديث يؤدي عدة وظائف و كان نادراً في ذلك الوقت؛ وكان السيد الراحل (رحمه الله) بحاجة إلى مثل هذا الجهاز لأجل الاستماع إلى النشرات الخيرية والتقارير العلمية، ويسجل فيه محاضراته ونحوها، فقدمه هدية لسماحته، فقبلها منه وشكر صاحب الهدية، ولكن عندما خرج صاحب الهدية أعطاها سماحته للأخ الجالس بجانبه، ويمكن في ذلك الوقت كانت قيمة هذه الهدية كبيرة، لعلها كانت تساوي (150) ألف تومان في ذلك الزمان، و هو مبلغ كبير، وأحياناً تأتيه العطور الجيدة، أو أي شيء آخر يأتي له كان بدوره يهديه لمن حوله، أو من كان جالساً جنبه، ومن النادر جداً أن يدخلها إلى بيته، فغالباً يقسمها على الناس من حوله، ويوزعها على مجالسيه.

استمرينا نحن مع الإمام الراحل (رحمه الله) على ذلك الحال في هذه الأيام والليالي الجميلة في مشهد المقدسة، واستمر هو أيضاً في بقائه في المدرسة إلى آخر يوم، وهو اليوم الذي قررت فيه القيادات السياسية والعسكرية انتهاء حرب المدن، وقرر سماحته (رحمه الله) العودة إلى مدينة قم المقدسة لمتابعة المسيرة من هناك.

التدريس المميز

* لقد درست عند الإمام الراحل (رحمه الله)، كيف كانت طريقته في التدريس؟

* وكيف كان يتعامل مع تلامذته؟

- لقد درست عند الإمام الراحل (رحمه الله) الحصة الأكبر من دروس البحث الخارج سواء في الفقه أو في الأصول، وكان الفقه يدرّسه في الصباح الساعة العاشرة، والأصول في وقت العصر قبل أذان المغرب بساعة.

وكان من أهم مزايا درسه:

ص: 182



فواحدة من مميزات أسلوبه في الدرس، وضوح البيان وإيجاز العبارة، وقد قضيت مدة طويلة في كتابة تقريراته كنت ألاحظ في درسه عدة مزايا، وهذا الذي أقوله اعترف به حتى بعض خصومه، حيث كانوا يشتركون في درسه، ويقرون له بالفضل وبالعلم، وبالتفوق في هذا المجال، فدرسه من حيث البيان يفهمه الجميع، حتى طالب اللعة (1) إذا كان يفهم هذا الكتاب بشكل جيد ويحضر درس السيد الراحل (رحمه الله) استطاع الاستفادة من الدرس بمقداره وسعته، والمجتهد إذا حضر درسه أيضاً يجد ما يثريه، فمن حيث البيان كان واضحاً بشكل يتمكن الكل - وبحسب مستواه - أن يغترف من معينه؛ لأنه لم يكن يعتمد التعقيد في البيان أبداً، بل بالعكس كان يعتمد التسهيل والتبسيط، حيث كان يعتبر التعقيد يجهد الطالب، ويستهلك وقته، ويتنافى مع غرض التعليم والتعلم.

ولا يخفى أن هنالك منهجين أو ثلاثة مناهج في بيان المطالب العلمية: منهج يعتمد التعقيد، ويعتبر أن غلق العبارة وتعقيدها ترفع من مستوى الدرس ومن مستوى الطالب، وهناك منهجية أخرى هي المنهجية التي لا تعتمد التعقيد،

1- كتاب اللعة الدمشقية، لمحمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف ب(الشهيد الأول). إشارة إلى الطلبة الذين لم يصلوا لمستوى البحث الخارج.

وهي جليّة في كتب الشيخ الأنصاري (قدس سره)، حيث كان عنده مادة علمية غزيرة ولكن يُبَيِّنُها بأسهل أسلوب وأوضح طريقة ولا يتعمد غلق العبارة، وكان السيد الراحل (رحمه الله) يعتمد على هذه المنهجية، فأَيُّ طالب وبأَيِّ مستوى من المستويات كان يحضر درسه كان يستفيد منه.

ثانياً: لا يحتكر العلم.

لم يكن الإمام الراحل (رحمه الله) يحتكر العلم لنفسه، بل يفيضه لكل طالب، وهذه أيضاً نقطة مميزة جداً في شخصيته؛ لأنك قد تلاحظ أن بعض العلماء والأساتذة يبخل في إعطاء العلم، وقد لا يعطيه بسهولة لدواعٍ بعضها قد يخلو من الفائدة. وقد يريد بعض الطلبة حضور الدرس، لكن الاستاذ لا يعجبه الطالب فيمنعه، وأحياناً زملاءه في الدرس لا يسمحون له بالحضور، أما السيد (رحمه الله) فكان يعطي علمه بسهولة ويسر، وأي طالب - حتى إذا لم يكن بمستوى درس البحث الخارج - يقول له: سيدنا تأذن لي أن احضر درسك؟ يقول له: تفضل اشترك معنا.

إن السيد الراحل (رحمه الله) لم يرفض أو يترفع من حضور أي طالب درسه ومهما كان مستواه، البعض كان يعترض ويقول: هذا ليس مستواه درس الخارج فلا تسمح له أن يحضر درسك، فكان يقول: العلم مباح للجميع، دع كل واحد يأتي فإنه يستفيد بقدره.

وهذه نقطة مميزة عنده، وهي مأخوذة من سيرة النبي والأئمة (عليهم السلام)؛ إذ ما كانوا يحظرون العلم على أحد، وهذه طريقة بعض المراجع القدامى، وقد سمعت عن السيد البروجردي (قدس سره) أو غيره حتى بعض الناس من غير طلبة العلم، كانوا يأتون ويشترون في الدرس كمستمعين ولم يكن لديهم مانع من ذلك ولا يابون منه؛ ففي الحديث النبوي: «طلب العلم فريضة على كل

مسلم»(1) وفي حديث آخر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»(2)، فلا ينبغي أن يقتصر العلم على فئة أو مستوى، بل يغترف كل أحد بمستواه.

ثالثاً: غزارة المادة العلمية.

كان درس الإمام الراحل (رحمه الله) من حيث المضمون و المادة العلمية غزيراً جداً، وأستطيع القول بتلخيص: إن هناك ثلاث خصوصيات في درسه وهي: العمق العلمي، والتلخيص الكافي والوافي، والبيان الواضح.

هذه ثلاثة محاور كانت تميز درسه، فلو كان هنالك مطلب يتعلق ب(الاستصحاب)(3) مثلاً، فعندما تجلس وتستمع للدرس وفي خلال نصف ساعة كان يعطيك أربعة أو خمسة أقوال في المسألة، ويبين كل قول ودليله ووجه الإشكال عليه، واختيار سماحته (رحمه الله) من هذه الأقوال، وبعض الأساتذة وهم الآن أعلام في حوزة قم المباركة يبين المطلب الواحد للطلاب في ثلاث محاضرات، وأحياناً يعطي بمحاضرة واحدة قولين، ويكون ذلك بتكلف شديد عليه.

وكان كثيراً ما يختصر من الجهد ومن الزمان، ولذلك قلت: إن الكثير من الفضلاء كانوا يشتركون في الدرس مع أنهم من حيث الاتجاه السياسي أو حتى الاتجاه المرجعي كانوا على خلاف معه، ولكنهم من حيث العمق العلمي كانوا يشتركون في مستوى واحد، ويقولون بالتعبير الفارسي بما معناه: إنه استاذ كبير!

ص: 185

1- وسائل الشيعة: ج 27 ص 26.

2- تفسير القمي: ج 2 ص 401.

3- عرف الاستصحاب بأنه الحكم ببقاء ما كان، وهو قاعدة من قواعد الاستنباط لدى كثير من الأصوليين، ووظيفة هذه القاعدة على الاجمال إن كل حالة متيقنة في زمان سابق، ومشكوكة البقاء يمكن إثبات بقائها بالاستصحاب.

وقد اشتركت في دروس أخرى لأعلام وأساتذة كبار، ولاحظت أحياناً التلميذ إذا أشكل عليه بإشكال، قد يكون وارداً، وقد يكون ضعيفاً، أو يكون الأستاذ قد بينه من قبل بما يدفعه، فكان يردّه بجواب يسكته، ولذا كان البعض يرى أن مثل هذا الجواب فيه شبهة الإهانة وإن كان للأستاذ على الطالب حقوق، إلا أنه لم يعهد في الأخبار أن هذا النحو من الجواب من ضمن هذه الحقوق، وعلى كل حال كان بعض الأساتذة يشتد مع الطالب، وأمام زهاء مائة طالب أو أكثر، أو قد يكون ذلك متعارفاً عند البعض، أو ليس بالأمر الغريب، ولكنني في درس السيد الراحل (رحمه الله) رأيت حرية كبيرة من حيث المحاورات التي تجري فيه، فقد كان واسع الصدر إلى أبعد الحدود، فلم أره مرة واحدة يُسكت طالباً بعنوان الإفحام، أي يسكته عنوة، ولم أره حتى لمرة واحدة ومن على منبر الدرس يحتد مع أحد تلاميذه مهما يكن إشكاله من الضعف والركاكة، وغاية ما هنالك كان يقول له: يا سيد هذا الكلام الذي أنت تقوله لا يوجد شخص واحد قال به.

رغم أنه يوجد بعض الطلبة يلح بالمناقشة الضعيفة، فبعض إشكالاته ضعيفة، أو خارج المطلب، أو استطرادية أو ما أشبه ومع ذلك كان يواجههم بلطف و احترام وهو يذكر إشكاله، حتى كان الطلاب يثرون عليه لأنه لا يعطي مجالاً كافياً لسماع جواب سماحته، فلا يصبر حتى يبين له كل المطلب، فكانوا يلتفتون على المستشكل ويقولون له: دعنا نسمع الدرس!

نعم بعض المستشكلين كانوا يطرحون إشكالات قوية، فكان السيد الراحل (رحمه الله) يناقشهم في الدرس ويقنعهم كما أنني ما رأيت لم يقنع أحد المستشكلين في جوابه، فلم يكن يعجز أو يسكت.

وكانت علاقته مع الطلاب ومع التلاميذ في غاية الاحترام، فبعد الدرس كانوا يلتفون حوله، فهذا الذي عنده مسألة شرعية، وهذا الذي عنده مسألة قضائية، وهذا الذي عنده حاجة خاصة، فكان يقضي حوائجهم ويحييهم .

فما رأيته في يوم غضب على طالب، أو أهان أحداً منهم، بل بالعكس، فمهما كان الطالب صغيراً في العلم يستمع منه، حتى نحن فاحياناً كنا لا نستطيع أن نتكلم معه أثناء الدرس؛ لأننا كنا (صغار القوم) ولا نعرف اللغة الفارسية حتى نتكلم بها، فكان عندما يذهب إلى غرفته نذهب إليه إذا كان لدينا أسئلة أو عندنا ملاحظات، فكان يستمع للإشكال بكل رحابة صدر ويجيب عليه، وتناقش وتداول معه.

وهذه من مزاياه، حيث لم يكن يفرق بين أحد وأحد، بين الطالب الذي يفهم والطالب الذي لا يفهم، فالكل عنده في المعاملة سواء، وليس الطالب الذي يفهم يسمع له بشكل جيد والذي لا يفهم يُخرسه ولا يعطيه مجالاً للتكلم، بل في كثير من الأحيان كان يقول: هذه المطالب تحتاج إلى نظر، تحتاج إلى تفكير، عليكم أن تفكروا فيها حتى تتضح المطالب بشكل جيد.

سيده الموسوعات

* من واقع كونكم مطلعين على النتاج العلمي للكثير من العلماء والمراجع، كيف تنظرون إلى الموسوعة الفقهية التي ألفها الإمام الراحل (رحمه الله)؟

- لا شك أن الموسوعة الفقهية إنجاز علمي وتاريخي كبير من عدة جهات:

الجهة الأولى: أنها موسوعة كاملة في الفقه الإسلامي المتعارف عليه، وأضيفت عليها أبواب جديدة في الفقه، وهذا فتح لم يسبق إليه أحد من الأعلام، فقد أضاف أبواباً جديدة للفقه الإمامي، فحوالي (20) عنواناً من الأبواب الجديدة أضافها للفقه.

فعندما تلاحظون الموسوعات الفقهية وحتى عند الجمهور وأهل العامة - ولدينا حوالي ثلاثين موسوعة فقهية - إما أن تكون كاملة - وهي قليلة - أو تكون ناقصة أو مختصرة، ونادراً ما ترى موسوعة فقهية كاملة ومفصلة من كل جوانبها مثل كتاب الجواهر⁽¹⁾

وأما غير الجواهر فإما أن تكون الموسوعة كاملة ومختصرة، أو تكون موسوعة في البحث، ولكن الفقيه الذي يكتبها لا يتمكن من إتمامها. إما بسبب غلبة الأجل أو عروض الموانع . أما موسوعة الإمام الراحل (رحمه الله) فهي موسوعة موسوعة وكاملة تماماً، وتفوقت على الجواهر من حيث إنها جمعت مزايا الجواهر ومن تأخر عن صاحبها، مضافاً إلى الأبواب الجديدة التي أضيفت إليها.

وبالحقيقة موسوعة فقهية تضم (160) مجلداً، إنجاز كبير ليس عند الإمامية فقط، بل عند عموم المسلمين، وأنا لا أظن أن فقيهاً من الفقهاء من الإمامية أو غيرهم قد كتب موسوعة بهذا الحجم وبهذه الصفات التي تحدثت عنها. هذا طبعاً بحسب المعروف والمتناول في اليد من الموسوعات.

الجهة الثانية: كونها موسوعة شاملة، فهي لا تتضمن المباني والمسائل الفقهية فقط، وإنما تستعرض جملة من المسائل الثقافية، ثقافة الحياة في مختلف الجوانب، وتتضمن الحكمة، والفلسفة للأحكام والتشريعات، فمثلاً في باب النكاح ترى أن السيد الراحل (رحمه الله) يذكر مشاكل الزواج وحلولها، وكيف يمكن أن نعالج مشكلتها من الجوانب الفقهية المختلفة. وفي كتاب العتق والتدبير والاستيلاء، وما أشبه ذلك غالباً الفقهاء يبدؤون في التعريف، ثم يذكرون

ص: 188

1- الجواهر السننية في الأحاديث القدسية، للشيخ محمد حسن النجفي الاصفهاني العاملي من مراجع الشيعة ومجتهدتهم في القرن الثالث عشر بعد الهجرة. وعرف بصاحب الجواهر.

الأحكام، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) يذكر فلسفة الاسترقاق وفلسفة العتق، ومثل ذلك تجده في كتاب القضاء والحدود والتعزيرات والدماء والمحرمات ونحوها، فسماحة السيد (رحمه الله) يذكر بالموسوعة الفقه مع فلسفة الأحكام، أي إنك عند قراءة المسائل الفقهية تقرأ فلسفة التشريعات إلى جانبها. ولو قيَّصَ للجنة أو جماعة من العلماء يتفرغون لاستخراج المطالب الجديدة من موسوعة (الفقه) لكانت في نفسها موسوعة .

الجهة الثالثة: إنها موسوعة فقه الحياة، وهذه أيضاً نقطة مهمة في تصوري، لأنه دمج الفقه مع الحياة، بحيث إن الذي يقرأ موسوعة الفقه مهما يكن مستواه في العلم، سواء أراد أن يكون طبيباً أو مهندساً، أو طالب مقدمات في حوزة أو مجتهداً، فإنه يستفيد من هذه الموسوعة، وكل على قدره؛ لأن بيانها بيان سلس، وقريب إلى الأذهان، والمسائل التي تناولها تهتم حياة المجتمع.

الجهة الرابعة: الموسوعة تربط بين الفقه وروح الإسلام، فقد استطاع الإمام الراحل (رحمه الله) أن يربط ما بين الفقه وروح الإسلام بشكل عام، فعندما تقرأ الموسوعة ترى أن هناك تلاهماً بين العقائد والفقه، وبين الفقه والأخلاق وبين الفقه وقواعد الأصول، وبين التفسير والفقه، وبين الوضع الاجتماعي والفقه. فتعتبر موسوعة الفقه موسوعة للحياة وليس موسوعة فقه للمتخصصين فقط من الفقهاء.

هذا مضافاً إلى أنه استعرض الكثير من الفروع والتفريعات الفقهية الجديدة، والفقهاء من قبله لم يتعرضوا إليها وما ذكروها في كتبهم، فهي موسوعة تتضمن الكثير من حيث الأفكار، و من حيث فتح المسائل والأبواب الجديدة.

ولكن في هذه الموسوعة بحاجة إلى أمرين:

الأول: التبويب، تحتاج هذه الموسوعة إلى التبويب؛ لأن تبويبها ضمن التبويبات الحوزوية المعروفة، وهي ضمن السياق الحوزوي، ولكن إذا أردنا إعطاءها بعداً معاصراً فإنها تحتاج إلى تبويب جديد، وفرز العناوين وفرز الأصول والفروع.

الثاني: الفهرسة والطباعة الحديثة والمنقحة والمحققة، وهذا ربما سيتم إنجازه في المستقبل بهمة أولاده الأعلام أو المؤسسات التابعة.

ولكن الموسوعة من حيث الإنجاز، لا- شك أنها إنجاز تاريخي مهم، بل ونادر، وفي تصوري كما أن الإمام الراحل (رحمه الله) جهل شأنه في حياته، هذه الموسوعة الآن مجهولة القدر، وسوف يجعلها الله سبحانه وتعالى بعد مدة من الزمن من المصادر والكتب الرئيسية التي من أراد أن يقرأ الإسلام، أو مباني فقه أهل البيت (عليهم السلام) عليه أن يرجع إلى هذه الموسوعة كمصدر أول لكل ذلك.

الكراسات رسائل توعوية

* ماذا كان هدف الإمام الراحل (رحمه الله) من تأليف الكرايس والكتب الصغيرة في الوقت الذي كان الكثير من العلماء لا يكتبون حتى في تفسير القرآن الكريم؟!

- يكاد أن يكون واضحاً إن الإمام الراحل (رحمه الله) لم يكن يرى المرجعية هدفاً في نفسه، وإنما كان يرى المرجعية طريقاً إلى أهداف أسمى، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية كان يرى بأن توعية الأمة من مهام الفقيه، بالإضافة إلى مهمة بيان الأحكام الشرعية، وذلك لأن مهمة الفقيه هي مهمة الأنبياء (عليهم السلام)، والأنبياء كانوا يصلحون الإنسان، وكان غالباً ما يستشهد بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) بحق

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «طبيب دَوَّارٌ بطبه، قد أحكمَ مراهِمَهُ، وأحمى مواسِمَهُ، يضعُ ذلكَ حيثُ الحاجةُ إليه من قلوبِ عُميِّ، وأذانِ صُمِّ، وألسنةِ بُكمٍ.. متتبعٌ بدوائِهِ مواضعِ الغفلةِ، ومواطنِ الحيرةِ»⁽¹⁾، فكان يرى بأن مهمة الفقيه هي مهمة الطبيب الذي يعالج الأمة في مختلف شؤونها، وليس لإعطاء الأحكام والمسائل الشرعية فقط، بل عليه أيضاً بيان المسائل التوعوية والإرشادية للأمة بمحاضراته وكتيباته الصغيرة؛ لأن الكتب الكبيرة لا يقرأها إلا المتخصص وصاحب الشأن عادة.

وكان سماحة السيد (رحمه الله) يفكر حتى بوعي البقال والعمار والسائق والخباز والفلاح، وهؤلاء ليس من شأنهم أن يقرأوا كتاباً من خمسمائة أو ستمائة صفحة، وفيه الكثير من الأفكار المعقدة والمسائل الصعبة، وإنما كان يفكر أن يوصل الفكرة بأسرع طريق، وبأقصر مسافة، وبأسهل بيان، وليس هنالك أي طريق للوصول إلى ذلك إلا الكراسة الصغيرة التي نسميها أحياناً بتعبيرنا الأفكار السريعة أو المعلبة الجاهزة، ولا شك أن الإنسان العادي يستطيع أن يقرأ ربع ساعة أو عشرين دقيقة، وهو يستطيع قراءة فكرة عن الصلاة أو الإمامة، أو شورى الفقهاء، ولكن لا يستطيع قراءة (500-600) صفحة حول موضوع واحد.

وحيث إن هذه هي مهمة الفقيه إذن يجب عليه أن يكتب هذا الشيء، وكان البعض لا يتفقون معه في الهدف، وربما يتحفظون عليه بهذه الطريقة، ولكن يوجد اختلاف في الهدف بينه وبين غيره.

علماً بأنه كان يصرِّح مراراً: أنا أقول وأركز على كتابة الكتاب، أو نشر المجلة من باب المقدار الممكن بالنسبة إلينا أو المتاح، ولو كان هناك وسيلة أخرى للتوعية والإرشاد أكثر من الكتاب كنا نذهب وراءها.

ص: 191

1- نهج البلاغة: من خطبة له (عليه السلام) 108.

لكن الأجل لم يمهل، فقد توفي في أوائل انتشار الفضائيات، ولو كان باقياً إلى الآن لكانت الفضائيات المرتبطة بتلاميذه غير قليلة، حيث كان يشوق الجميع إلى فتح فضائية خاصة إذا كان يرى من عنده قابلية لمثل هذا العمل؛ لأن الفضائية تأثيرها الآن من حيث المنافع العامة والتوعية الجماهيرية أكثر من الكتاب أو المجلة؛ لأن المجتمع الآن تبدل في تلقي المعلومة من القراءة إلى الاستماع، والفضائية في الدقيقة الواحدة تدخل ملايين البيوت، وتخطب ملايين العقول، في حين أن الكتاب تأثيره محدود.

فقد كان رجلاً مصلحاً في الأمة، وليس مجرد فقيه تنحصر مهمته ببيان الأحكام الشرعية، بل مهمته واسعة وشاملة، ومن الطبيعي أن هذه المهمة تستدعي أن يكتب الكراسة، ويحاضر على الشباب والنساء أيضاً، ويدعو الناس حتى يلقي الخطاب أو الكلمة، ولا يبالي في هذا الموضوع لومة لائم؛ لأن هدفه الأمة كلها، وإيصال صوت الإسلام لكل الناس وليس لفئة معينة.

هذه هي سيرة الأئمة (عليهم السلام) فالأئمة ماذا كانوا يعملون؟ والأنبياء (عليهم السلام) كيف كانوا ينشرون الوعي في الأمة؟! هل كانوا يجلسون في دورهم، ويغلقون عليهم الأبواب، ويعطون الفتاوى فقط؟ أو يعطون رسالة عملية فقط؟ أو يكتبون موسوعة فقهية بشأن المتخصصين فقط؟ أم أنهم كانوا يبينون الأحكام، وكانوا يدعون أيضاً تلاميذهم إلى الجلوس في المساجد لأجل بيان الأحكام؟ وما أشبه ذلك.

لم يكن سماحة السيد (رحمه الله) يبالي بالأصوات التي لم تتفهم هدفه من كتابة هذه الكتب، والكراريس.

لقد سار في طريق تخالف العرف السائد في الحوزة المباركة، ولكن ليس

المشكلة فيه، بل المشكلة في العرف المبني على أسس غير صحيحة، فكان البناء غير صالح، فقد كانت مسيرته مسيرة صحيحة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو إرشاد الجاهل وتنبيه الغافل، فهذه مسؤوليات شرعية لإقامة الدين الحنيف، فإذا كان الفقيه يتمكن من هذا ولو بكتابة الكراس، ولو بكتابة ورقة واحدة كالبيان، لزم عليه ذلك.

وحيث كنت في سوريا كان يبعث لي بقصاصات ورق صغيرة بين فترة وأخرى يقول فيها: لا تنسى مؤتمرات الإنقاذ، أو لا تنسى الدعوة إلى الآيات الثلاث، أو الترويج لها.

شرح كتاب السماء والعالم من بحار الأنوار

وذات مرة وأنا في سوريا بعث سماحة السيد (رحمه الله) لي رسالة، وقال فيها: شيخنا - وهذا من لطفه أنه كان يخاطبني بلغة خاصة مع بعض الأوصاف - أقتراح عليكم أن تشرحوا (كتاب السماء والعالم) الموجود في موسوعة بحار الأنوار⁽¹⁾ بطريقة عصرية وتطابق علوم الأئمة (عليهم السلام)، مع العلوم الأكاديمية الجديدة، فاعتبرته تكليفاً، وسعيت وراء الفكرة، وهي من حيث المبدأ كانت فكرة جبارة و مهمة جداً، ولكن في وقتها الإنسان يختار ماذا يفعل؟

فكتاب (السماء والعالم) يضم (10) مجلدات من (بحار الأنوار) وفيها صنوف العلوم والمعارف الشرعية التي تحتاج إلى تسليط الضوء من قبل العلوم

ص: 193

1- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، وهو أحد كتب الحديث المشهورة لدى الشيعة الإثني عشرية. ألفه الشيخ محمد باقر المجلسي. يحتوي على الكثير من الأحاديث، ويعد من أكبر كتب الحديث حيث يتكون من 110 مجلد.

الحديثة. يعني شرح الروايات، وشرح الآيات بالعلوم الحديثة ما أمكن .

ويعد التفكير بالمسألة قلت: سمعاً وطاعةً، وتوكلت على الله، والتمست من السيدة زينب (عليها السلام) التوفيق لهذا العمل، وفكرت من أين أبدأ، فهذا العمل يحتاج إلى متخصصين وأكاديميين.

وهكذا وخلال وقت قصير - بتوفيق من الله وبعناية من السيدة عقيلة الهاشميين عليها وعلى آبائها ألف تحية و سلام - جمعت مجموعة من الأكاديميين من العراقيين والسوريين، وعملت منهم فريق عمل، فكانوا عشرة أو اثني عشر شخصاً، قرأت كتاب (السماء والعالم) وقسمت أبوابه، وكل باب أعطيته إلى متخصص، وباشرنا في العمل، ووضعنا الخطة، وكانت بعض التوقعات التي عندهم أشرحها لهم، وعندني بعض التعليقات في هذه الموسوعة، وهم يضيفون معلوماتهم الأكاديمية، فأنجزنا منها (11) مجلداً.

المجلد الأول: كان في نشأة الكون ودلائل التوحيد في الكون والوجود.

المجلد الثاني: في الفلك والنجوم، أعطيناه إلى أحد من الأخوة الخبراء في هذا الفن.

المجلد الثالث: في علم النفس.

المجلد الرابع: في الفيزياء والظواهر الطبيعية.

المجلد الخامس: في الملائكة.

المجلد السادس: في الطب والتشريح، أعطيناه إلى أحد الأطباء المتخصصين فشرح لنا هذا الكتاب.

وفي عالم النبات وفي عالم الحيوان وفي عالم الجن إلى آخره.

وبالفعل استغرق انجاز الموسوعة في أحد عشر مجلداً، سنة ونصف إلى

وكان سماحة السيد (رحمه الله) بين مدة ومدة يسألني: إلى أين وصل العمل؟ فكان متابِعاً جيداً، وقد تكفل رعاية الكتاب كاملة وطباعته.

وبعد أن أنجزنا العمل أرسلنا الكتاب إلى المطبعة لطبعه وكنت متفانلاً كثيراً، فطبع كاملاً إلا المجلد الأخير حيث كان يلزمه أسبوعاً ليخرج من المطبعة، وفي هذه الأثناء توفي السيد (قدس سره)، وقد كانت بالنسبة لي صدمة كبيرة جداً، لأنني كنت أرغب أن يرى العمل قبل أن ينتقل من هذه الدنيا، ولكن الله غالب على أمره.

فوضعنا ورقة النعي في المجلد الأخير من الموسوعة، ثم أضفنا له ثلاثة مجلدات، وهي مجلد في الكيمياء، ومجلد في الصيدلة العشبية، وآخر في الصيدلة الكيماوية؛ والآن الباب مفتوح في هذه الموسوعة لإضافة بعض الأبواب الأخرى، وكلها شرح لروايات أهل البيت (عليهم السلام) في ضوء العلوم الحديثة، على قدر ما نفهمه ويفهمه الآخرون، وليس على قدر كل مضامين الأخبار والروايات.

كان هدف الإمام الراحل (رحمه الله) عظيماً، وإلا فما معنى أن يهتم مرجع تقليد بشرح (كتاب السماء والعالم).

وقد كن النساء يلتقين بسماحته - وحتى ربات البيوت - فكان يدعوهم إلى الكتابة والقراءة وطلب العلم وتقوية القلم بالكتابة الهادفة؛ ولذلك ترى جملة من نساء أسرته وبعض مقلداته كتبن الكتب في هذا المجال.

أي إن هذه المدرسة تكاد أن تكون الوحيدة التي للنساء فيها حركة علمية وفكرية بهذا الزخم، وهذا بحسب العرف الحوزوي ليس من مهمة الفقيه، ولكن منهجية الإمام الراحل (رحمه الله) وطموحاته وتصوراتهِ عن المرجعية تشمل ذلك،

وتجعل هذه الأمور من صلب مهمة وعمل المرجع وأهدافه، فليس من الغرابة عليه أن يكتب الكراس؛ لأن هذه منهجية الإصلاح، فالخلل ليس في منهجيته، بل الخلل في العرف السائد الذي بدأ يرى الأمور الصالحة أموراً غير صالحة، وهذه من المعضلات التي تحتاج إلى معالجة حقيقية في الأمة عامة.

الحروب التي شتت على الإمام الراحل

* حاربته الكثير من الحكومات بكل ما تملك من القوى، مَنْ كان خلف ذلك برأيكم؟

* وكيف كان تصديه لتلك الحكومات؟

- تطرقت في موضع سابق لتلك المحاربات، ويمكنني أن أضيف: كان للإمام الراحل (رحمه الله) منهجية خاصة، تتمتع بخصوصيات كثيرة، فهي:

أولاً: منهجية مستقلة عن الحكومات.

ثانياً: منهجية تعتمد على وعي الأمة وتحريكها باتجاه حقوقها وأهداف الإسلام.

ثالثاً: منهجية أصيلة في الفكر، وصلبة في العمل، ومن الواضح أن نشاط الإمام الراحل (رحمه الله) اجتمع مع ثقل المرجعية المباركة، لأن المرجعية هي قوة إلهية وشعبية، وثقل حقيقي، ولها من المال و الرجال والأفكار والمدارس والحوزات الشيء الكثير، فطبيعي أن مثل هكذا مرجعية تحارب؛ لأنها تضر بطرفين: تضر الساسة المستبدين، وتضر المعادلات الاستعمارية في المنطقة، وعادة مثل هكذا منهجية يحاربها طرفان، الاستعمار والمستبدون، أي الحكومات المستبدة، حيث يجدون في هذه المنهجية خطراً عليهم وعلى مصالحهم، والذين حاربوا

الإمام الراحل (رحمه الله) معروفون، سواء من الأنظمة التي حاربته، والدول التي وقفت ضده في المنطقة، والدول الغربية التي اصطفت معها، فحاربوه بطريقتين مباشرة وغير مباشرة.

* لقد تم حرق كتاب الإمام الراحل (رحمه الله) الذي يتحدث فيه عن حكومة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكومة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد طبعت عشرة آلاف نسخة! هل كنتم على إطلاع على هذه القضية؟

- لم أكن موجوداً في هذه القضية أثناء وقوعها، ولكن سمعت في وقتها أن هذا الكتاب صودر وأحرق، ومقتضى القاعدة أن السبب هو تضمنه لأفكاره التي لا تتحمل غالباً، ولأنه يُعتبر إدانة حقيقية لكثير من الأساليب السياسية والحكومية في المنطقة.

ومن الواضح أن للإمام الراحل (رحمه الله) في أفكاره أصولاً لا يتجاوز عنها، ومن ضمن أفكاره التي طرحها في هذا الكتاب أو غيره الحديث عن احترام التنوع المذهبي والسياسي، والدعوة لوحدة المسلمين، وهذا الحديث إدانة واضحة للسياسات القائمة، وكل الدول الإسلامية لا تعمل لتحقيق هذه الوحدة، فهم يقولون بوحدة المسلمين، وفي الأوراق وفي الهويات يكتبون (مسلم) وإنما كمنهجية سياسية حقيقية لا يوجد هناك وحدة بين دول العالم الإسلامي، فلا وجود لوحدة روحية أو وحدة حقيقية بين الدول الإسلامية.

وحتى في القوانين الوضعية في الدول، فالعراقي الذي يأتي إلى مصر كلاهما عريان، ولكن (العراقي) يعتبر في مصر أجنبياً، و(المصري) في الأردن يعتبر أجنبياً، و(الأردني) يأتي إلى إيران وهو أجنبي، و(الإيراني) يذهب إلى الهند هو أجنبي، إذاً أين الوحدة الإسلامية؟ وأين الأمة الواحدة؟

في ظل حكومة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) كانت الوحدة الإسلامية موجودة، فسلمان الفارسي كان من الفرس، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه: «سلمان منا أهل البيت»⁽¹⁾، وأيضاً على سبيل المثال صهيب كان من الروم ويعتبر من أجلاء أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

هذه الحكومة هي التي تؤمن بالوحدة الإسلامية وتؤمن بالأخوة وتؤمن بالحرية، وإعطاء المجال لكل الناس لأن يتكلموا ويبدوا آراءهم، وكانت الدولة الإسلامية بلا حدود جغرافية تمزق بلاد المسلمين، وقد ذكر الإمام الراحل (رحمه الله) هذه الأمور في كتبه كثيراً، وعندما يحلل حكومة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه، فمن المؤكد أن لا يتحملون مثل هكذا كتاب، لأن حكومتهم قائمة على عكس هذه الأفكار، فيصادر الكتاب ويحرق.

وهذه حقيقة مما يؤسف له؛ فإنها من المآسي التي نعيشها في بلداننا، فإن الفكر الحر والتاريخ الصحيح، والأفكار الحضارية، والمناهج المتميزة، تهتمهم، وتحارب، ويتعامل معها بهذا الشكل من القسوة كالحرق والمصادرة والمنع والقمع وغير ذلك من الأعمال غير المبررة.

الحلم والصبر من سجايا الإمام الراحل (رحمه الله)

* لماذا تم اعتقال أكثر من مائة فرد من أعضاء مكتب الإمام الراحل (رحمه الله) وطلاب درسه، وصدورت مؤسساته، وأجهضت بعض مشاريعه؟

- هذا أيضاً يصب في نفس ذلك السياق المتقدم، وكما قلت فإن للإمام الراحل (رحمه الله) منهجيته، ومن سماته:

ص: 198

1- بحار الأنوار: ج 65 ص 55.

أولاً: أنه رجل مصلح.

وثانياً: منفتح.

وثالثاً: مستقل.

فطبيعي أن يحصل الذي تفضلتم به بالسؤال.

* كيف كان يستقبل انباء مثل هذه الأعمال التي تستهدفه؟

- بالصبر ثم الصبر، وتحريك الرأي العام لإيقاظ المظلوم، لأنه في نفس الوقت الذي كان يدعو فيه إلى التحرر لم يكن يؤمن بالعنف أبداً، حتى الكلمة العنيفة لم يكن يقبلها، وأحياناً إذا خرج من شخص كلمة واحدة عنيفة في محاضرة أو كتابة أو في مقال، كان يقول له: احذفها! لأنه كان يدعو إلى اللاعنفة، وكان يدعو دائماً إلى قراءة سيرة النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) في معاملة الناس، ولكي يستشهد على إمكان تطبيق الفكرة في الزمن المعاصر كان يدعو إلى قراءة سيرة غاندي(1)، فسيرته على الرغم مما فيها من النواقص والسلبيات، ولكن لها من الإيجابيات الشيء الكثير بحيث استطاع أن يحرر بلداً مثل الهند بعد (300) سنة من الاستعمار البريطاني، وبلداً فيه (500) دين و(700) لغة وقومية، استطاع غاندي أن يوحد تحت عنوان اللاعنفة.

لم يكن الإمام الراحل يؤمن بالعنف أبداً، ولم يكن يواجه عنف الدول، أو عنف بعض الأجهزة في الدول، والاعتقالات والقمع وتوزيع المنشورات

ص: 199

1- موهنداس كرامشاند (1869- 1948م): فيلسوف ومجاهد هندي، ولد في بور بندر . اشتهر بلقب (المهاتما) أي النفس السامية، دعا إلى تحرير الهند من الإنكليز بالطرق السلمية والمقاومة السلبية بعيداً عن العنف. أدت جهوده إلى استقلال الهند عام 1947 م . يعد من أبرز دعاة السلام. اغتاله براهماتي متعصب.

المضادة له، لم يكن يواجهها بالعنف أبداً، وفي كثير من الأحيان كان يسكت عنهم، وهذا السكوت له أبعاد مهمة، وله في كثير من الأحيان معان عميقة، وكان يستخدم أسلوب الضغط الإيجابي، فبيعت الناصحين لينصحوا الجماعة المضادة، ولم يكن يستخدم أساليب أخرى في هذا المجال .

أفراح الإمام الراحل (رحمه الله) بأولاده

* هل حضرتتم عقد قران أبناء وكريمات الإمام الراحل (رحمه الله) ؟

* وكيف كانت تجري هذه المراسيم؟

- حضرت بعضها، فكان من أبسط ما يكون، وأعتقد أن أي واحد من أولاده عندما كان يريد أن يزوجه ويعقد له أو شيء من هذا القبيل، كان يدعو بعض الخواص وكل المدعوين ربما لا يتجاوزون (30) فرداً، فيعمل لهم عشاء مختصراً، وهذه كل القضية، وكان الله يحب المحسنين .

وإذا دخل أي إنسان إلى بيت الإمام الراحل وشاهد أولاده المتزوجين وأين يقيمون، يفهم كيف تكون حياتهم وكيف هو مسكنهم وطريقة عيشهم!

هذه الغرفة(1) - غرفة الجلسات الإدارية - في مرحلة من المراحل كانت غرفة (السيد مرتضى)، فكان إذا بكى طفله لا يستطيع أن يطالع.

وكان بعض أبنائه يقول لي: لا أستطيع أن أقرأ بعد. وكل أولاده بهذا الشكل كانوا في سكنهم، وربما حتى بعض بناته بهذا الشكل، فواحدة من بناته العلويات زوجها إلى ابن أخيه السيد المرجع(2)

وكان مهرها (17) ألف تومان،

ص: 200

1- الغرفة التي أجري فيه الحوار مع سماحة الشيخ الصفار.

2- آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) .

وهذا كان قليلاً جداً بالقياس إلى المتعارف عليه في ذلك الزمان.

تنظيف فراش المكتب

كان السيد الراحل (رحمه الله) زاهداً بكل معنى الكلمة، وزهده كان عجبياً، وليس زهداً عادياً. في إحدى المرات أرادوا تجديد فراش غرفته، لأنه كان بسيطاً ولا يتجاوز بعض البطانيات، واللطيف أن هذه البطانيات لم تتغير في غرفته لسنوات طوال، ولم تتبدل منذ أن فرشت، فقالوا له: سيدنا هذه البطانيات صارت وسخة ونريد أن نغسلها، فلو

سمحت لنا بغسلها وإرجاعها وخلال هذه الفترة نأتي لكم ببطانيات أخرى نفرشها مكانها إلى أن تنشف تلك.

الصورة



فقال: كلا، نبقي بهذا الشكل نجلس على البساط إلى أن تعود هذه البطانيات.

فقالوا: سيدنا لعل من غير المناسب أن يجلس الضيوف على الأرض، فحتى يكون مجلسكم لائقاً وبالمستوى نأتي بالبطانيات الجديدة لفترة قصيرة. فلم يقبل، ولكن بعض الأخوة في فترة استراحته في الداخل فرشوا البطانيات الجديدة

ولما جاء ورآها جمعها، ووضعها على جنب وجلس على البساط، والغريب أن البطانيات الأصلية التي كانوا قد أرسلوها للغسيل عندما غُسلت وتُشفت وجاؤوا بها نظيفة لم يقبل سماحته بفرشها وبقي يجلس على الموكيت، وقد كنت حاضراً في هذه القصة، وكنت وسيطاً للأخوة عند سماحته (رحمه الله) على أساس أن الجديدة لم تقبل بها فلماذا لم تفرش القديمة؟ وقلت له: بأن الوقت شتاء والجو بارد والأرض باردة، ولا يمكن الجلوس عليها بدون بطانيات.

وما زلت أتحدث إليه إلى أن وافق على فرش البطانيات القديمة بعد إصرار وإلحاح، وسبب إصراره كان هو تخوفه من الانزلاق في حب المظاهر والشكليات ولو بهذا المقدار البسيط من الأمور، لأنه كان يرى أن الإنسان ينجر إلى الدنيا شيئاً فشيئاً و من دون أن يشعر أحياناً، فلذا كان يحد من ذلك مهما أمكن.

ويرفض الستائر المستخدمة

وموقف آخر نقله لي أحد أولاده، أي أنقل بواسطة واحدة فقط! بأن إحدى العلويات من أخوات سماحته غيرت الستائر التي في بيتها، وجلبت مكانها ستائر جديدة، فأخذت عائلة الإمام الراحل (رحمه الله) الستائر القديمة.

وأنا حينما دخلت بيته لم يكن فيه ستائر من قماش، وستائره الأشجار، ولقد رأيت عنده شباكاً كبيراً وعليه قطعة من القماش الرخيص جداً - الخام -، ولهذا فعائلته أخذت ستائر بيت أخته القديمة وعلقتها في بيتها.

وعندما دخل البيت - لأنه كان في الديوان - ورأى هذه الستائر، فقال: ما هذا؟ قالوا له: هذه الستائر قديمة وليست جديدة، فقال: كلا! هذا غير ضروري.

وأمرهم بنزع تلك الستائر، وبقي بيته كما كان.

ما كان يملك إلا صاية واحدة

كان زهده مذهلاً في الحقيقة، فذات مرة طلب أحد أعز طلابه منه أن يخيط له صاية جديدة، وقال له: سيدنا دعنا نخيط لك صاية جديدة، قال (رحمه الله) له: عندي هذه الصاية وأنا مكنتف بها، وأصرَّ عليه الشيخ حتى وافق، فقال: إذاً أعطينا صاية لكي نأخذها إلى الخياط ليأخذ القياس ونفصّل عليها، فقال له: تعال وخذ الصاية بعد صلاة الظهر ولمدة نصف ساعة وترجعها لي ولا تأخرها أكثر من ذلك، فقال له الشيخ: ولماذا تريدها بهذه السرعة؟ فقال له: ليس عندي غيرها، ويمكن أن تأخذوها وتذهبوا ويأتينا ضيوف، فإذا كنت أريد أن أستقبلهم وأجلس معهم ليس عندي صاية - غير السوداء - لألبسها!!

هكذا كان السيد الراحل (قدس سره) في الوقت الذي كان عنده وتحت تصرفه الملايين من الأموال، فكل ما يأتيه من أموال وهدايا ينفقها ويوزعها على الطلاب أو الشؤون العامة للمسلمين.

وكان من دأبه وعاداته إذا كانت تأتيه بعض الهدايا - صايات، عمائم، عبايات، أقمشة أخرى - يوزعها على الطلاب، وإذا أتته هدايا ثمينة يجد فيها حلاً لمشاكل عديدة كان يبيعها ويشترى بها أشياء أخرى يوزعها، فمثلاً تأتيه عباءة ثمينة فكان يبيعها ويشترى بثمانها (30) عباءة يوزعها على الطلاب والفقراء ولا يأخذ شيئاً منها.

أتريد أن تصنع مني طاغوتاً يا دكتور؟

في السنوات الأخيرة، بدأت الأمراض تضعف جسمه شيئاً فشيئاً، وصحته

تتأثر بالمرض بشكل متواصل، نتيجة لتراكم الأمراض وقلة الغذاء وكثرة التعب والأعياء كل ذلك أثر على صحته بشكل واضح، وحساسية الظرف السياسي لم تكن تسمح بإجراء فحوصات كاملة له، أو إجراء عمل جراحي إن لزم الأمر، فاصفر وجهه يوماً بعد يوم.

وكان أحد الأطباء طبيبه و مستشاره الذي يرجع عليه عند الضرورة، في يوم من الأيام أحد الأصدقاء راجع عيادة الطبيب فرآه مندهشاً و متعجباً - وهذه الحادثة أنقلها عن طريق هذا الصديق - فقال له: ما بك يا دكتور مندهش بهذا الشكل؟ فقال: والله إن هذا السيد أذهلني، فقال: لماذا؟ قال: بعثوا إليّ أنه مريض، ولما أتيت لأفحصه قال لي أخوه السيد صادق: دكتور أعلم أن السيد لا يأكل زهداً، - وفعلاً كان السيد (رحمه الله) كذلك حيث لم يكن يأكل ما لذ وطاب، وحتى عائلته - أحياناً - إذا عملت له كأس عصير من الجزر مثلاً لم يكن يقبل أن يشربه إلا بصعوبة، وإذا قبله لا يقبل أن يشرب كأس عصير آخر إلا بعد أسبوع من شربه العصير الأول، مع أن الطاقة التي كان يصرفها والسن التي كان فيها، يستوجبان التغذية المستمرة -، فقال السيد صادق للدكتور: إن السيد لا يأكل فانصحته بالتغذية؛ لأن الدواء وعلاج المرض يقوم بركنين: الغذاء والدواء، وأما الدواء لوحده فلا ينفع ومضاعفاته كبيرة، فأجابه الدكتور: سيدنا هذا من أوليات الطب، ومن الطبيعي أن أقول له ذلك. يقول الدكتور: وعندما ذهبت لفحصه، قلت له: سيدنا يجب أن تتغذى جيداً، ولا يصح أن لا تأكل.

فقال لي: ماذا تعني بكلامك؟ فأني شيء تقصد بالطعام الجيد؟!

قلت: سيدنا يطبخون لك دجاجة وبشكل جيد، وتشرب ماءها، وتأكل من لحمها وما شابه ذلك.

فقال لي: أشكرك يا دكتور، لم أكن أتوقع منك مثل هذا الكلام.

فقلت له: لماذا سيدنا؟ فأنا ما قلت شيئاً يزعجك أو غير لائق لا سمح الله!

قال: أنت الآن تأتي وتقول لي سيدنا أنت مريض عليك أن تأكل الفروج، وغداً تأتي وترى فراشي موكيت وبطانيات قديمة فتقول لي: سيدنا أنت مرجع تقليد وهذا لا يليق بمقامك، فعليك أن تغير الفرش والبطانيات وغيرها، ثم تأتي بعد ذلك وتقول لي: سيدنا ثيابك عتيقة وبالية وعليك أن تلبس لباساً يليق بشأنك، ملابس جديدة وصاية وعباءة جديدة، وهكذا قليلاً قليلاً تصنع وتعمل مني طاغوتاً، وأنا ما كنت أرجو أن تتصحني هكذا نصيحة.

فالدكتور يعلق ويقول: ما هذه الشخصية؟ أي عظمة هذه العظمة؟

هكذا كان يتعامل مع شؤونه الخاصة، وهكذا كان يشدد على نفسه لكي لا تطمع في حطام الدنيا.

ص: 205

الإمام الشيرازي (رحمه الله) رجل التحديات الكبرى

حسب معاشتي ومتابعتي للإمام الراحل (رحمه الله) خلال سنوات طويلة لاحظت أنه كان يتعرض في مسيرته لجملة من المحن والصعوبات، وكان يعاني منها، فهناك صعوبات في الجانب الفكري، وهناك صعوبات يواجهها من حيث المجتمع، وصعوبات يواجهها من حيث السياسة، وهذه الصعوبات ليست بالصعوبات الآنية أو الوقتية التي تمر عليه في يوم وتفك عنه أياماً.

وإنما كانت - بالحقيقة - تحديات كبرى كان يواجهها باستمرار في حياته، وكانت ملازمة لمسيرته اليومية.

فمن ناحية الصعوبات الفكرية فقد كان يحمل أفكاراً متجددة، وإذا أردنا أن نطلق عليه تعبيراً مناسباً نستطيع أن نعبّر عنه بأنه (فقيه مصلح) لأنه كان يحمل مشروع نهضة إصلاحية للعالم الإسلامي، بل للعالم كله.

وعادة لدى هكذا شخصية أفكار ومشاريع كثيرة، فتواجه صعوبات كثيرة، من حيث إنه يسبق عصره في التفكير، وهذه في نفسها محنة، إذا كان الإنسان أو العالم يعيش في مجتمع لا يتفهم أفكاره، ولا يتفهم العلوم التي يحملها. هذه تكون في نفسها من أشد الصعوبات، ومن أشد المحن، وفي الروايات أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان في بعض الأحيان يذهب إلى البئر يظهر الكوفة ويتكلم

فيه؛ لأنه لا يجد أحداً يتحمل العلوم التي كان يحملها، والكل يعلم أنه من أشد الصعوبات، أن يعيش العالم بين أمة لا تفهمه، وهذه واحدة من المسائل التي تناولها بعض المحللين التاريخيين، حيث قالوا: من أشد معاناة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مجتمعه أنه لم يجد من يفهمه و يبلغ مدى علومه وأفكاره.

لو استطاع لغير العالم

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يعيش مثل هذه المشكلة، وإن كان الفرق كبيراً بين معاناة مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين المقام، ولا يمكن القياس بينهما إلا إن المثال يقرب من جهة و يبعد في جهات.

لم يكن السيد الراحل (رحمه الله) يهتم أو يقيم وزناً للمسائل الهامشية أو الجزئية في الحياة، وإنما كان صاحب مشروع ونهضة إصلاحية، تبدأ من الدولة ورناستها وإلى الحكومة والوزارات، ثم إلى الإدارة والزراعة والصناعة والتجارة والتعليم.

ففي كل قضية من القضايا السياسية والحكم والحياة والإنسان، عنده رأي وموقف، ولو كان العالم طوع أمره وكانت الحياة السياسية والاجتماعية طوع إرادته لرأيت أنه يأتي بمنهجية جديدة في الكثير من الأشياء، فهذا الوضع القائم في الدنيا حسب رأيه بحاجة إلى تغيير، ولو كانت له يد وسلطة لأجرى التغيير اللازم عليه.

حتى في الحوزة العلمية والمرجعية ومنهج التعليم في الحوزة والجامعة، وطريقة التعليم والدراسة والمواد التي تدرس كان له مجموعة أفكار لتغييرها.

وبالحقيقة يحтар الإنسان إذا أراد أن يتكلم عن تصورات وأفكار الإمام الراحل (رحمه الله) الإصلاحية في الحياة، لأنها تكاد تكون شاملة لكل شيء، حتى في

طريقة التربية والتعليم، وحتى في أسلوب التعامل مع الأولاد والزوجة.

فقد كانت لديه آراء كثيرة، وكتب الكتب المتنوعة عنها، فكان يبحث عن المشاكل في المجتمع ويقدم لها الحلول، فمثلاً لاحظ مشكلة كثرة العازبات في المجتمع فكتب فيها كتاباً (كيف تزوج العازبات)(1)، وفي مسائل الغذاء للسيد الراحل (رحمه الله) كتاب (كيف نعالج أزمة الغذاء)، وكذلك قضية البيئة تلوثها فهناك أزمة بيئية كبيرة وهي أزمة عالمية شاملة لكل الكرة الأرضية، للسيد كتاب(2) يطرح فيه حلولاً لمعالجة هذه المشكلة.

إذا بحثت تكاد لا تجد زاوية من زوايا الحياة إلا وله فيها رأي واجتهاد، وغالباً عندما تقرأ آراءه تراها طبيعية جداً، وحسب الفطرة، والإنسان - حقيقة - يستغرب ويتساءل لماذا لم يلتفت العالم إلى هذه النقاط؟ أو لا يريد أن يلتفت إليها، وهذه محنة كبرى أن العالم الكبير يعيش في مجتمع جاهل أو متجاهل.

وفي الرواية الشريفة: «أرحموا من الناس ثلاثاً: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالمأ بين جهال»، فهذه محنة كبرى.

يقال إنه سأل ملك أحد الحكماء عن عالم كبير أراد أن يسجنه: كيف أسجنه وأعذبه؟ وراحوا يتباحثون بطريقة تعذيبه في السجن.

فقال الحكيم للملك: لا نحتاج إلى تعذيبه، بل اسجنه مع جهال لا يعرفون قدره، فيكون هذا أكبر تعذيب روحي ونفسي له.

ص: 208

1- يتناول مشكلة العزّاب والحلول السليمة لتزويجهم طبق الأحكام الشرعية. الكتاب يقع في ثلاثة فصول وخاتمة. ويقع الكتاب في 192 صفحة من الحجم الرقعي.

2- الفقه البيئية، كتاب استدلالني ضمن موسوعة الفقه، تناول سماحة السيد (رحمه الله) فيه عدة مباحث فقهية استدلالية حول البيئة.

فهذه محنة كبرى ليس لها سقف وحدود، فلا تنتهي إلى حدّ معين، وليس لها نهاية. هذه المحنة لازمت حياة الإمام الراحل (رحمه الله) في العراق والكويت، ولازمته في إيران، ولو كان الأجل أمهله ربما كانت تلازمه إلى النفس الأخير، لأن أفكاره تسبق عصرها.

أفكاره وتصوراته سبقت عصره، ومن الأشياء التي تحققت أخيراً، وقد طرحها منذ زمن أو توقع حدوثها، ما ذكره في كتاب (الفقه الاقتصاد) وغيره من الكتب، وطبقها في حياته من الناحية العملية، وهي معالجة أزمة الفقراء عبر الصناديق الخيرية للإقراض الحسن - صناديق القرض الحسن - هذه التجربة بدأها في كربلاء المقدسة، واستمر عليها وطورها في إيران. أما في الكويت فلا أدري هل عمل بها أم لا؟ وربما هناك الوضع يختلف.

فقد فتح مجموعة من الصناديق الخيرية لتزويج العزاب ولبناء البيوت وغيرها من الأمور الخيرية، في الوقت الذي كانت سياسة الدولة قائمة على عكس هذا الاتجاه، فقبل (20) سنة كانت سياسة الدولة المتعلقة في عمل البنوك والمصارف قائمة على أساس تعاطي الربا وما أشبه ذلك، على خلاف صناديق القرض الحسن، فكانت بعض الخطط الاقتصادية الموجودة بشكل وبآخر تؤدي إلى تقويض مشروع صندوق القرض الحسن، لذلك كثيراً من الصناديق الخيرية فشلت وأعلنت إفلاسها، أو ما وجدت لنفسها طريقاً للعمل في البلد.

واليوم (1) تسمعون وتلاحظون أن الجهات الرسمية في البلد (2) يدعون إلى معالجة الأزمة الاقتصادية للأسر والعوائل عبر فتح صناديق القرض الحسن.

ص: 209

1- بعد مضي أكثر من ثلاثين سنة على أطروحة السيد الراحل (رحمه الله) .

2- أي إيران.

تأمل كم هي الفاصلة الزمنية بين ما طرحه السيد الراحل (رحمه الله) وبين ما توصل إليه ذوو الاختصاص والشأن الآن، وصاروا يطرحونه كحل لمثل هذه المشكلة.

وواحدة من الأفكار التي طرحها سماحته (رحمه الله) هي مسألة (التزويج الجماعي) للعزاب والعازبات، فالإمام الراحل (رحمه الله) هو أول من باشر بهذا المشروع، وبعد ذلك بدأت المؤسسات التي تدعم المشاريع الخيرية وتدعم مشاريع المساعدات مثل الفقراء والمحتاجين، يقيمون الزواج الجماعي، حتى الدول العربية في المنطقة باشرت في مثل هذا المشروع، في حين أن السيد الراحل (رحمه الله) قام بهذا المشروع في كربلاء المقدسة، وقام به في طهران قبل (20) سنة أو (22) سنة، يمكن للجميع ملاحظة أنه كان يطرح تصورات وأفكاره في زمان، ولا يفهمها الناس إلا بعد عقود و سنوات طويلة، بل حتى أصحاب الاختصاص لم يصلوا إليها، ولكنك الآن ترى وبعد مرحلة زمنية طويلة نسبياً وصلوا إليها ولكن بعد أن ضيعوا تلك السنوات، فهذه محنة كبرى.

يطالب بالوحدة في زمن التشتت

هذه الفكرة من أهم محاور أفكار الإمام الراحل (رحمه الله)، لأنه كان يدعو إلى رفع الحدود الجغرافية بين الدول الإسلامية، ويدعو إلى أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً واحداً قد يختلف في لغاته، ويختلف في قومياته وعناصره، لكن كل ذلك يجب أن لا يحول دون وحدته، ولا ينبغي الاختلاف على أساس الجنسية أو على أساس حدود جغرافية وضعها الاستعمار لتفريق الأمة بمبدأ (فرق تسد).

في وقته وحينما كان يطرح هذه الأفكار في مجموعة من كتبه كنت أرى كثيراً

من أصحاب الفكر والثقافة يستغربون، ويعتبرون هذا الفكر مثالياً وغير قابل للتطبيق، ولكن أوروبا طبقت هذه الفكرة من سنة (1990م) فما بعد وعملياً سقطت الحدود الجغرافية بين دول أوروبا، والآن الدول العربية وخصوصاً دول الخليج وضعوا سقفاً زمنياً، ولا أدري في أي سنة سوف يسقطون الحدود الجغرافية بينهم. إذاً هذه الفكرة التي كان يدعو لها السيد قبل (30) سنة هي فكرة عملية وقابلة للتطبيق.

فإذا كان العالم الإسلامي يقف بشكل جدّي ومحايد - بعيداً عن الدعوات الطائفية والقومية والعنصرية - يأخذ هذه الأفكار ويتبناها ويطبّقها لكان بخير كثير.

فأي شخص من الناس عنده مثل هذه الأفكار النيرة على الأمة أن تُقدّر، وتحيطه بالعبارة وترعاه، ولكن الأمة التي لا تفهم هذه الأفكار، ولا تُثمّنّها، ولا تُقدّر أصحابها فهذه محنة عظيمة، تنزل على العالم الذي يعيش في هكذا ظروف.

فالمحنة الأولى للإمام الراحل (رحمه الله) كانت محنة الفكر، فقد كان يعيش في وسط أمة لا تقدره، ولا تفهم أفكاره، وليس فقط بسطاء الناس لا يفهمون، بل حتى بعض أهل الاختصاص من الناس ما كانوا يفهمون أفكاره، وما كانوا يقدرّون قيمتها.

وإلى يومنا هذا هناك بعض من الناس لا يفهمون هذه الأفكار، وقد تنبأ بعض أهل الخبرة، فقال: بعد (100) سنة قد يفهم الناس ويعون قيمة ومكانة الإمام الراحل وحينها يعرفون أي عالم فقدوا، وأي طاقة كبيرة ضيعوا.

وحيثنذ سوف يسترشد الناس بأفكاره، ويأخذون بتصوراتته التي كان يحدثهم بها منذ عقود.

المحنة الثانية هي محنة المجتمع؛ لأنه في الواقع - كما قلت - كان مرجعاً مصلحاً، فهو في نفس الوقت يراعي الموازين المرجعية والموازين الفكرية، بل كان كثيراً يراعي الجوانب الاجتماعية، وأتذكر أحد أصدقائنا كان على خلاف مع زوجته، وتطورت المشاكل، وجرت الوساطات بينهما من أجل محاولات الإصلاح، فلم ينفذ كل ذلك، لأن الزوج كان عنيداً بعض الشيء، ويتصلب في مواقفه من المشكلة، ويريد أن يخضع زوجته، ويلزمها بآرائه وتصوراتها وما كان يقبل إلا بذلك، ويرفض التنازلات من قبله، - لست الآن بصدد بيان مع مَنْ يكون الحق، أو الحكم على أي طرف منهما، فالشاهد أصل القضية -، فبعث لي الإمام الراحل (رحمه الله) لأنه يعرف أن الزوج صديقي، وعندني بعض التأثير عليه، فأتيت إليه فقال لي: اذهب وقل لفلان - صاحب القضية - أن يحلّ هذه المشكلة بالتي هي أحسن، ولو بالتنازل عن بعض حقوقه؛ لأن الإنسان عليه أن يشتري سمعته ولو بالتنازل.

هذه الحادثة وهذا القول - بالحقيقة - كانت بالنسبة لي إشرافاً أنارت أو أضاءت لي الطريق إلى مسافات طويلة جداً، وأعطتني فلسفة اجتماعية وأسلوب عمل في الحياة العملية لا أنساه.

من هذه القضية عرفت أسلوبه في العمل المرجعي، ففي مرجعيته كان يُطبَّق هذا المبدأ، فالمرجعية التي ابتليت بالأعداء الكثيرين وما كانت تعادي أحداً هي مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله).

فأسلوبه كان قائماً على الحب للآخرين وليس العدا، فما رأيت يعادي

أحداً، بل كان يحب الجميع - حقيقة كان يحب الجميع - ويتنازل في كثير من الأحيان عن حقه لأجل أن لا تقع فتنة، لأجل أن لا يقع اختلاف بينه وبين غيره، أو بين صاحب وصاحبه، فكان يراعي الموازين الاجتماعية إلى أبعد الحدود.

العمل دائماً

صار أحد الأفراد المرتبطين بالبيت كبيراً في السن وعنده أولاد وبنات وأحفاد وحيث لم يكن عنده عمل، كان يجلس في بيته يعاني من فراغ، والغالب أن يكون الإنسان في هذه الظروف نقطة توتر في الأسرة، لأنه يشغل نفسه بشؤون العائلة، فربما يتدخل في شؤون النساء، ويتدخل في شؤون الأطفال، أو إعداد الطعام وهكذا، فيسبب توترات دائمة في العائلة.

عرف سماحته بذلك، فأرسل لي لأنه يعرف أن أولاده أصدقائي، فقال لي: اذهب وقل لفلان وفلان - أولاد هذا الرجل - أن يبحثوا لأبيهم عن عمل مناسب، مثلاً: محل أو دكان أو بسطة صغيرة لينشغل بها، أي اجعلوا له مكاناً يعمل به، فإذا لم يعمل هذا الرجل فإنه يمكن أن يموت بسرعة، أو يبتلى بأمراض كثيرة، أو يبقى عنصر توتر دائم في العائلة.

لهذه الدرجة كان يلاحظ الجوانب الاجتماعية، وكان لهذه الدرجة حريصاً على راحة الناس وسعادتهم، فيوجه الأبناء والآباء لكي تبقى الأسرة الواحدة منسجمة و متماسكة و سعيدة.

حفظ التوازن بين المرجعية والموازين الاجتماعية

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يسعى لحل مشاكل أصدقائه أو أحد مريديه أو مقلديه إذا علم بها فيحاول حلها، أو يطرح أفكارا لحلها، وكان في ذلك يراعي

الموازن الاجتماعية والمرجعية في آن واحد، فهو يريد الحفاظ على الأسلوب المرجعي والأصول، وفي نفس الوقت يحافظ على الأعراف الاجتماعية، وإيجاد التوازن بين هذين الأمرين في غاية الصعوبة.

ونحن نلاحظ في حياتنا اليومية أحياناً بعض المراجع الكرام يراعي الموازين المرجعية، وربما يضطر لعدم مراعاة الموازين الاجتماعية، وبعض المراجع أو العلماء أو الشخصيات يراعي الموازين الاجتماعية وربما يضطر لترك الموازين المرجعية. لكن السيد الراحل (رحمه الله) كان يريد أن يحفظ الاثنين معاً، ولذلك تراه ليس يعاني من ذلك فقط، بل كل من كانوا معه، ويعملون لديه في الجوانب الإدارية عندهم هذه المعاناة، ولا زالت هذه المنهجية مستمرة في هذه المدرسة؛ لأنك تريد أن تحفظ الميزان المرجعي، وتريد أن تحفظ الميزان الاجتماعي، والموقع المرجعي يعني أنك في موقع القدوة في المجتمع، وحتى تكون في موقع القدوة في المجتمع، تفرض عليك أشياء يجب أن تستجيب لها، وأحياناً تخل بالموقع المرجعي، بحيث إذا استجبت للظرف الاجتماعي تكون قد أخللت بالموقع المرجعي، وإذا ما استجبت للموقع المرجعي يخل الميزان الاجتماعي لك، فكيف توازن بينهما؟

وهذه بحد ذاتها معضلة كبيرة، وهي إحدى الأسباب التي أدت إلى خروج بعض الشخصيات أحياناً من المسيرة، وشقوا لهم طريقاً ثانياً؛ لأنهم يرون أن الإنسان عندما يكبر تصير عنده مطالب وتطلعات، وقضايا يطلب تحقيقها.

فمثلاً من الأشياء التي كان يدعو أصحابه دائماً إليها هي الزهد في هذه الحياة، والعيش بالقصد، أي اقتصادياً في غاية الاقتصاد، وكان يكتفي في شؤونه بمقدار الضرورة، وذلك بحاجة إلى جهاد كبير مع النفس، وهذا مما لا يتحمله

إن هذا من الصعب المستصعب، لأن هناك ضغوطات يمارسها المجتمع، ويفرض عليك بعض موازينه بالقهر والإكراه، فلو كنت خطيباً من الدرجة الأولى أو عالماً كبيراً والناس يروك ويعرفونك ويعرفون إمكانياتك، فلا يسمح لك المجتمع أن تسكن بيتاً بسيطاً أو تستخدم سيارة بسيطة، و تثار التساؤلات من قبله عن ذلك، لا سيما قضايا الترفيه في السكن و اللباس و الطعام و الشراب وما شابه ذلك.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان الإمام الراحل (رحمه الله) يدعوك إلى التزهد وهو يعلم أن هذا الشيء صعب للغاية، فكان البعض يتحاشى اللقاء به، بل كان البعض يتركه ويذهب، ولكن سماحته (رحمه الله) لم يكن مستعداً للتنازل عن القيم الأصيلة، ولم يكن ليتركهم بل كان يتحفظ على علاقته بهم، و يحاول أن يرشدهم و ينصحهم و لا يقاطعهم.

ولذا قلت: بأن هذه بحد ذاتها محنة كبيرة، لأنها كانت محنة مع الأصدقاء، مع التلاميذ والطلاب، مع الأهل والأقرباء. إنها محنة مع المجتمع الذي كان يعيش فيه.

قال له شخص ذات يوم: إن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أتوا له بأحد أصحابه المقربين في حد من الحدود، فالإمام (عليه السلام) أمر بإقامة الحد عليه، فالتفت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا أمير المؤمنين، إن المقام معك لذل، وإن فراقك كفر (1).

أي إننا إذا كنا نبقي معك فإنك سوف تطبق علينا أحكام الإسلام كاملة وبلا هوادة، وإذا نفارقك ففراقك الكفر الصريح، فماذا نصنع؟!

أحياناً كان بعض أصحاب وتلاميذ الإمام الراحل (رحمه الله) يمرون بهذه المرحلة العامة التي يدعو لها، فمثلاً: من الأشياء التي كان يدعو لها - وهو يؤمن بالعمل السياسي، ويعتقد بوجوب التنظيم ووجوب تكوين الأحزاب، ووجوب الدخول في الأعمال السياسية؛ لأجل الإصلاح - النزاهة عن مظالم الحكومات، وعدم الدخول في ولايات الظالمين والعمل لدى السلاطين، فكيف تجمع هذه الأمور؟! كيف تجمع بين الاعتقاد بضرورة مزاولة العمل السياسي من دون أن تتلوث بمساوئ السياسة، فالعمل السياسي عادة يلاحظ جانب المصلحة، ولذا بعض الساسة لا يفكر بالمجتمع والآخرين، بل يأخذ بالمصلحة وحسب، وربما لا يلاحظ أن هذه المصلحة تضرب أي مكان أو منطقة من قيمك، تتنافى مع أي فكرة من أفكارك، وأي مبدأ من المبادئ السياسية التي تدافع عنها، فهذه تستبعدها أثناء العمل؛ لأن منطق المصلحة هو الذي يجب أن يسود.

فإذا فكرت بالعمل السياسي، فيجب أن تفكر وتضع بحسابك بأن القيم والمبادئ في المرحلة الثانية، بل المصلحة في المرحلة الأولى وكل شيء بعدها في مراحل متأخرة عنها، ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يرى المصلحة السياسية في المرتبة الأولى، والقيم الدينية أيضاً في المرتبة الأولى فهما معاً يكمل بعضه بعضاً، وهذه كيف تجمعها؟ وكم من الحكمة والموازنة وقوة الإرادة تحتاج؟

انقسام الأصحاب تحت ضغط الظروف

ولذلك بعض تلاميذه السياسيين لم يصلوا إلى مكان، لأنهم ابتلوا بهذه المشاكل، فانقسم أصحابه إلى ثلاثة أقسام أو أطراف أو اتجاهات:

جماعة منهم انجروا إلى المعادلات السياسية وخرجوا من أسلوبه، وذلك

منذ أن بدأوا بالعمل السياسي على أرض الواقع.

وجماعة أخرى رأوا أنهم لا يقدرّون على الصبر، ولا على الموازنة، لأنه إذا كان يريد أن يلتزم بدينه ومبادئ هذه المدرسة فيجب أن يفوّت الكثير من المصالح السياسية، فيتخذ مواقف معينة تمليه عليه مبادئه، والمفروض أن لا يتخذها سياسياً حتى يحصل على الموقع الذي يرغب به سياسياً، فإذا تعارض المبدأ مع الموقف السياسي وأخذ جانب المبدأ لا بد وأن يضحى بدوره في المقام المتقدم، بل يرى أن دوره ومكانه في المقام الرابع أو الخامس، وهذا في المعادلات السياسية لا يوصل إلى نتيجة، فتراه متحيراً، فإنه إن ترك دينه ليحصل على موقع سياسي متقدم فهذه مشكلة، وإن حصل على موقع سياسي لزم أن يتخلى عن دينه، كذلك هذه مشكلة.

لذا كانوا يتركون العمل السياسي في وسط الطريق، بحيث يتخلون عنه، ويتمسكون بدينهم، وصاروا مفكرين، أو صاروا كتاباً، وقسم منهم صاروا خطباء، وهذه حقيقة نقولها باللسان، ولكن بالعمل هي صعبة جداً. وهؤلاء أعدادهم كثيرة بين تلاميذه وأصحابه، مع أنها من المدارس الأولى التي بدأت العمل السياسي في العراق، ودعت إلى تكوين حكومة إسلامية شورية، والإمام الراحل (رحمه الله) هو أول من دعا إلى قيام حكومة إسلامية قبل (40) سنة وعنده الكثير من الكتب تناولت هذا الموضوع، كتبها حينما كان في كربلاء المقدسة، منها: (نريدها حكومة إسلامية) و(الحكومة الإسلامية) وما أشبه.

من هناك دعا إلى قيام حكومة إسلامية، ولكن أصحابه ما وصلوا إلى هذه الحكومة الإسلامية، لأن بعض المتصددين منهم أصحاب مبادئ ثابتة حالت دون أهدافهم السياسية.

ص: 217

والجماعة الثالثة من أصحابه تركوا العمل السياسي وغيره، ومارسوا أعمالاً دنيوية أخرى.

هذا الصراع بين المبادئ والمصالح حقيقة قائمة، يمكن أن تتردد على لسان أي إنسان وهو يدافع عن المبادئ، ولكن العمل بها صعب جداً.

تأملوا حتى أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انقسموا إلى هذه الفئات الثلاث، قسم منهم دخل في المعادلات السياسية والسلطة والمال وما شابه ذلك، فأحرقهم المال والسياسة، حتى إن أحدهم حينما مات لم يتمكنوا من تقسيم ثروته حتى كسروها بالفؤوس في قصة معروفة في التاريخ، وواحد منهم لشدته وصلابة مواقفه وحقانيته شردوه في البلاد حتى مات غربياً، ولم يجد أحداً يدفنه كأبي ذر الغفاري الذي مات منفيًا وحيداً غربياً، وما وجد أحداً يدفنه، فتقوم بعض القوافل بهذه المهمة كما في بعض المرويات، وجماعة أخرى تركوا الجهاد وانشغلوا في أمور الدنيا.

المقصود إن من أكبر المحن عند القائد والزعيم والمرجع والإنسان المصلح هو المجتمع الذي يعيش فيه حيث التضارب بين المصالح، والتجاذب بين الدوافع والحاجات.

الإمام الراحل (رحمه الله) والحكومات

المحنة الكبرى الثالثة هي مشكلة الحكومات، فالحكومات ما كانت تتنازل أمام شخص مثل الإمام الراحل (رحمه الله)؛ لأنه كان يجعل كل النظام السياسي تحت السؤال بأفكاره وتصوراتهِ وليس النظام السياسي المحلي فقط، حتى النظام السياسي الدولي كان يجعله تحت السؤال؛ لأنه يكتشف نقاط الخلل فيه، ويذكر

ص: 218

الحلول على ضوء الإسلام و مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ومن الواضح حصول النزاع الدائم مع مثل هذه الشخصية.

والإمام الراحل (رحمه الله) ذكر جملة من تصوراته ومواقفه ومحنه في كتابه (تلك الأيام)(1)، وهو وأخوه السيد حسن أول شخصيتين علميتين ومن أسرة علمية في العراق حكم عليهما بالإعدام، وحكم الإعدام على هكذا شخصيات - علماء دين كبار، وأناس من أبناء أسرة مرجعية عريقة - لم يكن معروفاً في العراق سابقاً، وإنما بدأت حكومته البعث، حيث راحت في غيرها، وبدأت بتصفية الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة من أسرة السيد الشيرازي وغيرهم، حتى إن السيد المرجع(2) قال: ذهبت إلى النجف عندما اعتقلوا السيد حسن، وكان أول رجل دين يُعتقل من أسرة معروفة ولها تاريخ عريق، وهذا يعني تغييراً كبيراً جداً في أسلوب عمل الحكومة البعثية، فرجل الدين له حصانة اجتماعياً، وله قداسة خاصة، ولا يحق اعتقاله؛ لأنه قال كلمة على المنبر، أو قال بيت شعر، فهو فوق السجون والمعتقلات، فهو إنسان حر، يحق له أن يصرح برأيه، كما كان كذلك سابقاً في العراق.

يقول سماحة السيد المرجع (دام ظله): ذهبت إلى النجف والتقيت ببعض الشخصيات وشرحت لهم الموقف، وقلت لهم: يلزم أن نتخذ موقفاً، لأن السكوت على اعتقال السيد حسن يستلزم السكوت على اعتقال غيره، وهذا

ص: 219

-
- 1- ذكر فيه قسماً من ذكرياته في العراق، منها: اللقاء بالمتصرف عبدالرسول الخالصي، اللقاء بوزير الشؤون الاجتماعية، الانقلابات العسكرية، اللقاء بسعيد القزاز وزير الداخلية، اللقاء بالشيخ محمد رضا الشبيبي، اللقاء بخليل كنه وزير المعارف، وغيرها من الذكريات.
 - 2- آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) .

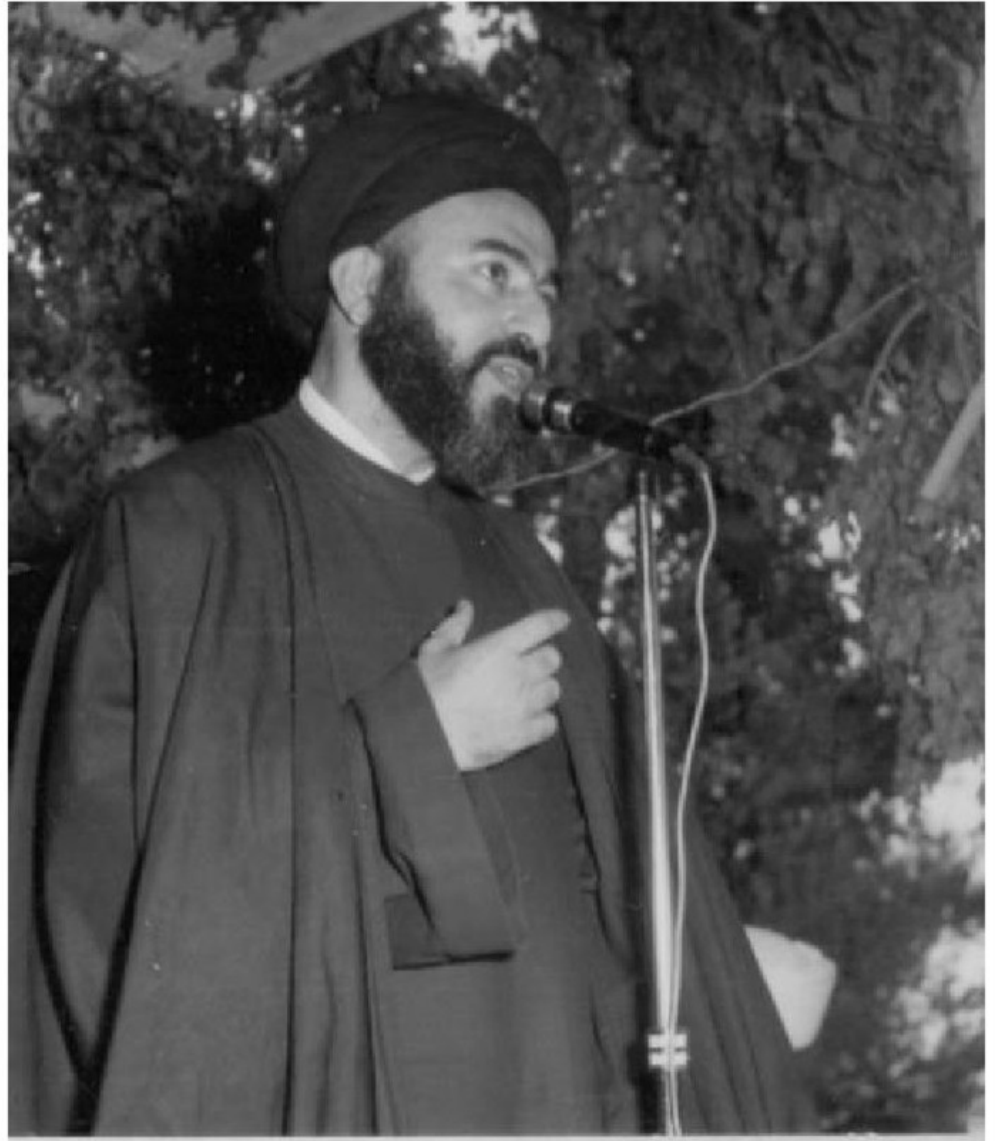
سوف يفتح باباً لمحاربة الحوزة العلمية كلها، وستنجر إلى مفاصد كبيرة، وذكر في وقتها الشخصيات التي التقى بهم، والسيد المرجع (دام ظلّه) في وقتها لم يكن إنساناً عادياً بل كان فاضلاً، عالماً وابن مرجع تقليد كبير، وأخوه شخصية علمية كبيرة من أسرة معروفة. يقول: حينما زرت بعض الشخصيات المهمة سمعت بعضهم يقول: إنه يريد أن يجرّنا حتى ندافع عن أخيه.

هكذا كان البعض يتصور الأمور، وينظر إلى الأحداث، ينظر من زاوية شخصية لا عامة، إنه ذاهب إليهم من أجل قضية مهمة وتحد كبير، ولكن بسبب التفكير المحدود، وشعور الآخرين أن القضية شخصية، ما استجاب لنصرة العلماء في كربلاء المقدسة إلا القليل.

ولو كان هؤلاء البعض يفكرون بأن المسألة ليست شخصية فالشهيد السيد حسن (رحمه الله) من البداية تصدى للبعث، وصرح علناً بأن البعث حزب يهودي، وصلبيبي، واستعماري، فهو الذي قال:

ويل العراق فليله لا ينقضي*** حتى تقوم حكومة الإسلام

الصورة



وحوزة كربلاء المقدسة هي أول حوزة حوربت، ولم تتعرض هذه الحوزة الشريفة إلى التصفية بهذا الشكل إلا لأن الشخصيات المؤثرة في العراق لم يتصدوا بالشكل اللائق، إلا ما ندر منهم، إلا القلة القليلة الذين استطاع صدام من اعتقالهم وسجنهم وقتلهم بعد ذلك، وبعضهم من الشخصيات والبيوتات

العلمية، ولقد استطاع النظام البعثي أن يقتلهم، أو يؤذيهم أو ما أشبه ذلك.

وقد خرج أعلام الحوزة في كربلاء المقدسة من العراق بخروج آل الشيرازي منه، وبعد مدة تعرضت حوزة النجف الأشرف إلى ضغط شديد من السلطات، وأهم الشخصيات في الحوزة تعرضوا إما إلى الهتك، وإما إلى القتل، أي على مستوى المجتهدين والمرشحين إلى المرجعية حوالي ثلاثة أو أربعة منهم قتلهم صدام.

هذا غير السيد الصدر (رحمه الله) (1) وأخته العلوية (2)، وأيضاً أعدم صدام من أسرة آل الحكيم حوالي (18 إلى 20) شخصاً وبعضهم من الأعلام ومن الشخصيات، بل المرجع الأعلى للطائفة (3) جاء به صدام إلى بغداد بعد الانتفاضة الشعبانية، وهذه كانت قضية كبيرة جداً، ولم يتمكن أن يفعلها أي حاكم للعراق إلا أن صداماً فعلها بعد أن طغى و تجبر.

وهذه محنة كبيرة أن ترى المستقبل بشكل صحيح، وتشعر بالخطر، وتنبه عليه، ولا تجد من يعينك عليه، بل وأحياناً تجد من البعض مواقف معكوسة.

ص: 221

1- آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر، ولد بمدينة الكاظمية يوم 25 ذو القعدة عام 1353 هـ. في مساء يوم 9 إبريل 1980 تم إغتياله مع أخته بنت الهدى بالرصاص بأمر من الرئيس العراقي السابق صدام التكريتي.

2- آمنة حيدر الصدر ولدت في مدينة بغداد، في عام 1357 هـ - 1937م، فهي كريمة الشيخ عبدالحسين آل ياسين، وهي أخت المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل يس.

3- يقصد السيد أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي الخوئي، كان يترأس الحوزة العلمية بمدينة النجف بالعراق، وكان مرجعاً وزعيماً لملايين الشيعة الاثني عشرية في العراق وإيران والخليج وغيرها من المناطق. توفي السيد أبو القاسم الخوئي في العراق في مدينة النجف الأشرف سنة 1992، ودفن في مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النجف الأشرف.

حرب الدعايات ضد الإمام الراحل (رحمه الله)

هذه محن ثلاث: محنة الغربة في التفكير، محنة الضغوطات الاجتماعية، محنة الضغوطات السياسية؛ هذه محن كبرى وليست صغيرة، وما كان لها سقف زمني لكي تنتهي، بل كانت مستمرة في كل حياة الإمام الراحل (رحمه الله)، مضافاً إلى المحنة الأخرى وهي محنة الدعايات المضادة له، وهي بالواقع حرباً في حياته وليست محنة، هذا الموضوع الذي شغل حركة السيد الراحل (رحمه الله) وتلاميذه، وبدلوا الكثير من أجله، وضحوا بالكثير في مقابل هذه الدعايات المضادة، فالكثير من الوقت والإمكانات وحرق الأعصاب والتوتر النفسي التي كانوا يتحملونها بسبب هذه الدعايات المغرضة، وتلك الحرب لم تنته حتى بعد وفاته، وإن بعض آثارها مع الأسف لا زالت موجودة.

فأي محنة كبرى هذه التي ابتلي بها!! فقد يمر الإنسان اليوم بمحنة معينة ولكنها تنقضي مع الأيام، وأما أن تكون بمحنة مستمرة لا تنقضي، وتلحقك الدعايات المغرضة تتناولك من كل جانب، فهذا شيء غريب حقاً بمنطق الحياة.

والعجيب أن بعضهم إذا سمع أو علم عن شخص أنه من مقلديه كانوا يذهبون إليه و يصرفون عليه الوقت الكثير كي يعدلوا تقليده ومواقفه، وبعضهم كانوا من مقلديه وعندهم حقوق شرعية، فيذهبون إليهم ويغيرون تقليدهم، ويحرضونهم على استرجاع ما دفعوه من حقوق له، فهل سمعتم بمثل هكذا حرب؟!!

الصبر و التحمل

حقاً كانت حياته كلها صبراً وجهاداً، وبالرغم من كل الظروف والضغوطات الشديدة، لم أره يوماً يقطب وجهه أبداً، بل كان يوصينا دائماً

ويقول: من القبائح في شخصية أهل العلم أن يُقَطَّبوا وجوههم، بل عليك أن تفتح أساريك (فحزنك في قلبك، وبشرك في وجهك) وما رأيته في يوم من الأيام متوتر الأعصاب رغم كل هذه الضغوطات.

اللاعنف بلا حدود

ذات مرة كنا جالسين معه في غرفة المكتب فقام وخرج منها وذهب إلى داخل البيت، وما أن خرج سماحته (رحمه الله) من الباب إلا وصار شبه تيار هواء فانغلق الباب آلياً بشكل قوي، فعاد السيد الراحل (رحمه الله) وفتح الباب مرة ثانية ثم أغلقها بهدوء حتى يشير لنا بأني لم أغلق الباب بهذه الطريقة العنيفة، بل أغلق بقوة الهواء العاصف، فما كان يحب أي سمة من سمات العنف في السلوك، فهذا أسلوبه في الحياة.

لا للشعارات

كنا إذا اجتمع الأخوة واكتمل النصاب نتصل به حتى يحضر لإلقاء المحاضرة، وذات مرة قدم لزيارته جمع من الشباب، فخرج سماحته من غرفته ودخل في الغرفة الكبيرة، وكان بعض هؤلاء الشباب لأول مرة يرونه، وكان له هيبة خاصة، فعندما دخل على المجلس ليلقي المحاضرة وقف الجميع يرددون التهتافات، وفي حينها كان الوضع السياسي غير ملائم، بحيث ما كان يميل إلى الشعارات والتبجيلات والتهتافات. فلم يكن يحبها، بل كان يعتبرها واحدة من المظاهر غير الصحيحة في المجتمع، وغالباً ما تؤدي إلى التسطيح في الفكر، فكان يستشهد بقوله تبارك وتعالى في قضية فرعون: (فَأَسْتَحَفَّ فَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ

فكان يقول: واحدة من أهم مزايا الاستبداد الفرعوني في مصر أنه كان قد استخف عقول الناس، فالناس أطاعوه في الاستخفاف، وهنالك روايات بهذا المضمون.

فعندما رأى الشباب قاموا بهتفون، رجع إلى غرفته، ولم يلق المحاضرة.

وكان هذا نوع من الاحتجاج السلمي الذي كان يمارسه، فليس عنده توتر نفسي، ولا حساسية من أحد، إلا أنه لم يكن يحب هكذا مظاهر احتفالية كالهتاف والتمجيد والصياح، ولا يرغب فيها، حتى في كتبه عندما تقرأها تجد بعد المقدمة يكتب (محمد) بدون أي لقب حتى (السيد)، أو (محمد الشيرازي) فقط، و الألقاب الموضوعية على الكتاب إنما هي من أفعال الناشرين.

وما أكثر الكتب والرسائل التي كان يبعثها، فيكتب (محمد الشيرازي)، وأحياناً (محمد) فقط دون أي ألقاب أخرى.

الصلب القوي أمام الشدائد

على الرغم من المحن القاسية التي كان يمر بها والتحديات الكبرى التي اعترضت طريقه لم تكن ترى أثرها ظاهراً عليه، فلم يعيش متوتراً أو سلبياً أو يتصرف بطريقة عدائية، أو يضعف أو يتراجع عن موقفه أو مبادئه، بل بالعكس تجده رابط الجأش، صلباً، قوياً، منبسط الأَسَِيرِ.

فتراه مصداقاً للرواية الشريفة التي تقول: «المؤمن كالجبل لا تحركه

ص: 224

مهرجان صفر الشعري

أتذكر السنة التي كان فيها بعض الضغوطات السياسية والاعتقالات، وفي هذه الأثناء مرت مناسبة (28) صفر، ذكرى شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ففي هذا التاريخ من كل عام كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يدعو العراقيين، فكانوا يجتمعون من كل إيران في قم المقدسة، وكانوا في ضيافة أهالي كربلاء المقدسة. ويكون البرنامج كالتالي:

في ليلة (28) صفر تكون مباراة في الشعر وقراءة القصائد العزائية الرائعة، من قبل هيئات المحافظات والتي يصل عددهم أحياناً إلى (30) هيئة، حيث كانوا يأتون ومعهم شعراء ورواديد(2)، ويبدؤون بعد صلاة العشاء العزاء بمجلس ثم بقصائد اللطم(3) ويتناوبون على صعود المنبر وقراءة القصائد، وربما صعد حوالي (25) رادوداً في تلك الليلة ويستمر ذلك إلى آخر الليل، وربما حتى أذان الفجر.

وحقيقة كانت تلك الليالي فيها ما يشبه المهرجانات الشعرية. وكان مثار التعجب والإنبهار، فأية طاقة لديهم هؤلاء المؤمنين، وبعد قليل من النوم كانوا يخرجون من الحسينية أو مسجد الإمام الحسين (عليه السلام) بموكب مهيب(4)، ويذهبون

ص: 225

1- شرح اصول الكافي - الشيخ صالح المازندراني -: ج 9 ص 181.

2- مفرداها الرادود: وهي مفردة دارجة تطلق على المنشد الذي يردد المراثي على اللاطمين.

3- اللطمية: وهي مفردة تطلق على المرثية التي تنشد، ويلطم الحاضرون على صدورهم حزناً وتفاعلاً مع المناسبة الحزينة، واللفظ من باب المجاز: لأن اللطم يكون على الوجه.

4- الموكب الحسيني: جمع من المعزين ينضمون عادة تحت اسم مأتم ما، يشاركون فيه بعزاء آل البيت (عليهم السلام)، لاطمين ومرددين القصيدة التي ينشدها عليهم الرادود.

إلى حرم السيدة المعصومة (عليها السلام)، فيؤدون صلاة الزيارة ثم يرجعون إلى الحسينية، ويؤدون صلاة الظهرين، ثم يتناولون طعام الغداء، وبعد الغداء كانوا يأتون إلى زيارة السيد الراحل (رحمه الله) في بيته، فكانت الزيارة السنوية للعراقيين في سائر محافظات إيران لسماحته (رحمه الله) في عصر يوم (28 صفر).

وكان الأخوة في مكتب السيد الراحل (رحمه الله) يستقبلونهم، فيلقي سماحة السيد (رحمه الله) عليهم محاضراته، وقد سمعت من كثير منهم أن هذه المحاضرة زادنا السنوي، لأنهم كانوا متوزعين في أنحاء إيران، فهذا يسكن في مشهد، وذاك في أصفهان، وذلك في يزد، والناس تشغلهم الحياة، فكل يليه عمله، ولا يأتون إلى مدينة قم إلا في هذه المناسبة، يأتون كي يلتقوا به، ويستمعون لتوجيهاته، ويعتبرون هذا التوجيه هو الشحن الروحي والمعنوي لمدة سنة.

في تلك السنة كانت الأزمة السياسية في ذروتها، وقبل يوم من المناسبة وزعت منشورات كثيرة في مدينة قم تتناول الإمام الراحل (رحمه الله) بالجرح، وتتكلم عليه بكل صراحة، وفيها كثير من الكلام الرخيص، وبعضها ملصوقة على الجدران، وبعضها موزعة في الشوارع والأزقة، وفي يوم (28 صفر) كان الموكب من أكبر الموكب في تلك السنة بحيث خرج حوالي (20) مجموعة ولهم شعارات، هذا عدا موكب الزنجيل، وفي وسط المجاميع جاء بعض الناس يوزعون المنشورات أو يرمونها بالآلاف وكلها ضد الإمام الراحل (رحمه الله)، وكان هذا العمل استفزازاً وتحدياً كبيراً جداً لمقلديه، وله شخصياً، وفي عصر ذلك اليوم الذي كان موعد محاضراته لهذه الجموع، - وعادة في محاضراته كان يوصي الناس بحسن الأخلاق والتقوى وبخدمة بعضهم البعض الآخر ومساعدة الفقراء ومساعدة المحتاجين إلى آخره - داهمت القوى الأمنية بيته، واقتحموه بالقوة، ودخلوا البيت، وضربوا

جماعة واعتقلوهم، وكان الهدف تخريب وتعطيل هذا البرنامج، ودخلوا بالقوة ومعهم أجهزة وكل ما يلزم لتعطيل البرنامج، فخرج الناس وقطع الإمام الراحل (رحمه الله) محاضراته ودخل داخل البيت، لكي لا يواجه الناس ضغوطاً أكثر؛ لأن الجموع كانت غفيرة، والناس مزدحمون في بيته، فالمصلي كان ممتلئاً، والغرف التي بعده كانت ممتلئة، وفي الداخل لا يوجد مكان للجلوس، فكل البيت ممتلئ، ولم يكن فيه مجال لكي يجلس شخص واحد.

وبعد هذه الأحداث بدقائق وربما لا تتجاوز الربع ساعة فرغ المكان تماماً، ولم يبق حتى شخص واحد، للوضع المتأزم والمربك جداً، ولكن بقيت مع بعض الأخوة جالساً في المصلى ومندهشاً من هذا الحدث، فلماذا هذا الشكل القاسي بالتعامل؟ فما الذي يخيفهم من كلامه إذا أوصى الناس بمكارم الأخلاق؟ وهكذا رحت أفكر وأسأل نفسي عن جملة من الاستهجمات وجملة من التساؤلات، وبالتالي فإن هذه الصورة ليست إسلامية ولا حضارية.

وبينما أنا غارق في أسئلتي وحيرتي أتى إليّ أحد الأخوة الموظفين في مكتبه وقال لي: السيد يريدك. فقمتم وأدخلني الرجل إلى مكان وإذا بسماحته (رحمه الله) جالس على كرسي وهو مبتسم ويضحك ويلقي محاضراته على بعض الأخوة الذين أدخلوهم إلى هناك بطريقة أو بأخرى، وهو يتكلم مع الأخوة ويوجه ولا يشعر بحدوث شيء، وكان هؤلاء لم يهجموا على بيته، ولم يقوموا بهذه الأعمال فيه، وإنما كانوا يرشون ورداً على أصدقائه وضيوفه، وكان يقول: هذا كله قليل، ولا تحملوا همّ ذلك، فالحياة والمواقف تحتاج إلى صبر وتحمل.

والغاية من هذا الكلام أنك في الوقت الذي ترى الناس في غاية الإحباط لأنهم كانوا خائفين، فإنه يعطيك روحية عجيبة ودفعاً معنوياً غريباً، وكأنك

الآن على موعد مع الهدايا الثمينة، فيشعرك بالثبات، ويعطيك قوة الأمل، لأنه كان في غاية الشجاعة.

عندي أهداف كبرى

لم تكن المحن تؤثر على الإمام الراحل (رحمه الله)، ومن اللطائف التي دائماً أقولها وأذكرها للأخوة وأستشهد بها أنه في الكثير من المناسبات والمواقف في نفس تلك السنة التي وقعت فيها أحداث (28) صفر وتم توزيع الكثير من المنشورات ضده، وكانت قضية مربكة جداً، وأزعجت الكثير من الأعلام في قم المقدسة لوجود تحد كبير. في تلك الفترة قال له بعض الأخوة: سيدنا ما هو رأيك بأن تردّ عليهم في بيان أو محاضرة أو منشور صغير؟ قال: لا أفعل مثل هذا الشيء أبداً حتى لو وزعوا الملايين من هذه المنشورات..!! قالوا له: لماذا؟ قال: أنا عندي أهداف كبرى، وهي تتطلب منا جهداً كبيراً ووقتاً وعملاً كثيراً، وإذا كنت أريد أن أرد على كل واحد يتكلم بكلمة فهذه الأهداف الكبرى تصبح أهدافاً صغيرة وهامشية، ليس لها أي قيمة، وأنا غير مستعد أن أشغل نفسي بالهامشيات، وأنزل إلى هذا المستوى حتى أرد على هذه القضايا.

كان ما قاله الإمام الراحل درساً مهماً لنا، فإذا قرأ عشرات الكتب في التوجيه وفي التربية لا يمكن لها أن تعطيك بمقدار هذا الموقف، مع أن المنشورات التي كانت تكتب ضده، كانت قاسية وجارحة جداً، وطاعنة في شخصيته، وفي هذا الحوار لا أريد أن أذكر مضامينها، وربما يتاح لأناس آخرين أن يتكلموا بالتفاصيل المسعة أكثر مني.

المحن التي كانت تواجهه، لم يكن يعتبرها محناً - وهذه نكتة مهمة في البين -

بل كان يعتبرها ابتلاء واختباراً.

أذكر في اليوم الذي أعلنوا فيه عن وفاة (مهدي بازركان) (1)، أتيت إلى السيد الراحل (رحمه الله) وقت العصر، حيث يجلس كل يوم لاستقبال الناس، فرأيت متأثراً، فقلت له: سيدنا خيراً أراك حزيناً ومتأثراً، مع أنه يوجد الكثير من الاختلاف بوجهات النظر بينك وبينه؟ قال: الشيء الذي أعجبني فيه وتأثرت لأجله هو استقامته، فالرجل ما غيّر في حياته شيئاً عندما أصبح رئيساً للوزراء، بل بقى على ما هو عليه سابقاً، بقي بنفس البيت الذي يسكن فيه، وعلى نفس السيارة التي كان يستخدمها، وهذا ينبغي أن يقدر، فالشخصية التي لا تؤثر فيها السلطة والمال تستحق كل التقدير والاحترام، بقطع النظر عن الخلافات الفكرية والمنهجية بيننا.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) غالباً يوصينا ويوصي الأصدقاء، وخصوصاً الأخوة المشتغلين في الميدان السياسي، وحتى في الميدان المرجعي، بعدم الاغترار بالدنيا والسلطة وغيرها، وكان يقول: يجب أن تبقى على نفس الحال قبل السلطة وبعدها، ولا تتغير، ولو تغير الشخص بعد السلطة فهذا خطأ ينم عن تنازله عن مبادئه و اشتغاله بالدنيا.

كان يستشهد بقضية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومضمونها أنه دخل عليه شخص وهو على منبر الكوفة يخطب وهو يحرك ثوبه ليحفظه من البلل، وكأنه يحفظه في الهواء، وكان يقول: أنا دخلت لكم بثوبي هذا فإذا خرجت بغيره فأنا لكم خائن.

وفي خبر مروى عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب إذ قال لعلي (عليه السلام) : يا

ص: 229

1- أول رئيس وزراء في إيران، بعد سقوط الشاه.

أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة، فوالله مالي نفقة إلا أن أبيع دابتي. فقال علي (عليه السلام): «والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك» (1). وروى بكر بن عيسى قال: كان علي (عليه السلام) يقول: «يا أهل الكوفة، إذا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان فأنا خائن» (2) فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم ويأكل هو الثريد بالزيت.

كان يوصينا دائماً بأن الحياة والسلطة والمال والثناء والقدرة لا ينبغي أن تغيرنا، والإنسان الذي ينشغل بالدنيا يفشل؛ لأنه لا يستطيع أن يحقق شيئاً في الحياة. حياة الإمام الراحل (رحمه الله) مليئة بهذه المحن التي كان يعتبرها ابتلاءات، ويعتبرها جهاداً في سبيل الله. كان شعوره بهذا الشكل، ويرجو من الله مزيداً من الثواب.

كان بعض الأخوة القريبين منه جداً والمنفتحين عليه يقولون له: إلى متى هذا التعب، وهذا العناء؟ سيدنا نحن من اليوم الذي صرنا في مدرستكم وقلدناكم وصرنا معكم أخذت بنا السجون والفقر والجوع والزهد والركض من الصباح إلى الليل حتى عوائلنا أخذت تشكووا حالها منا.

وفعلاً بعض العوائل كانوا يشتكون من أزواجهم، لأنهم في العمل أكثر مما هم في البيت، كما كان هو في العمل أكثر منه في البيت، وأهم وكلائه لم يكن عندهم بيوت للسكن، في الوقت الذي ينفقون الملايين من الأموال على الآخرين، وعلى المشاريع، وإذا كان عند بعضهم بيت كان حاله حال بيوت

ص: 230

1- الغارات: ج 1 ص 67.

2- شرح نهج البلاغة: ج 2 ص 200/بحار الأنوار: ج 41 ص 137.

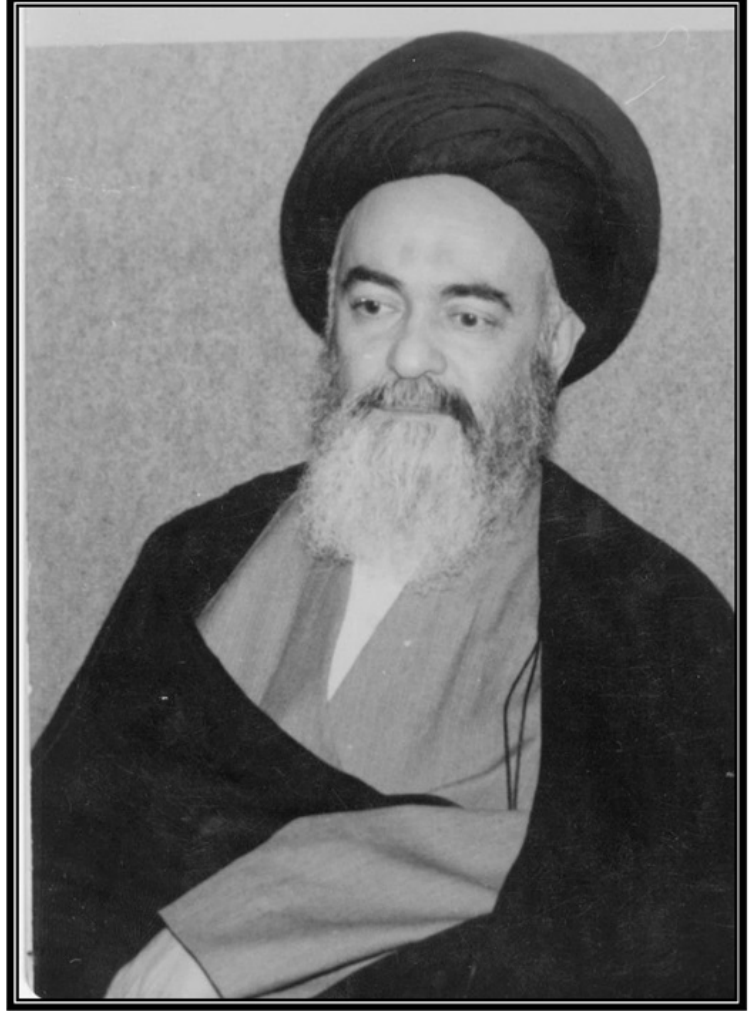
الناس، لأن السيد الراحل (رحمه الله) نفسه ما كان عنده بيت، وأولاده ما كان عندهم بيوت إلا ما شددّ وندر، وعادة ليسوا هم الذين اشتروها، بل هي للآخرين.

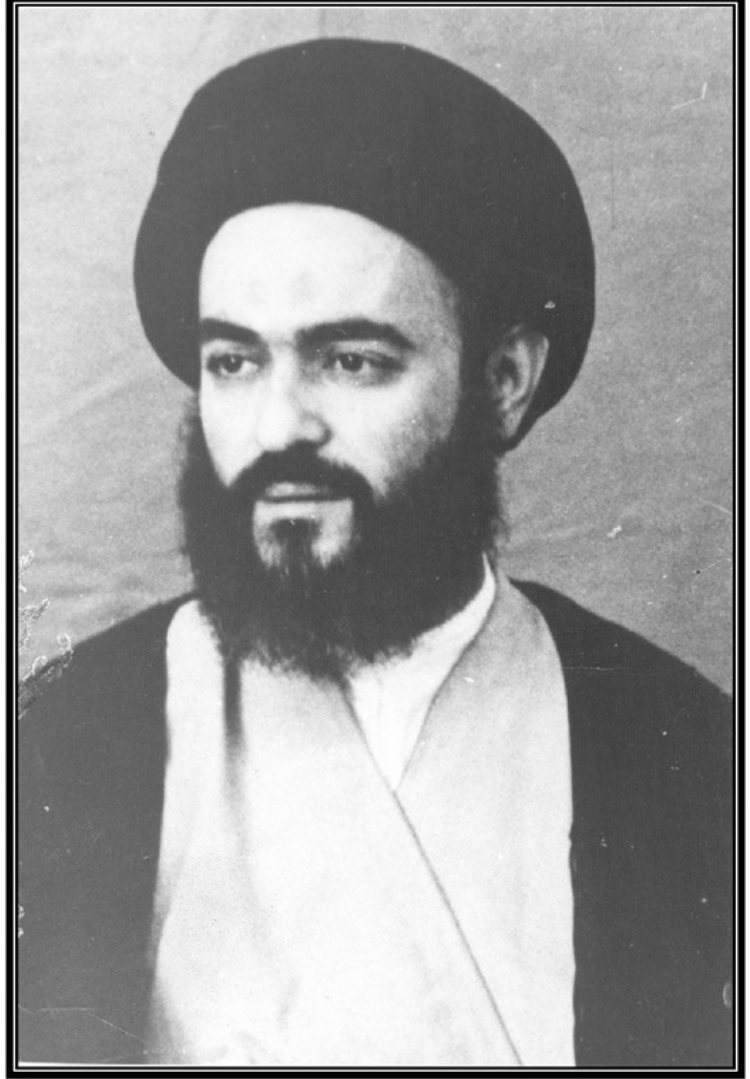
فكل هذه المحن التي كانت تمر على الإمام الراحل (رحمه الله) يعتبرها بلايا وامتحانات، إلا أنها كانت دائمة ومستمرة لا تقطع ما دام هو في هذه الحياة، وهي تحديات وابتلاءات كبرى وليست صغرى، تحديات دول وحكومات وجماعات، ولكن لم تغيّر منه شيئاً، وبقي على مسيرته، وبقي على أفكاره.

ولعل أي شخص آخر إذا كان يدعو إلى أفكاره - سنة، سنتين، ثلاث، أربع وربما إلى عشر سنوات - ولا يجد استجابة بل تشنُّ عليه حروب بلا هوادة فإنه سوف ييأس، ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) ما كان يعرف معنى لليأس أبداً في حياته الشريفة.

فكان يأتيه بعض الأخوة - مراراً وتكراراً حصل ذلك - ويشكون له كل أنواع الشكاوي، فيقول لهم: اذهبوا واعملوا مؤسسة، أو ابنوا مدرسة، أو شكلوا حزباً، فيقروون له آية اليأس - إن صح التعبير - ويشكون له الموانع الإدارية، والضغوطات السياسية والفقر والحاجة، إلا أنه كان يخرج لهم من بين كل هذه الأتقاض وكل هذا التشاؤم بصيص أمل، ويعطيهم دفعة معنوية وقوة روحية، ويشحذهم بما حباه الله من ذلك كله، ويقول لهم: صحيح كل الذي تقولون ولكن لا بد من العمل وإن طال السفر.

وهكذا كان دائماً فما من أحد يدخل عليه ليواسيه بمحنه ويشاركه في ابتلاءاته، ولكن الكل كان يذهب إليه محملاً بالأثقال والأعباء فيتحملها هو أو يخفف منها، ولذا فما دخل إليه أحد إلا وخرج من عنده متفائلاً مستبشراً.





نبذة تعريفية عن الشيخ الرميثي

* فضيلة الشيخ قبل التطرق إلى ما تميز به الإمام الراحل (رحمه الله) من مناقب شخصية ومعنوية، نريد أن نعرّف القاريء على سماحتكم، ومن خلال لسانكم..

- في زمن النظام السابق، وتحديدًا في اليوم الثاني من الحرب العراقية الإيرانية، هاجرنا إلى إيران بعد اشتداد الضغوط علينا من قبل السلطات البعثية، وقد استقر بنا المقام في مدينة قم المقدسة.

دخلت إلى الحوزة العلمية، وهي حوزة دار الحسين (عليه السلام) وكنت اتلقى الدروس باللغة العربية، في تلك الحوزة بدأت بالتعرف على أولاد الإمام

الراحل (رحمه الله) ومنهم السيد محمد رضا الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) والسيد مرتضى (حفظه الله)، إضافة إلى مجموعة أخرى من تلاميذ الإمام الراحل (رحمه الله) ومريديه، منهم السيد باقر الفالي والشيخ عبد الحميد المهاجر ومجموعه من الأساتذة كانوا يتواجدون هناك في بداية الدروس.

بعدها كانت لنا لقاءات مفصلة دائماً ومحاضرات ودروس أخلاقية مع المرجع الراحل (قدس الله نفسه الزكية)، مثلما كانت لنا أيضاً دروس أخلاقية أسبوعية مع المرجع الحالي آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) ومن خلال هذه اللقاءات تعرفنا وعرفنا مزايا الإمام الراحل (رحمه الله) وتقرّبنا إليه وعرفنا خصائصه وأخلاقه الطيبة والنبيلة والعظيمة التي كان يتمتع بها، والعلوم الرفيعة التي تحصّل عليها، ومن خلال هذا الاحتكاك والتواجد مع الإمام الراحل (رحمه الله)

والتي دامت إلى سنوات عديدة، حتى سنة (1997م) حين خرجنا من إيران باتجاه سوريا، بعد أن اشتد الحصار عليه وعلينا، من قبل سلطات الحكومة الإيرانية، كانت تلك السنوات في مدينة قم المقدسة، كلها اتصال دائم لم ينقطع مع الإمام الراحل (رحمه الله) والمرجع الحالي وانجاليه (حفظهم الله جميعاً).

فيما يتعلق بدراستي الحوزية على شيء من التفصيل، فقد بدأتها من المراحل الابتدائية وهي ما يعرف بالمقدمات، إلى أن وصلت إلى المراحل المتقدمة وهي السطوح ثم بحوث الخارج، وتتلذذت على يد أنجال الإمام الراحل (رحمه الله)، ومنهم السيد محمد رضا (قدس سره) والسيد مرتضى (حفظه الله) وبعض المدرسين الآخرين سواء أكان في حسينية دار الحسين (عليه السلام) أم بعد ذلك في مدرسة جابر ابن حيان وبعدها في مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) وبعد ذلك في مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك درسنا عند مدرسين آخرين من خارج هذه المدرسة وهذا الإطار.

* ماهي الاعمال التي تزاوونها في الوقت الحاضر؟

- أتواجد الآن في كندا، ووجودي هناك يستدعي مني الارتباط مع الجالية العربية والإسلامية الموجودة هناك، والتواصل معهم عبر المناسبات الدينية، من مواليد الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم، وعبر الكثير من محاولات الإجابة عن الأسئلة التي يطرحوها، والتي تتعلق بجوانب الحياة الاجتماعية في بلد المهجر، وكذلك الأسئلة المتعلقة بقضايا الدين والمذهب، وكل ما يحتاجونه في حياتهم، فإنهم يتواصلون معي في ذلك، سواء عبر استئلتهم أم عرض مشاكلهم والبحث عن حلول لها، أشارك مع تلك الجالية في أفراحها وأتراحها.

ص: 236

* متى كان أول لقاءكم بالإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) وماذا استفدتم من هذا اللقاء؟

أول لقاء لي مع الإمام الراحل (رحمه الله) عندما خرجنا من المعسكر الذي كنا نتواجد به في اصفهان، وهو معسكر المهجرين ووصلنا إلى مدينة قم المقدسة، وفي اليوم الثاني لوصولنا، قمنا بزيارة المرجع الراحل وتشرفنا بلقائه، وكان أول سؤال طرحه علي في ذلك اللقاء: ماهو عملكم في العراق؟ أجبته: سماحة السيد أنا معلم! قال: هذا العمل شريف، وهذا عمل الأنبياء (عليهم السلام)، ولكن هذا العمل وحده لا يكفي، فأنت تحتاج إلى أن تبذل الجهود المتواصلة في الكتابة،

لتوعية الناس وإرشادهم، اعلم أن لديك قدرة على البيان والتعبير والحمد لله، ولكن كل كاتب بحاجة أن يقوي قلمه من خلال الكتابة المستمرة.

منذ ذلك الوقت، بدأت ومجموعة من الأخوة بالدخول في دورات تدريبية، ومن خلال توجيهات المرجع الراحل (رحمه الله) المستمرة وتشجيعه لنا، بدأنا بتأليف بعض الكتب، وكان أحدها تحت إشراف السيد محمد رضا (رحمه الله)، وكتاب آخر كان تحت إشراف الإمام الراحل (رحمه الله)، وهو كتاب حول الظلم، ويعتبر أول كتاب لنا مع السيد الراحل (رحمه الله) الذي كان يوجهنا في كل خطواتنا التي نقطعها مع الكتاب، ويرشدنا إلى الكثير فيه عبر لقاءاتنا المتواصلة معه.

مقومات الشخصية الناجحة

* من خلال تلك المعرفة الطويلة بالإمام الراحل (رحمه الله) ماهي مقومات وخصائص شخصيته ونجاحه؟

- في الواقع إن من يتقرب إلى الإمام الراحل (رحمه الله) ويتواصل معه أو حتى

يلتقي به لمرّة واحدة، يرى أن لديه خصائص قد تفرّد بها حقيقة، من هذه الخصائص، صبره واستقامته، وهي قلما تجدها عند أحد غيره.

هذا الصبر الكبير وتلك الاستقامة زرعهما فينا أيضاً. ربما بعض الناس عندهم صبر وعندهم استقامة تصل إلى حدود قد تنتهي عندها، لكن الإمام الراحل (رحمه الله) كان صبره واستقامته يمتدان إلى كل أعماله ودأبه الكبير على إنجازها، انعكس ذلك في توجيهاته وفي كتاباته وفي مطالعته، وحتى في لقاءاته مع الآخرين، وهو يواجه سلبياتهم واحباطاتهم، تراه مع كل ذلك يرشد هؤلاء ويعطيهم المهمة ويزرع فيهم كل ما من شأنه أن يحشد قواهم وطاقاتهم على مواصلة مسيرتهم.

في كل السنوات التي قضيتها قريباً منه، لم ألمس أو أرأي إشارة أو ذرة يأس تتنابه، كان على الدوام متفانلاً ويتطلع إلى البعيد، كجده أمير المؤمنين (عليه السلام).

كانت رؤيته للأمر بعيدة المدى، ينظر إليها بشيء من العمق والتدبر، من خلال ما خفي منها ليستكشفها، لذلك يعطي تحليلاته، وي طرح آراؤه بصورة ثاقبة، متوقفاً ما عليه تلك الأمور في المستقبل قبل مجيئه، وفي هذا شواهد كثيرة.

السبب وراء المشاكل

* فضيلة الشيخ تطرقتم إلى بعد النظر واتساعه والذي كان يتمتع به الإمام الراحل (رحمه الله)، وهي ميزة خاصة به كما أشار الكثيرون في لقاءات سابقة، أو ممن عرفه لفترة طويلة. هل تعتقد أن مثل هذه الميزة ربما كانت السبب في بعض المشاكل والمحن التي تعرض لها الإمام الراحل (رحمه الله)، خاصة بوجود جهات يمكننا تسميتها ب- (التقليدية) والتي بقيت على أنماط تفكيرها وعملها ثابتة لا تتحرك، أمام مرجعية تتحدث عن المستقبل وتخطط له وتعمل لأجله، وهي مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله)؟

* هل يعد مثل هذا الاستثناء سبباً لإثارة المشاكل أمام من يحملون أفكاراً جديدة ويريدون التغيير؟

- كل خصائص الإمام الراحل نقاط إيجابية تحسب له، ولكن الآخرين ربما لا يستطيعون تحمل مثل تلك الخصائص والمزايا الشخصية للمقابل، وهو نابع من شعور بالنقص، لذا ترى الكثير من هؤلاء يثيرون المشاكل ويفتعلوها، لتكون تلك المشاكل حجر عثرة أمام مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) ويحدوا من قدرته على العمل أو التقدم إلى الأمام في مجالاته والأمر التي يسير نحوها لإنجازها، وإذا لم يتمكنوا من القضاء عليه فهم على الأقل يفكرون بإيقافه أو إحباطه.

سأضرب لك مثلاً يصور تلك الحالة، حالة بعد النظر والفهم المستقبلي، وحالة التعاطي التقليدي مع الأمور، جاء مجموعة من الأخوة الأفغان إلى إيران، وهم ينتمون إلى مختلف التنظيمات الإسلامية الأفغانية، جاؤوا إلى إيران وزاروا بعض العلماء والمراجع، وهي زيارات تم توثيقها عبر مصور تلفزيوني يرافقهم، ما يؤسف له حقيقة في هذه الزيارات، أن أحد الشخصيات المشهورة لم يكن يعرف هل كان هناك شيعة موجودون في أفغانستان أم لا؟!!

لم يعرف هذا الشخص الشهير بحقيقة وجود شيعة أفغان، وعندما جاء أعضاء الوفد إلى المرجع الراحل (رحمه الله) وسجلوا كلامه، تعجبوا مما قاله وعبر عنه وكشف من خلال كلمته حجم المعلومات التي كان يمتلكها عن مراحل تطور حركتهم السياسية ومراحل عملهم اللاحقة التي يتصورها في المستقبل، ثم حدد لهم مراحل العمل القادم في الحكومة الأفغانية العتيدة إذا قامت في أفغانستان بعد اندحار السوفييت، كان في كلامه (رحمه الله) يحدد لهم نسبتهم في الحكومة القادمة تبعاً لعدد نفوسهم الحقيقي وليس كما كان يحملون من تصورات عن تلك الأعداد وهي 17 (عليهم السلام)، فكانت نسبتهم حسب كلام الإمام الراحل في الحكومة المتوقعة يجب

أن تكون 25 (عليهم السلام) ويجب أن يكون لهم وزراء 25 (عليهم السلام) وسفراء 25 (عليهم السلام) بالعالم.

ذلك الكلام وقتها مع أعضاء تلك الحركة، زرع فيهم الثقة ومنحهم الحماس، وهم يسمعون تلك التوقعات المستقبلية لافغانستان وحكومتها القادمة، لذلك فإنهم بعد خروجهم من ذلك اللقاء مع الإمام الراحل، كانوا يقولون: لم نسمع من مرجع أو عالم التقينا به في زيارتنا، مثل هذه الرؤى أو المواقف أو التصورات التي نستفيد منها مستقبلاً، كما لمسنا ذلك في لقائنا مع المرجع الشيرازي!

لم يكن أمر تصور المستقبل وكيف ينبغي أن يكون أو سيتحقق منحصراً في تلك الواقعة، بل إن ذلك امتد إلى الكثيرين من المسؤولين في الدولة الإيرانية، حين كانوا يلتقون بسماحته ويأخذ بالحديث معهم عن مستقبل الأحداث الجارية ومآلاتها، ويقدم الحلول لمشاكل مستقبلية تظهر جذورها أمامهم، لم يكن هؤلاء المسؤولين يتحملون تلك الأفكار والآراء ويصرون على رفضها، رغم العدد الكبير من المستشارين الذين يحيطون بهم، في وقت كان الإمام الراحل (رحمه الله) يعيش لوحده وليس لديه مستشارين، لكنه كان يقرأ الكتب بنهم ويتابع الأخبار عبر الصحف، كان يقرأ الواقع بما هو عليه، ويعطي خلاصة تلك القراءة للحاضر ممتدة إلى المستقبل، والمسؤولين في الدولة ورغم وجود الكثير من المستشارين لديهم والامكانيات الكبيرة التي توفرت تحت تصرفهم، إلا أنهم لم يكن بمقدورهم التوصل إلى حلول للمشاكل التي تعترضهم، وكانوا كثيراً ما يقعون في فخ الأخطاء دائماً.

* لو أن هذه الأمور التي تحدثت عنها قد صدرت من شخص آخر غير المرجع السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) هل كانت ستلقى القبول؟

لا أستطيع تأكيد ذلك أو نفيه، ولكن هناك حقيقة نعرفها نحن الذين رافقنا

الإمام الراحل (رحمه الله) لسنوات طويلة، فالكثيرون لا يريدون أو لا يسمحون بظهور صورة السيد على سطح الأحداث، وبالتالي لا يتقبلون أو يتفاعلون مع تلك الرؤى والتصورات، وهم أحياناً يتقبلونها إذا كانت صادرة من شخص عادي آخر، لكن نفس ما يتقبلونه من هؤلاء الآخرين لا يستطيعون أو يرفضون تقبله إذا كان صادراً من الإمام الراحل (رحمه الله)، لأنهم يتصورون إنه سيستفيد على المستوى الشخصي من ذلك.

لكننا ومن خلال معرفتنا بالإمام الراحل (رحمه الله)، فإنه لم يكن في يوم من الأيام يرغب في منفعة شخصية أو خاصة، لأن كل اهتمامه منصبّ على الأمور المفصلية للشعوب المسلمة وللأمة الإسلامية الواحدة والتحديات المصيرية التي تواجهها.

يستطيع الآخرون أن يتفقوا مع بعض تلك الاهتمامات أو يرفضوها، تبعاً لتصوراتهم واهتماماتهم، ولكن ما يتعلق بنا هو كيف يمكن معالجة تلك التحديات؟

على سبيل المثال، النظرة إلى الأخوة الإسلامية، بعض الدول تنظر إليها نظرة سلبية، فحين يدخل الشيعي إلى الدولة الفلانية، وسكن فيها كثيراً ما يواجه بالمعارضة ورفض منحه الإقامة، وربما يتعرض إلى مضايقات أخرى، وهي في جميعها مخالفة لمبدأ الأخوة الإسلامية التي كان الإمام الراحل شديد التأكيد عليها في الكثير من بياناته وفي الكثير من كتبه، وألحّ وركز عليها، وهو يرى أن تلك الأخوة غير موجودة في الواقع العملي للبلدان المسلمة، فالأفغاني في العراق غريب، والعراقي في السعودية غريب.

مثل هذا التركيز على مبدأ الأخوة الإسلامية لم يتحملها أحد من أصحاب

القرار وكانوا يعارضونها كدول لها مصالحها الخاصة ولا ينظرون إلى مصالح الإسلام العليا ومنها الأخوة الإسلامية، وهي مبدأ إسلامي أصيل 100 (عليهم السلام) أكد عليها ونادى بها الإسلام ورسوله وأهل بيته (عليهم السلام).

النظرة إلى الدنيا

* كيف كان الإمام الراحل (رحمه الله) ينظر إلى الدنيا؟

- كتبت حول ذلك موضوعاً مختصراً وهو عبارة عن نقاط مضيئة تجسد نظرة الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الدنيا، الموضوع حمل عنوان (وللزهد صور أخرى).

أضيف إلى ذلك واستكمالاً لنظرة الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الدنيا، كان زاهداً بكل معنى الكلمة، ينظر باحتقار إلى الدنيا وإلى المال وإلى المناصب، كان طعامه متواضعاً، وفراشه وملابسه كذلك، ويمكنني القول أن الكثير من الناس الفقراء أفضل منه حالاً في ملابسهم.

بالإضافة إلى شدة تواضع ملبسه، كانت عباؤه التي يرتديها ممزقة، وعلى مدى سنوات طويلة كانت تحمل إليه الهدايا من كل مكان، لكنه كان يعطيها للآخرين ممن حوله، ويبقى ملازماً لعباءته المثقوبة في أكثر من مكان. وكان يردد باستمرار تكفييني هذه العبارة.

زهده بالدنيا بكل مغرياتها، جعلته يسمو بهذا الشكل ويرتفع في مكانته، التي طابقت ما وصف به الإمام السجاد (عليه السلام) زهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يرد موجوداً ولا يطلب مفقوداً» هكذا كان الإمام الراحل (رحمه الله) في ملبسه، وكان في طعامه يكتفي في الكثير من الأحيان بالخبز والملح أو الخبز واللبن، لذلك وقع في مشاكل طبية كبيرة ورافقتة الأمراض، وكنت مطلعاً على زيارات الطبيب إليه

وهو يخاطبه بقوله: سيدنا أنت الآن الأمة تستفيد من علمك ومن فكرك ومن توجهك ومن علومك، انتبه إلى نفسك فالأمة بحاجة إليك! يجب أن تأكل جيداً وأن تتناول ما يقوي بدنك! وكان يجيبه (رحمه الله): كيف يمكن أن آكل الطعام اللذيذ وأشبع، والآخرين جوعاً؟!

زاوية أخرى لهذا الزهد تمثلت برفضه للسفر خارج مدينة قم المقدسة في أشهر الصيف حيث ترتفع درجات الحرارة ويسافر الكثير للمناطق الباردة في إيران للاستجمام، لكنه ورغم حبه للسفر، كان يمتنع عن الخروج من مدينة قم المقدسة، ويقول: أريد أن أعيش كما يعيش الناس.

كان مهموماً بما عليه واقع الناس وهم يكابدون مشقات الحياة، ولو أنه استمع إلى نصائح الطبيب وكان يأكل بصورة جيدة، لربما طال به العمر لولا الأجل المحتوم.

كان تواضع الإمام الراحل (رحمه الله) تجسيدا لما كان يقوله دائماً ونسمعه منه: (على رجل الدين أن تكون عنده صفتان صفة الزهد وصفة التواضع، الزهد يحبه إلى الله والتواضع يحبه إلى المجتمع وإلى الناس).

وهاتان الصفتان كانتا تلازمان المرجع الراحل.

مع الحوزات العلمية

* ماذا كان دور الإمام المجدد (رحمه الله) في تفعيل الحوزة العلمية؟

من المتعارف عليه أن مناهج الدراسة في الحوزة هي مناهج في الأصول، وفي الفقه، وفي الفلسفة، وفي اللغة العربية، وبعض المناهج الأخرى، وهي بمجملها كانت كلاسيكية.

وكان الإمام الراحل (رحمه الله)، يتمنى أن يقوم بتدريس مواد ومناهج أخرى،

مثل التاريخ لمعرفة سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، وكذلك دراسة (نهج البلاغة)، إضافة إلى ذلك، كان يقول إنه يحتاج إلى دراسة العلوم الحديثة، ونحتاج إلى دراسة الحقوق والقانون، ونحن نرى الأمة الإسلامية كلها عندها هذا الضعف بمعرفة القوانين والحقوق، ولا تعرف الرعية حقوقها، لذلك ترى الحاكم في بعض الأحيان يتعدى على حقوق الرعية ويضرب الدستور عرض الحائط، وربما يقوم بالغائه وتعيش الأمة في دستور مؤقت أو لا دستور والأمة ساكنة!

هذه النتيجة هي عدم الوعي بالقانون والثقافة القانونية والحقوقية، لذلك كان الإمام الراحل (رحمه الله) يصصر على هذه المسألة الخطيرة، فلو كانت الأمة تمتلك الوعي في الثقافة الحقوقية والقانونية لما وصلت إلى هذه الحالة.

هذا الغياب للعلوم الحديثة لم يقتصر على هذا الجانب، بل هناك أمور وعلوم أخرى تشمل قضايا التربية وقضايا المرأة وقضايا الطفل وعلم النفس والسياسة والاقتصاد، كلها مغيبة، عمل الإمام الراحل (رحمه الله) على التطرق إليها في كتبه، وأتوقع في المستقبل أن تلاقي صدى كبيراً لأن الأمة تحتاج إلى هكذا علوم للنهوض بواقعها.

صحيح أن لدينا علماء في الفقه وفي الأصول وفي الفلسفة، لكننا في المجالات الأخرى مغيبون، لذلك بعض الأمور السياسية حتى رجال الحوزة ينخدعون بها وربما هم يذهبون مع الدولة ومع النظام الحاكم ولا يعلمون ماذا هناك، إنهم يذهبون مع التيار الجارف للسياسة، وهذا الخطأ الكبير نتيجة لنقص الوعي الجيد في المجالات الأخرى وهي مطلوبة دائماً، ويؤكد عليها المرجع

«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللواسب»⁽¹⁾ وربما يركن إلى الظالم ويتعاون معه وهو يعلم أو لا يعلم.

الكثيرون تعاونوا مع الظالم، نتيجة عدم توفر الوعي! ولو كان هناك وعي ثري ومطلوب وجيد لما وصلت الحالة إلى ما وصلت إليه، ويمكن تلمس ذلك في حالة العراق، وما يمر به الآن رغم توفر الإمكانيات الهائلة على إعادة إعمارهِ وبنائه، إلا أن السياسة أهملوا بناء الإنسان الفرد، وبناء شخصية المرأة والطفل والشباب والعائلة والجامعة.

الإمام الراحل (رحمه الله) في تأكيده على هذه المجالات العلمية والمناهج الحديثة، وعدم ركونه إلى الظالمين جعلته متميزاً عن الآخرين في طروحاته، وهو ما قاد إلى أن يقف الكثيرون بوجهه ويرفضون الانصات له.

أهم الآراء والأفكار

* فضيلة الشيخ ما هي أهم آرائه وأفكاره؟

الإجابة على هذا السؤال متشعبة وطويلة، لكن يمكنني الحديث عن أهم ما تميز به الإمام الراحل (رحمه الله)، وهو دعوته إلى استيعاب الجميع بغض النظر عن اختلافاتهم، ولاستيعاب الطاقات الذي كان يدعو إليه من أجل استغلاله في بناء الأمة، ورفعها من الحضيض الذي هي فيه.

الإنسان الذي يقود عملية التغيير في هذه الأمة، ويريد أن يحق الحق في جوانبها المختلفة، عليه أن يعي هذه الحقيقة، حقيقة استيعاب الجميع في برنامجه التغييرية، فلا يستبعد هذا أو ذلك، ولا يرفض هذا أو ذلك، كما تفعل الأنظمة

ص: 245

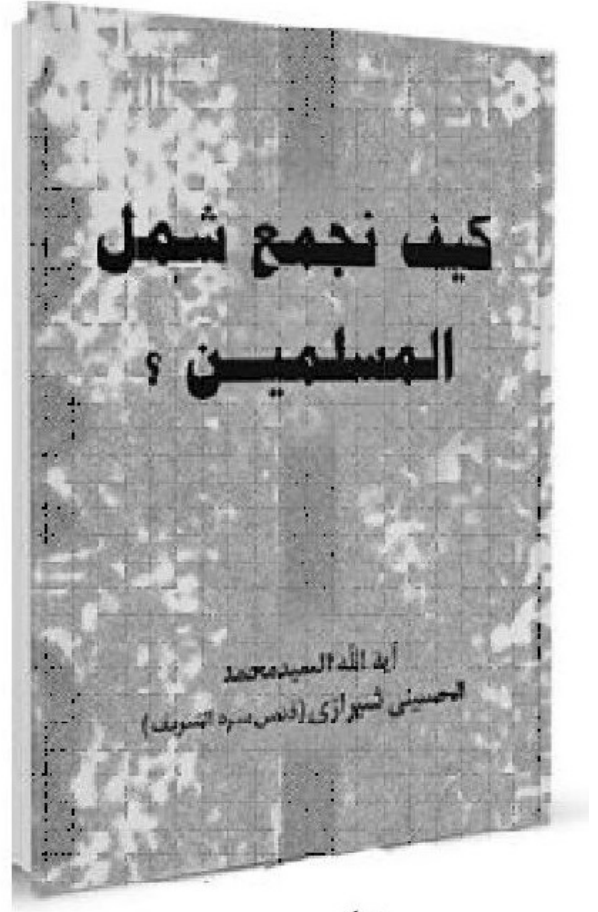
1- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) / الكافي: ج 1 ص 27.

السياسية في بلداننا، في استبعادها للجميع المختلفين معها، وتقريب المتزلفين إليها، فهم يستبعدون الشباب ويستبعدون النساء، والمثقفين وعلماء الدين والصحفيين والإعلاميين، وكل من يعارضهم معارضة سلمية، مما ولد الكثير من المشاكل والسلبيات.

يجب على قادة التغيير، استيعاب الجميع لأن ذلك يولد المحبة والألفة بين أبناء الأمة، ووضع كل طاقة في مكانه والاستفادة منها في عملية التغيير والبناء.

من الأمور الأخرى التي أكد عليها الإمام الراحل (رحمه الله)، هي وحدة المسلمين وله كتاب اسمه (كيف نجمع شمل المسلمين؟)، أنا شخصياً طبعت منه ستة عشر ألف نسخة، وقد صودر هذا الكتاب وألقي القبض على صاحب المطبعة التي طبعته وحكم عليه بالسجن.

الصورة



ومن المسائل التي كان يؤكد عليها سماحة السيد (رحمه الله) هي قوله دائماً: اجعلوا أمير المؤمنين (عليه السلام) قدوة لكم، واجعلوا حكومته نموذجاً لما تطمحون إليه. فنحن ليس لدينا نموذج باهر للحكم غير حكومة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحكومة العلوية، فرغم قصر عمرها، استطاع أن يدير دولة بحجم خمسين دولة في أنظمة هذا اليوم، استطاع إدارتها بصورة نموذجية ربما تكشف عنها الكثير من عهوده وموثيقه التي كتبها لولاته، مثل عهده إلى مالك الأشر.

الحكومات الإسلامية

* الكثير من الحكومات أو الدول تطلق على نفسها (حكومات أو دول إسلامية)! ماهي نظرة الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الحكومات الإسلامية؟

* وكيف كان يتمنى أن تكون؟

* وهل كانت هناك حكومات إسلامية بالمعنى الذي يريده الإمام الراحل (رحمه الله)؟

- لا يوجد شيء اسمه حكومات إسلامية بالمعنى الكامل لتلك الكلمة، لأن هناك شروط ومواصفات عديدة للدولة الإسلامية، قد توجد هناك حكومات تحتوي على القدر الضئيل من ذلك المحتوى الإسلامي، مثل بعض الحريات أو الضوابط أو القوانين، وحكومات غيرها لا تحتوي حتى على تلك النسب الضئيلة من المحتوى الإسلامي للحكومة.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد على مسائل عديدة فيما يتعلق بهذه الحكومات، ولو من حيث التطبيق الشكلي لمظاهر الإسلام وقوانينه.

في كتابه (بقايا حضارة الإسلام) يشير الإمام الراحل (رحمه الله) إلى بعض الأمور الإيجابية التي كانت موجودة في العهد الملكي في العراق، أمثال الحريات النسبية، وقلة الاعتقالات، ووجود الأحزاب المتعددة، إضافة إلى سهولة الإقامة بالنسبة إلى القادمين من خارج العراق.

الصورة



في الحكومات الجمهورية اللاحقة على الملكية بعد العام 1958 اختفت تلك المظاهر والإيجابيات وحلت بدلاً عنها سلبيات ومشاكل، وكان (رضوان الله عليه) يسعى بكل جهوده وعبر كتبه أو محاضراته التي يلقيها بالمتقنين ومن يأتي لزيارته، ويشجعهم على التحدث إلى الحكومة والطلب منها لتطبيق ما يمكن تطبيقه من قوانين إسلامية.

كان الإمام الراحل (رحمه الله)، يؤكد على تشكيل الأحزاب وتعددتها، لأن ذلك يمنح النظام السياسي صمام أمان تجاه الديكتاتورية التي يمكن لها أن تظهر لعدم

وجود الأحزاب المتنافسة، واقتصار ذلك النشاط على حزب واحد.

كمثل على ذلك وهذه المرة من إيران، حيث منعوا الأحزاب في فترات معينة، أتذكر أن الإمام الراحل (رحمه الله) قد بعث بأحد المقربين إليه، إلى الشيخ رفسنجاني لحثه على السماح بتأسيس الأحزاب، أو أن يقوم هو بتأسيس حزب يضم بين صفوفه جميع الشيعة المستبعدة من تشكيل الأحزاب في إيران.

وكان جواب رفسنجاني أنه مقتنع بهذه الفكرة إلا أن الظروف السياسية لا تسمح بتنفيذها.

لو تم تطبيق ما أكد عليه الإمام الراحل (رحمه الله) لما وصلنا إلى تلك الثورات والانفضاض التي حدثت في العالم العربي والتي تشد التغيير والمشاركة السياسية.

مع المناوئين

* الكثيرون حاربوا الإمام الراحل (رحمه الله)، وتعرض جراء ذلك لمحن ومصائب، لماذا تعرض لمثل ذلك؟

من بديهيات الحياة الاجتماعية أن الإنسان المنعزل والجالس في بيته، والذي لا يشترك بأي نشاط اجتماعي معين، لا يذكره الآخرون بخير أو سوء، لأنه لا يكون معروفاً لديهم، ولا أحد يشير إليه من قريب أو بعيد.

لكن مثل هذا الإنسان، لو نزل إلى الساحة الاجتماعية، وشارك الناس مشاكلهم وهمومهم، وكان له في كل موقف كلمة واضحة، وفي كل حادثة رأي صريح، ويقدم هذا الإنسان أطروحات وآراء ويقدم الحلول ويشير إلى الأخطاء، فمن المؤكد أن لا أحد يتقبل ذلك بسهولة، وخاصة الحكومات والأنظمة السياسية.

ص: 248

كان الإمام الراحل (رحمه الله) وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بالمشاكل الاقتصادية للناس وللمجتمع، كان الكثيرون يقصدون بيته المفتوح دائماً، ويتحدثون إليه عن أوضاعهم الاقتصادية المتدهورة ويعرضون عليه مشاكلهم، وكان (رحمه الله) يعرف سبب تلك الأوضاع والمشاكل، ويعرضها على الحكومات من خلال دروس الأخلاق التي كان يعقدها كل يوم أربعاء، أو من خلال كتبه وبياناته، ولكن تلك الحكومات لا يمكن أن ترضى بمثل هذه الطروحات، فهي تريد من يتستر على عيوبها ولا يكشفها للآخرين، لكنه كان يرفض ذلك، إنه يشخص الأسباب ويقدم الحلول.

ليس من مشكلة إلا ولها حل عند الإمام الراحل (رحمه الله)، وهي حلول عملية كان يبادر دائماً لتقديمها إلى الأفراد الذين يحيطون به، أو من ينتمون إلى فكره ومدرسته، أو يقلدون مرجعيته ويسيروا وفق طروحاته، والذين كانوا يعملون على تغيير واقع الأمة وانتشالها مما هي فيه.

ولم يكن أمام هؤلاء الأفراد غير تأسيس الهيئات والجمعيات التي تساعد في تقديم الحلول للكثير من المشاكل، مثل هيئات تزويج العزاب، التي قامت بتزويج الآلاف من الشباب في وقت تعجز فيه الدولة عن تزويج المنات أو حتى العشرات.

تلك الهيئات حاربتها الحكومات على اختلاف الأنظمة، لظنها أن ما يقوم به الإمام الراحل (رحمه الله) هو دعاية له ولمرجعيته، وأنها ستشكل نصراً له عليهم. لهذا كانوا يشنون الحرب عليه، بشتى الطرق والوسائل، وليس أقلها غلق تلك الهيئات والجمعيات الفاعلة.

محاربة الجهل

كان (رحمه الله) مهتماً بقضية الجهل وعدم الوعي الذي تعيشه الأمة، وكخطوة

عملية للقضاء على هذا الجهل ورفع مستوى وعي الأفراد، قام بفتح العديد من المكتبات العامة، وطبع المئات من العناوين الكتب ووزعها مجاناً، لكي يمنح الأمة خلاصها من الجهل عن طريق المعرفة، لكن من كان ضده قام بإغلاق تلك المكتبات وصادر كتبها، فهم لا يريدون انقاذ الأمة من جهلها، لأن تجهيلها يصب في مصلحتها ودوام بقائها.

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) على العكس من ذلك، إنه يريد أن يرفع عنها جهلها ويجعل منها أمة واعية عن طريق المعرفة. لهذا كانت الحكومات وبعض الأشخاص تحاربه.

من خلال تاريخ هذه الأسرة، والتي فيها الكثير من الرجال الذين حاربوا الإنكليز وأعلنوا الثورة عليهم، مثل قائد ثورة التنبك وقائد ثورة العشرين، أستطيع التأكيد أن ما تعرض له الإمام الراحل (رحمه الله) كان بسبب تلك المواقف التاريخية المشهودة لعائلته، والتي يعمل الإنكليز بشتى طرقهم وأساليبهم على محاربة قادتها، أو من يتوسمون فيه القدرة على التغيير.

وأستطيع التأكيد، إن من كان يتحرك ضد الإمام الراحل (رحمه الله) ومرجعته ليس عدواً داخلياً فقط بل عدو خارجي أيضاً! كيف تفسر أن أي دعاية سلبية تنطلق ضد الإمام الراحل تجدها تنتشر بسرعة رهيبية من شمال العراق إلى جنوبه، إن لم يكن خلفها أجهزة مخابرات تبث تلك الدعايات والسلبيات؟

كانت تلك الأجهزة والأنظمة السياسية الفاسدة تخشى من المرجعيات الواعية والمتكاملة والرشيده، ومرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) واحدة منها، فهي مرجعية متكاملة من جميع الأبعاد لم يغفل عن أي شيء، والدليل كتبه التي ألفها مخاطباً الرجل، وكتب متكلماً إلى المرأة، وتحدث في كتبه إلى الشباب، وإلى

الحوزة، والى المثقف، وإلى الفلاح، وإلى السياسيين، تحدث في تلك الكتب إلى الجميع، انظر إلى توجيهاته التي يريد من خلالها أن تنهض الأمة، مقابل الآخرين الذين يريدون بالأمة أن تسقط إلى الحضيض..

لذلك كان صراعه مع هؤلاء، صراع أفكار وإرادات، وليس صراع أشخاص فيما بينهم، صراع رجل مثقف يريد أن ينهض بالأمة ضد حكومات ظالمة، حكومات مستبدة، تتعاون معها ربما جهات خارجية وداخلية لطمس هذا الحضور للمرجع الراحل (رحمه الله)، ولقد عرض على الإمام الراحل (رحمه الله) من قبل تلك الجهات عرضاً هو أقرب إلى القول منهم، (لا نريد منك تأييداً، نريد منك سكوتاً فقط.. وسندع هذه الملايين التي تصل إليك شهرياً، وتلك السيارات والأماك والعقارات، والمحيطون بك من طلاب ومعاونين ومريدين، كلهم سمنحهم جوازات سفر، وربما جوازات دبلوماسية، كل تلك الأمور سوف نهيؤها لكم ولكن اسكتوا، اسكتوا عن الظلم، واسكتوا عن محاربة الجهل، دع الجهل متفشي بين أوساط الناس)!!

لكن الإمام الراحل (رحمه الله) حاشاه أن يقبل بتلك المغريات الزائلة، لم يرضخ لتلك المطالب والتهديدات، وبقي مصراً على مبادئه ونهجه.

لم يحارب مرجع في التاريخ كما حارب الإمام الشيرازي (رحمه الله) ومن جهات مختلفة، لماذا؟ هل لأنه كان يريد مالا؟ لا يريد ذلك، بل هو يعطي المال، ولكن هذا الرجل الواعي، هذا الرجل المتثور الذي يريد أن ينهض بالأمة، يريدون منه أن يكون خانعاً ولم يكن كذلك، لذلك تحمل ما تحمل (رضوان الله تعالى عليه).

مستوى التفكير

في خضم هذه الحرب وتلك الصراعات التي أحاطت بالمرجع الراحل (رحمه الله)،

أين كانت الجهات المعاصرة له، وماذا كان موقفها من تلك الحرب وتلك الصراعات؟

بالنسبة إلى هذا السؤال ربما فيه الكثير من الحساسيات، أتذكر أحد أبناء المراجع الكبار وقد زاره في مدينة قم المقدسة، وكان هذا الابن مطلعاً على أسرار والده، وهي أسرار كثيرة جداً، ولديه معلومات قيّمة وقصص كثيرة أيضاً، والإمام الراحل (رحمه الله) قد نقل بعض قصص ذلك المرجع إلى ابنه، وفي نهاية الحديث قال الإمام الراحل (رحمه الله) لابن المرجع: والدك انتقل إلى رحمة الله، والآن أنت حي ترزق، وقد اطلعت على أسرار والدك وقصصه ومواقفه، وفيها الكثير من المواقف التي تقيّد الحوزة وتقيّد رجال الفكر، فهي قصص تضح بالحيوية، لماذا لا تكتبها كي تستفيد الأمة منها ولو فقط مذكرات والدك بخط يدك أنت.

لم يملك الابن إلا أن يجيب الإمام الراحل (رحمه الله) بجواب سبب جرحاً عميقاً له (رحمه الله) ويمكنني أن أقول أنه جرح قلب الإمام الراحل جرحاً كبيراً جداً، كنت أنظر إلى وجهه وأعرف كيف تألم من هذا الجواب.

قال له: سيدنا لمن أكتب، والناس يأتون إلي ويقبلون يدي، ويعطونني أموالهم، فلمن أكتب بعد؟

وتلك حقيقة، أنظر أي فكر يحمله الإمام الراحل (رحمه الله)، لم يقل له إن هذا هو احساسه تجاه تراث والده الذي مات، وكيف يجب عليه أن يحافظ على تراث والده، وهي مسؤوليته بالدرجة الأساس، حتى لو لم يقل له أحد إن هذه مسؤوليتك تجاه تراث وفكر والدك والمتضمن قصصاً ربما تنتشل الأمة من المآسي..

ص: 252

مع الأسف الشديد هذا المستوى من التفكير موجود لدى الآخرين، وعلى مثل ذلك وسواها كثير من الامور.

الناس تتصور بعض الأمور الجزئية ولا تنظر إلى البعيد، والآن التداعيات والمحن التي تعيشها الأمة، والهجمات التي تأتي إليها وتتكالب عليها من كل جهة من الخارج، كيف نواجهها الآن دون استعداد أو رؤية بعيدة للأمر؟

عندما ظهرت الأقمار الصناعية وأجهزة الاستقبال الفضائي، كتب الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) كراساً حول ذلك (1)، وحول الظواهر الاجتماعية والأخلاقية التي ترافق مثل تلك التكنولوجيا والتي هي الآن أخذت تغزو أفكار شبابنا وشاباتنا، وتغزو العوائل في عقر دارها، كيف نواجهها؟ لا أحد فكر بذلك غير الإمام الراحل (رحمه الله)، والذي أوجب علينا تأسيس وإطلاق قنوات إسلامية تواجه هذا المد الفضائي وتعطي الفكر الرشيد، وخصوصاً فكر أهل البيت (عليهم السلام) وهو الفكر الناصع إلى هذه الأمة.

مع المراجع العظام

* كيف كان يتعامل الإمام الراحل (رحمه الله) مع مراجع التقليد في قم المقدسة؟

- الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) حتى أعداؤه يشهدون له بأنه لديه أخلاق عالية جداً، وكان دائماً هو الذي يبادر إلى زيارة المراجع، وهو الذي يعرض عليهم مساعدتهم إذا كانوا يحتاجون إلى شيء، وكان دائماً يريد علاقات قوية ووثاماً موصولاً بين المراجع كي لا تبقى بعض الحساسيات، وكان طبيعياً وجود اختلافات في التوجهات واختلافات في الفتيا، وهو لم يكن ينظر إلى تلك

ص: 253

الاختلافات نظرة سلبية، كان يريد دائماً وخصوصاً في ما يتعلق بالأمر السياسي والأمر الاجتماعية مواقف موحدة من قبل المراجع، كالموقف من الحرب العراقية - الإيرانية، وموقفاً موحداً من قضايا معينه كقضايا جنوب لبنان وقتها، وأفغانستان وباكستان.

هذا ما كان يريده الإمام الراحل (رحمه الله) من المراجع، والكل يشهد له بأنه كان هو صاحب المبادرة والخطوة الأولى.

كانت علاقاته جيدة مع كل المراجع إلا ما ندر، من بعض من كانوا يحملون ظناً سيئاً - والعياذ بالله - بالسيد الراحل (رحمه الله)، وحين كانوا يأتون إلى مجالس الإمام الراحل (رحمه الله) لا يقوم لهم أحد سوى سماحة السيد، وكان كثيراً ما يترك إليهم المكان ويجلسهم في قربه أو مكانه، وكثيراً ما تكررت منه هذه المعاملة الرفيعة، وكانوا يرون والحال هذه، إن أخلاق الإمام الراحل (رحمه الله) هي أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، لهذا تراجعوا عن مواقفهم وسوء ظنونهم وغيروا نظرتهم تجاه السيد الراحل (رحمه الله)، وهذا حدث مع الكثير من الشخصيات والمجتهدين، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على رفعة وقوة أخلاقه ومثله التي كانت يتمسك بها.

* إذا عكسنا السؤال وطرحناه بالشكل التالي: كيف كان ينظر مراجع التقليد في قم المقدسة إلى مرجعية السيد الشيرازي (رحمه الله)؟

- نظرة الآخرين للسيد الراحل (رحمه الله) نظرة إيجابية، والدليل على ذلك ما حدث حين اعتقل أبنائه ومقلديه وبعض الكوادر المحيطة به وأفراد من مكتبه في قضايا سياسية مدبرة، حين قمنا بالتدخل والاتصال مع بعض الجهات النافذة

بالدولة، وأحدهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(1)، أشاد بأخلاق المرجع الراحل (رحمه الله) وقال كل العلماء وكل المراجع الموجودين في قم المقدسة لم يتكلموا بسوء أو يكتبوا شيئاً سلبياً عن السيد الراحل (رحمه الله) أو ينقلون ذلك إلى الدولة، وإنما هناك جهات معروفة الخط والتوجه وربما محسوبة على الجانب العراقي، هؤلاء الذين هم من كتبوا تقارير أمنية مع الأسف الشديد، ونقلوا أحداثاً غير واقعية إلى الحكومة الإيرانية وإلى رجال الدولة، لذلك أوجدوا تلك الصورة المشوشة، أو توجه الدولة أو نظرتها السلبية إلى السيد المرجع.

الأحزاب المناوئة

* من هي تلك الجهات التي كانت تعمل ضد الإمام الشيرازي (رحمه الله) مع الحكومة؟ وأين مراجع التقليد من مثل هذه الأمور؟

- لا أخفي عليكم ربما هذا البعض من الأشخاص، وهذه الجهات كانت معروفة ومحسوبة على حزب ...

* محسوبة على الحزب أو هي من ضمن قياداته وكوادره؟

- من ضمن الحزب وقياداته، والأسماء معروفة، حتى إن المسؤول الأمني الكبير في إيران قد ذكر أسمائهم واحداً واحداً مع التقارير التي يكتبونها ضد الإمام الراحل (رحمه الله)، ولو أردنا الحصول على هذه التقارير لاستطعنا الحصول عليها وجلبها ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) ما كان يفكر بذلك.

* أين مراجع التقليد من هذا؟ وما هو موقفهم من الحزب المذكور والذي هو حزب سياسي يمس مرجعية تعمل لإصلاح المجتمع ولتنظيمه، هل الحزب كان المتسلط على التوجهات السياسية أم كان ذريعه لمحاربة الإمام الراحل (رحمه الله)؟

ص: 255

1- من مراجع التقليد في قم المقدسة.

- ذكرت لكم إن أغلب المراجع إذا لم يكن جميعهم كانت علاقاتهم إيجابية جداً مع الإمام الراحل (رحمه الله) ، لكنهم لم يعملوا على تغيير هذه الصورة المشوشة.

نحن عند النظر إلى المحيطين بقيادة الدولة والحلقة الخاصة المقربة منهم، والمحيطة بالمسؤولين هؤلاء كانوا يمنعون أي أمور إيجابية عن الإمام الراحل (رحمه الله) تصل إلى الزعماء أو الشخصيات السياسية، ولذلك ينقلون البهتان والكذب، ويقومون بتحويل الايجابيات إلى سلبيات.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يشخص المشاكل ويعطي الحلول، لكن المحيطين بالقيادات السياسية يقومون بنقل ذلك بصورة محرفة بعيدة عن موضوعها، وكان لهؤلاء المدلسين المحيطين بتلك الشخصيات تأثير كبير، واذكر مثلاً على ذلك.

كان لي موقف مع (التيجاني السماوي) وهو كاتب تونسي معروف، ركب في سفينة أهل البيت (عليهم السلام) قال لي: قبل إصدار قرار منع التطبير والشعائر الحسينية وتقبيل العتبات، قبل ذلك بأسبوع أو عدة أيام اتصل بي أحد قيادات الدولة وأنا في باريس، اتصل بي قائلاً: سوف يقوم القائد بإصدار بيان حول الشعائر الدينية وتهذيبها فعليك أنت أن تصدر بيانات التأييد وتحرك المثقفين الموجودين في أوروبا وباريس ليرسلوا بيانات تأييد مماثلة للقائد حتى لا يكون وحده، نريد أن نظهر للقائد على أن قيادات الأمة الإسلامية في الخارج كلها معه..

هذا المثل يعطيك دليلاً على أنه توجد هناك فئة تحيط بتلك القيادات يطرقون على رأسه بهذه الأفكار إلى أن اقتنع، اقتنع على أن الشعائر كلها دخيلة على الإسلام جاءت بها فئات محسوبة على المجوس أو الهنود أو غيرها، لذلك يجب أن تهذب هذه الشعائر لذلك أصدر بيانه، وكانت برقيات التأييد مهيئة من

الخارج ومن الداخل، وإذا عدت إلى مواقف المراجع العراقيين كلهم رفضوا ذلك، وقد استشار القائد بنفسه الكثير من المراجع، واحد هؤلاء المراجع الآن موجود حي يرزق، يقول استشارني وقلت له لا تتدخل في هذا الموضوع واترك قضايا الإمام الحسين (عليه السلام) لأنها أكبر منك، وقد حاول الكثيرون قبلك ولم يستطيعوا أن يغيروا، وهذه الشعائر، الناس مقتنعة بها أشد الاقتناع، وهي شعائر مستحبة يقوم بها الناس، يقول هذا المرجع: لم يسمع كلامنا وإنما سمع هذه المجموعة التي تحيط به مع الأسف الشديد.

المرجع والأمة

* هل المرجع يسيّر الأمة أم الأمة تسيّر المرجع؟

- هنا في مثل هذه المواقف هذه ليست أمة بل جماعة.

فالمرجع يسيّر الأمة لما فيه الأصلاح لها، بينما تجد جماعة يحاولون أن يسيروا المرجع لما فيه مصالحهم، فأبي مرجعية هي؟!!

مثل هذه المسائل ربما تكون طبيعية في عالم السياسة وهي الآن موجودة في الكثير من الأماكن، لكن توجد هناك حدود وأمور وقوانين يلتزم بها المرجع.

لكن من يحيطون به يصورون له أن هذه الأمور هي من الدين وإن خالفت تعاليمه، لذلك البعض من المراجع يقتنع بها ويتصور أنه قد اتخذ موقفاً صحيحاً وصائباً.

مثل هذه التدخلات من قبل بعض المحيطين والمتزلفين والحواشي في الأمور السياسية أو الدينية، هي إحدى العيوب الكبيرة، وهم يمتلكون تأثيراً قوياً، وكذلك الأبناء لهم تأثير قوي في إصدار الفتيا وإصدار الأحكام، طبعاً في بعضهم، وهذه أمور معروفة وليست غائبة عن الناس وكتبت فيها مذكرات

* سؤال أخير حول هذه النقطة، هذه الحواشي إن لم تجد هوى في نفس هذا الشخص من هذا الجانب هل كانت تعمل عليه؟

- إنها ليست مسألة أهواء، بل إن تلك الحواشي تنتمي إلى مرجعية فكرية لقيطة ممسوخة، تجمع أفكاراً مختلفة، وتتصور على أن هذا هو الإسلام الواقعي، فيأخذ من هذا ومن ذلك، وفي المحصلة تلتقي أفكار تلك الحواشي مع أفكار من يحيطون بهم.

مع المنبر الحسيني

* قدم الإمام الراحل (رحمه الله) الكثير للمنبر الحسيني، وكان يؤكد على الاهتمام به وتطويره. كيف كان يريد أن يكون عليه المنبر الحسيني وكيف يمكن تطويره وفقاً لتلك الرؤية الدؤوبة للإمام الراحل (رحمه الله)؟

- امتلك الإمام الراحل (رحمه الله) نظرة شاملة للمنبر الحسيني، وللشعائر الحسينية بشكل أوسع.

فقد كتب في ذلك وتكلم كثيراً حول الموضوع، وله الكثير من المحاضرات والتوصيات، وكان يرى بأن المنبر تحديداً، له خصوصية تميز الشيعة عن غيرهم من المذاهب الأخرى، ومن خلال هذا المنبر استطاع الشيعة أن يحصنوا أفراد الأمة الشيعية من الهجمات الفكرية الواردة إليهم من الأفكار المنحرفة تحصيناً ذاتياً، ثم التحرك على الآخرين واقناعهم بفكرهم الناصع، وإدخالهم للتشيع ونشرهم لهذا التشيع في كل مكان، وخصوصاً فكر وعدالة وسماحة أهل البيت (عليهم السلام)، كل هذا من خلال المنبر.

والحقيقة فإن من ليس له (الحسين) ليس عنده شيء، والذي عنده (الحسين) عنده كل شيء.

من خلال (الحسين) أنا أدخل إلى المجتمع، ومن خلال (الحسين) أصلح ما فسد من أموره، وأتصدى لما سيدخل على المجتمع من مفسد، ومن خلال (الحسين) أواجه جميع الهجمات، ومن خلال (الحسين) أدخل الآخرين إلى الإسلام وإلى التشيع، ومن خلال (الحسين) أنشر راية الحق وراية أهل البيت (عليهم السلام) ومذهبهم في كل بقعة ومعصرة.

لذلك كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد على أن يكون للخطيب علم واسع، وله دراية ومعرفة تامة في أساليب الخطابة والإلقاء، ويعرف كيف يؤثر على الآخرين ويشد انتباههم لهذه الأمور.

وكان (رضوان الله تعالى عليه) إضافة إلى ذلك يؤكد على الوسيلة الإعلامية المهمة التي تعمل على نشر كل هذا في السابق وهو المنبر، في الحسينيات والمساجد، وكان الناس يحضرون مائة، مائتين، وألفاً والفين، وربما عشرة الآف، زادوا أو قلوا عن ذلك، ولكن الآن في العصر الحاضر وهذه الطفرة العظيمة في وسائل الاتصالات والإعلام، كان يؤكد الإمام الراحل (رحمه الله) على فتح قنوات فضائية إسلامية للمنبر الحسيني كما كان يؤكد كثيراً على أخيه المرجع سماحة السيد صادق الشيرازي (دام ظله) على شراء قمر صناعي يكون خاصاً بالشيعة كي يستطيعوا أن يشبوا جدارتهم للآخرين ولا يتركوا أحداً يتحكم بهم، كما يحصل الآن حيث تتحكم الأقمار الصناعية الأخرى بالقنوات الشيعية، تحذفها أو توقف وتمنع بثها، لكن لو كان هناك قمر خاص بهم لما حدث ذلك! لأن هذا أيضاً على جانب عظيم من الأهمية، حيث يتم نقل صوت الخطيب إلى الملايين من الناس عوضاً عن مئتين أو ألف.

بفضل منبر الحسين (عليه السلام)، وبفضل فكر الحسين (عليه السلام)، انتشر التشيع إلى

العالم كله، ونحن ليس لدينا مناسبة أخرى أفضل من تلك المناسبة وهي شهر محرم الحرام، ربما عندنا شهر رمضان الكريم لكن استغلاله به ضعف وتواجد قليل على الساحة الفضائية، لكن حرارة (الحسين)، منبر (الحسين) هي القادرة على نشر التشيع ونشر الإسلام في كل البقاع.

ترى الآن ما يحدث، بعد هذه الطفرة في وسائل الاتصال، كيف أخذ شيعة الحسين (عليه السلام) ينشرون مأساته بفضل المنبر، وبفضل الخطيب فالخطيب له خصائص يجب أن يتمتع بها، والحسينيات كذلك لها مميزات، وقد أشار الإمام الراحل (رحمه الله) إليها في كراس إرشادات إلى الخطباء وإلى الحسينيات، كيف تعمل وكيف تتحرك، وكيف على أصحاب الحسينيات أن يكونوا على ثقافته ودراية يجعلوا من خلالها الفرد الذي يدخل إلى الحسينية لا يخرج منها إلا وهو مقتنع بفكر أهل البيت (عليهم السلام).

لذلك فقد امتلك الإمام الراحل (رحمه الله) رؤية شاملة وواسعة للمنبر الحسيني وما يتعلق به، في محاضراته وكتبه وتوجيهاته.

مع الشعائر الحسينية

* هل كانت هناك شعائر معينة اختص بها الإمام الراحل (رحمه الله)؟

- كل الشعائر الحسينية، أو الشعائر الدينية، أو الشعائر الولائية، سواء كانت وفيات أو مواليد، كان يقوم بها الإمام الشيرازي (رحمه الله).

لم يترك أي مناسبة تذهب سدى وإنما يستغلها أفضل استغلال، فكانت تراه في الوفيات يعقد المجالس، وفي المواليد يحضر، وكان في مناسبات المواليد يعمم الكثير من الطلبة، ويلقي عليهم خطابات وتوجيهات، ولا تجد واحدة من هذه المناسبات تخلوا من التوجيه والارشاد، فهو (رحمه الله) كان يستغل جميع المناسبات

ص: 260

الدينية وخصوصاً الشعائر الحسينية أفضل استغلال، وكان من المعروف عنه (رضوان الله عليه) إنه يلبس السواد من أول ليلة من محرم الحرام إلى الثامن من ربيع الأول ولا يخلعه إلا في نهاية اليوم الثامن من ربيع الأول.

موانع تأسيس الفضائيات

* عرف عن الإمام الراحل (رحمه الله) أنه لم يكن صاحب قول فقط، بل صاحب قول وفعل، وهذا ما عهدناه وما رأيناه طيلة حياته. بتصوركم ماهي العوائق التي وقفت بوجه الإمام الراحل (رحمه الله) ومنعته من إنشاء قنوات فضائية رغم تأكيده على ذلك ودعوته إليها؟

- في الحقيقة ورغم وجود الفكرة في إنشاء فضائية شيعية، ووجود الكوادر والرجال، ووجود الأموال بمقدار معين، ورغم وجود بعض الموانع المادية إلا أنه من الممكن تجاوزها والتغلب عليها. ولا اعتقد في هذا المجال أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يتوقف عند قلة الأموال في التأسيس لمثل هذا المشروع، كما تعذر الكثيرون الذين تحرك عليهم الإمام الراحل (رحمه الله) ووجههم وشحنهم، وكان تبريرهم لعدم القدرة على إنجاز مثل هذا المشروع، إن امكانياتهم المادية ليست كبيرة.

لكن الحقيقة كان هناك شيء أكبر من ذلك، كانت هناك معارضة، ما يمكن تسميته بالمنع من قبل أجهزة الدولة في إيران، تحرك الإمام الراحل (رحمه الله) على مختلف المراجع والعلماء والسادة والأساتذة الكبار المعروفين، وطرح عليهم أن يكون لكل استاذ ولكل مرجع قناة فضائية، تنقل دروسه ومحاضراته وكذلك الخطباء الذي يأتون إلى بيت هذا المرجع أو العالم، وتستغل هذه القناة دروس المرجع ودروس العالم، وبهذا تكون عندنا مئة قناة، أو ألف قناة.

اقتنع البعض بهذه الفكرة، ولكن القيود التي فرضتها هذه الدولة منعت

ذلك ولم تسمح حتى بتأسيس إذاعة، وهي أبسط شيء.

لاستطيع تحديد المسألة في قطب معين، ويمكن أن تكون هناك ربما توجهات دولية تمنع هذا الصوت الرشيد، وتمنع هذا الفكر الثاقب أن ينطلق للناس، وربما وجدت جهات قد تكون حاقده على المرجعية، وخصوصاً المرجعية الشيرازية، وربما عندهم أحقاد بدر وحنين، الأحقاد التي كانت للميرزا الكبير صاحب ثورة التبغ و محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) صاحب ثورة العشرين، ومواقف تلك الأسرة من الاستعمار البريطاني في إيران والعراق..

خلفيات العداوات

* فضيله الشيخ تحدثت عن المنع الموجه، وهو وجدناه في كل شيء، في الكتاب وفي الإذاعة وفي القناة الفضائية، هل نستكشف من ذلك أن هناك خلفيات تاريخية لهذا العدا الموجه ضد الأسرة الشيرازية ومرجعياتها؟

- المرجعية الشيرازية تتميز ليس فقط في الكلام وإنما بالفعل والعمل، وهذه الدول الدكتاتورية والاستعمار تعلم ذلك عن هذه المرجعية، لذلك فهم يشعرون بالخوف منها.

أنا لا أعمل في بلد مسيحي أو بلد وهابي أو بلد صابئي، أنا أعمل على بلد من يقوده محسوب على مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

كان لدى الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) قصة لطيفة كثيراً ما كان يرويها ويؤكد عليها:

في إحدى المقاطعات كان هناك رجل معروف بارتباطه بالانكليز، وهو في المقاطعة التي كان يعيش فيها، جعل الناس دائماً في جهل كي يتحكم بهم، وانت داء ما تستطيع التحكم بالانسان الجاهل، وتسيّره وتقوده بكل اتجاه. ابن هذا

الرجل الكبير أو شيخ العشيرة ذهب إلى أوروبا وتعلم العلوم ورجع إلى هذه المقاطعة، وأراد أن يبني مدارس وكليات ومؤسسات يطور بها أوضاع مقاطعته، لكن أبيه قال له: نحن نعيش على جهل هؤلاء، ونحن نتمكن من أن نقودهم لأنهم جهلاء، وتتمتع بهذه الثروة وهذه القدرة لأنهم جهلاء، فأنت لو قمت بتعليمهم وتثقيفهم، فإنهم سوف يتغلبون علينا ويطردونا وينبذونا.

وهكذا يراد للشعوب أن تبقى جاهلة، لذلك كان الإمام يؤكد على طباعة الكتب وتوزيعها، ويعطي المال اللازم لأجل تحقيق ذلك، وحتى في محرم حيث تقوم بعض الهيئات بتوزيع الطعام كان (رحمه الله) يشجعها على ذلك، ويشجعها أيضاً على توزيع الطعام الفكري..

لماذا كان يفعل ذلك؟

لتوعية الناس وتشجيعهم على محاربة الجهل، لذلك كانت السلطات المستبدة تمنع الإمام الراحل (رحمه الله) من القيام بهذا العمل وتحاول محاصرته، لأن مثل هذا الوعي فيه ضرر لهم، لأنهم يريدون الشعب أن يبقى على جهله، حتى يتمكنوا من التحكم به، فالعميل يبقى مسيطراً والاستعمار يبقى على هذه الحالة، لهذا ترى الدكتاتورية والاستبداد تستمر بيننا.

* هل إن مثل هذا العداء لهذه الأسرة يرتبط بثورة التنبك في إيران وثورة العشرين في العراق؟

- يقال إن الاستعمار البريطاني لا ينسى أعداؤه، وهم لا ينسون ما حدث معهم سواء في ثورة التنبك أو في ثورة العشرين. ثورة العشرين مهمة جداً وكان لها دور في تاريخ هذه العائلة الشريفة، لذلك يحقد البريطانيون على هذه العائلة، ويخرجون هذا الحقد على ذرايهم، لذلك يصبّ البلاء صباً على العائلة

الشيرازية لأنها قامت بهذه الثورة.

ودائماً ما كانت هذه العائلة المباركة تريد النهوض بالأمة الإسلامية، ولو عدت بالذاكرة إلى السنوات الخمسين الأخيرة، سواء ما تعلق بحياة الإمام الراحل (رحمه الله) أو ما كان يدور بقلبه لرأيت كم خدم التشيع، وكم كتاب نشر له حول تلك النهضة، وحول التحرك على الشباب، والتحرك على الأطفال، والتحرك على النساء، وفي كل المجالات.

ومع احترامي للعلماء الآخرين، فإن مثل هذه النظرة الشمولية غير موجوده عند هؤلاء الآخرين، وربما هي موجودة عند البعض منهم لكن بنسب ضعيفه جداً، ولكن هذه العائلة تحمل الكثير من المزايا والخصائص العظيمة، لذلك لا يراد لها أن تتحرك ولهذا يأتيها القمع من كل مكان. وكذلك الإقصاء والتهميش ضد رموزها..

تصور كمثال على حجم هذا الإقصاء والتهميش، أن دولة من الدول تقيم كل سنة وربما كل شهر مؤتمراً لأحد فطاحل علماء الشيعة بالقرن الحالي أو القرن الماضي، لا يوجد عالم لم يقيموا له مثل هذا المؤتمر، لكن سلطان المؤلفين المرجع الراحل (رحمه الله) ما زال البعض يحاربه حتى بعد مماته. ولا يريدون التذكير أو الاحتفاء به وبمنجزه، وكذا الحال مع صاحب ثورة العشرين الميرزا محمد تقي الشيرازي (رضوان الله عليه) لماذا لم يعقد له مؤتمر يحتفل به، وصاحب ثورة التتباك أو التبغ لماذا لم يعقد له مؤتمر وهو الذي أنقذ إيران من الاستعمار ومن اتفاقيات مهينة.

منذ أكثر من ثلاثين عاماً بعد انتصار الثورة في إيران، لم يعقد مثل هذا المؤتمر، لأن ذلك يتعلق بعائلة الشيرازي وجهودها، وهو يذكر بسلطان المؤلفين، ويذكر بقيادة الثورات من علماء تلك العائلة.

ص: 264

انظر إلى حجم هذا الحقد الذي يمتد حتى إلى الأموات، وكان الحكومات الدكتاتورية أو الاستعمار البريطاني وغيره يقولون: نحن نحاربك بغضاً منا لأجدادك سواء.

نحن لا نقول إن تلك المرجعيات بريطانية، ولكن الخط البريطاني موجود سواء في الحكومات أو في أوساط المثقفين أو في أوساط الكتاب وغيرهم، فالاستعمار البريطاني نافذ ويعطي تعليماته.

* هل يمكن أن يكون الحضور البريطاني نافذاً حتى في بعض المرجعيات؟

- لا استبعد مثل هذا الشيء، وخاصة بعد نشر كتاب معروف ومطبوع في اللغة الفارسية يتحدث عن العلاقات المتبادلة بين البعض المحسوب على رجال الدين والسفارة البريطانية في طهران، وقد ضم الكثير من الوثائق والصور.

يوجد ضعفاء النفوس ويوجد رجال دين بلباس رجال الدين دخلوا إلى هذه الحوزة المباركة وحركوا الأشياء وسيروها باتجاهات مختلفة ترضي الاستعمار.

اللاعنف بلا حدود

* ورغم تلك الظروف، ورغم كل تلك المعاناة والعذاب الكائن ضد مرجعية الإمام الراحل، نجده يطرح (نظرية اللاعنف) هل لك أن تفتح لنا شيئاً من النوافذ على هذه النظرية؟

- البحث في (نظرية اللاعنف) يستغرق الكثير، لكن هناك ما يمكن استذكره على الصعيد العملي، كان الإمام الراحل (رحمه الله) كثيراً ما يؤكد على مطلب اللاعنف من خلال قوله الذي يردده دائماً: (أنا ادعو إلى اللاعنف في كل شيء).

في إحدى المرات سألته: ألا نحتاج في بعض المرات إلى نوع من القسوة؟

أجابني (رحمه الله) قائلاً: إذا سمحنا بقليل من القسوة فإنها تتوسع، لذلك أنا أمانع العنف في جميع أشكاله.

ربما كنا نلتزم بالقليل منه، لكننا الآن ندعو إلى اللاعنّف في كل شيء حتى نستطيع أن نحصل على كل شيء، فإذا قلنا نسمح ببعض العنف ولا نسمح به في بعض الأوقات، فإن هذا البعض القليل سوف يتغلب على اللاعنّف ويتوسع، لذلك يقول (رحمه الله) أنا أؤكد على اللاعنّف مطلقاً.

كان حقيقة يدعو إلى اللاعنّف في جميع الموارد، وكان لديه إيمان كامل به، وقد راجت في ذلك الوقت الكثير من الكتب، حتى إن بعضها كانت تصدر في الغرب، وكان بعض الأخوة يقومون بترجمتها سريعاً إلى اللغة العربية وبيعوها إليه (رحمه الله) ويطلع عليها ويقرأها.

كان الكثيرون في أنحاء العالم يؤيدون مثل هذا الطرح، وكان يصر على الدعوة إليها، ولكن مع الأسف الشديد فإن العنف المتفشي في عالمنا، من العائلة إلى قمة السلطة، لا تستطيع أن تعالجه في يوم وليلة، إن هذا يحتاج إلى سنوات طويلة.

خذ مثلاً الثورة الفرنسية والحرية النسبية التي نادى بها، لم تتحقق في فرنسا بسنوات قليلة، رغم ما سبقها من عشرات الكتب التي أبدعها أصحابها، لذلك نحن نحتاج إلى الكثير من الوقت لتطبيق هذه النظرية حيث عمل بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمل بها أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان أهل البيت (عليهم السلام) نموذجاً رائعاً لتطبيق هذه النظرية في حياتهم رغم كل ما أحاط بهم.

مصادرة كتب

* هنالك كتاب ألفه الإمام الراحل (رحمه الله) يتحدث عن حكومة الرسول

ص: 266

الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وقد تمت مصادرتة بعد أن طبعت منه عشرة آلاف نسخة، ما هي المضامين التي حملها بين دفتيه ولماذا صودر؟

- حسب معلوماتي الدقيقة فإن هذا الكتاب قد طبع أكثر من عشر مرات، ولكن بدون إجازة لطبعه، تكفل بطباعته على مرّات متفاوتة عدد من الأصدقاء، وتم توزيعه يوم عشرين صفر في إحدى السنوات.

الكتاب يقدم صوراً وحوادث معينة لحكومة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكومة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان الإمام الراحل يريد أن يقول عبر تلك الصور والحوادث، إن الذي نحن فيه لا يطابق حكومة رسول الله وأمير المؤمنين (عليهما أفضل الصلاة والسلام) وهذه حقيقة واضحة، الحكومات ترفع الشعارات وتدعي بالافتداء بتلك التجارب، لكنه مجرد إدعاء لا تجد له تطبيقاً عملياً، لذلك كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد في هذا الكتاب وعبر إيراده للكثير من القصص والوقائع، بعد هذه الادعاءات عن الحقيقة.

لقد كانوا يعيدون كل البعد عن رسول الله وعن أمير المؤمنين علي (عليهما أفضل الصلاة والسلام) لذلك ترى أن السلطات أحسّت بالخوف عند نشر الكتاب وإطلاع الناس على تلك القصص والوقائع، وهي تقارن بينها وبين الدكتاتورية والاستبداد والتسلط وفرض الضرائب الباهظة، والسجون والظلم.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يريد من خلال هذا الكتاب أن يعيد الوعي بالتجربة النبوية في الحكم، والتذكير بالتجربة العلوية أيضاً، وهو مما لا يرضي تلك السلطات، حيث قامت باعتقال صاحب المطبعة، وصودرت نسخ الكتاب التي كانت موجودة فيها وأحرقت، حتى مصمم الغلاف تم اعتقاله.

لم يقتصر الأمر على هذا الكتاب وحده، فهناك كتاب آخر هو (كيف

نجمع شمل المسلمين) كتاب لطيف جداً وكتاب فيه بساطة في وضع النقاط على الحروف وتشخيص العيوب وكذلك إعطاء العلاج اللازم لها، وهو كتاب مختصر من القطع الصغير، وأتذكر أننا طبعنا منه بحدود خمسة عشر ألف نسخة، ولدى أخذي مائة نسخة منه من المطبعة، جاء رجال الأمن وصادروا الكتاب واعتقلوا صاحب المطبعة وصادروا جميع نسخ الكتاب الموجودة فيها.

وكان السبب في ذلك، أن الإمام الراحل (رحمه الله) قد أورد في كتابه هذا عبارة يقول فيها إن التفرد يؤدي إلى الاستبداد، حتى لو كان ذلك المتفرد مرجعاً دينياً فإنه سوف يستبد برأيه، لكن لو كان الحكم شوروياً لا يحدث مثل هذا الشيء، وهم قد اتهموا الإمام الراحل بأنه يقصد فلان وفلان في هذه العبارة.

المغريات

* هل من مغريات قدمت إلى الإمام الراحل (رحمه الله) في تلك المرحلة؟

- مغريات عديدة جداً قدمت إليه، فقد حاولوا إغراؤه بالمال الكثير، وعرضوا عليه ست سيارات مرسيديس، مع تعهدات بجعله أكثر المراجع عطاءً للمنح المالية للطلبة، وأيضاً جوازات دبلوماسية لك ولأولادك وإلى المحيطين بك والمتعلقين بك حتى يسافروا بحريتهم، نعطيك كل هذا وأكثر ولا نريد منك غير المبايعة والسكوت.

رغم تلك المغريات إلا أن الإمام الراحل (رحمه الله) رفض ذلك، فهو لا يريد إلا أن يكون حراً، لا ينجني أو يخضع لأحد مهما كان مركزه أو ما يتمتع من سلطة ونفوذ.

والحال هذه فقد بدأت الحرب ضده..

ص: 268

هذا الملحق للحوار هو وقائع حياتية كان فضيلة العلامة الشيخ علي الرميشي حاضراً فيها وشاهداً عليها في حياة الإمام الراحل (رحمه الله) ..

للزهد صور أخرى..

ليس فخراً أن يزهد الإنسان في الدنيا وهو لا يملكها..

وليس فخراً أن يلبس ثوب الزهد وهو مجبرٌ عليه..

إنما الفخر أن يمتلك الإنسان الدنيا ويقبض على أزمته، ويتركها طوعاً واختياراً.

كما أن الزهد لا يعني الانعزال وترك الحياة خوفاً من الوقوع في ملذاتها وزخارفها، وإنما الزهد الدخول في معترك الحياة ومعاشرة الناس عن قرب، لمواساة ضعفائهم، وإصلاح أغنيائهم، وصياغة الأنموذج الأسمى للزاهدين، والقُدوة الفضلى للراغبين بالسير على المنهج القويم.

فالزاهد - كما يصفه الإمام الصادق (عليه السلام) - هو الذي يختار الآخرة على الدنيا، والذل على العز، والجهد على الراحة، والجوع على الشبع، وعاقبة الآجل على محبة العاجل، والذكر على الغفلة، ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة.

هذه الأطر والمواصفات التي رسمها الإمام الصادق (عليه السلام) للزاهد الواقعي، قد يراها البعض موزعة عند هذا أو ذاك، ولكن وجودها مجتمعة في شخص واحد وفي ظروف غير عادية، قد تكون غير مألوفة أو متعارفة، فالأشخاص الذين نالوا

شرف (الزهد) في بعض حقب التاريخ البعيد أو القريب، لو دققنا في حياة بعضهم لرأيناها في الغالب لا تحمل إلا بعداً واحداً من أبعاد الزهد المتعارفة..

أما فقيدنا السعيد المرجع الأعلى آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس الله نفسه الزكية)، فقد كان مثال الزهد والتواضع في كل شيء، وفي كل بعد تراه مقدماً على أقرانه، ولا يرى في ذلك فخراً، ولا عجزاً عن حياة الراحة والرفاهية، فقد عاش في أجواء وظروف لو عاشها غيره لعجز عن الوصول للدرجات الدنيا التي وصلها فقيدنا الراحل (رحمه الله).

كان (عَظُرَ الله ثراه) لا يرى في الزهد تربية للنفس وارتقاء للروح فقط، وإنما كان ينظر إليه باعتباره عنصر المواساة الأول مع الفقراء والضعفاء، كان ينظر إليهم أولاً- قبل نفسه، وربما كان لا ينظر إلى نفسه بقدر ما ينظر إلى صورة أولئك الذين يئنون من الجوع ولا يجدون ما يسد رمقهم، وكان دائماً يتمثل بقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جسعي إلى تخبير الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطناً وحولي بطون غرثي وأكباد حرّى»⁽¹⁾، أفنع من نفسي بأن يقال هذا مرجع المسلمين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش.. الآخر الفقير.. الآخر الضعيف.. الآخر المسكين.. الآخر المستضعف.. هو أول ما يفكر به عند كل خطوة يخطوها أو حركة يقوم بها، يرى في احترام الإنسان الضعيف وحفظ كرامته والدفاع عنه وأخذ حقوقه المعيار في الحكم على الأشخاص الذين يدعون الزهد والتواضع، وعندما يكون المعيار الغير والآخر

ص: 270

1- نهج البلاغة: من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها: 45.

الجمعي تضمحل قيمة الأنا وتموت نوازع الغرور والكبرياء، ويرتقي الإنسان إلى مصاف الأولياء والأنبياء (عليهم السلام) .

الدنيا بزخرفها وزبرجها أتت طائفة لفقيدنا الراحل (رحمه الله) في بعض السنين، ولكنه أبى إلا أن يكون كجدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي امتلك السلطتين الدينية والزمنية، ومع ذلك كان يبيت جانحاً طاوياً، ولا يجد شيئاً يوقد به النار للضياء، ويستحي من مرقع مدرعته لكثرة ما رقعها.

نعم.. قضيت عشرين عاماً قريباً منه، لم أره يوماً غيّر عباؤه، رغم الثقوب الكبيرة التي احتوتها والتغيرات اللونية التي طرأت عليها، تمسك بها بقوة واعتاد عليها على الرغم من إصرار المقربين وهدايا المقلدين الداعية إلى تبديلها. والمسألة غير محصورة في هذا البعد الضيق، وإنما تتعداه إلى كل الأمور التي ترتبط به من قريب أو بعيد.

ولعلّ الشيء المتميز في فقيدنا الراحل (رحمه الله) ، هو حرصه الشديد على تتبع أحوال الماضين من الزهاد، وخصوصاً أولئك الذين يرتبطون بالشجرة الطيبة من آل الشيرازي الكرام، أمثال الميرزا الكبير، والشيخ محمد تقي الشيرازي، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد ميرزا مهدي الشيرازي (قدس الله أسرارهم)، فطبق كل ما سمع عنهم، وكان لا يأخذ إلا الصعب المستصعب الذي فيه تقويم للنفس ورفق للروح، لذلك أقول وبفخر إن زهد فقيدنا يمثل خلاصة زهد الماضين من شجرته.

واليوم بعد غياب الجسد عنا، قد تكون القصص والوقائع التي عشتها وعاشتها عن قرب خير ما يعطي الصورة الواقعية عن زهد شمولي غطى مختلف الأبعاد، ورسم واقعاً مغايراً لما ألفه الناس عن الزهد، فهذا مرجعنا

الصورة الأولى

يقوم الإمام الشيرازي (رحمه الله) من مكانه، يستقبل ضيفه القادم بإجلال ووقار، يليق بمكانة الأستاذ الأول للحوزة العلمية في قم المشرفة، إنه آية الله المرحوم الشيخ الباياني (قدس سره)، جاء لزيارة الإمام الشيرازي في بيته رداً على الزيارة التي قام بها آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) له عند رجوعه من مدينة أربيل موطنه الأصلي.

أجلسه الإمام الشيرازي (رحمه الله) إلى جنبه، وبعد أن رحّب به طويلاً، قال له: ما هي أخبار أربيل؟ قال المرحوم الباياني: لوهلة ظننت أن الحوزة انتقلت إلى أربيل، فقال له الإمام: وكيف؟ قال: أغلب العلماء والمدرسين رأيتهم في أربيل، ولكثرة مشاغلي وارتباطاتي لم أتمكن من زيارة الكل، غير عدد ضئيل لا يتجاوز الـ 55 شخص، فسأله الإمام الراحل (رحمه الله): ماذا يجري في أربيل، هل هناك مؤتمر استدعى حضور هذا العدد الضخم من العلماء؟ فقال المرحوم الباياني: إنهم جاءوا للاصطياف والاستجمام! ثم التفت إلى الإمام الراحل وقال له: لي في أربيل بيت وسيع ولأقربائي عدة بيوت، إذا أحببتكم قضاء بعض الوقت والراحة فأنا في خدمتكم، فقال له الإمام الراحل: لم أفكر يوماً بالإقدام على هكذا خطوة، فالدنيا جد وعمل، والراحة والنوم الطويل ينتظرنا في القبر.

ويدون آية مقدمات أو فاصلة عن الكلام السابق قال الإمام مخاطباً ضيفه: هل سمعتم بالمجزرة التي ذهب ضحيتها عدة مئات من مسلمي البوسنة والهرسك في مدينة (سربنيستا)، لا تتصوروا أن المسؤولية لا تطالنا، نحن مقصرون بالنسب التي نستطيع العمل بها ولم نعمل، والعلماء يأتون في المقدمة، وكذلك وسائل

الإعلام تحمل قسطاً وافراً من التقصير؛ فهي لم تتعامل مع هذا الحدث الكبير بالنسبة المطلوبة والعناية المرادة..

هكذا استطاع (قدس الله نفسه الزكية) أن ينقل المستمعين من أجواء الاستجمام إلى أهمية الاهتمام بالحدث العام.

وبعد أن ودع الإمام الشيرازي (رحمه الله) ضيفه وعاد إلى مكانه ثانية، التفت أحد الجالسين إليه قائلاً: سيدنا ما كنا نحب التحدث بحضور الأستاذ الباياني، فقد يكون محقاً في بعض كلامه، فالسفر في الوقت الحاضر نافع لكم، ومناخ مدينة قم المقدسة الملتهب، وما أصابكم من فقر في الدم، وآلام ركبتكم تستدعي أخذ قسط وفير من الراحة.

وهنا التفت الإمام إلينا وخاطبنا بحرقة المهموم المحزون على ما يجري في العالم الإسلامي فقال: أنا لم اعبر إلا عما بداخلي بحضور الشيخ، وأقولها إليكم ثانية: إننا لم نخلق للراحة، وإنما للعمل والكدح، وما يجري من مآسٍ في عالمنا يفرض علينا التوجه الجدي لما يحدث، والمسارة في التحرك قبل فوات الأوان. ثم ماذا أقول لفقراء قم لو سألوني، هل فكرت بنا يا سيد محمد، فنحن مثلك نعاني من الحر وشح المياه وتلوثها؟ عليّ البقاء هنا لكي أواصي الفقراء في هذه المدينة والمدن الأخرى فيما يعانونه.

ومع اشتداد الأمراض عليه (رحمه الله)، وعلى المتعلقين به لم أشاهده يوماً خارجاً من بيته سراً أو علناً، طلباً للراحة أو شوقاً للعزلة.

الصورة الثانية

كنت جالساً في مكتب الإمام الشيرازي (قدس الله نفسه الزكية)، وإذا بالهاتف يقدم إليّ للتحدث مع شخص يريدني، رفعت السماعة وإذا بي أسمع

صوتاً أعرفه يطالبني بالحضور فوراً لأمر هام؛ وبعد أن وصلت إليه مسرعاً، قال لي: أرجو منك خدمة وهي أن تسرع في إيصال هذا السمك المشوي إلى سماحة الإمام الشيرازي.

قلت له: طلبك مرفوض، ليس مني وإنما من سماحته الذي يرفض هكذا أكالات ويراها من الترف والبذخ، وأنا لا أستطيع الذهاب به وعندني العلم الكامل برفضه من قبل سماحة السيد، فإن كنت مصرّاً على إيصاله فأرجو منك إعفائي من المهمة.

فقال: لا بأس أنا أتكفل بإيصاله لسماحته.

وصل صاحب السمك - وهو من المقلدين المخلصين لسماحة السيد - للمكتب مسرعاً، ودخل مباشرة على سماحته الذي كان جالساً مع بعض الناس ووضع أمامه صحناً كبيراً فيه سمكتان مشويتان، وطلب من سماحته التفضل بالأكل قبل أن يبرد السمك.

وهنا رفع الإمام الغطاء الموضوع على السمك وقال للذي جاء به: ارفع هذه السمكة - وأشار إلى إحدى السمكتين - وقدمها للناس المتواجدين في المكتب، وخذ الثانية للعاملين في المكتب.

فقال صاحب السمك: سيدنا جئت بهذا لك، والناس الذين في الخارج ربما أكلوا السمك كثيراً، وأنا سمعت بأن سماحتكم لم تأكلوا السمك منذ سنوات وأحببت أن تأكل من يدي، ثم أردف: سيدنا تفضلوا بالأكل من هذا، وأنا الآن ذاهب إلى السوق لأبتاع السمك للجالسين والعاملين في المكتب.

فقال له الإمام: أنا أشكرك كثيراً على شعورك، ولكن لي إليك طلب وهو أن لا تكرر هذا الأمر ثانية، أتعرف لماذا؟ لهذه الأسباب:

أولاً: إن أسعار السمك عالية جداً، ولا يستطيع كل أصناف المجتمع التفكير به، وأنا لا يمكنني شراؤه أو أكله قبل أن يأكله الفقراء.

ثانياً: ماذا سيقول الناس الذين يدخلون المكتب أو يمرون بجانبه وهم يشمون رائحة السمك طاغية في كل مكان من المكتب؟ أتعلم ماذا سيقولون؟!!!

ثالثاً: إن الإنسان يستطيع أن يحشو أمعاءه بشيء رخيص وبسيط، أما هذه الأمور - وأشار إلى السمك المشوي - فلا تزيده إلا بعداً عن دار الآخرة وإقبالاً على ملذات الدنيا الزائلة.

عند هذه النقطة أخذ صاحب السمك يقدم اعتذاره الشديد، وإنه كان جاهلاً سبب عدم أكل سماحته للسمك، وإنه لن يكرر ذلك ثانية..

عندها طلب الإمام من أحد المقربين بأن يضع شيئاً من العطور أو البخور في المكتب ومتعلقاته، لكي تغطي رائحته على رائحة السمك ولا يبقى أثر لذلك.

الصورة الثالثة

مشهد يومي يتكرر أمامي كلما حضرت صباحاً إلى بيت سماحة الإمام الشيرازي (رحمه الله)، حيث كنت أشاهد خادم المكتب (الحاج أبو عباس) يقدم ورقة صغيرة تتضمن مشتريات المكتب اليومية والبيت الخاص لسماحته، من مواد الطعام والمتطلبات الأخرى إلى سماحة السيد، ليقبض ثمنها، وكثيراً ما أرى سماحته يسأل الخادم عن سعر هذه البضاعة أو جودة تلك المواد ولماذا ارتفعت بهذا المقدار؟!!

وكثيراً ما كنت أسأل نفسي، ترى لماذا يعمل الخادم بهذه الطريقة المملة يومياً؟ أليس من الأفضل أن يقوم بشراء احتياجات المكتب والبيت شهرياً لما لها من فائدة على وقته وقيمة البضاعة، باعتبار أن أسعار الجملة فيها فارق كبير عن

أسعار المفرد؟ ولماذا يدقق سماحته (رحمه الله) مع الخادم بهذه الدقة ويستفسر عن كل الأمور التي جلبها واشتراها؟

وذات مرة سألت الخادم عما يدور في خلدي، وأكدت بأن المسألة فيها منفعة مادية ربما سماحته لم يلتفت إليها، وقلت له لماذا لا تعرض هذا الرأي على سماحته أو أحد المتعلقين به، ربما يستحسنه وترتاح أنت لبعض الوقت؟ فأجابني قائلًا: المسألة لا ترتبط بي، وإنما هي تأكيدات سماحته بالرجوع إليه في هكذا موارد، وأنا بدوري ألححت عليه سابقاً على ما ذكرتم وأكدت على الارتفاع اليومي الفاحش للأسعار، ولكنه رفض الأسباب وطلب مواصلة العمل يومياً، وأضاف: إذا أحببت معرفة المزيد اذهب وتحسس الأسباب بنفسك.

الجملة الأخيرة للخادم جعلتني أتحين أقرب فرصة للقاء سماحته ومعرفة الأسباب منه شخصياً، وبعد يومين سنحت لي الفرصة بالجلوس قرب سماحة السيد وسؤاله عن الأسباب، فقلت للسيد الراحل (رحمه الله) : سيدنا لماذا لا تسمحون للخادم بشراء مواد الطعام واحتياجات المكتب مرة في الشهر لما لها فائدة في الوقت والمال؟ ثم لماذا لا تحولون هذه المهمة لشخص آخر باعتبارها أمراً ثانوياً لا يجب أن يأخذ من وقتكم الثمين؟

فقال لي سماحته: استفسارك قد أجبته عليه اليوم لأحد المقربين، وأقول لك كما قلت له: إنني جليس الدار، وهذا يمنعني من معرفة الكثير من الأمور التي تحدث في الخارج، وهذا الشيء الذي يقوم به الخادم يجعلني على ارتباط دائم مع الشارع العام وما يدور فيه وخصوصاً المسائل المتعلقة بالوضع الاقتصادي وتأثيراته السلبية على الوضع المعاشي والاجتماعي، وأنا من خلال هذه الوسطة - الخادم - أتعرف يومياً على أسعار السوق ومعدلات التضخم

ومسائل التوزيع ونوعية المادة أو البضاعة، وما يهمني أكثر معرفة نسب ارتفاع الأسعار وتأثيراتها على الفقراء والضعفاء، وكيف يتسنى لهم مماشاة الارتفاعات العالية والمستمرة للأسعار يومياً.

فقلت لسماحته: سيدنا كلامكم صحيح وأنا أتفهم احساساتكم ومواساتكم للضعفاء، ولكن الناحية الأمنية يجب أن لا نغفل عنها، الحيلة والحذر مطلوبة في هذه الظروف ودائماً، وهذا الشيء يستدعي الشراء شهرياً وعدم الاقتصر على تاجر معين، وخصوصاً أن الخادم معروف عند الكل وربما يقدم البعض على أذيتكم بواسطة المواد التي يجلبها هذا الخادم يومياً.

أجابني: ربما يكون إشكالك صحيح من بعض الوجوه، ولكنني لا آخذ به، أتعرف لماذا؟ قلت: كلي آذان صاغية لمعرفة السبب..

قال: أنت تعلم كم يزورني يومياً من الناس على اختلاف أصنافهم وأوضاعهم، فماذا أقول للفقير منهم لو سألني عن علمي بارتفاعات الأسعار وبما يعانون من أزمات وضغوط لتلبية احتياجات عوائلهم؟ هل أقول لهم لا-علم لي بما يعانون منه؟ وهل أقدم لهم المساعدة المادية فقط ولا أنظر للمسائل المتعلقة بمعيشتهم؟ أليس من واجب مرجع التقليد أن يكون أول العارفين بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتأثيراتها على أوضاع الفقراء والمحتاجين؟ و...

وهنا قلت لسماحته: أنا اطلب المعذرة على تظفلي...

الصورة الرابعة

الأمراض البسيطة لم تتن يوماً الإمام الشيرازي (رحمه الله) من تأدية مهامه بأكمل وجه وأفضل صورة، ولعلّ أغلب الذين عاشروه أو حضروا درسه التفتوا جيداً إلى هذه النقطة وكيف أنه يقوم بالتدريس أو الحضور لملاقة الناس وهو مصاب

بالزكام أو وجع الرأس أو آلام الركبة، أما الأمور الأخرى التي يقوم بها داخل البيت من كتابة ومطالعة وعبادة وتفكير فلم تنقطع وإن تكالبت عليه الأمراض مرة واحدة.

ولكن عندما اشتد عليه ألم الركبة، ولم تعد هناك فائدة من جميع الأدوية الجديدة لعلاجها أو تسكينها، اضطر إلى إجراء عملية - فصد - في مكان محدد من الركبة، حيث تقتضي العملية شق اللحم بسكين حاد جداً في مكان معين قريب من منطقة الألم وبدون استعمال أية مادة مخدرة، لإخراج الدم المتجمع في تلك المنطقة.

جاء برجل مسن من أطراف مدينة ساوه - مدينة إيرانية قرب قم المشرفة - لمعاينة ركة السيد الراحل (رحمه الله)، وبعد أن عاينها وفحصها جيداً، حدّد مكان الفصد وقال: يجب عليكم أن تمسكوا برجل السيد من الطرفين فالضربة ستكون قوية وعميقة وبدون أية مواد مخدرة.

استعد السيد الراحل (رحمه الله) للعملية، وقام الرجل بفصد المكان المعين فخرج الدم وأخذ يتدفق بقوة، وبعد انقضاء فترة قصيرة يعرفها الرجل من خلال تجاربه الكثيرة، قال: هذا يكفي، لنشد الجرح بهذا الرباط، عند هذه المرحلة سقط الإمام مغشياً عليه والرجل ما زال واقفاً، فقال: عليكم بالسوائل والأكلات المقوية للتعويض عن الدم المفقود، وخرج مودّعاً بعد أن دعا له بالعافية.

ولكن الدقائق مرت سريعاً وسماحة السيد لم يفق من غيبوبته، لذلك أسرع أحد الحاضرين بالذهاب إلى أحد الأطباء ودعاه لمعاينة السيد المرجع، وأسرع الطبيب بعد مجيئه لفحص سماحته فقال: إن ضغط السيد منخفض جداً بالإضافة إلى أنه مصاب بفقر دم مزمن وهذا ما يجعل الضعف يشتد على

سماعته، لذلك سارع الدكتور بإيصال المغذي إلى أحد أوردته، وبعد لحظات أفاق الإمام من غيبوبته، وهنا استغل الطبيب الوضع ليكرر ما قاله سابقاً إلى سماعته - حيث أوصاه في زيارات سابقة بالعناية بغذائه والتركيز على ما يقوي الجسم - فقال: سيدنا وضعكم الصحي يزداد سوءاً وإذا لم تركزوا على المشويات من اللحوم وغيرها، وعصير الفواكه فربما تصابون بأمراض لا يمكن شفاؤها بسهولة، ثم أوصى بعض المقرئين بالعناية بسماحة السيد وعدم التساهل في تقديم كل ما يساعد على تقويته.

وعندما خرج الطبيب كثر بعض الحاضرين ما أكد عليه، وقال بعضهم: الضرورة وحاجة المسلمين إلى سماعتكم، تستدعي عدم التفريط بصحتكم والإقبال على تناول الأطعمة التي أوصى بها الطبيب.

فقال السيد (رحمه الله): كلام الطبيب لغيري، أما أنا فلا أعمل بوصاياه لأن الأمور التي ذكرها تميمت القلب وتبعد الإنسان عن العباد ورب العباد، ثم إن الإنسان لا يعلم متى يفارق الدنيا، فماذا أقول لربي لو مت وأنا مقبل على هذه الملمات؟ وهل كل الذين يصابون بمرضي لا يعالجون إلا بهذه الطريقة؟ والفقير الذي ليس لديه مال لشراء هكذا أمور ماذا يعمل لكي يشفى من مرضه؟

ربما يسأل البعض: إذاً ماذا يأكل سماعته؟!

أقول - وهذا ما يؤيده أغلب الذين عايشوه وجلسوا على مائدته -: إن طعامه المفضل ماء المرق العادي - الذي يصنع من الماء وبعض الزيت وشيء من معجون الطماطم - مع بعض الخبز اليابس المقطع.

أما الأمور الأخرى فلا يقربها غالباً، وحتى الولايم التي يقيمها لصيوفه أو التي يدعى لها تراه لا يقترب إلا من نوع واحد من الأكل، وبالتأكيد هذا النوع

يكون أقل الأنواع بساطة وتكلفة، وأنا شخصياً جلست على مائدته كثيراً ولم أره يأكل غير بعض المرق وكسرة صغيرة من الخبز.

والحلويات هي الأخرى لا يميل إليها على الرغم من مرور عشرات العلب أمامه يومياً، تلك التي يجلبها العرسان الجدد معهم عند إجراء عقود الزواج في بيت سماحته (رحمه الله).

الصورة الخامسة

هناك شيء لم يلفت نظري، غير أن أحد الأشخاص ممن يواظبون على الحضور في مكتب الإمام الشيرازي (رحمه الله) لفتني إليه، ففي أحد الأيام سألت هذا الشخص وقلت له: لماذا أراك تتسابق إلى حضور غرفة الإمام كلما فتحت لعامة الناس - هناك جلسات خاصة مع بعض الشخصيات الزائرة لا يسمح لأحد الاشتراك فيها - فقال: تريد الواقع؟ قلت له: نعم! قال: في الحقيقة أنا أرغب في الحصول على الهدايا من سماحة السيد، قلت له: وهل هناك مناسبة لتقديم الهدايا؟ قال: لا، ولكن الهدايا التي يأتي بها الناس لسماحة السيد يقدمها للحاضرين في غرفته، وأنا خلال العام الماضي حصلت على أكثر من هدية.. وأتوقع الحصول على المزيد كلما حضرت في غرفته.

قلت في نفسي لماذا لم أتوجه إلى هذه النقطة - لا لغرض الحصول على الهدايا وإنما لتدوين ذلك - ففي جلسات سابقة رأيت هذه الحالة أمامي مرات ومرات ولكنني لم أتوقف عندها، واليوم هذا الشخص يوجهني إليها وكأنه وعاهها قبلي، فراجعت بعض الصور التي مازالت مرسومة في ذهني، فشاهدت أن والدي في إحدى زيارته قد حصل على قطعة قماش راقية جداً، وأخي الدكتور كان نصيبه علبة من العطور الغالية، والسيد ال.. قماش أسود من الذي

يلف على الرأس كعمامة، إنه ديدن سماحته لا يحب أن يفرح بالهدايا قبل أن يفرح الآخرون بها.

بعد ذلك أخذت أراقب الوضع في كل مرة يؤتى بالهدايا لسماحته، وخصوصاً الزائرين القادمين من دول الخليج فبعضهم اعتاد على حمل بعض الهدايا لسماحته (رحمه الله)، فكان حقاً المصدق الأمثل للآية الشريفة: (لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْكُمْ) (1).

فهو لا يفرح بما يقدم إليه، ويسارع بتحويله إلى من حضر لديه .. ولم يحزن على ما فاتته، وإن كان كبيراً في نظر البعض..

كما لم يتردد في الإقدام ثانية على كل فكرة أو مشروع أفشله الآخرون أو صادروه في المرات السابقة، والقصص في هذا المجال كثيرة جداً، وهناك أكثر من حادثة لمصادرة الحقوق الشرعية والأموال الخاصة من وكلائه ومقلديه، ناهيك عن قرارات الحجز على الأشياء المرسلة والواصللة إليه، أما أساليب المنع والإغلاق والنهب والاحتلال لمؤسساته ومدارسه، فهي الأخرى غدت حالة طبيعية لديه لكثرتها وتكررها بين الحين والآخر.

ولعلّ المشروع الإسكاني الذي أراد بناءه في مدينة قم المشرفة، يعد من أبرز المشاريع التي تم القضاء عليها بصورة غريبة بحيث صودر كل شيء يتعلق بالمشروع، واعتقل كل من له ارتباط وصلة قريبة أو بعيدة بالمشروع، حتى سائقي الشاحنات الذين جلبوا الحديد من مدينة بندر عباس الإيرانية لم يسلموا من قرارات الاعتقال والإهانة.

فقد قامت السلطات بمصادرة الأرض - والتي هي الآن مكان تجمع

ص: 281

1- سورة الحديد: 22.

الباصات في مدينة قم (الترمينال) - والحديد المرسل من دولة الكويت، ومصادرة كل الأموال المخصصة للمشروع والتي كانت موضوعة في حساب خاص في أحد البنوك والمقدرة بـ 200 مليون تومان.

وعندما سئل السيد - بعد الحادثة مباشرة - عن خطته المستقبلية في إيران، هل يستمر عليها أم يوقفها؟ قال: إن الواجب علينا أن نعمل بجد ومثابرة وأن لا نتراجع أو نركع أمام هذه التصرفات، والعاملون للهدف الكبير ربما يلاقون أكبر من ذلك، وما عليهم إلا الصمود والتحمل والاستمرار في تأدية مهامهم وأعمالهم، واختتم كلامه بهذه الآية الكريمة: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (1).

الصورة السادسة

في صبح أحد الأيام كنت جالساً مع حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين الشيرازي ابن المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) في الغرفة المجاورة لغرفة الإمام الشيرازي (رحمه الله)، وإذا بنا نسمع صوت الجرس - وهو العلامة التي بواسطتها يطلب سماحة السيد (رحمه الله) شخصاً أو شيئاً ما - وبما أن الوقت مازال مبكراً وخادم المكتب لم يأت بعد، لذلك قمنا أنا والسيد حسين بفتح الغرفة المخصصة لسماحته (رحمه الله) لمعرفة ماذا يريد الإمام في الصباح الباكر.

وعندما دخلنا الغرفة شاهدنا سماحته يجمع البطانيات الجديدة الموضوعة على الأرض وهو يكرر القول أين ذهبت البطانيات القديمة؟ من رفعها من مكانها؟ لماذا غيرت؟ ألم أقل لكم لا تغيروا شيئاً في غرفتي؟ فقال له السيد

ص: 282

حسين: (حاج آقا) - وهي عبارة احترام ينطق بها المقربون من سماحته رحمه الله عندما يخاطبونه - صحيح أن البطانيات القديمة وسخة وبالية إلا أننا لم نغيرها إلا بعد إلحاح أحد مقلديكم الذي جاءنا يوم أمس حاملاً معه البطانيات الجديدة، حيث فرشها بنفسه.

فقال سماحته رحمه الله مخاطباً السيد حسين: أنت أكثر الناس علماً بحاجة الناس الذين يأتون إلينا يومياً - فقد كان السيد حسين هو المشرف على شؤون المكتب إثر سفر آية الله السيد رضا الشيرازي رحمه الله إلى كويت، وسفر سماحة السيد جعفر الشيرازي (دام ظله) - فالكل يأتي وهو يحمل طلبات عالية لا نستطيع تليتها جميعاً، والبعض يقدر الحالة ويشاهد الظروف بعينه وكثيراً ما يعذروننا ويقبلون باليسير، وأنتم بعملكم هذا - فرش البطانيات الجديدة - ستفتحون ألسنة الناس علينا، وإذا أردنا أن نعتذر إليهم بقلة الإمكانيات وضعف اليد لا يصدقون ذلك وهم يرون الجديد والتغيير أمامهم، وربما قال أحدهم: كيف لا تستطيعون مساعدتي وأنتم يومياً تشترون حاجة جديدة. إن صاحب الحاجة يريد قضاء حاجته فقط، ولا يرى مهما غير ذلك، ونحن ليس من مهامنا إخبار الناس بأن هذه الأشياء الجديدة مهداة، وحتى إذا أخبرناهم إنها مهداة ربما لا يصدقنا البعض ويقول لماذا لا يهدي الناس إلينا نحن المحتاجين؟!

أسرعنا أنا والسيد حسين بجلب البطانيات القديمة من أحد غرف المكتب، وأعدنا فرشها وترتيبها من جديد في غرفة سماحته، فجلس عليها وهو مرتاح.

ونفس الحالة رأيتها من سماحته (رحمه الله) عندما شاهد التغيرات التي أجريت على الجدار الخارجي للمكتب، وكذلك عندما رأى أحد الصباغين وهو يهم

بصبغ جدران المكتب، فمنعه وطلب من الكل عدم تغيير أي شيء في المكتب بناءً أو صبغاً.

وإلى أن توفي (رضوان الله تعالى عليه) لم يقدم أحد على تغيير أي شيء في المكتب، وبقيت جدرانه كما هي مملوءة بالثقوب والشقوق لا تقي الجالسين فيها من لسعات برد الشتاء القارص.

الصورة السابعة

الذي يجلس عند سماحة الإمام الشيرازي (رحمه الله) لا يخرج إلا وهو محمّل بالقصص الهادفة والعظات الصالحة، فسماحته إذا لم يذكر قصة مؤثرة لا يترك موعظة حسنة وهو الخبير باستغلال كل شيء لصالح الفكرة التي يريد إيصالها للآخرين.

ففي أحد الأيام كنا جالسين عند سماحته وإذا بمجموعة من التجار الطهرانيين يتقدمهم المرحوم الحاج هادي الكتبي يدخلون على سماحته (رحمه الله) للسلام عليه، وبعد أن جلسوا بدأ السيد الراحل (رحمه الله) بالسؤال عن أحوالهم واحداً تلو الآخر.

فقال أحد التجار الطهرانيين: في الأسبوع الماضي كنت في مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) وقد وفقنا للدعاء لسماحتكم، فقال له السيد (رحمه الله): كيف سافرت إلى مشهد؟ قال: بالطائرة! تركه سماحة الإمام وتوجه إلى الحاج هادي الكتبي وقال له: سمعت أنكم أتمت كذلك كنتم في مشهد المقدسة، كيف سافرت؟ فقال الحاج هادي: سيدنا بالسيارة.

فقال الإمام: ما الفرق بين ثمن السيارة و ثمن الطائرة؟

فقال أحد التجار الطهرانيين: 20 ألف تومان.

فقال الإمام: ربما يرى الإنسان أنه غني و يستطيع أن يستغل ماله للركوب في أية وسيلة، ولكن هذا ليس فخراً، الفخر أن يعرف كيف يحافظ على المال الذي حصل عليه بصعوبة، وكيف تنظر إليه الناس، وهل السفر في الطائرة أو السيارة يؤثر على رأي الناس فيه سلباً أو إيجاباً؟

ثم إن الحديث الشريف يقول: «أفضل الأعمال أحزمها»⁽¹⁾ أي أشدها عناءً، ومن يريد زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) عليه أن يختار الأمور التي تصب عليه الخير العميم، وأنا أرى أن السفر بالطائرة والمبيت في فندق خمس نجوم والجلوس على موائد الطعام المفضلة، تبعد الإنسان عن الهدف الواقعي وتقسّي القلب وتبعده من الرحمة والرأفة.

والآية الكريمة تقول: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) والمال غالباً ما يكون وبالأعلى على صاحبه، يجره نحو الطغيان والتكبر، اليوم سفر بالطائرة وغداً بطائرة خاصة وبعد غد سفرة حول العالم، وهكذا يدور الإنسان بدوامه لا تنتهي أبداً. والطغيان لا يأتي فجأة أو من فراغ، إنه يأتي تدريجياً، شيئاً فشيئاً يصبح الإنسان طاغياً لا يكفيه كل ما بحوزته فيطلب المزيد والمزيد، فيستغل كل شيء للمزيد، ويقوم بأي شيء لطلب المزيد.

أما لو استطاع الإنسان أن يسيطر على تصرفاته، ويتقيد بمنهاج الزاهدين وسلوك الخائفين، ويراعي ظروف الآخرين، سيكون محبوباً من الخالق ومن المخلوقين، ويبقى ذكره على ألسنة العالمين إلى قيام يوم الدين.

أحد التجار الطهرانيين لم يستطع رفع رأسه إلى الأعلى خجلاً، فظل مطرقاً برأسه نحو الأرض وهو يبكي، وعندما انتهى سماحة السيد (رحمه الله) من

ص: 285

1- روي عن النبي الأكرم، بحار الأنوار: ج67 ص191.

كلامه، قال هذا التاجر وهو مازال مطرفاً برأسه: أعاهدك سيدي وأعاهد الله جل وعلا أنني لن أسافر إلى مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) إلا بالسيارة فقط.

فقال له السيد الراحل (رحمه الله): المسألة غير محصورة في الذهاب إلى مشهد بهذه الوسيلة أو تلك، وإنما على الإنسان أن يجعل الزهد منهجه في الحياة، وعليه أن لا يخطو أية خطوة إلا بعد التفكير بها جيداً، هل هي مرضية من الحق تعالى أم لا؟ كما إن المال يجب أن يصرف في الموارد الضرورية والمستحبة والمفيدة للصالح العام، وفي الحديث الوارد عنهم عليهم الصلاة والسلام: «لَا تَزُولُ قَدَمُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ ثَلَاثٍ ... وَعَنْ مَالِهِ أَيْنَ أَكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ» (1).

الصورة الثامنة

قيل: (من الصغائر تعرف الكبائر).

ونحن إذا أردنا أن نعرف شخصاً ما، نعرفه من تصرفاته في الأمور الجزئية، من طريقة أكله للطعام.. شربه للسوائل.. أسلوبه في الكتابة.. استغلاله للوسائل.. استفادته من الوقت.. تعلقه ببعض الأشياء..

وإذا أردنا أن نطبّق هذه القاعدة على السيرة الذاتية لسماحة الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) لرأيناها تتسحب خجلاً من الواقع الذي عاشه سماحته في مختلف ظروف حياته..

منها: عندما يريد أن يشرب كأساً من الشاي، فإنه لا يضع في الشاي إلا مكعب صغير من السكر، وإذا أراد أن يحركه، فيحركه بهدوء كي لا يسقط بعضه في الصحن، وإذا سقط شيء من الشاي في الصحن فلا يتركه بل يقوم بشربه

ص: 286

أولاً، ولم أره مرة أرجع الشاي لبرودته أو رداءته..

ومنها: الرسائل الواردة إليه بعضها يوضع في أرشيفه الخاص إذا كان مهماً، والبعض الآخر الذي ليس فيه فائدة يحاول أن لا يترك الصفحات والقطع البيضاء الموجودة فيها دون الاستفادة منها، وكذلك الرسائل التي يرسلها فإنه لا يترك فيها بياضاً، وإذا وجد فيقوم بقطعه من الرسالة للاستفادة منه في مطالب أخرى..

ومنها: الوقت عنده ثمين جداً، والدقائق على قلتها لا يتركها تذهب سدى، كيف يجعلها تفلت منه وهو الباحث عن المزيد من الوقت للمطالعة والتأليف؟ وربما تكفي الواقعة التالية لمعرفة مدى حرص السيد الراحل (رحمه الله) على الوقت:

في أحد الأيام جاءني صديق يعمل في مكتب سماحته وقال لي: اليوم بعد الظهر سيأتي أحد الصحفيين لإجراء مقابلة مع سماحة السيد ومن الضروري أن تكون حاضراً عند إجرائها. فحضرت في الموعد المحدد، وجاء الصحفي ونصب أدواته استعداداً للقاء، وجاء سماحة السيد وجلس في مكانه المخصص قانلاً: تفضلوا بطرح الأسئلة، وقبل طرح السؤال الأول أدار الصحفي جهاز التسجيل لإجراء الحوار، وإذا بالجهاز لا يعمل، وتبين أن الجهاز غير موصول بالكهرباء وإن السلك الرابط بين الجهاز والكهرباء قد نسيه الصحفي في مكان غير معلوم، فاعتذر لسماحة السيد وقال سأبعث شخصاً ليشتري لي بطاريات من السوق، ولن تتأخر إلا عشر دقائق.

وعندما سمع السيد الراحل (رحمه الله) بالدقائق العشرة نهض ودخل إلى البيت، ورجع وهو يحمل كراساً صغيراً، وجلس في مكانه وبدأ يقرأ بالكراس وهو يقول

ص: 287

لنا: هذا الكراس تكفي الدقائق العشرة لمطالعتة، ولم تمض أكثر من عشرة دقائق إلا والإمام قد أنهى مطالعته للكراس والصحفي بدأ جاهزاً لطرح السؤال الأول.

ومنها: قد لا يمر يوم دون أن تُهدى إلى سماحته مجموعة من الكتب على اختلاف أنواعها وقيمها، فكان (رحمه الله) يطلبني قبل أن يدخل إلى بيته ويقول لي خذ هذه المجموعة من الكتب وأوقفها في مكتبة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أو مكتبة الإمام الجواد (عليه السلام)، وهذه البقية ستبقى عندي بعض الوقت للمطالعة وبعدها سأحولها لك لتقدمها للمكتبة، فلم تكن لديه مكتبة خاصة، وما يطلبه من كتب وخصوصاً تلك التي يحتاجها في تأليفاته أحضرها بنفسه له من بعض المكتبات العامة أو الخاصة..

ومنها: إنه (رحمه الله) لم يشتر مسكناً ولم يمتلك أرضاً أو عقاراً، ليس هو فحسب بل كل المتعلقين به من إخوانه وأولاده، فتراهم ينتقلون من مسكن إلى مسكن بين الحين والآخر، وعندما ألح بعض التجار عليه وعلى أخيه آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) بشراء مسكنين لهما اعتراضاً على ذلك بشدة وقالوا للتجار: إذا كان ولا بد فاشتروا بالأموال التي خصصتموها لشراء مساكن لنا بعض المراكز الإسلامية أو بعض الحسينيات في الخارج.

وبهذه الطريقة استطاع أن يخرجنا من ضغوطات التجار، وأن يقيما بعض المؤسسات في الخارج..

وأعتقد أن هذه الأمثلة والقصص كافية للحكم على شخص كان الزهد يسري بعروقه مسرى الدم.

الصورة التاسعة

يعتقد المسؤولون في بعض الدول أن الناس كلهم من قماش واحد، وإن

كانوا من الفقهاء أو المراجع، فالذي لا يبارك خطواتهم، ويعترض على تصرفاتهم، يمكنهم قص لسانه ببعض المال أو بعض الامتيازات الآتية من حطام الدنيا، التي ربما كانت غاية بعض المعترضين.

غير أن هذا الأسلوب (الأموي) لم يعط أية ثمار عندما اصطدم بواقع صلب مقاوم، بأناس نذروا أنفسهم للدفاع عن الحق والعدالة، وعن الحرية والكرامة، وعن الإسلام الواقعي الأصيل، ويأتي في مقدمة أولئك الذين وقفوا وتصدوا بحزم للمخالفات الشرعية المتكررة، فقيدنا الراحل الإمام الشيرازي (قدس الله نفسه الزكية)، الذي غدت قصصه ومواقفه البطولية أمام الجائرين والمستبدين دروساً وعبراً يترنم بها كل من أراد أن يسلك طرق المقاومة والتحدي.

والأساليب التي اتبعتها سيدنا الراحل (رحمه الله) في مواجهة التعديات على قوانين السماء وتعاليم الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) تختلف من قضية إلى أخرى، فبعض المسائل كان يعالجها (رحمه الله) من خلال النصيحة المباشرة وغير المباشرة، بالرسائل الشفوية والكتابية، بالدروس والمحاضرات، باللقاءات الخاصة والعامّة، من خلال الكراسات والكتب التي ينشرها ويوزعها يومياً، ومن خلال تحريكه للخطوط والفاعليات المؤثرة في القرارات المختلفة ..

وكانت هذه الأساليب المتنوعة في المواجهة تحيّر السلطات، وهي التوافق إلى طمس معالم كل الأصوات المعترضة والمخالفة..

ومن الألاعيب التي حيكت بعناية لإسكات سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وجرّه نحو زمرة المصفقين والمتملقين، إرسال الوسطاء والشخصيات وبعض القيادات للقاء سماحته (رحمه الله) وعرض ما حصلوا عليه، والمتوقع ما يحصل عليه من مزايا ومكاسب إن هو صفق وباع مثلهم، حتى إن أحد الوفود المهمة

التي دخلت على خط الوساطة نقل كلاماً عن أحد المسؤولين الكبار يفيد بأنه حاضر لتقديم كل ما يجعل السيد الشيرازي يعيش بنعيم لا يبور، ولإبداء حسن النية من جانبه فإنه سيرسل مجموعة من سيارات (المرسيدس) للبيت والعائلة، وسيحول 300 مليون تومان لرفع شهريّة سماحته في الحوزة، وإنه سيوصي المسؤولين في الإذاعة والتلفزيون على تخصيص أوقات كافية للتبليغ عن مرجعية السيد الشيرازي وأفكاره، وأنه... وأنه...

فقال لهم الإمام: والمقابل؟!!!

قال أحدهم بصراحة: السكوت.. والمبايعة..

فقال لهم: كما تعلمون لو كنت طالباً للدنيا لاستكثرت من المال والجاه وأنا في العراق، ولو كنت أطلب الراحة والرفاهية لما تركت الكويت، والآن أقول لكم أنا لست من أولئك الذين يتكالبون على حطام الدنيا وزبرجها، ويسكتون عن الأخطاء لكي لا تقطع مصادر أموالهم.

في الوقت الحاضر وفي أي وقت أرى انتهاكاً للقيم والتعاليم السماوية، فإنه لا يحق لي السكوت أو الانزواء جانباً وإن أدى ذلك لمصادرة مؤسساتي واعتقال أبنائي..

بماذا أخطب المظلومين لو أرادوا مني التدخل لرفع الحيف عنهم، هل تعلمون كم الشكاوي التي تصلني يومياً وتطالبني بالمساعدة والمعونة من جزاء اضطهادهم وظلمهم؟

لماذا يصبر المسؤولون على تكميم الأفواه؟ هل فكروا بعواقب ذلك؟ ولماذا يرفضون الرأي الآخر؟ أين التعددية التي يتكلمون عنها أحياناً؟

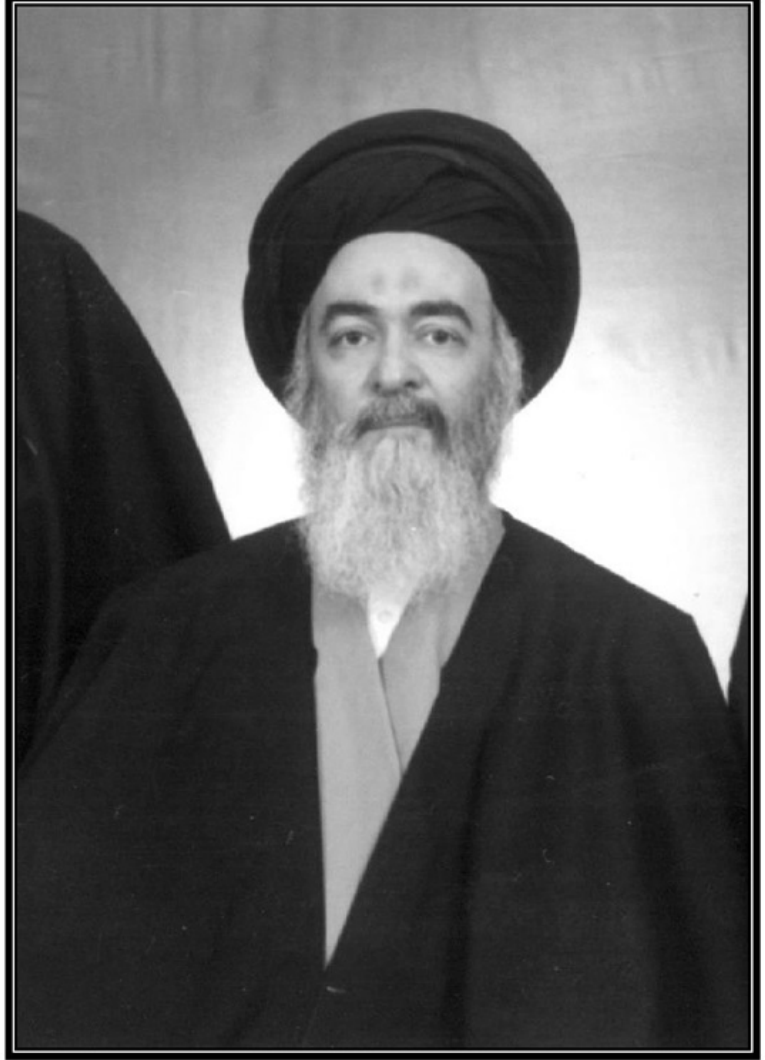
وأخذ السيد الراحل (رحمه الله) يتكلم ويتكلم، والوفد يستمع باستغراب، لأنه

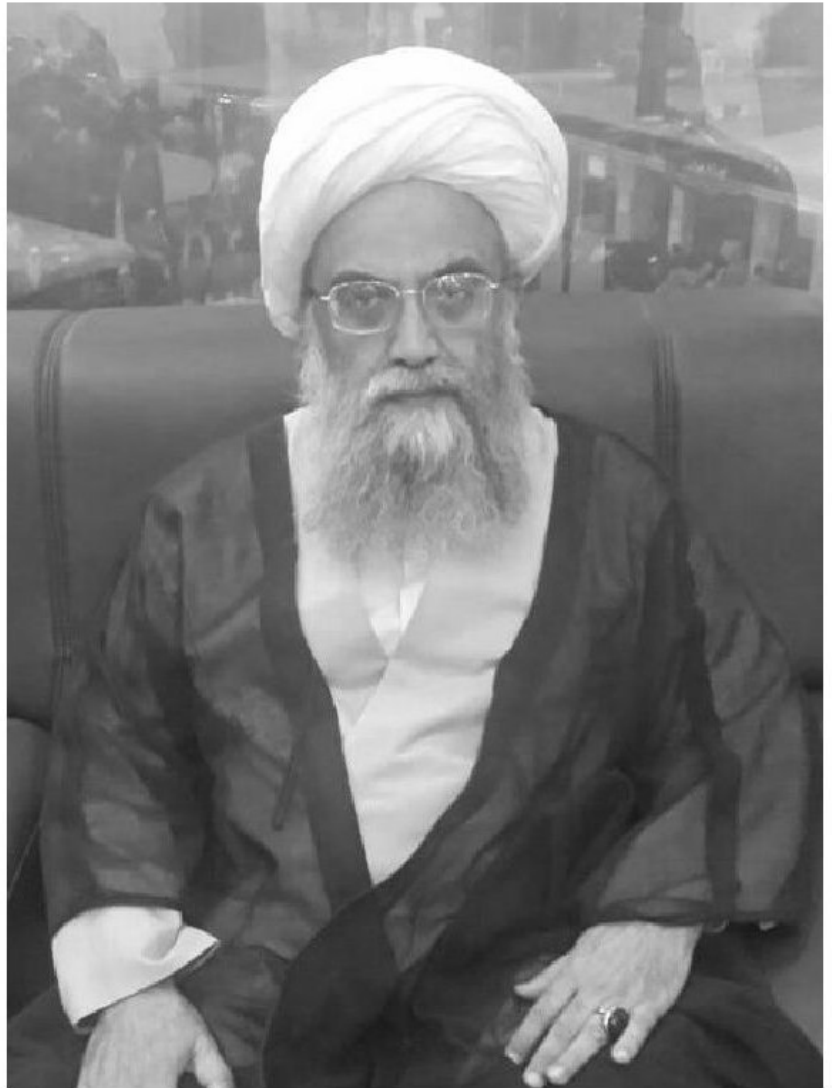
ص: 290

حديث جديد عليهم، لم يعهدوه من أحد قبلاً، فمهماتهم مع الآخرين جميعها تكلفت بالنجاح والفوز، واليوم يرون أنفسهم قد أكلوا بعد أن كانوا هم الآكلين.

وبعد ساعة تقريباً توقف سماحة السيد (رحمه الله) عن الكلام، فقال أحد أعضاء الوفد: والنتيجة ماذا نقول للمسؤول الكبير عندما نرجع؟ فقال لهم: انقلوا إليه ما سمعتم، قال أحدهم: لا يمكننا ذلك، فقال: هذه مشكلتكم..

ومن هذا الموقف ومواقف أخرى مثيلة، تيقن المسؤولون أن السيد الراحل (رحمه الله) ليس راغباً في الدنيا وما فيها، وهو لا يمكن أن يأتي معهم بطرق الترغيب، فتحول المسار بعد ذلك إلى الطُّرق بعنف بكل أساليب التهديد والمضايقة والمصادرة والاعتقال والمطاردة وبالأوزان المختلفة..





نلتقي بفضيلة آية الله الشيخ حسن رضا

غديري(1) ليحدثنا عن بعض خصائص ومزايا الإمام الراحل السيد محمد بن المهدي الشيرازي (رحمه الله).

بداية المعرفة

* حدثونا عن بداية معرفتكم بالإمام

الراحل (رحمه الله).

أما بالنسبة لمعرفتي به قبل لقائه، فتعود إلى زمن الدراسة في الحوزات

ص: 295

1- سماحة العلامة الحجة الشيخ حسن رضا بن مزمل حسين الميثمي الغديري. - ينتمي إلى حوارى أمير المؤمنين (عليه السلام) الشهيد ميشم التمار رضوان الله تعالى عليه. - ولد في مدينة ديراغازي خان بمقاطعة البنجاب الباكستانية سنة 1373 هـ - 1952 م. - يقيم حالياً في لندن بالمملكة المتحدة ويمارس وظائفه الدينية في كل الاتجاهات. - خرج من حاضرة قم المقدسة العلمية على يد المراجع العظام حتى بلغ مرتبة سامية من العلم والفضل. - نال

الشهادة الجامعية (الليسانس) في الأدب والعلوم الإنسانية من جامعة البنجاب بلاهور. - نال الشهادة الجامعية (الليسانس) في القضاء من جامعة طهران. - تجاوزت مؤلفاته المائة عنوان في أبواب متفرقة من المعرفة باللغة الأردية والفارسية والعربية والانجليزية. إلى جانب دواوينه، وله تعليقات علمية على كتب فقهية عدة. - خطيب محاضر وقاض مرشد وكاتب مؤلف ومحقق مترجم وأديب شاعر. - باشر وساهم في تأسيس العشرات من المؤسسات الاجتماعية والإعلامية والثقافية والدينية في باكستان والمملكة المتحدة وغيرهما. - يتولى الان مجلس القضاء الشيعي الإسلامي بلندن.

العلمية، وقد تعرفت عليه عبر الكتب وعبر الأساتذة، وأتصور أن ذلك كان سنة (1965م أو 1966م) فكنا نحضر للدرس عند أساتذتنا، كانوا أيضاً يتكلمون عن السيد الشيرازي (رحمه الله)، وبعدها انتقلنا إلى قم المقدسة وذلك في سنة (1971م) أيضاً هناك في الحوزه كنت أدرس كفاية الأصول للمرحوم الآخوند في علم الأصول أستاذنا ذكر كتاب الوصول إلى كفاية الأصول للسيد محمد الشيرازي (رحمه الله)، فسألت عن الكتاب وعن المؤلف فقال إذا كنت تريد أن تفهم الكفاية يجب أن يكون لديك هذا الكتاب وكذلك عندما كنت أحضر درس المكاسب للشيخ الأنصاري (رحمه الله).

في إحدى المرات ذهبنا إلى أستاذ الفلسفة، وكان يدرسنا كتاب شرح المنظومة للسبزواري فذكر اسم الإمام الراحل (رحمه الله) وقال عليكم بشرح السيد الشيرازي.

حقيقة رأينا في جميع العلوم والكتب التي درسناها أن الأستاذ يذكر السيد الراحل (رحمه الله)، وينقل الكثير عن كتبه.

ومرة ذهبت إلى بيت أحد الأساتذة وسألته من هو هذا السيد الشيرازي، الشارح للكفاية والمكاسب والفلسفة، فبدأ الأستاذ حديثه قائلاً: أنا لا أعرفه معرفة شخصية، ولم أزره ولم أره، ولكن عبر كتبه فهمت هذه الشخصية العظيمة، وإذا أراد أحد أن يصل إلى مرحلة الاجتهاد، فيجب عليه أن يطالع كتبه!

فسألته أين يسكن. قال إنه من كربلاء المقدسة، وهو الآن في الكويت.

وبعد سنوات رزقني الله أداء فريضة الحج في سنة (1977م) ومن هناك ذهبنا إلى الكويت، وكان معنا أحد الأصدقاء من قم المقدسة وكان يعرف السيد الشيرازي (رحمه الله)، فقال يمكن أن نذهب ونزوره، فبقينا هناك يوم وليلة، وذهبنا إلى

السيد الشيرازي (رحمه الله) الذي رحب بنا كثيراً، وشجعنا وتشرفنا بزيارته، وبعدها أرشدنا إلى عدد من الأمور الأخلاقية والعلمية، وقد سألت سماحته (رحمه الله) : سيدنا لقد كتبتم في كل العلوم كتباً، فكيف تسنى لكم هذا التوفيق؟

تبسم وهو يقول: هذا من بركة الإمام الحسين (عليه السلام) ، ثم شجعنا على الكتابة قائلاً: يجب أن تكتبوا كل ما تدرسونه، فالكتابة تبقى والخطابة تذهب..

وطلب منا البقاء في ضيافته، وأهدى إلينا مجموعة من الكتب، وهو يقول: إنكم لن تستطيعوا قراءتها في موسم الحج، ولكنكم عند العودة بمشيئة الله تستطيعون مطالعتها.

كانت الفتره التي قضيناها برفقة السيد الشيرازي (رحمه الله) ، تقريباً حوالي ساعتين ونصف، وكان ذلك أول لقاء معه.

وأذكر أنه في ذلك الوقت كان شاباً ونحن كذلك، وقد طلبنا منه النصيحة في كيفية العيش في هذه الحياة وجعلها مثمرة، فقال: العلم والعمل كررها ثلاث مرات.

وبعد مرور سنتين على هذا اللقاء قامت الثورة الايرانية، كان جارنا قبل قيام الثورة سماحة المرحوم السيد علي الفالي، وكان يأتي لزيارتنا ويحدثنا عن السيد الشيرازي (رحمه الله) ، وأيضاً كان سماحة السيد محسن الخاتمي من الأصدقاء، وقد فتح أبواب عقولنا أكثر على سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ، وبعد أن نجحت الثورة جاء السيد الشيرازي (رحمه الله) إلى ايران، وقد ذكّرته بزيارتي له في الكويت، فقال لي لم تجدد الزيارة بعدها، فقلت له: سيدنا، لم أوفق حيث كانت رحلات الخطوط الجوية غير مؤاتية بشكل جيد.

وبعد أن استقر في مدينة قم المقدسة، وتعددت لقاءاتي بسماحته (رحمه الله) في

بيته وهو شرف كبير لي، حيث كنت أذهب إلى زيارته مع السيد محسن والسيد علي، وتعدت عند زيارته في كل أسبوع أن يعطينا كتاباً من كتبه الجديدة، وكنا نشتاقي إلى تلك الكتب، ولم أكن متعوداً على الذهاب إلى منازل مراجع آخرين في قم المقدسة.

وفي إحدى المرات، قلت لسماحته (رحمه الله): سيدنا اليوم لم تعطنا كتاباً جديداً، وأنا قد تعدت على أخذه كل أسبوع، فسأل أحد العاملين في مكتبه: أين الكتاب الجديد؟ فأجابه: ليس لدي علم، فقال له: كيف ليس لديك علم؟! اذهب إلى المخزن واثت بكتاب إلى الشيخ.

وجاء لي بأحد كتبه المطبوعة حديثاً، ونصحتني بالكتابة في مختلف المواضيع.

تجسيد الفضائل

وفي هذا المجال يمكنني القول أنني قد أخذت الكثير من المعارف من السيد الراحل (رحمه الله) في اللقاء الأول في الكويت، واللقاءات اللاحقة في قم المقدسة والتعرف إلى شخصيته، التي تجسد الكثير من معالم الإنسانية، وتجسد العلم والتقوى عملاً لا قولاً فحسب. فهو (رحمه الله) عندما يقول شيئاً يجسد قوله إلى عمل ملموس.

لقد كان وجوده حاضراً وفعالاً حتى خارج الحوزة، وجود يستضيء منه كل مؤمن، أذكر في إحدى المرات أنني سافرت إلى مدينة دبي، للقاء بعض الشخصيات في أوقاف الإدارة الشرعية الجعفرية، ودار هناك حديث عن مواضيع عديدة، وجاء ذكر السيد الشيرازي (رحمه الله) من خلال أطروحته عن النظام الشرعي في المجتمع، وهي أطروحة عجيبة، وذلك إن ما يقوله فيها لا يمكن تحقيقه في

الحاضر، ولكن بعد مرور الزمن يتحقق بعض الأشياء منها وكنا شهوداً على ذلك، فنكتشف أن نظريته تلك لم تكن تختص بذلك الوقت المحدد الحاضر، بل بالمستقبل، كان يتكلم عن المستقبل وعمّا بعد الظهور وأنه سيحصل كذا وكذا حسب الروايات.

واعتقد أن الله سبحانه وتعالى منحه فكراً خاصاً، وأيده بأداء الواجب بأسلوب خاص.

كل عالم ديني يؤدي واجباته أما السيد الشيرازي (رحمه الله) فكان يؤدي واجبه بأسلوب مختلف ومتجسد بكل المعالم والمعارف، وكان (رحمه الله) عندما يتكلم يتكلم عن واقع الأمور من خلال جوهرها، وليس الظاهر منها فقط.

الأخلاق الفاضلة

المعروف عن هذه العائلة الكريمة، وخاصة سماحة السيد الراحل (رحمه الله)، إنهم يمتلكون أخلاقاً طيبة، ومن مميزاته الأخلاقية (التواضع العلماني) وهو واضح من خلال أسلوبه العملي، وهذه طبعاً من الصفات الكريمة عند كل إنسان مؤمن، ولكنها تتجلى بأورع صورها عند الإنسان الذي هو مرجع ديني كبير، والذي يبين رسالات الله و يبين معالم أهل البيت (عليهم السلام) للناس فقد كان السيد الراحل (رحمه الله) حقيقة حاملاً لهذه الصفات الأخلاقية الكريمة بصورة متميزة.

مقومات النجاح

* ما هي مقومات نجاح السيد برأيكم؟

- أما بالنسبة إلى مقومات نجاحه فاعتقد أنه امتلك الإخلاص الشديد لله وهذه صفة مهمة للعاملين في سبيل إسعاد الناس وتوجيههم.

ص: 299

* كيف كان يستطيع النظر إلى الجوانب الإيجابية في القضايا المطروحة أمامه ولا ينظر إلى السلبيات منها؟

- لم يكن يأخذ الجانب السلبي في المسائل التي في متناول يده سواء اجتماعية أو فقهية أو سياسية رغم معارضته لها، بل كان يطرح الأمور الإيجابية الموجودة فيها، مثل شورى الفقهاء حيث أعطى رأياً معارضاً بصورة إيجابية، وكان لا يلجأ إلى المعارضة السلبية، فهو يعتمد على ما يتسلح به من معرفة علمية، والتي تعد سلاحاً إيجابياً مقابل باقي الأسلحة السلبية، وهذا ما أتصور أنه هو الذي كان يقوم نجاحه في كثير من قضاياها ومشاريعه العلمية.

التنظيم والتقوى

* كيف أسستكم منظمة علماء الشيعة؟

- جئت من باكستان مع مجموعة من الأخوة وذهبنا للقاء السيد الراحل (رحمه الله) قبل هجرتنا إلى قم المقدسة، لأخذ النصيحة والمشورة منه حول ما يمكننا عمله، وقد أشار علينا بالتنظيم، قبل أن يضيف: التنظيم مع التقوى، وعلى ضوء ذلك شكلنا منظمة علماء الشيعة في باكستان.

* هل كان هو من يدير تلك المنظمة بعد أن ارشدكم إلى تأسيسها؟

- كلا، كان السيد الراحل (رحمه الله) فقط هو المرشد، وهو من دلنا على الأمور التنظيمية، ونحن أسسنا وشكلنا تلك المنظمة في باكستان، وقد وفقنا في الكثير من الأمور العلمية والتبليغية نتيجة إرشاداته لنا، لأننا أصبحنا ننظر إلى قضايانا بصورة إيجابية ونترك السلبيات التي تعيقنا عن العمل رغم وجودها، وهو على حد تعبيره (السلب نتيجة السلب والإيجاب نتيجة الإيجاب).

* كيف كانت علاقته (رحمه الله) بالله سبحانه وتعالى وأهل البيت (عليهم السلام)؟

- ومن خصائص السيد الراحل (رحمه الله) المتميزة أنه كان دائماً يستدل ويذكر ويستند على الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة للنبي وآله (عليهم السلام) فكلما كان يذكر موضوعاً يذكر الآية وكنت أفكر كيف هو يأتي بالآية مع كل موضوع؟ وكان يأتي بالأحاديث للأئمة (عليهم السلام) مباشرة قال الإمام الصادق (عليه السلام)، قال الإمام الباقر (عليه السلام)، وهذه أيضاً من الصفات الخاصة به، لأن كل إنسان يريد أن يظهر شخصيته العلمسية يأتي ببيانه الشخصي ولكن هو كان يأتي ببيان إما من القرآن أو من الحديث أو الرواية لأهل البيت (عليهم السلام) هذا أيضاً من مميزات العلمية واعتقد أيضاً إن هذا من مقومات نجاحه الفكري ونجاحه العلمي ونجاحه التخطيطي ونجاحه التنظيمي، إضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى وفقه لهذه الأمور.

الكويت أم كربلاء المقدسة؟

ومن مشاريع النجاح هذه الحسينيات في الكويت، زرت مرة الكويت بعد وفاة السيد الراحل (رحمه الله)، فكان الأخوة الكويتيون يقولون أن السيد (رحمه الله) حوّل الكويت إلى كربلاء المقدسة قلت كيف قالوا هو أسس الحسينيات الكثيرة، وحب الإمام الحسين (رحمه الله) من مقومات النجاح مع التوكل والتوسل طبعاً.

الآراء السياسية

* وهل كانت له آراء سياسية لا يمكن الإفصاح عنها؟

- طبعاً كانت عنده مثل هذه الآراء على أسس سياسة الأئمة (عليهم السلام)، حيث يقارنها بالكثير من أمور الواقع وكيف هي بعيدة عنها، لهذا كان يواجه المشاكل

بسبب آرائه تلك، بالإضافة إلى شورى الفقهاء، وقد عارضها بعضهم وكان له موقف منها، لأنهم لم يمتلكوا الرؤية الكاملة لها، لكن السيد الشيرازي الراحل (رحمه الله) كانت لديه تلك الرؤية، وذلك الوضوح، فهو يقول هذا رأي علمي ويقرن ذلك بمباحث الحديث الموجودة في الفقه.

وقد كان عنده آراء خاصة بالكثير من المواضيع السياسية والتي يرى ضرورة تطبيقها في إيران وخارج إيران، قبل الثورة وبعد الثورة بمراحل وبأماكن مختلفة. وبسبب تلك الآراء واجه سماحة السيد (رحمه الله) المشاكل، رغم الإيجابية في طروحاته، ظناً من الآخرين أن آراء السيد الشيرازي هي سلبية كما يعتقدون.

تجسيد الصفات الأخلاقية

الحديث عن الإمام الراحل (رحمه الله) واسع ومتشعب، وأما بالنسبة إلى معلوماتي ولقاءاتي معه فقد حضرت في مجالسه كثيراً ورأيت فيه تجسد جميع الصفات الأخلاقية والتواضع والتوكل على الله والتوسل بأهل البيت (عليهم السلام).

وكان معروفاً بالأخلاق العالية التي أصبحت عنواناً بارزاً لمدرسته، لذا الآن يقولون إن الشيرازيين عندهم أخلاق وهذا في تصوري ميراث معنوي انتقل إلى نسله،

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽¹⁾ , طبعاً علماء كثيرون موجودون في الحوزات عندنا يؤدون وظائفهم الدينية لتبيين معالم ومعارف أهل البيت (عليهم السلام) ,

ص: 302

أما السيد الراحل (رحمه الله) فقد كان يتميز في أمر تبيين معارف أهل البيت (عليهم السلام) بأسلوب خاص وأنا أتذكر مرات حديثه عن موضوع التوسل، السيد الراحل (رحمه الله) ذكر أحاديث عديدة لأهل البيت (عليهم السلام) مبدياً التواضع الداخلي من قبل نفسه، وهذه من الميزات الشخصية وهو المقوم الاساسي لنجاحه،

فالسيد الشيرازي الراحل (رحمه الله) كان قد اتخذ أسلوب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونجح بالنسبة إلى المواضيع الاجتماعية الأخرى مثل التعامل مع الآخرين، التعامل مع الحوزات العلمية، التعامل مع المراجع، التعامل مع العلماء.

لقد رأيت السيد الشيرازي (رحمه الله) في كل المجالات يتخذ أسلوب النبي وآله (عليهم السلام) والأسلوب الإلهي، يعني التعامل على أساس حفظ حرمة الآخر واحترام الرأي الآخر والأخذ بأسلوب يؤثر بنفسية الآخرين من منظور تبيين معالم أهل البيت (عليهم السلام) عبر العمل، وهذا شيء مهم جداً أن يعمل الإنسان بما يقول القرآن الكريم حيث يقول: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)⁽¹⁾.

كان السيد الشيرازي (رحمه الله) يقول ويفعل، أو يمكن التعبير عن ذلك بصورة أخرى كان قوله مطابقاً لفعله، أو إن فعله يطابق ما يريد قوله.

العبادة والعلاقة مع الله

أما بالنسبة إلى عباداته وعلاقته مع الله عز وجل فقد كان (رحمه الله) يأخذ بنفس أسلوب الأئمة (عليهم السلام) إخلاصاً لله سبحانه وتعالى،

كانت العبادة تظهر على سيرته الشخصية، طبعاً كل عالم عابد، وهذا صحيح، وكل عالم يؤدي واجباته ويعبد الله سبحانه وتعالى وله علاقة مع الله،

ص: 303

لكن كلامنا عن الإمام الراحل (رحمه الله) ، وكما يقال إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، الإمام الراحل (رحمه الله) كان عابداً بأقوى تمثلات كلمة العبادة.

هكذا نقل لي ابنه الكريم آية الله السيد مرتضى الشيرازي (دام ظله)، فهو كان يصلي صلاة الليل ويطول بالدعاء والتعقيبات، وكان يقرأ أدعية خاصة ويبيكي عند قراءتها، فهو مثل ما نقل في الروايات عن الإمام السجاد يقرأ الدعاء ويبيكي، وهذا البكاء من صميم القلب المتعلق بالله سبحانه وتعالى، بالنسبة إلى عبادة السيد استطيع أن أعبر أنه كان شخصاً عابداً بالمعنى الكامل للكلمة.

احترام الآخرين

وأما بالنسبة إلى طريقة تعامله مع بقية المراجع، فهو كان يحفظ احترام كل المراجع حتى وهو يذكر المراجع القدامى يذكرهم كأبائه، ويذكر المعاصرين من المراجع باحترام كامل، وهذا من ميزاته الأخرى.

وهو (رحمه الله) ، لم يكن يقصّر في حفظ حرمة الشخصيات الأخرى، حتى لو كان في بعض الموارد يختلف مع هذا أو ذلك، كان يذكر اسم الآخرين بأحترام كامل وهذا أيضاً إحدى المقومات لنجاحه.

الأصل العمل

والحديث عن مواقف السيد الراحل (رحمه الله) بالنسبة إلى المواضيع العلمية والعملية، تجرنا إلى ما كان يعتقد وما اختص به وهو (أصالة العمل) وهذا الاختصاص بمعنى آخر هو إبداع بالرأي والموقف.

أصالة العمل، شكلت إضافة في الأصول الموجودة في أمهات الكتب والمباحث الحوزوية، واعتقد أنه إذا طبق هذا الأصل في المجتمع في شؤونه

المختلفة، يكون هذا المجتمع مجتمعاً إنسانياً كاملاً، لكننا ومع الأسف نشاهد في كل العالم مسلمين أو غير مسلمين مؤمنين أو غير مؤمنين كلهم ليس لهم اهتمام كامل بهذه الأصالة.

هنالك أسباب عديدة دعت السيد الراحل (رحمه الله) إلى التركيز على هذا الأصل، منها الضغوط المادية الكثيرة، والمشوقات والمشجعات للأمور المادية التي وصلت إلى حد جعلت الإنسان في أكثر أوقاته مشغولاً بالأمور المادية فقط، ولا يرى غير هذا المورد، حياته المادية والرفاه المادي.

طبعاً إذا كان مثل هذا الإنسان يتوجه ويلتفت في كل الأوقات إلى الأمور المادية المحضنة فلا يمكن له أن يتوجه إلى أصالة العمل الواقعي الواجب تحقيقه في حياته. والإمام الراحل (رحمه الله) كان يؤكد ويصر على تحقيق أصالة العمل في المجتمع وهذا هو من ميزاته.

الحريات

وأما الآراء الأخرى للإمام الراحل (رحمه الله) في شؤون المجتمع كالحريات واللاعنف وأخرى من هذا القبيل، فقد كان يتخذ لها موقفاً قوياً، وكمثال على ذلك: الحرية، حيث كان يؤكد على لزوم تحقيق الحرية في المجتمع بالمعنى الواقعي للكلمة، ويقول إننا كثيراً ما نتحدث عن الحريات وأما تطبيقها وتحقيقها عملياً فلا يوجد.

* هل يمكن أن تشرح لنا بشيء من التفصيل نظرتك إلى الحريات وإلى أي مدى وصلت تلك النظرة؟

- كان الإمام الراحل (رحمه الله)، وباعتباره مرجع تقليد وعالم دين، يعتقد بأن الحريات يجب أن تكون في دائرة الإسلام والدين لا خارجة عنها، وإلا فلا قيمة

لها، بل قد تعطي نتيجة سلبية، وكان يعتقد أنه يجب أن تطبق الحريات في المجتمع في دائرة الحكم الإلهي، حيث يضمن السعادة للبشر في الحياة، على مستوى الأفراد والمجتمع، فإن الحريات التي في هذه الدائرة هي أوسع من الحريات المطروحة في عالم اليوم، وكان يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأعطاه بفضل الإرادة والاختيار، فيجب أن لا تخرج الاستفادة من هذه القوى عن دائرة الشرع، وإذا خرجت فإنها توجب المفسدة، بل تنشئ المفسدة، فتفسد حياة الإنسان في الدنيا والآخرة. لهذا كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد على أن كل الحريات يجب أن تكون في دائرة الدين والشرع الإلهي المبين.

ومن المؤكد أنه كان يقيم الأدلة في الحقوق الاجتماعية لكل إنسان، كحق الحياة مثلاً، وليس لأحد السلطة على سلب هذا الحق.

فلكل إنسان الحق أن يحيى في هذه الدنيا ويتمتع بكل ما هو موجود من النعم الإلهية، وكما للحاكم الحق في كل ذلك، كذلك للآخرين.

الإرهاب الجسدي والفكري

وباعتقاد الإمام الراحل (رحمه الله)، أن اللاعننف والسلم وغيرها من الأمور تضمن حق الحياة للإنسان، في مجتمعات لا تخلو من العنف والإرهاب بشكل عام، ولا أقصد الإرهاب بمعناه العام من قتل النفس المحترمة، بل هناك إرهاب أشد أثراً من إرهاب القتل، وهو الإرهاب الفكري، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يصر بأن المجتمع يجب أن يكون خالياً من الإرهاب الفكري.

وكان يعتقد بأن الحوزات العلمية الموجودة عندنا تعمل على تبليغ ما هو الحق للناس لكي لا يؤثر أحد من الإرهابيين على الفكر، وأكد أن الإرهاب الفكري أشد فساداً من الإرهاب الجسدي.

كان يؤكد أننا يجب أن نعارض الإرهاب الفكري من أجل ترسيخ الأسس السليمة للحياة والمجتمع.

وكان يؤكد في كتاباته وخطاباته أنه يجب على كل واحد من العلماء والمثقفين وعلى كل مؤمن أن يقوم بدوره مقابل الإرهاب الفكري، فأنا كرجل دين دوري في مقابل الإرهاب الفكري بالكتابة والخطابة وبيان الحق، والمثقف دوره في دائرة عمله حسب منهجه الموجود وحسب طاقاته واستعداداته، والشخص الذي عنده مال وليس لديه علم هو يقوم بدوره في دائرة عمله ويعارض الإرهاب الفكري، يعني يقطع طرق الإرهابيين الذين يريدون أن يسلبوا حق الحرية للإنسان، تلك الحرية التي منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان، فمع (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (1) كما في الآية الكريمة إلا أن الآية الأخرى تنص على أنه: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (2) و(إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (3) الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى حراً فلماذا الإنسان الآخر يأتي ويسلب هذا الحق ويقوم بأعمال لسلب هذه الحرية؟

هذا هو الإرهاب الفكري، أنا أريد أن افكر بأي شيء اعتقد بصحته حسب قناعاتي، ولكن شخصاً آخر يأتي ويجبرني على اعتناق ما أرفضه كما نرى من هؤلاء الإرهابيين والجماعات التكفيرية، إنهم يكفرون كل شخص، يدعون إنهم مسلمون، حتى في أيام الحج والعمرة لا يعطون الحرية للشخص المسلم الآخر ليتمتع بمذهبه ودينه، هذا هو الإرهاب الفكري.

ص: 307

1- سورة آل عمران: 19.

2- سورة البقرة: 256.

3- سورة الإنسان: 3.

الإمام الراحل (رحمه الله) كان يعارض بقوة ويعطي الأفكار السديدة في مقابل هذا الإرهاب، وهو نفسه كان له دور كبير في سد باب الإرهاب ومعارضته، وفي كتبه الموجودة نرى تأكيده على ما كان يعتقد، وهو تأكيد يستند إلى القرآن الكريم حيث يؤكد على التذكير بقوله تعالى: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى) (1)، إنه تذكير نافع، فكان يذكر لكي نتنبه.

هذا كان دأب الإمام الراحل (رحمه الله) في بياناته، أنه يرغّبنا ويشجعنا ويشجع كل الشيعة أن يحاربوا الإرهاب الفكري بكل قوة.

لذا كان يعتقد بالسلام واللاعنف، ولهذا الغرض أعطى الكثير من الأطروحات الممتلئة بالإرشادات الصحيحة للإنسان والتي تظهر بوضوح في كتبه ومحاضراته.

من ميزات الإمام الراحل (رحمه الله)، أنه كان يعطي إلية العمل ويبين كفيته وهذا هو المهم، ليس فقط عرض الآراء بل كان يعطي الإرشاد الصحيح للتطبيق المقصود في مقابل الإرهاب الفكري والعملي، أي أنه كان يبين طرق المعارضة والمحاربة.

نظرة إلى واقع المسلمين والغربيين

كان دور الإمام الراحل (رحمه الله) دور إرشاد وتوجيه إلى الطرق الواقعية للتطبيق، وهذه من أهم الخصائص المميزة له، وقد كان يشاهد ما يقع في الغرب ويقول إن هؤلاء الغربيين يخططون ضد المسلمين فلماذا لا نتنبه؟! يجب أن نتنبه ونتوجه إلى معرفة مخططاتهم الفاسدة.

ص: 308

وكان يعتقد أن جميع ما يخططون له لا يعطي النتيجة المطلوبة لهم، لأن مستقبلهم مستقبل فاسد، فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وكان يعتقد أن الغربيين كل ما يخططون له فإن مصيره الفشل، وذلك من خلال سياق الآية الكريمة: (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (1) بشرط الإيمان، والإيمان يقتضي العمل وهو ما سماه (أصالة العمل).

فالمجتمع السليم الإنساني الإلهي الديني، هو المجتمع الذي تكون فيه الحريات الحقيقية للإنسان، وليس لأحد أن يسلب هذا الحق عن الآخر، وهو ما كان يؤكد عليه كما في كتابه (الفقه - الاجتماع) حيث ذكر طرقاً عديدة لسلامة المجتمع من الفساد.

وسائل الإعلام

أذكر أنني كنت حاضراً في إحدى مجالس الإمام الراحل (رحمه الله)، ودار الحديث فيه عن وسائل الإعلام والفضائيات، وقد تحيرنا كثيراً مما طرحه حول إنشاء وتأسيس فضائيات إسلامية في ذلك الوقت المبكر من ظهور القنوات الفضائية، ومصدر تحيرنا أننا كنا نفكر بأن مثل هذا العمل هو عمل حكومي، فالحكومات والدول هي التي تقوم بإنشاء وتأسيس القنوات الفضائية، لا رجال الدين ولا المؤسسة الدينية، ولكن بعدما تحققت مثل تلك الأفكار، وشاهدنا ظهور الكثير من تلك القنوات الفضائية، توصلنا إلى نتيجة مفادها، إن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يفكر في المستقبل، ويفكر فيه عميقاً، وكان يرى أن للفضائيات الدور الكبير لمستقبل البشرية، وفي إرشاد وتوجيه وهداية الناس وهكذا هو واقع الحال.

وأذكر في إحدى المرات، إن الإمام الراحل (رحمه الله) تطرق في حديثه عن

ص: 309

وسائل الإعلام ومنها الجرائد والمجلات وقال إن تلك الإصدارات لها دور كبير في تثبيت العقيدة، فيجب أن نكتب في الجرائد والمجلات المقالات القوية المبتنية على الآيات الكريمة وأحاديث الأئمة (عليهم السلام)، وكان يؤكد على هذا الأمر تأكيداً عملياً، من خلال تشجيعنا على الكتابة، وكنت واحداً من الذين شجعني على الكتابة، واعتقد أن تشجيعه لي كان له الأثر الكبير في حبي للكتابة واستمراري عليها.

وحين كنت ألتقيه في مناسبات متفرقة وأشرف بحضوره، كان يسألني ماذا كتبت؟ فكنت أجيبه بأنني طالب علم أريد الدراسة وليس لدي وقت للكتابة، وكنت وقتها في مرحلة درس الخارج، فكان يقول: ما تدرسه الآن اكتبه واحتفظ بكتابتك تلك، ففي المستقبل سيكون لديك كتاباً كاملاً عنه.

وأذكر أنه عاود طرح سؤاله علي بعد أشهر ماذا كتبت؟ فأجبت قائلاً: لقد قمت بكتابة موضوعات دروسي، فقال: ما شاء الله، ما كتبتة سيصبح كتاباً في المستقبل. وكان موضوع ما كتبتة تلك الفترة موضوعاً عن الميراث، وبعدها بفترة عرضت على سماحته كتيباً صغيراً بخط اليد، حول النظام السياسي للإسلام باللغة الفارسية، ولشدة سروره أمر بطباعته، وقد أخبرته وقتها أن الكتاب بحاجة إلى تصحيح، وليست لدي الخبرة الكافية لذلك، لكنه طمأنني قائلاً: لقد عملت جاهداً، واعتقد أن كل ما كتبتة صحيح. وقد طبع هذا الكتيب في إيران باسم (نظام سياسي إسلامي) بالفارسية.

المنبر الحسيني

ويمكن أن نذكر الكثير حول المنبر الحسيني، ودور الإمام الراحل (رحمه الله) في التشجيع عليه والاهتمام به، فقد كان (رحمه الله) ينظر إلى المنبر الحسيني نظرة أساسية

للتطبيق، ويقول هذا المنبر نعمة ببركة الحسين (عليه السلام) ونستطيع من خلاله أن نبلغ رسالاتنا إلى العالم، ولا يوجد في أي دين أو مذهب مثل ما يوجد لدينا عبر المنبر الحسيني.

وهذا هو الواقع، فالمنبر الحسيني سبب إحياء الدين، وهو أكبر وسيلة للإرشاد والهداية، وأكبر وسيلة للنصيحة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الإمام الحسين (عليه السلام) وهذا هو المقصود الحقيقي من قيام الإمام الحسين (عليه السلام) بنهضته المباركة.

والمنبر الحسيني يقوم بدور الأمر والنهي بشكل سهل وواسع، والذي يجلس في المجالس الحسينية ويسمع الحديث الحكيم والكلام النوراني ويأخذ معارف كبيرة، سوف يسعى ليطبق هذه المعرفة في الحياة كلما وفق للتطبيق فيها.

في تشجيعه للمنبر الحسيني، كان يطلب من الخطيب أن يكون عارفاً بمختلف الأمور، ويجب أن يبلغ الناس ما هي وظيفتهم في الحياة بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى خالقهم وربهم، وبالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام)، ويطلب الخطيب أن يوجه ويشجع الناس إلى أداء حقوق الله وحقوق الناس، وذلك من خلال توضيح العبادات والمعاملات، ولأجل كل هذه الأمور لابد وأن يكون الخطيب الحسيني مطلعاً بمختلف مناحي الحياة ليقوم بدوره الواسع وبتربيت الناس وجلبهم إلى طريق الحق.

وكان يطالبنا دائماً بتوسيع وظائف المنبر، وكان يقوم بتأسيس الحسينيات لأجل إرشاد الناس، وله أكثر من كتاب حول الموضوع، منها: (الاستفادة من عاشوراء) و(رسالة المساجد والحسينيات) إضافة إلى توجيهاته الكثيرة بهذا الخصوص في محاضراته ولقائه.

وأذكر أنه كان لدي قبل أربعين عاماً، كتيب صغير مطبوع في كربلاء المقدسة، وهو عبارة عن إرشادات وجهها الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الخطباء، وهو ما يدل على اهتمامه بالمنبر الحسيني، وكنت كثيراً ما اسمعه يردد على لسانه الحديث النبوي الشريف: «إن الحسين .. مصباح هدى وسفينة نجاة»⁽¹⁾، ويتساءل: هل ركبنا هذه السفينة أو أصبحنا خارجها؟

وكان يفسر الأحاديث النبوية الشريفة، ويذكر في أحاديثه بعد فقرة وأخرى، كلام الإمام المعصوم (عليه السلام) وكان يقول في رواية كذا ورواية كذا وتعودنا أنه يذكر الرواية بدقة شديدة، وكان يتنقل بين الروايات والأحاديث للأئمة (عليهم السلام) بمنتهى السهولة واليسر فيذكر رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) لاتباعها بعد ذلك برواية للإمام الباقر (عليه السلام) ثم ينتقل إلى رواية أخرى للإمام الكاظم (عليه السلام)، وكان يؤكد دوماً على أهمية كلام المعصوم (عليه السلام)، لما فيه من معارف، ويجب علينا أن نتوسل إليهم بكل المعارف، والمنبر الحسيني يضمن لنا مثل تلك المعرفة لهم.

دور المرأة في المجتمع

أما بالنسبة إلى دور المرأة في المجتمع الإسلامي، فقد كان يعتقد أن المرأة لها دور كبير في التربية، لأن التربية الصحيحة تبدأ في حجر الأم، الأم بمقدورها أن تربي أولادها تربية صحيحة أو فاسدة، وعليه يجب توجيه المرأة ويجب إرشادها، لأن سعادة المجتمع الإسلامي تقوم عبر هذه التربية.

فالبيت المدرسة الأولى للطفل، وحجر الأم هو المصدر الحقيقي للتربية،

ص: 312

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 60.

وكل ما يصلح الأم يصلح التربية، وبالتالي يتأسس المجتمع الصالح.

لذا كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد أن تكون المرأة عالمة، عابدة، صالحة، وعارفة بأمور التربية الإسلامية الصحيحة، وكان يذكر قصة أحد العلماء، الذي لا يحضرني اسمه الآن، وهو رجل دين وعالم كبير كانت أمه تتوضأ قبل أن ترضعه، يعني أنه أخذ اللبن من الأم على الطهارة، طوال فترة الرضاع، فأصبح عالماً جيداً صالحاً ومصلحاً.

فالتربية الإسلامية الصحيحة والواقعية والإنسانية والإلهية عبر الأم، ودور المرأة دور كبير في الإسلام، أعطاهما الكثير من الحقوق، لكننا مع الأسف في مجتمعنا نسلب حقوق المرأة كثيراً في الكثير من الموارد، مثلاً بعض الأفراد يتمسكون بالآية الكريمة: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)⁽¹⁾، ليفرضوا رأيهم على المرأة لأن الآية تنص على أن الرجل هو الحاكم وهذا فهم خاطئ وليس بصحيح، ف(القَوَّامُونَ) تعني يقومون بأمورهن، أي تقع على عاتقهم مسؤولية أمورهن، لا-أنهم قوامون بمعنى الحاكمون، فليست هنالك حكومة بين الزوج والزوجة، بل علاقة إنسانية كما يرى الإمام الراحل (رحمه الله)، وكل واحد منهما مسؤول عن تربية الأولاد تربية صحيحة، والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من ذكر وأنثى ويقول: (إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)⁽²⁾ التقوى هي الأساس للإنسان المتقي، ويستحيل أن يسلب المتقي حق الإنسان الآخر، فالمتقي يؤدي حق الآخر، والمتقي يؤدي حق الله وحق الناس، المرأة إذا كانت صالحة وكانت

ص: 313

1- سورة النساء: 34.

2- سورة الحجرات: 13.

مؤمنة، تكون تربيتها للأولاد تربية صحيحة سليمة الإهية دينية، فيكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً صالحاً.

هذا هو دور المرأة في المجتمع الإسلامي، كما كان يؤكد الإمام الراحل (رحمه الله)، ليكون المجتمع على الأساس الصحيح ولا يفسد ولا يكون فيه ما يخرب تلك التربية وتلك التنشئة، لأن المرأة تقدر أن تحوّر المجتمع وتقدر أن تصلح، فلها دور كبير، ولالإمام الراحل (رحمه الله) في هذا المجال آراء قيمة لتوجيه المرأة ولإرشادها إلى وظائفها ومسؤولياتها، ذكر الكثير منها في كتبه ومحاضراته.

والأمر الذي يرتبط بهذا الموضوع هو نظرة الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الأطفال والشباب، وهذا الرابط هو التربية، فإذا كانت التربية صحيحة، يكون الطفل فرداً في مجتمع صحيح صالح، وإذا كانت تربية فاسدة يكون الطفل مصدراً للفساد داخل المجتمع.

وكذلك الشباب، فهناك الكثير مما يجذبهم، وهم في هذه المرحلة من العمر، مثل الجمال والمال والجاه، فيريد أن يستمتع بها ويستفيد منها، وهي موجودة بكثرة في مجتمعاتنا، لذا من الضروري إرشادهم إلى الطريقة الصحيحة للإستفادة منها، وأن يستمتع بالطريقة الصحيحة لا الفاسدة، أي بعبارة أخرى، إن الإنسان بطبعه يريد أن يأكل لسد الجوع، وأن يشرب لإرواء العطش، وأن يلبس لستر العري أو التجمل، لكن يجب عليه أن يأكل حلالاً ويشرب حلالاً ويلبس حلالاً، والشاب الذي يعيش في المجتمع الصحيح السليم، يستحيل أن يميل إلى الحرام..

فالإمام الراحل (رحمه الله) عنده آراء حول الشباب، وكان يؤكد أنه يجب أن تقوم بدور كبير لإرشادهم وتربيتهم لأن هؤلاء هم أبناء المجتمع في الحاضر

والمستقبل، فيجب أن نبني أساسهم على التربية الصحيحة ونوجههم وميولهم إلى الحلال عن طريق مشاريعنا الفكرية، وكان يؤكد أن أهمية تربية الشباب تدعونا إلى أن نقوم بدورنا المنوط بنا، وأن نقوم بمسؤولياتنا قبالها.

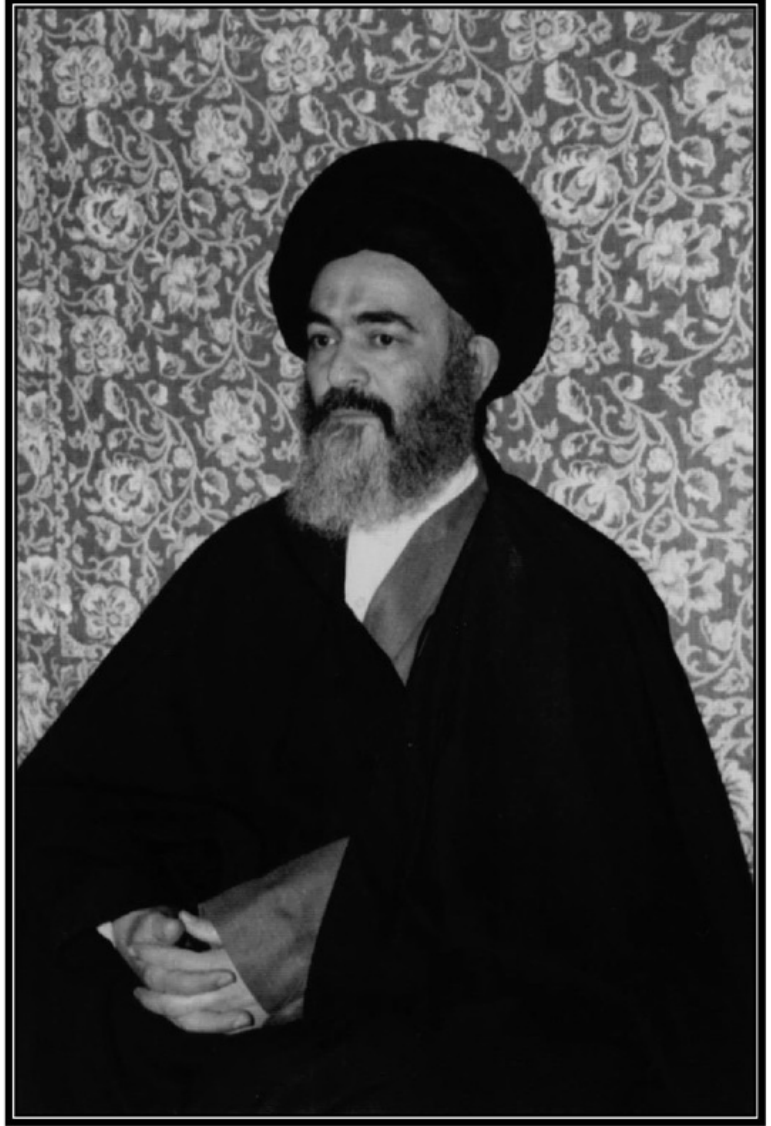
وكان يشجع الشباب على البرامج التعليمية الواسعة.

صفات نائب الإمام (عليه السلام)

* وفي نهاية المطاف كيف تصفون الإمام الراحل (رحمه الله) حسب معرفتكم له ؟

الحديث عن الإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) ليس بالسهل واليسير، وليس حديثاً عن شخص، بل هو عن مزاياه الشخصية وعن صفاته الكريمة، من العلم والعمل والجهاد والتقوى والفضيلة والكمال، وأعتقد أن السيد الراحل (رحمه الله) كان حاملاً لجميع الصفات لنائب الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في هذا العصر علماً وعملاً.

ص: 315



إذا أردنا أن نتحدث عن شخص من الأشخاص فلا شك في أننا نعيشه بشكل مباشر، أو أن نَعتمد إلى مَنْ كان يعاشرهم، ويعيش معهم، ويتقلبون جميعاً في هذه الحياة بكل ما فيها من أفراح وأتراح..

وأما إذا أردت أن تتحدث عن عالم من العلماء فإنك تعتمد إلى شيوخه إن استطعت، وإلا فإنك تتوجه إلى طلابه وتلاميذه الذين نهلوا من علومه ومعارفه، وكلما كان التلميذ أقرب كان الحديث معه أنسب..

وإذا أردت أن تتحدث عن نابغة من نوابغ الدهر، ومفكر من مفكري العصر، فإنك - بداية - تتهيب المقام وتدخل باحترام إلى محرابه المكمل بالعلوم والحكمة، فتقف على الأعتاب وتقلب النظريات العلمية والآراء النقدية والاستنباطات المبتكرة، وتأخذ بالحديث عن جانب من جوانب النبوغ والعبقرية في شخصية ذلك العملاق الذي تتحدث عنه..

ولكن إذا أردت أن تتحدث عن مرجع كبير، وقامة دينية شامخة، فإن المقام مهيب لما له من الحرمة والقداسة؛ لأن المرجع ظل المعصوم، أو هو نائب المعصوم - كما يعبرون - في هذا العصر..

فكيف إذا أردت أن تتحدث عن شخص هو إنسان، وهو عالم كبير، ونابغة من نوابغ الدهر، ومفكر من أكبر مفكري العصر، ومرجع عملاق من أعظم مراجع هذا الزمن.. فإن الحديث سيختلف تماماً والنظرة ستكون واسعة، لأن الرحاب شاسعة.

نعم، إننا اليوم نريد أن نتحدث عن (أستاذ الفقهاء) و(سلطان المؤلفين) و(نابغة القرن العشرين) المرجع الكبير، والعالم الخبير آية الآيات، ومحقق الروايات، المجدد لما مُحي من معالم الدّين الحنيف الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (قُدس سره وعُطر رسمه) ..

ونلتقي في هذه الإطالة مع أحد طلابه المقربين، ومرافقيه في مسيرته سماحة الشيخ حسن الأصفهاني ليحدثنا عن تجربته الشخصية مع أستاذه الراحل (رحمه الله)، لأنه ممن قضى عقوداً من السنين في درسه وخدمته نسمع له ماذا يقول .. وبماذا يجيب عن أسئلتنا التي حملناها وتوجهنا إليه بها ..

التعريف بسماحة الشيخ الاصفهاني

* بكلمات موجزة، كيف يمكننا أن نتعرف على الشيخ الاصفهاني؟

- أنا العبد الفقير إلى رحمة ربه الشيخ حسن الأصفهاني، ولدت في (1948م) الموافق (1327) هجري شمسي، ليست لدي مؤلفات، ولكن مارست الخطابة الحسينية في بداية حياتي في مدينة كربلاء المقدسة، حيث كنت أقرأ مقدمة لمجلس الشيخ المرحوم أحمد سيوييه (1)

في محلة باب الخان (2)، فقرأت لعشرة أيام فأهدوني مبلغ (ربع دينار) مازلت احتفظ به إلى الآن، وقد كتبت عليه لأول مجلس قرأته على الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة..

ومنذ البداية انتسبنا في مدرسة الحفاظ، ومن هناك انطلقنا كل حسب جهده واجتهاده، وبدأنا بالعمل وكنت أشارك كثيراً في المجالس، ولكن أصدقائي

ص: 320

1- الخطيب والعالم الجليل الشيخ ميرزا آل سيوييه من أسرة علمية جلييلة هاجرت من مقاطعة يزد في إيران إلى كربلاء المقدسة وقطنتها.

2- من المناطق القديمة القريبة من حرم أبي الفضل العباس (عليه السلام) في كربلاء المقدسة.

ورفاقي من الخطباء، وأصحاب المنابر الآن لم يكونوا يشوقوني ويشجعوني لارتقاء المنبر وتطويره شيئاً فشيئاً؛ ولذا فهجرت المنبر للأسف الشديد..

وفي سنة (1391 هـ) وصلنا إلى إيران، وارتقت المنبر لأول مرة في قريتنا (سده) التابعة لمدينة (أصفهان) ثم تتالت المسألة عن أطراف مدينة (أراك) ومن ثم مدينة (إيلام) إلى ما بعد الثورة حتى سنة (1396 هـ) حيث كنت أقوم بتوجيه ومساعدة الناس وخدمتهم التي أمر بها الدين القويم هناك، ثم التحقت بمكتب السيد الإمام الشيرازي (رحمه الله) فتركت المنبر والخطابة، من كثرة المسؤوليات الملقاة على عاتقي في خدمة السيد الإمام الراحل (رحمه الله).

* ما كان عنوان عملك في مكتب السيد الراحل (رحمه الله) في قم المقدسة، فهل كنت مديراً للمكتب؟

- أول دخولي للمكتب وبيت السيد الإمام (رحمه الله) كان تحت عنوان (مسؤول اللقاءات والزيارات) أي منسق ما يخص السيد الراحل (رحمه الله) بهذا الخصوص، وأرافقه في كل زيارته؛ وكنت كذلك إلى أن جاء السيد محسن الخاتمي وصار مسؤول المكتب والبيت كله.

وفي هذه الأثناء أضاف لي مسؤولية جديدة وهي مسؤولية (الحراسة الشخصية للسيد الراحل (رحمه الله)) فتنظيم الحرس وتعيينهم، ومتابعة ما يخصهم كلها كانت بيدي، فكنت مسؤولاً عن تدريب وتربية هؤلاء للتعامل الأخلاقي مع كل الداخلين والخارجين من المكتب، وطريقة التعامل مع أعضاء المكتب وضيوفه وزواره.

ثم أنيطت بي مهمة جديدة وهي مسؤولية (الرواتب الشهرية) فكنت أرسل الأشخاص لتوزيع الرواتب وأحياناً كنت أرافقهم لتوزيع الشهرية، لاسيما بعد أن خرج السيد الخاتمي من إيران ..

فكنت أوزع الرواتب على كل العاملين في بيت ومكتب السيد الراحل (رحمه الله)، إلا بعض الأفراد حيث كان لهم علاقة خاصة بالسيد الراحل (رحمه الله) فيأخذون منه رواتبهم مباشرة.. كالشيخ ناصر الأسدي، والشيخ فاضل الصفار وغيرهم.

واستمر ذلك إلى عدة أعوام، كل هذه القضايا منوطه ومعلقة بي شخصياً، إلى أن جرت الأحداث والمضايقات للسيد الراحل (رحمه الله) وكل من يعمل معه، وكلُّ أخذ نصيباً من ذلك، فبعض أودع السجن، وكثير منهم تعرض لأنواع كثيرة من التعذيب، وبعض هرب متخفياً يترقب إلى آخره، أما أنا فأبعدوني إلى أصفهان، ولا زلت فيها، وقد وقفتنا لبناء مسجدين باسم مسجد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، واستمر بنا الحال إلى عام (1980) فكنت أصلي الجمعة وأقيم الجماعة هناك، وارتقي المنبر أحياناً في المسجد المذكور.

ولكن رأيت أن المسافة بعيدة بين مكان إقامتي والمسجد، فتركت الذهاب إلى المسجد، علماً أن في جانب المسجد حسينية باسم (أصحاب الكساء). ومسجد (الإمامين المرتضى والمنتظر (عليهما السلام)) والبناء الآن قد اكتمل، وعينت إماماً لصلاة الجماعة، وأكون مسؤولاً لرواتبهم ومصاريفهم وذلك من عام (1413 هـ) وحتى الآن، وهذا ملخص عن حياتي في بيت السيد الإمام الراحل (قدس سره وعطر رسمه)..

وعلى كل حال.. أنا من أنا؟ وما أنا إلا عبد من عباد الله، وفقني الله سبحانه وتعالى لأكون بخدمة ذلك الإنسان العظيم مجدد القرن الماضي، فدعونا نتحدث عن الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (رحمه الله تعالى).

حديث البدايات

* متى كانت معرفتكم بالإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (أعلى الله

* وما هي ذكرياتكم الأولى معه؟

- معرفتي بالإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) كانت مبكرة جداً، فمنذ الطفولة وقبل سن التكليف حتى، وربما كنت في التاسعة من عمري حيث كنا أطفالاً ونذهب إلى الصحن الحسيني الشريف - مع زملائي ورفاقي وأقراني - لنؤدي صلاة الجماعة بإمامة الإمام الراحل (رحمه الله) حيث كان ماليء العين والبصر، وشاغل كل الأجيال في كربلاء المقدسة فالكل يتحدث عن السيد الشيرازي، من البقال وحتى كبار الرجال، وكذلك النساء والأطفال.

وأوائل تلك الذكريات الندية، والبدايات المرضية كانت من انتسابي إلى مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) الأهلية في كربلاء المقدسة حيث واصلت الدراسة فيها حتى نهاية المرحلة الابتدائية (الصف السادس).

وأذكر جيداً أننا عندما كنا في الصف السادس جئنا إلى المدرسة (الشيخ نديم الطائي) وهو الذي درّسنا مادة التاريخ وكنا مجموعة من أبناء كربلاء المقدسة من أمثال: السيد عبد الحسين القزويني، والشيخ علي حيدر المؤيد، والسيد هادي القزويني، والسيد مهدي القزويني، والشيخ رضا داعي الحق وغيرهم من أبناء العوائل المشهورة في كربلاء المقدسة.

وأذكر جيداً أن لهجة الشيخ كانت قريبة إلى اللهجة الموصلية، وكنا نظن أنه من أبناء العامة في بداية تدريسه لنا، فهذه كانت أوائل الذكريات لي في كربلاء المقدسة.

وفي تلك الأيام والأثناء أذكر أن سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) استدعانا - أنا والشيخ علي حيدر المؤيد، والشيخ رضا داعي الحق - بعد مداوات ومناقشات أفتعنا بضرورة ولزوم الدخول في صفوف طلاب العلم الديني،

وأفنعنا بالتزبي بزي رجال الدين من عمامة وتوابعها والالتحاق بالحوزة العلمية.

وأذكر أن ذلك تمّ بمراسيم لطيفة ومشجعة - أذكرها ولا أنساها - حيث كانت في بيت السيد الراحل (رحمه الله) الكائن في شارع الإمام علي (عليه السلام) وخرجت من منزله تلك الليلة بلباس طلاب العلوم الدينية.

وبالفعل التحقت بالحوزة العلمية ونجحنا في ذلك الامتحان منحنا (ديناراً واحداً) هدية وكجائزة لنا على مجهودنا ودراستنا.

وبعد ذلك التحقت بمدرسة (حفاظ القرآن الكريم) ولكن بعنوان معلم تشجيعاً لي ومساعدة بنفس الوقت لأننا كنا نعاني - حقيقة - من نقص الأموال والسيولة النقدية في تلك الأثناء، فالوضع الاقتصادي العام، وخصوصاً في كربلاء المقدسة كان ضاغطاً على الجميع.

واستمرت علاقتنا بالسيد الإمام الراحل (رحمه الله) على هذا المنوال إلى أن اعتقل الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) وسجن، ثم توارى واختفى السيد الإمام الراحل (رحمه الله) عن الأنظار تلك الفترة المعهودة من الزمن الصعب، والأيام العجاف.

ومما يذكر هنا أن السيد مجتبي الشيرازي (حفظه الله) بعث إلي في تلك الأيام بعض الرسائل - بطريقة خاصة - لكي أوصلها إلى أصحابها خفية وبطريق مختلفة، منها أني اشتريت بعض الفواكه والخضار وذهبت إلى بيت السيد في شارع الإمام علي (عليه السلام) وأوصلتها إلى أصحابها ورجعت.

رسائل مختلفة

* ماذا كان مضمون تلك الرسائل، هل تذكرين؟!

* وهل من رسائل أخرى أوصلتها شيخنا؟

- هذه الرسائل كانت مخصصة لأشخاص معينين ومغلقة، ولم أكن مخولاً

بفتحها أو الإطلاع عليها أو على مضمونها.

نعم، كانت هناك رسائل أخرى من سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) شخصياً أعطاني إياها لكي أوصولها إلى السيد محسن الخاتمي، والشيخ ضياء الزبيدي في السجن حيث اعتقلا ووضعوا في السجن، تلك الرسالة استسختها بورقة ثانية أعطيتها إياها وتركت الأصل معي، وبقيت محتفظاً بها إلى أن اعتقلت في إيران، فصادرتها السلطات فيما صادرت من وثائق وما شابه من مقتنيات شخصية وأمانات.

وأذكر أن السيد والشيخ أطلق سراحهما في منتصف الليل، ولم يطل سجنهما كثيراً.

كما أذكر أن الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) في عام (1373 هـ) أعطانا بعض الرسائل إلى مراجع وأعلام إيران بخصوص البقيع وضرورة السعي لإعادة بنائه، وكانت موجهة إلى السيد الكلبيكاني (رحمه الله)، والسيد شريعتمداري (رحمه الله)، بختم يده فأوصلنا تلك الرسائل إلى أصحابها، وأخذنا الإجابات عليها ورجعنا إلى السيد (رحمه الله) بها.

ومما أذكره بأن السيد المرحوم شريعتمداري (رحمه الله) قال: هذه الرسالة الثانية تصلني من سماحة السيد ونحن سوف نسعى جهدنا في ذلك. ولكن السيد المرحوم الكلبيكاني (رحمه الله) لم يكن موجوداً فاستلم الرسالة ابنه المرحوم السيد مهدي.

كما أننا حملنا رسالة أخرى وبذات المضمون إلى المرحوم الشيخ مرتضى الحائري حيث اعتذر لنا بكلام طويل ولكن مما قاله لنا: بلغوا سلامي لسماحة السيد، وسأسعى جهدي لذلك إن شاء الله.

والذي أذكره في هذا الأمر أن السيد الشريعتمداري (رحمه الله) أهدانا (15 تومناً)

عندما خرجنا من عنده ..

كما أنني أذكر جيداً عندما كنت مع السيد علي الفالي (رحمه الله) نوزع شهرياً لقرابة (1000) ألف طالب حوزوي كهدية شهرية مبلغاً (من 20 - 40) تومانياً في المدرسة الفيضية، حيث كنا نخصص غرفة الشيخ محمد حسين الأعلمي لأجل ذلك ونستمر لمدة ثلاثة أيام من كل شهر، وذلك قبل مغادرة سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) العراق إلى إيران، ولا أعلم الآن - حقيقة - لماذا لم نكن نستطيع توزيع الشهرية في نفس المكان (المكتب أو الحوزة)؟

فهل كان المانع ازدياد عدد الطلبة أو شيء آخر لمحظور سياسي أو منع أممي؟! لا أعلم بالضبط، ولكن الذي أذكره أننا انتقلنا بعد ذلك إلى بيت ومنزل السيد أحمد الفالي لتوزيع الشهرية من هناك ولمدة ثلاثة أيام أيضاً، واستمرينا على ذلك إلى أن انتقلنا مع السيد الراحل (رحمه الله) إلى إيران عام (1379 هـ).

كما أنني أذكر وصول سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) إلى إيران حيث اتصل بالسيد علي الفالي (رحمه الله) وقد أخبره بوصول السيد الراحل (رحمه الله) فأخذه السيد علي إلى منزل والده السيد أحمد الفالي (رحمه الله) حيث كنت حاضراً في أول طعام يصنع لسماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) يومها، ومن ثم انتقل سماحته إلى بيت السيد علي الفالي (رحمه الله).

وفي الأيام الأولى من تلك الفترة طلب مني السيد مجتبي أن أرافق السيد الإمام (رحمه الله) في زيارته للعلماء والمراجع كعادة العلماء والسيد الإمام (رحمه الله) بالخصوص، وذلك لأنني كنت أرافق السيد مجتبي في معظم زيارته للعلماء هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنني كنت على معرفة واسعة ببيوت العلماء وعناوينها فكانت دليل سماحته للوصول إلى المقصود دون عناء ولو بالسؤال.

ص: 326

والسيد مجتبي طلب مني أن أكون بخدمة سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) تقبلت هذه المكرمة، وبقيت مع سماحته (رحمه الله) إلى أن ألقى عليّ القبض من السلطات الأمنية واعتقلت.

ففي تلك الفترة كنت بخدمة سماحة السيد (رحمه الله) ورافقته في كل زيارته التي قام بها، وحتى رد الزيارات من قبل العلماء أيضاً، فقد كانت أيام حركة ونشاط.

ومما أذكره في هذا المقام، أننا كنا في زيارة للسيد الكلبايكاني (رحمه الله) وذلك قبل قضية المرحوم السيد شريعتمداري (رحمه الله)، والحجر عليه بإغلاق باب بيته بليلة واحدة فقط، تلك القضية المعروفة والمشهورة.

ففي تلك الأثناء زار سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) الكثير من الأعلام والمراجع الكرام كالسيد شريعتمداري (رحمه الله)، والسيد الكلبايكاني (رحمه الله)، والسيد المرعشي النجفي (رحمه الله)، والسيد صادق الروحاني، والشيخ هاشم آملّي، والشيخ مرتضى الحائري، وغيرهم من أعيان تلك الأيام، فكان سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) يُحذّر الجميع من دقّة الظروف وينصحهم بالتروّي والحذر من المتصيّدين بالماء العكر، لأن سماحة السيد (رحمه الله) كان يتوجس الخوف من ذلك الحراك في تلك المرحلة الدقيقة جداً في حينها.

الصورة



* ماذا كان يقول لهم، إذا تذكرون الفحوى ومضمون حديث السيد الراحل (رحمه الله)؟

ص: 327

- كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يرى بأَم العين الأعمال الخاطئة والتجاوزات التي تجري، ويرى ببصيرته وخبرته وما إلى ذلك أن الخطأ إذا لم يعالج فإنه يستفحل حتى يتسع الخرق على الراقع - كما يقول الإمام علي (عليه السلام) .

فمما كان يقوله سماحته مُحذراً وناصحاً لهم: بأن هذه الأعمال التي تسير وترونها خاطئة وغير شرعية وليست مناسبة إذا لم تقفوا أُنتم أمامها لعلاجها وإصلاحها الآن فإنها ستستفحل، وسيأتي دوركم بعد أن دارت وعصفت بغيركم، فعليكم بالسعي لوقفها منذ البداية،

وكان يؤكد على كل مَنْ يلتقي به أن هذه الأعمال خاطئة وغير سليمة، وأنها جزء من خطة استعمارية يجب الانتباه لها، ولكن - يا للأسف الشديد - أن بعضهم كان يعتذر بعذر، ويتعلل بعلل لا طائل منها إلا الفرار والهروب من مواجهة الواقع.

واللطيف أن السيد الإمام الراحل (رحمه الله) كان متفطناً لذلك كله، ولذا كان يقول معلقاً عندما نخرج من عند أحدهم: هل الفرار من الفتنة والشر من سنن الأنبياء (عليهم السلام) ، أو سنن الأوصياء والأولياء والمؤمنين!؟

وأذكر أننا إذا كنا نطرح عليهم مسألة، أو نقول رأينا في قضية ما فكانوا يمتعضون وينزعجون، حتى أنه اقترح سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) على بعضهم تعطيل الدرس احتجاجاً لما جرى، إلا أنهم لم يوافقوا ولم يعطلوا الدرس ولا حتى واحد منهم فعل ذلك.

ومنذ ذلك اليوم، أو تلك الليلة التزم سماحته (رحمه الله) البيت ولم يخرج منه تلك المدة المديدة التي تعرفونها، لأنه رأى نفسه أنه يصرخ في صحراء مقفرة، ولا يجيبه إلا الصدى، فلماذا يخرج؟ ومن يزور؟ وكيف يناقش ولمن النصيحة!؟

* على أي شيء كان السيد الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد عليهم غير ما تقدم؟

- الذي أتذكره أن السيد الراحل (رحمه الله) كان يؤكد على نقطتين، هما:

الأولى: إن هذه خطة استعمارية يجب الحذر منها.

الثانية: إن هذه الأعمال موجهة ليس لضرب أشخاص بل هي موجهة أصلاً لضرب المرجعية والمراجع؛ والمرجعية كما تعلمون مقام هام وسامي جداً في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فيجب أن يسان ويحترم.

ولذا كان يريد ويطمح أن يشارك الجميع - بشكل من الأشكال بالممانعة - وأقلها كان موقف التدريس، وتعطيل الدرس ولو ليوم واحد فقط ولكن تحت عنوان (الاعتراض والاحتجاج) على تلك الأعمال التي كانت تجري في البلاد حينها.

* هل تتذكرون - شيخنا - ماذا كانوا يقولون أو يجيبون؟

- أنا شخصياً كنت أكتب وأدوّن كل ما يقولون، ولكن مذكراتي تلك صودرت حين اعتقلوني فاعتقلوها هي أيضاً، ولا أحد يعلم أين صار مصيرها؟ وهل بقيت أم أنها صارت وقوداً للنيران؟ لست أدري!!

* من أخذها منكم؟

- الجهات الأمنية المختصة التي اعتقلتي، وذلك لأننا كانت لنا معهم قضايا كثيرة، وأهم ما لهم علينا أنهم كانوا يعلمون ويعرفون فحوى ومضمون وكلام سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بزياراته للمراجع والعلماء، وهذا كان كثيراً، وبما أنني كنت أرافق سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وأكتب كل ما يقال فكانوا على إطلاع كامل على كل ذلك، وأذكر أن سماحته (رحمه الله) كان في بعض الزيارات له، يحتد معهم ويتكلم بقوة وشجاعة دون موارد ولا يقبل عذر، ويعرب عن رأيه

بصراحة ووضوح دون خوف من أحد.

حتى أنني كنت - شخصياً - إذا خرجنا أقول له: سيدنا، أخشى أن هذا الأسلوب سوف يعطيهم ذريعة وحجة ليخلقوا لنا المشاكل ويعيقوا حركتنا. فكان يقول لي: لا .. بل واجبنا الشرعي، ووظيفتنا توديتها رضي مَنْ رضي وأبى مَنْ أبى.

وفي إحدى المرات حضر مجموعة من رجال المال والتجار عند سماحة السيد (رحمه الله) وتكلموا معه ببعض القضايا التي تهمهم، أو ما يعانون منها، فأرشدهم سماحته (رحمه الله) - كعادته - وأعطاهم بعض التوجيهات والإرشادات الاقتصادية، فكتبوها ونشروها فيما بعد بأسمائهم لأنها كانت لصالح الاقتصاد الإيراني خاصة.

ومما أذكره أننا في إحدى الزيارات التي قمنا بها إلى بيت السيد الشريعتمداري (رحمه الله) وذلك قبل الهجوم عليه وإغلاق بابه أمام المراجعين، فسأل السيد الشيرازي (رحمه الله) هذا السؤال: هؤلاء الحكام على أي وجه يجيزون ضريبة البضائع (أي الجمارك)؟

فأجاب السيد الشريعتمداري (رحمه الله): ربما من باب الاضطرار.

فقال السيد الشيرازي (رحمه الله): هذا ليس بدليل، ودخل معه في بحث علمي فقهي دقيق جداً.

فقال السيد الشيرازي (رحمه الله): ليس هناك حل، لو منعوا (الجمارك) لصار الهرج والمرج واضطرب الوضع، وكل شخص يَدْخُل إلى البلاد ما يعجبه ويرغب من البضائع المستوردة.

فقال السيد الشيرازي (رحمه الله): كلا، فليمنعوا الأشياء المحرمة من المخدرات والمشروبات والأسلحة، وكل هذه الأشياء التي تضر بالبلاد والعباد، وليتركوا

الناس أحراراً في تجارتهم لا أن يمنعوا كل البضائع أو يضعوا عليها الضرائب، فما يضير أن تدخل بعض الشاي، أو طن من النسيج للبلاد فهذا غير صحيح شرعاً.

فكان سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) بزياراته للمراجع يتباحث معهم في الأمور التي تهم العباد والبلاد؛ ولذا كان هناك احترام متبادل فيما بينهم وكان أفضلهم معنا السيد الشريعتمداري (رحمه الله)، والسيد المرعشي النجفي (رحمه الله)، والسيد الكلبيكاني (رحمه الله) إلا أن بعض الحواشي كانوا يتصايقون وينزعجون ولا تجد منهم الاحترام كما ينبغي أو كما يجب.

* ماذا كانوا يقولون عن السيد الراحل (رحمه الله)؟

* فهل سمعت منهم كلمة إيجابية أو سلبية تجاه السيد (رحمه الله) أو كلاماً من السيد (رحمه الله) تجاههم؟

- أما أقوال السيد الشيرازي (رحمه الله) فلا أذكر أنه قال شيئاً بخصوص أحد منهم.

وأما السيد الشريعتمداري (رحمه الله) فكان كثيراً ما يمدح السيد (رحمه الله) أمام حاشيته والمقربين منه، وكذلك ينقل عن السيد المرعشي النجفي (رحمه الله) أنه قال: أن الشعب الإيراني بعد (100 - 200) سنة سيعرف مكانة السيد الشيرازي (رحمه الله)، وهو الذي جاء لزيارة السيد الراحل (رحمه الله) وقال: ضاق صدري فجئت إليك).

والذي أتذكره أننا عندما كنا نذهب لزيارتهم - السيد الشريعتمداري، والسيد المرعشي النجفي (رحمهما الله) - كانا يحترمان السيد الراحل (رحمه الله) كثيراً جداً، وأما مكتب السيد الكلبيكاني (رحمه الله) - مثلاً - فعندما كنا نتصل بهم لنأخذ موعداً في الساعة الرابعة أو الخامسة بعد الظهر، فكانوا يقولون: أن السيد مشغول وليس لديه وقت تعالوا في يوم آخر غداً أو بعد غدا!

فكان سماحة السيد (رحمه الله) يذهب في الوقت الذي يحدوده لنا وذلك من منطلق الوظيفة الشرعية والواجب الديني.

أما مكتب السيد الشريعتمداري، والسيد المرعشي (رحمهما الله) فكانوا دائماً يرحبون ويفسحون المجال لزيارتنا.

ومما أذكره أن السيد الكلبيكاني (رحمه الله) قد شارك شخصياً في تشييع جثمان السيد الشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) وصلى على الجنازة وأقام مجلساً للفاتحة - وهو أول من أقامه - في بيته ولمدة ثلاثة أيام كما هو معروف ومشهور.

زيارة السيد الخميني

* في زيارتكم في الأيام الأولى لانتصار الثورة في إيران، عن ماذا كان يدور الحديث، بين الإمام الراحل (رحمه الله) والمراجع والعلماء، بأي محاور و مبانى كانت تدور الجلسات؟

ج/ بعد وصول السيد الإمام الراحل (رحمه الله) إلى مدينة قم المقدسة قادماً من الكويت، كان العلماء والأعلام يأتون لزيارة سماحته عن طريق السيد علي الفالي، حتى أن السيد الخميني كان ممن زاروا السيد الشيرازي (رحمه الله).

الصورة



فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يكرر ويؤكد على الإقلال من سفك الدماء، وإنهاء ووقف الإعدامات التي كانت تحصل في حينها بتهمة (أعداء الثورة).

فالسيد الخميني زار السيد الشيرازي (رحمه الله) في مكان إقامته حيث كان نازلاً

في بيت الشيخ محمد اليزدي وليس في بيته السابق، و كان السيد الراحل (رحمه الله) يؤكد على التعامل الإسلامي والأخلاقي مع العلماء خاصة، وبالتالي ضرورة تغيير الأساليب العسكرية والمخابراتية من الاعتقالات العشوائية والإلقاء بالسجون لكل من هبّ ودبّ دون مراعاة أوامر الشرع الحنيف، وحتى الأمور العرفية والأخلاقية للتعامل ..

زيارة الإمام الراحل للشيخ المنتظري

وأما الرجل الثاني للثورة الشيخ المنتظري فإنه لم يبادر إلى زيارة السيد الراحل (رحمه الله) ، إلا أن سماحة السيد (رحمه الله) هو الذي بادر بزيارته في بيته الكائن في (جهاز مرادن)، وتلك كانت أول زيارة لي مع السيد الشيرازي (رحمه الله) ، وقد طرح سماحته (رحمه الله) على الشيخ المنتظري مسألة ضرورة وقف الإعدامات لأنها كانت في ذروتها، كما طرح على الشيخ أن يكون وسيطاً بين السيد الخميني وسائر المراجع ليلتقوا ولو مرة في الأسبوع أو على الأقل مرة في الشهر ويتبادلوا التشاور في كل المسائل.

وهنا استغرب الشيخ المنتظري وقال: أنا أحد طلابه الصغار ولا يمكنني أن أعمل شيئاً بهذا الخصوص، والحال أن الكثير من الأمور كانت منوطة به، وهو ماسك بزمامها إلا أنه استطاع أن يجيب السيد (رحمه الله) بشكل جيد وذكي، لأنه في الواقع كان لا يريد مثل هذه اللقاءات على مثل تلك المستويات الراقية.

ولكن السيد الإمام الراحل (رحمه الله) قال له: حتى لو لم تكن صاحب قرار مؤثر، أو رأي نافذ ولكنك درست عند السيد الخميني لفترة، وهو يحترمك ويسمع كلامك ويقدر العمل الذي تقوم به، فأطرح عليه الأمر!

ولكن رجع المنتظري وكرر كلامه معتذراً عدم القدرة على هذا الطرح،

ومما قال: أنا لم أكن إلا أحد طلابه العاديين، وليس لي شأن يذكر، ولم أتحمّل أي مسؤولية، ولا يمكن لي مثل هذا الطرح.

وأصر الإمام الراحل (رحمه الله) على رأيه وأنه قادر ومسؤول، ولكنه أيضاً أصرَّ على أنه غير قادر ولا شأن له! فقمنا وخرجنا من عنده.

وفي الفترة التي كان فيها السيد الشيرازي (رحمه الله) مقيماً في بيت السيد علي الفالي أتى ابن الشيخ المنتظري (الشيخ محمد) ولم يأت والده لزيارة السيد (رحمه الله)، ولذا التقاه وجلس معه كل من السيد مجتبي، والسيد علي الفالي لفترة طويلة، واقترح بعض الأمور عليهم وكان أغلبها شكلي وإداري، فمنها طلب أن نجعل على السيد (رحمه الله) حراساً من الناس المقربين للسيد (رحمه الله)، وأن لا يعتمدوا على الغرباء كما فعل هو نفسه الذي كان مكلفاً بحراسته والده، فجمع حراساً من مدينة (نجف آباد).

ونحن بالفعل عملنا بهذا الاقتراح، حيث أن الكثير من الغرباء يكونون مهندسين وعملاء للآخرين، فجعلنا جميع الحرس ممن نعرفهم وثق بهم من أهالي كربلاء المقدسة خاصة، ومن البيوت المعروفة بالتدين وبالولاء والإخلاص للسيد الراحل (رحمه الله) ..

زيارة الشيخ محمد يزدي

وفي زيارة السيد الإمام الراحل إلى الشيخ محمد يزدي في بيته، طرح سماحته بعض القضايا المهمة وهناك تنبأ لهم وقال لهم محذراً عن احتمال هجوم العراق على إيران وأنه يجب الحذر والحيطه من هذا الجانب، لاسيما الجيش والقوات المسلحة عليهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد لرد الهجوم العراقي الذي يراه وشيكاً.

كما أنه نصحهم بأن يمدوا جسور التواصل مع زعماء العشائر في جنوب العراق وأن يدفعوا لهم الصلوات والمساعدات والهدايا لضمان وقوفهم معهم، ولعل المبلغ المطلوب لذلك الأمر كان بسيطاً ولا يتجاوز ثمن طائرة حربية واحدة فقط، بل وعليهم أن يشجعوهم ويمدوهم بالسلح ليثوروا على حكومة صدام ويساندوهم ليسقطوه وإلا فإن خطره قادم عليهم.

إلا إنهم لم يفهموا ذلك، ولم يقدرُوا هذا الاقتراح، لأنهم لم يكونوا مُطّلعين على واقع النظام الصدامي الفاسد جداً، ولم يصدقوا نبوءة السيد الراحل (رحمه الله) بالهجوم العراقي على إيران .

في ذلك اللقاء بين السيد الشيرازي (رحمه الله) والسيد الخميني وأعضاء الثورة ممن حضروا في بيت الشيخ اليزدي، والشيخ اليزدي كان يكتب الحوار الذي كان يدور بين السيدين (الشيرازي (رحمه الله) والخميني)، فكل ما أقوله وبالتفصيل هو موجود ومسجل لديهم.

ولهذا نرى أن الشيخ محمد يزدي يقبل يد السيد الشيرازي (رحمه الله) عدة مرات عندما كنا نزرهم في بيته أو عندما كان يأتي لزيارة السيد الراحل (رحمه الله) في بيت السيد الفالي، وفي ذلك الوقت لم تكن لدينا أجهزة إعلامية وتصوير وما شابه ذلك لنوثق ذلك بالصوت والصورة، وتقول للعالم أين كان هؤلاء من السيد الشيرازي (رحمه الله) وأين مكان ومكانة السيد في تلك الأيام ..

السيد الشيرازي (رحمه الله) والعشائر العراقية

* هل كان للسيد الراحل (رحمه الله) تأثير على العشائر العراقية حسب خبرتكم ووجهة نظركم؟

- حسب علمي وإطلاعي أن سماحة السيد الراحل (رحمه الله) كان يتعامل مع

العشائر العراقية بواقعية وخبرة عملية، فلذا تراه كان يؤكد على نقطتين مهمتين هما:

الأولى: إن نزع السلاح من العشائر العراقية، وتجويعهم وإفقارهم خطة استعمارية بحثة.

الثانية: علينا أن نكسب العشائر العراقية والعمل على تفوقها وتسليحها ودعمها مادياً ومعنوياً ليكونوا أداة الثورة لاسقاط حكومة صدام الفاسدة.

محاولات التسقيط في الكويت

* لماذا كان الهجوم شديداً وشرساً على السيد الراحل (رحمه الله) في الكويت، كإصدار الفتوى ومؤياداتها.. فما كان سبب ذلك؟

* وكيف تعامل الإمام الراحل (رحمه الله) معها؟

- أنا شخصياً لم أكن في الكويت، ولكن سمعت ممن أثق بهم.

فسمعت أنه كانت هناك بعض الجهات، وبعض الأفراد ممن عملوا ضد السيد الشيرازي (رحمه الله) من حين كان في كربلاء المقدسة وقبل أن ينزل على الكويت، واستمرت الحملة في الكويت ولكن بشدة وشراسة أقوى، واشترك فيها كبار الشخصيات العراقية في حينها، الذين سعوا جهدهم لتسقيط السيد الراحل (رحمه الله) والتأثير على شخصيته في العيون والقلوب.

علماً أن هؤلاء عندما كانوا ياتون إلى كربلاء المقدسة للزيارة، وكان سماحة السيد (رحمه الله) يزورهم في أماكن إقامتهم ويحتفي بهم كثيراً.

وهذه القضايا السادة الكرام سماحة السيد المرجع السيد صادق الشيرازي (دام ظله) والسيد مجتبي (حفظه الله) وبقية الأخوة على دراية وإطلاع أكثر مني عن تلك المرحلة، ولكن الذي سمعته من بعض الأخوة المقربين والأصدقاء

أن سبب ذلك كله كان بعض المصالح المادية، إذ أنهم كانوا يتصورون أن سماحة السيد (رحمه الله) سوف يؤثر على مصالحهم.

وهناك الآن أحد العلماء الأعلام من الذين هداهم الله وعرفوا حق السيد الشيرازي (رحمه الله) فجاءوا اعتذروا من ماضيهم، وعن تلك الضجة المفتعلة بحق السيد في تلك المرحلة، إلا أن آثارها ما زالت باقية في الواقع والأذهان لاسيما البسطاء السذج من أفراد الأمة.

وذلك لأنه زرع في الكويت بذرة شقاق وغذاها فنمت وكبرت وما زالت آثارها وثمارها المرة في أرض الواقع رغم أنه يأتي اليوم إلى مكتب السيد الشيرازي وله سلام وكلام وملاحظات مع الأخوة، باعتباره شخصية منتمة لأحد الأحزاب المعروفة والفاعلة في الساحة العراقية منذ أن كان السيد الراحل (رحمه الله) في كربلاء المقدسة قبل أن ينتقل إلى الكويت.

وكانت بداية تحركهم ضد السيد الشيرازي في كربلاء المقدسة أن مكتبهم أو مقرهم الذي اتخذوه في مدينة كربلاء في تلك الأيام تعرض ذات يوم إلى هجوم من قبل أفراد مجهولين إلا أنهم اتهموا جماعة السيد! وأنهم الذين هاجمهم واعتدوا عليهم!! فوجهوا أصابع الاتهام وألقوا تبعاته كلها على السيد وجماعته، كما اتهموا سماحته بإثارة الناس والرأي العام في كربلاء المقدسة ضدهم.

وعلى أثر تلك الحادثة راح عناصر ومسؤولي الحزب بالعمل ضد السيد الشيرازي جهاراً نهاراً، وظهر ذلك إلى العلن، علماً أن المقر ذلك كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) هو الذي أسسه تحت اسم جمعية خيرية ولكن بعد فترة جاء جماعة ذلك الحزب وسيطروا عليه وجعلوه مقراً لهم في كربلاء المقدسة ..

وأما سماحة السيد الراحل (رحمه الله) فإنه كان بريئاً من كل ذلك وهي كانت أعمال حزبية متبادلة فيما بينهم كما لا يخفى على المطلعين والخبراء بهذا الشأن.

ولكنهم بعد تلك الحادثة أظهروا العداوة للسيد الشيرازي (رحمه الله)، وراحوا يعملون ضده في الخفاء والعلن، ومن ذلك أنهم كانوا يذهبون إلى بعض الشخصيات ويتكلمون ضد السيد الراحل (رحمه الله)، حتى أنهم استطاعوا إصدار بيان منه ضد السيد الشيرازي (رحمه الله) وهو في قمة الهرم الاجتماعي والعلمي.

وكان عندي تلك البيانات والأوراق التي صدرت بحق السيد الراحل (رحمه الله) في تلك الفترة إلا أنني لا أدري أين صارت الآن.

وكل تحرك صار فيما بعد فإنه كان ينطلق ويستنكر على ذلك البيان المفتعل، وأذكر أننا وبعد أن نزلنا إلى إيران وجاء بعض أنجاله وأولاده ذهبنا لزيارتهم مع السيد مجتبي والسيد علي الفالي، وأظهروا الندم على ما فعلوه بالسيد الشيرازي (رحمه الله)، كما أن أحد ابنائه جاء لزيارة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) فألقى بنفسه على يدي ورجلي سماحة السيد (رحمه الله) يريد أن يقبلهما معترفاً من سماحته، وذلك حينما وصل إلى قم المقدسة وراح يبكي ويعتذر من السيد الشيرازي (رحمه الله).

ومما قاله: (أعدرونا فإن الحزب الفلاني هو الذي حركنا وأخذ البيان ضدكم لغايات كنا نجهلها في حينها).

وقال: (إني لم أكن في مسألة البيان من الوالد، ومع ذلك فأنا اعتذر وأطلب العفو والمساعدة من سماحتكم).

فمن هناك كانت بذور الشقاق، وأولئك الذين افتعلوا كل هذه الضجة ضد السيد الشيرازي (رحمه الله).

* كيف كانت ردة فعل السيد الراحل (رحمه الله) ؟

- سمعت - وما شهدت تلك الفترة - أن سماحته (رحمه الله) ما كان يعيرها أهمية ولا يعتبرها ذات شأن، وكان يقول لمن حوله: نحن نقوم بواجبنا وأولئك يعملوا أعمالهم؛ ولم يكن يسمح حتى بالعمل ضد أحد أو يحرك الشارع ضد أحد منهم لا في العراق، ولا في الكويت ولا إيران، حتى عندما اعتقل أخوته كالسيد الشهيد، أو السيد مجتبي (حفظه الله) فلم يحرك ساكناً ضد أولئك الحزبيين المعروفين.

* ماذا كانت ردة فعل السيد الراحل (رحمه الله) بالنسبة لذلك الحزب في كربلاء المقدسة، والكويت ثم في إيران ؟

- قلت فيما تقدم: إن جناب السيد الراحل (رحمه الله) لم يكن له أي

تحرك ضد أحد منهم لا في كربلاء المقدسة، ولا في الكويت، ولا حتى عندما نزل إلى إيران، لا هو شخصياً تكلم ضدهم، ولم يسمح لأحد أن يتكلم إذا استشاره في مثل هذه المسألة.

ولكن العجيب فعلاً هو عداء أولئك السافر والغريب ضد السيد الراحل (رحمه الله)، فكان عداؤهم شديداً، وحقدهم وبغضهم للسيد الراحل (رحمه الله) أشد وأعجب فعلاً؛ فكانوا يتصورون أن السيد (رحمه الله) إذا دخل ساحة الصراع السياسي فإنه سيكتسح الساحة العراقية كلها ويسحب البساط من تحت أقدامهم وأنه سيسيطر على ساحة الحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي كله؛ وأنه سيقضيهم من الساحة كلها فيجب عليهم أن يحاربوه قبل أن يكبر ويستفحل أمره (وذلك لأنهم كانوا يسمون السيد الشيرازي (رحمه الله) في تلك الفترة بملك كربلاء).

وأنا شخصياً الآن لا أعرف حقيقة لماذا كانوا يبغضون السيد الراحل (رحمه الله)،

ولماذا كانوا يحقدون عليه بهذا الشكل، فمن أين؟ وكيف؟ ولماذا؟ وما هي أسباب ذلك الحقد والبغضاء ضد السيد الراحل (رحمه الله)؟ إن هذا مما يثير العجب والاستغراب فعلاً!!

وأذكر أن بعض الأشخاص الذين لم يكن لهم ربط أو انتساب لذلك الحزب كانوا يملنون قلوبهم حقداً وحسداً وبغضاً ضد السيد الشيرازي (رحمه الله)، وكثير منهم نعرفهم وما زالوا أحياء في كربلاء المقدسة، وكنا نذهب لزيارتهم مع السيد الراحل (رحمه الله)، والسيد المرجع السيد صادق (دام ظله) في منازلهم وبيوتهم إلا أنهم لم يبادروا ولم يأتوا ولو لمرة واحدة لزيارة سماحة السيد الراحل (رحمه الله) أو السيد المرجع (دام ظله) حالياً وإن هذا من أعجب العجب فعلاً!!

شهادة الميرزا جواد التبريزي (رحمه الله)

وأذكر أننا ذات يوم ذهبنا لزيارة الشيخ الميرزا جواد التبريزي (رحمه الله) (1) في أوائل نزولنا إلى مدينة قم المقدسة من الكويت وبعد السلام والاحترام وبدون مقدمات قال الميرزا للسيد الراحل (رحمه الله): (في إحدى الليالي ذهبنا إلى أحد الكبار ولم يكن أحد عنده إلا نحن، فقلت له: هذه الأعمال التي تقومون بها لم يفعلها أي شخصية من شخصيات الشيعة في العالم - قديماً وحديثاً - بحيث تصدرون البيانات بين فترة وأخرى ضد السيد محمد الشيرازي).

ص: 340

1- هو مرجع شيعي اثني عشري. ولد سنة 1345 هجرية في بيت ديني رفيع بمدينة تبريز في إيران. في سنة 1371 هـ - سافر إلى مدينة النجف الأشرف، وحضر فيها دروس كبار أساتذتها. في عام 1397 هجري وبعد عودته من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في مدينة كربلاء المقدسة داهمته قوات أمن الرئيس المخلوع صدام في العراق وسفّرتة إلى إيران. عندها سكن مدينة قم المقدسة وشرع بتدريس الدروس العالية ويعد درسه من أجود الدروس العلمية في مختلف العلوم، لاسيما الفقه والأصول.

* عذراً على المقاطعة شيخنا .. هل سمعتم هذا أنتم من الميرزا؟

- نعم، أنا سمعته بنفسه، وهذا نص ولفظ ما قاله الشيخ الميرزا جواد (رحمه الله)، وقال: إنه جلس وأطرق برأسه إلى الأرض.

ويستأنف الميرزا ويقول: فقلت له: من الناحية الشرعية لا يجوز إصدار مثل هذه البيانات منكم.

فغضب ورفع طرف الفراش الذي يجلس عليه، وقال: وماذا تجيب على كل هذه الرسائل؟ قل لي: ماذا أجيب عن كل هذه الرسائل التي تصلني؟!

قال الميرزا: فقلت له: هل هذا جواب شرعي، بعض الناس يتكلمون، وبعض الأفراد يكتبون ضد شخص آخر، فهل مثل هذه الأمور أصبحت حجة وأورثتكم العلم اليقين حتى تصدروا مثل تلك البيانات؟!

فكان السيد الإمام الراحل (رحمه الله) يستمع إلى كلام الميرزا جواد التبريزي وهو يبتسم ولم يقل شيئاً أبداً.

* ماذا كان جوابه أخيراً...؟!

- لم يكن لديه جواب إلا رفعه لطرف الفراش، وقوله: ماذا أجيب على كل هذه الرسائل؟

* ماذا كانت تحتوي تلك الرسائل؟

* ومن كان يرسلها للسيد؟

- لا أعلم .. والشيخ الميرزا جواد التبريزي لم يقل عنها شيئاً، وظاهراً أنه لم يره إياها ولم يطلع على محتواها، ولكنه أراه مجموعة تحت الفراش وهو بحالة غضب واضح على وجهه.

* هل كانت هناك زيارات متبادلة تتذكرونها مع علماء السنة في مدينة قم

ص: 341

المقدسة، وقبلها في الكويت، وكربلاء المقدسة أو مع بعض علماء النصارى وقساوستهم؟

- لم تكن هناك أي زيارات متبادلة لنا معهم، إلا أن هناك زيارات فردية أو جماعية من بعض الشخصيات العلمانية لأهل السنة والجماعة بحيث كانوا يأتون إلى زيارة سماحة السيد الشيرازي وخاصة في أعقاب المؤتمرات الإسلامية، كمؤتمر الوحدة الذي كان يعقد سنوياً، فكان بعض المترجمين من أصدقائنا يأتون بهم لزيارة سماحة السيد الإمام (رحمه الله) .

وأذكر منهم الشيخ أحمد كفتارو(1) مفتي سورية، والأسقف كابوتشي(2) الفلسطيني، وبعض النواب ووجهاء الحركات الجهادية الفلسطينية، وهؤلاء كان سماحة السيد يتكلم معهم بخصوص فلسطين وأساليب المقاومة للكيان الصهيوني والتعامل مع اليهود وكيفية العمل للخلاص من ذلك الشر المستطير ودور لدول الإسلامية والوحدة الإسلامية في ذلك كله ..

الصورة



ص: 342

- 1- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد أمين كفتارو المولود في دمشق عام 1915م، من علماء العامة.
- 2- رجل دين مسيحي سوري. ولد في حلب. أصبح مطراناً لكنيسة الروم الكاثوليك في القدس عام 1965. عُرف بمواقفه الوطنية المعارضة للاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، وعمل سراً على دعم المقاومة. اعتقلته سلطات الاحتلال في آب 1974 أثناء محاولته تهريب أسلحة للمقاومة، وحكمت عليه محكمة عسكرية بالسجن 12 عاماً. أُفرج عنه بعد 4 سنوات بوساطة من الفاتيكان، وطرده من فلسطين في تشرين الثاني 1978.

* ماذا كان مضمون كلام السيد الراحل (رحمه الله) مع أولئك الزوار مثل كابوتشي؟

- أنا شخصياً لم أكن معهم حاضراً في تلك الجلسات.

* ماذا كان يوصي مثل الشيخ أحمد كفتارو؟

- بالدقة والحرفية أنا لا أذكر الآن، ولكن مما أذكره أن السيد الراحل (رحمه الله) كان يعلم بأن ابن الشيخ أحمد كفتارو كان مسؤولاً عن حزب التحرير(1)، وهو من الحزبيين الأقوياء في حينها - وله صورة موجودة لدينا - فعندما أتى الشيخ لزيارة الإمام الراحل (رحمه الله) بشوق ولهفة بادية وواضحة أذكرها، وأنا كما قلت لكم أنني كنت أحضر مثل هذه الجلسات وأسجل وأكتب كل ما يقال فيها واحتفظ بها في بيتي إلا أنهم أخذوا ذلك كله حين اعتقالوني في إيران للمرة الثانية فاعتقلوها معي وأخذوها إلى حيث أرادوا ولم أدر والله العالم أين هي الآن وما الذي حلَّ بها.

برنامج الإمام الراحل (رحمه الله) في قم المقدسة

* ما هو برنامج السيد الإمام الراحل (رحمه الله) عندما نزل إلى مدينة قم باديئ ذي بدء؟

- في الأيام الأولى من دخول السيد الشيرازي (رحمه الله) إلى مدينة قم المقدسة،

ص: 343

1- حزب التحرير هو تكتل سياسي إسلامي تأسس في القدس مطلع عام 1953 على يد القاضي تقي الدين النبهاني، بعد تأثره بحال العالم الإسلامي إثر سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية في إسطنبول عام 1924. ويتخذ الحزب من البلاد الإسلامية مجالاً لعمله لإقامة دولة الخلافة، ولديه ناطقين رسميين في عدد من البلاد الإسلامية، والكثير من المكاتب الإعلامية. وللحزب انتشار في فلسطين ولبنان ودول شرق آسيا، وبعض الدول الغربية كالمملكة المتحدة وأستراليا. والحزب محظور في معظم الدول العربية والإسلامية، وفي ألمانيا وروسيا.

وفي بيت السيد علي الفالي كان برنامج السيد الإمام على الشكل التالي:

في الساعة الثامنة صباحاً كان يجلس في ديوانية (مجلس المرحوم السيد علي الفالي .. وهي عبارة عن غرفتين متلاصقتين، وكان السادة من آل المدرسي هم الذين يتوسطون بين الأفراد والهيئات لزيارة سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله)، وكان سماحته يستقبلهم فيتكلم مع الأفراد، ويخطب أو يحاضر بالجماعات والهيئات، وكل بحسب درجته العلمية والثقافية، أو مكانته الاجتماعية، أو وظيفته ومهمته السياسية أو الإدارية .. وكانت الزيارات تستمر إلى الساعة الثانية، وربما حتى الرابعة عصراً.

ويتخلل ذلك طبعاً صلاة الظهرين بإمامة سماحته (رحمه الله) للحضور في الديوانية.

الصورة



وبعد ذلك كان سماحته (رحمه الله) يأخذ قسطاً من الراحة (شبه قيلولة) ليعود للجلوس في الديوانية الساعة الخامسة مساءً وحتى ينتهي المراجعون.

واعتباراً من اليوم الرابع لوصول سماحته (رحمه الله) لمدينة قم المقدسة بدأنا بالزيارات، وكانت كثيرة ومكثفة، وأذكر أننا في ذات يوم قمنا باثني عشرة زيارة في اثني عشر مكاناً مختلفاً، وهذا ليس بالأمر السهل كما تعلمون ..

فكنا نزور العلماء والأعلام، والمراجع الكرام، وغيرهم من أعيان المجتمع في حينها .. والذي أذكره أن (المشكيني) (1) هو الوحيد الذي لم يأذن بزيارته علماً

ص: 344

1- الشيخ علي المشكيني ولد سنة 1921 في إحدى القرى التابعة لمدينة مشكين شهر، شمال غربي إيران، وبعد الثورة الإيرانية، تقلد مناصب عديدة، توفي مساء الإثنين 15/7/1428هـ- عن عمر يناهز السادسة والثمانين.

أنني اتصلت ببيته لأخذ موعداً للزيارة فلم يأذنوا لنا بذلك، وعاد وأتصل السيد علي الفالي بهم محاولاً أخذ موعد لزيارة السيد.. إلا أنهم أيضاً لم يأذنوا بذلك فلم نجتمع به والحمد لله أننا لم نره .. إلا أن بقية العلماء فإننا زرناهم قاطبة دون استثناء على ما أذكر ..

* لماذا رفض الزيارة، ولأي سبب؟

- لا أعرف ذلك تماماً .. والذي أعرفه أنه كان يتهرب من اللقاء، لماذا؟ لست أدري!!

وهكذا كانت زيارات سماحة السيد (رحمه الله) مستمرة من الساعة الثامنة صباحاً وحتى منتصف الليل، وربما أن سماحته (رحمه الله) لا يأخذ ساعة من الراحة خلال ذلك، وأذكر أنني كنت أرافق سماحته في تلك الفترة من الصباح وحتى آخر الليل، حتى أن أهلي وأبنائي كان يحتجون عليّ أنني لا أبالي بهم فيعرضون على غيابي وتأخري بالعودة إلى البيت.

* الواقع يقول: إن سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) كان له مكانة مرموقة وعالية في الثورة الإيرانية لماذا فقدوها، مع أنه كان من الأعمدة الأساسية للثورة فلماذا ابتعدوا عنه شيئاً فشيئاً إلى أن أقصوه تماماً؟

- كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) في أوائل الثورة لا يريد الارتباط معهم، وما كان يقبل هذه الفكرة ومع بعض التصرفات، وبالأخص بعد خروج السيد الخميني من المشفى وذهابه إلى جماران، منذ ذلك الوقت بدأت تشتد العداوة منهم تجاه السيد الشيرازي ..

* هل كنت هناك حينها ..؟

- لم أكن هناك، ولكن السيد علي الفالي كان هناك ..

* أي أنك لا تعلم ما قالوا، وما سمعوا عن السيد الراحل (رحمه الله) ..؟

ص: 345

- لم يقل شيئاً، وكلما سألت السيد علي الفالي (رحمه الله) لم يجبني بشيء .. وحتى إذا كنت أصبر عليه أحياناً إلا أن السيد علي كان يخبئه علي، ويخفيه عني، ولا يخبرني بشيء .. ولكن يمكن أنه نقل ذلك للخوادم أكثر مني وهم خواص الخوادم كالسيد صادق (حفظه الله)، ولكنني لا أعلم يقيناً ما الذي جرى هناك، فلم أرافق سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) إلى جماران أبداً، ولا أعرف شيئاً عنها حقيقة ..

من أخلاقيات الإمام الراحل (رحمه الله)

* هل لديك قصة جميلة عن أخلاقيات السيد الراحل (رحمه الله) ؟

* كيفية تعامله مع من يهاجمه بالقول أو بالفعل .. فيقال: أن أحدهم عض يد السيد الراحل (رحمه الله) بدل أن يقبلها؟

- إن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان حضوره ووجوده أخلاق متجسدة، فكان يراعي الأخلاقيات كلها في تعامله مع جميع الأفراد، فذات يوم جاء لزيارة سماحته اثنان من المسؤولين الأمنيين.

* متى كان ذلك بالتحديد؟

- أتصور أن ذلك بعد اعتقال ابن السيد علي الفالي.

* أي في أوائل أيام الثورة، ونزول السيد الراحل (رحمه الله) إلى قم المقدسة؟

- نعم، حيث كان (عباس عامليان) قد احتجز لعدة أيام، فذلك في أوائل أيام الثورة، وكان قد تقرر أن يأتي من مكتب (الشيخ المنتظري) وفد مؤلف من شخصين .. ولكن في البداية رفض سماحة السيد الراحل (رحمه الله) أن يجلس معهما، ولكن وياصرار السيد علي الفالي، والسيد محسن الخاتمي الذي كان ما زال في إيران قبل أن يخرج منها، قبل ورضي سماحة السيد الراحل (رحمه الله) أن يجلس

ص: 346

معهما، وأذكر أنه كان شدة بالكلام فيما بينهم.

فسألهم عن ابن السيد علي الفالي ما الذي فعله حتى يعتقل، وعباس عاملين لماذا يعتقل؟!

قالوا: بأن عباس عاملين قام بتوزيع شريط كاسيت للشيخ المنتظري وهو يتكلم حول قضية فدك(1) وكما اتهموا وقالوا - وعلى فرض أنهم فعلوا ذلك - فليست المعالجة تكون بتلك الطريقة من اعتقال وسجن وما يتبعهما فإن هذا غير صحيح أصلاً.

ولكنهما وبمجرد دخولهما على جناب السيد الراحل (رحمه الله) بدؤوا الحديث بهذه الشدة، لكن جناب السيد الراحل (رحمه الله) لم يجبهم بشيء بل أطرق برأسه إلى الأرض ولم يتكلم أبداً .. ولكنهم لما رأوا سكوت السيد (رحمه الله) عن إجابتهم تواقحوا أكثر وهنا تدخل السيد محسن الخاتمي، وقال: بأن هناك مَنْ يطلب جناب السيد من الأهل وهو بانتظاره.

وبهذه الطريقة انسحب السيد الإمام (رحمه الله) وقام ودخل إلى داخل البيت، والسيد محسن قادم إلى غرفة ثانية وما أن دخلوا عليها حتى نزل عليهما السيد

ص: 347

1- فدك واحة تقع في أطراف الحجاز قرب مدينة خيبر في شبه الجزيرة العربية في المملكة العربية السعودية وتتبع إدارياً منطقة حائل وتقع بالجزء الغربي الجنوبي لمنطقة حائل كان سكانها القدماء من العماليق ومن بعدهم سكنها اليهود اشتهرت بزراعة القمح و التمر. كان يسكنها طائفة من اليهود ، ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهلها فصالحوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على النصف من فدك وروي أنه صالحهم عليها كلها. وابتدأ بذلك تأريخها الإسلامي، فكانت ملكاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وأهداها أو وهبها لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فكانت لها بها عمال يعملون ويأتون بالحصاد أو قيمته للزهراء (عليها السلام) حتى استشهاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فغصبت من يد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ولما طالبت بها، طلبوا منها اليهود على خلاف ما أنزل الله .

الراحل (رحمه الله) بكلام شديد جداً، ومنطق قوي لم يتوقعوه.

وهذا ما قيل لي في المحكمة ولم أسمعه من السيد الراحل (رحمه الله) شخصياً.. سألوني: ماذا قال لهما السيد محسن؟ فقلت لهم: لا أعرف فأنا لم أكن حاضراً ساعتها..

* وإلى الآن لا تعرفون ماذا قال لهم شيخنا؟

- أعرف أنه قال لهما: أنتم لم يكن لديكم عقل ولا شعور، أما تستحون؟! وهل تعلمون ما قدم هذا السيد الجليل للسيد الخميني من خدمات وللثورة، فهو قد أمضى عمره في خدمة هذه الثورة، والآن أنتم تأتون وتعملون ضده، لماذا؟! ما الذي جرى لعقولكم؟!

لأنهم في تلك الأيام حاولوا أن يخرجوا الناس بمظاهرات ومسيرات شعبية ضد السيد الشيرازي (رحمه الله) وحاولوا تعطيل درس السيد الراحل (رحمه الله) وبحته بما يقومون به من مشاغبات وما يفتعلونه من مشاكل، وما يثيرونه من بلابل بهدف عرقلة الدرس وتسقيطه.

لأن السيد الراحل (رحمه الله) كان يدرس (فقه الاقتصاد)، وفي حينها أصدر رئيس الجمهورية (أبو الحسن بني صدر) [\(1\)](#) كتاب (توحيد الاقتصاد) وهو كتاب تعب عليه بني صدر كثيراً، فقال السيد (رحمه الله) في مجلس درسه: إن كتاب (توحيد الاقتصاد) مخالف للإسلام وفيه الكثير من القول الباطل، وهو صورة من

ص: 348

1- أبو الحسن بني صدر، كان أول رئيس لإيران بعد الثورة الإيرانية سنة 1979، التي انتصرت وأنهت الحكم الملكي. ولد في همدان الإيرانية، تولّى مؤقتاً منصب وزير الشؤون الخارجية في إيران من 12 نوفمبر 1979 بعد إبراهيم يزدي وتلاه في هذا المنصب صادق قطب زاده. تولّى رئاسة الجمهورية الإيرانية في 4 فبراير 1980 حتى 21 يونيو 1981.

والكتاب في حقيقته كان يشبه (الكتاب الأخضر) للرئيس الليبي (معمر القذافي)، فكانوا يطبعونه ويوزعونه بشكل عجيب في إيران وربما طبعوا منه آلاف النسخ ووزعوها على الشعب.

وعندما قال ذلك سماحة السيد الراحل (رحمه الله)، قام بعض الأفراد محتجين بشدة، وقالوا: هذا تضعيف للنظام، وضرب لقيم الثورة - ذلك في بداية الثورة وبني صدر في أوج قوته ورئاسته لإيران - ولكن سماحة السيد الإمام الراحل (رحمه الله) امتص غضبهم، وتمالك نفسه في الدرس، وقال: أنا لم أقل شيئاً مما تتصورون، والذي قلته هو أنه كتاب تعب عليه ولكن فيه زخرفات مخالفة للإسلام كثيراً، وأنه عيناً من الكتاب الأخضر للقذافي، ذاك عربي وهذا فارسي لكن الفكرة واحدة.

* كان ذلك في رئاسة وقوة بني صدر أليس كذلك؟

- نعم، كان هذا القول في زمن رئاسة وقوة أبو الحسن بني صدر، وسيطرة القذافي في ليبيا، وذلك لأن ليبيا كانت قوية في إيران حينها وذلك بواسطة الشيخ منتظري، فجماعة الشيخ المنتظري قاموا بأعمال سيئة وغير معقولة كتوزيعهم (الكتاب الأخضر) للقذافي بالملايين من النسخ في إيران.

فالسيد الراحل (رحمه الله) لم يكن حاداً وشديداً أو خشناً في تعامله مع كل الناس، وبعضهم كانوا يأتون إلى السيد الراحل (رحمه الله) ويتكلمون بفضافة وشدة

ص: 349

1- الكتاب الأخضر هو كتاب ألفه القائد الليبي السابق معمر القذافي عام 1975 وفيه يعرض أفكاره حول أنظمة الحكم وتعليقاته حول التجارب الإنسانية كالأشراكية والحرية والديمقراطية، حيث يعتبر هذا الكتاب بمثابة كتاب مقدس عند معمر القذافي، ولكنه مليء بالإشكالات العقلية والشرعية.

ويغلظون بالكلام بوجه سماحته (رحمه الله) ويسمعهم بأذنه إلا أنه لم يكن يجيب أحد منهم على إساءته، بل كان يطرق برأسه إلى الأرض ويحتمر وجهه الشريف فقط، فنعرف أن إساءة حصلت من أحدهم.

* كانوا يهينوا السيد إذن..؟!*

- نعم وللأسف الشديد، هذا نعرفه عندما كان وجه السيد (رحمه الله) قد تغير لونه، إلا أنه لم يكن يقل شيئاً.

* شيخنا قصة أخرى غير قصة بني صدر وكتابه، هل تذكرون مثلاً آخر حدث في دروس البحث الخارج، كأن يقوم أحدهم ويقول كلاماً، أو يرفع شعاراً، أو يشكل بأشكال قوي على السيد الراحل (رحمه الله) بهذا الخصوص؟

- أنا شخصياً لم أر أحداً، لا في الدرس، ولا في مسجد الإمام زين العابدين، ولا في مكتبه يفعل ذلك.

* هل درّس السيد الراحل (رحمه الله) في مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام)؟

* ولماذا انتقل إلى مقره الجديد؟

- بعد قضية السيد الشريعتمداري (رحمه الله) - الذي تقدم طرفاً منها - عطل السيد الراحل (رحمه الله) درسه المعتاد، وبعد أيام من ذلك انتقل إلى مقره الجديد ..

* بأي حجة عطل الدرس هناك ونقله إلى المقر الجديد؟ في العرف الحوزوي بحاجة إلى سبب مقنع!

- نعم، عرفوا السبب - وهو قضية السيد الشريعتمداري (رحمه الله) طبعاً - ولكن في تلك الأيام كنا نقول: بأن السيد الراحل (رحمه الله) تعب صحياً، أو مريضٌ .. وما أشبه ذلك .. ولكن بعد أسبوعٍ وحين بدأ الدرس في المقر الجديد، وشيئاً فشيئاً انتشر الخبر عبر جماعة السيد الشريعتمداري (رحمه الله) الذين نشروا الخبر وأفسوه بين الناس، ولكن بشيءٍ من التحفظ وبعض الاحتياطات طبعاً.

ص: 350

فبعض الأصدقاء كانوا يقولون: إن هذا العمل كان اعتراضاً على ما حدث للسيد الشريعتمداري (رحمه الله) ، وأنهم قد جعلوه جليس البيت ومنع من اللقاء معه، مما دفع السيد الشيرازي إلى تعطيل مؤقت لدرسه، ثم وقبل وفاته بعدة سنوات عطل السيد الشريعتمداري (رحمه الله) الدرس نهائياً.

* ما هي إشكالات الحكومة على درس السيد الراحل (رحمه الله) ؟

- الحكومة كانت ترسل بعض الأفراد المتطرفين إلى درس السيد الراحل (رحمه الله) حتى إذا صدر منه كلاماً يمس النظام في الدرس يقومون بالاعتراض عليه، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) كان يتقبل ذلك ببرودة أعصاب، وحلم عجيب، بل كان يردّ على أسئلتهم ويحجب على إشكالاتهم بعلمية وبقاهة.

كما أن الكثير من أفراد القوى الأمنية والمخابرات كانوا يأتون ويحضرون درس السيد الراحل (رحمه الله) ، أو إنهم يستدعون أو يطلبون بعض الوجوه البارزة ممن يحضر درس السيد (رحمه الله) فيمنعونهم من حضور الدرس، ونحن كنا بدورنا نذهب إليهم ونسألهم أو أننا نرسل إليهم الأفراد وليسألهم ويستفسر منهم عن سبب الغياب وعدم الحضور في الدرس.

فيقول: إن وضعنا غير مساعد على الحضور فإن لديكم علماً ولكن ليس لديكم أموالاً تسعنا فنسعى لغيركم، وأعذرونا من الحضور في درس السيد، وبعضهم صرّح بذلك جهاراً وقالها صراحة.

وهدفهم كان - طبعاً - تضعيف السيد الراحل (رحمه الله) ، وتضعيف صفوف أصحابه وطلابه، ومحاولة التأثير على علمية السيد الراحل (رحمه الله) بتضعيف دروسه أو منعه، وبالتالي التقليل من عدد الطلاب والمريدين، ولا ينتشر صيت السيد الراحل (رحمه الله) وعلميته، ومكانته في القلوب والعقول.

لأن الحقيقة كانت واضحة وضوح الشمس بأنهم كانوا يخافون كثيراً من الإمام الشيرازي وذلك لقوته ومكانته الاجتماعية وأخلاقه الراقية، فكانوا يخشونه رغم أننا كنا لا نترك فرصة إلا ونبين لهم بأن السيد لا يعاديهم ولا يعمل ضدهم، فتعالوا إليه واجلسوا معه وحاوروه واسمعوا منه متى أردتم.

ولكنهم لا يقبلون منا نصحننا ويقولون: إن المحاورة والجلوس مع السيد الشيرازي فيها خطر شديد علينا.

* مع كل هذه الضغوط الهائلة، فإن درس السيد الراحل (رحمه الله) لم يضعف ولم يقلّ الحضور؟

- لم يتأثر درس السيد الشيرازي (رحمه الله) بذلك التأثير الواضح وذلك لأن طلاب وتلاميذ السيد الشريعتمداري كانوا يحضرون معنا، وكان لهم حضورهم وقوتهم في ذلك الحين، فكل الصامدين المخلصين للسيد الشريعتمداري وبعض الطلاب الإيرانيين، وقسماً من الأفغنة، والكربلانيين - علماً أن بعض الطلاب الكربلانيين يخافون حضور درس السيد الراحل (رحمه الله) في تلك الظروف - فهؤلاء جميعاً جعلوا مسألة تضعيف درس السيد الشيرازي أمراً ليس سهلاً على أولئك المعطلين له.

وأذكر أنه كان طالبان من طلاب السيد صادق الروحاني يحضرون درس السيد الراحل (رحمه الله) ويكثرون من طرح الإشكالات بوجهه أو بدون وجه، وبحق وبدون حق، وغالباً كانت إشكالاتهما في غير محلها وغير صحيحة ..

والحقيقة .. أن العمل في ذلك الوقت كان صعباً جداً، ومشكل جداً .

* ماذا كان يريد النظام من السيد الراحل (رحمه الله) ؟

* ولماذا السيد الشيرازي (رحمه الله) لم يعط القوم ما أرادوه ..؟! .

- قصيرة من طويلة - كما يقول الإمام الحسين (عليه السلام) - كانوا يريدون من

السيد الراحل (رحمه الله) أن يبائعهم وكفى، وكل شيء بعدها يقولوه أو يريدونه من جناب السيد الراحل (رحمه الله) عليه أن يقول: نعم، ويمضي لهم على البياض ..

هذا الذي كانوا يريدونه من السيد الشيرازي (رحمه الله)، ولهذا لم يستطع سماحة السيد (رحمه الله) أن يعطيهم أو يوافق على إعطائهم لأن ذلك غير ممكن شرعاً وعقلاً ومنطقاً وواقعاً .. لأن تكليف السيد الشيرازي كان يقتضي عليه واجباً معيناً ولا يمكن أن يوافق على الشر أو الظلم والجور الذي كان يمارس من قبلهم، فكيف يقبل السيد (رحمه الله) بقتل الناس الأبرياء بدون وجه حق، وبدون ذنب يوجب القتل؟

وهذا ليس من عندي أو أنا استنتجته من خلال الوقائع التي شهدتها، لا بل هذا ما جاء به السيد أحمد الخميني (1) شخصياً، فقد جاء مرتين إلى السيد الشيرازي وهو يحمل رسالة شفهية مفادها (عليك أن تعمل معنا وتسلم لنا بشكل كامل ومطلق) دون اعتراض حتى!!

* ماذا كان جواب السيد الراحل (رحمه الله) له؟

- لا أذكر نص كلام السيد الراحل الآن، ولكن ظاهراً أنه قال له: أنا صديقكم ومستعد للعمل معكم في سبيل خدمة هذه الأمة وهذا الشعب، ولكن أكون معكم بشكل كامل ودون رأي لي أو نقاش معكم فهذا أمر آخر يصعب علي الالتزام به.

وأذكر أن الشيخ محمد علي شريعتي الذي كان له نفوذ وكلمة في السلطة، وهو الذي جاء بالسيد أحمد الخميني إلى جناب السيد الراحل (رحمه الله) لزيارته وذلك

ص: 353

1- هو السيد أحمد بن روح الله بن مصطفى الخميني ولد في مدينة قم في عام 1946م. أصيب السيد أحمد الخميني بأزمة قلبية وتنفسية توفي على أثرها في السابع عشر من شهر شوال من عام 1415هـ- .

قبل أن يزوره السيد الشيرازي (رحمه الله) ، فكان يُلحَّ على السيد الراحل (رحمه الله) ويقول له: بأننا نريد ذلك منك (أي بالتسليم لهم دون كلام ولا نقاش في شيء).

زيارة الشيخ أحمد جتتي

ومن اللطيف أنني أذكر لكم زيارتنا لجنتي، فأذكر أننا قصدنا زيارته وكان بيته بعيداً جداً، وهو صغير جداً ربما لا يتجاوز (100 - 150م)، علماً أنه لم يكن قد زار السيد الشيرازي (رحمه الله) ، فذهبنا إليه بمبادرة من سماحة السيد (رحمه الله) ، واستقبلنا استقبالاً جيداً، ولكن بعد مدة جاء لزيارة السيد الراحل (رحمه الله) وكنت حاضراً في هذا اللقاء شخصياً.

والعجيب ما أن استقر به المجلس حتى بدأ بلهجة عنيفة وخشنة، وقال: امنعوا جماعتكم والأفراد العراقيين الذين يتكلمون كثيراً ضد النظام، ويضعفون الحكومة كثيراً!

فقال له السيد (رحمه الله) : إن هؤلاء لا يرتبطون بنا، وهؤلاء من مدينة أخرى ونحن من كربلاء المقدسة ولا ربط لنا بهم إطلاقاً.

فقال: كلهم مرتبطون بكم! فقال السيد الراحل (رحمه الله) : أقول لك وأكرر أنهم ليسوا منا في شيء. ثم أشار السيد (رحمه الله) إلي وقال: اسأل الشيخ أليسوا من جماعة وأتباع فلان. وأؤكد أنه لا يوجد كربلائي واحد ضدكم في القول أو العمل، واتيني بكربلائي واحد من جماعتنا عمل ضدكم.

وهنا قام الرجل وذهب مغضباً، وكانت تلك أول وآخر زيارة له لنا.

زيارة السيد الخامني

* هل تتذكر بعض اللقاءات السياسية أو الدينية مع السيد الراحل (رحمه الله) ؟

- ذهبنا إلى زيارة السيد الخامنئي، وكان مقره في غرفة ابن السيد محمد علي أبطحي(1) في المدرسة الفيضية الطابق الثاني، فلقينا السيد ورحب بالسيد الراحل (رحمه الله) كثيراً، والمعروف أن السيد الإمام الراحل (رحمه الله) كان متشوقاً لخدمة الناس، وكان يحذره من احتمال هجوم عراقي على إيران فعليهم باليقظة، وتكلم معه حول الأخلاق وطرح عليه بالبدء بتدريس الأخلاق في الحوزة العلمية.

فقال الخامنئي للسيد الراحل (رحمه الله) : إن لي علاقة وطيدة بكم! وتكلم عن ذكرياته في كربلاء المقدسة، ثم قال: أنا مع الشيخ هاشمي رفسنجاني(2) إحدى ليالي الجمعة ذهبنا إلى كربلاء المقدسة، وحضرت أول صلاة جماعة في كربلاء كانت لكم، وصفوف صلاة الجماعة الأولى كانت ممتلئة ولم يكن لنا مكان للصلاة معكم .. فقال رفسنجاني: اترك الصفوف وذهبنا إلى جانبكم فواحد منا صلى عن اليمين والآخر عن الشمال من جانبكم واقتدينا بكم في صلاتنا تلك. هل تذكرون ذلك سيدنا؟!

قال السيد الراحل (رحمه الله) : هذا من لطفكم .. ونصحه بأن يكونوا معتدلين ولا يكونوا متشددين ومتطرفين.

فقال الخامنئي: إن مسؤوليتي في وزارة الدفاع، والأمور الدفاعية

ص: 355

1- ناشط ديموقراطي إيراني ورئيس معهد حوار الأديان. وهو نائب رئيس إيران سابقاً.

2- سياسي ورجل دين إيراني شغل منصب رئاسة الجمهورية لدورتين رئاسيتين (1989-1997). ولد عام 1934 في جنوب شرق إيران لأسرة من المزارعين. حكم عليه بالسجن عدة مرات في فترة حكم شاه إيران. تولى منصب رئيس البرلمان بين عامي 1980 و1989. وفي آخر أعوام الحرب العراقية الإيرانية التي انتهت عام 1988، عينه الخميني قائماً بأعمال قائد القوات المسلحة.

العسكرية، - وكانت مسؤولية الخامنئي يومذاك هي إمامة الجمعة في طهران - وليس لي إلى ما تطلبون سبيل.

وقمنا وخرجنا وخرج معنا إلى الدرج (السلام) مشيعاً لجناب السيد (رحمه الله) وهناك ودعنا ولكن لم يأت لزيارة السيد الراحل (رحمه الله) أبداً ..

زيارة أئمة الجمعة

وأذكر أننا قصدنا زيارة كل أئمة الجمعة فزرنهم في بيوتهم، كما أننا زرنا والتقينا بالقاضي وحاكم محكمة الثورة الخاصة برجال الدين في قم المقدسة(1).

وكان شيخاً له مكتبة لبيع الكتب قبل أن يصبح رئيساً للمحكمة، ولا أذكر اسمه الآن، ولكن الذي أذكره أن لهذا المنصب عدد من العناوين منها:

- رئيس المحكمة.

- رئيس الإعداد العام.

- رئيس المحكمة العامة.

- رئيس محكمة الثورة.

- الإعداد الخاص برجال الدين.

ونحن ذهبنا مع جناب السيد الراحل (رحمه الله) رداً لزيارته له.

فقال له السيد (رحمه الله): الإسلام لم يكن هكذا في يوم من الأيام .. فالإسلام لم يكن خشناً، ولا عنيفاً .. فهذه الطريقة بتعاملكم مع قادة النظام الملكي وقتلهم ونشر صورهم بهذا الشكل في الصحف والجرائد ليس صحيحاً.. والرسول

ص: 356

1- لعبت محكمة رجال الدين في إيران دوراً خاصاً في الحياة السياسية، وهي محكمة مخالفة للقانون قامت السلطة باستغلالها لضرب المعارضين لها، واتخاذها سيفاً مسلطاً على عامة رجال الدين من أجل إخضاعهم والسيطرة عليهم وتوجيههم الوجهة التي تريدها السلطة أو الحاكم الأعلى.

الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت الأطهار (عليهم السلام) كانوا لا يعدمون الناس وإذا عدمتم فلا تشهروا بهم بهذه الطريقة بالجراند والمجلات، فإن ذلك له مردود سلبي في الرأي العام، والمجتمع البشري كله.

فقال الرجل في جواب السيد: ماذا أقول لهؤلاء الشباب، أو ماذا نجيب هؤلاء الشباب المتحمسون؟

فقال سماحة السيد: ماذا تعني بهذا الجواب وبهذا الكلام؟! فهل هذا هو منطق الإسلام عندكم؟

فقال: هؤلاء حرس الثورة الذين وضعوا أرواحهم في أكفهم ماذا نجيبهم؟!

فتأثر السيد الراحل (رحمه الله) كثيراً من هذا الجواب وقمنا وانصرفنا من ذلك المجلس..

* إن الجماعات المنحرفة كثيرة في إيران - كحزب الثورة والشيوعيين وغيرهم -، وكانت تبذل ضغوطاً كبيرة على السيد الراحل (رحمه الله) لكي يصدر فتوى ضدهم، ولكن سماحة السيد أبي ذلك ولم يصدر بيان ضدهم، لماذا؟

* وما هي فكرة السيد الراحل (رحمه الله) بهؤلاء؟

- كان السيد الراحل (رحمه الله) يقول: لو قمنا بعمل ما ضدهم فإنهم سوف يتعاضمون ويكثرون ويكبرون، ولكن إذا استطعنا أن ندخل بعض الأفراد الأكفاء في أوساطهم وحاولوا تغييرهم من الداخل فهذا أفضل وأكمل.

فبعض الأفراد كانوا معنا ولكن عندما رأوا أن السيد الراحل (رحمه الله) لم يصدر بياناً ضدهم ابتعدوا عنا بل وأصبحوا ضدنا، وعن هذا الطريق ضربنا ولحق بنا الكثير من الضرر والأذى.. إلا- أن السيد الراحل (رحمه الله) كان صامداً في موقفه وفكره وأهدافه الخاصة به مهما بلغت الضغوط عليه من كل الأطراف المناوئة له.

* لماذا الكثير من أصدقاء السيد (رحمه الله) وأنصاره الذين كانوا في كربلاء المقدسة تركوه وحيداً في إيران؟

- ماذا أقول هنا - وعن أي أسباب أتحدث؟

أذكر إن أحد هؤلاء - وهو أحد أقربائنا - الذي كان وكيلاً لجناب السيد (رحمه الله) ، وسجن في العراق، وعندما خرج من السجن ووصل إلى قم المقدسة نزل في بيت السيد علي الفالي إلى أن انتقل إلى بيته، وكانت له علاقة خاصة وحميمية بالسيد الفالي والسيد مجتبي، فكان مصراً على السيد مجتبي لكي يبدأ بدرس البحث الخارج في قم المقدسة، ولكن السيد مجتبي لم يرضخ لرغبته وبنفذ اقتراحه، ولم يقبل اقتراحه فانزعج كثيراً من ذلك..

ثم لما وصل السيد الراحل (رحمه الله) إلى مدينة قم المقدسة ونزل في بيت السيد علي الفالي أيضاً، وقريباً كان يتوقع أن ينزل سماحة السيد في بيته إلا أنه لم ينزل عنده ونزل عند السيد الفالي، فانزعج أكثر من عدم تلبية السيد الراحل (رحمه الله) لرغبته بذلك وفسرها على أنها إهانة له فانقطع عن السيد، ولم يأت لزيارته سوى مرة واحدة فقط، ثم أخذ موقفاً سلبياً من السيد الراحل (رحمه الله) بعدها لأجل ذلك.

* لماذا هذا الموقف السلبي من السيد (رحمه الله)؟

- السبب كما يقال: هو لما ذهب السيد الراحل (رحمه الله) ونزل في بيت السيد الفالي ولم يأت عنده وينزل في بيته وأنا وكيله المطلق في العراق، هكذا كان يفكر وبهذه الطريقة كان ينظر إلى المسألة ..

من هنا وبدون أي سبب وجيه ترك السيد الراحل (رحمه الله) ، رغم أنه كان من أشد المدافعين والمخلصين للسيد (رحمه الله) وكان يضع صورة سماحته في مسجده.

ص: 358

هذا مثال، وكثير من الأفراد والشخصيات الكبيرة فبينما هم في كربلاء المقدسة كانوا يسيرون في ركاب السيد الراحل (رحمه الله) ويسيرون معه ويؤيدونه بقوة، وذلك لأن جناب السيد (رحمه الله) كان يزورهم شخصياً ويلتقي بهم في منازلهم أو مقراتهم.

فكانوا أصدقاء السيد الراحل (رحمه الله)، وكان يتكلم معهم ويوجههم وينصحهم وهم يكتبون وينشرون بعض القضايا ضد الشيوعية أو البعثية أو حتى ضد الوهابية.. إلا أنهم لم يكونوا أوفياء لسماحة السيد (رحمه الله)، ولم تكن أقدامهم ثابتة على صراط واحد.. بل كانوا يقفزون من حبل إلى آخر كلما تطلبت مصالحهم ذلك.

وهؤلاء لا يمكن أن يقاسوا بالشيخ الشاهرودي(1)، أو السيد الفالي، أو السيد الطبسي، وغيرهم من الأعيان الكبار الذين اثبتوا وفاءهم وصدقهم للسيد الراحل (رحمه الله).

فأولئك كان سبب انقطاعهم وابتعادهم عن السيد الشيرازي أن السيد كان مشغولاً جداً ولا يستطيع وليس لديه وقت ليزورهم كل في منزله ليرضيه ويتواصل معهم أكثر، وهم لم يقدرُوا هذه المسألة، وخاصة أنهم صاروا أصحاب مكانة مرموقة ووجاهة في المجتمع، وكانوا يشعرون بالسيادة والقيادة في ظل الظروف الجديدة، وأحداهم عندما ابتعد عن السيد (رحمه الله)، ذهب إليه السيد وزاره في بيته وكان مجلساً عاماً، ولكن السيد (رحمه الله) ما كان يستطيع أن يذهب إلى كل واحد منهم.

وبعضهم الآخر كانوا يتركون السيد (رحمه الله) ويذهبون بعيداً ولم يلتزموا

ص: 359

1- الشيخ مرتضى بن حسين بن علي الشاهرودي. هو خطيب حسيني ورجل دين شيعي.

موقف الحياد بل راحوا ينتقدون سماحته ويشهرون به في المحافل والمناهل؛ وهؤلاء كانوا على خطر عظيم وتأثيرهم كبير على المسيرة وذلك لأن القريب عندما يتعد يؤذي قريبه مرتين، الابتعاد والتشهير بحق أو دون وجه حق.

وهناك بعض الأشخاص لم يكونوا ثابتي القدم، ولم يكونوا أوفياء، فأحدهم كان منذ البداية متذبذباً وله إشكالات وانتقادات وبقي حتى آخر أيامه ينتقد ويستشكك، وأبناؤه كان لهم دور كبير في ذلك، وغيره أيضاً كان لهم مواقف معادية ضد السيد لاسيما بعد وفاة المرحوم السيد علي الفالي، وبقي على عدائه إلى آخر أيام السيد (رحمه الله)، وهو الذي أثار الأمور ضد السيد محمد رضا في الكويت كما تعلمون ذلك عنه جيداً.

وعندما كان السيد (رحمه الله) في إيران لم يكن يسأل عن شخصه أو يرسل إليه التحيات والسلامات مع الزوار من أهل الكويت، - للظروف السياسية التي كان يعيشها السيد الراحل (رحمه الله) - فلم يقل لهم: سلموا على شخص فلان بالتحديد، فهذا ما أزعجه وضايقه شيئاً ما، وهو إلى اليوم هكذا مع بعض الشدة أو الرخاء حسب الظروف يتقلب، فيعبرون أشخاصهم أولاً وكان سماحة السيد (رحمه الله) إذا لم يقل لهم سلموا على فلان بالتحديد كأنه لا يحترمه.. فهذا خطأ فادح كانوا يقعون فيه!

فكانوا يتعاملون مع السيد الراحل (رحمه الله) بشيء من الندية، أي إذا لم يتصل السيد (رحمه الله) بهم أو يزورهم أو يرسل إليهم سلام خاصاً، كانوا يتعاملون مع سماحة السيد بنفس الطريقة فلا يتصل ولا يزور ولا يسلم لأنه يعتبر نفسه بمقام اجتماعي ووجاهة يجب أن يحترمه السيد الشيرازي لأجل ذلك.

* كثير من العلماء كانوا مؤيدين للسيد الراحل (رحمه الله) عندما كان في كربلاء المقدسة، ولكن تغير الوضع في إيران حيث تركوه وحيداً وابتعدوا عنه، لماذا؟

- ماذا أقول والقول يطول ويقصر، ولكن أقول كلمة فقط: إنها المصالح الدنيوية لهم.

إذاعة كربلاء

* يقال إن السيد الراحل (رحمه الله) كان يريد أن يؤسس إذاعة في كربلاء المقدسة ولكن الحكومة العراقية منعت، هل كنت في تلك القضية؟

- انقل لكم عن السيد جعفر بحر العلوم (1)

الذي كان يذهب مع الإمام الراحل (رحمه الله) في زيارته إلى بغداد للقاء بعض المسؤولين من الوزارات كوزير الأوقاف أو وزير الشؤون أو وزير الداخلية، أو غيرهم ممن زارهم سماحة السيد في تلك الفترة.

يقول السيد جعفر: كنا نذهب إلى مكاتبهم وأول شيء كان يطلبه منهم السيد (رحمه الله) هو تأسيس إذاعة - راديو - في كربلاء المقدسة، ولكن هذا الطلب قوبل بالرفض القاطع من قبل جميع الوزراء والمسؤولين في حينها..

ص: 361

1- نجل السيد موسى من أحفاد آية الله العظمى السيد مهدي بحر العلوم الكبير. ولد في مدينة النجف الأشرف، نشأ على يد والده أبي الشهداء الأربعة أحد علماء هذه الأسرة ومجتهديها. عيّن عضواً في اللجنة المركزية للانتفاضة الشعبانية عام (1411 هـ - الموافق ل- 1991 م)، حيث كان حلقة وصل بين الجماهير والمرجع الديني. واعتقلته المخابرات الصدامية مع بعض من كان من أعضاء اللجنة المركزية وثلاثة من إخوته وابنيه الكرام، وبعد سقوط النظام العفلقى تبين استشهاده مع اخوته وابنيه المظلومين في السجن.

فابتكر السيد (رحمه الله) خطة جديدة، وفريدة من نوعها في ذلك الوقت، حين أسس شبكة من السماعات حتى أنها بلغت (30) سماعة نشرها في كل كربلاء المقدسة لاسيما المراكز الرئيسية اعتباراً من الحرمين الشريفين والشوارع الموصلة إليهما كشارع قبلة الإمام الحسين (عليه السلام) وشارع قبلة أبي الفضل العباس (عليه السلام) وشارع علي الأكبر (عليه السلام) وشارع السدرة، حتى غطت تلك الشبكة كل كربلاء بالصوت.

وجعل مركز البث في مدرسة (حفاظ القرآن)، وكان البث قبل أذان الظهر وقبل أذان المغرب ولمدة (15-20) دقيقة فقط، وكان السيد عبد الحسين القزويني يقرأ التوجيهات الدينية التي ترسل إليه من السيد الراحل (رحمه الله)، وإلى حين خرجنا من كربلاء المقدسة كان هذا البرنامج معمولاً به في كربلاء ومستمرًا، والآن وبعد السقوط أستأنف الأخوة العمل بهذا المشروع الرائد ولكن البث يتم من حرم الإمام الحسين (عليه السلام) مباشرة.

* هل لكم ذكريات من السيد الراحل (رحمه الله) بخصوص أندونيسيا وسوهارتو (ID)، أو كشمير والهند أو فلسطين؟

- حول فلسطين كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يصدر بعض البيانات ويكتب رسائل لأخيه السيد الشهيد (رحمه الله) بخصوص دعم القضية الفلسطينية، وأما البقية فلم يكن لدي تفاصيل أذكرها الآن.

* هل تعلم شيئاً عن علاقة السيد (رحمه الله) بالعشائر العراقية في العراق أو في إيران، أو مع الوهابية في السعودية أو أي عمل بهذا الخصوص كحركة أو جلسة حوار؟

- نشاط السيد الراحل (رحمه الله) ضد الوهابية السعودية كان عبر منظمة العمل

ص: 362

1- ثاني رؤساء إندونيسيا، حكم إندونيسيا بيد من حديد على مدى 32 عاماً، توفي يوم الأحد 27 يناير 2008.

الإسلامي فرع الحجاز⁽¹⁾، وكان يديره الشيخ حسن الصفار وكان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يوجه الشيخ للعمل على فضح أعمال الوهابية ومواجهة التطرف والتحجر الوهابي السلفي، وذلك قبل أن يعود ويتصل بأطراف الحكومة السعودية.

* ماذا كان يفعل!؟

- كان يحاضر ويخطب ويصدر مجلة باسم (الجزيرة) يكتبون فيها ويشرحون فيها أفكار الوهابية العدائية ويفضحون أعمالهم العدائية ضد الأمة الإسلامية، وكانوا يخافونها لأنها فعلاً كانت مؤثرة.

الضائقة المالية

* كانت هناك ضائقة مالية، هل تعرفون لماذا كانت تحدث مثل هذه المشاكل المالية؟

* وكيف كان يحلها السيد الراحل؟

- السبب كان لديه كثير من الوكلاء، وكثير منهم كانوا يجمعون الحقوق الشرعية ويأخذونها ولا يوصلونها إلى سماحة السيد (رحمه الله) وذلك لتأسيس المؤسسات، وتمويل المشاريع.

وللأسف الشديد، كان هناك بعض الأفراد غير المخلصين، أو غير المنصفين، بحيث لم يراعوا الحقوق ونسبهم التي يحددها لهم سماحة السيد

ص: 363

1- بعد نجاح الثورة في إيران انتقل علماء دين سعوديين شيعة من الدراسة في النجف الأشرف إلى قم المقدسة، وقاموا بتأسيس تنظيم باسم الحوزة الحجازية وسُمي فيما بعد بإسم تجمع علماء الحجاز، كان جميعهم من محافظة القطيف و محافظة الأحساء شرق السعودية ما عدا شخص واحد من المدينة المنورة غرب السعودية.

الراحل (رحمه الله)، بل كانوا يأخذون نصف الحقوق، أو أكثر أو لا يوصلوا شيئاً أصلاً.

ومشاريع السيد الشيرازي (رحمه الله) ومؤسساته ومسؤولياته كبيرة جداً، ولذا تراه دائماً في ضائقة مالية لتمويل أعماله الكثيرة جداً؛ وربما هذه النقطة بالذات وهذا السبب الذي دفع بالسيد ليأذن لكثير من الناس من أهل الخير أو من لديهم أعمال خيرية ليصرفوها في مناطقهم وبناء مؤسساتهم فيها، حيث أن سماحته وصل إلى طريقة طريفة في هذا المجال وكان يراها أجدى وأنفع من الطريقة المتبعة بتعيين الوكلاء وصرف الحقوق الشرعية، وهي أن يوسع دائرة الوكلاء ويشجع كل أهل الخير للعمل الخيري، ولا يحصرها في الوكيل أو المرجع ويحصرها بذلك فقط، بل نشرها على نطاق واسع ليعم الخير وتزدهر المشاريع الخيرية في كل مكان.

زيارة سامراء

* هل كنت شيخنا في الحركة التي قام بها من أجل سامراء في ليالي شهر رمضان المبارك؟

- نعم، كنت في إحدى السفرات معه وذلك بعد صلاة الظهر، حيث خرجنا من باب الشهداء وكان الباص ينتظرنا هناك، وكنا بخدمة سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في أثناء الطريق، ووصلنا إلى سامراء المشرفة قبل أذان المغرب وصلينا في الحرم المقدس للإمامين العسكريين (عليهما السلام) ثم تناولنا طعام الإفطار، ثم توجهنا إلى مرقد السيد محمد (سبع الدجيل)⁽¹⁾ ومن ثم توجهنا إلى الكاظمية

ص: 364

1- السيد محمد بن الإمام علي الهادي (عليه السلام)، صاحب المرقد الطاهر المعروف والملقب عند العامة والخاصة بسبع الدجيل. وسمي بهذا اللقب وذلك لعدم تعرض قطاع الطرق في الأزمنة القديمة إلى زواره وذلك لخشيتهم منه، لكرامته ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، ومعجز ظهرت لهم.

المقدسة، ومنها عدنا إلى كربلاء المقدسة حيث وصلنا عند السحور إليها، رحلة لا أنساها أبداً.

فالسيد الراحل (رحمه الله) كان يشوق الناس ويرغبهم على مثل هذه الزيارات والسفريات، ولذا ترى أن بعض الناس كانوا يذهبون إلى سامراء المشرفة عدة مرات في الشهر.

تربية الأبناء

* كيف كانت تربية السيد الراحل (رحمه الله) لأبنائه، وكيف يتعامل معهم، أو مع أقربائه وعائلته؟

- كان أسلوب السيد الراحل (رحمه الله) في تربيته لأبنائه مثالياً إلى أبعد الحدود، وأستطيع أن أقول إنه كان نموذجياً، حيث إنه لم يكن في أي بيت من بيوت المراجع الكرام مثل ذلك؛ فعائلة السيد الشيرازي عائلة علمانية بكل معنى الكلمة فكان لا يسمح لأبنائه أن يدرسوا في المدارس العادية أكثر من عدة سنوات، بل كان يشوقهم ويشجعهم للالتحاق بالحوزة العلمية لتحصيل العلوم من الحوزة وليس من غيرها.

وكان سماحته (رحمه الله) حنوناً وعطوفاً وودوداً جداً مع أبنائه وأحفاده .. حتى أنك تراه إذا كان في غرفة الاستقبال وعنده ضيوف وسمع صوت بكاء الأطفال داخل البيت فكان يتألم لهم وحناناً عليهم لا غضباً منهم.

وربما يسأل عن سبب ذلك البكاء وهل هو طبيعي أو عن مرض، ففي الفترة التي كنت فيها بخدمته لم أراه ولو لمرة واحدة تكلم مع أحد أبنائه أو أحفاده بشدة، ولم أسمعه يصدر كلاماً قاسياً على أحد منهم؛ ولذا قلت بأنه كان مثالياً ونموذجياً في تربيته الصالحة والصحيحة لهم.

* كم محاولة اغتيال كانت ضد السيد الشيرازي (رحمه الله) في إيران، أو في العراق، كم محاولة اغتيال جرت بحق السيد الراحل (رحمه الله)؟!

- في إيران جرت محاولتان وأنا كنت في إحداها.

وذلك عندما كنا بزيارة للسيد مرتضى القزويني في بيته - الذي صار مدرسة الآن - وأذكر أنه وبمجرد دخولنا إلى البيت سمعنا الرصاص يلعلع خلفنا، وبعض الرصاصات أصابت باحة المنزل، والشرطة قالوا لنا في حينها: إنه شخص مدمن للمخدرات تصرف بدون وعي.

إلا أنهم أخفوا ذلك ولم يصرحوا بالحقيقة وهي أنه كان يحاول اغتيال السيد الراحل (رحمه الله) .

* من كان ذلك المعتدي؟

- كان من المعروفين في مدينة قم المقدسة، وبالتحقيق والتدقيق علمنا أنه من حراس بيت (فلان) شخصياً.. ولذا فإن مسؤول الأمن أتى لزيارة السيد الراحل (رحمه الله) أرسله الشيخ المنتظري وقدم اعتذاره للسيد (رحمه الله) عما حدث بحقه، وقد ألقى القبض على ذلك الشخص وأودع السجن لفترة ثم أنهم أطلقوا سراحه كما قيل لنا؛ فهذا ما رأيته وحضرته شخصياً.

أما المحاولة الثانية: فكانت من القوات العراقية حين قصفت قم المقدسة وذلك في حرب المدن بين البلدين، فقصفت الطائرات العراقية بيت السيد الراحل فاضطر لإخلاء مدينة قم المقدسة مع من أدخلوها ونزل إلى مدينة مشهد المقدسة وفي مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) حاول أحد الزائرين أن يدخل على السيد (رحمه الله) وهو يخفي سلاحه ونيته، إلا أن الله سبحانه وتعالى كشفه ومنعه الأخوة من

الدخول إلى غرفة السيد (رحمه الله) .. ولذا غيرنا مكان إقامة وغرفة سماحة السيد إلى مكان آخر أكثر أمناً له في حينها.

هذا ما أذكره في إيران أما العراق فلا أتذكر شيئاً من هذا القبيل.

* تلك المجالات التي تأسست في العراق، مثل: ينابيع الثقافة الإسلامية أو الأخلاق والآداب، ماذا كانت تهدف؟

* وهل كنت مشاركاً في تأسيسها أو مطلعاً على دور السيد الراحل (رحمه الله) في التشويق لتأسيسها؟

- أتذكر أن سماحته (رحمه الله) شجع وشوق السيد محمد علي الطبسي لتأسيس مجلة باسم (الأئمة المعصومين (عليهم السلام)).

* هل كان يدفع السيد الراحل (رحمه الله) تكاليفها؟

- نعم، كان يدفع تكاليف جميع المجالات كمبادئ الإسلام، الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، الأخلاق والآداب، وحتى أجوبة المسائل الدينية، تلك التي كان مسؤولاً عنها السيد عبد الرضا الشهرستاني.

فكل هذه الدوريات يتحملها السيد الراحل (رحمه الله) وهو الذي يدفع لهم تكاليفها، حتى أنني أتذكر أن بعض المقالات كانت تشر بأسماء بعض الأشخاص المحترمين وهي بالحقيقة بقلم السيد الراحل (رحمه الله).

* هل سافرت مع السيد الراحل (رحمه الله) كمرافق له؟

- مرتان فقط! الأولى ما تقدم ذكره من سفرنا مع سماحته لزيارة سامراء المقدسة.

والثانية: كانت رحلته من قم المقدسة إلى مشهد الرضا (عليه السلام) وذلك في أثناء تبادل قصف المدن في الحرب العراقية الإيرانية فقصفوا مدينة قم المقدسة بالخصوص، وأصيب الكثير من الأماكن لاسيما جوار وما حول بيت السيد

الراحل (رحمه الله)، حيث أصيب مقر صندوق القرض الحسن (جواد الأئمة (عليه السلام)) واستشهد فيها المرحوم (رضاً عامليان وابنه محمد) وهو طفل صغير.

وأنا والسيد علي الفالي كنا قد خرجنا لتفقد أماكن القصف البعيدة عن بيت السيد الشيرازي، ولكن عندما عدنا عرفنا أن القصف طال كل ما حول السيد الراحل ومكان إقامته حيث كان في سرداب حسينية دار الحسين (عليه السلام) وقد تضررت الأبواب والنوافذ بشكل كبير نتيجة القصف العنيف للمكان.

فقرر السيد الراحل (رحمه الله) أن يغادر مدينة قم المقدسة إلى مدينة مشهد

الرضا (عليه السلام) مع كل من السيد المرجع السيد صادق، والسيد علي الفالي، ولكن السيد علي الفالي قال: يجب أن أبقى لخدمة المصابين والمجروحين وتشجيع الشهداء، فاختاروني أنا للنيابة عنه لمرافقة السيد الشيرازي برحلته تلك.

فأسرعت إلى بيتي وودعت أهلي وأطفالي وسلمتهم أمانة للحاج محمد بان المعروف ب- (حجو) وقلت له: أينما تريد أن تأخذهم فخذهم أنا في خدمة السيد وهؤلاء أمانة عندك فأحفظهم.

* كيف ذهبتم إلى مشهد المقدسة؟

- كانت الحكومة قد خصصت أحد رجالها للتجسس ومراقبة السيد الشرازي (رحمه الله)، وقد وضعوه بعنوان حرس على بيت السيد، والحقيقة أنه كان لمراقبة كل شيء، وكل فرد يأتي إلى بيت السيد من شخصيات، والنشاطات وفي الليل كان يذهب ويقدم تقريره إلى الحرس الثوري أو الأمن وكان يتواجد من الساعة (8) صباحاً وحتى الساعة (8) مساءً أي اثني عشرة ساعة كان يراقب السيد بشكل متواصل.

في تلك الليلة لم يذهب في الوقت المحدد له، وبقي يزاول عمله، ولكن

ص: 368

استطعنا إقناعه وبشدة للذهاب إلى بيت السيد (رحمه الله) ليستفسر لنا هل من إصابات في العائلة، وفي لحظات غيابه غادرنا مع السيد الراحل (رحمه الله)، وكان لبیت السيد سائق اسمه أبو عطا نثق به وهو رجل يمكن الاعتماد عليه وكان يحفظ الأسرار حتى لو كانوا يقتلونهم لا يتكلم بكلمة واحدة وكان عارفاً بقوانين السياقة وملتمزاً بها بدقة، فقلت له: اذهب إلى شارع مزار شاه السيد علي (عليه السلام) (1).

في بادئ الأمر استغرب هذا الطلب مني ورفض التوجه إلى المكان خوفاً على السيد الشيرازي (رحمه الله)، ولكنني أقنعتني بالفكرة، فوافق على ذلك، وذهبنا إلى ذلك المكان، وكنا قد استخرنا على المرافقين لنا في رحلتنا، فكان كل من (مجيد رجبى) و(محمد زور دار)، ولم نقل لأي منهم أين نحن ذاهبون.

واستلمنا الطريق وراحت السيارة تنهب بسرعة، وكان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يحدث السائق أبو عطا خلال الطريق، والحرس كانوا ما بين النائم والمستيقظ، ولم نتوقف حتى للحظة في تلك الصحراء القاحلة لا لطعام ولا لشراب إلا لملئ الوقود فقط.

واللطيف أن جناب السيد كان ينظر إلى تلك الصحراء المترامية الأطراف ويقول: لو كان بيد اليابانيين لكانت كلها خضراء، وأشجارها مثمرة وغابات منتجة ومفيدة، وأذكر أنها كانت ليلة مقمرة جميلة وكان سماحة السيد (رحمه الله) من

ص: 369

1- يقع مزار هذا السيد الجليل في القسم الشمال الشرقي لمدينة قم المقدسة. وهو محط زيارة الزائرين وتقديم نذورهم، وغالباً ما يتحول إلى مركز اعتكاف المؤمنين وسؤال حاجاتهم. ثم إن أقوى الشواهد التاريخية تشير إلى أن صاحب هذه البقعة المباركة هو: السيد علي بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد الحنفية بن علي أمير المؤمنين سلام الله عليه، وكان أبوه أول من هاجر إلى مدينة قم من السادة ذرية محمد بن الحنفية.

أول الطريق إلى آخره يتكلم معنا، وينصح ويرشد ويشرح بعض الأطروحات لحل مشاكل المسلمين في العالم أجمع.

وعندما وصلنا إلى مدينة مشهد المقدسة فتح لنا الباب السيد مجتبي شخصياً وكم تفاجئ وانبهر من وجودنا عنده واستقبل سماحة السيد (رحمه الله) بكل حفاوة واشتياق، وأعطى المرافقين غرفة ليرتاحوا فيها.

وذهب السيد الشيرازي (رحمه الله) ليرتاح من عناء هذا السفر فلم ينم أكثر من نصف ساعة، ثم قام يتمشى في الغرفة.

ثم رأينا أن المكان غير آمن فانتقلنا إلى مكان قريب من إحدى المعسكرات وبقينا فيه أسبوعاً لم يخرج أحد منا من هناك، لا الحرس ولا السائق ولا أحد فكان أشبه بالسجن الحقيقي لنا جميعاً.

فقال لي أبو عطا: إني تعبت وأسمح لي أن أخرج قليلاً.

فقلت له: اذهب إلى المدينة والحسينية والمدرسة، ولا تخبرهم عن مجيء السيد أبداً، وهذا كان بعد أن انتقل كل الحواشي من النساء والأطفال إلى مدينة مشهد المقدسة.

وكان من المقرر أن يلتحق بنا السيد علي الفالي إلا أنه حدث له حادث وتوفي وهو في المستشفى.

* كيف كان ذهاب السيد الراحل (رحمه الله) إلى الحرم أول مرة؟!

- عند دخولنا لمدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) أصبح وجودنا علنياً، وذلك بعد وفاة السيد علي الفالي، حيث بدأ درس سماحة السيد (رحمه الله) في المدرسة من حيث انتهى درسه في قم المقدسة، وكان الحضور في الأيام الأولى قليلاً نسبياً إلا أن المكان امتلأ بالطلاب مع الأيام.

فذات يوم قرر السيد الراحل (رحمه الله) وصمم على زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) وذلك دون إعلان، وفي الساعة الثانية ظهراً ذهبنا من جهة مسجد (كوهرشاد) إلى الحرم، وقد اخترنا ذلك الوقت الذي لا يكون فيه إلا الغرباء فقط فلا يعرفنا أحد وهكذا حصل بالفعل.

ثم دخلنا الحرم الشريف، وزرنا وصلينا ثم قفلنا راجعين وكان سماحته بطريق العودة ينظر إلى الأطراف ويقول: يجب أن يتوسع هذا المكان الشريف، ويجب أن يكون صحناً واحداً موحداً لا صحون متعددة.

وأذكر أن سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وصل عند الرأس الشريف حيث أفرج له الزوار ليصل

إلى الضريح المقدس.

* هل درست عند السيد الراحل (رحمه الله)؟

- عندما كنت في مدينة قم المقدسة كنت ملتزماً بحضور درس السيد الراحل رضوان الله عليه.

* كيف كان السيد مع تلاميذه وطلابه؟

- كان تعامله مع طلابه تعامللاً ألبياً حتى لو كان بعضهم أكبر من سماحته في السن، وبعضهم كانوا يسألون ويستشكلون، ويتدخلون في الكلام وحتى الدرس، وكثير منها كان في غير محلها وغير صحيحة، ولم أر منه خلال هذه الفترة أي نوع من الشدة في الكلام مع أحد منهم أو ما شابه ذلك.

وأما درس الأخلاق فكان يلقيه في مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) وكان درساً مميّزاً وفيه كثير من الموعظة والقصص المفيدة على كل المستويات.

في رحاب الإمام الحسين (عليه السلام)

* كيف كانت علاقة السيد الراحل بالإمام الحسين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام)

ص: 371

خصوصاً في شهري محرم وصفر؟

- كان ملتزماً بلبس السواد في شهري محرم وصفر، ولم أر مرجعاً من المراجع مثله ملتزماً بالسواد مثله، فإنه كان يلتزم بالسواد منذ أن كان عمره ثماني أو تسع سنوات إلى أن توفي، وهكذا كان والده الميرزا مهدي (رحمهما الله تعالى) وأنا أتذكره جيداً كيف كان يلبس السواد في محرم وصفر وذلك ليس الجبة والصااية فقط، بل حتى تحت الجبة، كان أسوداً.

والسيد الراحل (رحمه الله) كان يحترم الجميع ويحبهم ويبادلهم المودة والصدقة، فلم يكن يعادي أحداً، هذا وقد رأيت مراراً وتكراراً في كربلاء المقدسة وغيرها، أن السيد (رحمه الله) كان يدخل مجلس فاتحة أو غيره لأحد الأفراد وبعض الأفراد المناوئين له حاضرون في المجلس ولا يقفون له عندما يدخل، ولكن السيد الراحل (رحمه الله) كان أي داخل يدخل يقف له ويسلم عليه ولا يجلس حتى يجلس ذلك الشخص في مجلسه، وهذا رأيت عدة مرات وفي عدد من المجالس.

استقبال السيد الخونساري

* هل سمعت باستقباله للسيد الخونساري(1)؟

- الذي أذكره أن السيد الخونساري وصل إلى مدينة كربلاء المقدسة قبل الخميني، وكان قد دخل إلى العراق وذهب إلى النجف الأشرف بادي ذي بدء، ولكن هناك لم يستقبله أحد كما ينبغي له أو لمثله.

ص: 372

1- مرجع ديني إثني عشري، ولد في مدينة خونسار الإيرانية وينتهي نسبه إلى الإمام الكاظم (عليه السلام). هاجر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته عند أساتذتها المشهورين من أمثال آية الله الآخوند الخراساني، وآية الله السيد محمد كاظم اليزدي، وكذلك أخذ يحضر دروس آية الله ضياء الدين العراقي.

ولما علم السيد الراحل (رحمه الله) بأن السيد الخونساري على مشارف كربلاء خرج إلى وادي كربلاء المقدسة واستقبله من هناك، ورافقه إلى أن أنزله في بيته حتى يكون ضيفاً عليه، لكن السيد الخونساري قال: لي مكاني في الحسينية الطهرانية(1).

ومن هناك قام السيد الشيرازي (رحمه الله) بإرسال الوفود العلمانية لزيارة السيد الخونساري، وقدمه لصلاة الجماعة مكانه في الصحن الشريف، وكان السيد الراحل (رحمه الله) يصلي خلفه، وكان يحترمه كثيراً وبشكل غير عادي، ولهذا كان السيد الراحل (رحمه الله) يدعو لمرجعية السيد الخونساري بعد وفاة السيد ميرزا مهدي الشيرازي.

الساندويش الفكري

* الكثير من الناس كانوا يعارضون السيد الراحل (رحمه الله) بكتابه الكتيبات الصغيرة، لاسيما الموجهة للناشئة وكانوا يعللون ذلك بأن هذا ليس من شأن السيد، فلماذا كان السيد الراحل (رحمه الله) يصر على ذلك؟

* هل سمعت منه شيئاً بهذا الخصوص؟

ص: 373

1- الحسينية الحيدرية (الطهرانية سابقاً). شيدت هذه الحسينية على أرض خان الباشا الذي بناه الوزير العثماني حسن باشا سنة 1127هـ- لأستقبال زوار الإمام الحسين (عليه السلام). وتقع مقابل باب الرجاء أحد أبواب الروضة الحسينية المقدسة. وفي سنة 1368هـ- اشترى مجموعة من التجار الإيرانيين من مدينة طهران أرض الخان من مديرية أوقاف بغداد وشاركهم في تمويلها بعض التجار من العراق والكويت. وقد اقيمت هذه الحسينية لعموم زائري مدينة كربلاء ومراقدها المقدسة. قام النظام البعثي البائد بتدميرها بالكامل بعد أنتفاضة شعبان 1412هـ- لكنها وبعد سقوط هذا النظام عادت للوجود واعيد بنائها وهي الآن في مراحل البناء النهائية.

- كان سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) ، يقول: إن هذه الكتيبات الصغيرة السهلة الفهم والعميقة المحتوى هي أفضل بكثير من الكتب الكبيرة، والضخمة المعقدة بالألفاظ والاصطلاحات الغربية عن ذهن القارئ العادي، وبعبارة أخرى كان يشبه هذه الكتيبات بأكلة الوجبات السريعة (الساندويش) أي سريعة القراءة وسهلة الفهم وبسيطة التداول، وهي توصل الفكرة للجميع.

وذات مرة قلت لسماحة السيد: إن أصولكم (كتاب الأصول) فيه الكثير من الكلمات الصعبة ومن العيار الثقيل.

فقال: هذا كتبته لأولئك الذين يعترضون على الكتب البسيطة التي أكتبها!

وهكذا كانت فكرة السيد الراحل (رحمه الله) وعقيدته بأن هذه الكتيبات السهلة البسيطة القابلة للفهم هي ذات جدوى أكبر من تلك المطولات والمعقدات بالمصطلحات، لذا كان يصر على إصدارها بين الحين والآخر، رغم أن بعض المغرضين كانوا يشيعون أن تلك الكتب لا تقيّد أحداً.

فكان يقول: الواقع غير ذلك تماماً، فمثلاً السلسلة التي كان يصدرها سماحته على شكل كتيبات يوزعها في موسم الحج من كل عام (من هم الشيعة؟ وأعرف الشيعة، وهكذا الشيعة) التي كانت تعرف الناس بالشيعة بطريقة إيجابية وسهلة وبقلم مرجع كبير فكان مردودها كبير جداً على كل المستويات.

حكومة النبي والأمير (عليهما السلام)

* كان هناك كتاب له باسم (حكومة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأمير (عليه السلام)) قالوا: بأن السلطات صادرت هذا الكتاب وأحرقوا منه عشرة آلاف نسخة . هل عندك تفاصيل في هذه القضية ؟

- نعم، أذكر أنه هناك كتاب لسماحة السيد (رحمه الله) بعنوان (حكومة النبي والأمير (عليهما السلام) وهذا الكتاب ترجمه السيد محمد باقر الفالي إلى اللغة الفارسية، ولا أذكر أنه طبع في اللغة العربية، ولكنه طبع باللغة الفارسية فصودرت جميع النسخ من هذا الكتاب ومنعه من الانتشار بين الناس، وذلك لأن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان قد شرح أساسيات حكومة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذا لم يوافق مزاجهم وفكرهم وعملهم وسياستهم وذلك لأنهم لا يريدوا أن يعرف الناس إلا ما يعرفوهم عليه فقط.

* هل تعلم من الذي أمر بحرق الكتب، وكيف كانت ردة فعل السيد الراحل (رحمه الله)؟

- لا- أعرف من أمر بحرق الكتب بعد مصادرتها، ولكن سماحة السيد (رحمه الله) كان يقول: نحن نقوم بواجبنا الشرعي، ونؤدي ما علينا، وهم يعملون ما يريدون ويفعلون ما يشاؤون.

فلم نلاحظ عليه الانزعاج أو التألم من مثل هذه الأعمال، وأما ما كان يبطنه سماحته من ضيق وحزن وألم فهذا لا يعرفه إلا الله تعالى.

توزيع الأبناء

* هل تذكر كيفية زواج أولاده، وما هو أسلوبه بهذا الشأن؟

- أذكر مراسيم زواج السيد مرتضى (الله يحفظه) وأذكرها جيداً وأنها كانت بسيطة جداً وبدون أي تشریفات أو تزيينات، بل كان سريعاً ومفاجئاً.

وكذلك العلويات من بناته فكان يزوجهن من الأكفاء بسرعة وبساطة والسيد الراحل ما كان يهتم لكل الانتقادات الموجهة له بهذا الخصوص .

ومن الذين اعترضوا عليه - لاسيما بتوزيع البنات فلان وفلان حيث لم

يقبلوا بهذه الطريقة السهلة السريعة في الزواج لاسيما البنات، إلا أن السيد (رحمه الله) لم يأبه لأحد في هذا المجال لأنه يراه صحيحاً وموافقاً للشريعة السمحة تماماً.

* هل تذكر قصة عن كيفية تلك الأعراس من السرعة والبساطة وكلام السيد الراحل (رحمه الله)؟

- كانت بساطة لا توصف، فلم يضع أي قيود أو شروط، وبمجرد أن يطلبوا منه ويخطبوا كريمته - لاسيما إذا كانوا سادة من أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - كان السيد (رحمه الله) يقبل بذلك فوراً ويجري مراسيم الزواج بسرعة.

وأما أبناءه الذكور فكانوا بنفس البساطة، فكان يقول لنا مثلاً: اليوم نزوج السيد جعفر، أو اليوم نزوج السيد مهدي، أو السيد محمد علي، وأنا شخصياً حضرت وليمة زواج السيد مرتضى وحتى السيد محمد علي وأما السيد محمد حسين فلم أكن حاضراً وليمته وزواجه إلا أنه بنفس الطريقة وبنفس البساطة.

عبادة السيد الراحل (رحمه الله)

* كيف كان ارتباط السيد الراحل (رحمه الله) بالله تعالى، من دعاء وصلاة وتوسل وتوكل؟!

- في السفر الذي رافقت به سماحته (رحمه الله) من مدينة قم المقدسة إلى مدينة مشهد المقدسة كان دائم الذكر، وأذكر أنه قرابة أربع وعشرين ساعة لم ينم فيها سماحته علماً أنني إذا كنت مسافراً في السيارة أبقى لمدة (48) ساعة لا أنام فيها والسير على طول الطريق، وكان سماحة السيد (رحمه الله) يتحدث معنا بشؤون المسلمين في العالم أو ينصحنا، أو أنه يذكر الله سبحانه وتعالى، وكان دائماً على وضوء وصلاته في السفر مختصرة وسريعة وهذا ما رأيته شخصياً من تلك السفرة الطويلة نسبياً لأننا خرجنا من الحسينية في قم المقدسة الساعة التاسعة مساءً

ووصلنا إلى مشهد الرضا (عليه السلام) حيث نزل عند السيد مجتبي في الساعة الحادية عشر قبل الظهر من اليوم التالي.

كما أن سماحته لم يترك صلاة الليل في تلك الفترة العصبية التي كنت أرافقه فيها وكذلك لم يترك غسل الجمعة والعجيب أنه كان يغتسل غسل الجمعة بابرئق من الماء البارد في الشتاء القارس في المرافق القديمة في المدرسة في مدينة مشهد المقدسة.

* هل عندك قصص ترويها لنا في هذا الباب؟

- نعم، ما أكثرها فسماحة السيد الراحل (رحمه الله) كان ملتزماً جداً حتى بالمستحبات وهذا أنا على يقين منه فلا يتركها في أي ظرف وفي كل الحالات ومهما كانت الأوضاع صعبة كان يأتي بها بشكل من الأشكال.

فحياة السيد الإمام (رحمه الله) كانت تتلخص بكلمات فإما يكتب أو يدرس أو يذكر الله أو يتفكر في أوضاع الأمة الإسلامية، وما هي السبل لإنقاذها من المآسي التي تسقط فيها حالياً؟ والملاحظ أن سماحته (رحمه الله) إذا تعب قام ليمشي في البيت الذي يسكنه لدقائق معدودة فإذا كان لنفسه كان يفكر في المؤسسات والمشاريع المهمة وإذا كان معه أحد فتراه يتشاور معه فيما يفكر فيه.

الشؤون الشخصية

* كيف كان السيد الراحل في ملبسه ومأكله ونومه؟

ص: 377

- أما نومه فكان قليلاً جداً، وأذكر أننا في البيت الذي نزلنا به في مشهد المقدسة رأيت ذلك من السيد (رحمه الله) بأم عيني فتراه إما مشغولاً بالكتابة والتأليف وعندما يتعب أو يرى أن عليه أن ينام فإنه يذهب ليستريح لا يتجاوز ذلك نصف ساعة، وإذا كان متعباً أو مرهقاً فإنه ينام لمدة ساعة لا أكثر، وأما ملبسه فكان بسيطاً جداً لا يتجاوز العباية والصاوية وما تحتها.

حصار ربع قرن

* خلال (25) سنة الأخيرة من عمره الشريف كان جليس البيت ومحاصراً ممنوعاً من الخروج هل تذكرون كم مرة خرج من بيته وبأي مناسبة؟

- كان خروجه نادراً وقليلاً جداً وأذكر أن سماحته (رحمه الله) خرج في إحدى المرات وذهبنا معه إلى حسينية دار الحسين (عليه السلام) القريبة من بيته، من أجل الصلاة على جنازة عمته أم الأخوة السادة آل النوري والمرة الثانية خرج لعبادة السيد الكلبيكاني في مرضه وهو في بيته ولا أذكر أن سماحته خرج من بيته خلال هذه المدة المديدة.

* كيف كان ارتباط السيد الراحل (رحمه الله) بالشباب خاصة؟

- السيد الراحل (رحمه الله) كان يراعي هذه الفئة العمرية بشكل خاص لأنه يرى بهم أمل الأمة ومستقبلها، ولذا تراه يستقبلهم بحفاوة ويسلم عليهم واحداً واحداً، وإذا كانوا قليلي العدد يسأل كل واحد منهم عن اسمه وعمره وعمله وتحصيله العلمي، وينصحهم ويرشدهم ويشجعهم لصنع مستقبلهم، وغالباً كان يوصيهم بثلاثة أشياء هي (التقوى، تأليف الكتب، الخوف من الله في السر والعلن).

هذه الوصايا الثلاث التي كان يؤكد عليها سماحته (رحمه الله) لكل أحد من

زواره، إلا أنه يوصي بها الشباب خاصة، وكان بعض الشباب يتأثرون بكلامه ويحاولون تطبيقها في مستقبلهم.

كما أن السيد الراحل (رحمه الله) كان يحب خطباء المنبر الحسيني ويشجعهم على تحسين أدائهم المنبري ومقارنته بالكتابة والتأليف، فكلما كان يزوره أحد الخطباء المشهورين أو المغمورين فكان يوصيهم بأن يكتبوا لا أقل من كتاب عن كل من المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام).

ومما أذكره في هذا السبيل أن المرحوم الشيخ أحمد الرحماني الهمداني(1)

ونتيجة لكلام وتشويق وترغيب سماحة السيد (رحمه الله) كتب كتبه الرائعة والمشهورة جداً.

كما أن الشيخ الفيلسفي عندما منع من الخطابة وأجبر على الإقامة في بيته كتب إليه السيد الراحل (رحمه الله) رسالة قال له فيها: عليك بالتأليف والكتابة، فكان أول ما كتبه كتاب (الطفل بين التربية والوراثة).

* كيف كان تعامله مع النساء (ربات البيوت، طالبات الجامعات والمعاهد...) ممن كن يأتين لزيارته؟

- كان يوصي جميعهن بتقوى الله والزواج المبكر ويشوقهن للكتابة والتأليف كل منهن في مجالها والخوف من الله في السر والعلن، وهذه بالحقيقة وصايا الإمام الراحل (رحمه الله) لجميع الزائرين والمراجعين له.

ص: 379

1- رجل دين ومؤلف شيعي من أهل همدان. ولد في همدان سنة 1355 هـ، وبها نشأ وبدأ دراسته الدينية (الحوزوية). هاجر إلى طهران ودرس فيها واشتغل بالخطابة والوعظ والتأليف، بالإضافة إلى اشتغاله بالتدريس سنوات عديدة في مدرسة آية الله المجتهد الطهراني، ثم أسس مدرسة عرفت باسم مدرسة آية الله الآخوند الهمداني.

* كان سماحته (رحمه الله) يخاف الله خوفاً واقعياً حقيقياً، هل رأيت ذلك منه أو شعرت منه يوماً؟

- نعم، أشهد بأن السيد الراحل (رحمه الله) كان يخاف الله بكل كيانه.

في قضية أذكرها جيداً أنني رأيت منه مرة واحدة شدة في الكلام والموقف، كان شخص يدعى حاج محمد وهو مسؤول شراء الحاجيات اليومية لبيت السيد وكان يعطيه السيد الراحل (رحمه الله) في كل يوم مقدراً معيناً من المال لشراء الحاجيات كما يعطيه قائمة بالأغراض التي سيشتريها من السوق، كالخضار والفواكه واللحم والرز والخبز، وفي بعض الأوقات كان مسؤول الشراء (حاج محمد) يخرج ويعلم أن مقدار المال لا يكفي لحاجات السيد (رحمه الله) لأن عائلته كانت كبيرة فيضيف بعض الكميات المقررة، وفي آخر الأسبوع كان يأتيني ويقدم حسابه ومصروفه الإضافي للبيت، وأنا أعطيه المال وبعد ذلك أقدم قائمة الصادرات والواردات أسبوعياً لجناب السيد (رحمه الله) فكان يدقق في القائمة فذات يوم رأى في قائمتي (1200) تومان كتبت باسم الحاج محمد، فقال: لماذا أخذ منكم؟ فقلت له: إنه اشترى أكثر مما قلتم له فأخذ الإضافي مني؛ فانفعل السيد الراحل (رحمه الله) وبان الغضب على وجهه خوفاً من الله فقام وبدأ يمشي في الغرفة وهو يقول: تدخلت في أمري يا شيخ، تدخلت في أمري وأنا أخاف الله فكم فقير موجود حولنا.

وبدأ يشرح لي بأن عليه أن يعيش عيش الفقراء وأن لا يسرف في معاشه وإلا فهو مسؤول أمام الله عز وجل.

قلت: سيدي لم أعمل خلاف الشرع وأنا كنت مجبراً فماذا أصنع والرجل

قد دفع من ماله؟

إلا أن سماحته (رحمه الله) لم يقنع بكلامي وظهر عدم الارتياح على وجهه الشريف وحزن من تصرفي وأنا بدوري انزعجت فذهبت لألوذ بالسيد المرجع السيد صادق (دام ظله) مقدماً استقالتى ليعفينى من مهمتى وأعطيتهم كل المفاتيح والأشياء التي كانت عندي، إلا أن سماحة السيد صادق (حفظه الله) لم يقبل منى الاستقالة ولم يعفني من مهمتي وهكذا انتهت تلك القضية.

* كيف كان تعامله مع الكادر في البيت والمكتب؟

- أما بالنسبة لأفراد المكتب والحرس والمسؤولين عن الضيافة فكان تعامله أويماً وحنوناً وأقصد الأب الذي لا يأمر حتى أبناءه، فلم أره مرة واحدة يقول للحاج جعفر أعطيني أو أجلب كأساً من الماء، بل إذا احتاج إلى أن يشرب كان يقوم بنفسه ليشرّب الماء، حتى أنه إذا أراد أحد منه الخيرة فتراه يقوم بنفسه ويأتي بالقرآن الكريم، ولذا فإنه جرت العادة أنه إذا أراد أحدهم الخيرة فيأتي إلى السيد ومعه القرآن الكريم.

سرور السيد الشيرازي (رحمه الله)

* أي شيء كان يسّر السيد الراحل (رحمه الله)

ويدخل البهجة على قلبه؟

- عندما يطبع كتاب ويوزع، كان يسره ذلك كثيراً، وتراه مبتهجاً ومسروراً، وأذكر أنه في إحدى المرات أتى الشيخ الذاكري من بيروت وكان معه كتاب (الحرية في الإسلام) وكتاب آخر طبع في بيروت، فوجدنا السيد الراحل (رحمه الله) بان عليه السرور، وظهر الفرح على وجهه، وأخذ يتصفح الكتاب وقال: أبدؤوا بتوزيعه سريعاً وأوصلوه بيد القراء، فكان سماحته إذا رأى الكتاب قد خرج من المطبعة إلى عالم النور فإن ذلك يدخل السرور والبهجة على قلبه الشريف.

ص: 381

* أي شيء كان يؤذيه ويزعجه ؟

- يتأذى من عدم النشاط، وينزعج من الكسل وعدم الحيوية، أو التواني والتباطؤ بالعمل من قبل بعض الأخوة والأصدقاء، أو عندما يرى أن بعضهم لا ينفذ ما أُرشده عليه، أو أمره به وهذا ربما يخص الحواشي والمقربين والمحيطين بجنابه، فكان ينزعج إذا تكاسلوا أو لم يعملوا ولم يكن لهم عذر مقبول.

* هل رأيتَه يطبخ طعاماً ؟

- أذكر أنه في الموجة الثانية لقصف المدن في الحرب تقرر أن سماحته (رحمه الله) يذهب إلى مدينة (يزد) مع ولده المرحوم السيد محمد رضا (رحمة الله عليهما)، وذلك في سيارة إسعاف قديمة ولا تكاد تخرج من المدينة، تابعة لمستشفى (سيد الشهداء (عليه السلام))، علماً أنني لم أكن معهما، ولكن في اليوم الثاني أخذت العنوان من السيد صادق (دام ظله) وذهبت بأثرهما إلى مدينة (يزد) حيث وجود السيد الراحل وولده، وكان نازلاً في بيت والد الشيخ حسين الفدائي حفظه الله، وتعجبت من ذلك لأن المكان لم يكن آمناً بما يكفي على جناب السيد (رحمه الله)، إلا أنه كان لا يعلم بوجوده أحد.

فكان عنده وإذا به يأتي لنا بالفطور بنفسه، في قدر قد طبخ به رزاً غير مصفى، ومرقة خاصة لم أكل مثلها في حياتي، وكان يعلق: إن هذه قضايا شكلية ويجب أن لا تقف عندها كثيراً وعلى الإنسان أن لا يتلف وقته ويضيع أيامه بصنع الطعام وأكله.

ومرة أخرى كانت في إحدى الأيام العادية، وحين طلبني وكان لي موعداً عنده، فذهبت إليه، وقلت: سيدنا حان الوقت (الموعد)، فقال: تفضل ادخل

الآن نذهب.

وعندما دخلت رأيت دخال المطبخ وأخرج من الثلاجة مقداراً من الرز والمرق وأتى بهما كما هما باردان، وقال: تفضل وكل معي، فجلسنا وأكلنا هذا الطعام هينئاً مرينئاً، ثم قمنا وذهبنا إلى موعدنا المقرر.

* إذا صادف أن أحد من العمال أو الموظفين لم ينفذ ما عليه، ولم يتم بواجبه، فماذا كان يقول له السيد (رحمه الله)؟ وكيف يتصرف معه في هذه الحالة؟

- كان السيد الراحل (رحمه الله) يسأله، ويستفسر منه عن سبب ذلك، فإن كان لديه عذر وجيه، ودليل مقنع فيدلي به، وإذا لم يكن له عذر فإنه يطرق برأسه إلى الأرض ولا يرفع رأسه خجلاً من سماحة السيد (رحمه الله)، وسماحة السيد كان يسكت ولا يقول له شيئاً.

* هل كان يحدد شخصاً آخر لهذا العمل؟

- نعم، كان يختار شخصاً آخر لهذا العمل، ولكن لم نره يغضب ويغالب على أحد من المقصرين.

* عندما أصدر بعضهم بياناً ضد السيد الشيرازي (رحمه الله)، تصدى جمع من العلماء لذلك وقاموا بمحاولات لسحب البيان، هل كنت معهم؟

* أو هل سمعت شيئاً عن ذلك؟

- في بداية صدور البيان ضد السيد الراحل (رحمه الله) الذي لم يظهر حتى وصل سماحته إلى الكويت، وأنا شخصياً لا أذكر تلك التفاصيل، ولكن سمعت أن السيد مرتضى القزويني تصدى وكتب رسالة إليهم بهذا الخصوص، وأغلب الظن أن الرسالة موجودة عندي.

* أنت اعتقلت وسجنت - شيخنا - ماذا كانوا يريدون منك؟

- يريدون أن أقول لهم إن السيد الراحل (رحمه الله) يعمل ضد الثورة لتكون لهم

ص: 383

حجة ضده، وأقول لهم ماذا كان يفعل السيد (رحمه الله) بحق الثورة، لتكتمل الحجة على السيد (أي أنه كان يقول ويعمل ضد الثورة).

فقلت لهم: لم يكن للسيد الشيرازي أقوال، ولا أفعال ضدكم في يوم من الأيام.

فقالوا لي: ما هي نظرية شورى الفقهاء حتى يطرحها على المالأ، فنحن حذفنا شورى القضاء، وشورى الفقهاء غير ممكنة، فكيف هو يقول بها.

والحقيقة أن كتاب السيد الراحل (الشورى) مطبوع وموجود بين الناس ولم يكن سريراً أو جديداً لم يعرفوا عنه شيئاً، ولكن كان حجة العاجز، وعمل الفاشل، لأنهم ما كانوا يريدون شيئاً إلا مسألتين فقط هما:

الأولى: التأثير على الناس المحيطين بجناب السيد (رحمه الله) لينفض الناس ويتعدوا عنه، فيضعف اجتماعياً.

الثانية: الضغط على سماحة السيد شخصياً ونفسياً، بهدف التأثير على روحيته ومعنوياته فيضطرب شيئاً ما؛ لأنهم كانوا على يقين بأن السيد الراحل (رحمه الله) لم يعمل ضدهم في يوم من الأيام، وكل هدفه خدمة الناس ونشر رسالة أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) وفكرهم على أكبر ساحة ممكنة.

إلا أنه لم يكن يقبل تلك الأعمال المخالفة للشرع الحنيف من سفك الدماء، والسجون والتعذيب وما إلى ذلك من ممارسات فيها انتهاك لحرمة الدين الإسلامي وقيمه الحضارية.

ومن الأشياء التي كانوا يسألوني عنها: كم رواتب العمال الذين يعملون في بيت ومكتب السيد الشيرازي؟

فأقول: إنهم لا يعملون بالراتب، بل يعملون تطوعاً وحباً بالسيد

الشيرازي، ومتى يتوفر لدى جناب السيد مالاً كان يعطيهم ما تسير له دون تحديد معين.

والهدف من ذلك أنهم كانوا يحاولون أن يجعلوا أحداً من الذين يعملون في بيت السيد الراحل (رحمه الله) أن يتعامل معهم لينقل لهم كل صغيرة وكبيرة مما يجري في بيت ومكتب السيد الراحل (رحمه الله) إلا أنهم فشلوا في هذه أيضاً.

الإبداع الفكري للسيد الشيرازي (رحمه الله)

* ماذا كانت إبداعات السيد الراحل (رحمه الله) كما تراها ؟

ج/ كثيرة جداً إبداعات السيد الشيرازي (رحمه الله) ، فلا تكاد تحصي حقيقة إلا أنني أذكر منها بعض الأمثلة فقط، فمن إبداعاته طرح مسألة شورى الفقهاء والمراجع لإدارة شؤون الأمة، ومنها طرحه للأحزاب الإسلامية، وقد تأسست عدد من الأحزاب في ظل دعوته تلك.

وإبداع السيد الشيرازي (رحمه الله) كله كان يختصر في أنه كان يريد أن يطبق الإسلام الحنيف، وشريعته السماوية على أرض الأمة الإسلامية ويطمح إلى تبليغ الإسلام إلى كل بقاع العالم، وأن ينفي الفقر والعوز والحاجة من الأمة الإسلامية.

* هل رأيت طريقة سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في التأليف ؟

- في الفترة التي كنت فيها بخدمة السيد (رحمه الله) في مدينة مشهد المقدسة رأيت كيف يكتب ويؤلف، فتراه كان يجلس ويكتب لمدة ساعتين تقريباً - علماً أنه كان يكتب بشكل سريع جداً، ويقرأ أيضاً قراءة سريعة لم أر مثله في حياتي حتى إذا توقفت أصابعه عن الحركة - لأن أصابعه تقف عن الحركة لكثرة الكتابة - فتراه يقف ليتمشى في الغرفة ويفكر في المسألة التي كان يكتب بها، أو غيرها من

مشاريعه الكثيرة جداً.

وفي بعض الأحيان كان يطرح مسألة شرعية عليّ، فإذا كنت أعرف الجواب أجيبه، وإذا لم أعرف كان يجيبني هو عليها مع تفاصيلها ليعلمني، ثم يجلس ثانية ليستأنف الكتابة والتأليف.

هذا ما رأيته منه في مدينة مشهد المقدسة وخلال إقامتي معه وفي خدمته، وأما في مدينة قم المقدسة فإن لجناب السيد الراحل (رحمه الله) أماكنه الخاصة ولكن إذا اضطررنا للسؤال أو مسألة فإننا كنا ننزل إلى السرداب فكنا نراه جالساً يكتب فنسأله ونخرج من عنده سريعاً لكي لا نعطله.

* كيف كان لديه مسألة التولي والتبري وتعامله مع أعداء المذهب؟

- كان إيمانه قوياً جداً بما هو مؤمن به، لاسيما الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، وهذا الشيء يلاحظه كل من جلس معه، أو قرأ كتبه الكثيرة؛ فمسألة التولي لأولياء الله تعالى والتبري من أعدائهم وظالمهم مسألة في الصميم وليست في الشكليات والقشور فقط.

أما المذاهب الإسلامية الأخرى فإنه كان يخاطبهم في كتبه، ويحاورهم إذا جاؤوا إليه - وكم له من حوارات معهم ومع غيرهم من الأديان الأخرى وقد أفرد لهم كتباً - وكان يقول لنا: يجب أن نراعي طريقة الطرح في المناظرة، وتعامل معهم بحسب مكاتبتهم العلمية وفهمهم وطريقة طرحهم للمسائل، فإن كان بسيطاً نتعامل معه بكلمات بسيطة ومواقف مناسبة لفهمه، ولكن إن كان قوياً ومتعلماً فإن طرحنا معه يكون علمياً ورسيناً وقوياً أيضاً، فعليكم أن تراعوا مثل هذه القضايا في الحوار والنقاش مع الآخرين.

كما كان سماحته (رحمه الله) يحاور كل الأطراف إسلاميين وعلمانيين ومسيحيين

ص: 386

وشيوعيين وغيرهم وأذكر أنه ذات يوم وحين كان سماحته (رحمه الله) في الكويت ذهب إلى بيت (قبارد) (1) وكان هناك سفير (السوفييت) آنذاك، ودخل معه في حوار ومناظرة وانتصر عليه فيها.

شكر ودعاء الختام

لا يسعنا في نهاية هذا الحوار السريع المفيد، مع سماحة الشيخ الأصفهاني المحترم، إلا أن نشكر الله تعالى على هذا التوفيق الرباني، لهذا التوثيق الحقيقي لحياة الإمام المجدد السيد محمد الحسيني الشيرازي (رحمه الله)، ونشكر سماحة الشيخ الذي تحمل هذا العناء ونش تلك الذكريات التي أتحننا بها جزاه الله كل الخير.

وقبل الوداع نقول: اللهم أمطر شآبيب رحمتك على تلك النفس الزكية، وتلك الروح الطاهرة، وذاك الجسد المضمخ بالإيمان، وتلك الشخصية المتسربة بالولاء لمحمد وآله الأطهار (عليهم السلام).

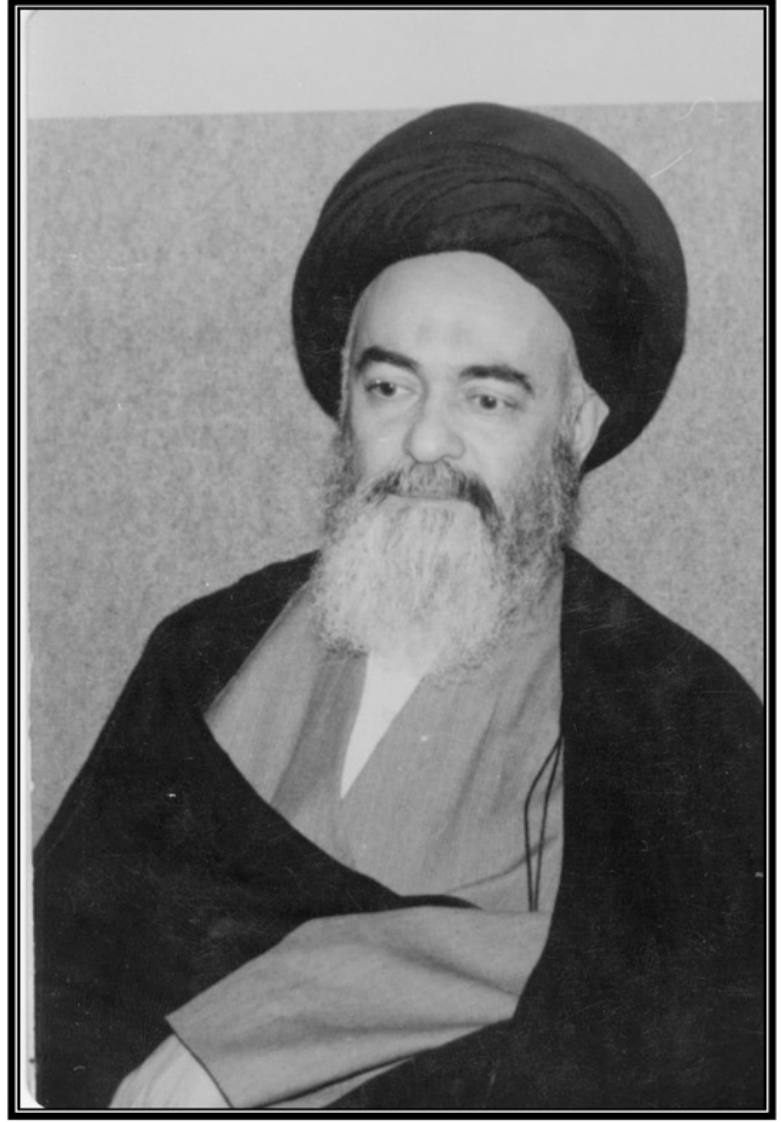
اللهم ارحم غربته، وطيب تربته، وأنس روعته، اللهم احشره في ركاب محمد وآل محمد (عليهم السلام) الذي أفنى حياته في التاريخ لهم والدفاع عنهم والحب لهم؛ فإنه كان من مصاديق قولهم: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا) و (نصّر الله وجه عبداً أحيا أمرنا) فارحمه ونصّر وجهه فإنه أضنى جسده، وأفنى عمره في سبيل ذلك.

اللهم، ارحم وأغفر وتحنن وتفضل وتكرم على ذاك السيد الجليل، والمرجع النبيل، الإمام ابن الكرام السيد محمد الحسيني الشيرازي (رحمه الله)، وارفع درجاته وقدس نفسه وعطر رسمه فإنك أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

ص: 387

1- محمد حسين علي قبارد، نائب سابق في مجلس الأمة الكويتي.



الإهداء ... 5

شكر وتقدير... 7

المقدمة... 9

الحوار الأول

مع آية الله الشيخ فاضل الصفار/11

التمهيد... 13

القسم الأول/17

عوامل النجاح وسر الصمود... 17

بوادر الاصطدام مع السلطات... 20

فراصة الإمام الراحل (رحمه الله) ... 23

يحترمه الجميع... 24

المؤمن يألف ويؤلف... 25

هل ما حصل انقلاب؟... 26

جبهات المواجهة... 32

أخطر المواجهات... 36

ص: 389

عوامل وسر نجاح الإمام الشيرازي (رحمه الله) ... 37

المرجعية العليا... 39

أهم عوامل النجاح في شخصية الإمام الراحل (رحمه الله) ... 42

تحمل بلا حدود... 46

على منابر الجمعة... 48

جمع الكل تحت الراية... 50

إدارة المؤسسات بالمعنويات... 51

مع وفد الأمم المتحدة... 53

القسم الثاني/57

منايع عبقرية الإمام الشيرازي (رحمه الله) ... 57

الإمداد الغيبي... 58

رؤيا ذات دلالات... 62

رسالة إلى السيد الشيرازي (رحمه الله) ... 65

الذكاء الخارق... 67

حافظة عجيبة للأحاديث... 69

مع علماء حوزة مشهد... 71

أقرب الآراء إلى روح الإسلام... 73

القسم الثالث/76

عالمية الطرح في فكر الإمام الشيرازي (رحمه الله) ... 76

تغيير الغرب واليهود... 82

ص: 390

- 85 ... الجهاد عند الإمام الراحل (رحمه الله)
- 85 ... مع وفد قادة الحركة الأفغانية...
- 87 ... الإمام الراحل (رحمه الله) والأكراد...
- 90 ... العمل في أفريقيا...
- 91 ... الإمام الشيرازي (رحمه الله) ومنهجية الوكالة والوكلاء...
- 95 ... مؤلفات المدرسة الشيرازية...
- 96 ... جماهير المقلدين...
- 97 ... ارتباط المرجع بمقلديه...
- 99 ... أنت وابنه سواء...
- 100 ... هدفة الحياة...
- 102 ... اللقاء الأول بعد الفراق...
- 104 ... الإمام الراحل (رحمه الله) والحركة والوهابية...
- 110 ... الشعائر الحسينية...
- القسم الرابع/112
- 112 ... الإمام الشيرازي (رحمه الله) والقضية العراقية...
- 113 ... المحور الأول: العشائر...
- 118 ... تنتهون إلى المصالحة...
- 119 ... المحور الثاني: هو التعددية السياسية...
- 121 ... المحور الثالث: محور الإصلاح والنهضة...
- 122 ... المحور الرابع: مسألة الشورى (شورى الفقهاء المراجع)...

- المحور الخامس: مبدأ اللا عنف... 123
- عواطف الإمام الشيرازي (رحمه الله) ... 125
- تتبع الأخبار العالمية... 125
- الإمام الشيرازي (رحمه الله) وكربلاء المقدسة... 131
- الإمام الراحل (رحمه الله) طاقة هائلة... 135
- الإمام الراحل (رحمه الله) مُجدداً... 136
- الإمام الراحل (رحمه الله) وأخلاقه النبوية... 137
- نكران الذات... 139
- معالجة الأزمة المالية... 141
- القسم الخامس/143
- الإمام الراحل (رحمه الله) وجوانب من الإدارة والعاطفة... 143
- مؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله) ... 146
- النظم والنظام تحرر من الاستبداد والاستعمار... 147
- الإبداع في العمل المؤسساتي... 148
- المؤسسات الإجتماعية... 149
- الإمام الراحل (رحمه الله) والمرجعيات الأخرى... 152
- أفكار المرجعيات العليا... 154
- الإمام الراحل (رحمه الله) وأساليبه التربوية... 156
- التشويق المستمر لطلب العلم... 160
- دور الإمام الراحل (رحمه الله) في تقوية الحوزات... 161

تعددية أممية... 163

المشورة الدائمة... 164

الإمام الراحل (رحمه الله) وأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى... 165

الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) بلا حدود... 166

الإمام الراحل (رحمه الله) والإصلاح... 169

القسم السادس/172

الإمام الشيرازي (رحمه الله) والرحلة إلى مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام)... 172

في مدينة مشهد المقدسة... 175

الإمام الراحل (رحمه الله) يسكن مع طلابه... 177

باقة ورد هدية للإمام الراحل (رحمه الله)... 181

التدريس المميز... 182

سيدة الموسوعات... 187

الكراسات رسائل توعوية... 190

شرح كتاب السماء و العالم من بحار الأنوار... 193

الحروب التي شنت على الإمام الراحل... 196

الحلم والصبر من سجايا الإمام الراحل (رحمه الله)... 198

أفراح الإمام الراحل (رحمه الله) بأولاده... 200

تنظيف فراش المكتب... 201

ويرفض الستائر المستخدمة... 202

ما كان يملك إلا صاية واحدة... 203

ص: 393

أتريد أن تصنع مني طاغوتاً يا دكتور؟ ... 203

القسم السابع/206

الإمام الشيرازي (رحمه الله) رجل التحديات الكبرى... 206

لو استطاع لغير العالم... 207

يطالب بالوحدة في زمن التشتت... 210

الإمام الراحل (رحمه الله) والمجتمع... 212

العمل دائماً... 213

حفظ التوازن بين المرجعية والموازن الاجتماعية... 213

انقسام الأصحاب تحت ضغط الظروف... 216

الإمام الراحل (رحمه الله) والحكومات... 218

حرب الدعايات ضد الإمام الراحل (رحمه الله) ... 222

الصبر و التحمل... 222

اللاعنف بلا حدود... 223

لا للشعارات... 223

الصلب القوي أمام الشدائد... 224

مهرجان صفر الشعري... 225

عندي أهداف كبرى... 228

ص: 394

مع فضيلة الحجة الشيخ علي الرميثي دام عزه/233

القسم الأول/235

نبذة تعريفية عن الشيخ الرميثي... 235

اللقاء الأول... 237

مقومات الشخصية الناجحة... 237

السبب وراء المشاكل... 238

النظرة إلى الدنيا... 242

مع الحوزات العلمية... 243

أهم الآراء والأفكار... 245

الحكومات الإسلامية... 246

مع المناوئين... 248

محااربة الجهل... 249

مستوى التفكير... 251

مع المراجع العظام... 253

الأحزاب المناوئة... 255

المرجع والأمة... 257

مع المنبر الحسيني... 258

مع الشعائر الحسينية... 260

موانع تأسيس الفضائيات... 261

ص: 395

خلفيات العداوات... 262

لماذا كان يفعل ذلك؟... 263

اللاعنف بلا حدود... 265

مصادرة كتب... 266

المغريات... 268

القسم الثاني/269

للزهد صور أخرى... 269

الصورة الأولى... 272

الصورة الثانية... 273

الصورة الثالثة... 275

الصورة الرابعة... 277

الصورة الخامسة... 280

الصورة السادسة... 282

الصورة السابعة... 284

الصورة الثامنة... 286

الصورة التاسعة... 288

الحوار الثالث

مع آية الله الشيخ حسن الغديري/293

بداية المعرفة... 295

ص: 396

- تجسيد الفضائل... 298
- الأخلاق الفاضلة... 299
- مقومات النجاح... 299
- النظرة الايجابية... 300
- التنظيم والتقوى... 300
- مع الثقلين... 301
- الكويت أم كربلاء المقدسة؟... 301
- الآراء السياسية... 301
- تجسيد الصفات الأخلاقية... 302
- العبادة والعلاقة مع الله... 303
- احترام الآخرين... 304
- الأصل العمل... 304
- الحريات... 305
- الإرهاب الجسدي والفكري... 306
- نظرة إلى واقع المسلمين والغربيين... 308
- وسائل الإعلام... 309
- المنبر الحسيني... 310
- دور المرأة في المجتمع... 312
- صفات نائب الإمام (عليه السلام) ... 315
- ص: 397

مع فضيلة الحجة الشيخ حسن الاصفهاني (رحمه الله) /317

التعريف بسماحة الشيخ الاصفهاني... 320

حديث البدايات... 322

رسائل مختلفة... 324

زيارة السيد الخميني... 332

زيارة الإمام الراحل للشيخ المنتظري... 333

زيارة الشيخ محمد يزدي... 334

السيد الشيرازي (رحمه الله) والعشائر العراقية... 335

محاولات التسقيط في الكويت... 336

شهادة الميرزا جواد التبريزي (رحمه الله)... 340

برنامج الإمام الراحل (رحمه الله) في قم المقدسة... 343

من أخلاقيات الإمام الراحل (رحمه الله)... 346

زيارة الشيخ أحمد جنتي... 354

زيارة السيد الخامنئي... 354

زيارة أئمة الجمعة... 356

إذاعة كربلاء... 361

الضائقة المالية... 363

زيارة سامراء... 364

تربية الأبناء... 365

ص: 398

محاولات الاغتيال... 366

في رحاب الإمام الحسين (عليه السلام) ... 371

استقبال السيد الخونساري... 372

الساندويش الفكري... 373

حكومة النبي والأمير... 374

توزيع الأبناء... 375

عبادة السيد الراحل (رحمه الله) ... 376

الشؤون الشخصية... 377

حصار ربع قرن... 378

الخوف من الله تعالى... 380

سرور السيد الشيرازي (رحمه الله) ... 381

الكسل يزعجه... 382

الإبداع الفكري للسيد الشيرازي (رحمه الله) ... 385

شكر ودعاء الختام... 387

الفهرس... 389

ص: 399

للاطلاع على آراء وأفكار الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) راجع المواقع التالية:

alshirazi.com *

annabaa.org *

malshirazi.org *

Iswf .us *

shirazinetwork.com *

shirazionline.org *

m.youtube.com/user/shajara14 *

①elegram.me/shajara14 *

①elegram.me/shirazi_lib *

①elegram.me/shajara14_f *

ص: 400

المجلد 2

هوية الكتاب

رحلة في افق الحياة والمعرفة

الجزء الثاني

سيرة ومسيرة الإمام المجدد

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1439 هـ - 2018 م

مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية

ص: 1

اشارة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1439 هـ - 2018 م

مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية

Backlick Rd, Springfield, VA 22150 USA 7900

ص: 2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

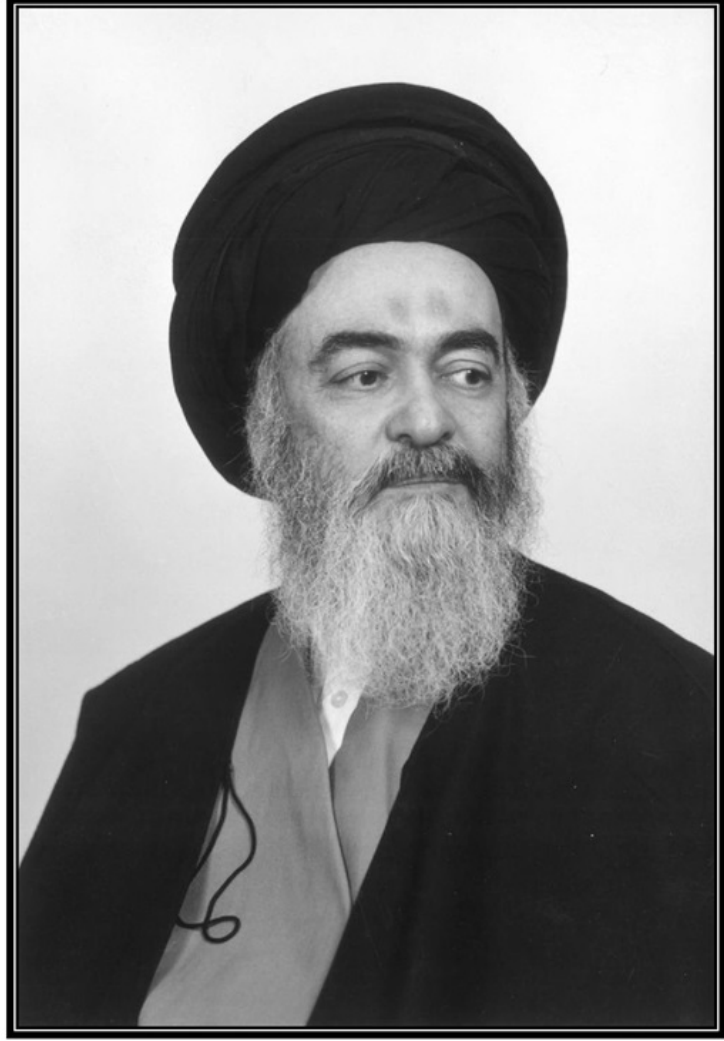
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

ص: 4

الحوار الخامس: مع فضيلة الحجة الشيخ ناصر الأسدي دام عزه

إشارة

ص: 5



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعترته الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

أما بعد، يشغل القسم الأول من هذه الأوراق بطرح العديد من الأسئلة على سماحة الشيخ ناصر الأسدي، وأما الأقسام الثلاثة الأخرى فتنشغل بفعل السرد عبر شهاداته وهو يسترجع بذاكرته الكثير من التفاصيل.

قد لا نجد في القسم الأول الكثير من ملامح الشيخ، لكن بقية الأقسام سنجد تلك الملامح واضحة بصورة أكبر، فهو إذ يروي الكثير من التفاصيل كأنما يروي جزءاً كبيراً من حياته، لكنها حياة ليست بمعزل عن حياة من يتحدث عنه وهو الإمام الشيرازي الراحل (قدس سره).

كيف يمكن صناعة الذات وصناعة العالم في الوقت نفسه؟!

من خلال فعل السرد المتضمن في هذه الانطباعات والشهادات التي يرويها سماحة الشيخ ناصر الأسدي، وهو فعل لا يستذكر ماضيه إلا عبر ماضي شخصية أخرى، اندمج فيها حد الذوبان حباً وتطلعاً.

وهذا الاستدكار في حقيقته هو سيرة ذاتية للمتحدث تطرح رؤية لما نسميه

ذاتنا وأفعالها، وتأملاتها وأفكارها ومكانها في العالم.

لكن ما السيرة الذاتية عموماً؟ إنها تتكون مما يلي: راوٍ، هنا والآن، وهو الشيخ الأسدي، يأخذ على عاتقه مهمة وصف تطور شخص هناك وحينذاك، وهو الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله)، شخص تصادف أنه يحمل الإسم نفسه. وينبغي عليه طبقاً للعرف أن يستدعي هذا الشخص من الماضي إلى الحاضر بطريقة ينصهر فيها الشخص المقصود والراوي في النهاية ويصبحان شخصاً واحداً بوعي مشترك.

والسيرة الذاتية عبر استرجاعها للأحداث والمواقع والأشخاص والأفكار، هي تنضوي تحت ما يعرف بالسرد، أو الحكى أو القصّ المباشر من طرف الكاتب أو الشخصية في مثل هذه الكتابات، يهدف إلى تصوير الظروف التفصيلية للأحداث والأزمات. ويعني كذلك برواية أخبار تمت بصلة للواقع أو لا تمت، أسلوب في الكتابة تعرفه القصص والروايات والسير والمسرحيات.

يتضمن السرد سمتين بالضرورة: إحداهما الحكى عما حدث لجمع من البشر مع نظرة إلى النظام الذي حدثت فيه الأمور، ويستعين هذا الجزء بشكل كبير بأدوات مثل الفلاش باك، والنظر إلى الامام، وأدوات أخرى. لكن لابد أيضاً أن يجيب العمل السردى على السؤال: لماذا يستحق هذا أن يحكى، ما أهميته؟

ما يبرر الحكى هو التزام بمجموعة معينة من المسلمات بشأن الذات، وعلاقة المرء بالآخرين، ورؤية المرء للعالم وموضعه فيه.

ينبغي أن تكون لهذه الشهادات والانطباعات خاصيتان على الأقل، ينبغي أن تركز على الناس وحالاتهم المتعمدة من رغباتهم، ومعتقداتهم، وأفكارهم،

وانشطتهم، وانفعالاتهم إلى آخره.

وينبغي أن تركز على الكيفية التي أدت بها هذه الحالات المتعمدة إلى أنواع معينة من الأنشطة. وينبغي أيضا أن تبدو مثل هذه الشهادات والانطباعات نظاماً يحفظ، أي يحفظ التسلسل أو يبدو أنه يحفظه، الخصائص المسلسلة لما تكونه الحياة نفسها، أو يفترض أنها تكونه.

هذه المقدمة ضرورية لقراءة ما يكتبه الشيخ ناصر الأسدي، حيث الأسئلة التي طرحت عليه للاستذكار والإجابة قليلة بالمقارنة مع اثني عشر ذاكرته المتخمة بالتفاصيل، يتذكر قسماً كبيراً منها، وينسى غيرها قليل.

إنه في هذه الكلمات وأنت تقرأه، كأنك تقرأ سيرته الذاتية، لكنها سيرة آثر أن يدمجها بسيرة شخصية أخرى، يعتبرها نبراساً وراية عالية رافقها في حياته على مدى أكثر من أربعة قرون أو تزيد، وهي فترة زمنية غنية وشاسعة بالقياس إلى ما يعيشه الإنسان.

فمن مدرسة حفاظ القرآن، إلى أزقة كربلاء المقدسة ومعاهدها ومدارسها الدينية وحسينياتها، كان الأسدي لا يبصر، ووعيه في بداية تشكله، غير صورة لعالم دين، هو مهوى أفئدة الكثيرين رغم صغر سنه، وكل شخصية بمثل مقام هذا العالم تأخذ الرهبة والخجل والتردد كثيرين من المقدمين على تحيته والسلام عليه، لكن هذا العالم لم يكن ليترك شيئاً مما تولده مكانته أو مقامه من الإقبال عليه، لأنه دائماً يستقبل القادمين إليه بكل ود ومحبة.

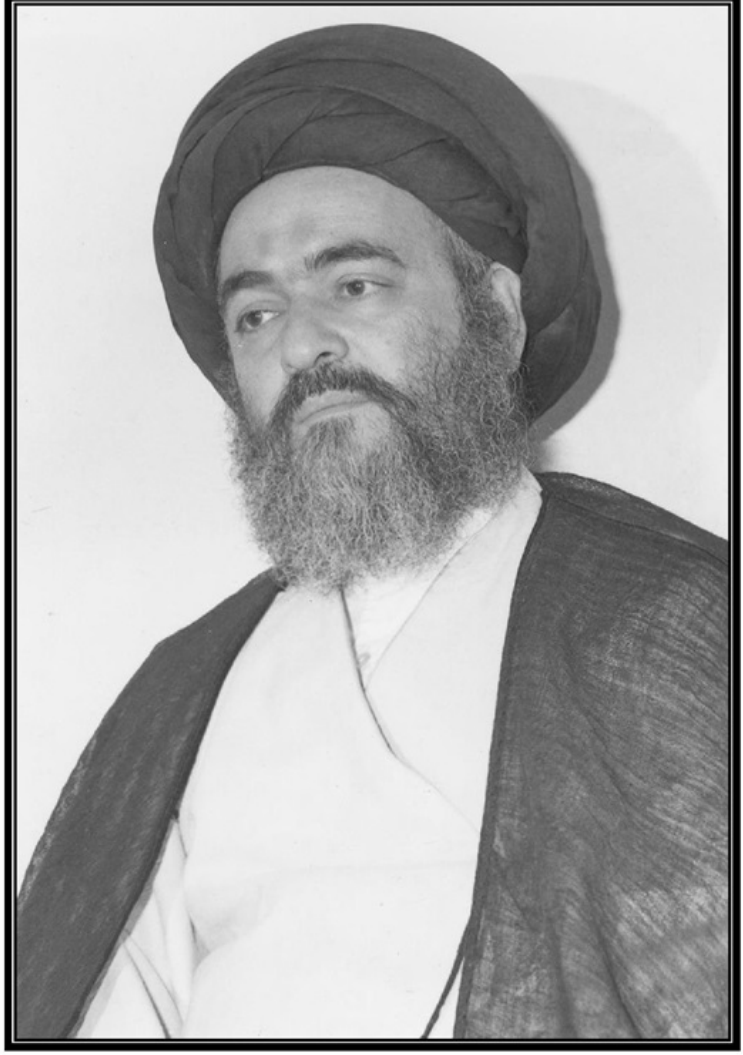
تلك الجذور الأولى، تشبث بالأرض وامتدت عميقاً، وهي تتقدم بخطوات صاحبها في العمر والتجربة.

لقد أصبح قريباً من أستاذه، وهو يشعر باطمئنان أكبر في وجوده معه

وقريباً منه، في غربة قسرية لليد واللسان فرضتها سلطة البعث في العراق على الإمام الراحل (رحمه الله) وتلاميذه ومقلديه.

لهذا جاءت أكثر تلك الشهادات واصفة لكمّ غفير من الذكريات والمواقف والأحداث والأشخاص، في مدينتي مشهد وقم المقدستين، حيث تلازم الرفقة وتراكم التجربة والنضج المعرفي.

ص: 10



في الحياة العلمية للإنسان تمر عليه الكثير من الشخصيات، لكن قلة منها تترك أثراً لا يُنسى، فبعض من تلك الشخصيات تبرز أهميتها في حياة أمة، وبعضها في حياة أفراد بل فرد، ولعل الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره) من تلك الشخصيات التي تترك أثراً لا يُمحى في حياة كل من أحاط به أو سمعه أو قرأ له في مسيرة الأمة الإسلامية عامة.

لقد كان (قدس سره) يأمل ويعمل لرفي الإنسان المسلم بكل وسعه، ويفكر في كل ما يسهم في تشكيل الشخصية العلمية العملية لهذا الإنسان.

وننقل - في حديثنا - خواطر وحوارات حول الإمام الشيرازي (قدس سره) مع واحد من معاصريه وممن تأثروا به، وهو سماحة الشيخ ناصر الأسدي (حفظه الله).

الصورة



في مدرسة حفاظ القرآن

كنا نعيش في كربلاء المقدسة ضمن أسرة محافظة، وكان أهلنا يمتنعون عن الحاقنا للدراسة في المدارس الحكومية؛ والسبب هو توجيهها العلماني، وعدم تربيتها للطالب تربية دينية، لذلك التحقت بمدرسة (حفاظ القرآن الحكيم الأولى) (1) الواقعة مقابل الحسينية الطهرانية (2)، والملاصقة لجدار الصحن الحسيني الشريف، فكانت بدايتي في الصف الأول الابتدائي في هذه المدرسة المتكونة من ثلاثة صفوف فقط في مرحلة التأسيس الأولى.

لم أكن وقتها أعرف السيد الشيرازي (رحمه الله) ولم التق به بعد، وبعد مرور

ص: 15

1- تأسست على يد المرجع الديني الكبير الراحل السيد ميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله)، وكانت ثلاث من هذه المدارس للبنين وثلاث للبنات، وفيما بعد واصل المشوار نجلة الراحل المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (رحمه الله)، بالإشراف على هذه المدارس. وكان الهدف من هذه المدارس، إنشاء أرضية دينية أصيلة للتعليم من الصف الأول الابتدائي، بحيث يحمل الطالب معه إلى المرحلة المتوسطة الثقافة الدينية. ويمكن الإشارة إلى أبرز خريجي هذه المدارس هو الفقيه الراحل آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (قدس سره).

2- شيدت هذه الحسينية على أرض خان الباشا الذي بناه الوزير العثماني حسن باشا سنة 1127هـ- (1715م) لاستقبال زوار الإمام الحسين (عليه السلام) في بداية عام 1951.

فترة من الزمن دعينا مع الأساتذة إلى صلاة الجمعة جماعة في الصحن الحسيني الشريف ولم نبلغ سن التكليف بعد، وكان المكان مكتظاً بالمصلين المشاركين بالصلاة في صحن الإمام الحسين (عليه السلام)، وكانت هذه المناسبة بداية لمعرفتنا بالسيد الراحل (رحمه الله) الذي كانت مدرستنا معروفة باسمه حيث رأيناه لأول مرة فيها وهو يؤم جموع المصلين في الصحن الحسيني الشريف.

كان برنامجنا اليومي مساءً مع بعض الزملاء كالآتي: نذهب لنصلي المغرب والعشاء جماعة، ثم نذهب لنسلم على السيد الشيرازي (رحمه الله) وهو جالس على سجادة الصلاة وتقبّل يديه، وهذا البرنامج كان قد استمر لفترة وجيزة، ثم انتقل مكان المدرسة إلى منطقة اسمها زقاق الداماد⁽¹⁾، فأصبحت المدرسة كبيرة، لتصبح صفوفها ستة تتفرع من كل صف شُعب ك: الصف الأول شعبة: أ، الصف الثاني شعبة: ب، إلى آخره.

الصورة



وكان للسيد الشيرازي (رحمه الله) برنامج لزيارة المدرسة مرتين في السنة يستعد الجميع قبل زيارته لها فيتم تنظيفها وترتب وتنظم، ليأتي سماحته (رحمه الله) فيزور كل صف فيها، ثم يدخل على الطلاب فيقومون ويسلمون عليه، فيبدي النصح الجميل للجميع ولاسيما الكبار، وأحياناً كان يدور نقاش قصير بين سماحته (رحمه الله) والأستاذ لمدة دقائق، ويتحدث إلى الطلاب ثم يودعهم ليذهب بعدها إلى صف آخر، وهكذا مع بقية الصفوف والطلاب.

كان الطلاب يستبشرون ويفرحون لزيارته، ويشعرون بأن لهم دور مهم في

ص: 16

1- زقاق كان يقع منطقة بين الحرمين الشريفين، وقد هدم وأزيل منذ عدة سنين ولا يوجد له أثر الآن.

حياته (رحمه الله) ، وأتذكر في إحدى المرات أنه دخل فجأة إلى المدرسة في وسط الاستراحة حيث كان الطلاب يلعبون ويركضون في الساحة والضجيج والصياح واللعب منتشر في كافة الأرجاء، فخيم الهدوء فجأة واجتمع الطلاب حوله ليسلموا عليه ويقبلوا يده، ويقفوا معه لدقائق ليرد سلامهم بكل ود ومحبة، ثم يودعهم ويذهب إلى الإدارة، فزيارته إلى مدرستنا بين فترة وأخرى، مثل زيارة الشهيد السيد حسن (رحمه الله) .

كان من النشاطات البارزة أيضاً في هذه المدرسة وقتها تأسيس فرقة للمسرح، وكنت ضمن أعضاء هذه الفرقة، حيث تقدم كل سنة عرضين مسرحيين، وقد اشتركت في مسرحيات عديدة منها:

الصورة



(فدائيو الإسلام)، ومسرحية (الإمام علي (عليه السلام) مُحطم اليهود)، حيث كان السيد الراحل (رحمه الله) حريصاً على مشاهدة هذه المسرحيات، وكان حضوره مميزاً ويضفي جواً من الأهمية الكبيرة لما تقدمه من عروض، وحينما يبدأ العرض كان سماحته (رحمه الله) يجلس في الصف الأول من المشاهدين، وعندما كنا نراه هو وأخوه الشهيد السيد حسن (رحمه الله) [\(1\)](#) يشاهدانا ينتابنا شعور بالفخر والاعتزاز والأهمية،

ص: 17

1- ينحدر سماحته من أسرة عريقة في العلم والسياسة والفضل، من نسل المجدد الشيرازي الأول السيد محمد حسن الشيرازي (رحمه الله)، ومن ناحية الأم يكون الميرزا محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) قائد ثورة العشرين في العراق، ووالده المرجع الديني الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) اجتهد على يد مراجع كبار واهتم بالجوانب الفكرية والاقتصادية والسياسية إلى جانب تخصصه في الفكر الإسلامي. مارس دوره الموجه في الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة وغيرها، إلى جانب تربيته لها وذلك بالتعاقد مع أخيه الأكبر الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)، وقد أمضى فترة طويلة من حياته بين الاعتقال والنفي. إتخذ من لبنان مقراً له عام 1970 م، وقبل ذلك كان يتردد كثيراً على سوريا، أسس جماعة العلماء عام 1977 م إلى جانب تربيته لها كما أسس الكثير من المؤسسات التربوية والثقافية والدينية والاجتماعية في كل من العراق وسوريا ولبنان وأوروبا وأستراليا وساحل العاج وسيراليون ونيجيريا وكينيا. وضع أول لبنة في تأسيس الحوزة العلمية الزينية في سوريا عام 1975 م وقد خرجت هذه الحوزة منذ تأسيسها إلى اليوم المئات من الطلاب من مختلف الجنسيات وتعتبر اليوم أكبر وأهم الحوزات في هذه البلدة الطيبة وهي ما زالت اليوم تمارس كل الصيغ للوصول إلى

تحقيق الأهداف الإسلامية عامة. اغتالته مخابرات النظام العراقي في بيروت عام 1980، وأصبحت تقام له مجالس تأيين سنوية.

أما باقي الحضور فكانوا من الطبقة المتميزة في كربلاء المقدسة ومن وجهاءها وشخصياتها، وكانت بطاقات الحضور تباع أحياناً بأثمان باهظة - من جهات غير مسؤولة - ولا تصل ليد أي أحد، وأحياناً إذا كان هناك إقبال جماهيري يستمر العرض لأربعة أيام متتالية وهذه أطول فترة حينذاك وكان وقت العرض قبل شهر محرم الحرام في شهر ذي الحجة والذي هو آخر السنة الدراسية.

هذه هي خلاصة لقاءاتنا الأولى بالسيد الراحل (رحمه الله) وهكذا كانت.

وفي وقت من ذلك الزمن، وحينما كنا نحضر صلاة الجماعة في الصحن الحسيني الشريف، كان يوجد شيخ يدعى الشيخ يونس، وهو رجل متواضع وملتزم بالعمل التبليغي، ويقع مكتبه فوق سطح الكشوانية⁽¹⁾ - التي في مدخل الحضرة الشريفة - وتقع مقابل الباب المؤدي إلى شارع الشهداء أي من الجانب الغربي للصحن الشريف في المكان الذي يؤدي السيد الراحل (رحمه الله) فيه الصلاة وكان سماحته (رحمه الله) يعمل بالاتفاق مع أحد الشيوخ ليتسنى له الكلام بحرية

ص: 18

1- هو المكان الذي يتم فيه تأمين أحذية الزوار في الجوامع والحسينيات والمزارات.

وعفوية، وليس إلقاء محاضرة رسمية، فيحضر الشباب والأولاد الأصغر سناً، والذين كان عددهم في حدود العشرين طالباً، ليسرد لهم قصص الأنبياء (عليهم السلام)، وأحياناً يتناول مسألة أو اثنتين في الفقه لمدة قصيرة من الزمن تتراوح بين ربع إلى نصف ساعة كل ليلة بعد الصلاة، وكان الحضور طوعاً لتلك الجلسات لا قانون محدد فيها، حيث كنا نحضر أحياناً، ونغيب عن الحضور عندما يكون لدينا برنامجاً آخر في مكان ما، وهذا العمل التبليغي الجميل كان لفترة معينة قبل أن تشعر به المخابرات البعثية والتي كانت تقف بالمرصاد ضد أي نشاط ديني.

مرحلة التعميم

كانت أيام تلك الفترة الزمنية، هي الوقت الذي التقينا فيه بسماحة السيد الراحل (رحمه الله)، وبعدها كنا نواصل دراستنا في المدرسة إلى أن أصبحنا على أعتاب مرحلة التعميم - أي لبس العمامة وزى رجال الدين - حيث كان لدى سماحته (رحمه الله) برنامج للتعميم والذي يشمل كافة الطلاب الذين يصلون إلى مرحلة معينة في المدرسة، ويُشخّص فيهم المسؤولية لتحتمل مثل هذه المهمة الكبيرة فكان سماحته (رحمه الله) يسعى إلى تتويجهم بالعمامة واللباس الإسلامي الخاص برجال الدين والعلماء واقتداء بلباس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان يأخذ الطلاب وعلى شكل مجاميع أولى وثانية.. وهكذا للتعميم.

وفي أحد الأيام بعث لي مدير المدرسة سماحة الشيخ ضياء الزبيدي(1) - والذي كان قيادياً ناشطاً واعياً وشجاعاً ومجاهداً، وللاّنصاف أقول أنه كان بطلاً من أبطالنا (أطال الله عمره)، وهو الآن خطيب حسيني بارع - ليطلبني لرؤيته،

ص: 19

1- ناشط ومجاهد وخطيب حسيني مميز، كان مدير مدرسة حفاظ القرآن الاولى.

فذهبت إلى غرفة الإدارة، وكنت متوجساً أن يحاسبني لفعل شيء معين، أو أي إشكال وخطأ يمكن أن أكون قد ارتكبته دون قصد مني، فقام من وراء طاولته وأتى ليجلس بجانبني على الأريكة في غرفة الإدارة، وبدأ يتكلم كلاماً مشجعاً ومادحاً ومثنياً على دور الخطباء والمبلغين الذين يؤدون الرسالة الإسلامية ولهم شأن اجتماعي كبير ومحترم في المجتمع وفي خط الإمام الحسين (عليه السلام)، وأتذكر يومها أنه ذكر لي عدة نماذج قانلاً: هذا الذي تراه الآن خطيب ناجح ويعيش بمستوى اقتصادي ممتاز وأموره جيدة وفق برنامج تبليغي ورسالي خاصة في دول الخليج، ومن الناحية المعنوية فهو - أي المعمم - يعتبر خادماً لسيد الشهداء (عليه السلام). هذا الكلام شجعني جداً، واقتنعت أن أتعمم، ولكن والدي رفضاً هذه الفكرة؛ لأنني كنت الوحيد لهما وليس لديهما ابن آخر يعيلهم في هذه الحياة.

لكن في إحدى الأيام، وعند رجوع والدي إلى البيت قال لي: لقد رضيت أن تتعمم.

فسألته والدي: كيف وأنت كنت رافضاً لذلك؟

فقد اتضح أن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان قد بعث الشيخ ضياء الزبيدي برفقة العلامة السيد عبد الحسين القزويني (حفظه الله) (1) نجل الشهيد آية الله السيد صادق القزويني، الذي كان معلماً في مدرسة الحقاظ، وهو خطيب بارع، إلى والدي وقالوا له: إن هذا هو طلب السيد، فدع ابنك يتعمم؛ فأجابهم والدي قانلاً: ما دام السيد الشيرازي قال ذلك فليس لدي أي مانع.

ص: 20

1- السيد عبدالحسين بن السيد محمد صادق بن السيد محمد رضا بن المرجع الكبير آية الله السيد محمد هاشم الموسوي القزويني الحائري، وينتهي نسبه إلى السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).

تهيات بعد ذلك لدراسة المقدمات، وكان أحد المعلمين والمربين الجيدين وهو الشيخ كميل كريم (حفظه الله) يجيد الخياطة، فنخاط لنا صاية - وهي لباس خاص للمعممين -، وتم تحديد موعد ارتدائنا العمامة، وكان ذلك يوم ميلاد الإمام العسكري (عليه السلام) في العاشر من ربيع الثاني عام 1970م وبعد وفاة المرحوم السيد الحكيم (رحمه الله) (1) بثلاثة عشر يوماً، أنا ومعني الشيخ محمد علي المؤمن (رضوان الله تعالى عليه) (2) حيث جمعنا الشيخ ضياء الزبيدي مع طلاب الصف وكنا حوالي ثمانية وعشرين طالباً، ذهبنا إلى بيت السيد الراحل (رحمه الله) يوم الميلاد ومعنا ملابس التعمم - الصاية والعباءة - وكان بيت السيد الراحل (رحمه الله) يقع في شارع الإمام علي (عليه السلام) - هناك اجتمعنا مع سماحته (رحمه الله) حيث كان لديه عمل وعنده ضيوف في غرفة أخرى، ثم بدقائق حضر وطلب قماش العمامة من الشيخ ضياء الزبيدي فأخذه ولفَّ العمامة، وسأل: مَنْ الذي سيتعمم؟ خاطبني الشيخ ضياء: قم!

وأوقفني السيد (رحمه الله) باتجاه القبلة وقرأ سورة (القدر)، وطلب مني قراءتها ووضع العمامة على رأسي، وألبسني الصاية والعباءة، ورفع الحضور أصواتهم بالصلاة على محمد وآل محمد، وكان بعض الوجهاء والتجار أهدوا ساعات منضدية للطلبة بمناسبة الميلاد وأمر السيد الراحل (رحمه الله) بإحضارها وباشر بتوزيعها على كل الطلاب الحاضرين، وكانت تلك الهدايا قيمة وثمانية

ص: 21

1- مرجع ديني شيعي كبير، تسنم المرجعية بعد السيد أبو الحسن الاصفهاني وكان المرجع الثاني للشيعة في العالم، ثم تسنم المرجعية العامة للشيعة بعد وفاة السيد حسين البروجردي، وأخذ بوضع نظام إداري للحوزة، وشرع ببناء المدارس وإرسال المبلغين إلى نقاط العراق المختلفة.

2- أحد الطلاب في مدرسة حفاظ القرآن، وقاريء مميز للقران الكريم.

ولها فائدة كبيرة إذ لا يملك معظم الناس ساعات ونحن كنا من الطبقة الفقيرة، وكانت الساعة منضدية هلالية الشكل وجميلة جداً ولطيفة، ثم أعطانا هدية نقدية في ظرف مقدارها دينار عراقي، والدينار العراقي - ذلك اليوم - يعني الكثير بالنسبة لنا، والقوة الشرائية له كانت تعادل حدود خمسة وأربعين إلى خمسين دولاراً، ففرحنا كثيراً لهذه الهدية الشجعية، وبعدها قدّم لنا السيد الراحل (رحمه الله) الوصايا والنصائح التي بيّن فيها وبشكل مختصر مسؤولية رجل الدين وما يجب عليه القيام به من نشاطات، وكانت نصائحه لمن يعممهم، خلاصتها: لزوم التحلي بالعلم الكثير والتقوى والأخلاق الحسنة والسعي إلى تأسيس المؤسسات التربوية والأخلاقية، وتنمية موهبة الخطابة، والمداومة على الكتابة والتأليف، وغير ذلك.

كان لديه خمس نصائح يكررها في مناسبات التعميم، لكن في إيران أضف إليها نظريته في لزوم إقامة دولة الألف مليون مسلم، أي لزوم السعي لبناء المؤسسات والتي يجاهد من أجل قيامها؛ إذ كان يقول لكل طالب يعممه: ضع هذا في بالك؛ وهو أن يكون عمك متواصلاً وبدون انقطاع طيلة حياتك.

كان ذلك اليوم المشهود الذي تعممنا فيه ذا أثر كبير في حياتنا، وبعدها بنخسة شهور هاجر السيد (رحمه الله) من العراق، في نفس العام الذي تعممنا فيه، وكانت هجرته في اليوم الخامس والعشرين من شعبان المعظم.

بالعودة إلى ذكريات التعميم مع الشيخ محمد علي المؤمن، عند حضورنا في اليوم التالي إلى المدرسة، وعندما رأنا زملائنا الطلاب فرحوا كثيراً وقاموا بمباركتنا، ثم ذهبنا إلى صفنا ونحن نرتدي العمامة، وقبلنا كان الشيخ كاظم السباعي (1) وأفراداً

ص: 22

1- أستاذ وباحث وخطيب حسيني ومن الطلبة المميزين في مدرسة حفاظ القرآن الكريم.

آخرين قد تعمموا وبذلك كان صفاً يضم مجموعة من المعممين مثل صف الحوزة. وكان قد بعث سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) ببيت شعر إلى إدارة المدرسة، دونه بدوره الشيخ كميل (حفظه الله) على لوحة التعليم في الصف وكنا مجتمعين نتجاذب أطراف الحديث وهو يخبرنا: أن سماحة السيد أنشد هذا الشعر خصوصاً للطلاب المعممين وليس لعموم الناس، وكان البيت الشعري يقول:

مشت العمائم في البلاد وطوحت***بكشيدة وسدارة وعقال

البرنامج الأسبوعي لسماحة السيد الراحل (رحمه الله)

خلال الفترة التي كان فيها سماحة السيد (رحمه الله) موجوداً في العراق كان هناك قرار من أساتذتنا بتواجدنا صباح كل جمعة في مكتب سماحته (رحمه الله)، في منزله الذي كان يقع في شارع الإمام علي (عليه السلام)، حيث استأجر منزلاً آخر بجانب المنزل القديم؛ لضيق مساحته وازدحامه بالحاضرين، فكنا نذهب إلى هناك للاستماع إلى توجيهاته لعموم الناس وكنا نستفيد من هذه التوجيهات، وأحياناً كان يأتي شباب وأطفال، فكان يعرفهم علينا، أي أنه يربط الزائرين بالموجهين، وتقوم بالتنسيق معهم والارتباط بهم، من خلال استقبال هؤلاء الأفراد الجدد وتبادل الحديث معهم وتوزيع الكتب عليهم.

وفي صبيحة الجمعة أيضاً كان طلبة الجامعة يأتون من بغداد - وفيهم من أهالي كربلاء المقدسة يتلقون دروسهم في جامعة بغداد - ويكون مركز اجتماعهم في بيت السيد الراحل (رحمه الله)، وكان يلقي عليهم محاضرة خاصة بجيل الشباب الحوزويين وأخرى بجيل الجامعيين.

وكذلك كان عنده برنامج في كل ثلاثاء ليلاً في جامع العطارين في كربلاء

المقدسة لعموم الناس، وكان مجلساً كبيراً يحضره المئات، حيث يلقي عليهم محاضرة أيضاً، أما في عصر الجمعة فيلقي سماحته (رحمه الله) لرجال الدين محاضرة خاصة، وأنا لم حضر مثل هذه المحاضرات؛ لصغر سني حيث كانت خاصة بالأكبر منّا سنّاً، وما عدا ذلك فنحن لم نتخلف عن أي برنامج لسماحته (رحمه الله) وكنا ملتزمين جداً بالحضور إلى تلك البرامج.

فالسيد الشيرازي (رحمه الله) كانت لديه أسبوعياً ثلاث محاضرات أساسية، محاضرة للجامعيين، ومحاضرة للكسبة والتجار، ومحاضرة لرجال الدين.

وضمن برامجه الأساسية كان السيد (رحمه الله) يسعى إلى تأسيس الهيئات الشبابية، التي كانت لنا فيها مشاركة واسعة، ففي كربلاء المقدسة ومحيطها تأسست حوالي مائتي هيئة شبابية والهيئة تعني ندوة دينية شبابية أسبوعية، وكانت الهيئة عبارة عن أفراد من الشباب المثقفين المتدينين يكوّنون خلية من شخص أو اثنين يختارون مكاناً معيناً ليقوموا فيه مجالساً ومحاضرات، وغالباً ما يكون في مسجد في يوم خاص يحدد لذلك وقد يصل عدد الأفراد المشاركين في الهيئة إلى (120) فرداً يكون أحدهم مسؤولاً عنهم، وهذا المسؤول صاحب شخصية قوية ومثقف يبدأ محاضراته فيتكلم عشر دقائق أو ربع ساعة أو ثلث ساعة أحياناً لي طرح مسألة فقهية، أو مسألة تاريخية أو يتكلم عن إمام من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) مثلاً، وبعد ما ينتهي يبدأ أفراد آخرون يحاضرون بالموجودين، عبر طرح مواضيع معينة.

كان البرنامج يبدأ بقراءة القرآن الكريم، حيث يوزعون مجموعة مصاحف على الحاضرين ويجلسون بشكل مربع تقريباً ويضعون الرحلات القرآنية الخاصة أمامهم ويأخذون بقراءة القرآن الكريم وتلاوته، بعد ذلك يتحدث المسؤول إلينا

لبعض الوقت ثم شخص آخر بعده، ومن ثم تبدأ مرحلة السؤال والجواب.

ألقيت أول محاضرة في حياتي في هيئة القرآن الحكيم وكان مقرها قبل الوصول لشارع الإمام علي (عليه السلام) باتجاه الجنوب إلى ساحة البلوش، وكان الحاج مصطفى المؤذن (1) مدير تلك الهيئة.

الصورة



شارع الإمام علي



وقد كلفت أن القي محاضرة من كتاب (في ظل الإسلام) وهو كتاب رائع من مؤلفات السيد الشيرازي (رحمه الله) والذي تأثرت به كثيراً، وفيه بحوث عن الإنسان، وعن السلم واللين، وبحث حول المرأة وبحث حول الحيوان، وبحث حول النبات، وبحث حول المجتمع، وبحث حول القضاء الإسلامي، وقد أعجبتني موضوع القضاء فهيات محاضرتي حوله، وكان التحدث حول القضاء الإسلامي في العام 1970م يعتبر حديثاً حضارياً ومتطوراً وجميلاً، وكان فيه نوع

من الإبداع أن يتكلم الخطيب الحسيني عن القضاء الإسلامي وأسلوبه وطريقته. وفي وقته لم تكن هناك محاضرات تتطرق إلى مثل هذا الموضوع، فكانت متوتراً جداً؛

ص: 25

1- قارئ ومؤذن الحرم الحسيني الشريف، ومن وجهاء كربلاء المقدسة ومدرس للقرآن الكريم وناشط في خط الإمام الراحل (رحمه الله).

فهي المرة الأولى التي القي فيها محاضرة حول القضاء هناك.

أما في الكويت بعد هجرته إليها، فقد كان السيد الشيرازي (رحمه الله) يعتمد عليّ بتبليغ الطلاب وتذكيرهم ببرنامج المحاضرة ليوم الخميس عصرًا في مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان يجتمع بنا في كل أسبوع ويلقي محاضرة مركزة وقيمة.

نظام الهيئات والمؤسسات

* شيخنا الكريم، باعتقادكم ماهي عدد الأشخاص المرتبطين بهذه الهيئات؟

كان عدد الهيئات بحدود مائتي هيئة، وكان متوسط عدد الأشخاص الموجودين في الهيئة خمسة عشر فرداً، يصبح لدينا في هذه الحالة حوالي ثلاثة آلاف شاب، وهذه الهيئات كانت مثل الخلايا التنظيمية، لها قيادات عليا من أهل الحل والعقد من الكبار الذين يوجهون عملها وأفرادها، ولما كانت هناك برامج عامة مثل إحياء مهرجان أو شيء من هذا القبيل كانت هذه الهيئات كلها تركز جهودها وقدراتها في البرامج بشكل تنظيمي.

وتقوم هذه الهيئات أحياناً بطبع الكتب خاصة في المناسبات وفي وفيات الأئمة (عليهم السلام) حيث تقام المجالس الحسينية، وهي ليست فقط هيئات أسبوعية، تتضمن قراءة القرآن الكريم أولقاء المحاضرات واستقبال الأسئلة والأجوبة، بل كانت تُربّي الشباب على الثقافة، وعلى الخطابة وتشجيعهم على الكتابة، فكان بعضهم يكتب مقالة ويقراها أمام الحاضرين فينمو قلمه الأدبي.

وكانت هذه المائتا خلية شبابية تشكل القنوات التي يوجه سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) من خلالها تيار الشباب في كربلاء المقدسة، وبالنسبة لي في تلك

الفترة فقد كنت عضواً في هذه الهيئات، وفي فترة ما كنت مسؤولاً عن بعضها.

أسلوب السيد الشيرازي (رحمه الله)

كان من صفات سماحته (رحمه الله) زيارة مجالس هذه الهيئات وتعبئتها، إذ كانت لهذه المجالس عادات أسبوعية هناك، حيث يجتمع الناس بهدف التبرك بذكر سيد الشهداء (عليه السلام) وبضمن هذا الاجتماع كان لديهم مجلس أسبوعي، حتى أن بعض الناس كانوا يقيمون هذه المجالس في غرف معيشتهم، وكنت أذهب إلى مجالسهم، وكان يحضر إلى هذه المجالس ستة إلى سبعة أفراد، ويرتقي الخطيب المنبر لإلقاء محاضراته، وكان السيد الشيرازي (رحمه الله) يحضر بعضاً من هذه المجالس، وأتذكر على سبيل المثال الشيخ غلام حسين إسلامي⁽¹⁾ والذي كان إماماً في جامع الإمام زين العابدين (عليه السلام)⁽²⁾، وكان يعقد مجلسه الأسبوعي في بيته عصر الجمعة، حيث كنت أسكن فيه، وفي إحدى المرات ومن دون سابق إنذار أو تبليغ رأينا سماحة السيد الشيرازي الراحل (رحمه الله)، وسماحة المرجع السيد صادق (دام ظلّه) ومجموعة من الطلبة دخلوا علينا في المجلس، وقد شعرنا يومها بالفخر والاعتزاز كثيراً، لأن السيد (رحمه الله) حضر في بيتنا، وكان بحضوره يعطي اعتباراً لهذه المجالس.

كذلك كان من عاداته أن يزور الحجيج بعد عودتهم من الحج، ويمكن القول إنّ أكثر بيوت كربلاء المقدسة قد دخلها سماحة السيد (رحمه الله) وزار أصحابها.

وكان من عاداته إجابة دعوات الناس، حتى إنني سمعت منه أنه في بعض

ص: 27

1- من تلامذة ووكلاء الإمام الراحل (رحمه الله)، وكان إماماً لصلاة الجماعة في مسجدين في كربلاء المقدسة.

2- مركز تجمع ديني في وسط قم المقدسة تقام فيه مختلف البرامج الدينية.

الليالي من شهر رمضان يذهب ليشارك في الإفطار في ثلاثة أماكن في ليلة واحدة؛ لأن ذهابه لهم كان يعطي اعتباراً لصاحب البيت، وعدم الذهاب تصرف غير جميل، فكان يحضر لدقائق ويقوم بعدها ويذهب إلى مكان ثانٍ ثم إلى مكان ثالث.

وأحياناً كان ينشغل حتى يحين وقت صلاة الجماعة التي يحضرها العديد من الناس، فكان أحد سائقي العربات التي تجرها الخيول - الربل - يأخذه من شارع الإمام علي (عليه السلام) ويوصله بسرعة إلى الباب الغربي للصحن الحسيني الشريف، الباب الذي يدخل منه تسمى (باب الزينية) (1) ليصل إلى سجادة الصلاة الخاصة به.

وأحياناً كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يخرج من بيته ويعبر سوق (النعلجية) ويدخل إلى صحن الإمام الحسين (عليه السلام) وحينما يمر في هذا السوق يسلم على كل فرد من الموجودين على طرفيه، فيلقي تحية الإسلام عليهم جميعاً، على هذا وذاك، يسلم على كلهم، فكانوا أحياناً يزدحمون على السيد الراحل (رحمه الله)، فيخرجون من المحلات ويردون عليه السلام ويقبلون يديه.

وكان السيد الشيرازي (رحمه الله) دائماً يتعطر بالورد المحمدي وخاصة عندما كان في العراق؛ وذلك لاستحباب تعطر المؤمن.

أما في إيران فلم يكن يفعل كذلك لحكمة خاصة به، فكان سماحته (رحمه الله) عندما يقدم أحدهم له العطر يهديه لشخص آخر.

ص: 28

1- يقع هذا الباب إلى الجنوب الغربي من الصحن الحسيني الشريف وقد سميت بهذا الاسم لوجود مقام تلّ الزينية مقابلاً له.

* ولد السيد الشيرازي (رحمه الله) وترعرع في بيئة لم تكن تحمل أفكاراً مثل ما كان يحمل سماحته، فمن أين استمد إبداعه لمثل هذه الأفكار؟

- كانت البيئة المحيطة بسماحته (رحمه الله) بيئة تقليدية، تعاني الجمود إلى حد كبير حالها حال أغلب البلاد الإسلامية حينها، وقد تجاوز السيد الشيرازي (رحمه الله) كل هذه الحدود الجامدة.

فقد ظهرت في تلك الفترة بدايات الصحوة في العالم الإسلامي، فكانت حركة الإخوان المسلمين تعمل في مصر ولها تأثيرها، وقد ألف سيد قطب (1) ومحمد قطب (2) عدداً من الكتب التي أثارت الإعجاب لدى الكثيرين، لا يعني هذا إني في وارد مدح أحد، إلا أن تلك الكتب كانت تمتلك تأثيرها بسبب لغتها الأدبية رغم ما فيها من إشكالات عقائدية.

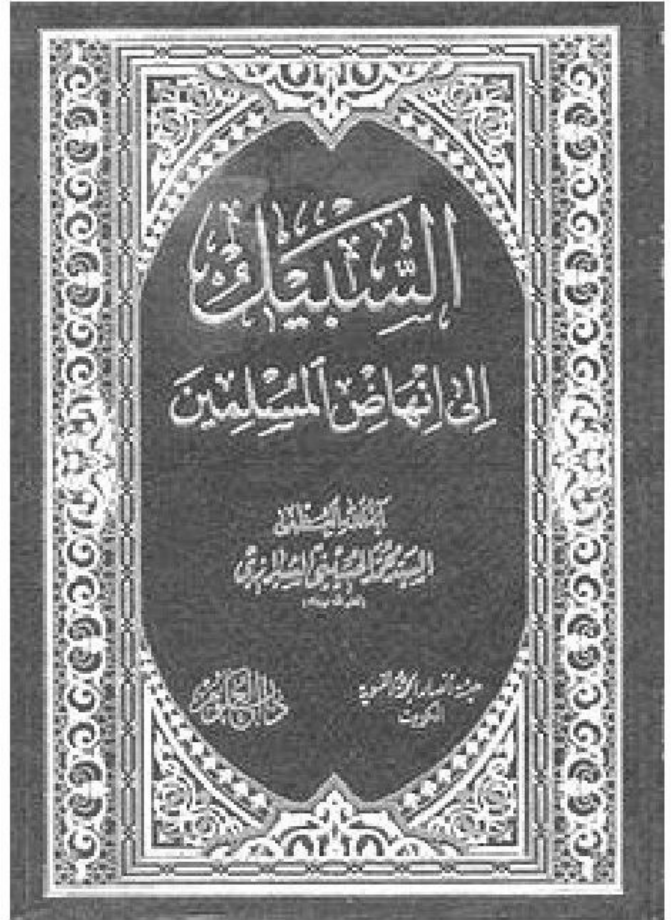
وفي إيران كانت هناك تيارات شيعية ثورية ومتحضرة، وفي تلك المرحلة من الستينات كان الشيخ الفلسفي (رحمه الله) قد ألقى ثلاثين محاضرة حول تربية الطفل والتي أصدرها في كتاب ترجم إلى العربية تحت عنوان (الطفل بين الوراثة والتربية).

هكذا كانت طبيعة الحراك الثقافي، يضاف إليها ظهور شبهات الشيوعيين في مجتمعاتنا، وظهور حركات ثقافية وسياسية شيعية، وحركات سنية لديها أفكار حضارية.

ص: 29

1- سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، كاتب وأديب ومنظر إسلامي مصري.

2- محمد قطب إبراهيم حسين شاذلي، كاتب مصري وهو شقيق سيد قطب.



فصدرت كتب متعددة لا تتمالك نفسك من أن تتأثر بها مثل ما تتأثر بكتاب (السبيل إلى إنهاض المسلمين) وكانت تلك الكتب تعرض الإسلام الأولي وفق حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتحدث عن تاريخه، وكيف كانت الحدود في زمنه (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وكيف كان ينفذها؟ وكم كان متساهلاً؟ وكيف كان ينشط الحركة الاقتصادية

في المدينة؟ وفي بعضها خطة مفترضة لتأسيس حركة إسلامية تأخذ على عاتقها التغيير، وصفات الجماعة التي تريد التغيير وفق رؤية إسلامية، وفي بعضها ما ينتقد واقع المسلمين على اعتباره ليس واقعاً إسلامياً، وفيها أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع مقارنتها لواقعنا البعيد عن تلك التعاليم كل البعد.

وكانت تلك الكتب كتباً أدبية جميلة مع ملاحظة الانحرافات العقائدية التي تملؤها.

* ما الذي جعل السيد الشيرازي (رحمه الله) يتصدى لمثل هذه القضايا التي عرف بها ولم يسبقه أحد إلى ذلك في بيئته ومحيطه؟

- كان السيد الشيرازي (رحمه الله) فقيهاً ومرجعاً يشعر بالمسؤولية تجاه مجتمعه، ويشعر بأن البرامج التقليدية والتي تعارفت عليها المرجعيات الدينية لا تفي بالغرض، خاصة مع هذه الحركات التي ظهرت في العالم الإسلامي على اختلاف أنواعها وأشكالها، وأن شبابنا سينتظمون في الأحزاب الشيوعية إذا لم يجدوا تنظيمًا آخر يليق توجهاتهم، ولأجل ذلك قام بتأسيس منظمة العمل (1).

وهي منظمة أخذت على عاتقها إصدار الكتب الجديدة والحضارية، فكانت تغذي فكر الشباب بالخطط اللازمة للتغيير، ولم تدع لهم مكاناً للفراغ مطلقاً.

من جانب آخر، كانت تصل للسيد الشيرازي (رحمه الله) مجموعة من الكتب المتنوعة التي ترتبط بسائر الحركات، كحركة غاندي (1) محرر الهند، وكانت مثل هذه الكتب والإصدارات تصل تبعاً إلى كربلاء المقدسة، وكان السيد

الراحل (رحمه الله) يشعر بمسؤولية أكبر وهو يقرأ ما فيها من أفكار، ويرى صعود البعثيين إلى المسرح السياسي، وصعود الشيوعيون وانتشارهم في العراق، مع ما رافق ذلك من كتب ومنشورات كانت تصدرها تلك الحركات، لذلك كان يلزم مواجعتهم بأسلوبهم، وليس بالأسلوب التقليدي الذي تعارفت عليه مدينة كربلاء المقدسة وغيرها من مدن العراق، فتأثر وتأثر على الوضع التقليدي الذي نشأ عليه في تلك المدينة. فأسس سماحته (رحمه الله) الهيئات، وأخذ يكتب كتباً جديدة.

وأنا أرى أن هذين عاملان أساسيان جداً، كما أنه ينتمي إلى أسرة ثائرة في التاريخ، أسرة مصالحة، فهو منتمٍ إلى أسرة المجدد الكبير (2)، ويعرف أن خطه هو الإصلاح، وخط والده كان خطأً إسلامياً، فهو ليس من الأفراد الذين لا يتصدون للمسؤوليات ويتحملوها، ويعرف أن عليه تحمل المسؤولية وليس كالأخرين الذين يقولون: وما شأنني بمشاكل العراق والمسلمين؟ كما يقول

ص: 31

1- موهانداس كرمشاند غاندي، كان السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند.

2- الميرزا محمد حسن الشيرازي، الملقب بالشيرازي الأول وبالمجدد الشيرازي. تصدى للمرجعية الدينية بعد وفاة الشيخ الأعظم الأنصاري في عام 1281 هـ. ارتبط اسمه ب- (حوزة سامراء) وثورة التتباك (التبغ) في إيران.

البعض الآن! فلم يكن من هذا النوع، بل كان يشعر بمسؤولية جسيمة لأن يحافظ على كربلاء المقدسة وعلى العراق وغير العراق بقدر استطاعته.

كل هذه المؤثرات الإيجابية والسلبية للحراك السياسي والثقافي لمختلف التيارات والتي كانت تموج وتزخر بها البلدان الإسلامية، وإحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، سببت أن يوجد السيد الراحل (رحمه الله) حركة تفرد بها في ذلك الزمان.

مقومات النجاح

* ما هي مقومات نجاح السيد الراحل (رحمه الله) في حياته وحركته العلمية والثقافية والتربوية وغيرها والتي استند عليها؟

* هل هي مقومات غيبية أعم من المقومات الظاهرية؟

باعترادي إن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان لديه عناية ربانية، حيث قد ذهب إلى مسجد السهلة (1) لمدة أربعين أسبوعاً ومن ثم تغيّر سلوكه بعدها، لم يكن السيد الراحل (رحمه الله) يتحدث بهذا الشأن، ولكن والده كان يعتقد بأن هذا هو سبب التغيير، لقد تغيّر أسلوبه وسلوكه، وقد كان مهتماً أشد الاهتمام بالتدريس، فكان يدرس سبعة دروس في اليوم الواحد، فانسحب من هذا المجال ليصب جهده في مجال التأليف، واهتم بالكتابة، وسار في دروبها وأصبحت قائمة أولياته الرئيسية، لقد أحاطت به عناية غيبية، إضافة إلى عوامل نجاح أخرى

ص: 32

1- أحد أكبر المساجد التي شُيّدت في الكوفة خلال القرن الهجري الأوّل، وما زال أثرها وذكّرها خالداً إلى الآن. ويبدو أنّ بني ظفر هم بُناة المسجد الحقيقيّون، وهؤلاء بطنٌ من الأنصار نزلوا الكوفة، ولهذا عُرِفَ المسجد أوّل الأمر بمسجد بني ظفر، ثمّ إنّ المسجد عُرِفَ ب- (مسجد السهلة)، وهي التسمية المتداولة حالياً.

كانت موجودة في شخصيته، فلم يكن يعرف الكلل ولا الملل في العمل، فكان بإمكانه أن يعمل طوال اليوم الواحد ست عشرة إلى سبع عشرة ساعة من العمل المتواصل، ومن المعلوم أن العمل والمثابرة عليه من أهم عوامل نجاح الإنسان.

وإضافة إلى ما ذكرنا كان قمة في أخلاقه العملية، وكل عوامل النجاح مترابطة فيما بينها عنده، فكان لديه سعة صدر ويتحمل الناس وعنده أخلاق سامية مع الجميع.

في إحدى الأيام - وكنت شاهداً على هذه الواقعة شخصياً وهي شاهد على أخلاقه النموذجية - انتبه إلى غياب أحد الأشخاص في البرنامج الأسبوعي ليوم الثلاثاء، فطلب مني أن أذهب للسؤال عن سبب غيابه، فبعثت أحدهم إليه ليسأله عن سبب غيابه وعدم حضوره، فأجابه بقوله: لن أذهب إليه لأنه سبتي وأنا لا أحضر مجالسه. عاد الشخص الوسيط إلى السيد الراحل (رحمه الله)، وأخبره بما قاله الرجل، فاستغرب السيد الراحل (رحمه الله) أشد الاستغراب، وقال: ليس من عادتي ذلك حتى مع الخصوم فكيف بمثل هذا الصديق ومتى اختلفت معه حتى يحتمل صدور ذلك مني؟! ثم طلب منه العودة لسؤاله: متى وكيف حدث ذلك؟

وفعلاً عاد هذا الرسول وطرح عليه السؤال؟ فأجابه: في أثناء المحاضرة قال السيد الشيرازي:

بليت بأعورٍ فعجزت عنه*** فكيف إذا بليت بأعورين

وكان هذا الشخص المتغيب عن الحضور، كريم العين - أي أعوراً - لا يرى بها، فأتى الرسول بالجواب إلى السيد الراحل (رحمه الله)، فاعتذر منه السيد (رحمه الله) وطلب أن يسامحه مع أنه لم يقصده وإنما هو بيت من الشعر جاء في سياق المحاضرة؛ فأرضاه وطلبه مرة ثانية إلى مجلسه، وأخذ ينتبه لهذا النوع من الأشعار، حيث قال سماحته (رحمه الله): هذا النوع من

الشعر وأمثاله لا أقرأه على المنبر أبداً، فربما يحسّ أحد من الجالسين بالإهانة. فكثير من الأشعار قيلت بحق أصناف من الناس وأصناف من الكسبة كالقصابين وفيها هجاء وذم، واستمر على هذا المنوال لآخر عمره.

فالأخلاق من عناصر نجاح الإنسان، بل هي من عناصره الأساسية، وهذا ما امتاز به سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله).

كان الجميع يرفد من بحر علمه الغزير، فالمحامي الذي يلتقي به يستمع منه التوجيه، والأستاذ والطبيب والفقير والطالب كلهم يستمعون إلى توجيهاته، فقد كان عنده علم بكل ما يدور حوله في المجتمع، وواقع الناس الاجتماعي، بمعنى آخر كان رجلاً قيادياً في صميم المجتمع، لم يكن مثل من يجلس في بيته منعزلاً عن الناس لا يلتقي بهم ورغم ذلك يتحدث بسخرية واستهزاء عن الناس ويستصغر شأنهم، فينظر إليهم من برجه العالي، وليس عنده احترام للآخرين ولا يحضر مجالسهم، بل كان رجلاً شعبياً بسيطاً، يختلط بالناس ويزورهم باستمرار وفي كل مكان.

وقد روى لي الشيخ أبو بشير الدكتور محمد المفتاح (1) حين كنت أقيم في الشام، في أحد الأيام شاهدت السيد الشيرازي (رحمه الله) يدخل إلى المقهى، فكان الجميع يقوم احتراماً لحضوره، على العكس مما ينظر اليوم لرجل الدين وهو يذهب إلى المقهى لاحتساء الشاي، ويعتبر ذلك منقصة بحقه، إنه بذهابه إلى المقهى كان في وسط الناس، فكانوا يجتمعون إليه ويُقبلون يديه.

وكان في بعض المقاهي أنواع من المُحرّمات فكان الجالسون يجمعون أدواتهم

ص: 34

1- خطيب وباحث وسياسي من كوادر الساحة الإسلامية.

المحرمة بسرعة حينما يرون قدوم السيد الراحل (رحمه الله) ، فيأتونه للسؤال عن مسألة معينة، ويجلبون له الماء والشاي، بهذا الشكل كان السيد الشيرازي (رحمه الله) يتعامل مع الناس.

* على ذكر المقاهي، كيف خطط السيد الراحل (رحمه الله) للقضاء على لعب القمار في مقاهي كربلاء المقدسة؟

- كنت صغيراً وقتها فلا أتذكر التفاصيل، ولكن كل الذي أذكره مما سمعت عنه أنه بعث المبلغين مثل الشيخ ضياء الزبيدي والشيخ عبد الزهراء الكعبي (1) إلى هذه المقاهي وطلب منهم منع القمار.

زيارة العسكريين (عليهما السلام) في سامراء المشرفة

* في ما يتعلق بزيارة سامراء والتي شجع وحثَّ عليها السيد الراحل (رحمه الله) ، هل شاركتكم في هذه الزيارات؟

* وما هي الأسباب التي دعت إلى تشجيعها؟

* وماهي نتائجها؟

- نعم، شاركت في هذه الزيارات، وهي مستمرة حتى اليوم، وكانت قائمة وموجودة طوال زمن البعثين، وهي مشروع تأسيسي رائع جداً.

كانت لدى سماحة السيد (رحمه الله) خطة للتأثير على أهل سامراء المشرفة، وكان يوصي بتطبيقها، ولا أتذكر الآن تفاصيلها بسهولة فقد كنت صغيراً وقتها، ولكنني سمعتُ من شيبتنا أنّ السيد الراحل (رحمه الله) كان يوصي ويقول: عندما تذهبون لا تأخذوا طعاماً معكم واذهبوا إلى مطاعمهم؛ اذهبوا وتعاملوا معهم،

ص: 35

1- يعد من أشهر خطباء المنبر الحسيني في العراق ودول الخليج. وهو أول من أحسن قراءة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم العاشر من المحرم وقراءة مسير السبايا في يوم الأربعاء .

واشترؤا منهم أي شيء، ولا تجادلؤهم حتى لورفعوا الثمن.

الصورة



كانت تلك الزيارات حملات تبليغية رائعة جداً، وكان برنامجها يتم تنفيذه في شهر رمضان المبارك كما أتذكر على الشكل التالي: كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يُصلي بالناس صلاة الظهر جماعة في صحن الإمام الحسين (عليه السلام) في شهر رمضان المبارك، وكانت السيارات تقف بالشارع الفرعي المتاخم لمخيم الإمام الحسين (عليه السلام) والناس جميعاً المصلون في الحرم المقدس وغيرهم يستقلون هذه السيارات مجاناً، وكان إفطارهم في سامراء المشرفة في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، ثم يقومون بالزيارة وقبل السحور يعودون إلى كربلاء المقدسة حيث يصلون إليها ما بين الساعة الثانية أو الثانية والنصف.

هذا البرنامج كان جميلاً جداً، فهو برنامج اجتماعي وتبليغي وودي، وكان السيد الراحل (رحمه الله) يعتني بهذه الزيارة، ويردد: نحن الشيعة نحترمهم ونحاول التأثير فيهم.

وكان يتوجه لنا بقوله: أعطؤهم وأكرمؤهم، وكأنما كان بنفسه أحياناً يبعث لهم الهدايا وخاصة لعلمائهم وشيوخهم.

وكان البرنامج قائماً حين كان السيد الراحل (رحمه الله) في العراق، وبقي مستمراً بعدما هاجر إلى الكويت.

* كيف كان تعامل السيد الراحل (رحمه الله) مع علماء سائر الأديان كالمسيحية، واليهودية، ومع أصحاب المذاهب السنية وغيرها؟

* هل سمعتم أو شاهدتم كيفية تعامله معهم لجذبهم؟

- شخصياً لم أر ذلك، لكنني أعرف أن السيد الراحل (رحمه الله) كان في الأصل يحترمهم، وكان عنده نوع من التواصل مع الشيخ عبد العزيز البدري(1)، حيث كان شاباً مجاهداً خطيباً متمكناً، وفي موقفه مع حكومة البعثيين تكلم ضد ميشيل عفلق(2)، وضد أحمد حسن البكر(3) فقتل نتيجة لذلك، وكان يحب سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ويحترمه كثيراً، وعنده كلمات حول سماحته (رحمه الله) وفيها يمدح شخصيته، وبدوره كان السيد الراحل (رحمه الله) يوجهه ويعطيه مقترحات، ويعطيه بعض الكتب، وكان الشيخ عبد العزيز البدري شخصية محترمة وضمن تشكيلة من علماء السنة في بغداد.

الصورة



أحمد حسن البكر

ص: 37

1- ونشأ في بيئة علمية وتلقى دروسه الدينية على يد طائفة من علماء بغداد، ونال إجازاته العلمية وعين إماماً في مسجد السور سنة 1949م

2- هو أحد مؤسسي حزب البعث الذي أصبح فيما بعد حزب البعث العربي الاشتراكي.

3- ثالث رئيس لجمهورية العراق حكم في الفترة من 1968 إلى 1979. كما ويعد رابع حاكم جمهوري في تاريخ الجمهورية العراقية منذ تأسست في 14 تموز 1958.

الإمام الراحل (رحمه الله) مع المطران كابوجي

وتواجد المطران كابوجي (1) في إيران، وهو فلسطيني مسيحي، قامت إسرائيل باعتقاله وسجنه، وقد التقى بالسيد بعد ترتيبات معينة، وهناك صور التقطت له مع سماحة السيد توثق هذا اللقاء. وكان معجباً كثيراً بشخصية سماحته.

الصورة



غير ذلك، ألف سماحة السيد كتاباً عن تجاربه ولقاءاته مع عدد من المسيحيين، عنوانه (كيف ولماذا اسلموا؟) ذكر فيه قصص المسيحيين الذين أسلموا، ويذكر تفاصيل متعددة عنهم ومناقشته معهم.

وعنده أيضاً كتاب اسمه (مباحثات مع الشيوعيين) بخصوص الماركسيين ومناقشاته الجميلة معهم والتي لها أثر بالغ مع الذين تحدث عنهم.

إذاعة كربلاء المقدسة

* ما الذي تذكرونه عن قضية تأسيس محطة بث إذاعية وشراء أجهزتها وعرقلة السلطات للمشروع؟

* هل هناك من تفاصيل أكثر غير معروفة بخصوص هذا الموضوع؟

- لم أسمع بالتفاصيل، ولكنني أعرف بشكل عام أن السيد الراحل (رحمه الله) استطاع أن يجلب جهاز بث إذاعي لتأسيس محطة راديو في كربلاء المقدسة، لكن

ص: 38

1- رجل دين مسيحي سوري. أصبح مطراناً لكنيسة الروم الكاثوليك في القدس عام 1965. عُرف بمواقفه الوطنية المعارضة للاحتلال الإسرائيلي في فلسطين.

السلطات العراقية صادرت الجهاز بعد علمها بالموضوع، وهو جهاز بسيط لكن كلفته قد تصل إلى عشرة آلاف دولار في ذلك الوقت، وكان مهماً في تلك الحقبة الزمنية، فالراديو والتلفزيون في العراق آنذاك في بداية وجودهما في العراق مهمة جداً، مثل أهمية القنوات الفضائية الآن.

وقتها كانت هذه القضية كبيرة ومهمة جداً، وخطوة تبليغية نوعية تجذب الانتباه، لذلك منعت السلطات وصادرت كل أجهزة البث الإذاعية، وكخطوة للتعويض قام السيد (رحمه الله) بتأسيس برنامج بديل عنها وهو برنامج (التوجيه الديني) الذي كان المسؤول عنه سماحة السيد عبد الحسين القزويني (حفظه الله)، وكان يُبث من مدرسة الحفاظ في غرفة خاصة مكتوب عليها غرفة التوجيه الديني، وهذه الغرفة كانت توجه الزائرين، من ضمنها برنامج فقه يومي، وكانت تقدم أيضاً برنامجاً يحمل اسم (الإسلام الحضاري) والذي يلاقي قبولاً لدى الشباب مثل الصلاة والعلم الحديث، وكانت مثل هذه البرامج مقتبسة من مصادر منها كتاب عنوانه (روح الدين الإسلامي) للكاتب اللبناني عفيف عبد الفتاح طيّارة، وهو كتاب جميل جداً، وكتبه وفقاً للأحكام الشرعية المتوافقة مع الطب الحديث ومع قواعد العلم الحديث.

كان يوجد شاب من طلاب مدرسة الحفاظ يبعثه السيد القزويني إلى سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) في بيته، وأحياناً كنتُ أنا أرافق هذا الشاب، حيث كان السيد الراحل (رحمه الله) يقف في باب البيت ويأخذ منه الكتاب فيتصفح ويختب منه أكثر من نصف صفحة ويؤشر بخط، أو يضع إشارة، ويقول: اذيعوا هذا.

كان البرنامج الفقهي في الساعة العاشرة صباحاً، أما في العصر فكان يقدم برنامج ثقافي، وفي الليل كان هناك برنامج توجيهي أخلاقي، وشيئاً من هذا القبيل.

هكذا صار هذا البرنامج بديلاً عن الإذاعة والراديو الذي كان ينوي سماحة السيد الراحل (رحمه الله) تأسيسه، وكان منتشرًا في أنحاء كربلاء المقدسة، حيث وضعوا مكبرات الصوت في كل مكان - حوالي ستين مكبرة صوت - بحيث تغطي كربلاء المقدسة كلها، ومركز البث هو مدرسة الحفاظ من غرفة التوجيه الديني.

الإمام الراحل (رحمه الله) وحوزة النجف الأشرف

* كان السيد الشيرازي (رحمه الله) في زمان والده المقدس الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) وبعد زمان والده، يتمتع بعلاقات طيبة مع المراجع العلماء في النجف الأشرف، فما هي الأسباب التي دعت بعضهم إلى التحرك لإصدار بعض الفتاوى ضده؟!!

- كنت وقتها في العراق، والسيد الراحل (رحمه الله) كان في الكويت، والذي شاع على الألسن، إن الذي كان خلف القضية هو مدير الأمن والذي كان اسمه (ناظم كزار)⁽¹⁾ وهو شيعي كردي، ولكنه كان بعثياً متشدداً، وبعد فترة لاحقة قاد محاولة انقلاب على الدولة، وقد أعدمه البعثيون لأنه من الشيعة، ويمكن أن تكون القضية مصطنعة وليست واقعية، وبالتنسيق مع جماعات معينة استطاعوا إخراج تلك الفتوى من البعض.

الصورة



من جهة أخرى هناك جماعات لم تكن مؤمنة بأفكار السيد الراحل (رحمه الله)،

ص: 40

1- مدير الأمن العام في زمن الرئيس العراقي أحمد حسن البكر. حاول القيام بانقلاب لقتله ونائبه صدام حسين في الأول من تموز عام 1973.

قامت بالوشاية ضده، وقد سمعت من السيد الشهيد محمد صادق القزويني (رحمه الله) (1) والد السيد مرتضى القزويني (2)، والذي كان حلقة الوصل والارتباط للسيد الشيرازي الراحل (رحمه الله) مع المرجعيات وتربطه علاقة مع السيد الخوئي والسيد الشاهرودي (3)، يروي أنه ذهب للسيد الخوئي فقال له السيد: أن هناك جماعات ضد السيد الشيرازي يضغظون عليّ حتى أصدر فتوى ضده، لكنني من المستحيل أن أقوم بمثل هذا العمل، فأنا لا يمكن أن أفتي أبداً ضد السيد الشيرازي لاني أعرفه جيداً.

السيد الخوئي كان يعرف السيد الشيرازي (رحمه الله) عن قريب، لكن حركة السيد الراحل الشبائية وبعض الأنشطة الأخرى لم تكن تعجب البعض، فكان يحاول أن يؤثر بالأفراد المحيطين بالسيد الخوئي.

فوضعت خطط معينة من بعض المنافسين الخصوم للسيد الشيرازي (رحمه الله)، وقد بعثوا برسائل للسيد الخوئي من بلاد مختلفة: من خوزستان، ومن الكويت، ومن السعودية، ومن قم المقدسة، ومن كافة فئات المجتمع كشيخ عشيرة، من عالم، من أستاذ، مجموعة رسائل مختلفة وكثيرة بعثت للسيد الخوئي، تنتقص من شخصية السيد الشيرازي (رحمه الله).

ص: 41

1- يعد من مشاهير رجال الدين الذين اشتركوا في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني، وكان له أثر لا يستهان به في تحريض العشائر العربية المجاورة لكربلاء، للمشاركة في العمل الجهادي ضد الإنكليز.

2- هو رجل دين وخطيب حسيني شيعي معاصر. وقد برز في الإعلام من خلال دروس التفسير التي يلقيها في الصحن الحسيني.

3- أحد القيادات التي تعاقبت على حزب الدعوة الإسلامية العراقي، أصبح فيما بعد رئيساً للسلطة القضائية في الجمهورية الإيرانية.

شعور سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بالمسؤولية والتصدي لتحملها وإعلانه مرجعيته وهو في سن الشباب، جعل الآخرين لا يقبلون بذلك، فكان البعض يوجه النقد إلى برامجه، ومؤسساته الشبابية وكتبه وكراريسه، لأنها كانت خلاف المألوف والمعهود الذي تعارفوا عليه، ولم يستسيغوا هذا الذي يحدث، إضافة إلى ذلك عمره الصغير نسبياً لأعمار المراجع والمتصدين، فهو كان شاباً وكانت (البروتوكولات) توجب أن يشيب العالم ويصبح كبيراً في السن ليتصدي، هذه البروتوكولات غير صحيحة وغير موافقة لروح الإسلام، الذي يقول: (أعلمكم، أفضلكم)، بمعنى أن الذي تتوفر فيه الشروط هو المقدم وليس بالضرورة أن يكون شيخاً كبيراً.

موقف سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله)

* ماذا كان موقف السيد الشيرازي (رحمه الله) بعد إصدار الفتوى ضده؟

- كان موقف سماحة السيد الراحل (رحمه الله) موقف الإغضاء وعدم التعليق والسكوت.

وكان يقول بما معناه: نحن نتحمل، لم يعلق بشيء ضدهم.

وكانت هناك فتوى من مراجع قدامى ضد السيد الخوئي، قام بعض الكوادر والمقلدين من الشيبة وكبار السن بالسعي خلفها والحصول عليها بعد صعوبات وجهود كبيرة حتى لو اقتضى الأمر السفر إلى دول أخرى، وقد حصلوا على بعض هذه الفتاوى وجلبوها للسيد الشيرازي (رحمه الله) ودخلوا عليه دخول المنتصرين؛ ليتخذها السيد الراحل (رحمه الله) دفاعاً عن نفسه.

لكن السيد الراحل (رحمه الله) قام بتمزيقها فوراً ولم يرد بكلمة واحدة، لأنه لم

يكن يعتقد بهذا الأسلوب أبداً، وحينما مزق الفتوى كان الشيخ حميد الشاهرودي الذي جلبها له - وهو حيٌّ يرزق -، ولم يرض السيد الراحل (رحمه الله) أن تنشر، وعلق قائلاً: إذا الناس الذين يقلدونني يقولون في تقليد السيد الشيرازي واجتهاده إشكال، والذين يقلدون السيد الخوئي يقولون في تقليده واجتهاده إشكال، وبينهما يضيع الناس، لأنهم سيكونون الضحية لهذه الاختلافات!!

وهذه القضية الآن ذكرتني بشيء آخر غير مسألة الفتوى، فعندما كنا في قم المقدسة، دخلت على سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في إحدى المرات وكانوا قد علقوا منشوراً ضده فيه كلام قبيح وسباب ضده، ولا أتذكر الآن الجهة التي كانت مسؤولة عن تعليقه، فقلت له: سيدنا نحن نردُّ بصورة غير مباشرة، ونكتب شيئاً ايجابياً ونغيّر التوجه، مثلاً نكتب موقف السيد لدعم نهضة العراق وثورته ونشره.

لكن السيد الراحل (رحمه الله) نظر لي وبشيء من الحدة فقال: بمقدار ما نحن نشغل بهذه الأمور نتأخر عن مسيرتنا، وعن عملنا الذي نحن نسير فيه!!

والجدير بالذكر أن المنشور كان يؤكد على أن السيد الشيرازي (رحمه الله) ضد الثورة وضد صدام وضد نهضة العراق الثورية!!

من خلال هذا الموقف وغيره كبر سماحة السيد (رحمه الله) في عيني كثيراً، فبمقدار ما نشغل بهذه الأمور سوف نتأخر عن مسيرتنا الأصلية..

لأنه كان معتقداً بالمسيرة التي يسير عليها - مائة بالمائة - رضوان الله تعالى عليه.

وشيء في ذهني الآن لا أدري هل السيد الراحل (رحمه الله) قاله أم كأنه قال: كل يوم يوجد كلام ونحن أيضاً نكتب ردود، ولا أتذكر من كان صاحب التعليق

الذي سمعته في تلك الجلسة وهو يستشهد ببيت من الشعر هو:

لو أنَّ كلَّ كلبٍ عوى القمئةُ حجراً*** لأصبحَ الصخرُ مثقالاً بدينار

الإمام الشيرازي (رحمه الله) يرفض الرد المباشر

وأتذكر موقفاً آخر بخصوص مواقف السيد الشيرازي (رحمه الله) إزاء ما يقوم به الآخرون ضده، وهذه المرة حين خرج شخص في البحرين وأدعى السفارة - أي أنه سفير الإمام الحجّة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) - وأثارت دعواه مشكلة كبيرة هناك، وكان هذا من تيار سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ، ومقلداً له - للأسف - لا أعرف كيف أحتال عليه بعض الأشخاص وغيره، فصدرت فتاوى ضده من المرجعيات، فتقرر أن تصدر فتوى من سماحة السيد (رحمه الله) ، ولكنه لم يرض أن يعطي فتوى مباشرة لمبناه الأساسي، قائلاً: ليس كل من يخرج ضدنا نأتي ونتحارب معه، نحن يجب أن نسير بطريقنا.

ولكنني اقترحت على سماحته (رحمه الله) أن نعدّ أسئلة واستفتاءات وهو يجيب عنها، فوافق على ذلك.

فوضعنا بعض الأسئلة، السؤال الأول كان مسألة حول التيمم أو شيء من هذا القبيل.

السؤال الثاني: هل للإمام الحجّة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) نواب خاصون في زمن الغيبة؟

وكان جواب السيد الراحل (رحمه الله) : هم أربعة فقط لا غير.

أما السؤال الثالث: ما هي مسؤولية الإنسان المكلف الملتزم بمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في عصر الغيبة؟

أجاب عن ذلك: يلزم عليه أن يراجع المرجع الجامع للتقليد.

وكان هناك سؤالاً آخر لا أذكر في أي مورد كان، وهذه الأسئلة لعلها موجودة في أرشيف الوثائق الآن.

هكذا كان ردنا على المعارضين للسيد الراحل (رحمه الله) بصورة غير مباشرة وبتكليف منه كانت هذه الأسئلة والأجوبة عليها.

موقف آخر

* هل هناك موقف ثالث كمثل لهذه القضايا؟

- كانت هناك ضغوط على السيد الراحل (رحمه الله) ليفتي ضد بعض المفكرين، حيث لم تكن أفكاره وطروحاته نابعة عن عقيدة سليمة، ولم يكن السيد الشيرازي (رحمه الله) يعتقد بها، لكن صاحبت أفكاره أجواء صاخبة وتبعه الكثير من الشباب، لأنه كان أديباً ومتكلماً مفوهاً، فكان حينما يتكلم يؤثر على المثقفين والشباب في الجامعات، وكان أحياناً يقف ويتكلم لمدة ثمان ساعات، ولأجل انحرافاتة أصدر عدد من المراجع فتاوى ضده.

لكن سماحة السيد (رحمه الله) كان يقول: إن الكثير من الشباب لا يعتقد بالمرجعية ويعتقد بهؤلاء المفكرين ويستمع إليهم ويتبعهم، فلا بد وأن يكون هنالك مرجع يطرح فكراً بديلاً ويمكنه التأثير فيهم لإنقاذهم فيكون ملجأ للشباب.

وكان ما ذكره السيد الراحل (رحمه الله) صحيحاً بالفعل، فالكثير من اولئك الشباب تراجعوا وقلدوا السيد الشيرازي (رحمه الله)، واعتقدوا بطروحاته، وتغيرت أفكار قسم منهم، لكن قسماً آخر بقي متمسكاً بقناعاته.

وعلى كل حال لم يعط السيد الراحل (رحمه الله) فتوى مطلقاً ضد أي شخص

أو جهة معينة للتحريض ضده أو ضدها.

وهذا يعني أن سماحة السيد الراحل (رحمه الله) كان يتمتع بسعة الصدر، ليس مع الموجودين خارج إطار مرجعيته فقط، حتى مع الدائرين في فلكها.

فعلى سبيل المثال، أعضاء منظمة العمل التي له فضل تأسيسها هم بمثابة أبنائه، وهم من ضمن جماعته والمحسوبين على مرجعيته، وقد يرتكب بعضهم خطأ إدارياً، كما في الجهاز المرجعي كذلك، ففي كل مكان يوجد الصالح والطالح والصحيح والخطأ، ولكننا عندما نريد أن نوازن بين الإيجابيات والسلبيات فإن كفة الإيجابيات تكون أكثر رجحاناً.

عندما حصلت عدد من المشاكل التي أدت إلى أضعاف منظمة العمل، وقتها عرفنا ورأينا كم كان حجم الخطأ الذي ارتكبه البعض من خلال تضعيفها في داخل السعودية، وفي أفغانستان كذلك حيث كان لديها امتدادات واسعة، وفي إيران وفي العراق أيضاً حيث كانت المكون الكبير الثالث للشيعة، عندما ضعفت المنظمة رأينا كم كانت الخسارة كبيرة.

وهذه المراحل من الخسارة لم تقتصر على منظمة العمل، بل خسر فيها الكثيرون في مختلف البرامج والانتخابات، وهذه كلها برأيي من آثار تلك المرحلة بسبب النزاعات التي تمحورت حول رفض السيد الشيرازي (رحمه الله) لإصدار الفتاوى ضد الآخرين.

كثيرون أرادوا منه إصدار فتوى ضد المنظمة وضغطت عليه جماعات محسوبة عليه، وانسحبت جماعات أخرى احتجاجاً على عدم إصداره لفتاوى من هذا النوع، ومع ذلك نرى أن سماحة السيد الراحل (رحمه الله) واسع الصدر وتبّر الفكر والعقل ويحاول أن يحتضن الجميع ويجمعهم ويحرص على أن لا يتفرقوا.

* حول بعض الاشكالات المثارة على كتابة السيد الشيرازي (رحمه الله) للكراسات صغيرة الحجم، لماذا كان السيد راحل (رحمه الله) يصر على كتابة تلك الكراسات، من المؤكد أنكم سمعتم منه تفسيراً لذلك؟

- سمعت منه ذلك كثيراً وتكراراً وكان يذكر هذا المثل: أحياناً يأتي للإنسان ضيوف فيذبح لهم ذبائح من خراف ودجاج لعمل وليمة فاخرة بأنواع المأكولات، وأحياناً يشتري أحد الأشخاص من السوق ساندويشاً يأكلها واقفاً ويذهب إلى عمله. ثم يضيف قائلاً: هؤلاء الشباب الذين ترونهم، لا يطالعون المجلات الضخمة، بل يطالعون الكراسيس الصغيرة، وأنا أكتب الكراس للطلاب الجامعي كما أكتب لأبسط الناس، حيث إن المجلات في الوقت الحاضر تكاد توضع في المكتبات للزينة فقط أو لفئة معينة من الناس.

فكان يقول: يجب رَشُّ الثقافة التي عندنا للمجتمع، مثل المطر الرذاذ وليس المطر الغزير، فالمطر يتساقط أحياناً على شكل رذاذ ويبلل خلال لحظات البلد والناس وكل شيء.

فبهذا الشكل يجب علينا أن نرَشَّ الثقافة على المجتمع، ومن أهم الوسائل لذلك هي الكراسات التي تتوجه للشباب لأنهم سيقرئونها حتماً لاختصارها واحتوائها على أهم الأفكار والتوجيهات بصورة موجزة وسريعة.

الشخصية الإبداعية للإمام الراحل (رحمه الله)

* كيف استطاع الإمام الراحل (رحمه الله) أن يبني لنفسه هذه الشخصية المتعددة في اتجاهاتها، وكفاءتها من التأليف، إلى الخطابة، إلى تأسيس المؤسسات الثقافية للشيعه، إلى الإدارة، والسياسة، واختصاصات كثيرة أخرى، فكيف تمكن من تحقيق

- في جميع المجتمعات عادة ما يكون الرجال الأفذاذ قليلون. ويذكر لنا التاريخ وجود رجال متميزين كأشد ما يكون التميز والتفرد، أمثال مالك الأشتر كم واحداً لدينا منه الآن مثلاً؟ أو حبيب بن مظاهر الأسدي الذي كان قائداً، استطاع في أحداث الكوفة الصعبة أن يصل إلى كربلاء المقدسة، وكيف سلمه الإمام الحسين (عليه السلام) راية خاصة؟ كيف مثل هذه الشخصية وغيرها أصبحت نموذجاً يقتدى به؟

ولدينا أيضاً شخصيات علمية أمثال أديسون مخترع الكهرباء، وغيره من علماء أفذاذ خدموا البشرية وقدموا لها الكثير.

فالشخصيات التاريخية النموذجية عادة ما تكون قليلة، وسماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) وهو من أسرة السادة الشيرازية (رحم الله الماضين منهم وحفظ الله الباقيين) كلهم أسرة معطاء فيهم العديد من النوابع العلمية، ولأنني أحبهم كثيراً سأروي شيئاً صغيراً، سمعته من السيد محمد كاظم الشيرازي ابن السيد جعفر الشيرازي (حفظه الله)، كان ينقل عن أخيه السيد محسن الشيرازي أنه كان يحفظ صفحة كاملة من القرآن الكريم بمجرد قراءتها مرة واحدة. هذه القابلية هي من أنواع النبوغ، فهذه الأسرة فيها نبوغ ذاتي بنسبة معينة، وفيها رجال تاريخيون هي نماذج يقتدى بها.

حسب اعتقادي الشخصي لم يكن السيد الشيرازي (رحمه الله) ذو شخصية مادية بل ذو شخصية روحانية، حيث توجد عناية إلهية خاصة له، بالإضافة إلى مجمل العناية الربانية التي أحيط بها.

كان رجلاً صبوراً، يتحمل الكثير، صامداً مجاهداً، وهذه الصفات ذكرت

في خطبة المتقين التي صعق لها (همام) وأصيب بالسكته ووقع ومات عندما سمعها من الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والذي قال الإمام عنه: أنه كان يخاف عليه من هذا الموقف، لذا لم يصف له المتقين في بداية طلبه، ولو قرأنا هذه الخطبة وبحثنا لها عن مثال، لوجدنا أنها تنطبق على سماحة السيد (رحمه الله) حيث كان رجلاً نموذجياً تنطبق عليه هذه الصفات.

ومثل هؤلاء الأشخاص لا يحتويه شيء زهيد، ولا يُشبع طموحه هدف صغير، ففي الوقت الذي يكتب فيه، نجده يُدرّس ويؤسس، ويكون خطيباً من الدرجة الأولى، ومؤلفاً لا يضاهيه أحد، فهو (يتيمة الدهر)، حسب تعبير الشيخ الأربيلي الذي كتب تقريراً في الفقه وعبر عن السيد الراحل (رحمه الله) بهذه التسمية، مثل هذه النماذج عادة يمتازون بصبر منقطع النظير، ولا يمكن لميدان واحد أن يشبع طموحهم فتصبح شخصيتهم متعددة الأبعاد.

منذ ثلاثين سنة أو أكثر في الكويت، سمعت خطبة للسيد الراحل (رحمه الله) باللغة الفارسية كنت حاضراً فيها، ألقاها بمناسبة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد تكلم سماحته عن مصائب الرأس الشريف لسيد الشهداء (عليه السلام) ، وذكر عشر مصائب تخص الرأس الشريف؛ وكلما كان يذكر مصيبة يهتز المجلس ببكاء الحاضرين، وكان هو أيضاً يبكي مع الناس، حتى إن واحداً من المستمعين أغمى عليه، فحملوه وأخرجوه من المسجد.

لم يستطع السيد الراحل (رحمه الله) إكمال المجلس بعد أن وصل للمصيبة العاشرة لأنه استغرق بالبكاء حتى قام من المجلس وتركه، ليأتي السيد احمد جبرائيل (1) ويأخذ بقراءة النعي وإكمال مجلس العزاء.

ص: 49

1- خطيب المنبر الحسيني وناشط اجتماعي في خدمة الفقراء والمستضعفين.

مثل هذه الشخصية المتعددة الأبعاد، يكون كل ما يصدر منها نموذجياً متكاملًا مثاليًا، فهو في كتاباته نموذجي، وفي خطابه نموذجي، وفي أغلب أبعاده ونواحيه نموذجي، فهذه الشخصية وحسب فلسفة الإسلام بالنسبة لشخصية الإنسان وكونه خليفة لله في الأرض، تخلّق بخلق الله، ومن الممكن أن يعمل وأن يرتفع وأن يسمو من خلال أي عمل يقوم به، حتى أنه يصل دون المعصومين (عليهم السلام).

إن تلك القابلية موجودة في هذه الذات، ولكن حسب مواجهته لشهواته، وحسب مواجهته للنفس الأمارة بالسوء، وحسب جهاده وصبره، بهذا يمكنه أن يصل إلى تلك المراقي.

فكيف لإنسان أن يجلس في غرفة في منتصف الليل مستغرقاً في التفكير أو القراءة أو الكتابة دون أن يمل أو يتعب؟ ونحن الواحد منا لو جلس لساعة أو ساعة ونصف أو أكثر قليلاً، لأصابه الملل والتعب، كما يحدث لي فأقوم وأذهب لألتقي بأصدقائي.

لكننا نرى سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يجلس في غرفته ليدبر الأمور بأحسن تدبير، ويدبر أموال لتوزيع الشهرية؛ وهي عملية معقدة وصعبة، لأنه لم يكن لديه مقلدون من التجار الكبار الذين يلتزمون بايصال شهرية ثابتة له، وكان السيد علي الفالي عوناً في أشد الظروف المناخية - كتساقط الثلوج - حيث كان يذهب إلى أحد التجار في (كرج) [\(1\)](#) ليقترض منه مبلغ الشهرية التي يوزعها.

وذات مرة سأل الشيخ المجاهد الأفغاني [\(2\)](#) قبل أكثر من عشرين سنة

ص: 50

1- مدينة قريبة من طهران العاصمة الإيرانية.

2- أستاذ ووكيل إداري، من تلامذة الإمام الراحل (رحمه الله).

آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني (دام ظله) (1) عن رأيه بشخصية سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله)؟

الصورة



وكان سماحة آية الله الشيخ الوحيد (دام ظله) محتاطاً كثيراً في آرائه ويحذر الأجواء المتوترة التي كانت في حينها تشهد نشاطاً محموماً لأجهزة المخابرات ضد كل من يخالف النظام، فقال آية الله الشيخ الخراساني (دام ظله) بما معناه: إذا كان هناك إنسان لديه كل هذه المقاومة واستطاع أن ينجز كل هذه الانجازات ويقوم بهذه الأعمال فهذا شخص يتمتع بمؤهلات وإمكانات عالية.

وكلنا نعرف أن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان يدير الدرس ويدير المرجعية ويدير الوكلاء ويدير شؤون الاقتصاد، ويؤلف ويخطب ويحاضر، كل هذه الأعمال ومعها عبادة كثيرة ومكثفة، ويبقى في مكان إقامته الجبرية عشرين سنة لا يخرج منه، فأى شخصية هي شخصية السيد الراحل (رحمه الله)؟ إنه لا يأتي مثله ولا يتكرر، فقد كان (رحمه الله) يقول: العلم شرط والعدالة شرط وثمانية وتسعين الباقية للإدارة - وهكذا كان يدير أموره.

الإمام الراحل (رحمه الله) والعشائر العراقية

* تشكل العشائر العراقية ركناً أساسياً وداعماً للمرجعية الدينية في العراق

ص: 51

1- مرجع ديني شيعي معاصر مقيم بمدينة قم في إيران.

منذ ثورة العشرين والتفاف تلك العشائر حول مرجعيتها الدينية، مروراً بالكثير من المواقف المساندة والداعمة، كيف تنظرون إلى علاقته مع العشائر العراقية أثناء تواجده بينهم أو بعد هجرته من العراق؟

- عندما كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في العراق خلال الأعوام (1967-1970م) وتلك الفترة كنت صغيراً في السن، فلا أتذكر تفاصيلها، لكنني كنت قد طرحت هذا السؤال ضمن مجموعة من حوالي ثمانين سؤالاً على السيد مرتضى القزويني (حفظه الله) حول شخصية السيد الراحل (رحمه الله) وعلاقته الوطيدة بالعشائر العراقية وشيوخها، وكان جوابه يشير إلى أن الإمام الراحل كانت له علاقة مع شيوخ بني أسد وآل كمونة⁽¹⁾ وغيرهم، وكان الكثيرون من شيوخ العشائر يحبونه ويزورونه.

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) كثيراً ما يردد على أسماعنا أن في العراق قوتان: قوة الجيش وهذا في خدمة الدولة، وقوة العشائر وهي في خدمة المرجعية - فقوة الجيش، كما هو المعروف على الأغلب كانوا من أهل السُنَّة، والعشائر أغلبهم من خط الشيعة الإمامية - وكان يقول - ما مضمونه -: العراق يعني العشائر.

وكان يهتم بالعشائر من خلال شيوخهم، ففي قم المقدسة حيث كان السيد الراحل (رحمه الله) يمد جسور التواصل معهم عبر زياراتهم، وعندما كنت في الشام بعث السيد الراحل (رحمه الله) مقداراً معيناً من المال بيد أحد الأصدقاء - ولعله كان السيد محسن الخاتمي⁽²⁾ - هدية لشيوخ العشائر الذين كانوا مقيمين في الشام، لأنهم أيضاً اجتمعوا في الشام بعد أحداث العراق والانتفاضة الشعبانية.

فخلاصة الكلام: إن السيد الراحل (رحمه الله) كان يؤمن كثيراً بالدور الهام الذي

ص: 52

1- من الأسر العربية المعروفة في كربلاء المقدسة.

2- الوكيل العام لمرجعية الامام الراحل (رحمه الله) خارج ايران في سوريا والخليج والبلدان الأجنبية.

يمكن أن تلعبه العشائر العراقية في أي تغيير للنظام السياسي في العراق.

الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) والحركة الوهابية

* ما هو موقف الإمام الراحل (رحمه الله) من الحركة الوهابية ونظرته إليها، وكيف كان يعتقد ويعمل على مواجهة تغلغلها في أوساط المجتمعات المسلمة؟
- كان السيد الراحل (رحمه الله) ينظر - وهذا هو الواقع - للحركة الوهابية على أنها حركة بريطانية، وهي حزب وليست مذهباً كما يتم تصويرها والترويج لها، ولذا يلزم مواجهتها بالمبلغين.

وكان يعتقد بحل أساسي لشؤون الحوزات ولشؤون الأمة الإسلامية وكان يكرر طرحه مئات المرات، وهو (شورى الفقهاء المراجع)، وكان يقول: يجب أن نواجه الحركة الوهابية بالكتاب، ويجب على المراجع أن يجلسوا فيما بينهم، ويخططوا لمواجهة هذه الحركة.

ولا يخفى أنه كان يعتقد أيضاً بالمنظمة الإسلامية العالمية اعتقاداً راسخاً، ويقول: بما أن أولئك لهم تنظيم، فيجب أن يكون لك تنظيم أيضاً.

وقال هذا الكلام أيضاً للسيد موسى الصدر عندما كان قادماً إلى الكويت، وسمعت من سماحة السيد الراحل (رحمه الله) أنه اقترح عليه ثلاثة مقترحات، وكانت مهمة جداً وإستراتيجية.

واحدة منها: بما أنه يقابلكم في لبنان ثلاثة تنظيمات: التنظيم الصهيوني فيما يسمى ب-(إسرائيل)، وكذا التنظيم الغربي المتمثل بالمسيحيين، والمتمثلة بالمارونية، وكذا التنظيم الشيوعي، وهو تنظيم قوي يعتبر شرقياً تابعاً للاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت، فلا بد لكم من تنظيم.

وعلى أثر ذلك الكلام قام السيد موسى الصدر (رحمه الله)، في تلك الفترة بتأسيس حركة المحرومين(1) التي تسمى الآن بحركة (أمل) وتعني أفواج المقاومة اللبنانية، وهي الجناح العسكري لحركة المحرومين، وقد أقيمت لها مهرجانات مسلحة عند تأسيسها، وكانت أشرطة الكاسيت تصل إلى الكويت والتي تظهر أن الشيعة قد تسلحوا وتنظموا في لبنان، كان هذا أحد اقتراحات السيد الشيرازي الراحل (رحمه الله)، وأتصور أنه اقترح شيئاً حول المجلس الإسلامي الشيعي(2) أيضاً.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يقدم اقتراحاته، وكان يقول: يجب أن تواجه عدوك بأسلوبه، فالوهابيون لديهم تنظيم وتشكيلات، فيجب أن يكون لدينا تنظيم أيضاً، فلا يمكن أن تواجه الوهابية بهذه الفوضى الموجودة، فللوهابية تشكيلات وكل واحد من جماعتهم يقومون بتربيته وتهيئته، ولديهم لكل اختصاص فرد تمّ تربيته وتدريبه في ضمن اختصاصه، فلا يمكن أن تجابه الوهابية بتلك الفوضى الموجودة. بل يحتاج ذلك إلى تنظيم، وهذا التنظيم يصبح مثل جسد الإنسان، فاليد اليمنى لها دورها واليد اليسرى كذلك، والأنف والإذن، فكل شيء منظم ويؤدي عمله.

كان (رحمه الله) يعتقد بمواجهة الخصوم بالتنظيم، وأما من دون تنظيم فنبقى على حالنا سواء الشيعة في العراق أم في إيران أم عموم الشيعة في العالم، ولا نستطيع الوصول إلى هدفنا، لأن وضعنا الموجود وبهذا الشكل الذي عليه لا يتقدم إلا مع

ص: 54

1- أفواج المقاومة اللبنانية وتسمى الآن (حركة أمل) تأسست تحت مسمى حركة المحرومين بعد دعوة السيد موسى الصدر في خطاب ألقاه بتاريخ 20/1/1974، بمناسبة ذكرى عاشوراء.

2- يُعد المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى المرجعية الرسمية لدى الطائفة الشيعية في لبنان، وهو يتبع رئاسة مجلس الوزراء في الجمهورية اللبنانية، تولى تأسيسه السيد موسى الصدر.

الإمام الراحل (رحمه الله) وإدارة المال

* كيف كانت رؤية السيد الراحل (رحمه الله) حول حياة رجال الدين؟

* وهل كان يسمح بتأسيس المشاريع الاقتصادية الاستثمارية؟

كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يعتقد بأن رجل الدين يجب أن تكون معيشتة متوسطة الحال.

وأنا أضيف أنه يلزم أن يكون وضعه المادي جيداً حتى يتمكن من الإنفاق. فهو لا يعيش فقط لنفسه ولكن يجب عليه أن يكون قادراً على أن يعطي للآخرين، فالإسلام - بهذا الشكل الذي نحن نعتقد به كرجال دين - يعطي للناس حاجتهم.

وأذكر في إحدى المرات قد حصلت على مبلغ من المال مخصصة لعمل الخير من الكويت أو ربما من المقلدين في إحدى الدول الأوربية والتي لا أذكرها تحديداً، وقد أخذت من سماحة السيد الراحل (رحمه الله) إجازة حول التصرف في ذلك المال، وقلت له: سيدنا هذه النقود أنا على استعداد لأن استثمارها وأنا ضامن لها، إذ لدي أحد الأفراد الثقة الذين أتعامل معهم، فبعض من هذا المال نؤسس به مشروعاً استثمارياً، ومن ريع ووارد هذا المشروع الاستثماري أضع للأمور الخيرية، إلى أن حان وقت هجرتي، فسحبت رأس المال الأصل وسلمته، ولم نستطع الدخول في مشروع استثماري كامل وجيد ومبرمج ومخطط له بصورة دقيقة نظراً للظروف التي تحيط بنا.

* شيخنا الجليل، لماذا كان السيد الشيرازي (رحمه الله) يسمح كثيراً بالتصرف في الحقوق الشرعية - في الإطار الشرعي - بالشكل الذي لم يكن متعارفاً عليه عند غيره

- كان السيد الراحل (رحمه الله) يعتقد بضرورة النهضة الإسلامية، فعندما يرى كادراً نشطاً، وهذا الكادر يستطيع أن يقدم خدمة أو يقوم بأي شيء نافع، يقوم بتشجيعه ويساعده على إنشاء مؤسسة ما، ولما كانوا ينشئون تلك المؤسسة لم يوجد عند هذا الكادر إمكانية الحصول على المال لدعم تلك المؤسسة، لكن عنده حقوق شرعية وعنده صديقه أو أبوه أو ابنه، فكان السيد الراحل (رحمه الله) يجيز له التصرف من تلك الحقوق الشرعية، وكان يقول في معرض تشجيعه: لا بأس، قم بإنشاء مؤسستك ولك الحق الشرعي، فكان يريد أن يزيد من عدد المؤسسات الفاعلة وينشط الحركة باتجاه المجتمع.

إذا طلب من أحدهم تأليف كتاب - مثلاً - يسأله: من أين لي مصاريف طبع الكتاب سيدنا؟ فيقول السيد الراحل (رحمه الله) له: اسع واحصل على متبرع، فيقول له: لم أجد أي متبرع. لكنه يواصل البحث.

وبعد مرور فترة معينة يعود قائلاً لسماحة السيد الراحل (رحمه الله): طلبت مني أن أولف كتاباً وقد فعلت، ويوجد أحد الأشخاص وعنده من الحقوق الشرعية فهل تعطوني إجازة للتصرف فيها في هذا المجال؟ فكان السيد الراحل (رحمه الله) يقول له: نعم، وأحياناً كان يقول له: لك حق التصرف في النصف - مثلاً - أو الثلث أو الكل، وهذا حسب الظروف والموارد، فكان يعطي إجازة حتى تستمر الحركة.

وبفضل تلك الإجازة تأسست حركات نشيطة وشبكة من المؤسسات، في كل أنحاء العالم. ولو لم يكن الإمام الراحل (رحمه الله) يعطي هذه الإجازة للتصرف بالأموال لما كان لهذه الحركة العلمية والعملية من وجود، ولا يخفى أن السيد الراحل (رحمه الله) عند ما كان يعطي هذه الإجازة في التصرف في الحقوق الشرعية،

كان يقع في ضغط وضائقة مادية، لأنه - وكما هو المعروف - إن الحقوق الشرعية هي وسيلته للانفاق والمصدر الاقتصادي للمرجعية.

* أعلن الإمام الراحل (رحمه الله) مرجعيته في عمر مبكر وطرح رسالته العملية، فما هي الانعكاسات السلبية التي رافقت مرجعيته؟

الصورة



- في الواقع كانت هناك جهات معادية تصل جذورها إلى الاستعمار البريطاني، وإلى الحكومات المتآمرة مثل حكومة البعثيين في العراق. وكما ذكرت سابقاً، أن ناظم كزار كان له دور كبير في ذلك، كما كان هناك صراعات - وللأسف - مصلحية دنيوية تتحكم في الكثير من الحركات. وقد كان السيد الراحل (رحمه الله) بحالة من العنفوان والانطلاقة الشبابية وقتها والتي كان متمسكاً بها، والانتشار السريع له في كل مكان في ذلك الوقت، تسببت هذه الحالة في إثارة بعض الحاسدين عليه وبعض الجهات ذات الارتباطات المشبوهة.

حينما هاجر سماحته (رحمه الله) إلى الكويت صدر ما صدر ضده من جهات مختلفة، وبتهم متعددة.

هذه الحركة أحدثت إثارة وبلبله في الأوساط، وتركزت تحليلات عديدة حولها، فقاموا بتسقيطه بمختلف الطرق ومنها التشكيك في أعلاميته بل اجتهاده رغم أن الامام الراحل (رحمه الله) كان خلال هذه الفترة يدرّس البحث الخارج وقد تتلمذ على يديه الكثيرين وقد كتب الشروح العلمية للكتب الحوزوية ك- (الوصول)

إلى كفاية الأصول)، و(إيصال الطالب إلى المكاسب) بالإضافة إلى موسوعته الفقهية الاستدلالية (الفقه).

وللشهادة لأجل التاريخ والحقيقة، كان سماحة السيد (رحمه الله) لا غبار عليه لكن كانت هناك إثارات مصلحية، وإثارات بعثية، وإثارات لبعض الأحزاب الإسلامية ضده، لأن بعض الأحزاب الإسلامية وخصوصاً حزب (الدعوة الإسلامية)⁽¹⁾ كانت لديهم خطة لجذب السيد الراحل (رحمه الله) إلى صفوف الحزب، ضمن أحداث مفصلة وطويلة في كربلاء المقدسة لا أتذكرها لأنني لم أكن قريباً من تفاصيلها بشكل مباشر، أرادوا في حزب الدعوة أن ينظّموا السيد الراحل (رحمه الله) في صفوف حزبهم، وسماحة السيد (رحمه الله) رفض مثل هذا الأمر على اعتبار أن المرجع يلزم أن يكون للجميع، فإذا انتمى إلى حزب أو إلى جماعة أصبح يمثل جهة واحدة، وهذا غير صحيح في العمل والأسلوب المرجعي، فالمرجع يجب أن يكون خيمة تضم الجميع. فهؤلاء - ويحدود معينة - تحسسوا من رفضه ولم يتقبلوه.

ثم هناك جانب آخر وهو أن سماحة السيد (رحمه الله) كان يؤيد الشعائر الحسينية بصورة مطلقة وبصورة حاسمة وقوية، لكن هذا الحزب لم يكن يؤيد - حسب قناعاته وحسب تبريراته - تلك الشعائر، فهذان عاملان أساسيان في منافسة أو منازعة حزب الدعوة مع السيد الراحل (رحمه الله) وهؤلاء كان لهم تأثير على جماعات وجهات، فهذه المنافسة السلبية أدت تدريجياً إلى إصدار البيانات ضد السيد الراحل (رحمه الله) لكنها رفضت من جهات متعددة.

وقد قام بعض الأعلام بالتصدي لها منهم الشيخ حميد الشاهرودي، كما أن

ص: 58

1- أحد الأحزاب السياسية العراقية، وتأسست في سنة 1957م.

آية الله السيد مرتضى القزويني تصدى بقوة، فبعث رسالة إلى الأطراف، وأتذكر أن الرسالة كان فيها حوالي ثمانية عشر سؤالاً موجهة حول السيد الشيرازي (رحمه الله) منذ حوالي ثلاثين عاماً، وهي رسالة متينة متقنة فيها احتجاج بحجج كافية ووافية بشكل أسئلة محددة تنقض تلك البيانات الصادرة بحق السيد الراحل (رحمه الله) فلم يجيبوا عليها لقوتها وامتانتها بالإضافة إلى واقعيتها.

وقد كنت حينها في كربلاء المقدسة مع مجموعة من الشباب، ولم يكن بأيدينا شيء لنفعله، حتى في الحوارات والمناقشات كنا نطرح هذا الموضوع في أجواء خاصة، لأن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان محظوراً تداول اسمه في العراق في تلك الفترة، ويتم ملاحقة كل من كان يقلده ويتبعه، من قبل السلطات.

أدت تلك الحركة السلبية ضد السيد الشيرازي (رحمه الله) إلى حالة واسعة من التدمير في أوساط المجتمع، حيث أجمت الصراعات والخلافات والتشنجات والحساسيات بين الشيعة أنفسهم، إلى أن وصل الأمر إلى مرحلة الطلاق بين العوائل لأجل أن أحد الزوجين يقلد السيد الشيرازي (رحمه الله)، وغيرها من حالات وأحداث مفرجة بسبب تلك الهجمة.

سلطان المؤلفين

* كيف استطاع الإمام الراحل (رحمه الله)، وعلى رغم انشغالاته العلمية والاجتماعية والضغط السياسية التي تعرض لها في العراق وإيران، أن يكتب كل هذه الكتب وفي علوم ومعارف متعددة؟

- في الواقع أن سماحة السيد الراحل (رحمه الله) كان مؤلفاً جاداً، وحينما يكتب للمجتمع لم يكن يهتم بكثير من الشكليات المتعلقة بالكتابة، فهو رجل ذكي وحفيظ ومعلوماته غزيرة وتجاربه كثيرة. فكل قضية أو كل قصة أو كل شيء

يحدث في المجتمع، فإن السيد الراحل (رحمه الله) يحتفظ به في ذهنه، وبشكل سريع كان يكتب عن ذلك، فحينما كان يريد - مثلاً - أن يكتب عن قصة النبي موسى (عليه السلام) وهو حافظ للقرآن الكريم، يذكر الآيات القرآنية حول النبي موسى (عليه السلام) ويعلق عليها، وله كتاب (موسى في البحر) وله قصتان أو ثلاث حول النبي موسى (عليه السلام)، فقد كان يملك ذاكرة كبيرة وحادة مليئة بالمعلومات، وقد تعود الكتابة بسرعة، وتعود على القراءة السريعة، ولم يكن يهتم كثيراً باستخراج المصادر، فمثل هذه الأمور يتركها للجان المختصة بشؤون التحقيق والتنضيد للكتاب، وكان يقول: (أنا عليّ أن أثبت المعلومة وأذهب سريعاً)، وكان يكتب بخط ناعم جداً حتى يستفيد من الوقت أكثر فأكثر، ولم يكن ينشغل بالسفر وما أشبه إلا مضطراً، ولا يخرج إلى هنا وهناك كثيراً، خصوصاً إبان تواجده في إيران، فكان (رحمه الله) ذا علم غزير، وكان إذا بدأ يكتب ترى أن المعلومات تتدفق وتتساب من يراعه على الورق انسياً كبيراً وغزيراً، وهذا بسبب عبقريته الذهنية ولبحر المعلومات المخزونة في ذاكرته، فهو حالة خاصة ونادرة وغير موجود عندنا، وقل مثلها في التاريخ، وأهم من كل ذلك العناية الربانية والإخلاص اللذان كان يتصف بهما، فأخلاصه والعناية الربانية به - كما أتصور - هو ما جعله يتمكن من تأليف هذا الكم الهائل من الكتب، وأول كتاب ألفه سماحته (رحمه الله) كتاب (الفضيلة الإسلامية) وهو كتاب أخلاقي ألفه وعمره أقل من عشرين عاماً في ذلك الوقت.

وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله)

* هل من الممكن تقدير عدد وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله)، والذين يتوزعون في الكثير من البلدان؟

* وهل يمكن أن تطلعنا على أنشطتهم المتنوعة؟

* وما هي مستوياتهم وكفاءاتهم في العمل؟

* وهل يمكننا التعرف إلى أي حد كانوا يلتزمون بإرشاداته التي بيّن بعضها في كتابه (إلى وكلائنا في البلاد) وغيرها من كتبه؟

- إن وكلاء السيد الراحل (رحمه الله) كثيرون جداً لا يمكنني إعطاء رقم دقيق لهم، وقد كان لديه مبنى عملي مميز في الوكالة استلهمه من السيد أبي الحسن الأصفهاني (قدس سره) (1).

كان يقول: التيارات المنحرفة لديهم كثير من الوكلاء، وهم منتشرون في المجتمعات، ولديهم كوادر عديدة يعملون على نشر تلك الانحرافات، فيجب علينا أن نصنع كوادرنًا.

وحيثما كان يرى شخصاً مناسباً، وذو لياقة ونشاط، وله الرغبة في خدمة المجتمع، ويمتلك مقداراً من الالتزام والورع والديانة والثقافة، فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يعطيه وكالة وكان لا يتشدد في ذلك، فقد كان من رأيه أن يتعدد الوكلاء، ولا يقبل أن يكون له وكيل مركزي واحد وتكون كل الأمور بيده، ليتحول بعد ذلك إلى نوع من الاستبداد، ويقع السوء في إدارة المجتمع، لذلك كان يكثر من عدد الوكلاء.

وكانوا في مستويات مختلفة، فالوكلاء الكبار والشخصيات المعتمدة لتمثيل المرجعية في بعض الأوساط، كانوا ذوي ثقافة واسعة، وذوي شخصية معتبرة، وكانوا رجالاً مجاهدين عاملين، في جانب آخر كان هناك وكلاء لديهم منطقة معينة وفيها ماتت فرد، أو مائة وخمسون فرداً في الهند، أو باكستان، أو

ص: 61

1- هو مرجع وفقه شيعي إثني عشري، تسلّم المرجعية بعد وفاة الميرزا محمد حسين النائيني، فصار من كبار مراجع الشيعة وقياداتهم الدينية والسياسية في إيران والعراق.

وهؤلاء كان الإمام الراحل (رحمه الله) يعطيهم الوكالة، ولكن كان يحتاج في نفس الوقت إلى تركية لهم، فكان يقول: هل يوجد أحد من المراجع أعطاك وكالة؟ فإذا كان أحد قد منحه مرجع ما وكالة كان الإمام الراحل (رحمه الله) يكتفي بهذا القدر من التركية، ويقول: هذا المقدار يكفي ونحن أيضاً نعطيك وكالة، أما إذا لم يكن أحد من المراجع أعطاه وكالة فكان يعتمد على مَنْ يزكي هذا الفرد.

* لماذا برأيكم كان الإمام الراحل (رحمه الله) يكثر من عدد الوكلاء عكس ما كان متعارف عليه ضمن المنهج التقليدي للمرجعية الدينية الشيعية؟

- لقد ثبت ومن خلال الكثير من التجارب، أن المنهج التقليدي في إعطاء الوكالة وجعلها مركزية خطأ كبير، وهو نظام إداري فاشل أمام تيارات الغرب، وتيارات الشيوعية وتيارات الوهابية.

فعلى سبيل المثال: أفغانستان التي يوجد فيها سبعة ملايين أو ثمانية ملايين شيعي، والفقير والمرجع الذي يكون عنده وكيل مركزي واحد، أو حتى ثلاثة، كيف يمكنه أن يدير كل هذه الملايين؟!

كان الإمام الراحل يؤمن بالتعددية، وبالتنافس بين الوكلاء، فالوكيل كان يدير كادراً في منطقته، فهو مثل منظم الخلية في الحزب - مثلاً - عنده جماعة معينة يعتمد عليهم فيقوم بنشاطاته المختلفة في المجتمع، فحينما كان الإمام الراحل (رحمه الله) يعطيه الوكالة، كان يمنحه من خلالها الاعتبار، لأن الناس سوف يحترمونه بسبب كونه وكياً للمرجع، وعندها سوف يلتفون حوله؛ لأنه رجل ملتزم ويدعو إلى الصلاح والتدين عادة.

فالوكلاء كانوا رجال دين غالباً، وكان السيد الشيرازي (رحمه الله) يؤسس كادراً

بإعطاء الوكالة، وهذا الوكيل سوف يتعامل مع الناس ويلتفتون حوله ويعطونه مبالغ، يدعمون مشاريعه وهكذا، مثل عمل كهذا مهم جداً.

إن تأسيس كادر أو تربية كادر، هو عمل من أصعب الأعمال، فعندما يأتي فرد قد يكون طالب حوزة ودرس لمرحلة معينة - حتى ولو درس فقط الرسالة العملية - ولكنه يعرف كيف يجب على عشرات أو مئات الأسئلة من الناس، وبعض الناس إلى يومنا هذا وفي الكثير من المناطق لا يعرفون كيفية الوضوء، ولا يعرفون أداء الصلاة، ولا يعرفون مراسيم دفن موتاهم، وهذا نراه في معظم المناطق في العراق وإيران، والتي فيها المرجعيات الكثيرة، أما في أفغانستان أو تلك المناطق البعيدة النائية مثل أفريقيا وغيرها فحدث ولا حرج.

الاقتصار على الوكلاء المركزيين غير كافٍ كما نرى ذلك في بعض المرجعيات حيث لديها خمسة عشر وكيلاً على سبيل المثال، وهناك في أماكن متفرقة وبعيدة، يوجد الملايين من الشيعة، فكيف يتمكن هؤلاء من إدارة ورعاية شؤونهم وأمور تقليدهم؟

فالمرجعية مثل دولة كبيرة شعبها ثلاثمائة إلى أربعمائة مليون من الشيعة في العالم، كيف يدارون بخمسة عشر أو عشرين وكيلاً؟! لا يمكن هذا إدارياً عبر وكالات مركزية عليها الكثير من الأشكال.

الإمام الراحل (رحمه الله) أحدث ثورة في حياته، وفي حياة الجسد المرجعي، بهذه الطريقة في الوكالة والوكلاء.

يقول الخطيب الباكستاني المعروف (كول فام هاشمي): وكلاء السيد (رحمه الله) في باكستان صاروا قرابة خمسة آلاف وكيل، وهؤلاء حتى إذا كان عشرينهم يمكن أن نعتبرهم كوادراً متقدمة وممتازة، فإن هذا يمثل ربحاً كبيراً جداً.

* كم برأيكم العدد التقريبي لمقلدي السيد الراحل (رحمه الله) ، وعلى أي البلاد يتوزعون؟

- ليس هناك إحصاء دقيق لاعدادهم كي يمكننا إعطاء ولو رقماً تقريبياً لهم، ولكن يمكننا أن نقول: في أفغانستان وحسب أهل الحل والعقد من الشخصيات المعتمدة والرصينة، من رجالات أفغانستان، كانوا يقدرّون عددهم بحوالي ستين بالمائة من الشيعة هناك، أو ربما أكثر بقليل - حسب تقديراتهم - كانوا يقلّدون سماحة السيد (رحمه الله) .

وقد انتشرت مرجعيته في أفغانستان وربما أكثرية الشيعة في أفغانستان كانوا يقلّدونه، وأتذكر ما حدث في مكتب الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) في مدينة قم المقدسة حيث الإقبال الكبير من شخصيات ووجهاء أفغانستان، والذين لم يسعهم المكتب، فكانوا يجلسون أحياناً في المصلى (حيث تقام الصلاة)، وهذه كانت في وقتها ظاهرة غريبة، - أما الآن فالمسألة عادية لأن المراجعين أكثر من ذلك الزمان -، ولكن في ذلك الوقت يأتون كلهم قاصدين الإمام الراحل (رحمه الله) ، حتى إنه طبعت ووزعت عشرات بل مئات الآلاف من الرسالة العملية للسيد الراحل (رحمه الله) ، وهؤلاء - الكثيرون منهم - كانوا يأخذون وكالات، وتحفظ نسخة من هذه الوكالة في مكتب سماحته (رحمه الله) .

أما في البلاد الأخرى، مثلاً في الخليج، لاسيما دولة الكويت، كان لديه مقلدون وبنسبة جيدة، ولا أعرف على وجه التحديد النسبة؛ لأن الكويتيين عاشروا السيد الراحل (رحمه الله) وتأثروا به وتربوا على يديه، فمقلدوه في الكويت نسبتهم عالية.

وفي السعودية يمكننا القول أن نسبتهم الربع من الشيعة هناك، حيث يقلدون السيد الراحل (رحمه الله)، وهؤلاء أكثرهم رجوعوا إلى تقليد سماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (حفظه الله).

كما أن هناك للسيد الراحل (رحمه الله) مقلدين كثيرين في مختلف البلاد كالهند، وفي باكستان أيضا كان هناك انتشار ملحوظ وواضح.

ويمكننا القول أيضاً، إن في أكثر بلدان العالم التي فيها مسلمون شيعة كان للسيد الراحل (رحمه الله) مقلدون، لكن نسبتهم العددية تختلف أحياناً من مكان إلى آخر بين أعداد قليلة وأخرى كبيرة.

من الملاحظ على مقلدي الإمام الراحل (رحمه الله) أنهم يحملون روح العمل والنشاط والفكر، والتأليف وإقامة الشعائر الحسينية، وتأسيس المؤسسات في أي مكان يكونون فيه في مختلف بلاد العالم، ولاسيما في إيران.

وهناك كتاب ألفه عبد الأمير فولاد زاده⁽¹⁾ حول مؤسسات السيد الراحل (رحمه الله) في تلك المرحلة، قبل التوترات والضغوطات السياسية التي تعرض لها، في تلك المرحلة ألف كتاباً أحصى فيه حوالي ألف مؤسسة في إيران، كما أخبرني شخصياً بذلك، وتوزعت تلك المؤسسات على الهيئات الإنسانية والحسينية الصغيرة.

* هل يمكننا معرفة القوميات التي ينتمي إليها مقلدوا الامام الراحل؟

تتوزع قوميات مقلديه على الهندية والباكستانية والأفغانية والعربية، فهم من قوميات مختلفة، ينتمي أفرادها إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

ص: 65

1- من الشباب الناشطين وكوادر مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) ومؤلف.

* كيف كان ينظر الغرب وقادته ومفكره إلى شخصية الإمام الراحل (رحمه الله)، وإلى حركته، ومؤسساته، وأفكاره؟

- ينظرون إليه نظرة إيجابية من جهات عديدة، وأنه رجل السلم واللاعنف وهذا علمناه بعد وفاة سماحة السيد (رحمه الله).

إضافة إلى ما عرفناه من خلال إحدى المؤتمرات التي انعقدت في كندا بعد وفاة السيد الخوئي تحديداً، وقد حضر إلى هذا المؤتمر مجموعة من المفكرين الأجانب وعلماء شيعة، وكان كل واحد من هؤلاء يعطي رأيه حول المرجعيات الشيعية، وكان أن طرح على العديد منهم سؤالاً عن مرجعية السيد الشيرازي (رحمه الله) فكان جوابهم: (مرجعية تجمع بين الحالة التقليدية القديمة، وبين الحالة العصرية والحداثة)، واهبوا في الحديث عن ميزات تلك المرجعية وشخصية الإمام الراحل (رحمه الله).

عموماً لا يتحسس الأفراد الغربيون من نظريات الإمام الراحل (رحمه الله) وهم يحبذون ما تحتوي عليه من أفكار، أما البريطانيون - بالخصوص - فلديهم أحقاد قديمة باعتبار أن هذه الأسرة الشريفة قادت ثورات ضدهم وموقفهم موقف الضد من شخصية الإمام الراحل (رحمه الله) ومرجعيته.

* كان للإمام الراحل (رحمه الله) عدد من المواقف المشهودة له تجاه الكثير من القضايا الإسلامية ومنها القضية الاندونيسية، متى وكيف تحرك الإمام الراحل (رحمه الله) لمساندة تلك القضية (1)؟

ص: 66

1- ساند قضية المسلمين في اندونيسيا التي ثارت ثورة عارمة ضد الماركسية والاستعمار الروسي والصيني الذي كان يمثلهما (سوكارنو)، وقدم المسلمون في هذه الثورة ضد الشيوعية حسب بعض الاحصاءات ثلاثة ملايين شهيد، ثم انتصرت الثورة. وصعد (سوهارتو) إلى سدة الحكم، فبعث له السيد الشيرازي (رحمه الله) مذكرة مفصلة تحتوي على خطة مدروسة حول تطبيق الإسلام في اندونيسيا، كانت المذكرة تضم (18) بنداً أساسياً حول كيفية إدارة البلاد وفق قوانين الشريعة الإسلامية الغراء.

- أتصور في أوائل السبعينات ويمكن أن يكون ذلك في عام (1973 أو 1972 م) تقريباً كما أذكر، حدثت في اندونيسيا ثورة إسلامية كبيرة قادها (سوهارتو) ضد (سوكارنو) القائد الشيوعي الذي سيطر على الحكم هناك، وقامت ثورة شعبية عارمة ضده باعتباره قائداً مسلماً، لكنه انحرف وارتبط بالغرب وأصبح عميلاً ومارس الظلم والاضطهاد تجاه شعبه، فإن الإمام الراحل (رحمه الله) ومن مقر إقامته في الكويت بعث بمذكرة إلى (سوهارتو)، وقد اطلعت على هذه المذكرة وقتها حين كنت في كربلاء المقدسة وأعتقد إن ذلك كان في العام (1973م) فيها تقريباً ثمانية عشر بنداً حول تطبيق الإسلام في اندونيسيا، باعتبارها دولة إسلامية كبيرة، وثورة إسلامية منتصرة.

* من قضايا المسلمين الأخرى التي اهتم بها الإمام الراحل (رحمه الله) هي قضية الصراع الدائر بين الهند وباكستان حول كشمير⁽¹⁾، كيف تحرك سماحته (رحمه الله) نحو تلك القضية؟

- لا أتذكر التفاصيل، ولكنني أعلم أنه أصدر بعض البيانات التي تخص شأن المسلمين في كشمير ومعالجة أوضاعهم وتخفيف معاناتهم.

ص: 67

1- الصراع حول كشمير يشير إلى نزاع إقليمي بين الهند وباكستان حول كشمير، في الشمال الغربي لشبه القارة الهندية. نشبت بسببها حروب ومواجهات عسكرية بين البلدين، تبعها مؤتمرات قمة، سعياً إلى حل هذه المشكلة التي زاد خطرها خاصة بعد انضمام الدولتين إلى النادي النووي.

* لو انتقلنا إلى الهند، تلك الدولة الكثيرة النفوس والمتعددة الأعراق والديانات، ما هي أبرز أنشطة الإمام الراحل (رحمه الله) فيها، ومن هم وكلاؤه هناك؟

- كان من أبرز وكلائه الأديب الهندي وهو شخصية مرموقة ونشطة وعصرية، وكانت لديه حركة تبليغية واسعة في الهند، وتمكن من أن ينشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بين حوالي ألفي فرد من الهنود الذين كانوا من عبّاد البقر، وأستطاع أن يؤثر عليهم وصاروا مسلمين ومن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وكان للأديب مؤسسة استطاع فيها أن يترجم خمسة أجزاء من موسوعة الفقه منها: كتاب (الشهادات)، وكتاب (القضاء) إلى اللغة الأوردية وتمت طباعتها.

وكانت لديه علاقات سياسية مع المسؤولين وكان شخصية مقبولة من جهات مختلفة. وكان الأديب الهندي هو الوكيل الأول في الهند للسيد الراحل (رحمه الله) حتى أنه يوزع الرواتب في الهند على طلبة العلوم الشرعية.

وهناك عالم آخر من المعتمدين من الشخصيات المهمة ومن الرموز في (لكنهو)⁽¹⁾ وصار من وكلاء السيد الراحل (رحمه الله)، كان يقوم بعدد من النشاطات الجيدة والمثمرة هناك.

* هناك أيضا القضية الفلسطينية وما جلبته من مآسي على الأمة الإسلامية، كيف ناصر السيد الشيرازي (رحمه الله) الشعب الفلسطيني منذ الستينات وإلى آخر عمره الشريف؟

- اعتبر الإمام الراحل (رحمه الله) القضية الفلسطينية مركزية وأساسية للأمة الإسلامية، وكان يعتقد بلزوم جعل القضية للمسلمين كافة عبر (أسلمتها)، فهو

ص: 68

1- من المدن الشيعية في الهند تقع في الشمال الغربي من الهند، وتشتمل هذه المدينة على عدة مدارس شيعية، منها: الجامعة الناظمية، ومدرسة الواعظين، وسلطان المدارس.

لا يعتبرها أمراً فلسطينياً خاصاً بالفلسطينيين وحدهم، أو هي قضية عربية خاصة بالعرب وحدهم؛ وإنما هي قضية إسلامية مركزية في الصلب من قضايا المسلمين، وقد أصدر عدداً من البيانات كما أُلّف بعض الكتب حولها.

* ما هي رؤيته في كيفية مكافحة الحركة الصهيونية؟

- يمكن معرفة ذلك من خلال النقاط التالية:

الأولى: ضرورة تأسيس المنظمة الإسلامية العالمية التي أوضح برنامجها وبصورة مختصرة عبر عناوين موجودة في كتاب (السبيل إلى إنهاض المسلمين) فمن دون منظمة إسلامية عالمية نحن دائماً محكومون بالحركات المنحرفة التي تتحرك باسم الإسلام كالحركة الوهابية وما أشبه، فهي تضطهدنا وتسفك دماءنا في كل مكان وزمان.

الثانية: فضلاً عن الحركة الثقافية ونشر الكتب وتأسيس الفضائيات وما أشبه، والتحرك الواسع نحو إيصال رسائلنا إلى الآخرين.

الثالثة: من أهم الوسائل - كما كان يعتقد الامام الراحل (رحمه الله) - إنه (لا يُقْلُ الحديد إلا بالحديد)، فهؤلاء لديهم أكثر من منظمة دولية (الماسونية، والصهيونية)، فيلزم أن يكون للشريعة منظمة عالمية معترف بها، كما هو الحال مع المنظمات الصهيونية، والمنظمات الشيوعية العالمية، وحتى الحركة الوهابية ومنظماتها العالمية، مقاومة كل ذلك لا تنجح إلا من خلال تنظيم إسلامي عالمي.

* كانت للإمام الراحل (رحمه الله) اهتمامات أخرى فيما يتعلق ببعض الجماعات الشيعية والتي توجه لها شتى الاتهامات ولم تأخذ حجمها من الاهتمام، من تلك الجماعات العلويون، والذين يتركز وجودهم في سوريا وتركيا! كيف تحرك

- تحرك الإمام الراحل (رحمه الله) نحوهم من خلال أخيه الشهيد السيد حسن (رحمه الله) وكان السيد الشهيد قد صرّح: (أمري أخي المرجع الديني السيد محمد الشيرازي بالتحرك)، فكان تحركه واسعاً نحوهم، في سوريا ولبنان وكان يخطط للتحرك على العلويين في تركيا عبر مدّ الجسور معهم، وهؤلاء العلويون لاسيما في سوريا أعلنوا تشييعهم، أما في تركيا فالحركة توقفت باستشهاد السيد حسن (رحمه الله)، والآن هناك تحركات للمرة الثانية حيث يوجد إحياء للحركة، وهناك مؤسسة تابعة لهذه المرجعية تدير هذه التحركات.

* انهمك الإمام الراحل طيلة عمره الشريف بالعراق، منذ كان متواجداً فيه وحتى بعد رحيله، للخلاص من الحكم الاستبدادي الذي جثم على صدور العراقيين عقوداً طويلة. فكيف تشرح لنا رؤية السيد الراحل (رحمه الله) للعراق وقضاياها؟

- كان الإمام الراحل (رحمه الله) يعتقد بأن الحل لقضايا العراق ومشاكله السياسية يتم عبر أمور منها:

تصدي المرجعية للقيادة الجماعية في العراق، من خلال نظرية (شورى الفقهاء المراجع)، وكان يعتقد أنه بعد تحقيق ذلك، يجب علينا تأسيس شورى الحركات، وكان يرى أنه يجب التنسيق في القضية العراقية مع القوى العظمى؛ لأن القضية دولية وليست قضية إقليمية، حيث الأمم المتحدة والدول العظمى لها دور فيها، وكان يعتقد إن الذين يرتبطون بالقوى الإقليمية سوف يرتبطون بالضرورة بدول الاقليم مثل السعودية، أو سوريا، أو إيران، أو تركيا، أو أي

ص: 70

1- العلوية هي طائفة من الشيعة، تعتمد بشكل أساسي على الكتب الشيعية وعلى رأسها الكتب الأربعة ومصنفات أخرى كثيرة، يشتركون فيها مع بقية الاثنا عشرية. وهم اليوم يتواجدون في الجبال الساحلية السورية ويختلفون عن علويي المغرب أو الزيديين في اليمن أو تركيا.

جهات أخرى وهذا خطأ سياسي جسيم، وإنما يجب أن تنسق الجماعات العراقية المعارضة مع الأمم المتحدة والدول التي لها تأثير على مجريات الأحداث من منطلقات وطنية ولا يصبحوا عملاء للدول الإقليمية، وكان يطلب من القادة السياسيين الذين يزورونه ويرشدهم إلى أن مفتاح القضية بيد أمريكا وليس بيد السعودية ولا بيد القوى الإقليمية، وكان طلبه الدائم إليهم أن يتحركوا على هذا الصعيد، ومن الذين طلب منهم ذلك قادة المنظمة (منظمة العمل الاسلامي) كالشيخ الحسيني، والشيخ أبو بشير الدكتور المفتاح في سوريا، الذي سبق له أن ألف كتاباً، قال له الإمام الراحل (رحمه الله) وقتها: أنت دورك أكبر من أن تؤلف، فقال الشيخ ابو بشير: وماذا أفعل؟ قال له: فكر في القضية الاستراتيجية، قضية العراق، فسأله الشيخ: كيف ذلك؟ قال له: اذهب وسافر إلى أمريكا واتفق معهم لعلاج قضية العراق.

استصعب الشيخ أبو بشير الأمر لأن العملية معقدة، فقال له: هل أذهب واقوم بذلك باسمك؟ تأمل السيد الراحل (رحمه الله) قليلاً، ثم قال له: لا، بل تذهب وتعمل باسمك.

ورأي السيد الراحل (رحمه الله) كان أنه إذا ذهب أي سياسي تحت اسم المرجعية، فإن مثل ذلك سيؤدي إلى تلوث المرجعية بمثل هذه الأمور السياسية، التي لا يمكن إن تخاطر المرجعية في الدخول في تفاصيلها، في حين أن مثل هذا العمل هو عمل سياسي محض، فيلزم على الشيخ المذكور وأمثاله من شخصيات سياسية أن تذهب بصفتها الشخصية المعارضة والسياسية، وليس بصفة مندوب لمرجعية اسلامية معينة، أي مرجعية كانت سواء السيد الشيرازي أم غيره.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يعتقد - وباعتقاد متين - إن مفتاح الحل للقضية عند

هؤلاء الأجنب، ونحن اضطراراً ولتخليص أنفسنا من طغيان صدام(1) وحزبه - حزب البعث في العراق -، يلزم أن ننسق مع هؤلاء لنتخذ شعب العراق.

وكان (رحمه الله) يعتقد أيضاً بضرورة الاعتماد على العشائر لحل قضية العراق، فمن دونهم، ومن دون المرجعية، ومن دون التحالفات الدولية، لا يمكن علاج قضية العراق، وأيضا من دون وحدة الكلمة بين الجهات السياسية الإسلامية.

أول رسالة عملية

* أعلن الإمام الراحل (رحمه الله) مرجعيته في سن مبكرة على غير المعهود في الحوزة أو المرجعيات الدينية، كيف حدث ذلك؟

* ومتى طبع أول رسالة عملية؟

* وكيف تنامت مرجعيته مع وجود مرجعيات كبيرة وقائمة بنفسها في ذلك الوقت؟

ص: 72

1- صدام حسين عبد المجيد التكريتي الذي ينتمي إلى عشيرة البيجات، هو رابع رئيس لجمهورية العراق في الفترة ما بين عام 1979م وحتى 9 أبريل عام 2003م، وخامس حاكم جمهوري للجمهورية العراقية. ونائب رئيس الجمهورية العراقية بين 1975 و1979. وصل صدام إلى رأس السلطة في العراق حيث أصبح رئيساً للعراق عام 1979م بعد أن قام بحملة لتصفية معارضيه وخصومه في داخل حزب البعث. وفي عام 1980م دخل صدام حرباً مع إيران استمرت 8 سنوات من 22 سبتمبر عام 1980م حتى 8 أغسطس عام 1988م. وقبل أن تمر الذكرى الثانية لانتهاؤ الحرب مع إيران غزا صدام الكويت في 2 أغسطس عام 1990. والتي أدت إلى نشوب حرب الخليج الثانية عام 1991م. ظل العراق بعدها محاصراً دولياً حتى عام 2003م حيث احتلت القوات الأمريكية كامل أراضي الجمهورية العراقية قبض عليه في 13 ديسمبر عام 2003م في عملية سميت بالفجر الأحمر.. تم بعدها محاكمته بسبب الجرائم التي ارتكبها وتم تنفيذ حكم الإعدام عليه في 31 ديسمبر عام 2006م.



- للإجابة عن ذلك، أعود إلى العام 1964 حين قام الإمام الراحل (رحمه الله) بزيارة السيد محسن الحكيم (قدس سره) في النجف الأشرف ولعله كان يرافقه أخوه الشهيد السيد حسن (رحمه الله)، وكان السيد محسن الحكيم يحترم الإمام الراحل (رحمه الله) كثيراً، لكونه ابن الميرزا مهدي الشيرازي، ولكونه عالماً ومجاهداً بمستوى التحديات، نقل الإمام الراحل (رحمه الله) تقريراً إلى السيد الحكيم، ذكر فيه: إن البعثيين سوف يعودون للحكم في العراق، وهناك تنظيمات لهم في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، وفي مختلف المناطق في الجنوب، ومعظم قادتهم سُنّة وطائفيون، وقد قاموا بتجنيد البسطاء من شباب الشيعة الضائعين، والذين كانوا القاعدة لهم في مناطقهم، فطلب من السيد الحكيم (رحمه الله) أن يتحرك لمواجهة طغيان البعثيين، وذكره بأحداث العام 1963م، حين كانت لديهم ميليشيا واسعة في كل العراق تحت اسم (الحرس القومي)⁽¹⁾ وهذه الميليشيا أغرقت العراق في حمام من الدم، نقل الإمام الراحل (رحمه الله) إلى السيد الحكيم تقريره وتوقعاته لما سيفعله البعثيون في العراق، فسأله السيد الحكيم: ماذا تقترح أن نعمل؟

أعطى الإمام الراحل (رحمه الله) اقتراحاته، ومن جملتها:

الأول: أن يبعث على الأقل بنصف عدد طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف إلى مختلف أنحاء العراق، ويحتفظ بالنصف المتبقي في الحوزة لأغراض

ص: 73

1- الحرس القومي مليشيا تابعة لحزب البعث شكلها عام 1963 بعد انقلاب 8 شباط 1963 التي قادها حزب البعث وقد وفر لها غطاءً قانونياً بإصداره قانون الحرس القومي.

التحصيل العلمي، فلا ينبغي أن يبقوا جميعهم في النجف الأشرف، مع وجود هذا المد البعثي.

الاقتراح الثاني: تأسيس مكتبات عامة في مختلف أنحاء العراق وفي كل منطقة، وهذه المكتبات يكون لها نشاط ثقافي وفكري وتوعوي يرتادها الشباب وغيرهم.. وعلى ضوءها توسع في إنشاء المكتبات، إضافة إلى ما كان لديه من مكتبات يربها في أنحاء العراق، وبعضها إلى الآن موجود.

الاقتراح الثالث: تأسيس حزب سياسي، والسيد الحكيم (رحمه الله) لم يؤسس حزباً بهذا المعنى بصورة مباشرة، ولكنه قام بمساندة بعض الأحزاب من خلال أمره لوكلائه بأن يساندوه ويقدموا الدعم المادي له من أموال الحقوق الشرعية لتقويته.

الاقتراح الرابع: تأسيس مجلة إسلامية حضارية واسعة الانتشار في العراق، وقد أمر بإصدار عدد من المجلات في العراق.

على كل حال، كانت للسيد الحكيم (رحمه الله) رؤية أخرى في مجابهة حزب البعث، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) كثيراً ما يرى مهموماً ومغموماً نتيجة لما سيؤول إليه الشعب العراقي.

وهناك تفاصيل أخرى عن القضية ولعل سماحة السيد المرجع (دام ظله) أكثر اطلاعاً عليها.

نتيجة لذلك، اقترح أهل الحل والعقد في كربلاء المقدسة كآية الله السيد صادق القزويني (1) - مثلاً - الذي كان من الشخصيات التي تتمتع بالاحترام

ص: 74

1- من كبار رجالات الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة واعتقل عام 1975 من قبل نظام البعث وظل في السجن إلى عام 2000 حيث اختفت آثاره.

والمقبولية في الأوساط الحوزوية والاجتماعية، والشيخ جعفر رشتي(1) وكان من الأساتذة المعتمدين في الحوزة، والشيخ محمود دانش وكان شخصية اجتماعية ومن وجهاء كربلاء المقدسة، والشيخ الكلبي والشيخ محمد صادق الكلبي(2)، هؤلاء المجموعة اقترحوا على الإمام الراحل (رحمه الله) أن يطرح مرجعيته؛ إذا أراد أن يتحرك تحركاً واسعاً في العراق ويواجه مد البعثيين الصاعد فيه، فهو يحتاج إلى جمهور يسمعون كلامه، كما ويحتاج إلى المال، والمرجع له جمهور وأتباع وقاعدة شعبية، وله أموال الحقوق الشرعية، فكان أن اقترحوا عليه أن يكتب رسالته العملية، وفعلاً كتب أول رسالة عملية باسم (أحكام الإسلام) وطبعها صاحب مكتبة (دار الحق).

وأذكر أن غلاف الكتاب كان باللون الأزرق ومزين ببعض الزخارف الإسلامية، وكتبوا على الغلاف بعض الألقاب: كالسيد الإمام وما أشبهه. ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) أمر بحذفها، وهذه الرسالة العملية كنا ندرسها في مدرسة الحفاظ للقرآن الحكيم.

بعض المرجعيات لم ترتض ما أقدم عليه الإمام الراحل (رحمه الله)، وحببتهم أنه شاب عمره ثلاث وثلاثون أو خمس وثلاثون سنة، وهناك رجال دين من الشَّيْبَةِ تجاوزت أعمارهم الستون سنة في النجف الأشرف، ولم يطرحوا رسالة عملية، وهذا حسب تصورهم التقليدي خروج عن بروتوكولات المرجعية المتعارف عليها لديهم، وهي في الواقع بروتوكولات غير شرعية، بمعنى أننا نقدم

ص: 75

1- أستاذ كبير في النحو والمنطق، ومعتمد المراجع في حوزة كربلاء المقدسة.

2- من العلماء البارزين في كربلاء المقدسة، ومن تلامذة الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله)، وهو مؤلف دائرة المعارف الحسينية.

الرجل الكبير في السن ولا تقدم الشاب الكفوء، وهو ما يتطابق مع النظرية السائدة لدى علماء العامة، والتي كانوا يقولون فيها أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) شاب وهؤلاء شيوخ الصحابة فنقدم الشيوخ عليه.

مثل هذا البرتوكول موجود وراسخ في الحوزة رسمياً، فالصغير في السن لا يمكن له أن يقدم نفسه كمرجع حتى لو كان أعلم وأكفأ ممن هم أكبر سناً منه. أحدثت هذه المبادرة من قبل الإمام الراحل (رحمه الله) اثاراً عدة داخل الحوزة العلمية والمرجعية الدينية.

الشباب في ذلك الوقت، وكانوا يمثلون تطلعات الجيل الجديد، بدأوا يقلدونه ويدافعون عنه ويضحون ويقدمون دماءهم في سبيله، وأخذت مرجعيته تنمو تدريجياً، واتصور شخصياً أن الإمام الراحل (رحمه الله) لو لم يسجل موقفه الشجاع هذا، ويكتب رسالته العملية بعدها، ما كان سيوفق لاحقاً، ولم تكن تسنح له الفرصة أو الظروف، ففي نفس تلك الفترة أو بعدها بقليل هاجر إلى الكويت، وهناك لا توجد حوزة علمية، ولا يمكن - على الأقل في ذلك الوقت - أن يؤسس فيها مرجعية، وبعدها غادر إلى إيران والكثير من المرجعيات موجودة، مستقرة عاملة، مثل مرجعية السيد الشريعتمداري(1) والسيد الكلبايكاني(2)، والسيد المرعشي النجفي(3) (رحمهم الله) وأمثالهم، فالإمام الراحل (رحمه الله) لو أراد - في تلك الظروف - أن يؤسس مرجعية معينة أو يكتب رسالة عملية، لم يستطع فعل

ص: 76

1- مرجع شيعي كانت له أدوار دينية وسياسية كبيرة في إيران والعراق.

2- السيد محمد رضا الكلبايكاني مرجع شيعي، بعد وفاة السيد البروجردي أصبح واحداً من أشهر مراجع التقليد واتسع نطاق تقليده، ولمع نجمه في مختلف المجامع العلمية في داخل إيران وخارجها.

3- السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، وينتهي نسبه الإمام زين العابدين. فقيه ومرجع شيعي.

ذلك، من هنا فإن موقف إعلان المرجعية - كان موقفاً شجاعاً واستراتيجياً، لأنه استبق الزمن وتصدى للمرجعية ونمت مرجعيته منذ ذلك الوقت.

كان للإمام الراحل (رحمه الله) في كربلاء المقدسة نفوذ، إضافة إلى نفوذ والده، في الجماهير والمدارس والمؤسسات، مع كفاءته العالية في قيادة كل تلك المؤسسات، وأهل الحل والعقد وأهل الخبرة كانوا يرونه كفوءاً أيضاً، فلماذا لا يكتب رسالته العملية؟! لقد كتبها ونشرها على مستوى محدود وغير واسع، في زمن السيد الحكيم (رحمه الله)، احتراماً له لكن بعد وفاته طبع الرسالة العملية ووزعها وطرح نفسه كمرجع تقليد بصورة واسعة.

* العدد الكبير من المؤسسات التي كان يشجع سماحة السيد (رحمه الله) على تأسيسها وتقديم الدعم المادي لها، مع قلة ما كان يأتيه من أموال كانت تضعه في أزمات مالية، كيف كان يعالج تلك الأزمات؟

* وما هي مصادره المالية؟

* ولماذا كان دائم العوز اقتصادياً؟

- في الواقع هناك مرجعيات لها من يساندها من القوى المحلية، ومن القوى العظمى، ولكن الإمام الراحل كان رجلاً مستقلاً لم يرتبط بدولة معينة، وليس لديه استعداد أن يرتبط مع أحد، رغم أنه قُدِّمت له عروض كثيرة. مثلاً قدمت إليه من دولة الكويت عدة عروض مالية كبيرة، لكنه رفضها. وبعد احتلال الكويت، كان المجال واسعاً ومفتوحاً أمامه، وكان يستطيع أن ينسق مع عدة دول مختلفة، لكنه كان يرفض مثل هذا التصرف والأسلوب، وقد سمعته مراراً وتكراراً وهو يقول: إذا كنا نريد أن نأخذ أموالاً من جهة معينة، ونبني كياننا على تلك الأموال، فإن الممول سوف يفرض علينا قرارات معينة لقاء تمويله، وبذلك نفقد حرية القرار، ونصبح تابعين له، وهذا يعني فقداننا لمصداقيتنا،

وباتباعنا لهذا الممول سوف نفقد كل شيء، وسوف ننتهي.

لم يكن يؤمن بالارتباط بالحكومات على المستوى المالي، وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً ومستحكماً أن الاعتماد على الجمهور عموماً من التجار والناس الكسبة وهؤلاء الملايين المتدينين من المجتمع، هو الأفضل لحرية قراره ولسمعة مرجعيته.

لهذا السبب كان دائماً يعاني من العوز المالي، إضافة إلى أنه كان يعطي إجازات في صرف الحقوق الشرعية لمختلف المؤسسات في أنحاء العالم، حتى المؤسسات غير المرتبطة به، والتي ترتبط بجهات أخرى، كانوا يأتون إليه ويأخذون منه الإجازات، مثلاً إحدى مؤسسات الأيتام في لبنان، مع أنها لم تكن مرتبطة بالإمام الراحل (رحمه الله)، كان يعطيهم شهرياً اثني عشر ألف دولار، كلما وصلت إليه مبالغ مالية، وكان يمول أيضاً بعض المؤسسات الدينية شهرياً بنفس المبلغ، وكان بسبب ذلك يعاني من الضائقة المالية، وكان يعتمد على القروض دائماً، وقبل أول الشهر كان (رحمه الله) يستقرض الأموال، من التجار الذين كانوا يتقون به ويحبونه ويحترمونه جداً، ويعطونه ما يحتاج إليه من أموال عبر وسائطه إليهم، ومنهم المرحوم السيد علي الفالي، والحاج محمد بوردار⁽¹⁾، والحاج أبو كمال غفاريان⁽²⁾ في طهران (رحمهم الله)، فهؤلاء وسائط ومؤثرون يذهبون إلى التجار أو غيرهم يستقرضون منهم.

كما أسس سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) صناديق الإقراض الخيري مثل صندوق جواد الأئمة (عليه السلام)، والذي يعتبر الخلفية التي انطلقت منها صناديق

ص: 78

1- من الكوادر الشيعية الناشطة في مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) في طهران.

2- من الكوادر الشيعية الناشطة في مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) في طهران.

الإقراض الخيري، وكان (رحمه الله) يعطي الإجازات لتأسيس مثل تلك الصناديق، وهو يقول: لا بأس، يجب أن تكون هناك حركة في الإسلام وخدمة للمجتمع، فكان المحتاجون يسحبون أموالاً من هذه الصناديق كديون مستحقة دون فائدة.

* من الأسباب الأخرى للضائقة المالية التي كان يعاني منها الإمام الراحل (رحمه الله) هي سماحه للوكلاء بالتصرف بالحقوق الشرعية كثيراً، لماذا كان برأيكم يسمح بمثل هذا التصرف؟

- لأن الوكلاء يريدون أن يديروا أنفسهم، فرجل الدين لديه بيت ولديه ديوان مفتوح، وعنده مجلس ربما أسبوعي، أو برامج اجتماعية، وكثير من الناس ساتون اليه ويرتادون مجلسه، وهم يتوقعون منه المساعدة المادية كما المساعدة المعنوية، فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يعطي الوكيل إجازة أن يتصرف في الحقوق الشرعية. والوكلاء المعتمدون - مثلاً - السيد محسن الخاتمي (حفظه الله) تحمل مسؤولية كبيرة في بلاد مختلفة: في البلاد الأجنبية، وفي الشام ولبنان وفي الكويت، فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يعطيه إجازة مطلقة لأنه عنده مصاريف واسعة ويدير الكثير من المؤسسات، وحتى الذي ليس لديه إجازة مطلقة أيضاً كان عنده مسؤوليات، وأيضاً عنده حاجات شخصية، عنده أسرة وبيت ومصروف يومي وغير ذلك، وهو منقطع إلى العمل التبليغي أو التحصيل العلمي، فمن أين يدبر أموره؟!

فهؤلاء هم جهاز المرجعية، ويختلفون بمقدار الإجازة، فبعضهم الثلث، وبعضهم النصف، وبعضهم كان يعطى الإجازة للتصرف الكامل - طبعاً ضمن ضوابط معينة - ولغرض دعم الحركة العالمية للمؤسسات الثقافية والإعلامية ونحو ذلك.

* لماذا كان الإمام الراحل يمنح الإجازة للتصرف في ثلث الأموال، أو الربع منها في المقدار الشرعي، مع أن الوكيل قد لا يحتاج إلى ذلك؟

- الوكيل كان يأخذ هذا الثلث أو النصف، ويصرفه على العمل الإسلامي في المجتمع، من ذلك مثلاً أنه يوجد لديه طلاب يديرهم، أو توجد مؤسسة يديرها، وليست الأموال دائماً تكون من حقهم الشخصي، فوكلاء الإمام الراحل (رحمه الله) مشهود لهم عموماً بأنهم ليسوا من الأثرياء الذين يضعون الأموال في البنوك، أو عندهم منازل مختلفة أو عندهم تجارة، بل هم غالباً كما تشاهدهم في مختلف أنحاء العالم يعيشون معيشة متوسطة الحال، وليسوا أثرياء، وهذه من أبرز مصاديق شؤون الحسبة، فالفقيه مسؤول عنهم.

في إحدى المرات وفي دولة البحرين ذهبت الكثير من أموال أحد المراجع هدرًا، أما أموال الإمام الراحل (رحمه الله) فقد خدم المجتمع بها، من خلال إعطائه لتلك الإجازات والطلب من وكلائه بإنفاق الأموال في الوجوه التي تقيد المجتمع.

* ما هو دور الإمام الراحل (رحمه الله) في تفعيل الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة وسائر الحوزات العلمية في العراق؟

- كان له دور كبير في تفعيل الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة، من خلال تأسيس المدارس العديدة فيها - مثلاً - تأسيس المدرسة الحسينية (1) التي كان يديرها الشيخ حسن النائيني (2) ويتوجيهه تأسست هذه المدرسة، ومن ثم ساهمت هذه المدرسة بتهيئة الكثير من الشباب وتثقيفهم دينياً فأصبحوا من رجال الدين، وهذه

ص: 80

1- تقع بالقرب من الروضة العباسية الشريفة وإلى الشمال منها، وينصب النشاط العلمي المكثف فيها على تدريس الفقه والأصول وعلم المنطق والأخلاق وتفسير القرآن وقواعد اللغة العربية من نحو وصرف، كما تقام فيها المراسيم والإحتفالات الدينية والطقوس المذهبية.

2- خطيب حسيني وإداري في جهاز الإمام الراحل (رحمه الله) وعضو في بعثة الحج.

كانت حركة واسعة وملفتة للنظر في زمنها، إذ أنّ كثيراً من الشباب لبسوا العمامة كشعار لرجل الدين وباشروا بتحمل مسؤولية التبليغ للدين الحنيف، في المناسبات الخاصة مثل شهر رمضان المبارك وشهر محرم الحرام، وكذلك ساهم بتأسيس المؤسسات الحديثة، وساهم بتأسيس اللجان الأدبية، مثل اللجنة التي أسسها الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره) وتخرج منها السيد هادي المدرسي، وتخرج منها السيد مجتبي الشيرازي(1)، والشيخ جعفر الهادي(2)، والسيد محسن الخاتمي، كل هؤلاء كانوا ضمن لجنة الشهيد السيد حسن (رحمه الله) .

وبعدها أسس السيد مجتبي لجان أخرى وكانت أربع لجان وأنا كنت من ضمن اللجنة الرابعة والأخيرة، والتي أجهز عليها البعثيون، ومن هذه اللجان خرج الكتاب والمؤلفون وصاروا رموزاً وشخصيات معروفة، فكانت ما تقوم به من أعمال فاعلة ومؤثرة في مجتمعها، وكان من ضمن برامج فعاليتها توزيع المنشورات في كل مناسبة، مثل منشور عن شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو صدور كراسات في المناسبات كسلسلة ذكريات المعصومين (عليهم السلام)، وكل كراس يحمل اسم المعصوم، وكلها توزع على الناس، كل هذا كان يؤديه وينجزه رجال الحوزة الذين يعملون وفقاً لهذه الطريقة بتشجيع ومباركة من الإمام الراحل (رحمه الله)، إضافة إلى أنه (قدس سره) فعّل الحوزة بدرس الأخلاق الأسبوعي وتعميم(3) الشباب وتأسيس المدارس وبالحركة التبليغية التي نشطها وربّاهها وبمؤسسات تربوية حديثة مثل اللجان الأدبية.

ص: 81

-
- 1- السيد مجتبي الحسيني الشيرازي ابن الميرزا السيد مهدي الشيرازي وأخ للإمام الراحل (رحمه الله) .
 - 2- الاستاذ الباحث من العلماء الناشطين والمربين المميزين.
 - 3- ارتدائهم العمامة.

* من المعروف أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان لديه الكثير من الأبناء والأحفاد، ما هي أساليبه ووسائله في تربية أولاده أولاً، وغيرهم من الأقرباء ثانياً؟

* وكيف كان يدير أسرته وذويه وأرحامه، وكيف كانت علاقاته معهم؟

أذكر في يوم من الأيام، وكان يومها عيد الأضحى - على ما تسعفني ذاكرتي - ذهبت إلى بيته في كربلاء المقدسة، وكنت شاباً صغيراً أرتدي العمامة، والسيد محمد رضا (رحمه الله) كان صغيراً وهو أصغر مني بسنوات قليلة، وما زال لم ينبت الشعر على لحيته وكان بهيأة جميلة، لعله لم يبلغ الثانية عشرة، ففوجئنا به وقد لبس العمامة وارتدى زي رجال الدين، ورأينا هذا الطالب الذي بالأمس القريب كان يلعب في مدرسة الحفّاظ رأيناه لابساً العمامة!!

الصورة



المعروف أن من أساليب الإمام الراحل (رحمه الله) أنه كان يعمم أولاده بعد دخولهم الحوزة ودراستهم فيها لفترة وهم دون العشرين عاماً، وأذكر أيضاً كيف تعمم السيد محمد علي (حفظه الله)، وأتذكر أنه كان صغيراً وفي أحد الأيام - حسب ما نقل السيد محمد رضا (رحمه الله) - كان الإمام الراحل (رحمه الله) يتكلم معه فراه قد أصبح طويل القامة ورشيقاً بل وأطول منه، فقال (رحمه الله): محمد علي أصبح أطول مني، يجب أن يتعمم، وبسرعة جلب له العمامة وقام بتعميمه، وهذه المبادرة كانت رائعة.

تعلمون أن بعض أولاد المراجع يخرجون من خط المرجعية وخط رجال الدين، لكن الإمام الراحل (رحمه الله) وحين يكون أحد أولاده في ريعان شبابه أو في مرحلة المراهقة يعممه بسرعة ويدخله في سلك الحوزة، فينسجم في أجوائها، وهو الذي استطاع أن يوجه أولاده كلهم ويدخلهم في الحوزة حيث يعممهم ثم بعد فترة قصيرة يزوجهم، فكان يجعلهم على الطريق المستقيم، وتوجد قصص كثيرة سمعتها في هذا المجال.

* نتيجة لمواقف الإمام الراحل (رحمه الله) المعارضة لكثير من السياسات والأنظمة، حاول بعض الجهات اغتياله في إيران عدة مرات، ما هي الأسباب الخفية وراء ذلك؟ ومن كانوا؟ وكيف فشلت تلك المحاولات؟

- في الواقع جرت عدة محاولات لاغتيال الإمام الراحل (رحمه الله) وإحدى هذه المحاولات - وكما سمعت عنها في وقتها - حين كان في بيت السيد مرتضى القزويني وعندهم اجتماع يخص العراق، وكان أحد الأشخاص يختبئ على سطح المنزل وهو مسلح، وقد هجم على الإمام الراحل (رحمه الله)، ولكن لوجود الحرس في المنزل انتبهوا إليه وسارعوا إلى الإمساك به بعد تبادل لإطلاق النار معه، حيث أصابوه في قدمه، ثم سلموه إلى الجهات المختصة.

وقبلها كانت هناك محاولة أخرى، عندما كان الإمام الراحل (رحمه الله) مقيماً في الكويت، وكان من عادته أن يتمشى على البحر يفكر ويتأمل، وغالباً ما يكون برفقته أحد الأفراد، وفي إحدى تلك المرات كان معه السيد أحمد جبرائيل، وفجأة جاءت سيارة تسير بسرعة شديدة متجهة نحوهما بقصد صدمهما، ولكن الله سلم ولم يتمكن صاحب السيارة من صدمهم؛ لأن ساحل البحر يحتوي على صخور وما أشبهه، وبعدها تبين أن محاولة الاغتيال هذه كانت بتدبير من

السفارة العراقية في الكويت وأن السيارة تابعة للسفارة العراقية.

والمحاولة الثالثة كانت في مدينة قم المقدسة، وذلك إبان الحرب العراقية الإيرانية، فعندما طال قصف الطائرات مدينة قم المقدسة، كان هناك قصف قريب جداً من بيت الإمام الراحل (رحمه الله)، حتى أن الزجاج تكسر، وعلى أثر هذه الغارة انتقل سكن السيد إلى قبو حسينية دار الحسين (عليه السلام).

وكانت طائرة هذا الطيار الذي قصف المنطقة قد أسقطت، وألقي القبض عليه، فنقل - وبواسطة واحدة - عن مَنْ كان يحقق مع هذا الطيار: أنه من ضمن أهدافه قصف مكان محدد في تلك المنطقة، وقد أعطى عنواناً وعلامات ضمن خريطة تبين أنها لهذا البيت الذي يعود للإمام الراحل (رحمه الله).

أي أن الطيار جاء مستهدفاً بالصواريخ بيت الإمام الراحل (رحمه الله) ومَنْ فيه، هذا كل ما عرفته عن محاولات اغتيال الإمام الراحل (رحمه الله) في ذلك الوقت.

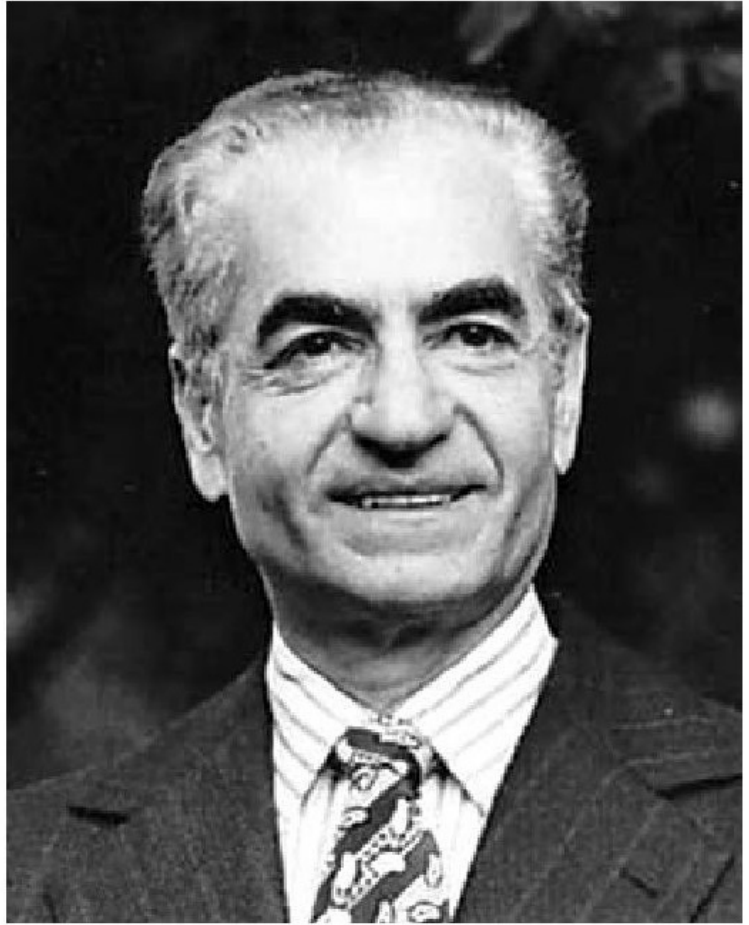
* من المعروف أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان قد جمع عدداً من علماء النجف البارزين وهم: المراجع العظام الخوئي، الحكيم، والشاهرودي للتباحث في إنقاذ السيد الخميني.

كيف تمكن الإمام الراحل (رحمه الله) من جمع هؤلاء الأكابر من العلماء وهو لا زال في سن الشباب؟

هذا الشيء حصل بعد ما عرف بأحداث شهر خرداد(1) والانتفاضة التي

ص: 84

1- انعطافة مهمة في تاريخ إيران المعاصر. فقد جسدت التلاحم المعنوي والشعور الديني الراسخ لدى أبناء الشعب الإيراني، وجسدت نهضة شعب يريد القضاء على الظلم والجور. لقد كانت هذه الانتفاضة تجسيداً لتاريخ الشيعة وجهادهم، ومقياساً لحجم التضحية ونكران الذات لأناس يتحركون باتجاه أهداف إلهية، لكن انتهى كل ذلك بما لم يكن في الحسبان.



قامت في إيران ضد اتفاقية الكابيتالاسيون والتي كانت بين الشاه ايرن(1) (محمد رضا بهلوي) وأمريكا، والتي وقعت فيها ضحايا، وقد تدخل العلماء في القضية، وكان السيد الخميني يخطب ويثير حماس المنتفضين، ويصدر بيانات التحشيد ضد الحكومة وضد الاتفاقية، وقد ألقى القبض عليه وحكم بإعدامه، فبعث الشيخ علي الكاظمي(2) إلى كربلاء المقدسة، والذي أصبح فيما بعد إمام جمعة ورامين أحد مدن طهران، ونائباً في مجلس الشورى الإسلامي في طهران، وهذا الشيخ هو من تلامذة الإمام الراحل (رحمه الله)، وقد ترجم كثيراً من كتب الإمام الراحل (رحمه الله) إلى اللغة الفارسية، وهذا الشيخ - علي الكاظمي - كان واسطة السيد الخميني إلى الإمام الراحل (رحمه الله) في كربلاء المقدسة، ويخبره على لسان الخميني أن إيران أصبحت أحوالها بهذا الشكل، حيث يعتقل علماء ومراجع الدين ويسجنون.

بعد صلاة المغرب والعشاء في ذلك اليوم لمجيء الشيخ علي الكاظمي، استأجر الإمام الراحل (رحمه الله) سيارة وذهب من كربلاء المقدسة إلى النجف

ص: 85

1- محمد رضا بهلوي، وهو الابن الأكبر لرضا بهلوي، وقد نودي به وريثاً للعرش عام 1926. وكان آخر شاه (ملك) يحكم إيران قبل قيام الثورة الإسلامية عام 1979، واستمر حكمه من 1941 إلى 1979 وكان يلقب ب- (شاهنشاه) أي ملك الملوك.

2- مؤلف ومترجم قدير كان نائباً في مجلس الشورى الإسلامي الإيراني وإمام جمعة أحد مدن طهران، وكان من الوسائط بين الإمام الراحل (رحمه الله) وقادة إيران.

الأشرف، وأول ما التقى بالسيد محمود الشاهرودي، قال له: إن حياة السيد الخميني في خطر، تساءل السيد الشاهرودي: ما هو المطلوب؟ قال له: المطلوب حضر تكم، والسيد الخوئي، والسيد الحكيم تعقدون اجتماعاً وتتخذون موقفاً موحداً مما يجري.

أجابه: لا بأس بذلك.

فذهبوا إلى السيد الخوئي ووافق على الحضور إلى الاجتماع، وبعدها ذهبوا إلى منزل السيد الحكيم وقد فتح الباب لهم - ربما (السيد مهدي الحكيم (1) أو السيد باقر) - فاعتذر أن يقابلوا والده لتأخر الوقت، إلا أن الإمام الراحل (رحمه الله) لم ييأس، وعاد إلى السيد الشاهرودي وأخبره بموقف ابن الحكيم، فعادوا سوياً إلى هناك، ولم يكن مفر هذه المرة من استقبال هذه المجموعة من مرجعيات النجف في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

ما توصل إليه الاجتماع كان حسب الآلية التالية:

يتصل السيد الحكيم تلفونياً بالسفير الإيراني في بغداد، ويطلب منه أن يتصل بالشاه لقضية هامة، وإن كان الشاه نائماً فيجب أن يوقظوه ويقولون له: إن السيد محسن الحكيم - المرجع الأعلى للطائفة الشيعية وقتها - يريد مكالمته.

وقال السيد الحكيم للسفير: تقول للشاه: إن السيد الحكيم يطالبك بإطلاق سراح السيد الخميني، ونحن ننتظر الجواب.

اتصل السفير بعد ذلك بالشاه، وكان فعلاً نائماً في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وأخبره باتصال السيد الحكيم من العراق، فكان أن وعدهم الشاه بإطلاق سراح السيد الخميني وعدم إعدامه، فأعاد السفير الاتصال بنفس الوقت

ص: 86

1- السيد محمد مهدي الحكيم نجل محسن الحكيم.

المتأخر بالسيد الحكيم وأبلغه الخبر.

وأما كيف استطاع وقتها الإمام الراحل (رحمه الله) من جمع هؤلاء العلماء في هذا الاجتماع، أعتقد أن هؤلاء العلماء كانوا يقبلون بالسيد الشيرازي (رحمه الله) رغم كونه شاباً باعتباره شخصية في صميم الأحداث، وكرمز جهادي وناشط ويفهم الوضع السياسي.

مثل هذا الاجتماع وقتها، كان استراتيجياً ومهماً جداً، أنقذ السيد الخميني، باعتباره وكما اتهمته السلطات الإيرانية مثيراً للشغب، وأطلق سراحه وأبعد إلى تركيا، وظل هناك سنتين ثم أتى إلى العراق.

وقد استعد الإمام الراحل (رحمه الله) لاستقبال السيد الخميني وبعث أفواجاً من السيارات لاستقباله، قسم توجهت إلى بغداد وقسم إلى الحلة، فاستقبلوا موكب السيد الخميني، واستعدت مدينة كربلاء المقدسة استعداداً كبيراً جداً، يمكننا من وصف استعدادها بأنها (هَبَّتْ عن بكرة أبيها)، حيث صدحت الأناشيد مرحبة باستقباله.

وكانت الحركة الشيرازية في كربلاء المقدسة أول من أطلق لقب (الإمام) على الخميني، كما يظهر ذلك في الصور التي التقطت في تلك الفترة في كربلاء المقدسة، إضافة إلى تلقيبه بالمجاهد العظيم وغيرها من ألقاب، والحركة الشيرازية احتوت حركة الخميني احتواءً كاملاً، وأوصلوا صوتها إلى كل أنحاء العالم والكثير من الوثائق الموجودة تؤكد ذلك.

* من المحطات المهمة في حياة الإمام الراحل (رحمه الله) ، والتي لم يسلط عليها الضوء كثيراً هي قصة اختفائه بعد مجيء البعثيين إلى الحكم في انقلاب العام 1968، ما هي قصة هذا الاختفاء؟ وما هي الدواعي والأسباب؟

- لم يخطف سماحة السيد (رحمه الله) مرة واحدة، بل مرتين، وأنا أتذكر واحدة

منهما، وهي في الفترة التي أعقبت التشديد الذي مارسه البعثيون على علماء الدين والمراجع، حيث اعتقل الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) وبعض أولاد المراجع الآخرين، الذين كانوا مستهدفين أيضاً، مثل الشهيد السيد مهدي الحكيم بن السيد محسن الحكيم (رحمهم الله)، وقد أصبحت أجواء كربلاء المقدسة يغشاها الحزن وتأثر الناس كثيراً بهذه الأحداث، حتى أن صلاة الجماعة توقفت، وفي مرحلة أخرى كان السيد كاظم القزويني (رحمه الله) (1) يصلي في مرحلة اختفاء الإمام الراحل (رحمه الله)، وفي تلك الفترة توقفت صلاة الجماعة في الصحن الحسيني الشريف، وكان الناس حائرون ويتساءلون عن اختفاء السيد الشيرازي (رحمه الله)، ولماذا أصبح الوضع بالشكل الذي هو عليه؟

واذكر وقتها أن النظام البعثي في العراق كانت لديه خلافات مع شاه إيران، وكانت إذاعة الأهواز الناطقة باللغة العربية تنقل أخباراً خاصة عما يحدث في العراق، وكان العراقيون يهتمون بالاستماع إليها، وهي أيضاً تتحدث عن قضايا علماء الدين وتتابع أخبارهم، مثل: اعتقالهم وما يتعرضون له على يد الأجهزة الأمنية، وغيرها من التفاصيل، وبضمن ذلك أخبار الشهيد السيد حسن (رضوان الله تعالى عليه)، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يتابع هذه الإذاعة من مكانه الذي يختفي فيه.

كانت الأخبار تصل إلى تلك الإذاعة بوسائط معينة، ليست متطورة بالشكل الذي نعرفه الآن، ولكن هذه الأخبار المتعلقة بالعراق وعندما تصل إلى

ص: 88

1- رجل دين شيعي وخطيب حسيني عراقي، قد يعبر عنه أحياناً بلقب العلامة القزويني، وكذلك عبر عنه بعض الكتّاب والمؤلفين بلقب سيد خطباء كربلاء.

إذاعة الأهواز سرعان ما تنتشر في كل أنحاء العراق، حول اضطهاد الشهيد السيد حسن (رحمه الله)، وحول ظروف الاعتقال، وكانت تلك المرحلة قد شهدت حملة اعتقال واسعة في صفوف رجال الدين، وليس فقط الشهيد السيد حسن (رحمه الله)، حيث تم اعتقال مجموعة من العلماء معه، حتى أن فضيلة الشيخ علي حيدر المؤيد(1) يذكر: إنه لم يكن يظهر رجل دين معمم في الشارع، ويضيف قائلاً: عندما كنت أسير في الشارع كان الناس يقولون: انظروا هذا معمم موجود في كربلاء!!

في تلك الفترة احتدمت حركة قمع من البعثيين غير مسبوقه ضد رجال الدين، والرمز الشهيد السيد حسن (رحمه الله).

أما الدواعي والأسباب لاختفاء الإمام الراحل (رحمه الله)، فمن المعلوم أن نظام حزب البعث البائد نظام للقمع، وضد التشيع وضد المرجعية، والإمام الراحل (رحمه الله) كانت لديه روح المقاومة ضد البعثيين وكان يجهر بمواقفه هذه، وكذلك الشهيد السيد حسن (رحمه الله) كانت لديه قصائد وأشعار ضد البعثيين وهي معروفة يضمها ديوان شعره المنشور، فكانا يمثلان معارضة واضحة ضد البعثيين، على اعتبارهم يمثلون مرجعية واعدة ونشطة، ورموزاً للمجتمع ويعبئون الناس ضد البعثيين، فاعتقل السيد الشهيد حسن (رحمه الله) تمهيداً لإعدامه، والإمام الراحل (رحمه الله) اختفى لكي لا يعرض نفسه للاعتقال ثم الإعدام.

* ماذا تتذكرون عن أحداث الحرس القومي، وما هو موقف الإمام الراحل (رحمه الله) من حكومة عبد الكريم قاسم؟

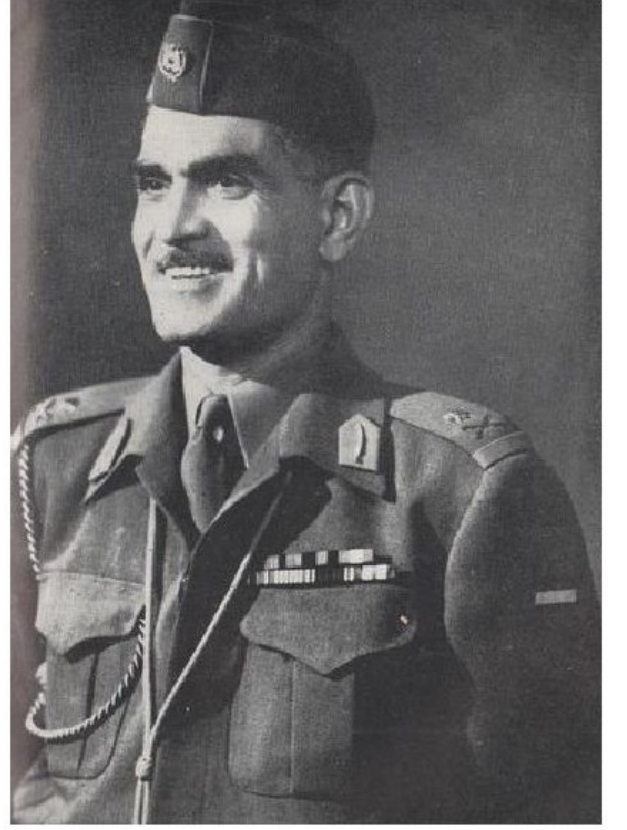
- لا أتذكر هذه الأحداث لأن أوجها وشدتها كانت في سنة (1963م) العام

ص: 89

1- من وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله) المعتمدين في الكويت، وخطيب حسيني ومربي مميز.

الذي توفي فيه الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) .

الصورة



أما بالنسبة لموقف السيد الراحل (رحمه الله) تجاه حكومة عبد الكريم قاسم هناك قضيتان اعرفهما.

الأولى ذهاب الإمام الراحل (رحمه الله) مع مجموعة من الوجهاء منهم السيد مرتضى القزويني للقاء بعبد الكريم قاسم، وكان كلامهم معه أن لا يفسح مجالاً للشيعيين، ويفسح المجال أمام العلماء، وهناك مطالب أخرى تكلم الإمام الراحل (رحمه الله) بها مع عبد الكريم قاسم بهذا الخصوص، وهناك صور توثق هذا اللقاء.

أما القضية الثانية، ففي زمن عبد الكريم قاسم وفي الأشهر الستة الأولى للانقلاب على الحكم الملكي، انتشرت موجة الشيوعية في العراق، وكان هناك سبعة وزراء شيوعيين في تشكيلة الحكومة، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) والميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) ومرجعيات وعلماء النجف الأشرف وكرلاء المقدسة عموماً كانت لديهم حركة تعبئة ضد هذا الانتشار، وكان سماحته (رحمه الله) في المدرسة الهندية⁽¹⁾ يلتقي بالعلماء، حيث كانت تلك المدرسة مركزاً لقيادة المعارضة ضد الشيوعيين الذين حاولوا أن ينظموا سلسلة اغتالات ولم يستطيعوا تنفيذها، لأن حركتهم ضعفت بعد صدور عدد من الفتاوى ضدهم، وكان في

ص: 90

1- وهي من أهم المدارس العلمية في الوقت الحاضر، أنشئت في أواخر القرن الثالث الهجري، كما تصرح بذلك وثيقة الوقف الخاصة بها، تقع بالقرب من روضة الإمام الحسين عليه السلام في زقاق الزعفراني.

قائمة الاغتيال التي نظمها اثنان وخمسون إسماءً كان أولهم الإمام الراحل (رحمه الله) .

ومن الجدير ذكره في هذه القضايا وغيرها، إن الذي كان واسطة بين الإمام الراحل (رحمه الله) والسيد الحكيم هو سماحة آية الله الشهيد السيد محمد صادق القزويني والد السيد مرتضى القزويني، وكذلك كان الواسطة مع السيد الخميني، ومع السيد الخوئي، ومع عموم مراجع النجف في تلك الفترة.

* متى تحمل السيد الراحل (رحمه الله) مسؤولية المرجعية؟

* ولماذا تصدى لها وهو في عمر مبكر مقارنة بباقي العلماء؟

- تحمل سماحة السيد (رحمه الله) مسؤولية المرجعية في عمر مبكر لأنه كان يشعر بالمسؤولية لقيادة حركة الإصلاح في العراق، والمرجعيات في ذلك الوقت كانت مرجعيات تقليدية - إذا صح التعبير - ليس لها طموحات واسعة تستجيب للتحديات التي تتطلبها المرحلة التي كان يعيشها العراق والبلاد الإسلامية.

فالعراق كان مهدداً بتيارين عنيدين وشديدين، هما: تيار الماركسية الشيوعية والتيار البعثي، والذي رأينا ما فعله صدام بالعراق.

فأهل الحل والعقد في كربلاء المقدسة اقترحوا على الإمام الراحل (رحمه الله) التصدي لهذه التحديات، وقد سمعت هذا الكلام من المرحوم آية الله الشيخ جعفر رشتي (رحمه الله) قال: نحن وغيرنا اقترحنا على الإمام الراحل (رحمه الله) ، أن يقدم نفسه كمرجع ديني، وأكدنا على الاقتراح وألحنا عليه، لأن حركة الإصلاح في المجتمع تحتاج إلى المال والرجال، والمال يأتي عن طريق الخمس، والخمس اقتصاد الطائفة الشيعية الأقوى والمورد الأكبر، والرجال يطيعون المرجعية - غالباً - العلماء والجماهير والكوادر المثقفة، فإذا لم يكن الإمام الراحل (رحمه الله) مرجعاً فهذا يعني فقدان هذا المورد المالي والرجال، ولشعوره بالمسؤولية الجسيمة، هو ومن حوله

من أهل الحل والعقد من رموز الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة.

وافق على هذا المقترح، وتصدى للمرجعية بصورة كانت هادئة وليست صاحبة، وطبع رسالته وسار في تنمية وتطوير مرجعيته خطوة خطوة. وقد طبعت الرسالة في حياة السيد الحكيم (رحمه الله) على مستوى بسيط من الطباعة وليس بعد وفاته.

* هل من سنة محددة تقريبا يمكن ان تتذكرها لطباعة الرسالة؟

- لا أتذكر التاريخ الدقيق لذلك، فالميرزا الشيرازي توفي عام (1963م) والسيد الحكيم توفي عام (1969م) وفي هذه الفترة لم يعلن الإمام الراحل (رحمه الله) مرجعيته بصورة علنية احتراماً للسيد الحكيم، لكنه كان يوجه الناس باعتباره عالماً، وكان أيضاً في هذه الفترة يعتبر الوكيل العام والمطلق رسمياً للسيد الحكيم في كربلاء المقدسة في إدارة شؤون الحوزة العلمية، وهناك وثيقة بهذا الشأن، وكذلك كان السيد الراحل (رحمه الله) وكيلاً للسيد عبد الهادي الشيرازي(1)،

وكان وكيلاً لمرجعيات أخرى، أي بمعنى أنه كان لديه اعتبار وحظوة عند المرجعية بنسبة معينة.

* كيف كانت مكانة الإمام الراحل (رحمه الله) عند والده والذي كان يعتبر مرجعاً كبيراً في ذلك الوقت؟

- لم أكن مطلعاً على الكثير من التفاصيل حول ذلك، لكنني سمعت من إحدى الشخصيات وأعتقد أنه الأغا كولاي(2)، وكان رجل دين من منطقة

ص: 92

1- كان أحد مراجع الشيعة الإثني عشرية في العراق، وينتسب لأسرة الشيرازي المعروفة في الأوساط الشيعية. وكان له دور في القيادة الدينية والسياسية للطائفة الشيعية في العراق.

2- من الخطباء والناشطين دينياً.

العباسية الشرقية، وقد توفي قبل أكثر من عشر سنوات في قم المقدسة، وأعتقد أن بعض الشبية يتذكرونه الآن أيضاً.

قال وهو يروي حادثة حضرها بنفسه: كان الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) يصلي في جامع العطارين (1) في كربلاء المقدسة فجاءه مجموعة من الناس عندهم قضية خلافية قضائية معقدة، وقالوا للميرزا الشيرازي (رحمه الله): سيدنا نريد أن نجلس معك وتحلّ لنا هذه القضية. فأحالهم الميرزا مهدي إلى ابنه السيد محمد الشيرازي (رحمه الله).

فقالوا له متعجبين: سيدنا هذه القضية تحتاج إلى رجل دين فقيه ومجتهد حتى يستطيع أن يعالجها.

فقال لهم: ماذا تتصورون هل أن السيد محمد غير مجتهد؟ بل هو مجتهد، وهو فقيه.

* هل سبق وإن سافرتم في رحلة نحو مكان ما مع الإمام الراحل (رحمه الله)؟

الصورة



- في الواقع أنا لم أسافر معه، ولكنني التقيت به في مدينة مشهد المقدسة حيث بقي الإمام الراحل (رحمه الله) هناك ثلاثة أشهر من ضمنها شهر رمضان، وبمجرد وصوله إلى المدينة، بدأت الحركة لإعادة إعمار مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) غير المكتملة، فأنصّب الجهد الكبير لبنائها، حيث بنيت الغرف ورتبت بشكل جميل للاستفادة منها، وشرع الإمام الراحل (رحمه الله) في تدريس (مرحلة البحث الخارج) في كتاب (إحياء الموات) في قبو المدرسة،

ص: 93

1- يقع هذا الجامع مقابل المدرسة السليمية، بالقرب من سوق التجار الكبير.

وكان القبو يمتلئ بالطلبة، وأعتقد أن عددهم كان يصل إلى حوالي ثلاثمائة وخمسين إلى أربعمائة طالب، بمقدار سعة القبو، وكل فضلاء وعلماء مشهد المقدسة كانوا يحضرون إلى محاضرات الإمام الراحل (رحمه الله)، وهو حينما وصل إلى مشهد المقدسة جلس لاستقبال الناس بعد زيارة الإمام الرضا (عليه السلام)، فكانت هناك جموع غفيرة من مختلف الفئات والطبقات، من علماء وتجار وشخصيات جاؤوا لزيارته، وكنت حاضراً في كل ذلك.

أتذكر قضيتين مهمتين من تلك المرحلة، الأولى: كان من رأي الإمام الراحل (رحمه الله) إقامة المؤتمرات للمؤسسات التابعة له في مدينة مشهد المقدسة، فانتخبني للتحديث حول الموضوع، رغم انشغالي بالتدريس حيث كنت أدرّس أصول المظفر وغيره، وكنت أحاول أن أرتب مواعيد برامجي ليتسنى لي اللقاء به، وكنت حين التقيته تتمشى في إحدى ممرات المدرسة لوقت يستغرق أحياناً الساعة والنصف، وكان من عادته أن يتمشى مع الصاية والعمامة من دون عباءة، وكان (قدس سره) يحدثني في تلك الأوقات عن المؤتمرات ليقنعني بضرورة إقامتها، وأنها وسيلة لخلاص المسلمين بعد ذلك، وقد تفاعلت مع الفكرة، فما كان منه إلا أن طلب مني قانوناً أساسياً لكيفية عقد المؤتمرات، وقد امتثلت لأمره، وخلال ثلاثة أيام كان التقرير جاهزاً، حيث ذكرت فيه صفات من يحضر تلك المؤتمرات المفترض انعقادها، وكيفية تمويلها، وطريقة إدارتها، وأنواعها، والجهات التي يلزم أن تحضر إليها، وجملة أمور أخرى، وبعد أن أطلع الإمام الراحل (رحمه الله) على التقرير والخطط الموجودة فيه لعقد المؤتمرات، قام بالتصويب عليها والموافقة، وقال لي: أبعث بنسخة منها إلى سماحة السيد محسن الخاتمي، وهو المعتمد العام لسماحته في خارج إيران، وكان حينها مقيماً في سوريا، فبعثت بنسخة منها إليه، ونسخة

أخرى إلى الشيخ حسن الصفار لأنه كان ضمن وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله) الناشطين في قيادة المعارضة ضد النظام السعودي ويقوم في سوريا أيضاً، وكان يحترم الاحترام الكبير للإمام الراحل (رحمه الله) ويقبل توجيهاته في تلك المرحلة، ونسخة ثالثة ربما بعثتها إلى الوكيل في الكويت ولا أذكر من كان وقتها.

هذه النسخ الثلاث بعثناها إلى وكلاء معتمدين للإمام الراحل (رحمه الله) ، وعقد مؤتمر في سوريا حضره السيد الخاتمي والشيخ حسن الصفار وتباحثوا في عدد من الأمور والقضايا الملحة، ولم اطلع على تفاصيل ذلك المؤتمر وما دار فيه بصورة دقيقة.

القضية الثانية: كنت مسئولاً عن بعض الطلبة المهجّرين من قم المقدسة إلى مشهد المقدسة؛ بعد اشتداد حرب المدن بين العراق وايران، وقد غادر الإمام الراحل (رحمه الله) قم المقدسة إلى مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) بعد إلحاح كبير عليه من قبل الجميع، حيث لم يكن لديه ملجأ في بيته يمكن أن يتحصن فيه من القصف، ولعل أي صاروخ يقع على بعد مائة متر أو أكثر فسوف يؤثر تأثيراً كبيراً ويشكل خطراً على البيت القديم ومن فيه، في حين أن الكثير من المرجعيات والعلماء كانت لديهم ملاجئ ورغم ذلك خرجوا من قم المقدسة إلى أطرافها ومشارفها في المناطق الزراعية المحيطة بها، لهذا السبب غادر الإمام الراحل (رحمه الله) بيته القديم.

* شيخنا الجليل هل كانت هناك قضايا أخرى كنتم شهوداً عليها خلال تلك الفترة الزمنية؟

- بالتأكيد، فبعد بقائي في مشهد المقدسة لمدة ثلاثة أشهر بعد شهر رمضان تحديداً، لم نعد نطبق وضعنا كمهاجرين عن مدينتنا وديارنا، إضافة إلى الإرهاق

الذي كنا نتكبد من الإقامة في الفندق، مع صعوبة مثل تلك الأوضاع عموماً، حين قررت العودة إلى مدينة قم المقدسة، ذهبت لإخبار الإمام الراحل (رحمه الله) بنيتي للذهاب وتوديعه؛ كان ذلك عصر أحد الأيام بعد عيد الفطر بيومين أو ثلاثة، فتمنى لي وصولاً محموداً وهو يودعني.

كانت رحلة العودة بواسطة القطار، واستغرق وصولنا إلى مدينة قم حتى الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة من صباح اليوم التالي، بعد أن أوصلت زوجتي إلى منزلنا، حدثت نفسي بالذهاب إلى منزل الإمام الراحل (رحمه الله) لتفقدته ومن فيه، التقيت بالسيد المجيدي (I) مرحباً بي وهو يستقبلني، وقد فاجأني بقوله: إن الامام الراحل (رحمه الله) موجود في المنزل ويمكنك رؤيته والسلام عليه.

كنت متعجباً من وصوله قبلنا إلى مدينة قم التي بقي فيها منذ تلك الفترة لا يغادرها إلى أن لبي (رحمه الله) نداء ربه.

* انخرط السيد الشهيد حسن الشيرازي (رحمه الله) في مقارعة سلطة البعث مبكراً، وكانت له مواقف مشهودة، كانت نتائجها اغتياله في مرحلة لاحقة في بيروت، خلال ذلك الوقت اعتقل من قبل السلطات البعثية، ماذا كانت ملابس اعتقاله؟ وما هو دور الإمام الراحل في نجاته؟

- الشهيد السيد حسن (رحمه الله) كان رمزاً في المعارضة ضد البعثيين وله كتابات كثيرة وأشعار موجودة لحد الآن في هذا المجال، إضافة إلى تسجيل صوتي له حيث يقرأ تلك القصيدة المشهورة التي يقول فيها:

زعيمنا الكرار لا (ميشيل)*** لا (ماركس)، لا القسيس، لا الحاخام

وكذلك كانت للسيد قصائد أخرى قاسية ضد البعثيين، وقد ألقى بعض

ص: 96

1- عضو بمكتب الإمام الراحل (رحمه الله) وخطيب حسيني ومن الكوادر الإدارية.

هذه القصائد في مهرجان ميلاد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبحضور وزراء بعثيين كانوا جالسين ومما قرأه هذا البيت:

وأسحق جباه الملحدين مردداً***لا السجن يرهبني ولا الإعدام

الصورة



وهو يجاهر بمواقفه دائماً ضد الشيوعيين والبعثيين ويتحداهم، اعتقل السيد الشهيد (رحمه الله) لأنه قائد تيار شبابي، وهو عالم ورجل دين محترم ومعروف، والناس يكتفون له الحب والاحترام، وقد تم اعتقاله عن طريق الخدعة والمكيده، حيث اخبره رجال الأمن عند قدومهم إليه لاعتقاله في الساعة الواحدة: إن محافظ مدينة كربلاء لديه عمل معه وسيعود بعد ذلك. فأخذوه معهم وكانت لديهم خطة لإعدامه والقضية فيها تفصيل ليس هذا محله.

الإمام الراحل (رحمه الله) رتب لاختفائه عن عيون رجال الأمن، لأنه هو الآخر مستهدف أيضاً، وفي نفس الوقت يعتبر اختفاؤه هذا استنكاراً لما جرى ويعتبر نوعاً من المواجهة، وهذا الاختفاء يعني أن الأوضاع غير طبيعية وتوجد مشاكل عديدة، وبما أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان قائداً شعبياً، والناس يتأثرون به في ظهوره أو اختفائه، فإنهم سوف يتساءلون عن سر هذا الاختفاء، وسيصلون إلى نتيجة أنه مضطهد، وأنه مطارد، وإنه مستهدف من قبل سلطات البعث الحاكم.

رغم مسألة الاختفاء، كان الإمام الراحل (رحمه الله) من داخل مخبئه - كما ذكرت ذلك من قبل - يجمع الأخبار ويبعثها إلى إذاعة الأهواز، في نفس الوقت الذي كان فيه يوجه وينظم حركة الوساطات لإنقاذ الشهيد السيد حسن (رحمه الله)،

وأيضاً كان يستغل ذلك الوقت للتأليف، حيث ألف كتباً عدة وهو في ذلك الوضع الصعب.

هجرة الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله)

* ما هي أسباب هجرة الإمام المجدد من كربلاء المقدسة؟

- الواقع إنَّ البعثيين عام 1968م وفي المرة الثانية التي جاؤوا فيها إلى الحكم شددوا الخناق على كربلاء المقدسة أولاً؛ لأن كربلاء المقدسة بوابة النجف الأشرف، بسقوطها تسقط تلك المدينة وهي تمثل الحلقة الأصغر في مقابل النجف الأشرف الحلقة الأكبر، الإمام الراحل (رحمه الله) وبعد سنتين في عام (1970م) قرأ الأوضاع السياسية وما يمكن أن تؤول إليه الأحوال في البلاد، ورأى أن هؤلاء البعثيين قد استحكموها واستبدوا وتجرؤوا على المرجعية الدينية ورموزها، وخصوصاً على السيد الحكيم (رحمه الله)، واعتقلوا الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله)، وكانوا يلاحقون الشهيد السيد مهدي الحكيم (رحمه الله) والذي اغتالوه فيما بعد في السودان، هذه الأوضاع كلها، وكذلك الضغط على الطلبة من ذوي الأصول الإيرانية وغيرهم، عرف السيد الراحل (رحمه الله) من خلالها، بأن البعثيين وأجهزة أمنهم سوف يقومون بهجمة كاسحة على الحالة الشيعية في العراق، وأنه سيكون المستهدف الرئيس في هذه الهجمة، فهاجر من العراق سراً إلى سوريا، ومن سوريا إلى لبنان، ومن لبنان إلى الكويت.

هذا الوضع الإرهابي الذي نشره وبثه البعثيون في مدينة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف وعموم العراق، دفع الإمام الراحل (رحمه الله) للهجرة من العراق، وقد أثر ذلك على أهالي كربلاء المقدسة الذين أصابتهم الفجعة حين علموا

بهجرة الإمام الراحل (رحمه الله)، إذ اجتمع جمع غفير منهم على باب بيته وهم يبكون ويتعالى صراخهم، حزناً على رحيله، وكأن أب كل واحد منهم قد توفي ذلك اليوم.

بعد ذلك عمد البعثيون إلى تضيق الدائرة، دائرة الملاحقة والمضايقة، حتى أن السيد مرتضى نفسه استهدف وكانت هناك محاولات متجددة لاعتقاله، وقد خرج مسرعاً من العراق وهكذا باقي الرموز، وهذا كان يوم الخامس والعشرين من شعبان عام (1970 م).

عين الإمام الراحل (رحمه الله)، آية الله السيد محمد كاظم القزويني (رحمه الله) في مكانه، لكنه أيضاً تعرض للملاحقة من قبل أجهزة الأمن، ولم يستطع الاستمرار في مهامه، حيث صلاة الجماعة، وتم اعتقاله لوقت معين، وبعد إطلاق سراحه، اختفى هو الآخر، ليهاجر سراً إلى الكويت أيضاً لاحقاً بالإمام الراحل (رحمه الله).

فيما يتعلق بنا نحن مجموعة الطلاب الذين ننتمي إلى هذه المدرسة المباركة، كان تأثير خبر هجرة الإمام الراحل (رحمه الله) كبيراً جداً وصاعقاً وشديداً، كنا يومها نحضر درس التفسير للسيد مرتضى القزويني (حفظه الله) في المدرسة الحسنية كحلقة كبيرة، وكانت تبدأ في الساعة الثامنة صباحاً، وكان من المقرر أن يكون بحثنا لذلك اليوم هو تفسير سورة (الروم)، لم يباشر السيد مرتضى القزويني في الدرس كما هي العادة، إذ أنه تكلم قليلاً حول موضوع البحث، وبعدها ألقى علينا محاضرة حول الصبر، وكيف يجب على الإنسان أن يتحمل المشكلات والنواب، وأن يكون جلدأً ليتجاوز هذه المصائب، لأن الله تعالى موجود يسند الإنسان المؤمن، واستفاض بكلام آخر من هذا القبيل، وكنا مجموعة الطلاب

الحاضرين نستمتع إليه ولا نعرف ماهي القضية تحديداً، ولماذا كان السيد مرتضى القزويني يوجه مثل هذا الحديث لنا وما هي المناسبة!

بعدها فاجأنا وهو يقول: إن سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) هاجر من العراق. أتذكر إننا دخلنا في جو من الإحباط، وانتابتنا نوبة من البكاء والحزن، حتى أن بعضنا قد إنهار ولم يستطع السيطرة على مشاعره.

بعد ذلك بفترة معينة، صدر حكم الإعدام غيابياً بحق الإمام الراحل (رحمه الله) بتاريخ (4/11/1974م) ونشر في صحيفة (الثورة) العراقية، وهذا الحكم صدر عليه ضمن مجموعة من الأشخاص كان هو أحدهم باعتبارهم مخربين ضد نظام حزب البعث العراقي، ولم يصدر بحقه بصورة خاصة ومستقلة.

هاجر الإمام الراحل (رحمه الله) من العراق قبل خمسة أيام من شهر رمضان المبارك، وفي شهر ذي الحجة الحرام بدأت موجات التهجير القسري الأول، ومن خلال تلك الحوادث كانت قراءته للمستقبل، ماذا سيحدث فيما بعد ذلك، وكان يقول: إن الإيرانيين كلهم سوف يهجرون، وقد حدث التهجير في شهر ذي الحجة وشهر رمضان المبارك وشوال وذي القعدة، وفي هذه الفترة أصبح البعثيون يشددون من قيودهم ويلاحقون الجميع، واحتدم الصراع بينهم وبين إيران، وكانت تلك حجتهم لحركة التسفير الواسعة، حيث أنذروا الناس ومنحوهم مدة أسبوع، وبعدها كان يؤخذ الرجال من محالهم بملابس العمل، وكذا عمال البناء بملابس عملهم، كان ما حدث في تلك السنوات مأساة يعجز المرء عن وصفها.

فإن الإمام الراحل (رحمه الله) عرف بحسه أن هؤلاء البعثيين قادمون لتصفية الحالة الشيعية في العراق، وهو لا يستطيع أن يبقى لمواجهة هذا الطوفان لوحده، فكان قراره بالهجرة لقيادة المسيرة المرجعية من الخارج.

حينما وقعت أحداث التفسير المأساوية، كتب الإمام الراحل (رحمه الله) رسالة إلى المسفرين، وهي عبارة عن كراس جميل جداً فيه توجيهات للمسفرين حمل اسم (النازحون من العراق) وفيه عشرون نقطة يوجه فيها خطابه ويرشدهم، وهذه التوجيهات كان لها تأثير عميق ورائع.

وفي تلك الفترة نظم الشيخ الفلسفي (رحمه الله) مجلساً حاشداً وضخماً في طهران، حضر إليه المهجرون من كربلايين ونجفيين وبغداديين وأمثالهم، وقد قيل وقتها أن ذلك المجلس حضر فيه خمسون ألف مستمع، ذكر الشيخ الفلسفي (رضوان الله عليه) في هذا المجلس كلمة عن الإمام الراحل (رحمه الله)، قال مما تسعفني به الذاكرة: (صوت التشيع يصل إلى العالم من خلال شخصية واحدة وهو آية الله السيد محمد الشيرازي، وهذا الصوت يصل إلى العالم بطريقة واحدة وهي أنه يكتب كراسات حول واقع التشيع وترجم إلى سبع لغات حية في العالم، وبنسخ كبيرة وتبعث إلى الحج، ومن خلال الحجاج تنتقل الكراسات إلى مختلف أنحاء العالم).

دروس الإمام الراحل (رحمه الله)

* هل هناك من ذكريات تحتفظون بها عن سنوات دراسة الإمام الراحل في الحوزة العلمية في مدينة كربلاء المقدسة، مع علمنا أنكم لم تزامنوه في سنوات الدراسة تلك؟

- هذا السؤال يستطيع أن يجيب عنه السيد مرتضى القزويني إجابة موسعة، والذي كان زميلاً للإمام الراحل (رحمه الله) لسنوات لا بأس بها، لكنني سمعت من الشيخ جعفر الرشتي (رحمه الله) وهو من أساتذة الإمام الراحل (رحمه الله)، خصوصاً في الأدبيات، سمعت هذا الكلام أكثر من مرة منه حيث قال: (كل الطلاب الذين

درّستهم كان استيعابهم دون المائة بالمائة، وبدرجات مختلفة، أما الذي كان له استيعاب بشكل خاص ومائة بالمائة وأنا مطمئن لاستيعابه لأفكار كتاب (المطول) أو كتاب (السيوطي) فهو السيد محمد الشيرازي) وتلك الشهادة سمعتها شخصياً على لسان أستاذه الشيخ جعفر الرشتي.

* كيف كان الامام الراحل يدرّس تلامذته، وكيف كان يتعامل معهم رغم اختلاف مستوياتهم وقابلياتهم الشخصية؟

- في بداية المراحل الدراسية للحوزة وهي المقدمات، لم نحضر دروسه التي كان يعقدها في كربلاء المقدسة، وأيضاً لم أكن حاضراً في تدريسه لمرحلة الخارج في كربلاء المقدسة أو في الكويت، ولكن بعد ذهابي إلى إيران بعد قيام الثورة بسنة واحدة، ذهبت إلى قم لمواصلة الدراسة، لإكمال مرحلة السطوح (1) وكنت قد درست المقدمات (2) إلى مرحلة درس اللمعة في العراق، وكانت تلك المرحلة تتضمن المكاسب والرسائل والكفاية كاملة، ودرست بعضاً من الرسائل وبعض الأدبيات، أما درس الخارج (3) فقد حضرته لمدة إحدى عشرة سنة، وكلها قرأتها ولم أفوت درساً منها إلا في الفترة التي مرضت فيها لأسبوعين.

كنت أحضر دروس الإمام الراحل (رحمه الله) فقهاً وأصولاً وأتذكر أنني درست

ص: 102

1- يتهياً الطالب لدراسة الكتب الاستدلالية والأصولية والفقهية والعقائدية والفلسفية، فيقرأ الأستاذ مقطعاً مقطعاً من الكتاب ويشرح الموضوع بما يزيل الغموض والإبهام. ويستمتع لما يثيره الطلبة من تعليقات فيصحح آرائهم أو ينتزل عندها إذا كانت آراؤهم جديرة، وتتسم هذه المرحلة بالطابع الاستدلالي في الفقه والكلام.

2- يقتصر الطالب فيها على دراسة النحو والصرف والبلاغة والعروض والمنطق والفقه.

3- حلقات دراسية يقوم برعايتها كبار علماء الحوزة العلمية فيختار الأستاذ بحثاً فقهياً أو أصولياً أو بحثاً في تفسير القرآن أو في الحديث النبوي يلقيه على شكل محاضرات.

العديد من الكتب عنده أمثال كتاب إحياء الموات وكتاب النكاح وكتاب البيع.

وعلى مدى سنوات الدراسة تلك، كنت أكمل دفترًا كاملاً لمحاضرات الإمام الراحل (رحمه الله)، مع تقارير مني على تلك الأبحاث بحدود الصفحتين، حتى أصبح لدي منها ثلاثة عشر أو أربعة عشر دفترًا، وكانت هذه الدفاتر ضمن ما صادرته الأجهزة الأمنية.

الصورة



كان الإمام الراحل (رحمه الله) يأمل أن يكون تدريسه تدریساً سهلاً، وليس معقداً لا يتمكن الطالب من فهمه، مثلما يقوم به بعض المدرسين، ولم يكن (رحمه الله) يعتقد أن التعقيد يمكن أن يقود إلى الفهم، وكان يؤكد من خلال طريقته في التدريس أن المعلومة يجب أن تصل إلى ذهن الطالب بأيسر السبل وكان لدقيقتين أو ثلاث دقائق يفتح بذكر حديث أو نصيحة ويعلق عليه وكان أحياناً يلقي بتعليقاته وسط التدريس.

وكان في كل أربعمائة من الأسبوع، يدرّس عشر دقائق فقط، وباقي الوقت كان يستغله لإلقاء درس في الأخلاق، وهذا الدرس كان بحسب الآني من الأحداث والمواضيع، أو بحسب المناسبات الدينية، مثل مناسبة شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) وغيره من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وكذلك عيد الغدير أو موسم الحج، أو في شهر محرم حول سيد الشهداء (عليه السلام).

وأذكر أنه تكلم حول الإمام الحجّة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في النصف من شعبان في إحدى السنوات، وكان كلامه على درجة عالية من الرقي ومشجياً، بكى وأبكى

ص: 103

الحاضرين في درسه يومذاك.

وكان (قدس سره) في كل مناسبة لميلاد الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يلقي محاضرة خاصة عنه، وكان يعطل الدرس كاملاً، ويتحدث بكلام عميق بشكله ومضمونه، وكان الحاضرون يتأثرون تأثراً شديداً بما كان يقوله السيد الراحل (رحمه الله) ، وكان يذكروننا كم نحن مقصرين في حق الإمام الغائب (عجل الله تعالى فرجه الشريف) .

خلال دروس الإمام الراحل (رحمه الله) ، كان الحاضرون يطرحون عليه بعض الإشكالات والأسئلة التي يثيرها البحث، فكان يناقش تلك الإشكالات ويجيب عن الأسئلة، ولم يكن يمنع أحداً من طرح تساؤلاته، بل كان يشجع على ذلك وهو الذي يطلب من تلامذته طرح أسئلتهم، وبعد ما يكمل الدرس كان الطلاب يلتفتون حوله حوالي ربع ساعة وأحياناً ثلث ساعة، ويدهم أوراق وأقلام وكانوا إما يسألون أسئلة فقهية أو مداخلة على الدرس أو شيئاً من هذا القبيل وبعد استكمال هذه الوقفة - وقفة الأسئلة والأجوبة - يجلس في غرفته قبيل أذان الظهر، الذي يكون في العادة بعد نصف ساعة من انتهاء تدريسه، ويأخذ باستقبال الطلاب وهم يأتون إليه لمجالسته، فيوجههم ويتحدث إليهم.

* ماذا في الذاكرة حول رحيل الميرزا مهدي الشيرازي (قدس سره) ؟

الصورة



- لا أذكر الكثير من التفاصيل المتعلقة برحيل الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) لكنني علمت أن أبناءه الأربعة - الإمام الراحل وأشقائه الثلاثة - تقاسموا زيارة مجالس العزاء الإمام

ص: 104

الراحل وأشقاؤه الثلاثة - تقاسموا زيارة مجالس العزاء التي أقيمت في كل أنحاء العراق لمدة أربعين يوماً، وصادف قسم من هذه المجالس في أيام شهر رمضان المبارك، فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يذهب ليحضر في مجالس الحلة أو مجالس النجف الأشرف أو غيرها، في حين يذهب بقية أشقائه إلى أماكن ومجالس أخرى، لأنه لا يستطيع اللحاق بكل المجالس لوحده.

نشاطات في الكويت

* بعد وصول الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الكويت مهاجراً من العراق، ماذا كان دوره الذي اضطلع به في تلك الفترة؟

- في تلك الفترة كنت في كربلاء المقدسة، قبل ذهابي بعد ذلك إلى الكويت، وما أتذكره إما سمعت به أو كنت شاهداً عليه، تبعاً لموقعي من الأحداث.

حينما سافر الإمام الراحل (رحمه الله) إلى الكويت، كان سكنه الأول في بيت أحد الكسبة الذي استضافه، ثم أوقف هذا البيت وفقاً شرعياً وبعدها تحول إلى مدرسة. وفي يوم وصوله، وعندما حان وقت الصلاة، اتخذ الإمام الراحل (رحمه الله) مكانه وصلى جماعة بالحاضرين، ثم توافد على زيارته التجار وعدد من الناس من مختلف الشرائح الاجتماعية، وأنشأ الجامع الذي اتخذته مصلى فيما بعد، وبدأ في التدريس مباشرة من دون تأخير.

قام الكثيرون بزيارة الإمام الراحل (رحمه الله) من رجال دين، وشخصيات اجتماعية، ووجهاء مدينة الكويت المعروفين، وقام بدوره برد تلك الزيارات، بعدها أسست له ديوانية كان كل ليلة يلقي درس التفسير فيها، وفي كل يوم سبت من الأسبوع، كان يعقد مجلساً حسينياً، لازال مستمراً إلى الآن، وفي كل يوم خميس عصرًا كان يأتي إلى المدرسة ويلقي درساً في الأخلاق للطلاب، وأحياناً

كان يطلب مني إدارة هذا الدرس وإخبار الطلاب بعدد من الأمور، وكنت أتحمّل هذه المسؤولية.

كانت محاضراته راقية جداً وجميلة، كنا ندونها في دفاترنا، ثم نقوم بتقيحها، وبعد ذلك تطبع على شكل كراسات صغيرة، ومن الكراسات التي أتذكرها الكراس المعروف (ثورة الإمام الحسن (عليه السلام)) وهو عبارة عن محاضرة راقية وجميلة ألقاها سماحته في مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكويت وقد تصديت لكتابته وتقيحه وترتيبه وطباعته.

الصورة



إن نشاطات الإمام الراحل (رحمه الله) في الكويت كانت كثيرة جداً في تلك المرحلة، فقد قام بتأسيس مؤسسات عديدة، وفي السنة التي ذهبت فيها إلى الكويت وأعتقد أنها كانت سنة (1975م) في منتصف شهر رمضان المبارك، كان يعقد مجلسه في الديوانية وكان الخطيب فضيلة الشيخ عبد الحميد المهاجر⁽¹⁾، وفي بعض السنوات التي لا يوجد فيها خطيب مشهور، كان السيد الراحل (رحمه الله) يُدرّس التفسير، وفي إحدى تلك السنوات، توزع حديثه خلال الشهر الفضيل حول حقوق المرأة، وعن الأم وعن الأخت وعن الزوجة، وعن العمّة وعن الخالة، وقضايا تاريخية متنوعة، يذكر خلالها روايات جميلة جداً، وكانت بحوثه مركزة ولطيفة وراقية، مما جعل الديوانية وخارجها تزدحم بالناس

ص: 106

1- رجل دين شيعي وخطيب حسيني عراقي بارز، ومؤلف لعدد من الكتب الإسلامية والتاريخية. وهو مؤسس (كلية الإمام الحسين للخطابة) في مدينة كربلاء المقدسة.

ثم جاء موسم الحج واقترحوا عليّ أن أذهب لحج بيت الله الحرام، وقد قررت قبل ذهابي بثلاث ساعات أن أذهب لزيارة الإمام الراحل (رحمه الله) والسلام عليه وتوديعه، وقد فتح باب المنزل بنفسه حين طرقته، وكان يرتدي ملابس البيتية - من دون العمامة والصاية - فقال مرحباً بي بلهجتة العراقية: ها شيخ ناصر! قلت له: سيدنا أنا ذاهب إلى الحج وجئت لأسلم عليكم، فأخذت يده وقبلتها، فقال لي: انتظر قليلاً لا تذهب ساعود حالاً، فذهب داخل البيت وعاد من دون تأخير وأعطاني مائة ريال سعودي، وهو يقول: هذه هدية! قلت له: سيدنا، لقد أتيت للسلام عليكم وتوديعكم. ولم يكن في نيتي أن آخذ شيئاً من سماحة السيد (رحمه الله)، ولكن رزق ساقه الله إليّ، حيث لم يكن عندي نقود أصلاً، إلا خمسون دولاراً فقط، وكانت السيارة التي ستنقلنا إلى الحج لصديق لنا وهو الحاج سعود (رحمه الله)، وكان زملائي في السفر الشيخ كاظم السباعي وسيد حسين المدرسي (1) وأفادني المبلغ الذي أعطانيه في شراء الذبيحة بعد أن أضفت عليه عشرون ريالاً أخرى.

حتى الآن أتذكر تلك الرحلة وما حدث فيها وكأنها بالأمس، وقد اعترضنا بعض المشاكل في الحج واعتقلنا في المدينة المنورة، وتعطلت سيارتنا في منطقة البريدة في وسط الصحراء، وبقينا ثلاثة أيام فيها وكانت شديدة البرودة، وبصعوبة بالغة وصلنا إلى الكويت بعد أن نفذت أموالنا وأتذكر اليوم الذي وصلنا فيه إلى الكويت، كان الوقت قريباً من المغرب، وذهبنا إلى الصلاة وسلمنا على الإمام الراحل (رحمه الله)، وقال سماحته: هل تذهبون إلى المجلس؟ فقلنا: نعم! قال: سوف

1- الأخ الأصغر لسماحة المرجع السيد محمد تقي المدرسي وابن أخت الإمام الراحل (رحمه الله).

في ذلك الوقت من عام (1975م) كنا في أوائل شبابتنا، من الشباب البسطاء والعاديين، رغم ذلك زارنا الإمام الراحل (رحمه الله) مهنتاً بقدمونا من الحج، وكان لذلك أثر كبير جداً في نفوسنا وفي نفوس الآخرين الذين كانوا حاضرين في المجلس أيضاً.

وبخصوص العديد من الأنشطة العامة للإمام الراحل (رحمه الله) في الكويت فمعروفة جداً في حياة سماحته (رحمه الله) وقد ذكرنا سابقاً جملة منها.

* تعرض الإمام الراحل (رحمه الله) بعد وصوله إلى الكويت وقيامه بعدد من الأنشطة إلى استهداف من قبل عدد من الجهات. من هي الجهات التي اختلفت مع سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) في الكويت وقامت باستهدافه، وماذا كانت الأساليب التي اتبعتها؟

- للأسف الشديد، حورب الإمام الراحل (رحمه الله) في الكويت من جهات ترفع لافتات إسلامية، وهذه الجهات كان تحركها من خلال نقل أخبار وافتراءات كاذبة إلى المخابرات الكويتية، مفادها: أن هذا الرجل القادم إلى الكويت وهو السيد محمد الشيرازي لديه حزب هو (الحزب الفاطمي)، سيقوم بإحداث مشاكل في الكويت. وما قاموا به هو نوع من إثارة الفتنة، عبر الوشاية ضد الإمام الراحل (رحمه الله).

قدم رجال المخابرات الكويتية إلى المنزل الذي يقيم فيه الإمام الراحل (رحمه الله)، لغرض اقتياده إلى مكاتبهم والتحقيق معه، لكنه لم يخرج من المنزل ورفض الاستجابة لهم، وكان قد وصل له الخبر مسبقاً، فحدث اتصال تلفونياً بالمرحوم الحاج محمد قبا زرد⁽¹⁾ وهذا اتصل بدوره بالأمير الأسبق

الشيخ (سالم الصباح) حيث قابله وقال له: أنا أعرف هذا الرجل، وهو مرجع دين محترم، وأنا أزكّيه لكم، قال الأمير: أنا لا أعرف السيد محمد الشيرازي، ولكنني أعرفك، فهل تضمنه أنت؟

أجابه الحاج محمد وهو يؤكد ذلك: نعم أنا أضمنه في أي شيء يكون على عاتقي، وأنا أتحمّل مسؤولية هذه الضمانة. في نفس الوقت رفع أمير الكويت سماعة الهاتف واتصل برئيس المخابرات، قائلاً له: السيد محمد الشيرازي ضيف كريم وهو ضيفنا في الكويت، وليس لأحد الحق في أن يلمسه أو يضايقه، بهذا الاتصال ارتفع قرار الاعتقال.

كان الذي تحرك - وأعلن أسفي مرة أخرى - بهذه الوشاية أحد المشايخ من وكلاء البعض، وكان من قادة حزب الدعوة في الكويت، وكان ما يتصوره - وللأسف -: إن السيد الشيرازي أكثر ضرراً على الإسلام من الصهاينة؛ لأن هؤلاء عدو خارجي وهو عدو داخلي!! ويمكن ملاحظة حجم غسل الدماغ الذي تعرض له من خلال هذه القضية.

وقد أثار بعمله هذا، جماعات كثيرة من وجهاء الكويت ومن تجارها، وردوا عليه بإقامتهم دعوى ضده لينقلب الوضع عليه، من حائك للدسائس والمؤامرات إلى ضحية لها، حيث تم إبعاده من الكويت ومنع من الدخول إليها إلى قبل عشر سنوات حيث ارتفع المنع عنه ودخل إلى دولة الكويت مرة أخرى، وقد ذهب إلى ديوانية الإمام الراحل (رحمه الله) وألقى محاضرة واعتذر إلى أهل الكويت وللناس عن هذا العمل، وقال: أنا أخطأت، وإن ما بدر منه بحق الإمام الراحل (رحمه الله) سابقاً كان اشتهاً، وهو يعتذر عن ذلك، وقد قدم هذا الاعتذار قبل خمسة عشر سنة، حين كان الإمام الشيرازي (رحمه الله) حياً يرزق.

ومن الغريب أنه ارتبط بحادثة أخرى مع الإمام الراحل (رحمه الله) بشكل غير مباشر، وقد رواها السيد مرتضى القزويني (حفظه الله)، وكان على المنبر في الكويت، وذلك حين كان ذاهباً من لبنان إلى سوريا وكان برفقته الشيخ نديم الحاتمي(1) وكيل الإمام الراحل (رحمه الله) في كندا، وكان يجلس بجانب السيد مرتضى القزويني رجل تبدو عليه سمة الاحترام، فتعرّف عليه السيد القزويني وتكلم معه وسأله الرجل: من أين أنتم؟ قال له: نحن من كربلاء المقدسة ولدينا مدرسة دينية. فقال له: أريد أن اسجل ابني طالباً فيها. قال له: لا بأس. فجلب ابنه إلى كربلاء المقدسة وأدخله إلى مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، وبعد فترة من الدراسة تعمم هذا الابن على يد الإمام الراحل (رحمه الله) مع شخصيات أخرى مثل الشيخ فاضل المالكي(2). ولم يستطع بعد ذلك أن يتكيف مع أجواء كربلاء المقدسة حينها، وكان لديه طموح ويريد أن يحققه، فانتقل إلى النجف الأشرف، لإكمال دراسته هناك حيث أصبح شخصية معروفة، لينتظم بعدها في صفوف حزب الدعوة.

كانت مناسبة الحديث من قبل السيد مرتضى القزويني وذكره لهذه الواقعة، هو حالة الغليان في إيران في العام 1978 وبوادر الثورة القادمة، كنت وقتها طالباً عند السيد القزويني وكان في نيته أن يتحدث في محاضراته في شهر رمضان المبارك في حسينية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عالم الذر، فتحدثت معه بخصوص موضوعه المقترح، وقلت له: أعتقد أن كثيراً من الأمور أولى وأوجب

ص: 110

1- وكيل الإمام الشيرازي في قرية الزهراء في حلب، وناشط اجتماعي وسياسي، ومستشار رئيس البرلمان العراقي السابق اسامة النجيفي، يقيم في كندا وله مؤسسات اسلامية ضخمة.

2- عالم وخطيب، جمع بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية.

في تناولها والحديث عنها من هذا الموضوع. فسألني: ماذا تقترح من مواضيع أتحدث بها؟ قلت له: تكلم عن حياة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المجاهدين الأبطال أمثال: عمار بن ياسر والمقداد وغيرهم، فوافق السيد القزويني على اقتراحي، وأخذ بالحديث في محاضراته عن حياة الصحابة وكان الحضور في المجلس يصل إلى حدود المائتي شخص.

وفي إحدى المحاضرات تحدث السيد القزويني عن الجهاد وضرورة المشاركة فيه وعن تقوية الحوزات، وذكر قصة هذا الشيخ وذكره بالاسم، ومن المعروف عن السيد مرتضى القزويني أنه يتكلم بشكل صريح على المنبر، فذكر قصة هذا الشيخ وانضمامه إلى الحزب، وكيف أصبح ضد حوزة كربلاء المقدسة و ضد الإمام الراحل (رحمه الله)، وكيف قاد المعارضة ضده، ثم كيف أصبح ضحية لمؤامرتة، وكيف انقلب عليهم ثم اعتذاره في مرحلة لاحقة عما اتهم به الإمام الراحل (رحمه الله).

ولا يخفى أنه بعد أن ظهرت الحقائق تغير الشيخ مما يكشف عن طيب نفسه وحقانيته وهو الآن يأتي إلى زيارة المرجع سماحة السيد صادق الشيرازي (دام ظله) ويتعاطى مع أصدقائنا وإخوتنا في قضايا كثيرة، وله محاضرات جميلة تختص بالشؤون العقائدية.

* ماذا كان يفعله ويقوم به الإمام المجدد (رحمه الله) في إيران بعد هجرته إليها قادماً من الكويت؟

- منذ وصوله إلى إيران باشر بالعمل والتحرك في الميدان بقوة وهمة عالية، فهو بالفعل قائد وبطل، وقاد جملة كثيرة وكبيرة وهامة من المؤسسات تناهز حوالي ألف مؤسسة، وكذا بقية المساجد والحسينيات، وقد ألف كتاباً عنها باللغة

الفارسية، فقاد هذه المؤسسات والحسينيات وعباً كوادره، المنتشرين في الخليج والعراق، وكثيراً من الكوادر الذين هاجروا إلى إيران واستقروا في قم المقدسة أو في مناطق أخرى من إيران.

قاد الإمام الراحل (رحمه الله) المسيرة المرجعية، وبدأ بالتدريس الواسع حيث كان يُدرّس في مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) وكان يحضر الدرس لاسيما درس الأخلاق عصر الخميس أكثر من ألف طالب، بمائة أو مائة وعشرون طالباً، وقد أصبحوا فيما بعد أئمة جمعة في إيران، وأصبحوا شخصيات مهمة فيها، إلى أن حدثت توترات بينه وبين بعض خطوط النظام الإيراني لاسيما خط المخابرات، فأخذ الإمام الراحل (رحمه الله) يدرّس في البيت وخفّت نشاطاته بعض الشيء.

* نذر الإمام الراحل كل عمره للدفاع عن أهل البيت (عليهم السلام) وإيصال رسالتهم إلى العالم أجمع، وكان للإمام الحسين (عليه السلام) منزلة خاصة في قلبه، كيف كان يجسد تلك العلاقة بسيد الشهداء (عليه السلام) وخصوصاً في شهري محرم وصفر؟

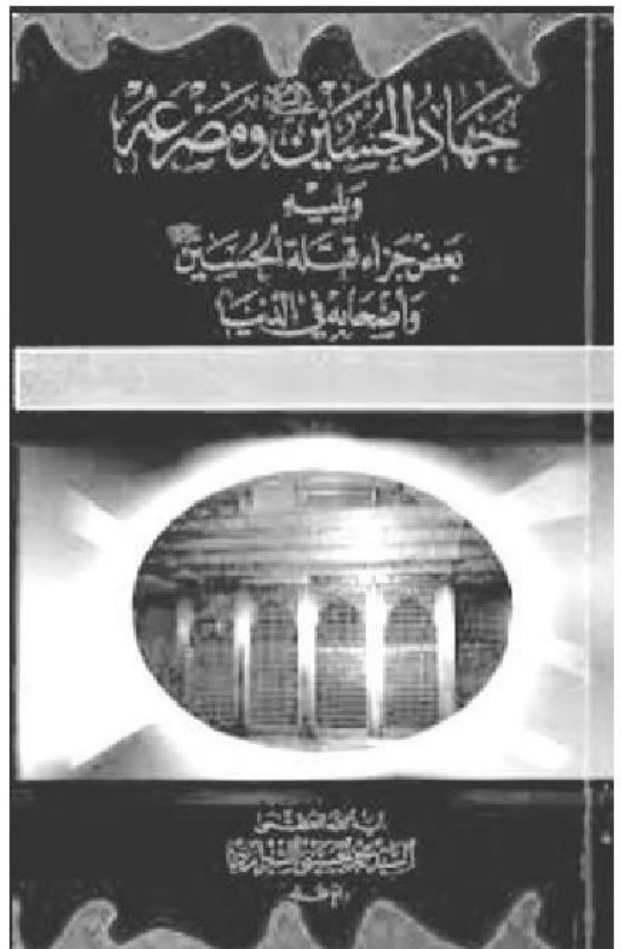
- وسط مجموعة المراجع المتواجدين في الساحة الشيعية، يمكنني وصف الإمام الراحل (رحمه الله) بأنه (المرجع الحسيني)، فإذا كان بقية المراجع يقيمون المجالس الحسينية ويكتفون بهذا المقدار، فإن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يقود (حركة حسينية كبيرة).

ومما كان يقوم به على سبيل المثال، أنه كان يدعو رؤساء وقيادات المواكب والهيئات الحسينية كلهم قبيل شهر محرم، وكان يرشدهم إلى الورع، وإلى أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) ويوجههم إلى خدمة الناس في جميع المواقع، وليس خدمتهم فقط في المجالس، مع توجيهه لهم إلى التقيف وتوزيع الكتب، وإلى الحرص على وحدة الكلمة، ويحذرهم من وقوع الخلافات والمشاحنات بينهم.

كان الشيخ أحمد معرفت(1) (رحمه الله) مكلفاً بدعوة مجموعة كبيرة من هؤلاء الوجهاء أو رؤساء المواكب في طهران، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يلتقي بهم لقاءين، الأول قبل شهر محرم حيث يعطيهم توجيهات وتعبئة معنوية، والثاني بعد شهر المحرم، حيث كان يشكرهم ويعطيهم إرشادات لمواصلة المسيرة.

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) إضافة إلى التعبئة، يقوم بتوزيع الأموال على كل الهيئات في مدينة قم المقدسة، وقد كنت وسيطاً في توزيع هذه الأموال، وهو أيضاً يدعم ويوزع الأموال على كل المواكب العراقية هناك، وكنت أزور المواكب المهمة مع سماحة المرجع السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه)، مثل موكب حسينية الشهيد الصدر أو الحسينية النجفية(2)، وبعض المجالس الكبيرة للعراقيين، فكان سماحة السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه) ونيابة عن أخيه يقوم بزيارة تلك المواكب وأنا برفقته، وأحياناً كان يرافقه في زيارته الشيخ حسن الأصفهاني(3)، ويقوم بتوزيع الهدايا الثمينة والمحترمة عليهم تشويقاً لهم ودعماً لمجالسهم.

الصورة



بالنسبة للمواكب الأخرى في مختلف أنحاء إيران، فقد كان الإمام الراحل (رحمه الله) يوزع عليهم اللحوم والمواد الغذائية والنقود، وكان قد عاهد نفسه على أنه في كل سنة وفي ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) يؤلف كتاباً، وعنده مجموعة كتب بهذا الخصوص (جهد الحسين (عليه السلام) ومصرعه) وكتاب (إمامان)؛ أما

ص: 113

1- وكيل سماحة السيد في طهران وناشط اجتماعي وخطيب حسيني مميز.

2- من المراكز الاجتماعية ودينية الهامة في مدينة قم المقدسة.

3- عضو مكتب الإمام الراحل (رحمه الله) ومستشار في مختلف الأمور المرجعية.

في الكويت فقد كتب (تجارب في المنبر)، وأنا سعت في طبعه، وله (رحمه الله) مجموعة كتب أخرى عن الإمام الحسين (عليه السلام)، أعتقد أنها بلغت حدود خمسة وعشرين كتاباً وكراساً.

الصورة



كان الإمام الراحل (رحمه الله) طالما يؤكد على قضية الشعائر الحسينية، انطلاقاً من اعتقاده بجميع هذه الشعائر المألوفة عند الشيعة، وكان يقول دائماً: هذه فتاوى الفقهاء، التي يلزم على المجتمع الشيعي أن يلتزم بها، فإذا أفرغ المجتمع الشيعي من الشعائر الحسينية لا ترى عنده شيئاً.

وحقيقة ليس عند المجتمعات الشيعية تجمعات نتيجة للكثير من الظروف السياسية التي تحيط بهم في بلدانهم؛ فصلاة الجماعة ضعيفة وصلاة الجمعة غير موجودة أصلاً، وهي جديدة عليهم حيث تمكنوا - بعض الشيء - من أدائها، لكنها غير منتشرة في أوساطهم، فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يعتقد بهذه الشعائر اعتقاداً راسخاً لأنها الركيزة الأساسية التي يستند إليها الشيعة ويتمسك بها شبابهم.

وكان من حرصه الدائم وعمله الدؤوب، إعطاء النقود للآخرين لتأسيس الحسينيات، وحسينية الأمام الصادق (عليه السلام) في مدينة البصرة على سبيل المثال، أعطى الإمام الراحل (رحمه الله) لمجموعة من الشخصيات التي كانت تزوره وتسق معه، مبالغ مالية لا بأس بها لتشجيعهم على تأسيسها.

* بعيداً عن الإثارات التي حصلت، كيف كانت علاقة السيد الخوئي مع أسرة الإمام الراحل (رحمه الله)؟

- كان السيد الخوئي يحترم ويقدر أسرة الشيرازي (رحمه الله)، فقد كان صديقاً

للميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) وكان صديقاً أيضاً للإمام الراحل (رحمه الله) وكان يُصرِّح، ويقول: (يطلبون مني أن أكتب فتوى ضد السيد، ولكنني من المستحيل أن أكتب فتوى ضده)، وكنت قد سمعت هذه الكلمة من الشهيد السيد محمد صادق القزويني (رحمه الله).

كانت العلاقة إيجابية بين الأسرتين والشخصيتين، ولكن بعد هجرة الإمام الراحل (رحمه الله) من العراق إلى الكويت، وتدخل الوشاة من أحزاب إسلامية وغير إسلامية في العلاقة بين الاثنين لإفسادها، صدر ما صدر.

* للإمام الراحل (رحمه الله) الكثير من المواقف المشرفة مع قوميات العراق وأقلياته، ومن هؤلاء الأكراد، كيف كان تعامله معهم؟

- فيما يتعلق بتعامله مع الأكراد، كان يقول ويؤكد دائماً: نحن يجب أن نقف مع الأكراد، رغم ما هو معروف عنه من عدم تأييده للدعوات القومية، سواء أكانت كردية أم عربية، لأن هذا عندما يقول: أنا عربي وذاك يقول: أنا كردي، وكان الإمام الراحل يعتقد بأخوة المسلمين كافة بعيداً عن انتماءاتهم القومية أو العرقية، وعنده فتوى صدرت ضد الحرب مع الأكراد، حرّم فيها على مقلديه في كربلاء المقدسة وغيرها من المدن أن ينخرطوا في صفوف الجيش العراقي لمقاتلة الأكراد في شمال العراق، وكان الملا (مصطفى البارزاني) (1) وفي إحدى السنوات وكما سمعت من المرحوم الشيخ جعفر الرشتي (رحمة الله عليه)، حيث ذكر ورود الملا مصطفى البارزاني إلى كربلاء المقدسة واستقبال الجميع واحترامهم له، وقد زار المدرسة الهندية والتقى بالميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله)

ص: 115

1- زعيم كردي من كردستان الجنوبية في شمال العراق، وشارك أخاه الأكبر أحمد البارزاني في قيادة الحركة الثورية الكردية للمطالبة بالحقوق القومية للأكراد.

وابنه السيد محمد كان موجوداً أيضاً.

بعد رحيل الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) ظل الأكراد ولا زالوا يحترمون خط ونهج الإمام الراحل (رحمه الله)، وحتى في قم المقدسة فقد جاءوا لزيارة سماحته (رحمه الله) عدد من قاداتهم، حيث زاره إدريس البارزاني الذي كان هو خليفة الملا مصطفى البارزاني.

الصورة



كما أن الإمام الراحل (رحمه الله) أسس حسينية في شمال العراق في منطقة شقلاوة، وفي فترة ما كنت هناك أصلي وأُدِّرس فيها، وأقوم باستقبال العراقيين في الفترة التي هاجرت فيها من العراق، وهي حتى الآن موجودة، ولكن لظروف العراق هي الآن بيد حزب مسعود البارزاني (1).

* كيف كان الإمام الراحل (رحمه الله) يتعامل مع المرجعيات الدينية في النجف الأشرف؟

* وهل هناك شواهد وقصص في هذا المجال؟

- الذي أعرفه عن ذلك أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يتعامل باحترام وتعاون وتنسيق بينه وبينهم، خاصة في القضايا العامة التي تهم عموم المجتمع، مثل رؤية الهلال، فإذا كان رأيه يخالف رأي المرجعية في النجف الأشرف لم يكن يعلن عنه، ويُرجع الناس إلى مرجعية النجف، وقد حدث في إحدى السنوات خلاف بين الإمام الراحل (رحمه الله) والسيد الحكيم (رحمة الله عليه) حول تلك القضية، فقد كان رأي الإمام الراحل (رحمه الله) أن العيد هو يوم الاثنين، بينما كان رأي السيد

ص: 116

الحكيم أن العيد هو يوم الثلاثاء، لكن الإمام الراحل (رحمه الله) لم يعلن عن ذلك وسافر وأفطر ثم عاد، فأصبح يوم الثلاثاء هو العيد، وبعدها تبين أن العيد هو يوم الاثنين في الواقع.

كان تعامل الإمام الراحل (رحمه الله) مع المراجع، وخاصة الكبار في السن منهم، ينم عن الاحترام المطلق لهم، أذكر مثلاً- على ذلك، حين كان في الكويت وفي أحد الأيام جاءه زائراً - الميرزا حسن الإحقاقي (1) - والد الشيخ عبد الرسول الإحقاقي وهو رجل صاحب شعبة كبير السن وربما كان عمره تسعين سنة، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يحترمه احتراماً شديداً، وحينما دخل إلى ديوانية الإمام الراحل (رحمه الله)، والتي تحتوي على اريكتين من اليمين واليسار لعموم الجالسين، قام الإمام الراحل (رحمه الله) له من مكانه المخصص له في منتصف المجلس، وأجلس الشيخ الإحقاقي مكانه، وجلس هو على الأريكة مع الناس الجالسين في مكانهم. مثل هذا السلوك له قيمة كبيرة وهامة، فهي تنم عن احترام كبير للضيف الزائر.

ونفس السلوك قام به - كما رأيت ذلك - مع الشهيد السيد محمد صادق القزويني (رضوان الله تعالى عليه) والد السيد مرتضى القزويني، حينما دخل إلى مجلس الإمام الراحل (رحمه الله) قام من مكانه وأجلس السيد القزويني فيه، وأصبح كأنه الضيف، والضيف كأنه صاحب المجلس.

هكذا كان أسلوب السيد الراحل (رحمه الله)، وحينما كان السيد الخوئي والحكيم والشاهرودي يأتون إلى كربلاء المقدسة كان السيد الراحل أول الزائرين لهم، وكان يهتم بزيارتهم، ويجلس معهم جلسة مفصلة يطرح قضايا مختلفة

ص: 117

1- تكفل بزمام المرجعية خلفاً لأخيه الميرزا علي الإحقاقي وأصبح مرجعاً لمتبعي نهج وفكر أحمد بن زين الدين الأحسائي.

مشتركة، وعلى كل حال يؤدي هذا الواجب، هكذا كان أسلوب سماحته، وما اصطدم مع أي جهة من جهات المرجعية إلا في مرحلة معينة التي اعتقد فيها أن مواقف البعض ضد العقيدة وضد الإسلام ولشعوره بالمسؤولية، إتخذ الموقف المناسب منها.

* لعدم تقبل الآخرين لحركة الإمام الراحل (رحمه الله) ونشاطاته الحيوية، عارضه الكثيرون، كيف كان يتعامل مع هؤلاء المعارضين له؟

كان يزورهم ويحترمهم ويتواصل معهم ويرسل إليهم الهدايا، ولم يكن يتكلم بكلمة سوء واحدة عن أي أحد من هؤلاء، فقد كان يتحمل ما يقومون به بسعة صدره.

أذكر واحدة من القضايا التي تكشف عن طريقة الإمام الراحل (رحمه الله) مع معارضيه. كان هناك أربعة من الأخوة العراقيين من المريدي الإمام الراحل (رحمه الله) والمحبين له، وكانوا زملاء فيما بينهم على المستوى الشخصي والمستوى الدراسي، لكن بعض الناس - من الشخصيات المعروفة ولا داعي لذكر أسمائهم - أثروا عليهم وانقلبوا إلى معارضين للإمام الراحل (رحمه الله) بسبب أوضاع إيران عموماً عندما أعلن (قدس سره) اعتراضه على استمرار الحرب العراقية - الإيرانية.

طريقته التي اتبعها في التعامل مع هؤلاء الأربعة، أن يقوم البعض من جماعة الإمام الراحل (رحمه الله) بالتواصل معهم باستمرار وزيارتهم مع بقاء احترامهم لهم، وكان من رأي الإمام الراحل (رحمه الله) لزوم استمرار التعاون معهم.

وقد بعث لكل واحد منهم في ذلك الوقت - قبل ثلاثين عاماً - مبلغ ألف وخمسمائة تومان وكان مبلغاً كبيراً في حينها؛ مع أن راتبه للطالب في حوزة قم المقدسة في نفس ذلك الوقت كان مائة تومان.

هذا التواصل المستمر معهم وعدم مقاطعتهم أثمر بعد فترة حيث جاء ثلاثة منهم إلى الامام الراحل (رحمه الله) واعتذروا إليه، باستثناء رابعهم الذي بقي حتى اليوم على حاله من المعارضة.

أسلوب الإمام الراحل (رحمه الله) وتعامله مع معارضيه ومخالفيه، هو الاحترام والتزاور والتواصل وإرسال الهدايا، وعدم التكلم بسوء في حق احد منهم.

* على اعتباركم من المطلعين على النتاج المعرفي للعديد من مراجع الدين الشيعة، كيف تنظرون إلى موسوعته الفقهية التي تعددت أبوابها ومواضيعها وعناوينها؟

- يمكن تقسيم موسوعة الفقه إلى قسمين، الأول منها هو ما يمكن تسميته (الفقه المحافظ التقليدي) كما هو الموجود في الرسائل العملية، مثل: العبادات والأحكام وما إلى ذلك، وأما القسم الثاني يمكن تسميته قسم (مستدركات الفقه) وهي: الفقه (فلسفة التاريخ)، الفقه (السنة المطهرة)، الفقه (القرآن الحكيم)، الفقه (السياسة)، الفقه (الاجتماع)، الفقه (الاقتصاد)، الفقه (القانون)، الفقه (البيئة)، الفقه (المرور)، الفقه (الإعلام) ... إلى آخر ذلك من عناوين، فهذه مستدركات الفقه، ولكن الإمام الراحل (رحمه الله) أدخلها فيه.

سألت الإمام الراحل (رحمه الله) في إحدى المرات: لماذا قلتم (الفقه - الاقتصاد)، و(الفقه - السياسة) ولم تقولوا الاقتصاد أو السياسة دون ذكر كلمة الفقه؟

كان جوابه (رحمه الله): أريد أن أكتب شيئاً تفهمه الحوزة وتستوعبه، فالحوزة تعرف منطق الفقه ولا تعرف منطق السياسة، أو منطق الاقتصاد، فإذا كتبت (الفقه - الاقتصاد) سوف يقتني الحوزوي هذا الكتاب ويقرؤه، وكذا الحال لو قلت (الفقه - القانون) وغير ذلك من عناوين، يفهمها الحوزوي من خلال الفقه، أما إذا كتبت القانون أو السياسة مجردة عن الفقه، فإن (الحوزويين) لا يطالعون

مثل هذه الكتب عادة.

موسوعة الفقه تحتوي على ما يقارب نصف مليون مسألة فقهية، وهي الموسوعة التي اعتمد عليها أهل الخبرة من الفقهاء والعلماء والمدرسين، واعتبروها من الأدلة على أعلمية الإمام الراحل (رحمه الله)، والتي حسب ما يعرّفها الفقهاء من خلال تعليقاتهم على العروة الوثقى، هي بكثرة الإطلاع على الروايات، ولا يوجد مثل الإمام الراحل (رحمه الله) فقيه آخر في معرفة الروايات مطلقاً.

في الموسوعة عدد من الروايات التي لم يقرأها أو يسمع بها أحد، وحتى في محاضراته يذكر روايات كلها جديدة، لا تجدها في كتاب (وسائل الشيعة ومستدركاتهما)، أو كتاب (شرح نهج البلاغة) وأيضاً (الآداب والسنن) رغم كثرة الروايات فيها، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يبحث في روايات تلك الكتب ويناقشها من خلال محاضراته وتحليلاته التي كان يلقيها.

والموسوعة تتم عن المعرفة الواسعة للإمام الراحل (رحمه الله)، وسعة الاطلاع وجودة الاستنباط، وكل ذلك أحرزه الإمام الراحل (رحمه الله) من خلال ضبط المقدمات في علوم اللغة العربية والأدبية، والعيش في بيئة عربية، مما أدى بالتالي إلى فهم الروايات بصورة صحيحة ومن ثم الاستنباط الجيد منها.

وهذه الموسوعة هي الوحيدة في تاريخ الفقه الإسلامي بهذا العدد من المجلدات كما وكيفاً، مائة وستون مجلداً لمؤلف واحد.

وتوجد موسوعة قانونية بثلاثمائة مجلد ولكن في البلاد الأوربية ومؤلفوها أربعون أو خمسة وأربعون رجل قانون، وهي ما تعد كتاباً نادراً لا نظير له مطلقاً في مجال الكتابة والتأليف.

التقيت مرة بالشيخ حسن طراد(1) إمام جامع الغبيري، وهو من الرموز الدينية في لبنان، ومن أهل الخبرة والشخصيات المحترمة، قال لي: العلامة المجلسي كبير جداً في تاريخ الشيعة، والسيد الشيرازي برأيي أكبر من العلامة المجلسي! وحين تسألني: لماذا أكبر؟ أقول: لأن السيد لم يكتب في علم واحد بل في علوم مختلفة، وليس في التاريخ الإسلامي مؤلفٌ بسعته، فهو كتب بالاستدلال والاستنباط وفي كل مسألة نقض وإبرام، وهو غير السرد التاريخي الذي كان للعلامة المجلسي والموجود في بحار الأنوار.

كان الشيخ حسن طراد يؤمن بأعلمية الإمام الراحل (رحمه الله) ، وعنده تقريرين وكلام يمدحه فيه.

وللشيخ جعفر الهادي (حفظه الله) - وهو من التلاميذ البارزين لسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ،وقد التزم بدراسة الأصول على يديه - شهادته التي يقول فيها: لقد قارنت بين (الفقه - الاقتصاد) وبين (اقتصادنا) للشهيد الصدر الأول (رحمة الله عليهما) فوجدت في فقه الاقتصاد أكثر من ستين نظرية اقتصادية ليست موجودة في كتاب (اقتصادنا).

وتكفي هذه التقارير لهذه الموسوعة التي كتبت حولها، وأنا أتصور أن رسائل في الماجستير وأطاريح عديدة في الدكتوراه يجب أن تكتب حول (موسوعة الفقه).

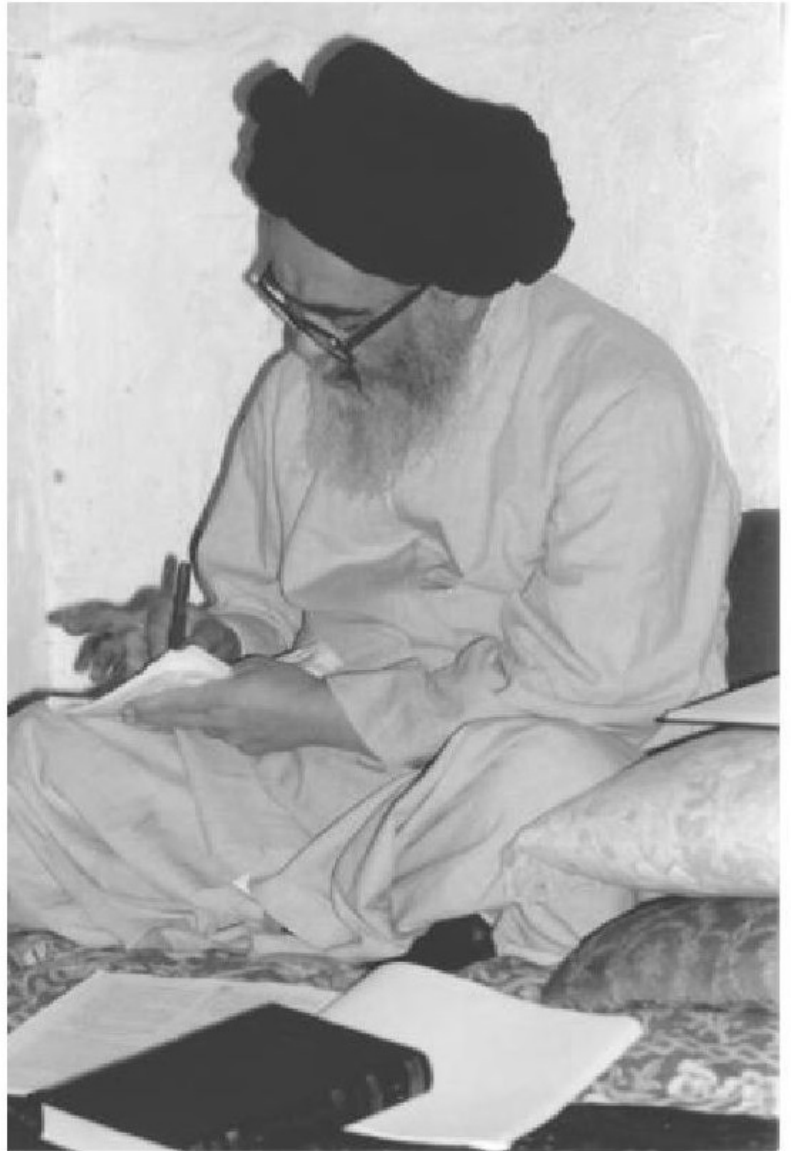
* في مقابل ضخامة عمل مثل موسوعة الفقه، دأب الإمام الراحل (رحمه الله) على تأليف الكراسات الصغيرة وفي مختلف المواضيع. ماذا كان هدفه من تأليف هذه

ص: 121

1- رجل دين شيعي، أديب وشاعر من جبل عامل قضى جلّ حياته في العلم والجهاد والتأليف والنشاط العام.

- ركز الإمام الراحل (رحمه الله) جهوده على تأليف هذه الكراسات لاعتقاده الراسخ بأنها من الوسائل المهمة للنهضة الثقافية في الأمة الإسلامية، ومعروف أن النهضة الشيوعية التي قامت في الصين انطلقت من خلال الكرايس، إذ أن كراسات (ماو تسي تونغ) (1) هي التي قامت بنهضة ثقافية شيوعية في الصين التي بلغ سكانها وقتها مليار إنسان.

الصورة



والإمام الراحل (رحمه الله) كان يعتقد بالكرايس باعتبارها - أيضاً - وجبة خفيفة وغنية مثل أكلة السندويش التي يمكن لأي أحد شراءها من الشارع وتناولها بسرعة مع الشعور بالشبع، وكان (رحمه الله) يقول دائماً ويؤكد إن الثقافة مثل المطر تهطل على المجتمع، ولا يهم إن كان مطراً خفيفاً أو قوياً، فإنه سيبلل الجميع.

فالثقافة هكذا يمكن لها أن تنتشر في المجتمع عن طريق الكرايس. فالمجلدات تصبح جيدة للمكتبات غالباً وللخواص أي الطبقات الخاصة من المثقفين والباحثين وأهل الاختصاص، أما الكرايس فهي عامة وشاملة لأبسط طبقات المجتمع.

* رغم جهود الإمام الراحل (رحمه الله) في خدمة المجتمعات الإسلامية، إلا أنه واجه جبهة عريضة من بعض القوى والحكومات التي حاربتة. برأيكم من كان يقف

1- زعيم الحزب الشيوعي الصيني منذ 1935 حتى وفاته. كان سياسياً وقائداً عسكرياً صينياً.

- أكثر ما يمكن رصدده فيما يتعلق بالجماعات الشيعية، هو الخلافات الداخلية والتي يمكن تشبيهها بأنها (السرطان) وهذه الخلافات هي التي كانت ولا زالت تجرّيء الأعداء مثل النظام السعودي، ونظام صدام سابقاً في العراق، والأنظمة الإرهابية في مختلف البلاد العربية على أغلبية الشيعة في بلدانهم وكذلك على رموزهم، فهناك مَنْ يشي ويكذب ويقوم بنقل أشياء وهمية للحكومات التي تحارب الشيعة، ثم إن الإمام الراحل (رحمه الله) يمتلك فكراً تحريراً وإصلاحياً، وكان يدعو إلى التعددية، ويدعو إلى إحياء الموات، ويدعو إلى قاعدة العدل والإحسان، ويدعو إلى الكثير من الأمور التي لا تروق للحكومات.

الحكومات المستبدة لا يعجبها طرح مثل هذه الأمور وهذه الأفكار التحررية النهضوية، وأغلب هذه الحكومات في البلاد العربية والإسلامية، وبغض النظر عن ارتباطاتها المشبوهة بالمعسكر الغربي أو المعسكر الشرقي السابق، هي متأثرة بهذين المعسكرين، وبالتالي فلا تريد حكومات هذه البلدان مثل هذا النوع من الفكر وهذا النوع من الكتب، وكمثل على هذا الرفض، وجدت السلطات السعودية كتاب (ما هو الإسلام؟) عند شاب في أوائل الثمانينات، فاعتقل ثم أعدم!! لعدة أمور، واحدة منها أن لديه هذا الكتاب (ما هو الإسلام؟) وثانياً لأن مؤلفه هو الإمام الراحل (رحمه الله) .

للإمام الراحل (رحمه الله) كتاب عنوانه (حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام)) وهو مطبوع باللغة العربية، أما باللغة الفارسية فقد طبع منه عشرون ألف نسخة - على ما أظن - والذي طبعه المرحوم الشيخ أحمد معرفت في طهران برعاية مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، وسمعت من الشيخ أنه قال: لدينا غلاف الكتاب، ولكن محتوى

الكتاب نفسه صودر من قبل الحكومة، عبر وزارة الإرشاد متعللين بأنهم لم يعطوا إجازة لنشره، مما أدى إلى مصادرتة وإرساله للمحرقة.

وفي الواقع فإن هذه الحكومات التي تسيطر على مقاليد الحكم في البلاد الإسلامية، لا تعتقد بالحكم الإسلامي الأول، ولها اجتهاداتها الخاصة بها، لهذا تم إحراق الكتاب؛ لأنه كتاب يعتمد على فكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) في صور وصيغة الحكم الأولي، وإذا طرح وقبله المجتمع فإن معنى ذلك أن المجتمع يرفض النظام الحالي القائم في أي بلد من بلدان الإسلام، لأنه على خلاف حكم رسول الله وأمير المؤمنين (عليهما السلام).

* لماذا اعتقل أكثر من مائة من أعضاء مكتبه، وكذلك أكثر من خمسمائة من طلاب درسه؟

- قاد الإمام الراحل (رحمه الله) تياراً معارضاً أصحاحاً وناشطاً في مختلف البلاد الإسلامية العربية، والتيار الإصلاحية غالباً ما يتحول إلى تيار ثوري يرفض الواقع القائم ويدعو إلى غير النظريات التي قام عليها النظام وتغييرها.

لهذا فإن تلك الحكومات لم تستطع أن تطبق الإمام الراحل (رحمه الله) وما يمثله، ولا أن تستوعب تياره الإصلاحية الذي يدعو إلى إصلاح أوضاع الحكومات والبلدان، وهذه الحكومات أيضاً، لم تكن تقبل بتغيير نظامها الذي قامت عليه وآمنت به.

ويمكن معرفة توجهات تلك الحكومات من خلال مواقفها من الإمام الراحل (رحمه الله)، فهي إن كانت مخلصه لشعوبها فموقفها من سماحته هو تعدد اجتهادات، وإن لم تكن مخلصه ومرتبطة بالاستعمار وعميلة، فيتجسد موقفها من خلال محاربتها للإمام الراحل.

* لماذا كانت الحكومات تقوم بمصادرة العديد من مؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله) ومشاريعه الخيرية وذلك عند اشتداد محاصرته وتسعير حربها ضده، وكيف كان يتعامل تجاه هذه الأمور؟

- لقد هدمت الكثير من المؤسسات في العراق كالمدراس، وصوردت قسم من المؤسسات مثل: مكتبة القرآن الحكيم التي تقع خلف المخيم الحسيني، ومدرسة العلامة ابن فهد الحلبي التي كانت بيد جماعة من أنصار الإمام الراحل (رحمه الله) ومن تلامذته أيضاً، وقد احتلت من قبل الشيخ عبد اللطيف الدارمي⁽¹⁾ ومن معه وهم زمرة من سبعة أو ثمانية أشخاص احتلوا هذه المدرسة وعلقوا لافتة تشير إلى أنها مقر النهضة الإسلامية، هذه الأعمال بحق مؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله) حدثت في العراق وفي إيران - أيضاً - كذلك ما حصل لمسجد الإمام الحسين (عليه السلام) في قم المقدسة، فهذا المسجد ومدرسة الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) صوردت، وكذلك صوردت الحسينية الزينية التي تقع في سوق (كذر خان).

وهذه الأعمال - في الواقع - تتم عن انزعاجهم الشديد بتيار الإصلاح الذي قاده الإمام الراحل (رحمه الله)، والذي يدعو إلى قضايا نهضوية تحررية، فأحرقوا كتباً وصادروا مدارساً، واعتقلوا أفراداً، أي أنهم مارسوا مختلف أنواع الاضطهاد بحقه، وهذه طبيعة الحكومات التي لا تعتمد الحوار ولا تعتمد التعقل، وإنما أسلوبها قمع الحركات والتوجهات التي تخالفها الرأي.

* ماذا كان موقف الإمام الراحل (رحمه الله) من الحرب العراقية الإيرانية، والتي خلفت الكثير من الخسائر في الأرواح والممتلكات؟

- كان دوره ونهجه هو الدعوة إلى إعداد مقدمات انطلاق الثورة الإسلامية في العراق، عبر حركة داخلية، وجماهيرية شعبية من هنا يمكننا فهم رفضه

ص: 125

1- بعثي في كربلاء المقدسة.

للحروب بشكل عام وهذه الحرب بشكل خاص، فهو (رحمه الله) كان يقول: هذه الحرب لا تؤدي إلى نصر لأحد الطرفين، وليس نتيجتها إلا الضحايا والمعوقين وتخريب البنى التحتية للبلدين، وهذا الرأي والموقف أثبتت الأيام صحته.

وأيضاً كان (رحمه الله) يدعو إلى نهضة إسلامية مرجعية داخل العراق، ولا يمكن انطلاق هكذا ثورة إصلاحية في العراق إلا (بشورى الفقهاء المراجع)، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالاتفاق مع القوى العظمى عامة؛ لأن معادلات القضية العراقية مرتبطة بالقوى العظمى وبالولايات المتحدة خاصة، ومع عدم الاتفاق مع الولايات المتحدة لا يمكن إسقاط النظام في العراق مطلقاً بأي حال من الأحوال.

وكان إضافة إلى دعوته ل- (شورى الفقهاء) يدعو أيضاً إلى استقطاب وجمع العشائر العراقية، وإلى شورى الحركات الإسلامية في العراق، وكان لا يدخر وسعاً في طرح نظريته هذه عبر بياناته العديدة، والمطبوعة في أكثر من كتاب، كذلك كتبه التي ألفها حول ذلك. وكان يقول: بغير هذه الطريقة لا يمكن أن تقوم للعراق قائمة، والحروب الحدودية لا تؤدي إلى نتيجة، فهناك الكثير من الحروب الطويلة والطاحنة بين الدول على الحدود ولم تصل يوماً إلى نتيجة معينة، وفعلاً فإن جميع كلامه كان صحيحاً، حيث اضطر البلدان في النهاية إلى الاتفاق على إيقاف الحرب.

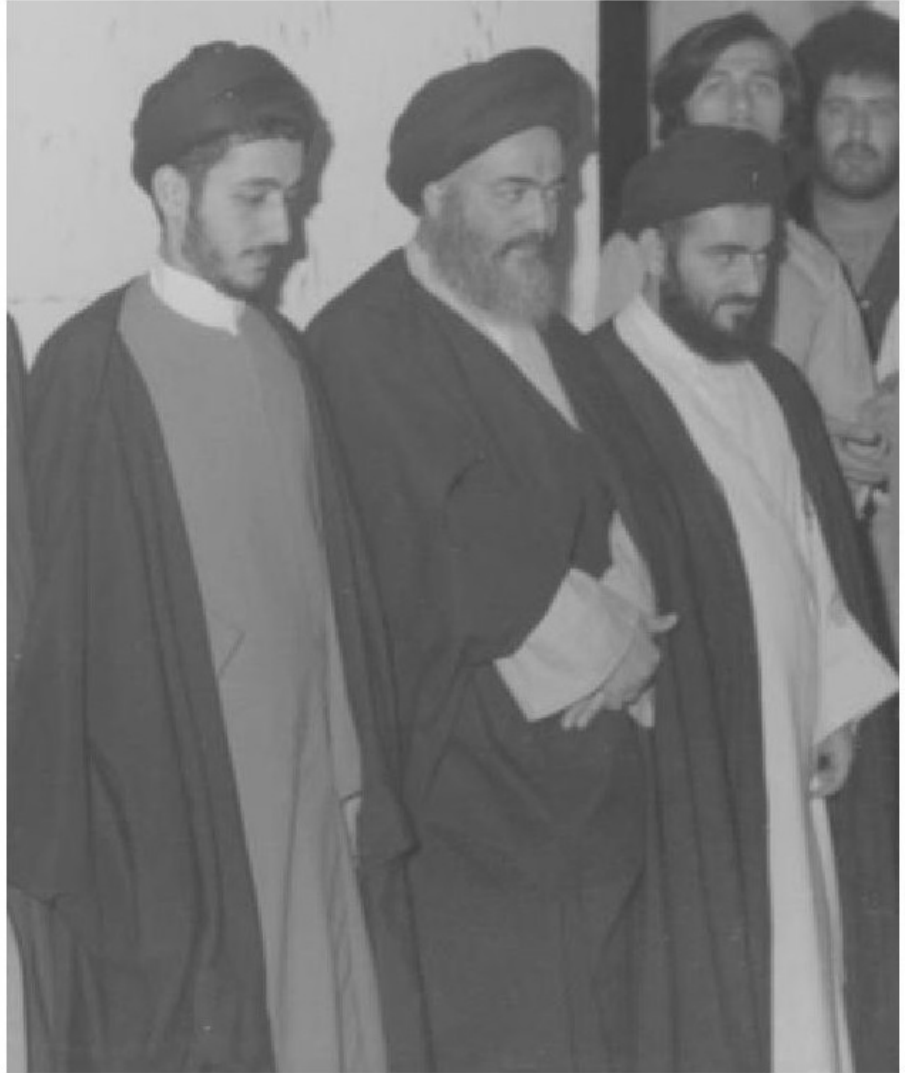
* ما الذي تحتفظون به من ذكريات عن مراسيم عقد قران أبنائه وبناته؟

- كان الإمام الراحل (رحمه الله) يقتصر على قراءة الصيغة الشرعية لعقد الزواج بحضور عدد من الأقرباء.

وأذكر عقد قران أول أبنائه السيد محمد رضا (رضوان الله عليه) في الكويت حيث كنت حاضراً حينها، عندما زوجته وكان شاباً في بداية حياته، حتى

شاربه لم يظهر إلا شعيرات قليلة في وجهه وقد أقيمت وليمة عشاء عامة في حسينية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم جاء السيد محمد رضا، وقد ألقى أحد الخطباء كلمة تهنئة وتبريك للسيد محمد رضا.

الصورة



كما كان يعتمد على مهر السنة - مهر فاطمة الزهراء (عليها السلام) - وهذا يعني زواج متواضع وبسيط.

بالنسبة لزواج صهره سماحة السيد حسين الشيرازي ابن السيد المرجع آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) كنت جالساً ليلة الزفاف في الغرفة مع الإمام الراحل (رحمه الله) مع جمع من الأخوة في المكتب كالشيخ المحقق والسيد المجيدي والشيخ رضا سلطاني(1) والشيخ حسن الأصفهاني، وقد بارك الشيخ المحقق للإمام الراحل (رحمه الله) هذا الزواج، وقال له: سيدنا كيف يتزوج صهركم ولا تقيمون وليمة عشاء؟! فضحك الإمام الراحل (رحمه الله) لقوله وأمر أن يجلب عشاء من المطعم، وكان الطعام عبارة عن رز مع الكباب أو الدجاج وهي أكلة إيرانية، وكان الحضور حوالي اثني عشر أو ثلاثة عشر فرداً حيث تناولوا طعام العشاء، وكانت هذه هي وليمة الزواج، فهو (رحمه الله) يقتصد في المصاريف كل الاقتصاد، ويحتاط أيضاً ويتقيد بمهر السنة في أمور الزواج.

* تعرض الإمام الراحل (رحمه الله) لأنواع عديدة من المحن والصعوبات في العراق، ما الذي تذكرونه من تلك المحطات؟

ص: 127

- لقد تعرض إلى اشكال مؤلمة من تلك المحن، وتحملها بصبر وجلد قويين: كاعتقال أصحابه، ومصادرة كتبه ومؤسسته، ومنعه من التحرك، ومصادرة جوازات سفر اصحابه لمنعهم من الخروج، ثم اعتقالهم وتعذيبهم، كما مورس بحق بعضهم مختلف أنواع المطاردة، وهذا كله قد حدث في العراق وحدث مثله في إيران أيضاً، حيث تكررت معاناة الإمام الراحل (رحمه الله).

لكن على العموم، واجه الإمام الراحل (رحمه الله) تلك المحن التي حاصرت به مختلف أجهزة المخابرات بسعة صدر وتحمل كبيرين، ولم تنه حركة القمع من مواصلة مسيرته، وهو (رحمه الله) في مختلف الظروف كان يواصل عمله فيجلس في البيت يكتب ويؤلف ويواصل برنامجاً بقدر ما يستطيع وفي الكويت واجه محناً من نوع آخر، واجه محنة التآمر ضده لإخراجه منها - كما ذكرنا - كما كان يواجه ضغوطاً اقتصادية قوية مع أن المفروض أن الكويت منطلق المال.

هذه الضغوط الاقتصادية مثل تأمين رواتب الطلاب وكانت ثمانية دنانير، وبعدها ازداد قليلاً مثلاً راتبي شخصياً صار خمسة عشر ديناراً، وكنت أعزباً في تلك الفترة، فكان يعاني من مثل هذه الضغوط، كذلك كان يعاني من ضغط الشائعات: كالكلام النابي الموجه ضده، وتشويه الصورة وبث السموم في المجتمع.

كان هذا كله يعاني منه الإمام الراحل (رحمه الله) طوال حياته، فهناك الكثير من الجهات المنافسة، والجهات المخاصمة، والأحزاب المختلفة، علمانية وغيرها، كانت تبث الشكوك وأحياناً الطعن في شخصيته، ولكنه عموماً كان يستمر في مسيرته ولا يشبه شيء ولا يوقفه أحد.

* لم يعرف عن الإمام الراحل (رحمه الله) كثرة السفر أو الانتقال من مكان إلى

آخر، لماذا برأيكم كان محدود الحركة في تنقلاته؟

- لاعتقاد الإمام الراحل (رحمه الله) أن الوقت شيء مهم وثمانين جداً، ولا اعتقاده أيضاً بضرورة وأهمية التأليف وضرورة أداء واجبه، والسفر يستغرق مقداراً كبيراً من وقته، ولم يكن يرغب بانفاق هذا الوقت في الترفيه وأمثال ذلك، فكان يُفضّل التأليف، ويفضل أداء واجباته، وهو في السفر لا يستطيع أن يؤدي واجبه بالصورة المطلوبة.

وحينما قدم الشيخ القرائتي (1) لزيارة السيد الراحل (رحمه الله) برفقة الشيخ جعفر الهادي (حفظه الله) أبدى الشيخ القرائتي إعجابه الكبير بشخصه وكتبه وحركته، فسأله: كيف استطعت أن تُولف وتكتب هذا المقدار الكبير من الكتب ولا زلت قادراً على إنتاج الكثير منها!!!

فأجابه الإمام الراحل (رحمه الله) - وكما أخبروني إذ أنني لم أكن حاضراً في الاجتماع - قائلاً: في الواقع أنا لا أسافر ولا أعمل أي شيء غير ضروري، ولا أجلس هنا وهناك في ملتقيات، ولا أخرج للترفيه، فأنا مكبٌّ على التأليف، وأنا مواظب على هذا المسير.

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى غزارة تأليفه للكتب هو في قلة السفر، إلا بمقدار الضرورة.

* عرف عن الإمام الراحل (رحمه الله) أخلاقه الكبيرة وحسن تعامله مع زائريه، ماذا في ذاكرتكم عن طريقته في التعامل مع زائريه وضيوفه من الناس بشكل عام؟

- كان أسلوبه (رحمه الله) يمتاز بالاحترام البالغ لزائريه، إذ هو يحترم أي زائر يزوره من الشباب وغيرهم، وكان يسأله عن اسمه ومنطقته وعمله، وكان

ص: 129

1- داعية إيراني ورئيس حركة محو الأمية فيها.

يوجهه التوجيه المطلوب وكان من عادته أن يقوم احتراماً للداخلين عليه من الزائرين حتى لو كانوا شباباً في مقتبل العمر - يعني عمره ست عشرة أو سبع عشرة سنة - فيقوم ويستقبله، وهذا لحسن أخلاقه عموماً.

الصورة



في إحدى المرات كان الإمام الراحل (رحمه الله) مصاباً بنزلة برد، ويرقد في نفس هذه الغرفة التي نجري حوارنا فيها، وعلى مثل هذا الفراش في وسطها، وكان الجو شديد البرودة، قمت ومجموعة من الأخوة - وكان حوالي عددا عشرة - بزيارته للسلام عليه والسؤال عن صحته، لأنه كان منقطعاً عن الدرس وعن لقاء الناس؛ فسلمت عليه وقبّلت يديه، وكان يلبس طاقية مع ملابسه المنزلية وعليه بطانية، فبدأ بالسؤال عن الأخوة، وقال لهم: كيف حالكم؟ أبخير؟

بعدها توجه سماحته (رحمه الله) لي، وقال: يا شيخ ناصر، السلم نبتة لا تهزها العواصف. قال هذه الكلمة وبدأ يتكلم عن السلم وأساليب اللين حوالي عشر دقائق، وكنت متعجباً منه، ففي هذا الوقت القصير وهذا الوضع الصحي وحتى هذه اللحظات ونحن قادمون لعيادته وللسلام عليه، كان (رحمه الله) يستغل هذا الوقت في التوجيه والإرشاد للآخرين.

وفي مرة أخرى، جاءني الحاج جعفر إسلامي⁽¹⁾ وقال لي: سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يريدك بعد صلاة المغرب والعشاء، وفعلاً ذهبت إليه ودخلت عليه في

ص: 130

1- موظف تنفيذي وعضو في مكتب الإمام الراحل (رحمه الله).

الغرفة، قال لي: أجلس هناك. وأشار إلى الزاوية اليمنى، استغربت من طلبه ذلك، لأنني كنت دائماً اجلس على يساره ويبدأ بكلام فيوجهني لعمل معين، أو يسألني بضع أسئلة، أو يتكلم كلاماً عاماً، ولكن قبل أن أجلس وهو كذلك، دخل شاب غريب لم أكن قد رأيته من قبل، وبمجرد دخول الشاب ورؤيته للإمام الراحل (رحمه الله) أنفجر بالبكاء، وارتدى على قدميه يريد تقبيلهما، ورفض سماحة السيد (رحمه الله) ذلك ولم يرضَ به، لكنه استمر يبكي بكاءً مراراً لأربع أو خمس دقائق، والإمام الراحل (رحمه الله) يهديء من روعه ثم أجلسه على يساره.

بعدها قال الشاب للإمام الراحل (رحمه الله): سيدنا أنا شاب منتمٍ لأحد الأحزاب الإسلامية وأسكن في أصفهان، وكنت مأموراً أن أمزق صورك أو أشوهها، بتمزيق نصفها أو أرمي عليها الأصابع، وأنا الآن نادم ومعتذر لله وإليك، أعتذر منك وأنا تائب، وأنا مستقيل من هذا الحزب.

قال له (رحمه الله): ما هو اختصاصك؟

أجابه: خريج كلية الاقتصاد في الجامعة المستنصرية.

فبدأ الإمام الراحل (رحمه الله) يتكلم معه وينصحه وطلب منه أن يكتب وقال له: أَلْف كتاباً في اختصاصك؛ لأنه (رحمه الله) كان يعتقد بضرورة التأليف ونشر الفكر. بعدها قال الشاب: أنا خرجت من الحزب.

اعترض عليه الإمام الراحل (رحمه الله) قائلاً: لا، لا تستقيل!! بل أبقى في الحزب، وأدي دورك من داخل الحزب، ولتكن كلمتك أصلح وعملك أفضل. لكنه أجاب: لا سيدنا أنا بعد الآن لا أنسجم معهم.

بعد أن هدأ الشاب وهو يتجاذب أطراف الحديث مع الإمام الراحل (رحمه الله)، جلبوا له الشاي ليحتسيه كما جرت العادة عند مجيء أي زائر، وكان

الإمام الراحل (رحمه الله) يحدثه ويوجهه، ثم طلب الإمام الراحل (رحمه الله) من الحاج جعفر إسلامي، أن يجلب له كتاب (الفقه - الاقتصاد) وهو أحد أجزاء الموسوعة الفقهية، فذهب الحاج إسلامي لتلبية طلبه، وبحث بين الكتب لكنه لم يعثر على نسخة منه، وعاد وهو يقول: لم أجد (الفقه - الاقتصاد) ولكن يوجد كتاب (الفقه - السياسة). فقال له الإمام الراحل (رحمه الله): لا بأس اجلبه، فأهداه إلى هذا الشاب، الذي نهض بدوره وودع الإمام الراحل (رحمه الله) وعاد إلى مدينته. بعد ذلك عرفت أنه (رحمه الله) طلبني لمجرد الحضور؛ لأن هذا الشاب غريب ولا نعرفه، وقد طلب لقاءً خاصاً، فمن باب الحيلة والحذر طلبني أن أكون في المجلس.

إضافة إلى ذلك، كان الإمام الراحل (رحمه الله) مضيفاً، إذ أن أي جماعة كانوا يأتون قادمين من طهران أمثال: الشيخ نديم الطائي - الشيخ الحاتمي - السيد حسين الطويل، السيد الفائزي، أو من الأخوة في منظمة العمل الإسلامي أو في حركة الفتح الإسلامي، كان (رحمه الله) يستضيفهم، وكان يطلب مني البقاء عنده. وأحياناً كان يقول لي: أنت ضيفهم، فكنت أضيفهم في منزلي الخاص.

في إحدى المرات قدمت مجموعة من التجار وبعض الشخصيات من الكويت - لا أتذكر على وجه التحديد مَنْ كانوا - وقد أقام لهم الإمام الراحل (رحمه الله) وليمة للغداء، وطلب مني عدم الذهاب إلى منزلي وتناول الغداء معهم، وقد طلب (رحمه الله) تحضير الطعام في البيت، وإذا كان قليلاً لا يكفي ضيوفه فإنه يوعز بإكماله من المطعم. وأمر (أبا عباس) المسؤول عن خدمة الزائرين بجلب الرقي (البطيخ الأحمر) فوضعها على سفرة الطعام، وقام (رحمه الله) بفتح الرقي بالسكين إكراماً لضيوفه، فلما فتحها تبين أنها ليست حمراء وعادية لا طعم لها، ويبدو أنه شعر بالحرص أمام ضيوفه، فطلب من الحاج جعفر إسلامي أن يجلب

قليلاً من ماء الورد مع قليل من السكر ووضعه على الرقي وقال: الآن تفضلوا بتناولها.

صحيح نحن تناولنا (رقية) بيضاء ولكنها مع السكر وماء الورد كان طعمها لطيفاً، وما قام به الإمام الراحل (رحمه الله)، عبارة عن ابتكار جميل ولذيذ.

في أحد الأيام زاره على ما تسعفني الذاكرة، حفيد السيد البروجردى (1) (رضوان الله عليه) وكنا متواجدين في المجلس وبعد حوالي نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة، قام هذا الضيف يريد المغادرة، فقام الإمام الراحل (رحمه الله) احتراماً للسيد البروجردى (رضوان الله عليه) واحتراماً للزائر، يشيعه إلى الباب ونحن قمنا برفقته، وفي العودة إلى مجلسنا وفي الممر قلت له: سيدنا انظر لهذا الحائط - وقد تغير لونه - ونحن يأتي إلينا ضيوف من البلاد الإسلامية والأجنبية ومن عدد من الجامعات وغيرها من الأماكن، هذا غير مناسب لنا، فإذا سمحتم بإعطائنا إجازة لصبغ هذه الحيطان، وسوف أتكفل شخصياً بالنفقات. فما كان منه (رحمه الله) ألا أن توقف عن السير في الممر ونظر إلي نظرة حادة وغير طبيعية أتذكرها حتى الآن وقال لي: لو بدر هذا الكلام من غيرك لقبلناه ولكن منك فهذا غير مقبول.. فقلت له: لماذا سيدنا؟

قال: ألم تشاهد كم يأتي إلى هنا من الفقراء ويبد كل منهم وصفة دواء من طبيب، ويريد أن يشتري الدواء لطفله المريض، لكنه لا يملك ثمن الدواء. ونحن رغم ذلك نصبغ بيتنا، فهل هذا مناسب؟! كلا، هذا غير مناسب ولا تفعله..

لم يوافق على منحي إجازة حتى بهذا المقدار القليل من صبغ حيطان

ص: 133

1- السيد حسين البروجردى بن السيد علي الطباطبائي البروجردى، الشهير بالإمام البروجردى عالم دين شيعي إيراني.

المنزل، هكذا كان أسلوبه دائماً (رحمه الله) .

* توزعت كتب الإمام الراحل (رحمه الله) على معارف وعلوم شتى، على اعتباركم من المتابعين لحركة التأليف والكتابة لديه، ما هي أهم الرؤى والأفكار التي طرحها في مؤلفاته؟

- أهم الرؤى والأفكار التي يمكن رصدها مبثوثة في كتبه الأساسية الاستراتيجية - إن صحَّ التعبير - والتي هي كتاب (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) الذي أشرفت على ترتيبه وتنظيمه، وفي كتاب (السبيل إلى إنهاض المسلمين) أيضاً أنا رتبت الكتاب وطبعته، وفي كتاب (ممارسة التغيير). أما بالنسبة للحوزات فكتابه (إلى وكلائنا في البلاد) وكتب حضارية أخرى من هذا القبيل.. ويمكن ذكر أهم تلك الرؤى على الشكل التالي:

1. الشورى:

تعتمد رؤى الإمام الراحل (رحمه الله) الاستراتيجية أولاً وقبل كل شيء على (شورى الفقهاء المراجع)، وهي نظرية نظامية شرعية، وذات مبانٍ وتقريرات ومسائل فقهية وتفصيلية وجزئيات، وهي نظرية استراتيجية، وتعتبر منطلقاً للإصلاح، وقد ألّفت كتابين في هذا المضمار، الكتاب الأول (شورى الفقهاء المراجع) وكان بتوجيه السيد الراحل (رحمه الله) ويتألف من حوالي ستمائة وأربعين صفحة، وهو دراسة تحليلية حول القيادة المرجعية الجماعية، وكنت أينما أقع في مشكلة فكرية، من إشكال أو شبهة، أذهب وأجلس معه (رحمه الله) وأطرح السؤال وأتجاوز معه وبعدها أذهب وأكتب الإجابات.

هذا الكتاب ألّفته في مدينة قم المقدسة أثناء مرحلة حرب المدن في الحرب العراقية الإيرانية، وأكملته في مدينة مشهد المقدسة وقد استغرق مني أقل من سنة.

وكتبت الكتاب الثاني: (شورى الفقهاء مفتاح الإصلاح العام) في سوريا،

ص: 134

وكان بطلب من سماحة السيد محمد رضا الشيرازي (رحمه الله) حيث اتصل بي وأنا هناك، وقال: يريدون في إيران أن يطبعوا كتاباً حول الشورى، ولكن الكتاب السابق حجمه كبير، عليك تلخيصه بكتاب آخر. قمت بتلخيص ذلك الكتاب وأضفت عليه، فصار كتاباً آخر طبع لحد الآن ثلاث طبعات.

فهذه النظرية - شورى الفقهاء المراجع - هي منطلق الإصلاح وفيها تفاصيل رائعة جداً، لكنها تحتاج إلى نهضة ثقافية، لأن المجتمع غير مؤهل ليقتنع بها. وطالما نحن ندعو المجتمع إلى تطبيق النظام الإسلامي، هناك الكثير من الأمور التي لم يستوعبها بعد، ولم يقتنع بها، ولا يوجد أحد يقوم بتوصيل الفكرة لهذا المجتمع، لذا تعد هذه النظرية من الأمور الأساسية لتطبيق أي نظام إسلامي بشكله الصحيح.

2. الحرية:

من الأمور الأساسية الأخرى التي كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤمن بها، هي (الحرية الإسلامية) وقد ألف كتاب (الفقه - الحرية) إيماناً منه أن الإنسان له مطلق الحرية في كل شيء وفق الحكم الأولي الإسلامي: السفر، الحضر، التأسيس، التجارة، الزراعة والكسب، وهو لا يؤمن بمسألة التقييد بالجوازات والجنسية وهذه المسائل الروتينية التي جاءت بها الحضارة الغربية إلى بلادنا، ولا يؤمن بالتعقيدات في إدارة الحكومات والمؤسسات الدولية، فنظرية الحرية نظرية أساسية جداً عنده (رحمه الله) وإن المجتمع يجب أن يكون حراً، وهذه الحرية هي التي تؤدي إلى نهضة الأمة، وهي التي تصل بها إلى سعادتها.

3. اللاعنف:

يعتقد الإمام الراحل (رحمه الله) إن من الأمور الأساسية جداً والاستراتيجية مبدأ

ص: 135

اللاعنف، وقد كتب في هذا الموضوع أكثر من كتاب، وكذلك كُتِبَ الكثير حول نظريته في اللاعنف، وانتشرت الفكرة في مختلف أنحاء العالم والمدن الإسلامية، والآن تواصل انتشارها عن طريق الفضائيات، وكنت قد قدمت برنامجاً أسبوعياً من على شاشة تلفزيون الأنوار حول (اللاعنف في الإسلام) وقد استقبل البرنامج استقبالاً جيداً من المشاهدين.

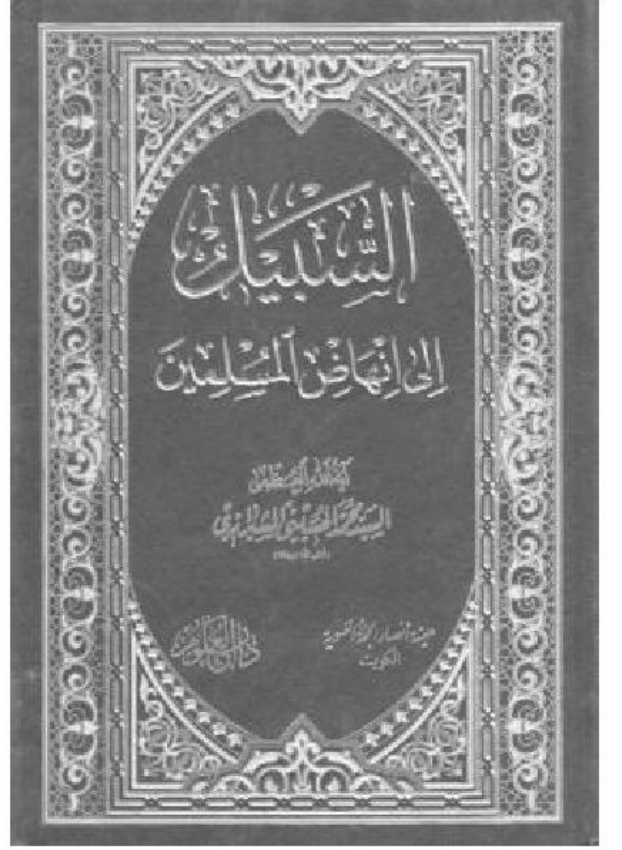
اللاعنف في تاريخ الأنبياء (عليهم السلام)، واللاعنف في تاريخ الأئمة (عليهم السلام) وفي تاريخ العلماء وعلى صعيد القرآن والروايات، والإسلام عامة هو دين اللاعنف، والإمام الراحل (رحمه الله) كان متأثراً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) والعلماء والأولياء، وكان يذكر الناس بتجربة (غاندي) محرر الهند، ويدعو إلى مطالعة كتابه ومذكراته (قصة تجاربي مع الحقيقة).

لقد كان (رحمه الله) يؤمن بنظرية اللاعنف إيماناً مطلقاً. وحينما كان يعلق على انتفاضة فلسطين التي عرفت بانتفاضة الحجارة، كان يقول: هذه انتفاضة صحيحة ومن حق الناس أن يعترضوا على الصهاينة، ويجب إحداث نهضة لإسقاط الصهيونية، ولكنه كان يُشكل ويعترض على استعمال الحجارة من قبل المنتفضين؛ يفسر ذلك بقوله: هذه الحجارة حينما ترمي بها العدو، سيقوم هذا العدو بالرد عليك بواسطة الرصاص، وأنت لا تملك ما ترد به عليه، لأنه أقوى منك في السلاح، يجب علينا أن نكون أقوى من العدو من ناحية السلاح ومن الناحية المعنوية ومن الناحية النفسية ومن ناحية أساليب المقاومة، ويجب أن نبتكر في مقاومتنا ضد أعدائنا، فليس بالسلاح وحده يمكننا المقاومة، لأن العدو أقوى منا ويستطيع تصفيتنا، وكذلك الحجارة تتسبب في إطلاق النار على الناس.

وكان يقول: المظاهرات أصل، والاعتصامات أصل، والمكافحة والمقاومة

أصل، والانتفاضة صحيحة والجهاد يجب أن يعم على صعيد الأمة الإسلامية كلها، لكن بأساليب السلم.

الصورة



وقد تكلم بشكل مفصل في كتابه (اللاعنف في الإسلام) وكتابه (السبيل إلى إنهاض المسلمين) حول هذا الأمر، أي أن الإمام الراحل (رضوان الله عليه) يؤمن بأن الطريق الأساسي للنهضة الإسلامية هو طريق اللاعنف، والسلم وفي كتاب (السبيل إلى إنهاض المسلمين) ذكر وطرح (رحمه الله) إحدى عشرة نقطة

حول اللاعنف، أي حول أساليب السلم، ويقول يجب علينا نشر هذه النقاط إذا أردنا أن تتوسع حركة الإصلاح الإسلامية وكان ينتقد الحركات السياسية - عموماً - التي حملت السلاح.

ولغرض تدعيم النظرية من خلال الأحداث التاريخية، يعقد مقارنة بين حركة المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، التي قدمت فيها الجزائر مليون شهيد من أصل عدد سكانها البالغ أحد عشر مليوناً في ذلك الوقت، حتى سميت بثورة المليون شهيد. وحركة المقاومة التي قادها غاندي في الهند، والتي قدمت ما بين مائتي ألف إلى ثلاثة مائة ألف قتيل، في وقت كان نفوس الهند في ذلك الزمان حوالي نصف مليار، وقد انتصرت ثورتهم العملاقة على الاستعمار البريطاني؛ لأنها كانت ثورة سلمية.

4. بناء المؤسسات الحضارية:

ومن النظريات الأساسية التي يؤمن بها (رحمه الله) هي ضرورة تأسيس المؤسسات بكثرة، كي يتم ملأ العالم الإسلامي بها، وكان لا يدخر جهداً في

توجيه كل فرد من الذين يزورونه إلى تأسيس مؤسسة، وأيضاً توجيه كل شاب يعممه في الحوزة إلى تأسيس مؤسسة؛ لذلك كثرت مؤسساته وانتشرت في كثير من البلدان المسلمة.

ولأهمية تلك النظرية عنده، أُلّف كتاب (تأسيس الجمعيات) ويذكر فيه أكثر من ثمانمائة اقتراح لتأسيس الجمعيات ومن المؤسسات جمعية للأمراض لكل نوع من المرض، مثل مرضى العيون، ومرضى الحنجرة، ومرضى الأذن، ومرضى القلب، وهو يدعو أيضاً إلى تأسيس الجمعيات المتعددة والمتنوعة: جمعيات لكفافي البصر، وجمعيات لتأسيس وبناء المساجد، وجمعيات لشؤون طلاب العلم، وجمعيات للإطعام وبذله للناس، وجمعيات حسينية، وجمعيات قرآنية، وجمعيات لإحياء السنة النبوية، وجمعيات لتحفيظ القرآن، إلى آخر الجمعيات والمؤسسات.

هذه بعض الرؤى والأفكار التي طرحها الإمام الراحل (رحمه الله)، وهناك غيرها الكثير موجودة وموضحة في كتبه الكثيرة.

السبيل لتحقيق أهداف الإمام الراحل (رحمه الله)

* هذه الرؤى والأفكار والنظريات تحتاج إلى جهود كبيرة لتحقيقها على أرض الواقع. كيف يمكننا أن نرسم خطواتنا في سبيل تحقيق هذه الرؤى والأفكار وتطبيق تلك النظريات؟

- لتحقيق ذلك يجب علينا أن نعمل وبجد واجتهاد وكخطوة رئيسية لتأسيس (شورى الفقهاء)، وهذا العمل يحتاج منا إلى جهاد متواصل ودؤوب، لكن مع الأسف لم يتوجه أحد إلى تحقيق ذلك؛ لأنه يحتاج إلى الكثير من الكتب والندوات والمؤتمرات والمحاضرات كما يحتاج إلى تأسيس الجمعيات وتوزيع

المنشورات في المناسبات، وتأسيس النقابات، والمنظمات والروابط والاتحادات الشبابية، وتأسيس المنظمة الإسلامية العالمية.

و(شورى الفقهاء) نظرية رصينة وحضارية يمكن أن تحقق نهضة ثقافية كبرى لو عمل الجميع على تحقيقها على أرض الواقع، مع تشييد مقدماتها.

وقد دعى الإمام الراحل (رحمه الله) إلى نشر مليارات الكتب، وله كراس أسمه (ثلاثة مليارات كتاب) وزعها كما يلي :

- مليار كتاب لتوعية أبناء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من الشيعة.

- مليار كتاب لتوعية أبناء العامة بأحقية مذهب أهل البيت (عليهم السلام) .

- ومليار كتاب لتوعية الغربيين ومختلف الشعوب الأخرى بروعة الإسلام.

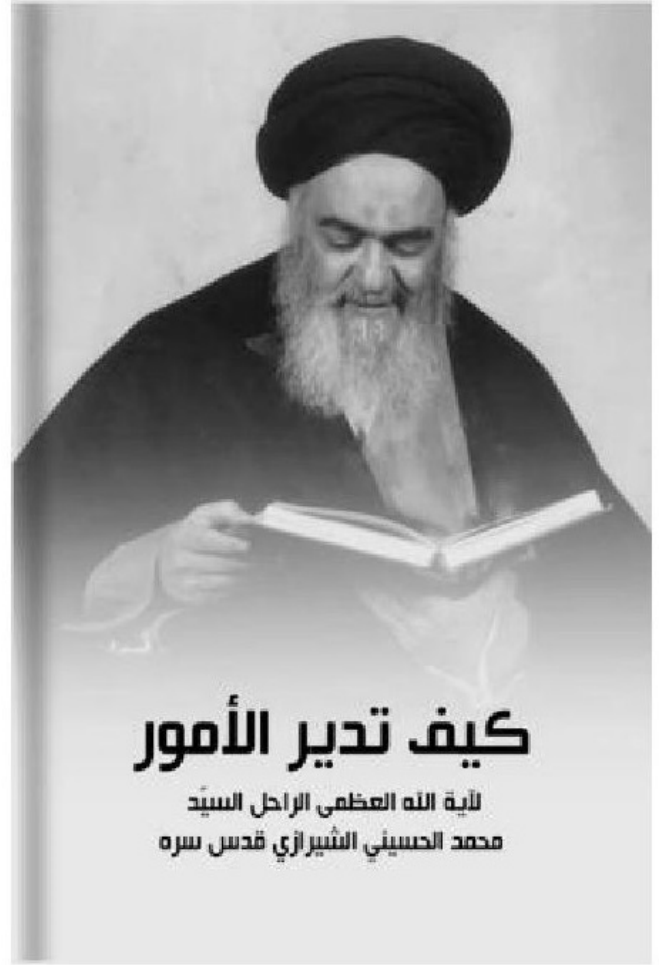
وكان يدعو إلى ذلك كثيراً، فتحقيق نظرياته يحتاج إلى هذا النوع من العمل.

بالإضافة إلى ذلك، نحتاج إلى أن نطور مناهج حوزاتنا، التي تبدأ من دراسة (شرائع الإسلام) إلى أن تصل إلى (كفاية الأصول) ثم البحث الخارج، وهي مناهج لا يمكن لها إنتاج طبقة من الذين يعتقدون ويؤمنون بالشورى، وبالتعاون مع الجميع، والمجتمع الحوزوي - تبعاً لذلك - تسيطر عليه الاختلافات والحساسيات المرجعية، والحساسيات الحزبية، وغير ذلك. وحينما يصل قسم منهم إلى سدة الحكم ويمتلكون السلطة، فإنهم في كثير من الأحيان يستعملون العنف مع الآخرين، ويحاولون إلغاءهم، ولا يتقبلون الرأي الآخر، وهذا ما يجب تغييره.

وللإمام الراحل (رحمه الله) نظريات متعددة حول عمل الحوزات وتطويرها، ويمكننا الاستفادة من بعض آرائه الموجودة في كتاب (إلى وكالاتنا في البلاد) ويعتبر من كتبه الاستراتيجية، والذي ألفه في كربلاء المقدسة، وأتذكر حينما صدر هذا

الكتاب، كان الشهيد السيد محمد صادق الصدر⁽¹⁾ (رحمه الله) رمز التيار الصدري الآن في العراق، يوجه وكلاءه إلى مطالعة هذا الكتاب، وتطبيق مبادئه التي تتوزع على تسعين نقطة إرشادية إلى علماء المناطق والوكلاء وأيضاً يمكن الإشارة إلى كتابه الآخر (إلى الحوزات العلمية) وكتب أخرى.

الصورة



لقد كتب الإمام الراحل (رحمه الله) أكثر من عشرة كتب لتوجيه الحوزات العلمية وتطويرها منها (الحاجة إلى علماء الدين) ومنها (كيف تدير الأمور) وهذه الكتب تحث على نهضة حوزوية من خلال تغيير بعض مناهجها وتطويرها، وإضافة مناهج ومعارف جديدة، مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وأيضاً تطوير المهارات الكتابية المبدعة وتعليم الخطابة، لحاجة رجل الدين الماسة إليهما لإيصال رسالته إلى المجتمع، وكان (رحمه الله) أيضاً يدعو إلى تغيير طرائق وأساليب التدريس في الحوزة، إذ يجب على كل أستاذ أن يخصص يوم الأربعاء من كل أسبوع لدروس أخلاقية يلقونها على طلابه، وأن يقدم بعض الاضاعات الأخلاقية بقية الأيام قبل دروسه المعتادة، وذلك لحاجة الحوزات الماسة إلى مثل هذه الدروس، مع افتقادها أيضاً إلى مناهج مفصلة ومركزة لتدريس القرآن الكريم، مع حثه أيضاً - وقد سمعت ذلك منه في البحث الخارج - على تدريس كتاب (نهج البلاغة، وكتاب الصحيفة السجادية)، مثلما يتم تدريس (الكفاية) و(الرسائل) و(المكاسب).

ص: 140

1- رجل دين ومرجع شيعي معروف؛ كان من مُعارضتي النظام العراقي في فترة حكم حزب البعث العربي الاشتراكي وقد عُرف بنشاطه المُناهض للنظام وهو الذي أدى لاغتياله.

هذه الآراء والأفكار التي كان قد طرحها الإمام الراحل (رحمه الله) تحتاج إلى السعي المتواصل لتطبيقها، وتحتاج إلى عمل ثقافي كبير، وإلى لجان تتحرك في كافة الاتجاهات، وتلتقي بأجهزة المراجع وبأهل الحل والعقد، وهي تحتاج إلى عمل منظم متكامل الجوانب، وعبر اتصالات وأيضاً من خلال تأسيس تنظيمات وتقابات في الحوزات حتى تجد هذه الأفكار طريقها إلى التنفيذ.

علاقة الإمام الراحل (رحمه الله) بالأئمة الأطهار (عليهم السلام)

* اشغل الإمام الراحل (رحمه الله) وطيلة حياته بنشر فكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والكتابة عن حياتهم، كيف كانت علاقته بهم (عليهم السلام)؟

- كانت علاقة الإمام الراحل بأهل البيت (عليهم السلام) علاقة وثيقة وقوية جداً، وقد أَلَّفَ كتباً كثيرة عن كل الأئمة (عليهم السلام)، وكان في مناسبات وفياتهم ومواليدهم يعطل دروسه في الحوزة، ويلقي محاضرات خاصة بصاحب المناسبة، ويدعو إلى الكتابة الكثيرة عن حياة الأئمة (عليهم السلام) ويشجع الكتاب على ذلك، والكاتب

المعروف (علي محمد علي دخيل) الذي أَلَّفَ كتابه الجميل (أئمتنا) كان ذلك نتيجة اقتراح وتشجيع من الإمام الراحل (رحمه الله).

الصورة



فهو كان دائماً يوجّه إلى الكتابة عن الأئمة (عليهم السلام) ويدعو إلى الاهتمام بتاريخهم كثيراً.

* كيف كان الإمام الراحل (رحمه الله) ينظر إلى الماضي، حيث العبر الكثيرة فيه. وكيف كان ينظر إلى المستقبل، وهو يؤشر الكثير على خرائطه، ويبصر أبعد مما

- بالنسبة للماضي القريب أي قبل نصف قرن، كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤمن أن الأوضاع كانت أقرب إلى الإسلام، وعنده كتاب جميل حول ذلك اسمه (بقايا حضارة الإسلام كما رأيت) وفيه يذكر كيف كانت الضيافة ودية ومتواضعة، وكيف كان الحج سهلاً، والسفر كذلك، وتشيد المنازل كانت مسألة طبيعية، ولم يكن في دوائر الدولة الكثير من الروتين، مع البساطة في العيش وعدم التعقيد، وكان الزواج سهلاً غير معقد، وكانت أصالة اليسر الموجودة في الإسلام حاکمة.

فكان يستعير هذه التصورات من الماضي الذي كانت فيه تلك العادات الإسلامية، فيذكر بها ويؤكد عليها وهو ينتقد الأوضاع القائمة، والتعقيد الحاكم، وينتقد الوضع الاجتماعي القائم لدينا.

أما بالنسبة للمستقبل لاسيما في المجال السياسي، فكان (رحمه الله) يتنبأ بما سيحدث، كما هو الحال في مسألة انهيار الاتحاد السوفيتي، وقد ذكر في كثير من محاضراته هذا الانهيار المتوقع وكتبها في كتبه، مثل كتاب (ماركس ينهزم)، حيث قال قبل عشر سنوات من ذلك الحدث: أتوقع بعد عشر سنين سقوط الإتحاد السوفيتي، وفعلاً حدث ذلك بالتحديد كما توقع الإمام الراحل (رحمه الله) .

وحيثما كان في الكويت تنبأ باحتلالها، إذ أنه كان يعتقد أن وضع الكويت فيه عدة اشكالات؛ منها أنه محاط بثلاث من الدول الكبرى في المنطقة هي (العراق وإيران والسعودية)، وبلد صغير وثري وضعيف من ناحية القوة العسكرية، فإنه سيستهدف من أي قوة مجاورة له. وفعلاً وقع احتلال الكويت كما رأيناه، وكما تنبأ به الإمام الراحل (رحمه الله) .

ولقطع الطريق على الآخرين في احتلال الكويت، كان قد اقترح حلاً لذلك على عدد من نواب مجلس الأمة الكويتي، الذين أوصلوه إلى ولي عهد الكويت السابق الشيخ (سعد العبد الله) وقد سمعت المقترح منه شخصياً.

وكان من مقترحاته (رحمه الله) : هؤلاء الأجانب وأمثالهم المتواجدون في الكويت يمكن استقبال أصحاب الكفاءات منهم واعطاءهم الجنسية الكويتية، والعمل على أن يكون الشعب الكويتي بحدود خمسة ملايين نسمة، ليصبحوا بهذا التعداد من السكان شعباً قوياً، وإذا فكرت أي دولة مجاورة باحتلال الكويت، فإنها ستجد أمامها ما لا يقل عن نصف مليون إلى ثمانمائة ألف مقاتل، أما إذا كان الشعب الكويتي مليوناً، وكلهم تجار وموظفون، فيأتي العدو ولديكم جيش صغير من الأجانب الموجودين والذين لا يعترف بوطنتهم، هؤلاء لا يستطيعون أن يقاوموا المحتل.

وكان جواب ولي العهد: الكويت لا تتحمل هذه الأعداد.

في حين أن الكويت أرضاً وثروةً تتحمل التجنيس، لكن الكويتيين تشددوا في هذا الموضوع ولم ينفذوه وأخيراً تورطوا بالاحتلال.. وحين أصدر الإمام الراحل (رحمه الله) بياناً ذكر فيه ذلك، وقال: نبهت سابقاً أن الكويت معرضة للاحتلال ولاسيما أن طاغية مثل صدام كان جارهم.

وكذلك بالنسبة للحرب بين إيران والعراق أيضاً تنبأ بنتيجتها التي انتهت إليها حيث كان يقول دائماً: سوف يضطر الطرفان إلى التصالح دون تحقيق أي من الأهداف المعلنة لكليهما.

وقضية الإصلاح في العراق وأفضل الطرق لتغيير نظام الحكم فيه، فقد كان يؤمن (رحمه الله) بثورة داخلية تطيح بصدام ونظامه، حيث تاريخ العراق فيه كثير

من الثورات الداخلية وهي التي تؤثر به، أما الاحتلال الخارجي فلا يمكن أن يكون الحل الأفضل للتغيير.

أخيراً سقط صدام عن طريق الاحتلال الخارجي من قبل أمريكا ومن تحالف معها، وكان بإمكانها محو العراق كله، وليس مثل ما حدث سابقاً في الحرب مع إيران، التي أرادت فعل ذلك بأسلحتها البسيطة ولم تتمكن. إضافة إلى رفض بقية الدول لذلك، على عكس حالة أمريكا تحت غطاء الأمم المتحدة. وقد كنا في غنى عما جرى بعد هذا الاحتلال على العراق والعراقيين من مصائب وكوارث، لوقام التغيير في العراق عن طريق ثورة داخلية من أبناء الشعب العراقي. وهو ما كان يطمح إليه الإمام الراحل (رحمه الله)، وهو طموح صحيح وواقعي.

أما بالنسبة إلى بعض أفكاره (رحمه الله) التي يعتقد البعض بأنها مستحيلة وصعبة التحقيق؛ لأنها تدعو إلى الإسلام الأولي الأصيل، وتدعو إلى ثورة إدارية ورفض التعقيد في دوائر الدولة، وإلى تسليم المؤسسات الخدمية إلى المجتمع، فقد كان يقول: يجب أن يقود الناس الجامعات، ويديرون المواصلات، والتلفون، والمطار، والكهرباء، والماء أيضاً البريد والبرق والهاتف والاقتصاد والإعلام. هذه النشاطات التعليمية والاقتصادية والخدمية، التي أسست الحكومات وزارات لها، يجب على الناس قيادتها، وعلى التجار والجهات العلمية أن تؤسس محطات تلفزيونية، ولكن مثل هذا التصور والطموح؛ لا يقبل في بلداننا، لأنها قائمة على سلطة أحادية وليست تعددية، وهي بلدان لا تتمتع بالانفتاح على مختلف الآراء، وإلا فنظريات الإمام الراحل (رحمه الله) كلها وبدون استثناء يمكن تطبيقها، إذا توفرت لها القليل من المقدمات، وأيضاً الحاجة إلى تثقيف الأمة ليكون التطبيق

بعدها نظامياً وحرراً وسلساً دون مشاكل.

خذ مثلاً على ذلك نظرية (إحياء الموات) وهي نظرية صعبة؛ تتأتى صعوبتها من أن عالم اليوم يعتقد إن الحكومات هي المالكة للأراضي، بينما في الإسلام الشعب هو المالك للأرض (الأرض لله ولمن عمرها)⁽¹⁾ فالذي يعمر الأرض يصبح مالكاً لها، لكن الحكومات لا يمكن أن ترضى بهذا وتقول: نحن المالكون للأراضي.

هذه النظرية يمكن تطبيقها، ولكن تحتاج إلى مقدمات لذلك، أما دور الدولة فيكون الإشراف والتنظيم فقط، حتى لا تحدث خصومات وفوضى، وليس أن تمنع ذلك ولا تمنحها للناس بحجة ملكيتها للأرض، مما يؤدي إلى حدوث أزمة خانقة وحادة في السكن، كما هو الحال في إيران وغيرها من البلاد الإسلامية، مع تصاعد وارتفاع أثمان ما موجود من عقارات وأراضي.

بوجود الأراضي، واليد العاملة والمواد الإنشائية والثروة - المواد الأولية والأساسية - يصبح علاج المشكلة هيناً وبسيطاً، لكن القوانين الوضعية للحكومات تقيد الحريات وتمنع إحياء الأراضي للسكن أو الزراعة، وبالتالي حدوث أزمة السكن، وأزمة الغلاء في المواد الغذائية والحكومات في هذه البلدان وهي تمنع من إحياء الأرض، بداعي ملكيتها، فأنها لا تعمل على استغلالها وتطويرها، أو لا تريد ذلك لأنهم لا يعتقدون ب- (الأرض لله ولمن عمرها).

وخذ مثلاً آخر وهو مسألة تجاوز أو إسقاط الحدود بين الدول، لماذا لا تستطيع البلاد العربية إسقاط الحدود في ما بينها، وهم يشكلون ثلاثمائة مليون

ص: 145

1- جامع أحاديث الشيعة: ج 23 ص 1026. المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام).

نسمة، مقارنة بدول الإتحاد الاوربي؟ يمكن لهم ذلك بعد أن يتفقوا على نظام أمني وإداري معين ويسهلون عبور الحدود فيما بينهم، مثل ما كان الحال في الأمة الإسلامية سابقاً، وأثناء (الخلافة الإسلامية) على ما لدينا من تحفظات على شرعيتها، لكن لم تكن هناك حدود ما كانت الحدود بين أقاليمها وولاياتها.

صحيح أن المجموعة الأوربية رغم سهولة التنقل بين دولها، فإن الحدود موجودة فيما بينها، لكن هذا لا يمنع أي مواطن فرنسي مثلاً من الذهاب إلى بريطانيا أو ألمانيا أو أي دولة أخرى، دون تأشيرة للدخول (فيزا) بل مجرد هوية شخصية تفي بالغرض، لماذا لا يمكن تحقق ذلك بين مواطني العراق ومصر؟ أو بين العراق وإيران؟ دون تأشيرة دخول (فيزا)، إن الحكومات الحالية تعمل على تقييد حريات مواطنيها وتحد من حركتهم، بسبب قوانينها الوضعية، والتي لا تتسجم مع الإسلام الأصيل.

كل نظريات الإمام الراحل (رحمه الله) التي كان يعتقد بها ويطرحها ويدافع عن امكانية تطبيقها - وهو فقيه كبير ومرجع ديني مشهور - هي نظريات ومناهج إسلامية تتسجم مع الحكم الأولي في الإسلام والتي يمكن تطبيقها بعد التمهيد لها وإعداد الشعوب لقبولها وكذلك عبر الاتفاقات بين الدول.

السيد الراحل (رحمه الله) والدنيا

* طبع الزهد والتقشف حياة الإمام الراحل (رحمه الله) كيف كان ينظر إلى الدنيا؟

دائماً ما كان يقول للذين يأتيونه ويدهمهم أوراق الإعلان عن مجالس العزاء: سيأتي اليوم الذي تطبع فيه ورقة الإعلان عن مجلس عزائي!

وأتى ذلك اليوم وتوفي (رحمه الله) وطبعنا إعلانات لفواتحه وبرامجها.

كان سماحة السيد (رحمه الله) ينظر إلى الدنيا على أنها مزرعة الآخرة⁽¹⁾، ويجب على الإنسان أن يكد ويكدح ويعمل، وكان يوجّه دائماً إلى العمل المتواصل والجهاد والتأسيس والتأليف، إلى آخر ذلك من الأعمال، وكلما رأى أحداً فإنه يقوم بتوجيهه إلى القيام بأي عمل يستطيع القيام به. ولا يخفى أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يعيش حياة بسيطة، وكما ذكرت سابقاً، حين أردنا أن نصيغ ممر المكتب لم يرض بذلك.

وأذكر مثلاً- آخر عن زهد الإمام الراحل (رحمه الله)، ففي أحد الأيام أتى إلى الغرفة التي يجلس فيها لاستقبال زائريه، وكانوا قد غيروا الفراش فيها، وكان الفراش القديم مستهلكاً وبالياً وفيه عيوب شديدة واضحة للعيان، حيث يأتي إليه ضيوفه ويجلسون عليه، واستبدلوه بهذا الفراش الجديد، لكنه (رحمه الله) وعند رؤيته لهذا التغيير في فراش الغرفة، رفض بقاءه وأمر بإعادة نفس الفراش، ونفس الشيء حدث حين جلبوا بطانيات جديدة بدل البطانيات القديمة التي يجلس عليها، حيث رفض هذه الجديدة، وبقي متمسكاً بما كان يجلس عليه.

لقد كان (رحمه الله) بسيطاً جداً ولا يحب المظاهر أو الترف.

وحتى في ما يتعلق بملابسه التي يرتديها، كان بسيطاً وزاهداً، ففي أحد الأيام انتبهت إلى أن (الصاية) التي يرتديها قديمة جداً، وأخذ قماش أكمامها يتمزق، وقتها لم أتكلم معه بشيء حول ذلك، بل أخبرت بعض الأصدقاء، وقد طلب الشيخ علي الحيدر المؤيد بعد فترة من أحد الخياطين خياطة (صاية) جديدة له (رحمه الله)، فطلب الشيخ من سماحته (صاية) لأخذ مقاساتها عند الخياط، فأعطاه (الصاية) التي يرتديها وهو يستعجله بإعادتها إليه.

ص: 147

1- كما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). عوالي اللئالي: ج 1 ص 267.

لقد انتبه الشيخ المؤيد إلى أن ما أخذه هو (الصاية) الوحيدة لدى الإمام الراحل (رحمه الله) ، ومن هنا كان إلحاحه بالطلب في إعادتها إليه بسرعة، خوفاً من أن يأتيه أحد من ضيوفه وليس لديه ما يرتديه عند استقباله.

في ما يتعلق بطعامه، فقد عرف عنه (رحمه الله) العزوف عن لذائذ المأكل والمشرب، حتى لو كان صائماً، وأذكر إفطارنا معه وعدداً من الضيوف، حيث اجتمعنا على مائدة عامرة، تكريماً لهؤلاء الضيوف، أيام تواجده في مدينة قم المقدسة، لقد اقتصر في إفطاره على اللبن والخبز، وكان حينها قد قارب الخامسة والستين من عمره، ويحتاج إلى التغذية المتوازنة، لكنه يمتنع عن ذلك زهداً وتقشفاً، وهو مرجع للإمة ولديه الأموال والحقوق يعطيها للناس.

وهذا ما دعا المرحوم الشيخ تقي تاج الدين(1) (رحمة الله عليه) حين التقى بالإمام الراحل (رحمه الله) في إحدى المرات، وتكلم معه بحدة، أو حسب تعبيره وهو يعتذر - كان كلامي معه خلاف الأدب - حيث قال للإمام الراحل (رحمه الله): سيدنا لماذا لا تأكل وتتغذى جيداً! لماذا تتقشف في طعامك؟ يلزم أن تعتنوا بتغذيتكم فأنتم الآن ملك للأمة وملك للدين والمبدأ، والمجتمع بحاجة إليكم، يجب أن تتغذى جيداً حتى لا يصيبك الضعف وتستطيع أن تؤدي واجبك، ما تفعله ليس صحيحاً.

وقد تحدث أيضاً في هذا الشأن بعد ذلك مع السيد محمد رضا (رحمه الله) وقال له: يجب أن تهتموا بطعام والدكم. أجبوا له أنواعاً مختلفة من الطعام ووفق نظام غذائي مناسب مثل (الكباب واللحم)، دعوه يأكل حتى يقوى على تحمل واجباته ومسؤولياته. واعتقد أن السيد محمد رضا (رحمه الله) كان جوابه: نحن نريد أن

ص: 148

1- من الخطباء والناشطين في مكتب الإمام الراحل (رحمه الله) .

تفعل ذلك، لكنه لا يرضى.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يفرض رأيه بالأشياء التي ترتبط به ارتباطاً مباشراً.. وعلى كل حال كان يظهر عليه كثيراً من مظاهر الزهد والتقشف المؤلمة.

وحتى في بقية الشؤون نلمس زهده وتقشفه، وعدم انجراره خلف المظاهر والأمر الكمالية، حتى وإن كانت ضرورية ومطلوبة.

فعلى سبيل المثال، الحائظ الذي بين البيت وبين المصلى، حيث تقام الصلوات، وتعدد المجالس والدروس اليومية فيه بصورة يومية متواصلة، هذا الحائظ كان قد أشرف على الانهيار، وكنا نحتاج إلى إجازة من الإمام الراحل (رحمه الله) لتهديمه ومن ثم تجديده، لكنه كان يرفض ذلك لعدم اعتقاده بأنه آيل للسقوط والانهيار، ويقول في معرض رده على الآخرين الذين يطالبونه بإجازة هدمه وإعادة بنائه: يمكن للحائظ أن يصمد، فلماذا نصرف نقود بيت المال على هدمه وبنائه؟ لم يكن يرضى بذلك، ولكن المرحوم السيد علي الفالي (رحمه الله) وفي ليلة من الليالي ويادارته للأمر، هدم الحائظ خوفاً من انهياره على الناس، حيث هدمه دون أخذ إجازة من الإمام الراحل (رحمه الله)، لكنهم قالوا له: هذا الحائظ واقع لا محالة فيجب هدمه وخلال يومين كان حائظ جديد بني على انقاضه، وقد خرجت الكثير من الحشرات والعقارب أثناء هدمه الذي كان يجب أن يتم من فترة طويلة.

وكذلك الشأن في ساحة المصلى والتي كانت ترابية وفيها تعرجات ومطبات كثيرة، وكان من الصعوبة أن تفرش سجادة الصلاة عليها بصورة طبيعية، ورغم ذلك لم يكن (رحمه الله) يرضى أن يتم اصلاح تلك الأرضية واكسائها بالبلاط العادي، مثل ما معمول به في أرضيات المساجد في أي مكان آخر، ولكن بعد

ص: 149

الحاح وضغوط شديدة، أعطانا الإجازة لتغيير الأرضية واصلاحها، ولكنه اشترط ذلك بقوله: في سواد ليلة غيرّوه.

لكن ليلة واحدة لا تكفي لانجاز العمل، رغم سهر العمال والبنائون حتى الصباح، حين حان وقت درس البحث الخارج للإمام الراحل (رحمه الله)، فاضطر أن يلقيه على طلبته في الغرفة الكبيرة في المكتب، حتى أصبحت الأرضية الجديدة جاهزة في اليوم الثاني.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) ومن خلال هذه الأمثلة التي ذكرتها، وأمثلة أخرى كثيرة، بسيطاً جداً في متطلبات الحياة من أمور المعيشة كالبناء والملبس والمأكل .. الخ، كان شديد الزهد والتقشف، وكان شديد التواضع بما في الكلمة من معنى.

* هذه البساطة والتواضع والتقشف التي عاشها الإمام الراحل في دنياه، كيف انعكست على نظرتة إلى الآخرة؟

- كان ينظر إلى الآخرة على أنها هي الأصل، ويجب علينا ان نبنيها عبر توضيحنا بهذه الدنيا الزائلة.

* اعتقل الكثير من ابنائه وأنصاره في مراحل متعددة من حياته. كيف يمكن لكم أن تصفوا أحواله عند حوادث الاعتقال تلك؟

- على الرغم مما تعرض له الإمام الراحل (رحمه الله) من المضايقات والتجاوزات فإنه كان صلباً كالجبل الأشم.

حين تم اعتقاله، طلبوا مني أن أوقع تعهداً بمقاطعة الإمام الراحل (رحمه الله) ومكتبه وبيته، رفضت ذلك، وادعوني السجن وتعرضت فيه لأذى وضغوطات كثيرة، وقد مرضت مرضاً شديداً وكنت أرتجف من الحمى، وحالتي

غير طبيعية. وقد أضربت عن الطعام لعدة أيام لم آكل خلالها شيئاً. ولم يكن في وارد من اعتقلني أن اتعرض لمشاكل صحية، أو أن أموت بسبب ذلك، اطلق سراحي بعد كفالة من أحد المعارف، ولما كنت لم أوقع لهم على تعهد بمقاطعة الإمام الراحل (رحمه الله)، فقد صدر قرار بإبعادي إلى كرمان، لكن لم ينفذ الإبعاد، وقد هاجرت إلى شمال العراق بأمر من الإمام الراحل (رحمه الله).

أذكر أنني عند خروجي من السجن ذهبت مباشرة إلى بيته (رحمه الله) وجلست عنده ورأيت أنه لم يحدث أي شيء، فهو كان يتكلم ويمازح الآخرين ويقوي صمودهم ويرفع من معنوياتهم.

كان مصدر قوة وإمداد بالوقود المعنوي للآخرين، وكان شديد الصلابة، على الرغم من كل التهديدات والضغوط التي كانت تحيط به. رغم أنه في ذلك الحين قالوا له: سوف يصدر حكم بالإعدام في حق ولدك - آية الله السيد مرتضى (حفظه الله) - لكنه أجاب قائلاً: أنا مكلف بأن أؤدي واجبي، أما إعدام ابني، فالذي يقدم على ذلك فقد ارتكب جريمة.

كانت تلك الحملة التي شنوها ضده (رحمه الله) وضد تياره الفكري، حملة استبدادية جائرة وشرسة، على الرغم من أنه لم يحمل السلاح، ولم يقتل أحداً، ولم يتسبب بمشكلة لأحد، ولا خرج بمظاهرة ضد أحد ولم يكتب بياناً ضد أحد، وكتبه الإصلاحية موجودة إلى الآن ككتاب (السيبل إلى إنهاء المسلمين)، لكن من كان يخالفه لا يتحمل دعواته الإصلاحية والتغييرية.

وعلى كل حال، لقد كان الإمام الراحل شديد الصلابة، ولم يلن مطلقاً أو يرضى بالتنازل عن مبادئه وما يؤمن به، ولا بمقدار شعرة كجده الإمام الحسين (عليه السلام)، وبقي كذلك حتى آخر لحظة في حياته.

* كان الإمام الراحل (رحمه الله) في كتاباته كثيراً ما يبحث على الاهتمام بالجامعات والدراسات الأكاديمية والجامعيين أنفسهم. كيف كان يتعامل (رحمه الله) مع الأكاديميين؟

كان يحترمهم كل الاحترام، وكان يقول لهم: عليكم بفهم المناهج الإسلامية في الاقتصاد وفي السياسة وفي الطب وفي مختلف الأمور.

كانت لديه نصائحه الخاصة للأطباء فكان يقول لهم: الشيء الذي لا تعرفه لا تقدم له علاجاً، وقل: لا أعرف ذلك ولا تخجل. وكان ينصحهم أيضاً أن لا يأخذوا النقود من الفقير.

ومثل هذه النصائح المتعددة كان يزيها إلى جميع الأطباء، لكن المثقفين منهم كان ينصحهم بالكتابة والتأليف خصوصاً، فكان يقول لأي واحد من هؤلاء: ألف واكتب مثل أطباء مصر، وكان يضرب بهم المثل ويقول: هو طيب ولكنه مؤلف، يكتب أفكاره ويدعو إلى الإصلاح، كانت هذه من وصاياه للأطباء والطبقة المثقفة.

وحسب وجهة نظري، فإن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يطمح أن تنشر نصائحه الشفهية تلك

بعد جمعها في كتاب يكون بمتناول الجميع، إلا أن ذلك لم يتحقق.

وكان يدعو أيضاً، إلى تنظيم الحوزة من خلال تأسيس جامعة فيها علوم إسلامية إلى جانب الدراسة الحوزوية الحرة، ولم يكن يريد الاعتماد على الدراسات الجامعية لوحدها، أو اعتماد أسلوب الدرس والتدريس الحر فقط، لأنه كان يرى خطأ هذه الطريقة الموجودة، فكان يقول: يجب أن يكون إلى جانب

هذه الحوزة الحرة لدينا جامعات حوزوية، من قبيل وجود جامعة للقضاء وجامعة للخطابة و... كذا غيرها من الاختصاصات.

* برأيكم ماهو سبب بقائه معتكفاً في بيته طيلة العشرين عاماً الأخيرة من عمره؟

- في الواقع كان هذا تعبيراً عن احتجاج، إذ أنه (رحمه الله) كان ثائراً على الأوضاع القائمة، لما فيها من استبداد وظلم وطغيان، وتجاوز على الإسلام، وتجاوز على المرجعيات، ولأن فيها الكثير من التفرد والآحادية في السلطة وفي كل شيء.

وكان في اعتكافه في بيته، يعترض على هذا الواقع ويعلن عن رفضه واستنكاره له، ولا يريد أن يلتقي بأحد أو يخرج للقاء أحد، ورغم بقائه في البيت كل تلك السنين إلا أنه كان يؤدي واجبه من داخله، لقد كان اعتكافه مقاومة سلبية.

* كم مرة خرج من بيته خلال هذه المدة الطويلة؟

- أنا أتذكر أنه خرج مرتين فقط!

الخروج الأول له إلى مدينة مشهد المقدسة، والخروج الثاني من بيته ذهب لزيارة السيد الكلبيكاني (رحمه الله) [\(1\)](#) عندما كان مريضاً، وكان كأنما أجرى عملية أو شيئاً من هذا القبيل.

الصورة



ص: 153

1- السيد محمد رضا الكلبيكاني، علم دين شيعي ومرجع تقليد في قم المقدسة.

* كيف كانت علاقته (رحمه الله) مع مراجع التقليد في قم المقدسة وغيرها؟

الصورة



- كانت علاقته بهم إيجابية ويحترمهم، وكان الكثير من المراجع يأتون إلى زيارته في السنة مرة أو مرتين، مثل السيد المرعشي النجفي (رحمه الله) دأب على زيارته مرة بالسنة في شهر رمضان، وهو يعرف ظروف الإمام الراحل (رحمه الله) فما كان ينتظر أن يرد له زيارته، وفي إحدى المرات كنا بعد الصلاة مجتمعين فرأينا حرساً وحركة وجلبة في الخارج ولما سألنا: ما القضية؟ فقالوا: الشيخ المنتظري (1) قادم لزيارة السيد الشيرازي، وكان الرجل الثاني بعد السيد الخميني في إيران ويحترم الإمام الراحل (رحمه الله) كثيراً، ويدافع عنه وله مواقف مشرفة عنده، والشيخ المنتظري أكثر من مرة قدم لزيارته.

وكان السيد المرجع آية الله العظمى السيد صادق (دام ظلّه) مندوبه في استقبال هذه الشخصيات ومتابعة هذه المراسيم.

كان سماحة السيد صادق (دام ظلّه) هو الذراع الأيمن وهو مصداق للحديث الوارد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال: «كان مالك لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)». فكان كرئيس الوزراء للسيد الراحل (رحمه الله)، وكان يمثل السيد ونعم الممثل، وكان على قدر كبير من المسؤولية، ويعطي صورة إيجابية راقية عن

ص: 154

1- مرجع ديني، حكم عليه بالإعدام في عهد الشاه سنة 1975، لكن تم إطلاق سراحه بعد ثلاث سنوات. وبعد انتصار الثورة عين نائباً للقائد، لكن تم عزله.

الإمام الراحل (رحمه الله) , فيذهب لزيارة المراجع وأساتذة الحوزات والشخصيات، فكانت تنطبع في أذهانهم صورة مشرقة عن الإمام الراحل (رحمه الله) فعلاقته مع المرجعيات علاقة إيجابية جداً.

الإمام الراحل (رحمه الله) ونظام البهلوي

* ما هي نظرتة إلى نظام الشاه وما كانت مواقفه تجاه الحكم البهلوي في إيران؟

- كانت مواقفه مواقف المعارضة المطلقة، وفي انتفاضة خرداد كان الإمام الراحل (رحمه الله) صوت الانتفاضة في الخارج وله بيانات وأشعار وأناشيد ضد الشاه، وبرقيات إلى مختلف أنحاء العالم ضده.

ص: 155

شهادات وانطباعات من حياة الإمام الراحل (قدس سره)

العمامة

كان التعمم (ارتداء العمامة) غالباً يجري في أيام الفرح ومواليد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وأتذكر أن سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) قد توجني وزميلاً لي وهو المرحوم الحجة (الشيخ محمد علي المؤمن) في ذكرى ميلاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) العاشر من ربيع الثاني في كربلاء المقدسة عام 1970 م ، وهو العام الذي هاجر فيه سماحته في الخامس والعشرين من شعبان المعظم واستقر في الكويت، عبر سوريا.

ويعد أن يتعمم الشاب يسلم على جميع الحاضرين ويعانقهم، وهم يباركون له مناسبة تتويجه الذي يضعه على طريق العلم والجهاد والدين إلى آخر عمره.

وكان آخر من عمّمهما الإمام الراحل (رحمه الله) في حياته اثنين من أحفاده هما المحمدان الجوادان، الشيرازي (رحمه الله) نجل سماحة آية الله السيد مرتضى الشيرازي (دام ظله) والفاقي نجل سماحة الحجة السيد كاظم الفالي.

زاره أحد شخصيات قم المقدسة من العلماء كما هو معتاد بين آونة

وأخرى، وحسب الأصل فإنه (رحمه الله) يبالغ في احترام العلماء، فقد زاره حفيد المرجع الكبير السيد حسين البروجردي (رحمه الله) وبعد أن أنهى اللقاء ونهض الضيف ليودعه خرج معه الإمام الراحل (رحمه الله) لمشايعته ونحن الجالسون خرجنا معه أيضاً، وبعد توديعه عند الباب رجع (رحمه الله) إلى مجلسه، وفي ممر الطريق إلى غرفته قلت لسماحته ما طلبه البعض مني وقد أشرت إلى الجدار الأبيض المتغير اللون قليلاً: سيدنا أتسمحنون بصبغ هذه الجدران، وأنا أضمن التكلفة.

قلت له ذلك لأنني أعلم أنه يعاني اقتصادياً وسيرفض فوراً لأنه يعتبر ذلك الصبغ من الأمور الكمالية، فماذا فعل؟

توقف قليلاً ونظر إلي بحدة، أجبني مستنكراً: لو قالها غيرك لقلت إنه قليل الاطلاع أما أنت لماذا؟!

قلت - وقد ملكني الاستغراب - : وكيف ذلك يا سيدنا؟ أجب: أما ترى يوماً كم من الفقراء يراجعوننا؟ أما رأيت بنفسك هؤلاء الذين معهم وصفة الطبيب ولا يملكون ثمن الدواء لعلاج أطفالهم؟ ونحن نفكر في تجميل وصبغ حائط مكتبنا؟! ورفض إعطاء الإذن!

وأذكر أيضاً إن نفس هذه المعارضة قوبلت بها حين اقترحت على سماحته (رحمه الله) سحب أنابيب الغاز المركزي، فكان رده لو إن الطبقة الفقيرة أسست في منازلها أنابيب الغاز المركزي فنحن نفعل أيضاً وإلا فلا. وبعد تكرار الاقتراح ودخول سماحة السيد الرضا (رحمه الله) في الموضوع أجاز سماحته ذلك، فرأيت بعض المختصين واتفقت معهم وحصلت على المال تبرعاً من الوجيه الفاضل الحاج صاحب الخباز (حفظه الله تعالى) وكان ذلك بعد أن أخذ تأسيس الغاز المركزي طريقه إلى أكثر بيوت قم المقدسة.

إننا نعتقد إن السيد الإمام الراحل (رحمه الله) هو الأفتق والأعلم في بحر هذه الحوزات العلمية وأعمدها من الأساتذة الكبار والفقهاء العظام، وقد صدرت فتاوى عديدة في هذا الصدد.

في تلك الحقبة من الزمن تولدت لدينا فكرة طرح أعلمية السيد (رحمه الله) خصوصاً وإننا نواجه منافسين أشداء، وكنا نطرح في كل مكان هذا المعتقد الاستراتيجي وقد طرحت الموضوع في الجلسات الخاصة مع الشباب العاملين من طلبة الحوزة، فخرجنا باجماع على ضرورة كتابة نقاط علمية دقيقة تبين بالدليل الفقهي أعلمية سماحته (رحمه الله). بعد مناقشة الموضوع طرحته بصورة خاصة على سماحة السيد الرضا (رحمه الله) وطلبت منه التعاون في هذا البحث العلمي، فتضافرت الجهود، وهو بدوره درس الموضوع أيضاً، فصدر منشور خاص في عدة صفحات، ثم بعد ذلك طورنا البحث وأخرجناه على شكل كراس، تحت عنوان (الاعلمية)، موضوعه ارتكز على المسألة رقم (11) من (العروة الوثقى) للمحقق اليزدي (رحمه الله) من كتاب الاجتهاد والتقليد والتي يبين فيها ضوابط الاعلمية ويؤكد على (إن الأعراف بالروايات، وبمدارك المسألة، وبالأشبه والنظائر والأجود استنباطاً) هو الأعلم ونحن قد طبقنا ضوابطها العلمية على شخصية السيد الراحل (رحمه الله) واحدة واحدة مع جملة من الشواهد والأدلة التطبيقية. كان لهذا الكراس أثر كبير في النفوس والأفكار، وقرأه إخوتنا وحفظوا بعض معلوماته وكانوا يطرحونها هنا وهناك، فكان نشاطاً مرجعياً نافعاً ومتميزاً وقائماً على البحث العلمي.

تصدي سيدنا الأستاذ الراحل (رحمه الله) لتدريس بحث الخارج في حوزة كربلاء المقدسة بعد رحيل والده الإمام الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) بسنوات، تميز بحثه:

الصورة



أولاً: بالدقة العلمية والتحقيق اللغوي والنحوي أحياناً لتأثيره على استنباط الحكم.

ثانياً: كثرة التفرعات العلمية على كل مسألة، إذ إنه كان محيطاً بأراء الفقهاء ومهتماً بنظرياتهم حتى الشاذة منها ويبدع الفروع العلمية في كل بحث يطرحه، فكان (رحمه الله) ذا عقلية موسوعية ومنطلقة ويطرح فروعاً إبداعية لم يطرحها أي فقيه في التاريخ.

ثالثاً: عمق الاستدلال من ميزات بحثه، حيث كان محيطاً ومهيماً على البحث ويستدل على الرأي الذي يتبناه بأدلة وافية كما وكيفاً، وما من فرع علمي مقامة عليه الأدلة إلا وتراه يضيف إلى الأدلة دليلاً أو دليلين من إبداعاته المنحصرة به.

رابعاً: وكان يتميز بحثه بالوضوح، كان لا يحب التعقيد على عكس ذوق بعض الحوزويين الذين يفضلون التعقيد والغموض، أما هو (رحمه الله) فكان على

أما عدد تلامذته الحوزويين فهم كثر لعلهم عدة آلاف، لكن محافل درسه كانت تتراوح بين (300 - 500) عالم فاضل منهم المجتهد والمجتهد المتجزئ والمحقق والخطيب والمؤلف وأمثالهم، وفيهم العراقي والإيراني والأفغاني والباكستاني والخليجي وغيرهم. وكان السيد الراحل (رحمه الله) يدرس بحث الفقه كل يوم في الساعة الحادية عشر صباحاً، أما الأصول فكان مساءً قبل المغرب بساعة ونصف. وقد كان (رحمه الله) يعتبر الدرس منطلقاً للعمل والكفاح وكان يصرح بذلك ويقول: إننا ننطلق من هذا الدرس للعمل في المجتمع وليس مجرد البحث العلمي.

بعث مجاميع إلى العاصمة وغيرها للتنسيق والتبليغ

لتصديبه (رحمه الله) لشؤون مختلفة وانتشار مجاميع عاملة ومؤسسات هنا وهناك، كان بين الحين والآخر ينتدب مجموعة تنتخب بدقة ومشورة وتبعث للقاء بتلك الجهات العاملة. أتذكر أنه (رحمه الله) كان أحياناً يبعث بجمع من شبابنا الخاصين المثقفين إلى طهران العاصمة للقاء جهات معينة من رموز القضية العراقية والناشطين في الساحة، وكان يبعث أحياناً بعض رجال الدين للقاء بعض الوكلاء والناشطين في طهران أيضاً. ومع قدوم مناسبة محرم الحرام كانت تشكل مجموعات لزيارة كل الحسينيات (حوالي 40 حسينية أو أكثر) في إيران وإبلاغها التعاليم الخاصة وإعطائها بعض التبرعات ورفدها بآلاف من الكتب الثقافية. وللحركة التبليغية في المواسم الخاصة أهمها محرم الحرام وشهر صفر ثم شهر رمضان المبارك وثالثاً موسم الفاطمية، فكان يعيى كل تلامذته وأجندته التبليغية ويرصد لذلك مبالغ مالية تقدم كهدايا للمبلغين كمعترف للذهاب وللإياب ويحملهم إن أمكن الكتب الثقافية. وينطلق هؤلاء إلى المناطق العربية في الجنوب الإيراني أو مختلف أنحاء

البلاد، ويمارسون نشاطهم التبليغي في الموسم ويرتبطون بجماعات خاصة من تلك المناطق ويرجعون بعد ما أدوا شيئاً من الواجب، يعودون محملين بالمعلومات والتقارير عن تلك المناطق مضافاً إلى المقترحات العملية وأحياناً معهم مبالغ من الحقوق الشرعية يسلمونها للمرجعية ويستلمون (الإيصالات) ويبعثونها إلى أصحابها.

ومثل هذه الحركة نوعية ومن أهم وسائل ارتباط المرجعية بالقواعد الشعبية. وكان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يوليها أكبر اهتمامه. ومن العادات الايجابية في هذه الحركة التبليغية، إنه (رحمه الله) كان يتوج المعممين ويبعثهم إلى تلك القرى والمدن، لأن الوسيلة الإعلامية في هذه الحركة هي (المنبر الحسيني) ولا يرتقيه إلا معمم. وتحرك الشباب ورجال الدين في إطار هذا النوع من التبليغ والدعوة إلى الله، باعث لنموهم وارتقاء مستوياتهم وانفتاح على الناس وحصولهم على حزمة تجارب تفيدهم خلال مسيرتهم المستقبلية باتجاه تحقيق الأهداف. وكانت جهات منافسة متشددة تتحسس بدرجة عالية من هذه الحركة التبليغية وترصدها وتتابع أخبارها وكانت تؤدي أحياناً إلى بعض المعاكسات والمضايقات.

ومن أهم الأنشطة التبليغية تعبئة المبلغين لخارج إيران، فكان العشرات في فصل الصيف من كل عام يتوجهون إلى سورية حيث الحضور الجماهيري المكثف عند السيدة زينب (عليه السلام) فكان مبلغوا الحركة المرجعية في خضم ذلك المشهد الفقير ينتهزون فرصاً من الجسور العلاقاتية وإقامة المجالس الحسينية طوال شهر محرم وصفر وأداء دور اجتماعي بارز، كان الإمام الراحل (رحمه الله) يعبئ لهذا الموسم لا سيما الخليجيين المرتبطين بهؤلاء الزوار القادمين إلى سورية من مختلف أقطار

الخليج، وكان يقول للعراقيين الذين لا يفسح المجال لهم للسفر إلى الخليج ولنفس الخليجيين المعارضين المحرومين من السفر إلى بلادهم يقول لهم: إنكم لا تستطيعون السفر إلى الخليج والخليج نفسه سافر إلى سورية فالتقوا بشعوبكم هناك وانتهزوا الفرصة الثمينة هذه فإنها تمر مر السحاب.

التنبؤات

لوعي الإمام الراحل (رحمه الله) واستيعابه للأحداث وخلفياتها السياسية كان (رحمه الله) يتنبأ بنهاية مختلف الأحداث منها:

1. تنبأ بانتهاء صرح (الاتحاد السوفيتي) الإمبراطورية الشيوعية العالمية والقطب المنافس عالمياً للولايات المتحدة. تنبأ بذلك قبل عشر سنوات من السقوط، وتنبأ بتحديد المدة أيضاً. فإنهار السوفيات بعد عشر سنوات بالضبط وفق تنبؤ الإمام الراحل (رحمه الله) وكان صرح نبوءته في (بحث الخارج) حيث كان يدرس بحثاً معمقاً في الاقتصاد العالمي والإسلامي، علماً ونظماً، كما سجل نبوءته في كتابه التحليلي الجميل (ماركس ينهزم).

2. تنبأ باحتلال الكويت من قبل النظام العراقي وأطماع جيرانها بها، وقد نقل نبوءته إلى قيادة دولة الكويت حين كان مقيماً هناك فسئل: كيف عرفت؟ أجاب: من الواضح لو أن طفلاً بيده سبيكة ذهب يملكها وحوله عدة من الرجال الأشداد لاشك إن لعابهم يسيل ويخططون لسرقة السبيكة منه، والكويت بلد صغير ضعيف يحوطه من مختلف الجهات عمالقة ثلاثة: السعودية، العراق وإيران، ووفق قرائن وسوابق تاريخية تنبأت بالموضوع. سألته القيادة الكويتية: وما العلاج؟ أجاب (رحمه الله): رفع نسبة الشعب الكويتي إلى خمسة ملايين، وذلك

بتجنيس المقيمين من أصحاب الكفاءات، ووفق ضوابط عقلانية معينة، وارتفاع النسبة معناه إن الكويت ستتمتع بجيش قوامه حوالي سبعمائة ألف إلى مليون مقاتل، حين تتعرض لخطر من جيرانها، فإن كل شعبها بملايينه الخمسة سيهب للدفاع والتضحية فلا يجرؤ الجيران على التحرش بها، لم يقتنع الكويتيون بالأطروحة ووقعوا في الأزمة والخطر.

فمهما قويت المواثيق الدولية كما هي قائمة الآن، فأن مختلف الدول والحركات المسلحة تستصغر الكويت مع وضعها الراهن.

3. وتبأ بخروج قوات صدام التي اجتاحت الكويت، وقال: أكثر مدة لبقائها في الكويت سنة وأقلها تسعة أشهر وهكذا تحققت النبوءة أيضاً.

4. حين اندلعت الانتفاضة الشعبانية عام 1991 م في العراق عبأ كل أجنده وطاقاته للإسناد والدعم وكانت كل الجهات تتفاعل وتنتظر سقوط الطاغية، إلا أن سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) كان يقول: مصير هذه الانتفاضة البطولية سيكون للأسف هو الإخفاق ولا يتحقق النصر على يديها. وكان يقرأ هذه النهاية من خلال الحالة العاطفية العامة في العراق وأجواء انتفاضتها، ولعدم وجود قيادة منظمة وحكيمة وانعدام التحالفات المحلية والدولية وغير ذلك من القرائن التي كان يطرحها أحياناً.

5. تبأ بعدم وفاء السعوديين بوعودهم مع المعارضة التي اتخذ مجلسها القيادي قرار الانسحاب من خنادق المعارضة وإلقاء الراية والاتفاق مع النظام على حوالي أحد عشر مطلباً نشرته الصحافة السعودية. حينها التقت القيادات بسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) فكان رأيه العمل برأي أكثرية قادة المعارضة لكنه أكد لهم: إن السعوديين لا يفون لكم بالوعد وهكذا حدث فعلاً. وهذا الواقع اليوم

أمامنا بعد كل تلك السنوات وتلك المطالب لازالت حبراً على ورق. من تلك المطالب السماح بإصدار صحيفة كبيرة واسعة الانتشار لكن ذلك لم يتحقق إلى اليوم!

6. وكان يتنبأ بنهاية الحرب العراقية الإيرانية، في حين كان يراهن أكثر السياسيين على انتصار إيران على العراق، وإن حركة شعبية ورسمية واسعة تنهض لحكم العراق بعد أن تسقط نظامه، إلا أن الإمام الراحل (رحمه الله) كان يرى خلاف ذلك ويقول: ستضطر إيران إلى الصلح. وقد نقل رأيه إلى القيادة الإيرانية العليا وشخص السيد الخميني، وذلك بعد تحرير خرمشهر، وقال: إن الظروف صالحة الآن للصلح وإلا ستضطرون إليه في ظروف قاهرة وصعبة، إلا أن جوابهم له كان: (إن الصلح مع صدام كفر). وبعد مرور ثمان سنوات قاسية على الحرب الضروس وسقوط أكثر من مليون ضحية من الطرفين رضخت إيران لقرار الأمم المتحدة وقبلت بالصلح مرغمة.

7. وكان يقول للمعارضة العراقية: لن تستطيعوا تحقيق النصر إلا بالتحالف مع القوى الدولية، وإن لم تبادروا فستضطرون إليه، إلا أن المعارضة كانت ترفض التنسيق مع القوى العظمى، ولكن الزمن تكفل بكسر صلابتها فاضطرت إلى المرونة فتحالفت معها وكانت النتيجة سقوط الطاغية بالتنسيق مع القوى الدولية ودخولها للعراق. بالطبع لم يكن رأي الإمام الراحل (رحمه الله) التنسيق معها كي تدخل العراق، وإنما كان ضرورة التنسيق باعتبار العالم اليوم أسرة مترابطة ومعارضته للمجاهدين يسد عليهم طريق النصر.

8. تنبأ سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) بسقوط صدام وقال: بعد تدخل القوات الدولية في أفغانستان وسقوط طالبان فيها سيأتي دور العراق وتتحرك

القوى الدولية لإسقاطه، وهكذا تحققت النبوءة أيضاً وكان يقول بثقة وطمأنينة: صدام زائل عن قريب.

هذه نقاط عاجلة ولا يحضرني الآن غيرها، لكني أعلم أنه (رحمه الله) كان يتنبأ في كثير من الأحداث الدولية والمحلية، والزمن يتكفل بتحقيقها.

ولدى الإمام الراحل (رحمه الله) كراس علمي جميل يحمل عنوان (الغرب يتغير) ويتنبأ فيه بسقوط محورية الولايات المتحدة وسقوط النظام الرأسمالي بواقعه الحالي الذي أخذ يترنح على أثر الأزمات المالية العالمية، إلا أنه يرى إن السقوط ليس لكل النظام ورموزه وإنما تغير النظام مع مرور الزمن. وكما في القضايا السياسية كذلك في القضايا الاجتماعية والاقتصادية كان غالباً يقول رأيه في المستقبل وتصح نبوءاته.

قادة المجاهدين الأفغان يلتقون سماحة السيد الراحل (رحمه الله)

بعد رحيل العديد من المرجعيات الدينية، توجهت شرائح كبيرة من الساحة الأفغانية الشيعية بالتقليد لسماحة الإمام الراحل (رحمه الله). وأتذكر كيف إن علماء ووجهاء وشخصيات أفغانستان قد تواترت على مكتبه وكان أحياناً يضيّق بهم المكان، ويوجهون إلى الجلوس والانتظار في (المصلى) ساحة المنزل، بعد أن تكتظ بهم الغرف كلها. وفي تلك المرحلة كانت الرسالة العملية لسماحته (رحمه الله) تطبع بكثافة وتوزع بصورة واسعة.

ووفق تقديرات أهل الخبرة فإن في أفغانستان حوالي 60 (عليهم السلام) من أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الأفغان قد قلّدوا سماحته، وأتذكر إن فضيلة الشيخ (المجاهد)، وهو من أعضاء وتلامذة السيد الراحل (رحمه الله) الناشطين، كان يوزع

على حوالي (65) مدرسة دينية رواتب شهرية من سماحته (رحمه الله) .

في إحدى الليالي بعد صلاتي المغرب والعشاء وصل إلى بيت سماحته (رحمه الله) حوالي (11) شخصية دينية وسياسية كبيرة من الشخصيات الجهادية في أفغانستان، وكانوا على موعد متفق عليه، وكان ذلك بعد تحالف تسع حركات ثورية مسلحة تجاهد ضد النظام الماركسي والاحتلال السوفيتي لأفغانستان، وصلوا إلى البيت ومعهم حرسهم وكاميراتهم الإعلامية، والتقوا بسماحة الامام الراحل (رحمه الله) في غرفته الخاصة وعرضوا عليه برنامجهم، وكان ضمنهم ممن أتذكر فضيلة العلامة الحجة الشهيد (محمد علي مزارى) الذي غدر به عملاء طالبان حيث كان في مفاوضات معهم فاستشهد ومن معه (رضوان الله عليه)، وقد اقترح عليهم سماحة السيد (رحمه الله) ثلاث نقاط:

الأول: تأسيس محطة بث إذاعي ونفذوا المقترح.

الثاني: تأسيس مدرسة في كل منطقة تحت سلطتهم، واستجابوا للطلب إلا إن ذلك مكلف اقتصادياً وصعب عليهم وفق ظروفهم الجهادية المعتمدة.

أما النقطة الثالثة فلا تسعفني الذاكرة.

وهم بدورهم طلبوا من سماحته (رحمه الله) أن يبعث وفداً إلى هناك لزيارتهم والإطلاع عن قرب على مجريات الأحداث، فلبى طلبهم وبعث وفداً رفيع المستوى إلى المناطق المحررة، وطلبوا أيضاً منه السعي لحل الخلافات الداخلية هناك، فكلف الإمام الراحل (رحمه الله) الوفد المبعوث وأدوا ما عليهم ووجدوا ساحتهم الاجتماعية، ولكن بعد مغادرة الوفد تناهت إلينا الأنباء إن الخلافات تأججت مرة أخرى. وانتهى الاجتماع على اتفاق للتواصل والعمل، وفي ذلك الاجتماع أجاز السيد الراحل (رحمه الله) لهم صرف الحقوق الشرعية داخل البلاد

ص: 166

للمعوزين والمستضعفين وللعمل الثوري الجهادي ضد الأجنحة الشيوعية هناك. من جهة أخرى اهتم سماحة السيد (رحمه الله) كثيراً بقصصهم فطبع لهم الكثير من الكتب وبعث إليهم المساعدات وأصدر كثيراً من وثائق التوكيل الشرعي فحوّل الكثير من العلماء هناك وكالة عنه تسيير الأمور الشرعية والإنسانية، وأسس العديد من المؤسسات هناك لعلها تصل إلى المائة أو أكثر، منها مساجد ومدارس وحسينيات وجمعيات أيتام وحفر آبار ارتوازية وغيرها، وظل الإمام الراحل (رحمه الله) متواصلاً معهم إلى آخر حياته.

الوكالات المرجعية

كان سيدنا الأستاذ الإمام الراحل (رحمه الله) يهتم بهذا الحقل من العمل اهتماماً خاصاً، ويرعى الوكلاء بعناية ويدقق في النصوص التوثيقية في سعة دائرة الصلاحية وضيقتها، وفي اللقب الذي يعطى للوكيل. وكان السيد الراحل (رحمه الله) إن لم يعرف رجل دين معين وقد طلب ذلك الرجل منه الوكالة ولا يعرفه من يرتبط بسماحته (رحمه الله)، يسأله إن كان يحمل وثيقة توكيل من فقيه آخر أم لا؟ فإن كان يملكها فلا يتردد سماحته (رحمه الله) في إصدار توكيل له، وإن لم يملكها يقيم الشخص علمياً ويسأل عن أنشطته ومن يعرفه؟ فإن حصل اطمئنان نسبي به تعطى له الوكالة أيضاً، وإلا يطلب منه تركية من أحد أساتذة الحوزة أو جمع من المؤمنين من أهل المنطقة.

ولم يكن من رأي سماحته (رحمه الله) تركيز الوكالة على شخص معين وإن كان ذا نفوذ وشخصية مؤثرة، وفلسفته في ذلك تتلخص في إن المركزية تؤدي إلى الفردية وتتسبب في إدارة محدودة تثير معارضة كثيرة، لذلك كان يعطي

الوكالات لتعددتها في منطقة واحدة، وكانت لهذه النظرية تبعات سلبية أحياناً، وذلك لعدم وجود نظام للتنسيق المشترك، والعمل الموحد والتحرك في اتجاه متفق عليه، فكانت تحدث احتكاكات وتؤثر سلبيات أحياناً.

وقد كثر وكلاء سماحة السيد (رحمه الله) في بلاد مثل الهند والباكستان وأفغانستان وإيران وكذلك في الخليج والعراق، وقيل إن وكلاء سماحته في باكستان فقط بلغ عددهم حوالي خمسة آلاف وكيل، وذلك لحاجة الساحة إلى الكادر المرجعي الناشط والذي يتحول إلى حلقة وصل بين القاعدة والقمة المرجعية.

وقد ألف الإمام الراحل (رحمه الله) كتاباً يحمل عنوان (إلى وكلائنا في البلاد) ضمنه تسعين نقطة انطلاق للوكيل وهو منهج استراتيجي. على الوكلاء رسم خارطة طريق على ضوئه والتحرك في صفوف جماهير الأمة. وهؤلاء الوكلاء هم الجهاز الإداري للقيادة المرجعية النافذة في وسط الأمة.

أحياناً كانت تقع هفوات في العمل، فذات مرة أصدرت وكالة شرعية بعد تزيكات عديدة، لكن ذلك أدى إلى إثارة وتوترات مع وكيل مركزي كبير - لا أحيد ذكر الأسماء - فسحبت الوكالة من الأول بطريقة ذكية لأنه أيضاً لم يحسن استثمار وكالته بالوجه الحسن.

ولقد توسطت عند سماحته (رحمه الله) لأخذ التوكيل منه لرجال رأيت فيهم الكفاءة، أما المجموعات التي كنت أعمل معها فكلها تحمل وثيقة التوكيل من سماحته وتعمل تحت مظلة مرجعيته وبإسناده. والوكلاء قيادات دينية وعاملون مخلصون. وإنني أرى ضرورة تأليف كتاب تحقيقي حول وكلاء سماحته (رحمه الله) وترجمة حياتهم وشخصياتهم الاجتماعية والعلمية ومؤسساتهم العاملة في الساحة.

كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يرى ضرورة سعي الأفراد لامتلاك سكن، وحين كان إخواننا يعيشون في المهجر - قم المقدسة - لم يكن أحدهم يملك سكناً، فقام السيد الراحل (رحمه الله) بحملة تشجيع وتشويق لانطلاق الأفراد في تأسيس سكن خاص لهم، فكانوا أولاً يقدمون على الزواج ويستأجرون منزلاً يسكنون فيه سنة أو سنتين ويخططون للشراء أو البناء.

وهكذا تحركوا واحداً بعد الآخر ووفروا لأنفسهم المساكن المملوكة لهم. وكانت الخطة لكل منهم أن يستقرض كمية من المال من صناديق الإقراض الخيري (منها صندوق أو بنك جواد الأئمة الخيري، والذي أخبرني أحد مؤسسيه بأنه كان له الفضل في امتلاك اثنتي عشر ألف أسرة للمسكن، ويبيع مصوغات زوجته ويساعده أقرباؤه: والده وأمه وأعمامه وأمثالهم، فيشتري المنزل على شكل أقساط متعددة فيبذل المال الذي كان سابقاً يدفعه للمؤجر يدفعه الآن للأقساط، وكان السيد الراحل (رحمه الله) يساعدهم في المشروع أيضاً.

وإنني حين اشترت، وفق الطريقة السابقة منزلاً صغيراً (42 متراً) قرب مكتب سماحة السيد (رحمه الله) ودعيت من قبله بعد صلاتي العشاءين فحضرت في غرفته المتواضعة وكان بعض العلماء جالسين معه فجلست على يمينه ففوجئت بإخراج يده خفية من ردن عباءته وعلى خلاف عاداته، فأخرج رزمة من المال، وقال: خذها! قلت: ما هذه؟ قال: خذها وضعها في جيبك. فاستجبت، فأردف قائلاً: هدية بسيطة لشراء المنزل. خجلت منه وشكرته وكانت الرزمة ذات مائة قطعة كل قطعة مائة تومان إيراني فكان المجموع عشرة آلاف تومان، وكان ثمن المنزل الذي ابتعته حوالي نصف مليون تومان، كنت قد استقرضت أحد عشر

ألفاً سلفه من صناديق الإفراض في قم المقدسة وطهران. وكان يؤكد في مناسبات عديدة، الاستتجار عمل خاطئ وعلى الإنسان أن يعزم على شراء سكن.

المؤتمرات

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يصر على ضرورة إقامة المؤتمرات والندوات، وقد نفذ ذات مرة إصراره على ذلك، حين طلب كوادر الحسينيات والمؤسسات ونظّم مؤتمراً لثلاثة أيام في مكتبه وصدر له كراس جميل يحمل عنوان (مؤتمرات الإنقاذ).

وكان يقول: إن المؤتمرات الواقعية والتي يشترك فيها أهل الحل والعقد والناشطون في الساحة والتي تستغرق مدة شهر يناقشون كل أطراف القضية (القضية العراقية كأبرز نموذج)، ثم يخرج بقرارات أساسية وينطلق الأعضاء إلى العمل، مثل هذا المؤتمر حين تكرر كل ثلاثة أشهر أو أكثر يوصل المسيرة إلى النصر.

وفي الفترة المشهودة⁽¹⁾ طلب إلي كتابة نقاط حول إقامة المؤتمرات، فسعيت وبالتشاور والمداورة الطويلة مع سماحة السيد محمد رضا الشيرازي (رحمه الله) كتبت نقاطاً عديدة تأسس منها دستور لإقامة المؤتمرات وقرأت النصوص عليه بالتفصيل، فكان يضيف أو يحذف أو يعدل، وطلب إلي بعث نسخة إلى العلامة الحجة السيد محسن الخاتمي، والعلامة الحجة الشيخ حسن الصفار، وفعلت، وفعلاً أقيم مؤتمر في الشام جرى فيه تداول أمور مشتركة كثيرة ومهمة، لكن قطف الثمار يتطلب مواصلة عقد المؤتمرات، والشخصان كلاهما كانا منغمسين

ص: 170

1- نسبة إلى مدينة مشهد.

في العمل والمسؤوليات الكبيرة، فلم تتواصل عندهما حركة المؤتمرات.

ولكن بعد هجرة سماحة السيد المرتضى حفظه الله إلى الشام استمرت المؤتمرات السنوية وكانت ذات تأثير إيجابي ملحوظ.

وفي الإجمال كانت المؤتمرات في منظومة الفكر الإسلامي المرجعي لسماحة الامام الراحل (رحمه الله) لها دور أساسي في تقدم العمل إلى الأمام، وإنقاذ الأمة من الهاوية كما في الهند التي قامت ثورتها العملاقة عام 1948 م على سلسلة طويلة من المؤتمرات الإستراتيجية المتواصلة والمتقنة والتي تنطلق منها ماكنة العمل فينتج النصر المؤزر في النهاية.

كتاب (الأصول) وتدرسه في الحوزة

هذا الكتاب (الأصول/مباحث الألفاظ/والمباحث العقلية) كتاب متميز لمن يستوعبه ويفهم لبابه، وكتبه سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بعناية فائقة وبأسلوب علمي، ضمنه نظرياته الأصولية التي أبدع فيها ولم يسبقه بها أحد، من جهة أخرى إنه في الوقت الذي نafs كتاب (كفاية الأصول للمحقق الخراساني) في العمق امتاز عنه بطرح النظريات الأصولية التي أبدعت بعد مرحلة (الكفاية) مع مناقشتها وسبر أغوارها، مثل نظريات المحقق اليزدي والميرزا الشيرازي الثاني وغيرهما، كما أنه اهتم باستيعاب الفروع الأصولية العلمية وإيفاءها حقها من البحث.

مع هذه الخصائص ولدت فكرة تدريس الكتاب ونضجت مع مرور الزمن وتحمل العالم الجليل السيد عسكر العلوي (رحمه الله) الذي كان من الأعضاء الناشطين في تحمل المسؤولية في مكتب سماحته لفترة معينة، والتقى مع العالم

الجليل آية الله السيد حسين الشاهرودي نجل المرجع الكبير الراحل السيد محمود الشاهرودي وطرح عليه موضوع تدريس هذا الكتاب، فكان منه أن طلب نسخة من الكتاب طالعه وأعجب، به فتصدى لتدريسه وحضره نخبة من فضلاء إخواننا وتواصلوا معه إلى النهاية.

كما تصدى - حسبما أتذكر - آية الله الشيخ الدوستي لتدريس كتاب (الفقه - البيع) والذي هو الآخر من كتب سماحته (رحمه الله) المتميزة.

وتصدى سماحة الأستاذ الفاضل الحجة الشيخ جعفر الهادي (حفظه الله) لتدريس كتاب (الفقه - الاجتماع).

وتصدى فضيلة الأستاذ الحجة السيد محمد باقر الفالي (حفظه الله) لتدريس كتاب (الفقه - السياسة).

ونقل عن الأستاذ الكبير آية الله الشيخ أحمد الباياني - رحمه الله - إنه لو لم يقع في محاذير أمنية من جهة متشددين معينين لكان يتصدى لتدريس كتاب (الفقه - البيع) بصورة عامة، ولو تحقق لحضر بحثه أكثر من ألف تلميذ فاضل. لكن الظروف عاكسته ولم يستطع تحقيق ما يصبو إليه ويعتقد به.

وتدريس كتاب (الأصول) ومن قبله أستاذ قدير وفاضل، طرح وزن الكتاب في الأوساط الحوزوية وعرفه للكثير ممن لم يعرفوه، وقد سعت جهات منافسة ومتشددة لإيقاف ذلك الدرس، إلا أن الأستاذ الشاهرودي كان يعتقد بقناعة تامة بمستوى الكتاب وجدوائية تدريسه وتحدي من تحداه وأكمل الدرس إلى النهاية. وكان ذلك الموقف تأييداً مدوياً للكتاب والمؤلف مما ترك تموجاته الإيجابية في الوسط العلمي في قم المقدسة.

قرر الإمام الراحل (رحمه الله) في مرحلة من مراحل العمل نحن لم نشهدها ولكن بلغتنا بطرق متعددة وممن اشتركوا ضمن ذلك النشاط الخاص، قام (رحمه الله) عبر وسائط الإداريين بانتقاء مجاميع عشرية كل مجموعة (10) أعضاء يجتمع معهم بشخصه (رحمه الله) اجتماعاً مركزاً أساسياً وتربوياً، وينقل إليهم لباب تجارية وخلاصة أفكاره ومبادئه، يلتقي مع العشرة لمدة عشرة أسابيع، ثم يطلب منهم العمل ضمن مؤسسة معينة واللقاءات تستمر من الصباح إلى الظهر ويتناولون طعام الغداء في منزل سماحة السيد (رحمه الله) . بعد انتهاء الأسابيع العشرة يقترح عليهم تأسيس مشروع والعمل ضمنه أو الانخراط في مشاريع قائمة لغرض تقوية جهازها العامل.

إحدى هذه المجاميع العشرة طلب منها سماحته (رحمه الله) تأسيس حسينية في محافظتهم (أصفهان) ومنطقتهم تقع في (جلفا) وهي منطقة أغلب ساكنيها من المسيحيين، جرى الحوار بين الشباب والسيد الراحل (رحمه الله) حول كيفية التأسيس، فقال لهم: تذهبون إلى دور المنطقة واحدة بعد أخرى تطرقون الباب وتطلبون رب البيت وتطرحون عليه المشروع إنكم تريدون تأسيس حسينية في المنطقة هل إنه مستعد للتعاون، وكيف؟ ثم أردف: قد يردكم عشرة منهم، خصوصاً وإن المنطقة مسيحية لا تعتقد بالشعائر الحسينية.

وهكذا كان الأمر كان الأغلب يقابلونهم بالضحك على عقولهم والسخرية إلا أن أحدهم قال: نعم أنا مستعد للتعاون، قيل له كيف؟

قال: عندي أرض هنا أتبرع بها! ففرحوا بذلك ودلهم على الأرض

وكانت خربة ومعبأة بالنفايات وفيها شيء من البناء المتهالك.

فبدأوا بأنفسهم يهدمون البناء وانطلقوا في عمليات التنظيف، ومر بهم رجل من المنطقة فتفاعل مع المشروع، وقال: أجرة نقل الأتقاض ودفن الأرض في ذمتي.

وهكذا أعدت الأرض للاستغلال فنصبت خيمة عليها وأطل موسم محرم حيث ذكرى استشهاد أبي الأحرار الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) فأقيم في المنطقة مجلس حاشد وناجح وأعضاؤه من جيل الشباب وأطلق على المشروع (حسينية بيت العباس (عليه السلام)).

ومع مرور الزمن تألق المشروع وبعد مخاض ليس بالعسير كثيراً وتأسست الحسينية المتميزة وحازت (الدرجة الأولى) في أصفهان وأصبحت حرماً ثقافياً ومركزاً لعشرات ومئات البرامج المتنوعة كالمسابقات والدورات الصيفية والنشر الثقافي إلى غير ذلك.

بعد فترة من الزمن حيث عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام) ألقى السيد المرجع آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) خطاب عاشوراء في مساء يوم العاشر، حيث أجواء الحزن الثقيل والظلام والمصاييح الحمراء التي ترمز إلى سفك الدم المظلوم على تربة كربلاء المقدسة؛ واقترح سماحته تأسيس قناة باسم الإمام الحسين (عليه السلام) ..

فما كان من هؤلاء الشباب العشرين من تنظيمات سيدنا الأستاذ الراحل (رحمه الله) إلا أن تصدوا بعزم وإرادة لتأسيس هذه القناة وبعد أشهر انطلقت فضائية الإمام الحسين (عليه السلام) الناطقة بالفارسية، وتبث على مدار الساعة مختلف البرامج الثقافية والعبادية والحسينية.

نعم هكذا انطلق الكوادر الذين ربتهم حركة السيد (رحمه الله) التنظيمية وإنني أعرف نماذج منهم هم اليوم في الطليعة في ميادين العمل الإسلامي وكنموذج فضيلة الشيخ مصطفى محمدي والشيخ رسول بهنام فكانت حركة السيد الراحل (رحمه الله) مبعثاً للخير والبركة للأعضاء أنفسهم وللمجتمع. وقد كان (رحمه الله) يركز على النوعيات الجيدة من الشباب تلك التي تتمتع بالذكاء والوعي والنشاط والذين لا يضيع الجهد الذي يبذل عليهم.

لكن هنا ملاحظة هي إن هذا العمل كان بحاجة إلى تشكيل قيادة مركزية تلتزم باجتماع أسبوعي وفق نظام معين لتدير وتواصل الحركة كي تدرس أسبوعياً المشكلات والتطورات وتكوّن حلقة وصل بين تلك الخلايا والكوادر، فكان العمل كله يصب في مصب واحد وألا يتبعثر، وإنني احتمل إن سماحة السيد الراحل (رحمه الله) كان لازال يواصل حركته التنظيمية وينتظر الفرصة المناسبة لتشكيل (القيادة المركزية) أو لأي سبب آخر لأن السيد الراحل (رحمه الله) كان يفهم هذه المعادلة فهماً دقيقاً ويرشد ويدعو بالحاح إلى تأسيس منظمة إسلامية عالمية ومن دون ربط الخلايا بعضها ببعض يستحيل تكوين نواة المنظمة الحالية.

المؤسسات

المجتمع الحي والسليم والمنتج هو ذلك الذي يعتمد على مؤسسات المجتمع المدني بكل مجالاتها وأنواعها وأهدافها وأنشطتها، وهذه قاعدة كان الإمام الراحل (رحمه الله) مقتنعاً بها وداعياً لها بعمق. من هنا فإنه بذل الجهود الطائفة والمتواصلة لتأسيس مختلف مؤسسات المجتمع المدني الدينية المحضنة كالمساجد، أو الحسينيات أو المراكز الثقافية أو الجمعيات الخيرية أو المدارس أو المكتبات وما شابه ذلك، صغيرة وكبيرة، وهذه المؤسسات تحولت كلها إلى مراكز لتقديم الخدمات

غير الانتفاعية للمجتمع، ويكفي أن نذكر نموذجاً واحداً من رجالها وهو العلامة الحجة الشيخ علي حيدر المؤيد الذي أسس حوالي (44) مسجداً. وقد ألف أحد الكوادر وهو (عبد الأمير فولاد زادة) كتاب أرشف ووثق فيه حوالي (1000) مؤسسة.

كثير من الوكلاء المعتمدين أسسوا المؤسسات والمراكز، وكذلك الكثير من تلامذته الذين عممهم وتولى تربيتهم، والشباب أعضاء المجاميع العشرية المنظمة، وكثير من الذين زاروه واستمعوا إليه .

أذكر ذات صبيحة جمعة قبيل الظهر زاره عالمان وعرفا أنفسهما بأنهما من لبنان، في الأربعينيات من العمر، وكعاداته طرح عليهما جملة من الأسئلة عن أحوالهم وأنشطتهم ومناطقهم وسألتهما هل إنهما يؤمان الجمع في مسجداً؟ أجابا: نعم، فانبرى الشيخ وقال: سماحة السيد في صيف العام الماضي زرناكم وسألنا نفس السؤال وأنا لم أكن إمام جماعة لعدم وجود جامع في المنطقة فقلت لي: أسسوا مسجداً وصل فيه بالناس فاستجبت لنصيحتكم فبنيت مسجداً وأنا الآن إمام ذلك المسجد!

هكذا كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يؤسس، ويشجع أصدقاؤه ووكلاؤه وزائروه على تأسيس المؤسسات، فهو (رحمه الله) مرجع المؤسسات بحق. والجدير بالذكر إن المؤسسات كلها تقريباً تبدأ بمخاض عسير ومسيرة صعبة وديون، وبعد ذلك مع مرور الزمن تتطور وتتألق وتسدد الديون وتنتج للمجتمع، كان هذا شأن وواقع المؤسسات مطلقاً. نموذج (حسينية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)) في الكويت و (مستشفى سيد الشهداء) في طهران و (مستوصف سيد الشهداء) في دمشق - حي السيدة زينب (عليها السلام) وغيرها، وحوالي عشرة بنوك

خيرية في إيران. ومؤسسات سماحته (رحمه الله) تعد بالآلاف في مختلف أنحاء العالم وفي كثير من البلاد. وهذا الموضوع أيضاً من المهمات في تاريخ مرجعية سماحته (رحمه الله) ويستحق تأليف كتاب خاص نرجو أن يقيض الله من يتحمل هذه المسؤولية النافعة والمشجعة للآخرين للاقتداء والتأسيس.

لقطات

كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يحترم بشكل متميز الشخصيات المرجعية سواءً في حياتها بالتعامل الإيجابي والتعاون وبعد رحيلها كذلك، وكان (رحمه الله) يهتم بإقامة مراسيم الفاتحة لتلك الشخصيات بعد وفاتها. وفي رحيل السيد الخوئي (رحمه الله) أقام الفاتحة ثلاثة أيام وحضرها بشخصه من الصباح إلى أذان المغرب مساءً. إضافة إلى ذلك أمر بإعداد وجبات كبيرة من الطعام لإطعام الآلاف من المعزين وغيرهم في برنامج عام ومفتوح.

ومما أتذكره في هذا الصدد أيضاً إنه (رحمه الله) في كربلاء المقدسة عام (1970 م) وهو العام الذي رحل فيه المرجع الكبير السيد الحكيم (رحمه الله) أقام سماحته الفاتحة طوال ثلاثة أيام متصلة صباحاً وعصراً وليلاً، وأمر بإعداد الطعام لآلاف من المشيعين والمعزين وكان التوزيع من قبو (سرداب) الحسينية الطهرانية والتي أطلق عليها فيما بعد (حسينية الإمام علي (عليه السلام)).

* مرة سألت سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) هذا السؤال: إن عالم اليوم متميز في مختلف المجالات فهل يجب على المسلمين وعلى رجال الدين أن يتميزوا؟ بمعنى: أن يرتقي الخطيب إلى القمة والمؤلف كذلك والمؤسسات وكل الأنشطة تسعى للتفوق والتميز؟ أجب: نعم، وهذا مقتضى الحديث الشريف: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) ويعلو الدين بعلو كفاءاته وامتياز رجاله.

* اعتصم في منزله لمدة طويلة، حوالي عشرين عاماً مستنكراً المظالم والخروقات ضد الدين ومبادئه ومفاسد خط المتشددین الذين عاثوا في الأرض الفساد ولم يخرج من منزله إلا حين استهدف في مرحلة قصف المدن حيث اعترف الطيار الأسير إن هذه المنطقة في قم المقدسة هي ضمن المناطق المستهدفة وهو لم يدر إنها تضم منزل سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) فكان أن قصفت منطقة بالقرب منه ولم يلحق المنزل إلا أضرار طفيفة فخرج سماحته (رحمه الله) وسكن في قبو حسينية (دار الحسين (عليه السلام)) في ظروف صعبة وغرفة صغيرة هي في الأصل مخزن لبعض الأثاث وكنت مرة جالساً عنده وأرى الفئران تخرج واحدة تلو الأخرى آخذة حريتها دون رادع أو مانع، فطلبت إلى بعض العاملين شراء مصيدة لاستنقاذ غرفته من عبثها وإيذائها، بعد أيام هاجر سماحته (رحمه الله) إلى مشهد المقدسة وأقام فيها بعد زيارة واحدة للإمام الرضا (عليه السلام) دون أن يخرج منها إلى حين عودته إلى قم المقدسة.

وخرج مرة أخرى للعلاج في طهران ولإجراء عملية جراحية واستغرقت عدة أيام قليلة ولأجل الظروف الأمنية القاسية عرف الأطباء بأنه عالم من خوزستان وقد أعجبوا به كثيراً ونصحهم وأرشدهم إلى ما فيه صلاحهم. وكان الذهاب والإياب محاطاً بمنتهى السرية والكتمان.

ومرة أخرى خرج من المنزل لأقل من ساعة زار فيها السيد المرجع الكلبايكاني (رحمه الله) في مرضه الذي آل إلى وفاته ولم يخرج بعدها إلا بعد أن أصيب بجلطة دماغية ولبى نداء ربه في صبيحة الثاني من شوال المكرم بعد عيد الفطر من عام 1423هـ- (حسبما أتذكر) وذلك في مستشفى الكلبايكاني في قم المقدسة.

* كان يرى إن البحوث العلمية الحوزوية غزيرة النفع، ولا يجبذ ترك

المناهج القديمة والاقتصار على الحديثة، وكان يرى الجدوائية والنفع في الجمع بينها، وبين الحوزة حيث لا تترك دراسة كتاب (المطول) في علم البلاغة و(أبواب الانسداد) من رسائل الشيخ الأنصاري (رحمه الله) وقال مرة: إن في أبواب الانسداد من الرسائل بحر من العلم! كان يرفض إلغاء تلك المناهج ومنها: (القوانين في الأصول) للمحقق القمي (رحمه الله). ويؤكد على دراسة تلك المناهج للطلاب الجادين والذين يطمحون إلى الارتقاء في مراقي العلم الحوزوي وكسب القدرة الفائقة في التحقيق والدقة العلمية.

* حين اشتدت قبضة الجناح المتشدد من المخابرات على الحوزة العلمية وبدأت تزرع الجواسيس في المدارس الحوزوية لرصد تحركات الطلاب واختراق صفوف وبرامج بعض المدارس كان رأي الإمام الراحل (رحمه الله) ضرورة وجود المخابرات المضادة وقال لي مرة: أوصلوا الخبر إلى السيد حسن القزويني - وهو ابن أخت سماحة السيد الراحل (رحمه الله) - والذي كان يدير مدرسة علمية حوزوية بضرورة وجود شبكة مخابرات مضادة في مدرسته وإلا فإن الخصوم يستهدفونها من داخلها ويجري الماء من تحت أقدامه وهو لا يدري!

* وذات مرة حين اشتدت الحملات العسكرية في حرب إيران والعراق وكثرت الضحايا وخربت المدن، أمر سماحته بإقامة برنامج الدعاء ووضع المصاحف الشريفة على الرؤوس وأجري البرنامج بعد صلاتي العشاءين في مصلى منزله بنفس الطريقة التي تؤدي في ليالي القدر في شهر رمضان المبارك، حيث يقسم الداعي على الله تعالى عشر مرات بنفسه ويقول: بك يا الله. ثم بعشر مرات بكل واحد من المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام).

وكان أحياناً ينظم برنامج للصلاة على النبي وآله (عليهم السلام) أربعة عشر ألف

مرة (14000) فيجتمع عشرة أفراد تقريباً ويقسمون الأربعة عشر ألف عليهم ويدهم المسبحات ويبدؤون كل واحد يصلي على النبي وآله: (اللهم صل على محمد وآل محمد) إلى أن تنتهي الختمة كاملة فينفض الجمع. كان يقول السيد الراحل (رحمه الله): إن هذه تؤثر في إجابة الدعاء.

* كان يقول (رحمه الله): إن مشكلتنا في عدم قدرتنا لأداء المسؤوليات الكبرى وإنقاذ المسلمين، إن كادرنا لا زال قليلاً وضعيفاً، ولا يعتقد بالذي نريد تحقيقه.

* وذات مرة في مشهد الرضا (عليه السلام) كنت أطلب منه كمية من المال وقد صرفته من قبل، فطلبني إلى غرفة سكنه البسيطة فدخلت وجلست فجاء بقطعة مربعة من القماش الأبيض وبسطها على الأرض ثم جاء بكيس من أكياس السكر أو الرز والذي يسع لـ (50) كيلو، ممتلئ أكثر من نصفه بنقود غير منتظمة وأفرغه على قطعة القماش وبدأ ينظم الأوراق النقدية، وكانت هذه من الحقوق الشرعية نقلها إليه أحد وكلائه الأفغان من مقلديه فكانت النقود حجمها كبير واعتبارها صغير، فنظمتها تلك الأموال وأحصيناها وقدم لي المقدار المطلوب وودعته وخرجت.

* حين كان يقيم مجالس العزاء بمناسبة محرم وغيره كان (رحمه الله) يحضر من أول المجلس إلى آخره ويستقبل الناس بعده ويحترمهم ويحبهم على مسائلهم ويقضي حوائجهم وكان يصغي إلى الخطيب إن كان حديثه علمياً ونافعاً، ويستغرق في التفكير إن كان الحديث مكرراً وسطحياً.

التعبئة للهجرة

* كان يركز على ضرورة الهجرة إلى خارج البلاد ويعتقد إن إنقاذ البلاد

الإسلامية يتم من خارجها لأن أنظمتها شمولية وقاسية، لذلك كان يركز (رحمه الله) على الهجرة ومن الذين اقتنعوا بمغادرة البلاد وهاجروا وكانت هجرتهم منعطفاً في حياتهم أصحاب السماحة السيد مرتضى القزويني والشيخ نديم الطائي والشيخ عبد الحميد المهاجر وغيرهم كثيرون، وانتهت النوبة إلى هجرة أبنائه فهاجر السيد الرضا (رحمه الله) إلى الكويت والسيد المرتضى إلى سورية وغيرهم كذلك.

التخطيط للمستقبل

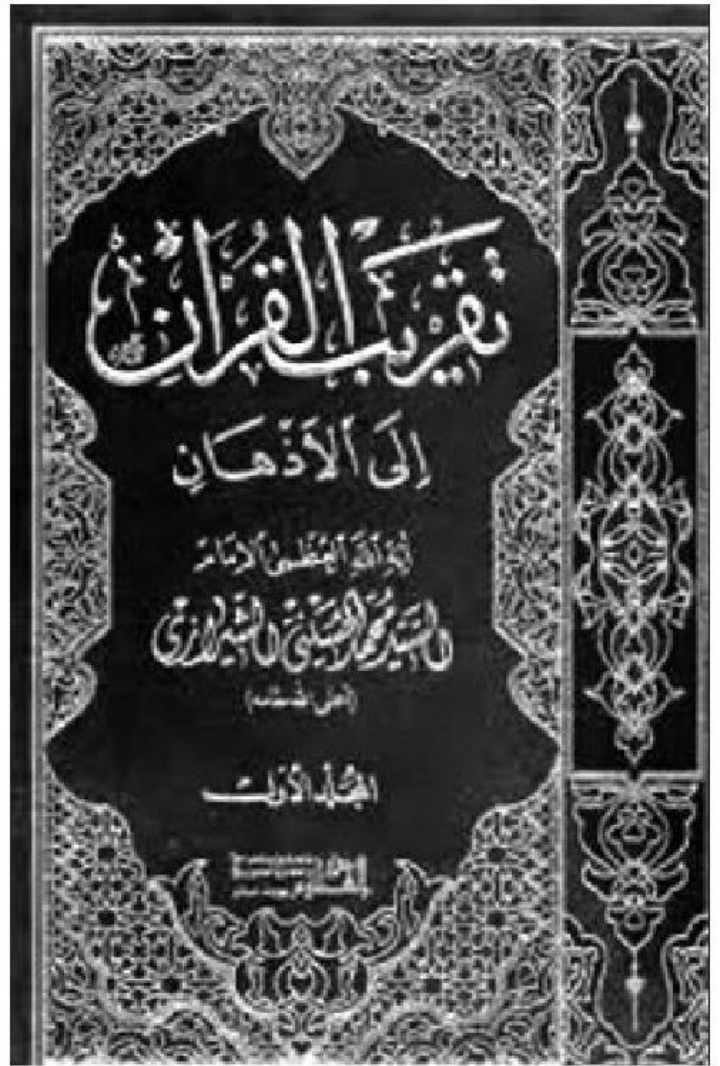
وحيث كانت المرجعية هي القيادة الشرعية ورايتها في زمنه كانت بيده، خطط سماحته (رحمه الله) للمستقبل، فكان يشجع جهات معينة للعمل المرجعي إلى أن كتب وثيقة واضحة وتوجيهية أكد فيها إن سماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) قد بلغ مرتبة سامية للاجتهد وهو أهل للفتيا وتصدي المرجعية، وهذه حقيقة مؤكدة وإن السيد الصادق هو كبير آل الشيرازي وعميدهم وأستاذهم يتمتع بكفاءات في القمة وفي الساحة الحوزوية يعتبر من الرموز الأولى التي يشار إليها بالبنان ونحن نعتقد باعلميته المطلقة فقهياً وأصولاً وغيرهما، وهذا التوجيه من الإمام الراحل (رحمه الله) ليس لكون المرجعية منصباً دنيوياً يرثه الصغار عن الكبار كالقيصرية، بل لأنها مقام روحاني ديني لا يصلح إلا لأهله وشروطه في غاية الصعوبة ولا تتوفر في أي كان. وفي بعض حوزاتنا تجرد المتصدون عن الشروط الواقعية للمرجعية ورفع إليها من ليس لها بأهل؛ لذلك لزم التوجيه من المرجع السابق ونعم ما صنع الإمام الراحل (رحمه الله) وتوجيهه في محله وكان من أشد الضرورات وإن لم يفعل ذلك لكان يلام على موقفه وتبعثر الساحة التابعة لخطه ومدرسته.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد في توصياته بقوله: لاتردوا أحداً فالمراجعون المعوزون وأصحاب الحاجات من أي طبقة ومستوى اجتماعي لا تردوهم وإن استدعى الأمر الدعم القليل والرمزي. ورد في الحديث ما مضمونه: (لا تستح من القليل فإن المنع أقل منه)⁽¹⁾. لذلك كان المراجعون يقدم لهم مبلغ رمزي وزهيد لكنه مشفوع بالاعتذار وكنا نقول لهم: العين بصيرة واليد قصيرة معذرة منكم، وكان الطرف الآخر يستلم المبلغ تبركاً لأنه من أموال المرجعية وتابعة للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف). وفي أحيان قليلة بل أقل من القليل كان الطرف الآخر تأخذ الأنفة والعزة ويرفض الاستلام فكان الرد منا الاحترام ومحاوله رفض الرد وتكرار الاعتذار والاعتراف بحقه لكن الظروف الاقتصادية خانقة!

كتاب الله

كان يبذل اهتماماً خاصاً بالكتاب العزيز منذ أيام العراق، فقد أسس ست مدارس لحفظ القرآن الكريم للشباب من الجنسين، وكان كتاب (تقريب القرآن إلى الأذهان) ضمن المناهج الدراسية الهامة. وألف (رحمه الله) أربع تفسيرات للقرآن هي: (تقريب القرآن إلى الأذهان) و(تبيين القرآن) وتوضيح القرآن والتفسير الموضوعي.

الصورة



1- روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): « لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّ الْجِرْمَانَ أَقْلُ مِنْهُ » / نهج البلاغة: المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام)
.65:

وألف أيضاً (الفقه - القرآن الحكيم) ضمنه بصورة استدلالية مختلف المسائل الفقهية المرتبطة بالقرآن الكريم وفيها فروع إبداعية جديدة وطرحها بصورة تصلح مواداً دراسية في الحوزة. ولقد سمعته في بحث الخارج يقول: يلزم تدريس القرآن في الحوزات العلمية كتدريس السطوح - الكفاية والمكاسب والرسائل - وأضاف: كذلك (نهج البلاغة) و(الصحيفة السجادية) يلزم تدريسها في الحوزات لكتب السطوح.

التواصل

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يتواصل مع أصحابه في مختلف أنحاء العالم وبأية وسيلة ممكنة، وكانت إحدى وسائله السريعة والمؤثرة حين يزوره شخص من بلد معين يسأله عن أصحابه ووكلائه في تلك المنطقة، ثم حسب الضرورات ومستوى الأفراد كان يأخذ دفتر الإيصالات الموضوع أمامه دائماً، لأن كثيراً من مقلديه يسلموه مقداراً من الحقوق فيسجل لهم الإيصال بنفسه سريعاً وفي الوقت ذاته، ويقطع الورقة ويسلمها لمن سلمه حقاً من الحقوق، فتبقى قطعة أخرى على الجانب الأيسر ليسجل عليها معلومات عن الإيصال المسلّم، إن هذا القسم يبقى عاطلاً مطبوعاً عليه الاسم وكمية المبلغ والتاريخ، لكن السيد (رحمه الله) لم يعبأ بذلك ولم يعتبره ضرورياً ضمن نظامه فكان يقطع ورقة ويكتب خلفها رسالة إلى كواده وفي أنحاء العالم يضمونها أهم توجيهاته لهم ويسلمها إلى الشخص الزائر بعد أن يطويه مرتين أو ثلاث، دون الالتزام بطرف خاص أو عنوان أو غير ذلك من البروتوكولات المعهودة.

هذا وإن الظروف الأمنية كانت تتطلب: الاختصار وصغر حجم الرسالة كي يكون إخفاؤها ميسوراً ويوصل القرار إلى الكوادر بلا عناء أو جهد أو

بروتوكولات أو ما شابه. وإنني احتفظ بالعديد من هذه الرسائل المختصرة في أرشيفي الخاص.

الفكر الحضاري

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يؤكد على جملة من الأفكار المركزية والتي تعتبر ضمن مشروعه النهضوي المتميز، منها:

* اعتماد (السلم) في العمل وكان يرفض حتى المشاعر القلبية السلبية تجاه الآخرين ويعتبرها مرحلة من الخشونة، فنظرية السلم عنده مع الصديق والعدو، وفي الكلام والعمل والقلب، وأكثر من التأليف في هذا المجال، وكان يقول لنا: (السلم نبتة لا تهزها العواصف).

* التعددية واحترام رأي الآخر، حيث إن الرأي الحر من أوليات الحقوق الإنسانية وكل من له رأي جدير بأن يحترم ولا يجوز بحال من الأحوال أن يدان الآخر لفكر ورأي يتبناه، وكان يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحترم حتى الكفار والمنافقين ويتعامل معهم بالتي هي أحسن ما لم يحملوا السلاح ضده.

* ويعتقد (رحمه الله) بصورة أساسية بضرورة عقد مجلس تنسيق للمرجعيات الدينية العليا، وكان يعبر عن ذلك ب- (شورى الفقهاء) أي المراجع، وإن عدم الشورى يؤدي إلى الفردية في القيادة وهذا معناه مصادرة دور المرجع الآخر، مما يؤدي ذلك إلى التشرذم والضعف واستقواء الأعداء. ولا يمكن إدارة الأمة الشيعية في العالم بمرجعية واحدة، لأن كل الطاقات لو خاضت الميدان لم تبق مساحات من هذه الأمة بلا قيادة وبلا رعاية وعناية، فكيف إذا انفردت جهة واحدة؟

* ومن نظرياته الأساسية وجوب إحياء الآيات الخمس المنسية وهي:

ص: 184

الأولى: آية الشورى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ).

الثانية: وآية الإخوة الإسلامية: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ).

الثالثة: وآية الأمة الواحدة: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً).

الرابعة: وآية الحريات: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ).

الخامسة: وآية المسالمة واللاعنف: (أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً).

وكان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يركز في إلقاء المحاضرات عليها وفي الاجتماعات الخاصة ويؤكد: إن تخلف الأمة الإسلامية سببه يكمن في نسيان هذه الآيات الخمس.

* ومن مبادئه التي ركز عليها كثيراً ونظر لها ودفع باتجاهها هي ضرورة (تشكيل المنظمة الإسلامية العالمية) وإن ذلك يتم عبر تنظيم مؤتمر لتأسيس النواة المركزية، ثم تقسيم الأعمال وتنظيم لجان والانطلاق للعمل وحول هذا الموضوع تحدث في كتابه (السيبل إلى إنهاء المسلمين) وغيره.

* ومن مبادئه أيضاً ضرورة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الحياة دون الحيد عنها يميناً أو شمالاً لا شيء آخر على أنه (أحكام ثانوية) ويطبق باسم الإسلام. فمثلاً كان يرى ويؤكد ضرورة تطبيق نظام (إحياء الموات) وفق الضوابط الشرعية ونظام (الضرائب الإسلامية) ونظام (إقامة العدالة دون عنف) إي مكافحة الجرائم والانحرافات بالطرق الثقافية وتغيير القناعات لا بطرق الضغط والخشونة، وكان دوماً ينتقد الإعدامات والضرائب والروتينات الإدارية المتعبة.

* وكان يرى ضرورة بقاء الحوزات العلمية على ما هي عليه وتأسيس

(جامعات علمية حوزوية) إلى جانبها، لا إلغاء هذه الحوزات التي خُرجت أعظم الفقهاء وفطاحل العلماء والأدباء والمفكرين الإسلاميين.

* وكان يرى أيضاً ضرورة الخدمة الواسعة لمختلف شرائح المجتمع عبر مختلف أنواع المؤسسات الإنسانية والثقافية، وكان (رحمه الله) يقول: إن المؤسسات أساس لقوة المجتمع.

* ويؤكد على ضرورة الزواج المبكر.

* وضرورة تقوية الحوزات العلمية.

* وضرورة تقوية ونشر مختلف أنواع الشعائر الحسينية بكل هذه الأساليب والطرق التي تنفذها جماهير الأمة الشيعية في كل مكان ولا يجوز تضعيفها وبأي حال.

* وكان يرى ضرورة البساطة في العيش وإن هذه التعقيدات المعاصرة تضاعف المشكلات وتزيدها تعقيداً وكتب في هذا المجال كثيراً، وما كتبه هو مؤلفه الجميل (بقايا حضارة الإسلام كما رأيت). فكان يركز على البساطة في الزواج والسفر والسكن والضيافة وكل شيء.

* وضع برنامجاً متكاملًا للوكلاء ماذا لهم وماذا عليهم وكتب كتاباً ضمنه (90) نقطة وأسماءه (إلى وكلائنا في البلاد).

* وكان يرى: إن المرجعية الواعية والناشطة هي القائمة على قاعدة (جمع الكل) فتتحول إلى خيمة ينضوي تحتها أبنائها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، فلا تتخذ المرجعية موقف التضاد من أي جهة أو فرد بلغ الأمر ما بلغ، إلا الطغاة الذين يلزم تجريد كل الطاقات ضدهم بالطرق السلمية. وشعار (جمع الكل) استراتيجي معتمد في منهجه.

* وفي قضية (ثبوت الهلال) لشهر رمضان أو شوال، كان يحترم آراء الجهات المرجعية الأخرى ويرى لزوم التنسيق معها ولم يكن ينفرد بالإعلان، لأن ذلك معناه تشطير المجتمع إلى قسمين وإثارة البلبله واللغظ والسلبية.

* كان يرى (أصالة العمل) ولا يعبأ باللغظ والانتقاد والمعارضات، لأنه إن اقتنع بأمر ما يرى ضرورة الجهاد في سبيل تنفيذه، لأن شرائح المجتمع لا تتفق على أمر واحد مطلقاً فكل منهج ومؤسسة ومشروع يحظى بمؤيدين ومناصرين من جهة وبمعارضين مشبطين من جهة أخرى.

* كان يؤكد على (أصالة التحصيل العلمي) والارتقاء إلى أعلى المستويات ويوصي تلامذته وأصحابه بضرورة (التملي من العلم) لأن (طلب العلم من المهد إلى اللحد)⁽¹⁾ حسب النص النبوي الشريف.

* ومن حركته الإصلاحية اعتماد (التأليف) كوسيلة للتثقيف والتغيير، فكتب كثيراً وشجع على الكتابة، ورعى على التأليف كثيراً، وما أكثر من ألفوا بناءً على تشجيعه وتوصياته وتبرعاته النسبية للطبع. وإنني كتبت (شورى الفقهاء المراجع) و (محنة الأثرية في العراق) بناءً على تشجيعه، ومثلي كثيرون! وقد قال الدكتور (محمد حسين الصغير) رئيس جامعة الكوفة لي ولغيري: (إن السيد الشيرازي علم شباب العراق على التأليف). وما كان يلتقي واحداً من الطبقة المثقفة إلا وأوصاه بالتأليف، وكان يوصي رجال السياسة خصوصاً وغيرهم بكتابة (المذكرات) ومن الذين أوصاهم سماحة آية الله السيد مرتضى القزويني وسماحة الحجة الشيخ نديم الطائي وغيرهما، وأنا ممن أوصاه سماحته بكتابة المذكرات لذلك توجهت إلى هذا الأمر نسبياً وأكتب اليوم هذه السطور كمذكرات

ص: 187

1- روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ». / نهج الفصاحة: 218.

تسع سنين من رحيل سماحته (رحمه الله) .

* وكان يؤكد كثيراً على ضرورة اهتمام العالم بالخطابة وأن تكون الخطابة علمية ومتميزة وقد طبق نفسه المثل في ذلك، فكان يخطب باللغتين الفارسية والعربية وكان يهز أحياناً كيان المستمعين ومشاعرهم ويجري دموعهم.

وذات مرة خطب في أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) وذكر معاجز الرأس الشريف ثم بكى وبكى وخنقته العبرة وبكى معه الجمهور وأغمى على أحدهم لشدة الفجعة وعجز لعمق أثر المحنة عليه من مواصلة الحديث ونزل عن المنبر فراقه الخطيب الحسيني الراحل السيد أحمد جبرائيل (رحمه الله) وأتم المجلس.

القضاء

إن من أهم حاجات الناس للعالم الديني احتياجهم إلى قضاؤه وفصله للخصومات الاجتماعية والاقتصادية وما أكثرها اليوم، وإن محن مجتمعاتنا المعاصرة إنها ضحية رخيصة للنزاعات التي تحرق فيها الأخضر واليابس وتستهلك طاقات هائلة وكثير منها تترك عالقة ولا تحل إلى سنوات طوال لتشدد الأطراف المتخاصمة.

رجل الدين باعتباره عالماً أولاً، ولكونه موضع ثقة الناس، يلجأ إليه الكثيرون أملين منه فصل خصوماتهم، والمرجع الديني هو النموذج الأسمى الذي تقصده مختلف الشرائح الاجتماعية لغرض القضاء.

كان سيدنا الأستاذ (رحمه الله) يمارس هذا الدور أحياناً وكان مسلكه يعتمد على (المصالحة) وإرضاء الطرفين حيث ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «الصلح سيد الأحكام».

ص: 188

وقال تعالى: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) (1).

في كثير من الأحيان كان يعالج الموضوع المتنازع فيه بالحلول الوسطية، لذلك يقوم ببذل جهد كلامي وتشجيع الممانع وإقناعه فتحل عقدة النزاع. ومع ازدياد نسبة مسؤولياته اتخذ مساعدين له في هذا الصدد، فكان أحياناً يلقي بالمسؤولية على نجله الراحل السيد الرضا (رحمه الله) أو على آخرين.

وفي النزاعات العميقة وبالأخص تلك التي كانت تقع بين القيادات الميدانية العاملة كان (رحمه الله) يوسع صدره لهم ويركز في الإصلاح ويصل بسفينتهم إلى ساحل الأمن والتفاهم ورأب الصرع.

أما إذا كان الطرفان صليبين متشددين ويرفضان رأيه ومقترحاته، فكان (رحمه الله) يحافظ على أصول تعامله مع كليهما ويحترم الأشخاص وإن كان يرفض الأفعال والمواقف، فكثير من التصدعات أو النزاعات الكبيرة حدثت بين أطراف في منظمة العمل أو حركة الفتح الإسلامي أو بين مسؤولي الحسينيات والمؤسسات.

كان المتنازعون لا يقتنعون بمقترحات السيد الراحل (رحمه الله) وكان يمتنع (رحمه الله) من اتخاذ موقف حدي تجاه أحد الطرفين ويتركهما لحالهما، أما لو كان النزاع يتصل بأمر شرعي كان يبين فيه الحكم الفقهي ويحاول رأب الصدع والإصلاح، ومع المتشددين فموقفه بعد بذل جهود الإصلاح هو تركهم لسبيلهم حيث إن التشدد لا يعالج إلا بمرور الزمن الذي يثبت معه أفضلية المرونة والتفاهم والحلول الوسطية مضافاً إلى بقاء العلاقة الودية والاحترام المتبادل.

ص: 189

كان من العادات السنوية المعتمدة والأساسية لتعبئة الجمهور باتجاه الشعائر الحسينية أن يطلب الإمام الراحل (رحمه الله) مسؤولي الحسينيات كل عام قبيل محرم الحرام بعشرة أيام أو أقل قبل المناسبة، فيلقي عليهم كلمة تعبوية ساخنة ويحثهم على المزيد من التضحية في المسيرة الحسينية.

وبعد عاشوراء بأيام قليلة كان يطلبهم أو يبادرونهم لزيارة قم المقدسة والاجتماع بسماحته (رحمه الله) فكان مرة أخرى يلقي محاضرة يقدم لهم شكره، ثم يبدأ بسرد توجيهاته لمواصلة المسيرة الحسينية والنضال لخدمة الشرائح المختلفة من المجتمع لاسيما جيل الشباب ويقدم المقترحات العملية لهم.

وفي ذكرى استشهاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) 28/صفر الخير من كل عام كان أرباب الشعائر الحسينية يقودون موكبهم إلى قم المقدسة وفي عصر الثامن والعشرين حيث ذكرى استشهاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جمهور غفير يحتشد في منزل سماحته وقد تحفز لاستماع توجيهاته (رحمه الله) ويعلم أكثرهم أنهم لا يلتقون به إلا بعد عام.

فكان (رحمه الله) يعد حديثاً سنوياً ملؤه المعلومات الخاصة المركزة والتوجيهات العلمية والدينية والأخلاقية التي يحتاجها الناس كاحتياجهم للهواء والطعام. ثم يلتقون به (رحمه الله) وي طرحون أسئلتهم وحاجاتهم ويستلمون هداياهم من الكتب ويرجعون إلى محافظاتهم ومدنهم وقد تعبؤوا معنوياً وانشداداً إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أولاً وإلى مرجعيتهم ثانياً وبيدؤون بمسيرتهم الحياتية في اليوم الثاني متأثرين بالمناسبة الماضية إيجابياً.

كان هذا مروراً سريعاً على البرنامج السنوي لسماحته (رحمه الله) .

ذات يوم كنت قد عزمت على السفر من قم المقدسة إلى طهران ومع أعضاء عائلتي وفي الممر الصغير الذي يقع فيه الآن (حسينية أهل البيت) عليهم السلام) والذي يقع في آخره (مسجد زين العابدين) عليه السلام) رأيت أربعة رجال في هندام منظم وجميل سألني أحدهم بالفارسية بعد التحية: أين منزل السيد الشيرازي؟ أوضحت لهم العنوان، ثم بعد اجتيازهم انتبهت إلى أنني كنت قد رأيت هؤلاء فيما مضى وتساءلت يا ترى من كانوا؟ بعد التأمل تذكرت إنهم قادة (حركة

الصورة



حرية إيران) أولهم والذي سألني عن العنوان هو المهندس (مهدي بازركان) أول رئيس وزراء لإيران بعد سقوط الشاه، والثاني (إبراهيم يزدي) وزير الخارجية الإيراني السابق، والثالث: (صباغيان) والرابع لا أتذكره، وحين كنت على عجل لم أركز لأتذكرهم، هؤلاء وغيرهم من القادة المنضمرين والمجاهدين القدامى كانوا على صلة مع الإمام الراحل (رحمه الله) وكان سماحة آية الله السيد مرتضى الشيرازي حفظه الله قد زارهم أكثر من مرة في مكتبهم بطهران العاصمة، ونقلت إليهم ترجمات الكتب الأساسية لسماحته (رحمه الله) والتي تبرز نظريات الحضارة المستنبطة من أصول الإسلام وكلمما صدر كتاب كان الوسطاء المعنيون يحملون نسخاً منه إلى قادة الحركة، ونقلت إليهم بعض الكتب بكميات معينة لغرض توزيعها على قواعد الحركة، فكان

التعاون الثقافي قائماً معهم بصورة حيوية وناشطة، ومن جهة أخرى كانوا يشكلون سنداَ لأفكار ومدرسة الإمام الراحل (رحمه الله) . ومع هجرتي من إيران لا أدري إلى أين وصلت نتيجة تلك العلاقات وماذا كان مصيرها؟

مع تنظيم الحجية

الصورة



تدور في ذهني معلومة لا أتذكر صحتها أو عدمها وهي: أن الفقيد الراحل آية الله الشيخ الحلبي مؤسس ومرشد جمعية (الحجية) في إيران قد زار سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في قم المقدسة أم لا؟ وأظنه قد زاره مرة واحدة. وفيما بعد تطورت العلاقات وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يبعث نجله آية الله

السيد المرتضى حفظه الله لزيارة الحلبي (رحمه الله) في طهران وقد قام بالزيارة لعدة مرات وتواصل معه لفترة عديدة حمل سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ولده رسالة ليبلغها للشيخ الحلبي (رحمه الله) مفادها: ضرورة بعث طيف من كوادرها إلى خارج إيران، إلا أن الشيخ لم يقتنع. مع مرور الزمن نضج الاقتراح بتكرار طرحه والنقاش فيه فاتخذ الشيخ ومعه القيادة العليا للجمعية قراراً بنقل جملة من نشطاءها إلى خارج إيران ومن البلاد التي استقر فيها رجاله: الهند والولايات المتحدة الأمريكية، ففتحوا صفحة جديدة في ساحات نضالية جديدة وانطلقوا يؤسسون ويطورون؛ بعد مدة من الزمن صرح الشيخ قائد الجمعية لآية الله السيد المرتضى حفظه الله الذي كان في زيارة له، بقوله: نحن لو أردنا إقامة عشرين مؤتمراً في وقت واحد خارج إيران لاستطعنا! إلا أن السيد مرتضى حفظه الله لم

يتلقَ التصريح بجديّة ذلك لأنّ عشرين مؤتمراً أمر في غاية الصعوبة والتعقيد. وبعدها هاجر آية الله السيد مرتضى حفظه الله إلى واشنطن وشاهد على الأرض قوة تنظيم الحجّية، اقتنع بفحوى تصريح قائده حول عقد المؤتمرات العشرين في وقت واحد. واستمرت العلاقات الإيجابية وإلى الآن حيث إن بعض كوادر مرجعيتنا تتبادل الاحترام معهم وتتواصل في الزيارات.

العمل المتواصل

كان السيد الراحل (رحمه الله) قليل النوم وكثير العمل ولا يفوت دقيقة من عمره بل ولا لحظة إلا ويستغلها في حدود المستطاع ومرة استطرد وطرح موضوع (تنظيم النوم) وسألت الإمام الراحل (رحمه الله) عن نظام نومه، أجاب: لا نظام لي فيه ولا أستطيع الالتزام، إنني أعمل وأؤلف وأطالع وأواصل نشاطي حتى إذا أحسست بالنعاس والحاجة الملحة إلى النوم، آنذ أنام ومتى ما استيقظت فلا أنام مرة أخرى. وقد كان يكتفي من النوم (4) ساعات ولو ازداد لم يتجاوز الخمس ساعات وأحياناً كان يكتفي بساعتين أو ثلاث. وهكذا هي طبيعة رجال العمل وأبطال الإسلام في التاريخ.

محاولات الاغتيال

أعداء المصلحون كثيرون دوماً، فأمر المؤمنين (عليه السلام) بتأريخه المشرق وفكره العملاق يتعرض للاغتيال ويقتل، وهذه سنة تاريخية درج عليها الطالحن والطغاة ليصفّوا جسدياً رجال العمل والإصلاح. والاعتيالات تبقى مجهولة الهوية إن وقعت، ومجهولة الهوية إن فشلت أيضاً. فالمحاولات وخصوصاً تلك التي تكون بصورة غير مباشرة وغامضة تبقى قيد الكتمان وخاضعة

للاحتمالات، وسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) كان مقلقاً لمضاجع الطغاة والحاquدين وكانوا يحاولون بوسائل مختلفة التخلص منه.

* ذات مرة كان يتمشى في وقت متأخر من الليل على ساحل البحر في الكويت - بنيد القار - ومعه الخطيب الراحل سماحة السيد أحمد جبرائيل (رحمه الله) فما كانت إلا لحظات ويرون سيارة مسرعة باتجاههم وصلت إليهم كالبرق الخاطف، فانزاحوا بسرعة فائقة عن الطريق غير الطبيعي للسيارات والطبيعي للمشاة فتجاوزتهما دون أن يصابا بشيء ثم عرفا إنها كانت تابعة للسفارة العراقية والتي اغتالت حينها (حردان التكريتي) وكانت تصول وتجول في الكويت وكأنها دولة داخل أخرى.

* وفي قم المقدسة حيث كان سماحته في اجتماع في منزل سماحة آية الله السيد مرتضى القزويني (حفظه الله) وفجأة يرى الحراس شاباً مسلحاً فوق السطح ويتمكنون من إلقاء القبض عليه وتسليمه إلى الجهات الأمنية المختصة وحللت القضية بأنها محاولة اغتيال لسماحته (رحمه الله) وبعض من معه حيث كانت تلك الفترة فترة نضال واسع محموم ضد طغاة العراق.

* وفي قصف مدينة قم المقدسة من قبل الطيران العراقي البعثي أوقع الطيار في الأسر وسأل عن منطقة وصفها بصورة تخريرية ماذا بها؟ فإذا بها كانت منطقة مكتب سماحته (رحمه الله) ودار سكنه والعديد من الكوادر العاملين في مرجعيته وتوقع بعض المحللين إنها كانت خطة بعثية للتخلص منه (رحمه الله).

* ومرة أخرى أهدي إلى منزله مقدار من اللحم، فممنع سماحته استعماله لنفسه ولأعضاء عائلته، ورمى به إلى قطة في المنزل فلقيت حتفها فور ما أكلت ذلك اللحم، مما يدل على أنه كان مسموماً وكان (رحمه الله) مستهدفاً للقضاء عليه.

وتبقى القضايا كلها وأمثالها في دائرة الاحتمالات ولو كانت تكلف بها لجان تحقيق كان يتبين واقع الأمر.

من وصايا السيد الشيرازي (رحمه الله)

* حين كان يعقد القران ويزوج شاباً من شابة كان في كثير من الأحيان ينصحهم مما يفيدهم في حياتهم الزوجية وذات مرة قال للشباب: انتبه لا تغضب عليها خلال خمسين سنة!

* وكانت له وصايا خاصة للأطباء ومرة زاره جمع منهم في مكتبه فأوصاهم بأمر منها:

1. إن لم تشخص المرض لا تعطي الدواء وقل لم افهم المرض.

2. لو كان المريض فقيراً فلا تأخذ منه أجره، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «خير الناس انفعهم للناس».

3. وعليكم كطبة مثقفة أن تتحملوا مسؤولياتكم الاجتماعية والشرعية للإصلاح، فعليكم أن تولفوا الكتب وإن الكتاب من وسائل الإصلاح الهامة في كل المجتمعات.

* ومن وصاياه للخطباء: ابدل غاية جهدك للتحضير المتقن ليكون الخطاب مؤثراً. ومرة زاره جمع من الخطباء والمبلغين بعد أن انتهى مؤتمر خطابي عقد في مدرسة (جابر بن حيان الكوفي) التي كانت تعمل تحت رعاية مكتبه (رحمه الله) وقرر المؤتمر زيارة سماحته ليلقي خطاباً فيهم ونفذ الأمر، ومما ذكره سماحته هذه القصة قائلاً: التقى الخطيبان الكبيران الشيخ الفلسفي عميد خطباء إيران والشيخ الراشد الذي كان من ألمع الرموز ويلقي خطاباً أسبوعياً من إذاعة طهران

ص: 195

هي في القمة محتوى واداءً، فجرى بينهما ما يهمهما من أحاديث فسأل الراشد الشيخ الفلسفي: كم ساعة تبذل لتحضير بحوثك الخطابية؟ أجاب: (12) ساعة بعد أن أسحب سلك التليفون وانقطع عن العالم الخارجي وادخل مكتبي الخاص ثم رد الفلسفي نفس السؤال على الشيخ الراشد، فأجاب: في الواقع أنا احصّ ر أسبوعاً كاملاً لإلقاء خطابي الإذاعي واقسم مراحل التحضير يوماً للتقارير وثانياً لنهج البلاغة وثالثاً للتاريخ ورابعاً للعلوم الحديثة وخامساً للقضايا الاجتماعية والأزمات الراهنة وسادساً للأدب والشعر والقصة. ثم علق سماحته (رحمه الله) قائلاً: هؤلاء كبار الخطباء هكذا يهتمون بالتحضير فكيف بالناشئين والصغار؟

ومن وصاياه أيضاً للخطباء: لا تساوم مع أرباب المجلس على الأجور فإن ذلك مسقط لشخصية رجل الدين الذي يخدم المبادئ والمسيرة الحسينية.

وثالثاً: لا تتقل معلومة لم تتأكد منها بنفسك فإن إلقاء المسموعات ضعف للخطيب وإلقاء الحديث الموثق قوة له؛ وغيرها من الوصايا.

وكانت له (رحمه الله) وصايا وتوجيهات لمختلف شرائح المجتمع يكررها عليهم ولكن دون أن يكون فيها ملل لأحد منها وتكراره كان معتمداً على معلومات جديدة وإن كان العنوان الرئيسي أو الثانوي متكرراً.

الهجرة إلى مشهد المقدسة

عند اشتداد قصف المدن أثناء الحرب العراقية الايرانية، هاجر الإمام الراحل (رحمه الله) إلى مشهد المقدسة، بعد أن خرج من بيته وسكن لفترة في قبو حسينية (دار الحسين (عليه السلام)) في قم المقدسة ولم تكن محصنة إلا إن الظروف الأمنية الاضطرابية والقاهرة هي التي خلقت تلك الظروف الجائرة، ونحن طبقاً للضرورة هاجرنا إلى طهران مدينة (قرجك) فتناهدت إلينا الأنباء بعد أيام إن

سماحة السيد الراحل (رحمه الله) قد وصل إلى مشهد المقدسة. عمت الفرحة في الأجواء وتحمست مختلف خلايا العمل المرجعي للالتحاق بالسيد المرجع هناك وحتى الذين لم يقرروا الإقامة هناك اندفعوا لزيارته (رحمه الله) بعد زيارة مولانا الرضا (عليه السلام). كانت حركة نوعية وذات ثمار عديدة وخلق تغيير جديد وساحة عمل جديدة وهذه نتائج طبيعية للهجرة.

وصل الإمام الراحل (رحمه الله) إلى المهجر وتوجه قبل كل شيء إلى زيارة الإمام الثامن (عليه السلام) ثم إلى مقر حركته العلمية في الحوزة (مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام)).

لم تكن المدرسة مكتملة البناء، ولم يكن قبوها الذي هو عبارة عن صالة اجتماعات بمساحة حوالي 200 م²، وكانت بحاجة إلى حركة متواصلة وجادة لانجاز البناء. وطلب من كادر البناء والمتعهد بذل قصارى الجهود لانجاز المشروع سريعاً مهما كلف الأمر، واستخرج تبرعاً من بعض التجار وانطلقت حركة البناء تحث الخطى وتم إكمال ذلك في خمسة طوابق خلال فترة قصيرة، وتم أيضاً بناء القبو وليتحمل البرامج ذات الطابع العام. وفور ما وصل سماحته إلى المشهد الرضوي المقدس انطلق في إعداد مقدمات العمل تدريجياً وتأليفاً واستقبالاً للوفود وقضاء حوائج الناس وغير ذلك من أنشطة.

وذات مرة كنت في ديوانية سيدنا الراحل (رحمه الله) إذ دخل عليه رجل قصير القامة نوعاً ما ومعه فتى يافع له من العمر حوالي (15) عاماً، صافح سماحة السيد (رحمه الله) وقبل جبهته وكلمه بكلام لم اسمعه فأشار إلي (رحمه الله) بيده اليمنى قائلاً: تعال يا شيخ ناصر! فأسرعت إليه، فقال: هذا الفتى واسمه (حسين) اسكنه في إحدى غرف المدرسة ونظم دروسه وأشرف على تربيته وتوجيهه، قلت: سمعاً وطاعة إنشاء الله تعالى.

وهو اليوم مركز علمي معتمد ومنذ حوالي ثلاثين عاماً وكان (رحمه الله) يدرّس فيه وفي بحث الأخلاق كان يحضر حوالي أكثر من ألف من طلبة وفضلاء الحوزة العلمية وهو مركز حوزوي تدرس فيه بحوث مختلفة وسماحة السيد المرجع يدرس بحثه الخارج فيه صباحاً في الساعة التاسعة كل يوم.

تأسيس الجمعيات

* لقد ألف الإمام الراحل (رحمه الله) كراساً تحت عنوان (تأسيس الجمعيات) واقترح وأكد على أهمية تأسيس (811) جمعية، بمعنى أنها نافعة وتساهم في نهضة الأمة الإسلامية وهي جمعيات علمية، تربوية، خدمية، انسانية، روحية، اجتماعية وفي كل مجال حيوي.

تعزية الاخرين

* كان الإمام الراحل (رحمه الله) يبعث برسائل التعزية إلى عميد الأسرة آنذ الشهيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم، ثم يأمر بإقامة الفاتحة على روح الشهيد السيد الحكيم (رحمه الله) أو الشهداء الآخرين وعلى روح آية الله العظمى السيد يوسف الحكيم (قدس الله سرهم).

فلم عن الايتام

الإعلام هو السلطة الرابعة في البلاد. وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يعتقد أن الإعلام هو القوة الأولى، فأى وسيلة إعلامية تستطيع توجيه الرأي العام تتمتع بقوة هائلة تستطيع أن تفرض على الحكومات مواقف وقرارات معينة. وإن الفضائيات الحديثة التي تنادي بفكر أهل البيت (عليه السلام) كانت أمل الإمام

الراحل (رحمه الله) ومن طموحاته الحيوية وقد أكد عليها كثيراً. ولقد طلبني (رحمه الله) في اللقاء الأخير الذي لم أره بعدها وفي جلسة خاصة، قال: اعمل ثلاثة أعمال هامة:

الأول: تحرك على الجهات الممولة في الكويت، رجال مال وأعمال وتحدث معهم حول ضرورة تأسيس قناة فضائية تنطق باسم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وذكر لي اسم الوجيه الفاضل (الحاج علي الصراف) الكويتي الجنسية لغرض تحريضه على هذا المشروع.

الثاني: تحرك للقاء بالقادة السوريين والرئيس بشار الأسد لإقناعه حول تأسيس حزبين كبيرين إلى جانب حزب البعث ذي الهوية السنية أولهما شيعي العقيدة لتنظيم المواقف الشعبية الشيعية، والثاني علوي الهوية والعقيدة لتنظيم شباب العلويين في الساحل.

الثالث: تحرك للعمل في أوساط العلويين الأتراك حيث إن عددهم حوالي ثلاثة وثلاثين مليون (33000000) نسمة وهم في الأصل من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وهؤلاء مهمشون ومنسيون وهم قوة شيعية كبيرة.

وانني لم استطع القيام كاملاً بتلك الخطوات إلا أنني استقبلتها بإيجابية لكنني لم استطع تبنيها. فالفضائية تأسست بعد وفاته بعام تقريباً (قناة الأنوار الفضائية) وذات الدور الثقافي الديني والإيجابي الكبير في المنطقة. وأذكر مثلاً عن دورها الإيجابي على صعيد التضامن الاجتماعي، حيث عرضت في إحدى الأيام فلما عن أسرة تضم أمّاً وخمسة أبنام في إحدى ضواحي البصرة، وقد ترك الفلم أثراً كبيراً في النفوس وقد جرت دموع منفذ البرنامج مرتين وهز عواطف المشاهدين. وأرى ضرورة المزيد من إنتاج هذه الأفلام الإنسانية والتي تبعث

الوعي في العقول والحرارة في النفوس وتثمر في النهاية مواقف خيرية لعون المستضعفين والمسحوقين.

وكان منفذ البرنامج قبل ذلك ملازماً للإمام الراحل (رحمه الله) وكادراً نشيطاً يعمل وفق أوامر وتعاليم من اتسم بالإخلاص والمثابرة والورع التي انبثقت إليه في كل المجالات.

بحوث الخارج

أما بحوث الخارج فدرست الفقه حوالي عشر سنوات عند سيدنا المعظم الأستاذ الراحل (أعلى الله في الجنان درجاته) أكملت عنده مباحث الخمس والنكاح وإحياء الموات والبيع وغيرها، وقد قررت كل تلك الدروس، لكن صادرتها بعض أجهزة المخابرات التي كافحت أفكار ومواقف ومسيرة المرجع المذكور. ودرست الأصول (مباحث الألفاظ والمباحث العقلية) عنده، أيضاً من جهة أخرى حضرت حوالي ثلاث سنوات بحوث الأصول عند سماحة آية الله العظمى الوحيد الخراساني.

العمل الإداري

في الليالي الأولى من إقامتي في قم المقدسة كنت ملازماً لصلاة الجماعة في منزل الإمام الراحل (رحمه الله)، وكان من سيرته الإدارية عقد اجتماعات خاصة مغلقة بعد صلاتي المغرب والعشاء في غرفته التي تحولت الآن إلى موقع أثري فيه كتبه وعمامته وقلمه ودفتره والجرس الذي كان بواسطته يطلب الموظف الخاص، إضافة إلى فراشه المعهود والمسند الذي كان يتكى عليه. كلها لقطات ذات معاني ودلالات تذكّر بأحداث تاريخ حافل جمع بين دفتيه حركة دائبة لحوالي ثلاثة

عقود من الزمن. جاءني الأخ جعفر اسلامي (حفظه الله) ذات ليلة بعد الصلاتين كانت الليلة الثانية من اقامتي في المهجر الجديد - قم المقدسة - فاجاني قائلاً: سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يطلبك، قمت على الفور لإجابة الطلب ولا أعلم ما المطلوب؟ ولم استطع الحدس به.

تشكيل نواة للتنظيم

فتح المسؤول باب الغرفة فكان السيد الراحل (رحمه الله) جالساً ينتظر، وفور ما فتحت الباب قام واقفاً على رجلبيه ومستبشراً، سألني عن أحوالي ودروسي ووضعي الإداري، بعد ذلك بدأ بحديثه حول أوضاع الأمة الإسلامية بوجه عام وما تعانيه من مصائب ومحن.

تكلم في هذا المحور بإسهاب، ثم قال: ما هو الحل؟ كيف يجب أن نعالج الأوضاع؟ ثم أجاب هو عن السؤال قائلاً: إحدى أهم طرق العلاج تأسيس المنظمات الشعبية الثورية وتربية الكوادر القيادية والمنظمات هي التي تستطيع أن تصب طاقات النخبة وطاقات الحوزة والتجار والجامعات في مصب واحد ينتهي بالمآل إلى إصلاح الأوضاع العامة.

وتحدث في هذا المحور بإسهاب أيضاً. وأخيراً قال (رحمه الله): التزم أنت في قم المقدسة إلى جانب مواصلتك للتحصيل العلمي، تأسيس منظمة اسلامية ثقافية سلمية تتبنى تربية الكوادر القيادية وتعمل في طريق إنقاذ الامة الاسلامية بوجه عام. قلت: هذا عمل أكبر من حجمي وبحاجة إلى جهود كبيرة وأنا أريد إكمال المراحل الدراسية في قم المقدسة ولهذا هاجرت إليها.

قال (رحمه الله): إنك تستطيع تنفيذ المهمة وليس الأمر أكبر من حجمك.

زرع في نفسي الثقة وركز حديثه في هذا الأمر. أما إنه بحاجة إلى جهود كبيرة

فعليك بذل ما في وسعك بقدر استطاعتك في أيام تعطيل الدروس الحوزوية والأوقات الكثيرة، يوماً تبذل (8) ساعات للدروس و(4) ساعات لتأسيس التنظيم. قلت له: وهذه المهمة تكلف مبالغ طائلة من المال، أجب: في المراحل الأولى لا حاجة إلى مبالغ طائلة ومع مرور الزمن يستطيع الكوادر استخراج المال من المجتمع. ثم أردف: إنني أتحمّل تكاليف العمل حالياً.

زرع بكلماته بين جوانحي معنوية الإقدام على العمل الكبير وأشعل في نفسي الحماس. وانتهى الاجتماع بعد أن طلب مني الحضور ليلاً عنده بعد الصلاة، لكن لازالت الفكرة رغم أهميتها وحيويتها بحاجة إلى بحث وتحقيق. ودعته وخرجت فقام واقفاً احتراماً لي.

في الليلة الثانية راجعت سماحته (رحمه الله) وانهقد اجتماع ثانٍ وتحدث بصورة تفصيلية عن ضرورة العمل الثقافي في الأمة. واستنتج آخر البحث: ضرورة تأسيس منظمة تعتمد الفكر والثقافة منهجاً واستراتيجية ثابتة.

في الليلة الثالثة: تحدث عن ضرورة التزام السلم والاساليب اللينة والرزينة في العمل مع مختلف الشرائح داخل التنظيم وخارجه.

وفي الليلة الرابعة تحدث عن ضرورة الاهتمام التنظيمي برجال المال وأساليب التأثير عليهم.

وفي الليلة الخامسة: تحدث عن ضرورة شورى الفقهاء المراجع وأنها هي القادرة على إنقاذ الأمة باعتبارها قيادة روحية لها، وأكد كيف أن التنظيم يستطيع نشر هذا الوعي والتمهيد لقيام الشورى المرجعية.

وهكذا استمرت الاجتماعات وفي كل ليلة يطرح عنواناً خاصاً ثم يناقش فيه وينتهي الاجتماع بضرورة تشكيل تنظيم. فاقتنعت كاملاً واتخذت القرار،

قرار تأسيس منظمة داخل الحوزة وفي صميم مدرسة الإمام الراحل (رحمه الله) ومن تلامذته ومقلديه.

قرار التأسيس

تقرر تأسيس نواة للتنظيم الثوري السلمي، وبدأت بعد المشورة مع سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ونجله البكر السيد محمد رضا (رحمه الله)، بسلسلة لقاءات فردية في داخل مكتب سماحته ليلاً بعد الصلاتين فالتقيت أصحاب السماحة: الشيخ حسن عبد الهادي والشيخ فاضل الصفار والشيخ جلال معاش والشيخ جعفر الحائري، وبعد المداولات الفردية معهم حول ضرورة العمل المرجعي، ولزوم الاجتماعات المنتظمة للتداول والتشاور في مجمل قضايا الحوزة والمرجعية وغيرها. ثم انتظمت الاجتماعات في صبيحة أيام الجمع في منزلي الواقع في نفس الزقاق الذي يقع فيه مكتب سماحة السيد الراحل (رحمه الله). فكنا نتناول فطورنا أولاً في الساعة الثامنة وبعدها أبدأ أنا بافتتاح الاجتماع وإدارته وطرح العناوين، ويبدأ الحوار وبعد ذلك في الساعة (11) ينتهي الاجتماع ونتوجه إلى مكتب سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بصورة فردية هادئة دون أن يشعر أحد بشيء.

وفي هذا الاجتماع تقرر تأسيس نواة التنظيم وتم تأسيسه. وكان هناك حوالي عشرين شاباً حوزوياً من إخواننا، هؤلاء تم توزيعهم على أعضاء الهيئة العليا للتنظيم وفي مختلف الأحداث والقضايا يوجه الآخرون بواسطة أعضاء الهيئة. وكان من الأنشطة الشبابية تنظيم محاضرات كل أسبوع أو أسبوعين أحياناً في غرفة السيد الراحل (رحمه الله) ويحضرها كل المجموعة العشرين، وكان السيد الراحل (رحمه الله) يطرح سلسلة أفكاره الإسلامية النيرة الرائعة، كل اجتماع يطرح حلقة منها، وكان يثقف الشباب ثقافة عصرية إسلامية ويعلق على الأحداث

العالمية والمحلية، وينتقد السلطة بصورة منطقية ووفق أسس علمية وشرعية.

كما كان يركز حول أوضاع العراق، البلد والوطن المستباح من قبل طغاة حزب البعث الدموي. وقد غرز من خلال تلك المحاضرات أجمل وأروع الأفكار في هؤلاء الشباب الحوزويين المخلصين. وفي اجتماع أيام الجمعة كانت تطرح وتخطط برامج الانتخابات في حوزة السيد المرجع.

وكانت تتخذ قرارات الملتقيات والمؤتمرات الخطابية وقضايا العلاقات مع مختلف شرائح الحوزة والمؤسسات وكيفية إسناد (بحث الخارج) الذي يلقيه علينا الإمام الراحل (رحمه الله)، والتخطيط لكيفية كسب الرموز وعلاج المشكلات وكثير من القضايا، ومنها الإدارة والتعبئة للمجلس الحسيني العربي المسائي في منزله وغير ذلك من أمور.

وقد ناقشنا وكتبنا نظاماً داخلياً للتنظيم. وكان في الأوساط الحوزوية يطلق على هؤلاء الشباب بأنهم (مجموعة الشيخ ناصر)! من جهة أخرى كانت جهات محافظة تنحس حول حركتنا مع أنها لم تعلم بوجود مجموعة منظمة لكن موقفها كان سلبياً. أما نحن فكانت سياستنا احترام الجميع واستيعابهم حتى لو كان معارضاً لنا ويعمل بالضد منا.

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يتعامل مع هؤلاء الشباب من خلال هذا التشكيل الجديد، فحين أراد بعثهم إلى التبليغ أو تعميم بعضهم أو تقديم هدية مناسبة معينة أو إبلاغهم بقرار معين، كان (رحمه الله) يطلبني ويخول الأمر لي، وأنا بدوري كنت أتواصل مع الإخوة الشباب وأبلغهم الأمر.

وبالمقابل لو كان اقتراح لدى بعضهم أو رسالة أو حاجة مادية أو يطلب لقاءً خاصاً كنت أنا أتابع الموضوع وانجزه له. وكان السيد محمد رضا (رحمه الله) أستاذاً

ومدرساً لهؤلاء الشباب ويحثهم دوماً خلال توجيهاته التربوية إلى التعاون معي والتنسيق في مختلف الأمور وكان أحياناً يحول هؤلاء الشباب وأمثالهم إليّ لإمضاء البرامج ودفعها إلى الأمام.

الانشطة المكتبية

كانت مجموعتنا سنداً لمشاريع مكتب سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ومما كنت أنا والمجموعة نؤديه من أعمال:

1. العلاقات مع الشخصيات العربية الحوزوية وهم: العراقيون أولاً ثم السعوديون والبحرينيون والخوزستانيون واللبنانيون. فكنا نزرع بعضهم في منازلهم أو في حسينياتهم أو مدارسهم. ومن الحسينيات التي كنا نرتادها ونقدم لها دعماً سنوياً في عاشوراء، حسينية الإمام الصادق (عليه السلام) لأهالي البصرة، وحسينية أهل البيت (عليهم السلام) لأهالي العمارة، والحسينية النجفية، وحسينية وجامع الشهيد الصدر (رحمه الله)، وحسينية أهالي الرميثة، وحسينية أهالي الناصرية وغيرها، كما كنا نتزاور مع مدرسة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (رحمه الله) (1) وهي خاصة لمجموعة من الطلبة اللبنانيين. وكانت بعض مفردات هذه العلاقات تفصيلية وفيها تبادل للزيارات ومداومات لقضايا مختلفة.

2. إدارة ومتابعة شؤون مدارس السيد الراحل (رحمه الله) وأهمها حينها مدرسة

ص: 206

1- وهو عاملي الأصل عراقي المولد. تربى في كنف والده السيد يوسف شرف الدين وجده السيد هادي الصدر وتعلم عليهما في المقدمات. اعتنى السيد بتعليم الناشئة فأسس المدرسة الجعفرية في العام 1938 م، كما كان له الدور الأساس في بناء مدرسة الزهراء (عليها السلام). له ما يقارب الثلاثين مؤلفاً بين كتاب ورسالة وغيرها، من أهمها المراجعات والمجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة وغيره من الكتب.

جابر بن حيان ومدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) . وإدارات هذه المدارس كانت محفوفة بالأزمات والمتاعب وفي ظروف اقتصادية وأمنية صعبة.

3. مد جسور التواصل والرعاية الممكنة للشخصيات العربية في الحوزة، وكنت أنظم المواعيد واللقاءات مع جملة من الشخصيات، منها على سبيل المثال لا الحصر أصحاب السماحة: الشيخ مهدي الأصفي(1) حيث كان عائداً من لندن في سفرة علاج فنظمت معه لقاء مع سماحة آية الله السيد صادق الشيرازي (دام ظله) الذي كان يمثل أخاه السيد الأستاذ الراحل (رحمه الله) في هذه الزيارات، رافقت سماحته لزيارة الأصفي وأتذكر أن السيد (دام ظله) طرح على الشيخ حينها التزام الحجامة لأن الشيخ يعاني من مشاكل في القلب وتقرر في آخر اللقاء أن التزم موضوع الحجامة للشيخ، فاتفقت مع الوجيه الحاج صادق خوشحالت الذي كان حينها لحسن الحظ في قم المقدسة قادماً إليها من يزد، فنظمت موعداً وأخذته إليه، وأجرى له الحجامة في غرفة مكتبه وأنا حاضر فيها. بعد أيام رد الشيخ الزيارة وزار سماحة آية الله السيد صادق الشيرازي (دام ظله) في منزله والذي تحول بعد رحيل السيد الاستاذ الإمام الراحل (رحمه الله) إلى دار ضيافة يستقبل فيه وفود وضيوف المرجعية. ونظمت زيارة للشيخ الكوراني (حفظه الله)(2) وكانت فاتحة

ص: 207

1- ولد عام 1358 هـ- بمدينة النجف الأشرف. أتجه نحو الدراسة الحوزوية في مدينة النجف الأشرف، كما نال شهادة الماجستير بالعلوم الإسلامية من جامعة بغداد. له عدة مؤلفات.

2- هو رجل دين شيعي إثنا عشري اشتهر بظهوره إعلامياً في النقاشات والحوارات بين الشيعة والسنة. كما اشتهر في أوساط الشيعة ببحوثه حول الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وذلك بكتابه (عصر الظهور)، و(المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)). يواصل عمله في التأليف والتدريس في حوزة قم المقدسة، وله مشاركات في مجلات البحوث.

خير أيضاً، وذلك لتوترات حدثت في الكويت بين الشيخ ومرجعية الإمام الراحل (رحمه الله). وكان الشيخ حينها منكباً على كتابة موسوعة فقهية أو معجم فقهي لا أتذكر الموضوع، وقال حينها إنني لم أجد بحثاً مستفيضاً في كتاب (إحياء الموات) كما وجدت ذلك في موسوعة (الفقه) للسيد الراحل (رحمه الله) وقال: لا أملك هذه الموسوعة وطلبها من سماحة السيد صادق (دام ظله) وكلفت أنا بالأمر فهيأت الموسوعة وبعثتها إليه وكان في مشروعه الفقهي قد نسق مع مكتب المرجع الراحل السيد الكلبيكاني (رحمه الله). ونظمت لقاءً خاصاً مع سماحة الشيخ باقر الناصري وكنت أرافق سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في زيارته مع هؤلاء الرموز وأشاهد الحوارات التي تجري بينهم. وكان سماحة السيد صادق (دام ظله) يهتم بزيارة الخطباء العرب كالشيخ المالكي والسيد جابر الآغاوي والشيخ عبد الأمير المنصوري وغيرهم. وهذه المهمة كانت دقيقة وذات أهمية كبيرة كنت أنا أتحمّل جانباً من المسؤولية فيها.

4. رعاية جمع من تلامذة السيد الأستاذ الراحل (رحمه الله) من العرب وغيرهم الذين يواظبون على حضور بحث الخارج.

5. رعاية الوفود القادمة من خارج البلاد من السعودية أو لبنان أو غيرها ومن داخل البلاد أيضاً. وكان عليّ في كثير من الأحيان استضافتهم وعقد الاجتماعات معهم والتنسيق والمتابعة معهم.

6. التنسيق مع شرائح من المعارضة العراقية ورعايتهم بما فيهم بعض من شيوخ العشائر.

7. التنسيق مع (التوايين) وهم الأسرى العراقيون الذين أطلق سراحهم من السجون الإيرانية.

ص: 208

8. التنسيق مع ثوار الانتفاضة الشعبانية الذين لجأوا إلى إيران.

9. العمل لفصل الخصومات أحياناً.

10. العمل مع لجنة الافتاء في الإجابة على الاستفتاءات العربية.

11. التزام شؤون رواتب العرب الخاصين وغيرهم.

صلاة الجماعة في مكتب السيد الأستاذ (رحمه الله)

كان منزل الإمام الراحل (رحمه الله) مركزاً اجتماعياً ذا أهمية بالغة، وكانت صلاة الجماعة المسائية هي عنوان التجمع العام لكل الكربلايين والمنتهمين إلى مدرسة السيد الأستاذ الراحل (رحمه الله)، إلا هؤلاء الذين تمنعهم إعدار خاصة بهم من الحضور، لكنهم وأمثالهم كانوا أحياناً كثيرة يزورون منزله في أوقات متعددة.

في أيام الجمع كان المصلى يضيق على سعته بالمصلين، وطالما كنا في قم المقدسة فقد كان السيد الأستاذ الراحل (رحمه الله) هو إمام الجماعة خلال سبوع أو ثمان سنوات خلال مدة إقامتنا في قم المقدسة وقبل الهجرة منها، وبعد انقطاعه لتظافر مسؤولياته كان سماحة اية الله الشيخ حسين الفدائي هو الإمام للجماعة، وقبله كان سماحة الحجة الشيخ غلام حسين الإسلامي (رحمه الله) هو الذي يؤم الجمع.

الصورة



وهذه الصلاة الكبيرة كانت مجمعا للعمل والعلاقات، فالمواعيد كانت تبرم بعدها وقبلها وتنفذ كذلك،

والاجتماعات تنطلق منها، ومتابعة أعمال وأنشطة الشباب والمؤسسات والأفراد كانت تنفذ قبلها وبعدها، وتلقى المحاضرات أحياناً في أيام الأربعاء وغيرها وكثير من الأنشطة الأخرى كانت كذلك. فصلاة الجماعة كانت عبارة عن ملتقى اجتماعي وديني وتنظيمي على مستوى كبير من الأهمية.

المجالس الحسينية

منذ أول يوم من محرم إلى الثالث عشر منه وفي أيام وفيات المعصومين (عليهم السلام) كانت تقام مجالس حسينية صباحية باللغة الفارسية ويرقى المنبر ثلاثة أو أربعة من رموز المنبر الحسيني في قم المقدسة.

الجلسات الهادفة

في كل يوم قبل الدرس وبعده في أيام التحصيل الدراسي، كان السيد الأستاذ الراحل (رحمه الله) يستقبل الخواص، وفي الفترة المسائية قبل المغرب بحوالي ساعتين، تتوزع بواقع ساعة للمواعيد الخاصة والساعة الأخرى لاستقبال عموم المراجعين. أما في الفترة الليلية فقد كان (رحمه الله) يستقبل المراجعين بصورة خاصة.

كان شعار الإمام الراحل (رحمه الله) وسلوكه في ذلك، سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) حيث كان هؤلاء يبذلون وقتهم وطاقاتهم للأمة، ولم يكن أحد من المسلمين يعاني من محذور فيما لو قرر اللقاء بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أحد الأئمة المعصومين (عليهم السلام). فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) وكأنه ليس له شيئاً لحاجات نفسه إلا ما لا بد منه وعبادة الليل، أما غير ذلك فهو لكل الناس حيث لا حجاب ولا بوابون ولا موانع وشروط وقيود.

كان سيدنا الأستاذ (رحمه الله) في أيام تعطيل الدراسة الحوزوية، يستقبل

المراجعين والنخبة وغيرهم خلال ساعتين قبل الظهر، وساعتين قبل المغرب، وساعتين تقريباً بعد صلاتي المغرب والعشاء، أما في غير ذلك من الأوقات فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يستجيب للناس، ولكن ذلك منوط بضرب موعد معين أو أن المسؤول في المكتب يتصل بسماحته وينقل له طلباً باللقاء. ولقد شاهدته مراراً كثيرة يخرج صبيحة الجمعة مبكراً في الساعة السادسة أو السابعة لاستقبال مراجعين لغرض طرح قضية معينة تهمهم. وأحياناً يجري عقود النكاح في مثل تلك الأوقات، وكنت أشارك معه حسب طلبه لإجراء العقد وكالة عن الزواج.

أذكر ذات مرة وكنت في المكتب إلى وقت متأخر من الليل في فصل الشتاء لتراحم العمل وتراكمه، فوجئت بورود شيخ غريب ألقى التحية! فأجبت ثم أردف: هل يمكنني اللقاء بسماحة السيد محمد الشيرازي؟ استغربت وقلت: أفي مثل هذا الوقت؟ قال: الآن وصلت من طهران! قلت له: غداً إن شاء الله، قال: أريد السفر حالاً إلى تبريز في أذربيجان، ترددت أمام إصراره، ماذا أصنع؟ وكان لا يصعب عليّ رده، لكنني توكلت على الله تعالى وقررت الاتصال بالسيد الراحل (رحمه الله) على مضمض، رفعت سماعة التليفون وطلبت الرقم الداخلي الخاص بسماحته، فأجاب (رحمه الله) على النداء فوراً فسلمت عليه، فبادرني قائلاً: لا نزلت إلى هذا الوقت في المكتب؟ ماذا تعمل؟ قلت له: بعض الأعمال والحسابات لم استطع طوال النهار من إتمامها للانشغال بأعمال أخرى، ثم قال: تفضل ماذا تريد؟ نقلت له أمر الشيخ المراجع في ذلك الوقت، وأنه وصل للتو ويريد السفر ليلاً، فقال (رحمه الله): قل لجعفر إسلامي - موظف مساعد لسماحته - ليفتح باب الغرفة - الخاصة بسماحته - ويقدم الشاي للضيف وسأخرج إليه. وفعلاً

لم تمض إلا أقل من خمس دقائق وفتحت الباب الداخلية لغرفة سماحته ودخل مستقبلاً ضيفه وعقد جلسة عمل معه، أما أنا فتركتهما وذهبت لإنهاء عملي ثم خرجت من المكتب.

لقد كان (رحمه الله) يستجيب سريعاً للمواعيد والمراجعين ويستمع إليهم ويحاورهم ويقدم توجيهاته وينسق معهم في أي وقت من الأوقات. وما ذكرته في نظام لقاء الإمام الراحل (رحمه الله) بالمراجعين إنما هو الأصل، أما الاستثناءات فهي في العمل المرجعي وهي أصل آخر ونسبتها كبيرة ومصاديقها كثيرة، وكم مرة أتذكر إنني كنت في بحث مع سماحة السيد الرضا (رحمه الله) في غرفة الإمام الراحل (رحمه الله) الخاصة في غير وقت دوامه، وإذا بنا نفاجاً في الساعة الثالثة والنصف أو الرابعة عصرًا في الصيف أو الشتاء، وإذا بالباب الداخلية تفتح ويدخل سماحته (رحمه الله) في الغرفة ونحن فوراً نغلق الكتب ويطلب منا أحياناً أن نبقى جالسين لاستقبال الضيف أو الوفد القادم.

أما ماذا كان يجري في الاجتماعات فأن غرفة الإمام الراحل (رحمه الله) تعني (المركز القيادي المرجعي الأول في العالم)، تلك الغرفة الصغيرة التي لا تتجاوز مساحتها 6 - 8 أمتار فقط، كانت تمثل مركز الإنطلاق والقيادة وممارسة مرجع كبير جل مسؤولياته وواجباته فيها.

كانت تلك الجلسات اليومية الحرة داخل الغرفة المتواضعة غاية التواضع، هي الموجهة للحركة الثقافية والعلمية والإعلامية والحسينية وغيرها. أتذكر أن ما كان يجري فيها هو ما يلي على نحو الإجمال والتركيز:

1. المراجعون من ذوي الحاجات الإنسانية، خاصةً من علماء وطلبة الحوزة العلمية، يلتقون بالإمام الراحل (رحمه الله) وي طرحون مواضيعهم ويقرر

سماحته ما يلزم تجاههم.

2. إبداء نصيحته لمن يريد مشورته في موضوع يهمه.

3. نفس سماحته (رحمه الله) لو أراد المشورة في موضوع معين، كان يلتقي مستشاريه وطلبته ورجال مكتبه في تلك الغرفة وتعد اجتماعات منتظمة أو حرة وأنية.

4. لو كانت لدينا مشكلة نبحث عن علاجها بالتعاون الفكري مع سماحته (رحمه الله) .

5. مناقشات فكرية وفقهية وروائية ولغوية وغيرها.

6. نقل الملاحظات حول كتاب أو مشروع أو موقف معين إلى سماحته (رحمه الله) .

7. نقل الأخبار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمرجعية إلى سماحته (رحمه الله) .

8. من يراجع لمسألة فقهية كان السيد الراحل (رحمه الله) يجيبه.

9. من يراجع ومعه حقوق شرعية يريد تسليمها بيد سماحته (رحمه الله) ، لأن بعض الناس لا يطمنون إلا بوضع حقوقهم بين يدي سماحته خصوصاً، فكان دفتر الايصالات بجنبه يسجل فوراً الايصال ويطبعه بخاتمه ويسلمه للمراجع.

10. عقد اجتماعات العمل مع أعضاء المكتب للتخطيط والتنفيذ لمختلف برامج المكتب.

11. ورشة عمل للمناقشات الفكرية حول (شورى الفقهاء) أو (التعددية الحزبية) في إدارة أمور البلاد أو شؤون الحرب والسلام وشؤون الاقتصاد وقضايا العالم الإسلامي وغيرها. وحين اندلعت الانتفاضة الشعبانية في العراق عام

ص: 213

1991م، تحولت غرفة الإمام الراحل (رحمه الله) إلى مركز لغرفة العمليات، وكانت تعقد الاجتماعات الطويلة كل ليلة من شهر رمضان المبارك لغرض التحرك لإسناد الانتفاضة ولاستيعاب الملايين الذين شردوا من الوطن ولجأوا إلى جنوب وغرب إيران.

12. إلقاء المحاضرات أحياناً.

13. إجراء عقود النكاح في بعض الأحيان، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يقدم نصائح للزوج ويطلب منه مثلاً: أن لا يغضب على زوجته خمسين سنة.

14. يعمم شباب الحوزة.

15. مناقشة الأوضاع السياسية في العراق وغيره مع رجال الحركات الإسلامية أو النخبة من تلامذته، أو أعضاء المكتب، ومثل هذه المناقشات كانت تستتبع أحياناً باتخاذ قرارات معينة تهم الوضع السياسي كزيارة جهة متصلة بالموضوع أو كتابة بيان وإصداره للساحة أو غير ذلك.

16. اجتماع علمائي حر يعقد في صباح كل يوم جمعة وخميس يحضره طبقة الأساتذة، تطرح فيه مختلف المسائل الشرعية والأصولية والروائية والتاريخية، وكان الفقيد الراحل آية الله الشيخ محمد علي (المدرس الافغاني) يحضرها ويقول: إنني أحضر في جلسات السيد الشيرازي ونيتي تقوية مرجعيته. وكان الشيخ الافغاني يعتقد أن السيد الراحل (رحمه الله) هو المرجع الأكفأ الذي يلزم أن يتوجه الناس إليه في التقليد. وكان يصرح بمعتقده هنا وهناك في هذه الغرفة.

17. في إحدى الأيام كنت أنا وحولي عشرة من أعضاء المكتب وخواص الأصدقاء ومعنا فضيلة الشيخ عزيز الله المحقق، وكنا قد حضرنا في أول الليلة للسلام على الإمام الراحل (رحمه الله) والمباركة له بالصهر الجديد وهو سماحة السيد

ص: 214

حسين الشيرازي (حفظه الله)، قال الشيخ المحقق: سيدنا من المستحب في الأعراس الأبطال! كيف تزوجون كريمتكم ولا تطعمون ولا تقيمون وليمة؟ قال (رحمه الله): نعم يلزم ذلك.. ففرع الجرس الخاص بنداؤه للموظف المختص (جعفر إسلامي) ففتح الباب فوراً وقال: نعم سيدنا؟ قال سماحته (رحمه الله): اطلبوا من المطعم الغذاء لعشرة أشخاص، ونفذ الموظف ما طلب منه. فاستأذن بعدها سماحته (رحمه الله) وذهب إلى داخل المنزل، ولم يمض شيء من الوقت إلا وفرش السماط ووصل الطعام وكان كما يعبر عنه في المطبخ الإيراني (جلو مرغ) أي الرز والدجاج.

18. طلبني الإمام الراحل (رحمه الله) مرة بعد الصلاتين مساءً، وجلست أمامه في الجانب الأيمن على غير المعتاد، لأنني كنت أجلس بجانبه دائماً، وكان ضيوفه يجلسون على يساره فيكون مجلسه (رحمه الله) دونهم ويجلسهم أرفع رتبة من مجلسه. بعد حوالي دقيقتين فتحت الباب ودخل شاب لا أعرفه فقام السيد الراحل (رحمه الله) إحتراماً له، فانفجر الشاب باكياً وطال بكأوه، وقد حاول الإمام الراحل (رحمه الله) تهدئته دون جدوى، وبعد أن هدأ أخيراً بعد محاولات متعددة، جلسنا جميعاً وحيء إليه بالشاي ثم بدأ حديثه خجولاً مفاجئاً قائلاً: أعذر من سماحتكم وأرجوا أن تعفوا عني وتغفروا لي.

قال السيد الراحل (رحمه الله): وما ذاك؟ قال: إنني كنت منتمياً لجهة مخاصمة لكم وكانت مسؤوليتي أن أشوه سمعتكم وأبين ما وجدت صورة لكم أمزقها وأشوهها في الشوارع والأزقة.

سأله السيد الراحل (رحمه الله) عن محل سكنه؟ قال: مدينة إصفهان، وسأله عن مستواه العلمي؟ قال: خريج جامعة المستنصرية في بغداد واختصاصي

الاقتصاد، ثم أضاف الشاب قائلاً: إنه قد انفصل عن الذين كان يعمل معهم. قال له السيد (رحمه الله): تواصل معهم ولا تدخل في نزاع.

ثم طلب سماحة السيد الراحل (رحمه الله) من موظف مسؤول أن يجلب إليه نسخة من كتاب (الفقه - الاقتصاد) ذهب الموظف ورجع قائلاً: نفذت كل النسخ! قال سماحته (رحمه الله): إذن نسخة من كتاب (الفقه - السياسة) فجيء به وأهداه للشاب وطلب منه أن يؤلف بعض الكتب لخدمة الإسلام والمسلمين ثم ودع وخرج ليرجع إلى إصفهان.

مثل هذا الموقف قد تكرر كثيراً مع غير هذا الشاب وأمثاله الكثير. وعموماً كان سماحته (رحمه الله) يقابلهم بالحلم والصفح والعفو ثم الاحترام وإهداء الكتب وتوجيه النصح إليهم.

19. بين فترة وأخرى كانت اجتماعات مؤسسة (جواد الأئمة (عليه السلام) للإقراض الخيرية) تعقد مع سماحته (رحمه الله) والمرحوم السيد علي الفالي والهيئة الإدارية في نفس الغرفة. كما أن قادة الحركة الثورية في أفغانستان منهم الشهيد الشيخ المزارى (رحمه الله) وأقرانه يجتمعون مع سماحته (رحمه الله) في نفس الوقت في الغرفة المتواضعة.

كما أن كبار الشخصيات العلمية والمرجعية مثل آية الله السيد رضا الصدر وآية الله العظمى المرجع الديني الكبير المرعشي النجفي والشيخ المنتظري وغيرهم كانوا يلتقون سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بين فترة وأخرى في نفس الغرفة، وأكثر الصور الملتقطة لسماحته (رحمه الله) مع الشخصيات الكبيرة تلك المذخورة في الأرشيف والمنشورة أيضاً، أغلبها التقطت في غرفته.

ومن الذكريات مع هذه الغرفة الصغيرة إنني مع أقرباء زوجتي والأخ

العزیز الراحل السید عباس الرضوی (رحمه الله) وعدة من الأصدقاء والأقرباء التقینا فی هذه الغرفة عصر یوم الغدیر عام 1980م، وأجرى لی سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) عقد الزواج، فأخذ الوكالة من زوجتی وأنا بدوری وکلت السید عباس فأجرى سماحته صیغة عقد القران علی مهر قدره ألف دینار عراقی غائباً وحج بیت الله الحرام عند القدرة والاستطاعة ونسخة من کتاب الله العزیز حاضراً، وقد وفیت بها علیّ وأعطیت زوجتی مهرها الحاضر وأما الغائب ف تبرعت به لتأسيس مضيف الحوراء زینب (علیها السلام) فی الشام حی السیدة زینب (علیها السلام) ، وأما الحج فقد حججت معها مرتین، مرة من الشام وأخرى من العراق.

وقد أهدى لی سماحته (رحمه الله) حینها ظرفاً یحتوی علی أربعة آلاف تومان ایرانی وكانت تعادل حوالي ثلاثمائة دولار، كما أنه كان یقدم لی الهدایا عند ولادة كل ولید جدید، فأهدى لی بعد ولادة ابنتی البکر ألفاً وخمسمائة تومان أما الهدایا الأخرى فلا أتذكر مقادیرها.

وفی إحدى زيارات الشیخ المنتظری لسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) أول اللیل بعد الافطار فی شهر رمضان وقد رافقته کتیبة أمنية انتشرت فی المنطقة وعلی فوهات السکک والطرق فالتقی شخص من تیار آخر منافس لنا بأحد إخوتنا - أظنه الشیخ جعفر الحائری - وقال له: استهدف بیت السید الشیرازی هجم علیہ الحرس الثوری! وكانت القضية تشویشاً وإشاعة سوداء مغرضة.

أعمدة المرجعية

استندت مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) أولاً وقبل أي فرد وجهة علی أخیه سماحة آية الله العظمی السید صادق الشیرازی (دام ظلّه)، والذي خلفه فی حمل رایة

المرجعية الشيرازية، وهو شخصية علمية فذة يعتقد جمع من أهل الخبرة من المجتهدين المحققين بأنه أفقه أهل زمانه، وكتبه الدقيقة العميقة مع غزارة الفروع والاحاطة في الاستدلال تشهد بذلك، فكتاب (بيان الفقه) بمجلداته العديدة

و(بيان الاصول) بمجلداته العديدة أيضاً، ومنها (قاعدة لا ضرر) وكتاب (الاجتهاد والتقليد) الذي طبع للمرة الأولى عام 1976م قبل 35 عاماً اعتمد عليه من اعتقد بأعلمية سماحته (رحمه الله) آنذاك منهم العالم الرباني الراحل الشيخ محمد الهاجري (رحمه الله).

الصورة



وسيدنا الصادق (دام ظله) كان يمثل الساعد الأيمن للسيد الراحل ويتصدى لكل مهمة معقدة، ومن مسؤولياته الأساسية إدارة دفة العلاقات المرجعية على أعلى مستوى مع كبار المرجعيات في قم المقدسة وكبار الأساتذة والشخصيات الحوزوية، وكانت الحوزة العلمية بإجماع رموزها مؤمنة بالوزن العلمي الرصين له، وهو في علاقاته على درجة عالية من الوعي والحنكة والخلق السامي ودقة المواعيد وإدارة البحث، ومن عاداته (دام ظله) إنه كان مجرد أن يستقر به المقام أن يطرح بحثاً فقهياً خصباً ويأخذ بزمام النقاش وتسير عقارب الساعة وهو يركز البحث أكثر فأكثر ومع انقراض ثلاثين دقيقة يكون قد أدى الواجب في الزيارة والحديث. وأي عالم كان يزور الإمام الراحل (رحمه الله) كان يأمر سماحته بأخذ عنوانه ورقم هاتفه لتنظيم موعد وزيارة سماحة السيد صادق (دام ظله) له. وكذلك من مسؤولياته تولي المهمات الكبيرة في جهاز السيد الراحل (رحمه الله) وهي ضخ

ص: 218

الروح المعنوية في أعضاء المكتب وكوادر العمل في كل مكان حيث الكثيرون يعانون من أزمات سياسية أو اقتصادية مستعصية وتقل لديهم الحيلة ويعجزون عن العلاج، فكانت زيارتهم لسماحة السيد الصادق (دام ظله) كافية لتجديد عزمهم وإصرارهم على مواصلة الدرب اللاحق.

ذات مرة عصفت بنا أزمة اقتصادية قاسية، واجتمع أعضاء المكتب وبحثوا الأمر تفصيلاً ولكن دون جدوى. فاتفقت كلمتهم على طرح الموضوع على سماحة آية الله السيد صادق (دام ظله) فالتدبني المجتمعون ومع سماحة الشيخ المجاهد لزيارة السيد صادق (دام ظله) وطرح الموضوع معه.

نفذنا القرار، اجتمعنا بسماحته في منزله الخاص والذي تحول الآن إلى دار ضيافة. بحثنا الموضوع معه، كان رأيه تحمل مصاعب المرحلة لحين اجتياز الأزمة وقال ضمن ما قال: (كما إنكم تجتمعون لعلاج الأزمة الاقتصادية سيأتي يوم تجتمعون فيه للتخطيط لصرف الأموال الواردة إلى ميزانيتكم المرجعية).

أيقظ الروح المعنوية فينا من جديد ودفعنا إلى العمل.

كان الإمام الراحل (رحمه الله) قد اتفق مع العديد من أعضاء المكتب الناشطين أن يراجعوا آية الله السيد صادق (دام ظله) فيما لو اصطدموا بمشكلة اقتصادية، ولم يعالجها سماحة السيد الراحل (رحمه الله) إلا نسيباً. فمثلاً لو أردنا إعطاء مبلغ ما لمن يريد السفر إلى خارج البلاد خمسين ألف تومان، وقدم سماحة السيد الراحل (رحمه الله) عشرين ألفاً وهي دون مستوى ذلك المبلغ، كان السيد الصادق حفظه الله هو الذي يكمل الباقي. وهذا الاتفاق قد حل كثيراً من مشاكل الأعضاء الاقتصادية.

إجمالاً كان آية الله السيد الصادق (دام ظله) بمثابة رئيس الوزراء في المرجعية

ولكن دون ظهور وبروتوكولات وإعلام. وكان ذائباً في مرجعية أخيه الراحل (رحمه الله) وبإذلاً كل طاقاته في إدارة الأمور والتزام أي أمر صعب ومعقد، وملازماً لجلسات أخيه يومياً وإن أعذر في يوم ما، ففي اليوم التالي يلزم نفسه مهما كانت الظروف للحضور إلى مجلس أخيه. ذات مرة كنت على موعد معه وما إن استقر بنا المقام ولعدة دقائق قام معتذراً ومؤكداً لزوم وضرورة الحضور عند الإمام الراحل (رحمه الله) واتفق معنا على موعد آخر.

أعمدة مكتب سماحة السيد الراحل (رحمه الله)

1. العلامة الحجة السيد محسن الخاتمي (حفظه الله) عالم فاضل، واستاذ في التفسير، وكادر قيادي ومجاهد مخلص، وتاريخه حافل وهو من تلامذة الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) والإمام الراحل (رحمه الله).

يتميز بحدة الذكاء وقوة الحججة وفن المفاوضات وكثرة الانتاج والحكمة في اتخاذ القرار. هو من رموز المدرسة الشيرازية الشريفة، ومن المتفانين في العمل للإسلام والمسلمين ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ويتقن فن العلاقات الناجحة كل اتقان، وطبيعته الانفتاح الإيجابي على الجميع. مظهره الخارجي منظم ويتميز بالرزانة والوقار لدراساته الحوزوية إلى بحث الخارج ثم نزل ميدان العمل بكل جد ومثابرة.

كان صاحب قرار ورأي ذو وزن في المكتب ويعتمد عليه سيدنا الراحل (رحمه الله) في كثير من الأمور، منها:

تأسيس وإدارة مدرسة (جابر بن حيان الكوفي)، وكان دوره استراتيجياً وأنتج بعد مرور فترة من الزمن جيلاً من المبلغين والخطباء والأساتذة والكتاب،

وكانت إدارة تلك المدرسة الحوزوية الحضارية أمراً في غاية الصعوبة.

ومنها إدارة الشؤون السياسية والارتباط بقيادة المعارضة العراقية وبعض رموز النظام الإيراني للضرورة، وقد تصدى لتأسيس (حركة الجماهير المسلمة) بالتنسيق مع سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وأعمدة مكتبه.

وكانت هذه العملية محفوفة بالمتاعب وفي طريقها سلسلة من العقبات والمطبات، فتصدى بكفاءة وأدى مسؤولياته على أحسن وجه.

وكان يدير أعضاء المكتب ويحل مشكلاتهم وخلافاتهم أحياناً، ويرعى ويشرف على مؤسسات السيد الأستاذ الراحل (رحمه الله) ويهتم بشؤون رموز الحوزة العلمية ويجلس في غرفته المجاورة لغرفة سماحة السيد الأستاذ (رحمه الله) لإدارة الأمور.

بعد فترة من الزمن في عام 1980م تحمل مسؤولية إدارة خط ومؤسسات السيد الراحل (رحمه الله) خارج إيران، فهاجر إلى سورية واستلم مسؤولية إدارة الحوزة العلمية فتقلد منصب العمادة فيها، وكذلك يدير خط ومدرسة السيد الراحل (رحمه الله) في الخليج منطلقاً من سورية ومن الكويت.

دور سماحة السيد محسن الخاتمي كبير ومتعدد الجوانب واستراتيجي في نفس الوقت. وقد لاحقته أجهزة مخابرات بعض الدول وتحسست من تحركاته، إلا أنه لم يعبأ بها وواصل مسيرته أكثر من عشرين عاماً حافلة بالأحداث الجسيمة والمطبات العميقة والمسؤوليات الكبيرة. ثم اعتزل العمل المكتبي الخاص وتوجه إلى الخدمة الاجتماعية وتولى شؤون الأيتام في مدينة مشهد المقدسة وأشرف على موسوعة هامة تحت عنوان (موسوعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)) عن تفاصيل حياة وحركة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وهو لازل إلى الآن يواصل مسيرته المعطاءة المشكورة.

2. العلامة الحجة الراحل السيد علي الفالي (قدس سره) ، وهو الآخر عالم فاضل ومجاهد فذ وبطل لا يجارى، هو الذراع الأيسر لسماحة السيد الراحل (رحمه الله) بعد العلمين المذكورين. وكان (رحمه الله) لا يعرف يداً عن قدم، يشمر السواعد لبذل كل خدمة مهما كانت صعبة ومجهد، وكان العمد المعتمد في كل المؤسسات الاقتصادية (صناديق الأقرض الخيري) وكل الحسينيات المنتشرة في ايران وتعدادها أكثر من أربعين وكل البرامج والمشاريع الأخرى. السيد الفالي قائد ميداني وشخصية ذات قدرة فائقة في تحمل مختلف المسؤوليات وكان يعمل بصورة متواصلة من الصباح إلى المساء ولا ينال شيئاً من الراحة، بل المهم عنده إنجاز المهام ولا يتوقع من أحد شكراً أو جزاءً .

توسط في إقراض آلاف المعوزين وتسبب في حصولهم على المساكن، كما بذل قصارى جهوده في تزويج آلاف الشباب. خيره عم الناس لذلك حين لقي حتفه بحادث مؤسف بكت عليه العيون، كل من عرفه بكى لفقده وأقيم له تشييع شعبي ونوعي اشترك فيه الآلاف كتشييع المراجع الكبار بالرغم من أن أجواء مدينة قم كانت مشوبة بحذر شديد لأنها كانت مهددة في كل لحظة بقصف قوات صدام في الحرب العراقية الإيرانية، مع ذلك تقاطرت الجماهير من مختلف محافظات ايران للاشتراك في تشييع ذلك العالم المجاهد الجليل.

الحديث عن السيد الفالي طويل جداً، ولقد تصديت لمتابعة إصدار فلم وثائقي عن حياته (رحمه الله) كما تصديت أيام رحيله (رحمه الله) بإصدار كتاب عن حياته وصدر الكتاب حينها ونفدت نسخه.

وبكلمة: إنه كان أمة في رجل ويخدم آلاف الناس دون فرق عنده بينهم، وترك فراغاً عجز الآخرون رغم فضلهم ونشاطهم أن يسدوه إلى هذا اليوم،

رحمه الله برحمته الواسعة، وقد نقل جثمانه بعد العام 2003 إلى كربلاء المقدسة ودفن إلى جوار جده ومولاه الإمام الحسين (عليه السلام) فهنيئاً له هذا الشرف الرفيع.

3. السيد محمد رضا (قدس سره)، كان (رحمه الله) كطاقة الرياح تتضوع عطراً وكالقمر يشع نوراً ويزهو جمالاً ونموذج فذ في عطائه الذي يفيض بالعلم والثقافة والتربية.

الصورة



السيد رضا (رحمه الله) قوة خفية ذات ثقل في أكثر القرارات والمشاريع وتمتيز في آرائه وتنظيراته يشار إليه بالبنان، الكل يشعرون في مكتب والده (رحمه الله) بالحاجة إلى رأيه وموقفه ودعمه. مستشار أمين لوالده وعمه وأعضاء المكتب ومساند مخلص يحرص على نجاح عموم المؤسسات. بذل عمره وشبابه في التحصيل العلمي وتربية التلاميذ وأداء دوره الاجتماعي والمكتبي الهادئ دون إثارة أو صخب. يزور الرموز ويداري شباب الخط ليس في المكتب والحوزة فقط بل كل الشباب ورموز المدرسة الشيرازية الشريفة كانوا يلتقونه ويطرحون قضاياهم فيصغي إليهم بكل حواسه ثم يقدم لهم أفضل المقترحات والحلول. فهو المستشار الأول والمساند الأول ومحرك الطاقات والموجه إلى العمل والجهاد. مساعد لأبيه وعمه والسيد الفالي والخاتمي. يعينهم جميعاً في مشاريعهم في دائرة إمكاناته وطاقاته، ومع رعاية موازين الحفاظ والاحتياط في صفوف الحوزة كان يتحرك مع تلك الأفكار والرؤى وفي مناخ الاحتياطات والرزانة الحوزوية المحافظة، وهذه توافقية معقدة لكنها كانت ممكنة في حركة السيد الرضا (رحمه الله).

دوره كان اقتصادياً في دعم المرجعية، وتربوياً في التدريس والتنمية، ومسانداً لمختلف المشاريع. ومساعداً للمرجعية واعمدتها.

في هذا الخضم تمكن أن يخرج عالماً كبيراً تدين له الحوزة كلها بالفضل والاعتبار، لكن ما يعترض القلوب ألبأ أن السيد الرضا (رحمه الله) كان وردة يافعة فذبلت وجارت عليها الأقدار.. سلام عليه حين ولد وحين جاهد واستشهد وحين يبعث حياً. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من مات على حب آل محمد مات شهيداً».

المستشارون السياسيون

كان السيد الأستاذ (رحمه الله) مهتماً كل الاهتمام بالشأن السياسي على صعيد الأمة الإسلامية والعالم العربي والشرق والغرب كله وأخص من كل تلك البلاد: العراق وإيران.

المستشارون السياسيون كانوا مجموعة من نخبة أهل الخبرة منهم أصحاب السماحة: (المدرسيون) السيد محمد نقي والسيد هادي والسيد عباس، إضافة إلى الشيخ نديم الطائي (الحاتمي)، والسيد عز الدين الفائزي والسيد حسين الطويل والشيخ جاسم الأسدي وغيرهم. ومتى ما كان يحدث أمر كان سماحة السيد (رحمه الله) يطلبهم للتشاور، ومتى ما كانوا يزورون السيد (رحمه الله) كان يطرح عليهم مختلف الأخبار ويسمع رأيهم فيها، وأحياناً كان يستشير سماحة آية الله السيد مرتضى القزويني (حفظه الله) في أية زيارة أو لقاء.

وفي الشأن الإيراني والحوزوي كان يستشير سماحة آية الله الشيخ حسين الكرمانى وسماحة السيد صادق (دام ظله) وغيرهما.

وفي قضايا الساحة العراقية المحلية والحوزوية كان أحياناً يستشيرهم

ويستشير بعض أعضاء المجموعة المرتبطة بي والتي تعمل بالتنسيق معي.

الرصد الإعلامي

مسؤول الرصد الإعلامي هو فضيلة الحجة الشيخ رضا السلطاني، دوره قراءة الصحف الرئيسية وتسجيل مانشيتها و خلاصة أخبارها وتقديمها يومياً للسيد الراحل (رحمه الله). ولفترة معينة كان مسؤولاً عن سماع بعض نشرات الأخبار العالمية وتسجيل خلاصتها وتقديمها لسماحته (رحمه الله).

الدائرة الثانية في المكتب

كنت أنا والمجموعة العاملة معي وأمثالها ضمن الدائرة الثانية في المكتب، وكان زملائي حوالي خمس عشرة شخصية، وهم: الشيخ رحيم الحائري، والشيخ المجاهد، والشيخ المحقق، والسيد المجيدي، والشيخ حسن الاصفهاني والسيد هاشم اليعقوبي، والشيخ رضا السلطاني، والشيخ التوكلي، والشيخ جعفر عسكربور والشيخ حسين الشاهرودي، والتحق فيما بعد السيد مرتضى

والسيد جعفر الشيرازيان (حفظهما الله)، كل من هؤلاء له دوره ومسؤوليته.

وكانت هناك دوائر أخرى متعددة للأفغانين وللهنود والباكستانيين ولترك الأذربيجانيين. وكان السيدان الجليلان الفاضلان السيد حسين الفالي والسيد محمد باقر الفالي من العناصر الناشطة في المكتب ولهما دور كبير، وكذلك فضيلة الخطيب الحسيني الشيخ السعدي أيضاً، هؤلاء هم رجال المكتب من علماء الحوزة في قم المقدسة.

وكان هناك جمع آخر منتشر في مختلف أنحاء البلاد في العاصمة طهران وفي إصفهان وفي شيراز ومشهد وتبريز والأهواز ومختلف المناطق الأخرى. إلى جانب

ص: 225

هؤلاء كان جمع كبير من الوجهاء والكوادر القيادية العاملة من غير رجال الحوزة ولهم أهم الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. منهم الوجهاء الأفاضل: الحاج رضا نائيني، والحاج جعفر مير حائري، والحاج ابو كمال غفاريان، والحاج محمد بوردارا، والحاج أبو رسول (حجو)، والسيد سجاد الفالي وغيرهم. هؤلاء هم نماذج من كوادر سماحة السيد (رحمه الله) العاملين في الساحة والذين لازالوا يؤدون أدوارهم في هذا الخط، مع الأخذ بالاعتبار ظروفهم الحالية المختلفة عن تلك التي مضت قبل أكثر من عقدين.

العراك الثقافي

من النشاطات الظاهرة وتحظى باهتمام كبير هو التحرك الثقافي، حيث كان السيد (رحمه الله) يعتقد بأصل كبير أسسه هو وانطلق منه للعمل، وهو ضرورة نشر مليار كتاب في الأمة الإسلامية، لذلك كان يبذل غاية جهده للتأليف والنشر. وكان من أهدافه السامية تأليف ألف كتاب، ولما أتم الألف قرر مواصلة التأليف إلى ثلاثة آلاف، لكن الأجل اختطفه فقطع عليه مسيرته التأليفية.

الكتاب أصل كبير عند سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وألف كراساً أسماه (ثلاثة مليارات كتاب) يقصد من ذلك ضرورة نشر ثلاثة مليارات، مليار منها لتوحيد الطائفة الشيعية، ومليار لهداية المسلمين إلى هدى ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، أما المليار الثالث فلتعريف الغرب على حقائق الاسلام.

كان (رحمه الله) يعبئ كثيراً للتأليف ويخطب بكل تركيز ليقنع التلامذة والمستمعين بضرورة التأليف والنشر، ولقد كتب المئات من المؤلفين كتبهم بناءً على إرشاد وتشجيع سماحة السيد الراحل (رحمه الله) لهم.

يقول الأستاذ الكبير الدكتور محمد حسين الصغير عميد جامعة الكوفة وأنا سمعت منه كلمته الرائعة التي يقول فيها: (إن سماحة السيد الشيرازي قد علّم شباب العراق المثقف على التأليف).

ولقد شجع حتى النساء على ذلك، على أثر ذلك التشجيع انطلقت عدة من نساء أسرته وألفت مختلف الكتب النافعة، منها: (خطب وكلمات ابي الأحرار الحسين بن علي (عليهما السلام)) الذي ألفته زوجة سماحته (رحمه الله)، وغير ذلك كثير. وإنني ألفت كتاب (شورى الفقهاء المراجع) و(محنة الأثرية في العراق) بتوجيه وتشجيع منه (رحمه الله).

ولو وقف شخص لجمع أسماء وكتب الذين ألفوا بتشجيع من سماحة السيد الراحل (رحمه الله) لعله يسجل عدة آلاف من أسماء الكتاب.

فكان (رحمه الله) الملهم والمحفز المصير والمتابع لحركة التأليف في الأمة الإسلامية، ولعلني لا أبالغ لو قلت: إنني سمعت منه ألف مرة يشجع الآخرين على التأليف.

والجدير بالذكر هنا أنه (رحمه الله) كلما عمم شاباً من الحوزة شجعه على التأليف ضمن نقاط خمسة يوجهها إليه، ولو علمنا أنه عمم أكثر من ألف شاب نعرف كم أنه تكلم حول التأليف مشجعاً ودافعاً للكتاب إلى الأمام. وكم من هؤلاء الرجال صدرت لهم كتب على أثر توجيه سماحته (رحمه الله).

مكتب السيد الراحل (رحمه الله) مركز لنشر الكتاب في العالم

خلال مدة إقامته في قم المقدسة لا يوجد إحصاء حول الكتب التي ألفت ووزعت من تأليفاته أو غيرها، فمثلاً كتاب سماحة آية الله الشيخ حسين الفدائي

(عراقنا الإسلامي والهزات المعاصرة) كتب بتشويق السيد الراحل (رحمه الله) وطبع ونشر من مكتبه.

(موسوعة الفقه) طبعت ونشرت من مكتبه، مئات الكتب الثقافية طبعت ونشرت من مكتبه، وبين مدة وأخرى لا تتجاوز الشهر نرى كتباً عديدة توزع مجاناً، كثير منها كراسات صغيرة وقسم منها مجلدات كبيرة. فما كان المكتب يخلو من كتب التوزيع مطلقاً. وأحياناً في مناسبات محرم وصفر وأمثالها كانت تنطلق حملات توزيع الكتاب وتشر الآلاف المؤلفات. وما من وفد يزور سماحته (رحمه الله) إلا ويخرج ومعه كيس من الكتب، سواء من الطبقة المثقفة أو من غيرها.

وحتى الرجل الأمي كان يحظى من مكتب السيد الراحل (رحمه الله) بمجموعة كتب.

كانت فلسفة الإمام الراحل (رحمه الله) في ذلك هي: إن هذا الأمي يأخذ الكتاب إلى المنزل فيقع بيد أولاده وبناته وزوجته وضيوفه، وعلى كل حال لا يهدر الكتاب بل يقرأ وإذا لم يستفد منه مطلقاً فإنه يهديه لصديقه أو ضيفه أو... وهذا أيضاً يحقق هدفنا لأن الكتاب سيقراً أيضاً.

وكان البعض يأخذ الكتاب ويذهب إلى السوق ويبيعه، كان السيد الراحل (رحمه الله) يقول: هذا أيضاً يحقق هدفنا من توزيع الكتاب ويشارك في نشر الفكر لأن الكتاب الذي يباع سيقراً أيضاً!

وكان يقول مكرراً: يلزم أن نرش الثقافة على المجتمع كزخ المطر الغزير. ويقول أيضاً لأصحاب المواكب الحسينية الذين يوزعون الطعام على المعزين: وزعوا مع كل وجبة طعام كتاباً أو كراساً، فالطعام غذاء المعدة والكتاب غذاء العقل والروح.

وكانت بعض الكتب تحمل أفكاراً لا يرتضيها بعض رجال الحكم المتشددون، فكان الكتاب يطبع بطرق معينة دون أن يطلع هؤلاء عليه ودون أن يكون لأحد أو جهة مستمسك قانوني ضد الكتاب.

فكان الكتاب يمر بمراحل صعبة حتى يصل إلى يد القارئ. من جهة أخرى كانت الكتب تطبع بأجهزة بدائية، من تحقيق أو استخراج المصادر أو إخراج فني أو تجليد أو غير ذلك، فكانت تصدر بأوراق رخيصة صفراء وكان يقول سماحته (رحمه الله) أيضاً: (المهم أن يصل الكتاب إلى يد المجتمع وليس مهماً أن يجلد أو أن تكون أوراقه راقية أو ما شابه ذلك).

وفي كثير من الأحيان كانت الكتب تطبع قرصاً ولم يكن سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يملك ثمن الطبع. وحاول مرة بواسطة الاتفاق مع دار نشر لطبع كتبه وتوزيعها لكن صاحب الدار رفض لأن كتب سماحته (رحمه الله) ليست تجارية ومربحة إضافة إلى أنها تحمل أفكاراً لا يرتضيها بعض الحكومات هذا ما كان صاحب الدار يتجنبه بشدة واحتياط.

نعم أمثال كتاب (إيصال الطالب إلى المكاسب) والكتب الحوزوية كانت تجارية ولا زالت. ولقد قال لي مالك (دار الهدى) في قم المقدسة وهو الوجيه (الحاج جعفر مير الحائري) الناشط في جهاز مرجعية سماحة السيد الرحل (رحمه الله): (إن كتاب إيصال الطالب إلى المكاسب) يبيع في أحد الأعوام بمفرده أكثر من كل الكتب الأخرى المعروضة في مكتبه).

وكان يملك معرضاً حافلاً بأنواع الكتب وفي مختلف العلوم والفنون وكان موقع معرضه في المنطقة التي يطلق عليها (كذر خان) وهي منطقة مزدحمة ومركز طلاب العلم وفيها العديد من المكتبات والمعارض.

لكل كتاب يطبع في بلد من العالم ضوابط للطبع والترجمة والنشر وهذه حقوق مشروعة ودولية، فليس لأحد طبع أي كتاب لغرض التجارة والاسترباح ولا لأي غرض آخر إلا بعد الاتفاق مع الدار الناشرة له أو المؤلف أو أية جهة أخرى مسؤولة عنه، وكذا الترجمة بأية لغة في العالم وكذا أي تصرف آخر بالكتاب كما لو أراد اقتباس نصوصه لإخراج فلم أو مسلسل مرئية أو مسموعة.

أما سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) فقد أسقط كل هذه الحقوق عن نفسه وأعلن عن إجازة مفتوحة لأي كتاب من كتبه، طبعاً ونشراً وترجمة غير تلك التي يتعلق بها حقوق الآخريين. أما بعض الموسوعات كـ (الوصائل إلى الرسائل) التي كانت تثقل كاهل سماحته (رحمه الله) بالمصاريف الباهظة وكانت مشروع استرباح أيضاً فلا أعلم إن مورداً واحداً طلب السيد (رحمه الله) ربحاً منه.

ولقد كان (رحمه الله) يكرر ويوجه كثيراً ويؤكد حول أهمية مشروعه (المليار كتاب) وصدر قبل سنوات كتاب لأحد الكتّاب في السعودية يحمل عنوان (الكتاب في فكر الإمام الشيرازي)، وفي المواسم الدينية الشعبية مثل محرم الحرام كانت حركة الطبع والنشر والتنشيط في المكتب، وتتألف هيئة من العلماء والوجهاء وأحياناً أكثر من هيئة واحدة تنطلق إلى مختلف أنحاء إيران وتزور عشرات الحسينيات في كل المحافظات وتنتقل إليهم آلاف الكتب لتوزيعها مجاناً على الجماهير.

إجمالاً وبكلمة واحدة: منزل سماحة السيد (رحمه الله) كان يمثل أكبر مركز كبير ووحيد في كل إيران لتوزيعه الكتاب على أوسع نطاق باللغة العربية والفارسية وأحياناً بالإنكليزية والتركية والكردية أيضاً.

ولا يفوتني أن أؤكد هنا: إن الكتاب هو الأبرز في حركة سماحة الامام الراحل (رحمه الله) الثقافية ويحظى بالحظ الأوفر. في نفس الوقت كان يرى سماحته (رحمه الله) ضرورة تأسيس المجالات والدوريات وإقامة الندوات والمؤتمرات وكان يشجع كل المراكز والحسينيات على إصدار نشرة شهرية تعنى بتثقيف المجتمع وحين لا يستطيع المركز إصدار نشرة منظمة أسبوعية أو شهرية أو فصلية كان (رحمه الله) يؤكد لهم على إصدار نشرة في أية فرصة ممكنة دون الالتزام بموعد منتظم، وكان يطلق على هذا النوع من الدوريات مصطلح (كاهنامه) [\(1\)](#) أي الدورية (الاحيائية) لا اسبوعية ولا شهرية ولا فصلية.

ومجلة (طريق الثورة) كانت مركزة ونافعة وينظرها قراؤها كل شهر وتتطق باسم (حركة الجماهير المسلمة) وتصدر بلغتين. هذه كانت صدرت بتشجيع السيد الراحل (رحمه الله) وإعدادها الفارسية تحمل اسم (راه انقلاب) بجهود معينة.

ونشرة (الحقيقة) التي أصدرها فضيلة العلامة الشيخ مرتضى معاش صدرت أيضاً بتشجيع سماحته (رحمه الله) .

وهكذا عشرات المجالات والدوريات التي كانت تصدر من المراكز الشيرازية المنتشرة في ايران وغيرها. وبكلمة إن الحركة الثقافية في نهج السيد الراحل (رحمه الله) كانت أصلاً أصيلاً ومبدأً استراتيجياً يحمل شعار (النهضة الثقافية في العالم الاسلامي الكبير).

الاقتصاد المرجعي

يعتمد اقتصاد المرجعية على الخمس الذي يستخرجه المؤمنون الملتزمون من أرباح مكاسبهم ويقدمونه للمرجعية، هذا الخمس هو الذي يضمن رواتب

ص: 231

1- مصطلح باللغة الفارسية تعني الدورية أو الاحيائية.

طلاب الحوزة ومصاريف المكتب ويمول الحركة الثقافية ومختلف الأنشطة الأخرى.

ولقد سمعت محاضرة لسماحته (رحمه الله) في الكويت كان يركز على أن تشريع الخمس إنما تركز على محور (ضرورة التبليغ). غير أن هذا الوارد والمنيع الرئيس عجز عن ضمان مشاريع سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وذلك للأسباب التالية:

1. طموحات سماحته كانت واسعة وكبيرة ومصاريفه بالطبع تكون كثيرة، فكان الوارد لا يفي بالصادر دائماً.

2. وكانت هناك جهات مرجعية أخرى ترتبط بأصحاب المال من مقلدي سماحته (رحمه الله) ويقنعونهم بأهمية دفع مبالغ الخمس لهم أو لمشاريعهم إن كانت أو لمرجعيتهم، وسماحة السيد الراحل (رحمه الله) كان لا يتردد ولا يتوانى في إمضاء تلك المطالبات لكي يحترم هؤلاء الآخرين أولاً ولكي يداري المتمول المعطي ثانياً ولكي يتجنب أية حساسيات أو حزازات أو نزاعات مستقبلية ثالثاً.

ذات مرة كانت جهة سياسية مرجعية قد تناقضت من مقلد خليجي لسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ثمانمائة ألف درهم إماراتي فأمضاه (رحمه الله) ، ومرة أخرى كان أحد وكلاء مرجعية أخرى تناقضى من مقلد لسماحته (رحمه الله) في طهران عدة ملايين أمضاه السيد الراحل (رحمه الله) أيضاً.

وفي المقابل ذات مرة سلمني فضيلة الخطيب الشيخ فاضل الحيدري أربعة آلاف تومان وسلمته الايصال الموقع من الإمام الراحل (رحمه الله) وتبين أن المعطي مقلد لمرجع آخر بعد فترة من الزمان تابع وكيله واسترجع المبلغ! وتكررت هذه الصورة مرة أخرى كان قد دفع رجل ألفي تومان للسيد المجيدي رجع بعد أيام يطالب بها قيل له: صرفت للحوزة فرفع صوته غاضباً مستنكراً فعوض له المبلغ!

أهكذا تدار أمور المسلمين؟ مع هذه الحساسيات السوداء؟ والتي لازالت مهيمنة على بعض القلوب والنفوس؟

3. والمشكلة الأخرى المعقدة في هذه الواردات، إن بعض رجال الدين الذين يتقاضونها من المجتمع ويحملونها إلى المرجعية، يطالبون بنسبة منها لصرافها في شؤون مشاريعهم وقضاياهم وإعطاءها لمن يرونهم مستحقين لها، أو لكتاب ألفوه، أو لمشروع في حالة بناء، أو التزويج أو الفقراء، أو ما شابه ذلك، وهذه كلها مشروعة وإيجابية، إلا أن المشكلة إن نفس المرجع يحتاج إلى هذا المال احتياجاً مبرحاً: من أين يوفر الميزانية الكبيرة لرواتب الحوزة العلمية مثلاً؟ ومن أين يدفع لمئات المراجعين يومياً وشهرياً من ذوي الجاه والعلم والوجاهة وهم في أشد عوز وفاقة ولا يملكون ما يعالجون به مرضهم أو مرضاهم؟ بعض الوسائط يطلب كل الوارد الذي وصل بيده ويطلب الإجازة الشرعية والإيصال المختوم منه (رحمه الله) وبعضهم يطالب بنسبة معينة، وبعضهم يتصرف به ثم يطلب الامضاء.

4. من جهة أخرى كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) هو المشجع للمشاريع، وهو السبب في تصدي الوكيل أو غير الوكيل لتأسيس جامع مثلاً أو مشروع إنساني، فكان (رحمه الله) هو المبادر أحياناً لإجازات صرف الحقوق الشرعية، فكانت الأموال تتوجه إلى تلك المؤسسات والمشاريع وبالمال، وتبقى المؤسسة المرجعية تعاني من أشد ضائقة.

يعتمد اقتصاد المرجعية أيضاً وبعد الخمس على التبرعات لمختلف المشاريع، فكل مؤسسة أو نشاط مرجعي كان رجال المرجعية يبذلون الجهود المضنية والمكثفة لإنجاحه وتمويله، فطبع الكتب، كل كتاب بمفرده أحياناً كان يعتمد على التبرع، وشؤون الفقراء والمعوزين كانت كذلك، والمؤسسات الكبيرة

مثل الحسينيات والجوامع والجمعيات والمنظمات كذلك تقوم على التبرعات، وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يقيم الولايم للوفود الخاصة من رجال المال أو الوسائط إليهم، وبعد الوليمة أو قبلها، يتكلم بتركيز حول مشروع تأسيس حسينية مثلاً أو أي مشروع آخر مستوصفاً أو جامعاً أو مدرسة أو غيرها، وبحشد المعلومات الشرعية والقصاص الوعظية كان الأثرياء يستجيبون ويطلب منهم واحداً من الكوادر الفعالة ليتابعه ويواصل الحديث معه ويتقاضى منه الملك أو المال مباشرة.

وأحياناً كانت تصلني بعض المبالغ الصغيرة والتبرعات أو الحقوق فيأمر سماحته (رحمه الله) بصرفها في مواردنا وأكثر الأحيان كنت قد اقترضت مبلغاً لإسعاف الرواتب وأحياناً لأشهر مثلاً، فكان المبلغ يوفى به الدين! وأتذكر إن كتاب (العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل) طبع بتبرع استخرجته من بعض المتبرعين في طهران وتأسيس قنوات الغاز لمنزل سماحة الامام الشيرازي (رحمه الله) نفسه قد وفرت حسابه من الوجيه الفاضل الحاج صاحب الخباز (حفظه الله تعالى) ذلك لأن سماحته (رحمه الله) كان يرفض الاتفاق على أمر خاص به وبعائلته، إضافة إلى ذلك كان يقول: إذا انتشرت في كل مدينة توصيل الغاز المركزي للمنازل آنذ نحن نوصل الغاز، لأنه كان يريد أن يعيش عيشة الفقراء لا الأغنياء، فتحررت ونفذت المشروع لتوصيل الغاز المركزي إلى منزله.

وأما المصدر الأخير للاقتصاد المرجعي هو السلف والقروض التي كان يتم اقتراضها من التجار ومن البنوك عبر وسائط معينة وبصورة غير مباشرة.

كان هذا هو الطريق الأخير لعلاج الازمات، غير أن الصعوبة تكمن فيما لو سدت كل الأبواب فلا خمس ولا تبرع ولا قرض. وكم من مرة اوصدت الأبواب، ذلك لأن كل جهة قادرة على الإقراض قد استقرض منها، فكانت

تشتد الأزمات مع قدوم مطلع كل شهر حيث إن ميزانية رواتب الحوزة كبيرة وفوق الطاقة الاقتصادية للمرجعية، فكانت تتولد أزمة خانقة!

ولا ننسى أن نؤكد إن سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) أغمض عينه يوم لبي نداء ربه فترك الدنيا وهو مثقل بديون قدرت بحوالي ثلاثة مليارات دينار عراقي! تصدى بعض تجار الخليج الكبار لإيفائها عنه. ولقد كان يعاني دوماً من قلة المال والديون، وكنت أنا اقترض لرواتب الطلبة العرب ولا يسددها سماحته إلا أواخر الشهر وأحياناً بيومين قبل الشهر القادم!

لقد أبلى بلاءً حسناً على صعيد الاقتصاد المرجعي، كان يوصي موظف الشراء - ابو عباس - بشراء أرخص وأردء البضائع من السوق للحاجات المنزلية الخاصة، فيشتري الفاكهة مثلاً من الدرجة الثالثة أما للضيوف فهذا أمر آخر مختلف عن التسوق لمنزله، وكان لا يملك غير صاية (زيون) واحدة وحين بدأت بالتهرؤ تبرع فضيلة الشيخ علي حيدر المؤيد بثمان خاص لخياطة صاية جديدة.

وكان (رحمه الله) يوصي طلبته بالحد الوسط في المعيشة لا البساطة المفرطة التي تتسبب في أن تقحمهم العيون وتزدر بهم ولا الفخفخة والتميز الاقتصادي. والجدير بالذكر أن سمعته شاعت بأنه يملك الكثير الكثير ومرة تقدم أحد شخصيات قم بطلب قرض خمسة ملايين تومان وهذا مبلغ كبير خارج عن قدرته (رحمه الله) فاعتذر منه.

الإبداع الفكري

عالم اليوم يغمره الإبداع، يعيش الإنسان المعاصر تحت خيمة الإبداع المستمر في ملبسه ومأكله ومواصلاته وكلامه والفراس الذي يجلس عليه وفي كل شيء يمر أمام عينه من الصباح الباكر حتى آخر الليل.

ولقد كتب (كين روبنسون) في كتابه القيم (صناعة العقل) أن التكنولوجيا الدقيقة التي تم الاصطلاح عليها ب- (نانو تكنولوجي) تصنع الآن كمبيوتراً دقيقاً يزرع في شريان الإنسان أو عند خلية من مخه، ليسجل ملاحظاته ثم بعدها يشخص المرض فيعالجه! وحين سئل أحد علماء التكنولوجيا الدقيقة عن الكمبيوتر الذري وكيف يقوم بتسجيل ملاحظاته قال: (إن الكمبيوتر الدقيق يضبط مقدار نمو لحيتك في كل لحظة!).

وهكذا هو منطق العصر الحديث إبداع شامل (حتى في وسائل الدمار والتخريب).

ولقد كان الإمام الراحل (رحمه الله) مبدعاً عملاقاً في عالم الفكر، وقد أبدع نظريات كثيرة وتعمق فيها وعالج منعطفاتها، وسجل أفكاره في كتبه البالغة ألفاً وثلاثمائة وأربعة وستين (1364) كتاباً حسب تصريح مسؤول كتبه ومخطوطاته فضيلة العلامة الشيخ علي الفدائي (دام عزه).

وينظره خاطفة إلى عناوين مجموعة من كتبه تنطبع رؤية عند الباحث عن مدى شموليته في البحث والتأليف، مثلاً: فلسفة التاريخ/ فقه العولمة/ طريق النجاة/ فقه الحقوق/ الاقتصاد/ السياسة/ الاجتماع/ الفقه كتاب العقل/ فقه المرور/ البيئة/ النظافة/ الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والسلام والرفاه/ ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين/ السبيل إلى إنهاء المسلمين/ الغرب يتغير/ الازمات وحلولها/ المرض والعلاج (المقصود أمراض الواقع المعاشي وعلاجها لا أمراض الجسد)، وغيرها كثير ...

هذه تنبئ بأن كاتبها مفكر مبدع دقيق الفكر غزير الاطلاع وشخص فذ.

وقد ألفت كراساً يحمل عنوان (تأسيس الجمعيات) يحتوي على اقتراحات

لتأسيس (810) جمعية ويعتبرها حلقات مترابطة في سلسلة الحركة النهضوية للأمة الإسلامية. وكتاباً يحمل عنوان (إلى ابنائنا في البلاد الأجنبية) ويعتبرهم حملة رسالة الإسلام الإنسانية إلى العالم الشرقي والغربي ويضع برنامجاً لأبنائنا المقيمين في تلك البلاد.

وكتب كتاباً آخر يحمل عنوان (إلى وكلائنا في البلاد) يحتوي على تسعين (90) نقطة توجيه تشكل رؤيته (رحمه الله) حول دور ومسؤولية علماء الدين في الأمة مالهم وما عليهم. وقد كان الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) يوجه تلامذته ووكلاؤه إلى اقتناء هذا الكتاب والتزام ما فيه من التعاليم والمناهج لعلماء الدين والوكلاء المنتشرين في كل بلاد العالم. وقد اندفع بعض تلامذته (رحمه الله) ينبوعاً غزيراً للإبداع الفكري المنبثق من نور القرآن الكريم ودرر السنة النبوية الشريفة وجواهر كلام أهل البيت (عليهم السلام).

في إحدى المرات هاجم أحد الشباب الثوريين بعض علماء الدين الذين لم يحركوا ساكناً في خضم أحداث العراق الجريح في عام 1991م وهاجمهم عن طريق الانتقاد اللاذع ووصفهم بالجن والتخاذل فقرأ (رحمه الله) الآية الكريمة: (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا). وهؤلاء (وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ). وهكذا في كل نقاش وعند طرح أي سؤال فإنه يطرح جواباً محكماً وفيه أحياناً إبداع لم يسمع به أحد.

ونظريته في (شورى الفقهاء والمراجع) تبدو بسيطة في بادئ الأمر، لكنها في الواقع عميقة وتكتنفها فروع عملية كثيرة وورد عليها شبهات، وقد تمكن سماحته (رحمه الله) من إشباعها ورفدها بفيض من الأفكار والشواهد والمعلومات والنصوص الشريفة. مثلها نظرية (السلم والسلام) التي ألف عنها مجلداً

بحوالي (800) صفحة حشد فيه كوكبة من النصوص البكر الرائعة والقصص الواقعية والتاريخية والاحصاءات الحديثة. وتكلم حولها في كتابه (السبيل) ضمن إحدى عشر نقطة أو أكثر كلها في مضممار فلسفة العمل السلمي الشامل من المفردات الثقافية والسياسية والإعلام والتربية والتنظيم والمال والعلاقات والأنشطة الإنسانية ومنظومة أخلاقية واسعة تضم ضمنها العفو والأغضاء والمداراة وسلسلة من القواعد الحيوية، هذه شكلت منظومة فكرية عميقة حول نظريته (رحمه الله) في السلم والسلام و(اللاعنف).

وهكذا في مختلف الميادين التي ألف فيها، نجد منظومة مترابطة الحلقات من الأفكار الإبداعية الإسلامية الرائعة. ذات مرة كانت هناك ملاحظة في وصف أحد العلماء ومستواه بتعبير مناسب لشأنه، فكان لقب (حجة الإسلام) قليلاً بشأنه، ولقب (حجة الإسلام والمسلمين) كبيراً عليه، فأعاد السيد الراحل (رحمه الله) في صيغة الوكالة التي كتبها له (ثقة الإسلام والمسلمين) وكان لقباً جديداً ولم يسبق إليه أحد، اطمأنت نفس ذلك الوكيل ولم نواجه حرجاً في الأمر. ولقب (الثقة) رتبة يستعمل قبل (الحجة) فوجد السيد الراحل (رحمه الله) طريقاً وسطاً.. وهكذا في كل مجالات الفكر والعمل. وهذا بحث يحتاج إلى كتاب مستقل.

مكتبة عامة وأخرى خاصة

أسس الإمام الراحل (رحمه الله) مكتبة عامة وهي مكتبة (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) في منطقة حيوية في قلب قم (كذر خان) وكانت أبوابها مفتوحة لاستقبال الزائرين صباحاً ومساءً. ومديرها هو العلامة الأديب الشيخ (سلطان علي الصابري) الذي بذل جهوداً مكثفة في تنظيمها وتبويبها وترقيم الكتب وتصنيفها علمياً. وكانت تحتوي على مخزن للكتب تحت الأرض وغرفتان

كانت تحتوي على عدة آلاف من الكتب المنوعة المختلفة واستفدت من كتبها ومصادرها في تأليف كتاب (شورى الفقهاء المراجع)، واستخرجت وثائق الشورى تاريخياً من كتبها.

وكانت هناك مكتبة خاصة وسرية تحمل اسم (مكتبة الإمام الجواد (عليه السلام)) لا يجد أحد إليها سبيلاً، إلا الخواص من إخواننا العلماء والمثقفين وكانت هذه تحتوي على كتب نهضوية وسياسية ومذكرات شخصيات العالم وكتب محمد حسين هيكل وغيره من كبار الكتاب العرب والدوليين. ولتأليف الكتب النوعية مثل (فقه العولمة) مثلاً وغيره كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وتلامذته والعاملون في الإعلام يعتمدون هذه المكتبة، وكانت تحت إشراف وإدارة بعض كوادر (حركة الجماهير المسلمة) وحين كنا نحتاج إلى كتاب معين أو إلى موضوع معين كنا نطلب من المسؤول عن ذلك وفي اليوم الثاني يأتي إلينا بالكتاب أو الموضوع المطلوب وكانت لدينا نسخة من (فهرست) بأسماء محتوياتها من الكتب، وكانت هذه المكتبة تغذى بالكتب الثمينة من لبنان والكويت وبعض البلاد العربية الأخرى، وكان مقرها في مدرسة (الإمام الهادي (عليه السلام)).

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) وغيره مهتمين بهذه المكتبة الخاصة ويعتمدون عليها في حاجاتهم الفكرية. وكان له (رحمه الله) رجال يرصدون سوق الكتاب ويقتنون له كل كتاب ذي شأن، من هؤلاء الوجوه المثقف والفاضل (الحاج رضا النائيني) ومنهم أيضاً فضيلة العلامة الشيخ (صاحب تيرناز).

إلى ذلك كان لسماحته مكتبة غنية في منزله له ولأولاده وأعضاء أسرته رجالاً ونساءً، ولكل أعضاء مكتبته كذلك مكتبات فرعية ثمينة في منازلهم

يعتمدونها في التأليف والتدريس والخطابة، كما أن في كل مدرسة من مدارس الحوزوية مكتبة معتبرة تضم مختلف ما يحتاج إليه طلبة العلم وعلماء الدين.

قضية العراق الجريح

كانت القضية العراقية وهي التسمية التي عرفت بها أوضاع العراق، قضية استراتيجية وغاية في الأهمية، وكانت الشغل الشاغل لسيدنا الأستاذ (رحمه الله) وهمه الموقر له، وقد أُلّف حولها حوالي ثلاثين كتاباً وكراساً منها: (تلك الأيام) و (نصف قرن من المطاردة) و (إذا قام الإسلام في العراق) و (النازيون من العراق) و (الأكثريّة الشيعية في العراق) وغيرها. وقلما كان يلقي محاضرة ولا يذكر خاطرة أو قضية أو معلومة عن العراق وتاريخه ومقدساته ومرجعياته ودوره الاستراتيجي ومستقبله. وبذل قصارى الجهود للعراق ولإنقاذه من براثن الطغاة ومخالب أعدائه المرعبين.

جوانب من عمل الإمام الراحل (رحمه الله) التي عمل فيها للعراق

1. الجانب السياسي : تحرك بصورة جادة مع القادة الإيرانيين تواصل معهم في الزيارات بصورة مباشرة وأحياناً بواسطة أذرعه السياسية العاملة في الساحة.

التقى السيد الخميني أثناء الحرب العراقية الإيرانية وعرض عليه ما يلي:

أولاً: إن القضية العراقية مرتبطة بداخل العراق لا بالحرب الحدودية، ذلك لأن الأسرة الدولية المعاصرة لا ولن تسمح لدولة أن تنتصر على أخرى عسكرياً ثم تتدخل في شؤونه الخاصة وتسقط نظامه، ثم إن العراق وغيره قد مر بتجارب عديدة أثبتت إن الثورة الشعبية الداخلية هي القادرة على تقليص أظافر النظام ثم

ثانياً: إن الثورة الشعبية في العراق مرتبطة بفتوى المرجعية، وإن مرجعية العراق الأولى متمثلة في شخصية ومدرسة السيد ابو القاسم الخوئي، ومادام الخوئي لم يتحرك فشعب العراق هو الآخر تبعاً له لا يتحرك، وحركة مرجعية الخوئي لها سبيلان لا ثالث لهما، أولاً: بالتنسيق مع وكلائه الأساسيين في الخارج ليتحركوا في نهضة شعبية ويصدروا بياناتهم وتعليماتهم لشعب العراق ويقوموا بتعريفه بظروف المرجع وأنه لا يستطيع مباشرة التوجيه والقيادة. وثانياً: العمل المركز والمخطط لإخراج الخوئي من العراق، آنذ يملك حرية ورأيه ويستطيع التصدي وتحمل المسؤولية.

قال الخميني: كيف يخرج الخوئي من العراق؟ أجاب السيد الراحل (رحمه الله) فوراً: أنا أتحمل هذه المسؤولية وأوصله سالمًا إلى إيران.

ثالثاً: ولا يمكن تفجير قنبلة الثورة الحقيقية في العراق الا بالتنسيق مع عشائر العراق، والتي هي طوع أمر المرجعية ولها تاريخ حافل من النضال ضد الطغاة الحاكمين وضد قوى الاستعمار الأجنبي في ثورة العشرين وانتفاضة عام 1941م وفي مواجهة التيار الالحادي الأحمر عام 1963م وغيرها.

وقال (رحمه الله) أيضاً: نتحرك ونجذب شيوخهم إلى إيران ونشكل مجلساً قيادياً لهم يتولى قيادة الثورة، أما العمل الثوري مع تهميش العشائر فلا يكون إلا زويعة في فنجان.

رابعاً: إضافة إلى شيوخ العشائر، يلزم تشكيل مجلس ثوري قيادي لحركات المعارضة كلها دون استثناء ومنحهم الإرادة الجدية للتغيير، ولكن مع تغييب الحركات أيضاً يحول العمل الثوري إلى زويعة في فنجان، ذلك لأن قادة الحركات

هم زعماء العراق السياسيون فكيف يمكن الاستغناء عنهم؟

خامساً: وقال السيد الراحل (رحمه الله) للقادة الإيرانيين مباشرة أو بالواسطة أن الثورة ليست في صحراء قاحلة لا تمت إلى العالم بصلة تعمل بنفسها مستغنية عن كل ما حوالها لا تصدر شيئاً إلى أحد ولا تستدر شيئاً من أحد، فهي مضطرة للتنسيق مع المحافل الدولية والقوى العظمى والأمم المتحدة وبدون ذلك لا تستطيع فعل شيء، فالارتباط مع الأسرة الدولية أيضاً من ضرورات الثورة المقتدرة الصارمة التي تنتهي إلى الاطاحة بأبشع دكتاتورية في التاريخ تلك التي تمثلت بنظام حزب البعث المكروه الجاثم على صدر العراق.

هذه (الخماسية) هي أصول فكر سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في القضية العراقية وقد طرحها في كل مورد ومناسبة وناضل في سبيلها وبذل الغالي والنفيس ودفع الثمن باهضاً لهذه الأفكار الثورية.

هذا هو منهجه وخطوطه الرئيسية للنهضة في العراق، بتعبير آخر: مشروعه لإسقاط النظام.

وفي الجانب السياسي أيضاً أذكر تحركه مع المعارضة العراقية ولقاءاته وتبادل الأفكار والتنسيق، وقد كانت (منظمة العمل الإسلامي) و(حركة العلماء المجاهدين في العراق) و(حركة الجماهير المسلمة) و(حركة المهجرين العراقيين) والتي تحولت فيما بعد إلى (الوفاق الاسلامي) هي الأذرع السياسية التي كان سماحته (رحمه الله) يعتمد عليها بنسب متفاوتة وفي مساحات معينة.

وكان سماحته (رحمه الله) يوجه هذه المجاميع الثورية إلى زيارة حكومات دول الجوار العراقي والتنسيق معها قدر المستطاع وايقافها على حقيقة ما يجري في العراق من جرائم سلطوية منظمة وقليلة النظر في التاريخ، وهذه الحركات أو

بعضها كانت دوماً تشترك في مختلف المؤتمرات الدولية والمحلية المعارضة للنظام في العراق وتؤدي ما عليها من أدوار.

2. الجانب التنظيمي والعسكري: كانت هناك عدة جهات مرتبطة بسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) تتواصل مع خلايا معينة داخل العراق وتتبادل معها الأخبار والمنشورات والخطط وترفدها بالدعم الاقتصادي، وفي الجانب العسكري كانت العمليات الشجاعة البطولية التي نفذها مغاوير (منظمة العمل الاسلامي - الجناح العسكري) إنما هزت كيان النظام المتجبر بفتاوى الإمام الراحل (رحمه الله). وحين شن النظام حملات وحشية على قطاعات واسعة من الشعب اعتقالاً واعداماً وتهجيراً لحوالي خمسة وأربعين ألف عراقي، بإحدى تهمتين إما أن أصلهم إيراني أو إنهم عناصر غير مرغوب فيها، أصدر سماحته بياناً دعى فيه إلى تشكيل (جيش تحرير العراق) فاجتمعت عدة من الحركات وقاطعت المشروع حركات أخرى، فتشكل الجيش وأقام المعسكرات على الأراضي الإيرانية وانطلق يخطط ويعد لتفجير الثورة الشعبية العارمة في داخل الوطن الجريح.

وتشكلت مجموعة عسكرية كردية فيلية من أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) إلا أن مخبرات النظام اخترقت صفوفها وزرعت عميلاً لها في وسطها ونفذ عملية جبانة دنيئة حين أطلق النار على قائد المجموعة وكوادرها وهم نائمون وسط الليل فاستشهدوا جميعاً ولاذ المجرم بالفرار، ونقلت جثامين الشهداء إلى قم ودفنت في مقبرة (جنة البقيع) بعد التشيع الحاشد الحزين.

الجدير بالذكر أن جهات أساسية في الساحة الإيرانية لم تتعاون مع حركة سماحة السيد الراحل (رحمه الله) الثورية ضد النظام، ثم مع مرور الزمن تعقدت ولم تستطع الجهود إنتاج الثمار المرجوة منها فاضطر ساحتها (رحمه الله) أن ينسحب من هذا

3. الجانب الإنساني: بذلت المرجعية الشيرازية جهوداً كبيرة في مساعدة العراقيين المجاهدين والتوايين والمهجرين، وكان هذا ملفاً مزدحماً وحافلاً بكثير من النشاطات، وقد أفتى لعدة مرات بصرف الحقوق الشرعية للمهاجرين والمهجرين وللمجاهدين والتوايين.

وحيث تدفقت موجات المهاجرين عام (1981م) على إيران وعام (1991م) بعد الانتفاضة الشعبانية، تحركت بتوجيه السيد الراحل (رحمه الله) كل الحسينيات والوكلاء والخطباء والتجار وذوي الشأن في حركة واسعة لاحتواء المهجرين والمهاجرين. في وجبة واحدة بعثت مؤسسة (أنصار الحسين عليه السلام) من طهران (160) شاحنة كبيرة (تريلة) مليئة بالمساعدات، وقد ظل ملايين الناس في طهران مبهورين من هذه الحركة الواسعة النطاق لخدمة أبناء هذا الشعب النبيل. واستمر هذا الدعم الخدمي متواصلاً إلى آخر عمره.

وبالنسبة للتوايين، كذلك عمل على تقديم مساعدات مختلفة ومحاضرات ثقافية وتوزيع كتب وهدايا نقدية وبضائع مختلفة ومواد غذائية وأشرك أعداداً منهم في برامج للزواج الجماعي في طهران خصوصاً. ومكتب سماحته (رحمه الله) عرف بوقوفه مع العراقيين إنسانياً في كل الأحداث الصعبة التي امت بشعبنا المناضل. وهذا حديث طويل أكتفي منه فيه بما ذكرت.

4. الجانب الحوزوي: أسس الإمام الراحل (رحمه الله) مدرسة (جابر بن حيان الكوفي) لاحتواء شريحة من الشباب العراقي وهكذا كان. وقد انتمى إليها حوالي أربعمئة طالب في فترات مختلفة ودرسوا المناهج الحوزوية المعهودة إضافة إلى بحوث في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

وقد تخرجت نخبة من خيرة الخطباء والعلماء والمبلغين من هذه المدرسة ومدرسة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد انتشر طلبه حوزة سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في مختلف أنحاء العالم وهم يؤدون أدوارهم المشهودة اليوم. والمتتبع لمسيرة تلامذته (رحمه الله) يعرف أن حركة ثقافية واسعة يؤديها هؤلاء في العديد من بلاد العالم.

5. البيانات والإعلام والثقافة: وكان (رحمه الله) مهتماً بمختلف الشؤون التي تهتم العراق، وفي كل مناسبة كان يصدر بياناً مركزاً يحتوي على معلومات ثمينة، وقد جمعت تلك البيانات وطبعت في كراسات متعددة.

وعلى الصعيد الإعلامي كانت هناك دوريات ونشرات ثقافية تصدرها الحركات العاملة مع مرجعيته وإذاعات معارضة للنظام، آخرها إذاعة في كردستان العراق بعد انتفاضة 1991م.

تمكن النظام عبر شن حملة عسكرية على مناطق من كردستان أن يحتل مقر هذه الإذاعة ويعتقل أعضائها، فكان مصيرهم الإعدام! كان ذلك في عام 1996 (حسبما أتذكر).

هذا وقد طبع مكتب سماحته مئات الآلاف من الكتب الموجهة للساحة العراقية مثل غيرها ووزعت مجاناً ودون مقابل.

هذه خلاصة عابرة عاجلة حول حركة سيدنا الأستاذ الإمام الراحل (رحمه الله) في الساحة العراقية، إنها كلمات مختصرة وهي غيض من فيض.

شخصية سماحة الإمام الشيرازي (رحمه الله)

لقد تعرفت على الإمام الراحل (رحمه الله) منذ نعومة أظفاري في ربوع الحسين (عليه السلام) كربلاء المقدسة وعرفته بالخصائص النادرة:

1. هيبة ورزانة وجمال وعطر فواح وهندام جذّاب.

2. كلمات جميلة ودية مع كل من يلتقي به حتى الصغار فضلاً عن الكبار، البشاشة التي أضفت على قسّمات وجهه مسحة إضافية من الجمال كانت لا تفارق محيآه.

3. ذكر حسن وثناء من كل الناس ومحبة عميقة في قلوبهم حتى غير المتدينين منهم.

4. مثابرة متواصلة وعمل لا يعرف الكلل والملل وخدمة وفيرة لعموم الناس.

5. احترام مطلق للكبار والصغار، للشريف والوضيع، للتاجر والعامل، للعالم والجاهل. ولا يلتقى أهل المعاصي بوجه مكفهر كما في الحديث، لأنه كان يرى أن تطبيق الشريعة في الظروف الراهنة يتسبب في المزيد من البعد عن الدين.

6. لم يتزوج مبكراً لأنه كان منكباً على التحصيل العلمي ومعيناً كل طاقاته في سبيل الارتقاء المعنوي باعتباره وسيلة فضلى لخدمة الإسلام والمسلمين، وقد رزقه الله تعالى اثني عشر مولوداً بالتناصف ذكوراً وإناثاً، وكل الأشبال الستة علماء متميزون ومجتهدون فقهاء بصورة مطلقة أو متجزئة، وكل الإناث تقريباً عالمات، فاضلات، مدرسات، وخطيبات. أحفاده كأولاده كلهم تقريباً طلبة علم، مجدون، يتصفون بالطموح والمثابرة والاخلاص، وكلهم مشاريع عطاء للأمة والحمد لله.

والجدير بالذكر هنا أنه (رحمه الله) كان يعتقد بتكثير النسل بناءً على قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «تناكحوا تكثروا، فإنني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط»(1).

وكانت له استراتيجية معتمدة في هذا المجال وهي صحيحة ودقيقة بالرغم من

ص: 246

1- بحار الأنوار: ج 100 ص 220.

صعوبتها إلا أنها كثيرة العوائد للأمة.

ولقد اقترحت على أهل الحل والعقد من الأسرة الشريفة تأسيس (نقابة) لآل الشيرازي تهتم بشؤون كل الأعضاء النسيبين والسبيين وترعى أمورهم، إذ إن هذه الأسرة (الشجرة الطيبة) لازالت تحمل هموم الأمة بين جوانحها وترفع راية الإصلاح عالياً.

وتأسيس نقابات الأسر ضرورة حضارية للتكافل الاجتماعي ووحدة الكلمة وتعميق الألفة والتعاون على البر والتقوى.

وكان تاريخياً للعلويين في بغداد نقابة تجمع شتاتهم وتوحد كلمتهم وترعى شؤونهم، وكان الشهيد السيد الرضا (رحمه الله) هو نقيبهم ويطلق عليه وصف (نقيب الأشراف).

ولقد اقترح عليه من جهات مختلفة تعدد الزوجات، إلا أنه كان مخالفاً لذلك. ومخالفاً أيضاً لأي نوع من الزواج إلا الزواج من واحدة دواماً ولم يرتض باقتراح التعدد!

وأذكر أن رجلاً أربعينياً جاء إليه (رحمه الله) وصار يكلمه بإخفات وأطال الكلام وكنت جالساً على يساره ويجنبه، قلت له: ماذا يريد هذا الرجل؟ أنا مستعد للتعاون معكم في أمره وعلاج مشكلته، قال: لا، وبعد أن غادر الرجل قال (رحمه الله): إنه كان يطلب مني الزواج بإحدى قريباته! ثم تبسم (رحمه الله).

7. يتحمل كل الناس ولا يرد على المعتدي بالمثل، ويتواصل مع من يقاطعه ويرسل العطايا الودية والهدايا التقديرية إلى الخصوم.

ذات مرة تحالف - في وقت لاحق - أربعة من المتعاونين مع كوادره ومن الذين كانوا قد التزموا أدواراً إيجابية ونضالية ضد طغاة العراق وتحت مظلة

السيد الراحل (رحمه الله) الكبيرة: كان تحالفهم معارضة خط السيد الراحل (رحمه الله) وكانوا قد اتخذوا مواقف مضادة وتقووهوا ضده بكلام جارح.

ما أن تناهت أخبار تحالفهم المضاد إلى السيد الراحل (رحمه الله) إلا وعلق قائلاً: نحن السبب.. يلزم رعايتهم أكثر، ثم الحوار معهم حول مواقفهم. فأمر نجله الأكبر سماحة سيدنا الرضا (رحمه الله) بتنظيم زيارات لهم، إضافة إلى تقديم هدايا متنوعة وكتب، وطلب إليهم إن كانت لهم حاجات معينة فإن سماحته مستعد لقضائها. تغيرت بعد ذلك مواقفهم ولأن جانبهم، وقد رافقت السيد الرضا (رحمه الله) في زيارة بعضهم.

وكان هناك أحد الرموز في الحوزة العلمية يحمل في داخله فكراً معارضاً يظهر على سلوكه، فكان موقف سماحته (رحمه الله) أن يطلب من أخيه الصادق (دام ظله) بالتواصل والتزاور معه، فما من مجلس حسيني يقيمه ذلك الرمز إلا وكان سيدنا الصادق (دام ظله) يحضره، مضافاً إلى ذلك كان يزوره بصورة خاصة بين فترة وأخرى في منزله ويبلغه تحيات السيد الأستاذ (رحمه الله).

وقد طرح اقتراح على سماحته (رحمه الله) أن يبعث بهدية رمزية له تنبئ عن حسن نية ومحبة قلبية له، بعد المشورة صوب الاقتراح، فأمر أن تشتري عباءة وتبعث إليه (وكانت العادة الجارية في الحوزة إهداء العباءات).

لكنه رفض قبولها، ومع ذلك فقد ظل خط السيد يتواصل معه ويحترمه وإن كان هو مصر على القطيعة.

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعاء مكارم الأخلاق العظيم: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْ لِي لِأَنَّ أَعَارِضَ مَنْ غَشَّيَ بِالتُّصْحِ، وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَ نِي بِالْبُرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبُدْلِ، وَأُكْفِي مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وَأُخَالِفَ

مَنْ اعْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ» (1). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «صل من قطعك وأعف عن ظلمك» (2).

وتواصل الإمام الراحل (رحمه الله) بواسطة أخيه مع إحدى الشخصيات الحوزوية وزاره السيد الصادق (دام ظله) نيابة عن أخيه حوالي عشرين مرة، ونجلا الإمام الراحل (رحمه الله) السيد الرضا (رحمه الله) والسيد المرتضى (حفظه الله) مرات عديدة إلا أنه لم يرد على هذه الزيارات المكثفة له ولا مرة واحدة ولا بعث مندوباً عنه، لكنه (رحمه الله) ظل متواصلاً معه إلى حين وفاته (رحمهم الله جميعاً).

وفي مرة أخرى كان خصوم سياسيون متشددون قد أصدروا بياناً لاذعاً جارحاً مهيناً، وطبعوا منه عشرات الآلاف ووزعوه في ذكرى أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) في مدينة قم المقدسة حيث الحشود الغفيرة التي تتوجه إليها لإحياء الذكرى والزيارة، وكان عنوان البيان مثيراً، وترجمته: (محمد الشيرازي أكبر عقبة في طريق الثورة الإسلامية في العراق!).

وكان رأي العديد من الأخوة كتابة رد علمي عليه فدخلت على سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وأخبرته بذلك الرأي. رفض رفضاً حاسماً وعلق قائلاً: إننا بمقدار ما نصرف من جهد على الرد نتخلف عن أداء الواجب ومواصلة مسيرتنا! ثم أضاف (رحمه الله): إن المعارضين هنا وهناك كل يوم يقولون شيئاً أو يصدرون بياناً أو ما شابه ذلك، هل نترك أعمالنا ومسؤولياتنا ونشغل بالرد عليهم؟ قلت له: حسناً نكتب بياناً إيجابياً ولا نذكر البيان المضاد حتى ولو بإشارة ونقول كلمتنا، أجاب بالرفض أيضاً لأن ذلك رد فعل وليس فعلاً إيجابياً

ص: 249

1- الصحيفة السجادية: من دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

2- بحار الأنوار: ج 68 ص 423.

وعلى هذه فقس على ما سواها. وموقف التغاضي أو العفو أو بعث الصلوات المادية وعدم الرد بالمثل مصاديق للمداراة التي قال عنها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرت بإقامة الفرائض»⁽¹⁾ و«أمرت بمداراة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة»⁽²⁾ و«من مات مدارياً مات شهيداً»⁽³⁾. وكان السيد الراحل (رحمه الله) في القمة حيث المداراة بأوسع ما تحمله الكلمة من معاني.

8. المثابرة والعمل المتصل والمتواصل، بذل الجهد، استغلال الفرص، الكدح دون كلل ولا ملل ولا تعلق، كانت من سماته البارزة يلمسها فيه من يعاشره لأقل مدة زمنية.

ذات مرة جرى حوار بيني وبينه حول تنظيم الوقت واستغلال الفرص طرحت عليه سؤالاً، قلت له: كيف تنظمون النوم وساعات الاستراحة؟ أجاب سريعاً: لا نظام لي في النوم. استغربت كثيراً وسألته مع نبرة تعجب واستنكار: كيف؟ أليس النظام مطلوباً؟ أجاب سريعاً: إنني أعمل وأتحمل التعب، متى ما عجزت عن مواصلة العمل وشعرت بالحاجة القصوى إلى النوم أذهب إلى الفراش للخلود إلى الراحة.

وكان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ينام لا محبة للنوم بل لحاجته الماسة إليه ولكي يستعيد النشاط والقدرة ويقوم إلى مشوار جديد من العمل. وذات مرة ودون قصد انجر الكلام حول الاستحمام فقال: لا أصرف أكثر من عشر دقائق

ص: 250

1- الكافي: ج 2 ص 117.

2- تحف العقول: ص 48.

3- بحار الأنوار: ج 72 ص 55.

للاستحمام أما الغسل فخمسة دقائق فقط. وحين كان يسافر أهله وعائلته كلهم إلى مشهد المقدسة سنوياً مرة واحدة كان (رحمه الله) يدخل المطبخ قبل بحثه الخارج الساعة (11) صباحاً وخلال دقائق أن كثرت لا تتجاوز العشر فيضع الماء في القدر (الطنجرة الصغيرة) ويضع فيها الباذنجان والبصل وما يتوفر دفعة واحدة ويضعها على نار هادئة ويخرج للتدريس ويعلق (رحمه الله) على هذه الطريقة بقوله: (هكذا يصبح الطعام أطيب طعماً)!

ولا اهتمامه (رحمه الله) بالوقت واحترامه المواعيد بدقة واستغلال الفرص وكثافة العمل في حياته (رحمه الله) حديث طويل. اكتفي بهذا النزر اليسير.

9. في علاج المشكلات الخاصة والعامة التي ابتلي بها المسلمون في كل مكان، كان سماحته (رحمه الله) يردد كلمة مهمة تكشف عن تفكير استراتيجي يقول: (عليكم بالجدور)، فأزمة الاستبداد والفقير والبطالة والتشردمات وغيرها لا تعالج سطحياً ومؤقتاً، إنما تعالج بعلاج أزمة الأنظمة الاجتماعية المنحرفة والتخلف الثقافي وفقدان مؤسسات استراتيجية مثل مراكز الدراسات وشورى الفقهاء وما أشبه ذلك. العلاج السريع تسكين للألم والعلاج الجذري استئصال الانحراف والفساد.

10. كان يحاول جاهداً الاكتفاء الذاتي في إدارة شؤونه الخاصة والعائلية، على سبيل المثال: كان هو بنفسه يحلق نفسه بنفسه ويحلق رأس أولاده الصغار.

11 - كان يركز مبادئه في فكر تلامذته وينتظر كل فرصة للتبليغ لها.

ذات مرة أصيب بوعكة صحية في عز الشتاء البارد فشكلت مجموعة من حوالي خمسة عشر شاباً وطلبت زيارته فدخلنا عليه، كان متمدداً تحت الغطاء وعلى رأسه قلنسوة بيضاء فجلس احتراماً لنا سألناه عن صحته وسأل عنا وعن

الأصدقاء الآخرين ثم قال بالنص: (يا شيخ ناصر السلم نبتة لا تهزها العواصف) وراح يتحدث عن ضرورة الأساليب السلمية في العمل وفي كل المجالات الإصلاحية.

حركة تزويج الشباب

* كان يبذل جهداً متواصلًا لشؤون إنسانية اجتماعية منها: تزويج الشباب، يشجع لتأسيس الجمعيات والهيئات التزويجية وكلما كان يلتقيه شاب يسأله عن إن كان متزوجاً، فإن أجاب بالسلب يبذل له النصح بإسهاب ويقنعه بالإقدام للزواج وتحمل مسؤولية مقدماته وإن كانت صعبة وثقيلة.

وكان يركز على الآباء لتزويج ابنائهم. ولقد كان أحد الشباب كثير الحركة والانتقاد وسريع الغضب ومجاهر بالاعتراضات لمختلف الأمور، متمرد وشرس، كان أبوه يشكوه إلى سماحة السيد الراحل (رحمه الله) فكان جوابه: زوجه! وتكررت الشكوى وتكرر الجواب أيضاً. إلى أن استجاب أبوه وزوجه فخفت المشكلات بشكل ملحوظ.

تأسست عدة جمعيات عامة لتزويج الشباب، كان منها وأبرزها: مؤسسة أنصار الحسين (عليه السلام) في طهران والتي أسسها جمع من خيرة كوادر مدرسة السيد الراحل (رحمه الله)، أبرزهم الوجيه المجاهد: الحاج جلال الوكيل (حفظه الله).

هذه المؤسسة تزور سماحة السيد الراحل (رحمه الله) كل عام عدة مرات ويضع السيد الراحل (رحمه الله) فيها روح الصبر والعطاء الغزير. كانت كل عام تقيم مهرجاناً ضخماً شعبياً ورسماً لتزويج ألف شاب وشابة يقدم لهم مساعدة كثيرة، منها الملابس المناسبة وقطعة ذهبية وثلاجة وطباخ وسلف منظمة وحجز في فنادق لثلاثة أيام للعرس، وكانت وسائل الإعلام تهتم بالخبر وتشره عبر الإذاعة

وأخيراً ضايق هذه الأنشطة بعض المتشددين في جهاز المخابرات وأوقفتها كاملاً. أما في المحافظات الأخرى أبرزها قم واصفهان ومشهد فكانت تقوم بنفس البرنامج ولكن بحجم أكبر، وتقدم هدايا ثمينة تكفل أكثر مصاريف الزواج، وقد توسطت أنا لتسجيل بعض الشباب فتم الأمر وحصلوا على هدايا جيدة.

وقد ركز سماحته على شبابنا وطلبة مدرسته الحوزوية حتى تزوج كلهم ولم يبق فيهم إلا من شذ عن البرنامج ولا أعرف أكثر من شخص واحد من هذا القبيل.

مشروع حركة التعميم

كانت له فلسفة خاصة تدفعه إلى نشاط متواصل لتعميم شباب الحوزة العلمية (ارتداء العمامة)، أساس فلسفته في ذلك تقوم على ما يلي:

1. إن التعميم يحول صاحبه إلى (كادر) في المجتمع حيث إن هذا الزي يعني: الوفاق والأخلاق والورع، والمجتمع يتعامل مع المعمم معاملة متميزة ومثل هذا الكادر تحتاج الساحة إليه أمس الحاجة.

2. إضافة إلى أن هذا الزي (حافز) فعال يدفع صاحبه إلى القيم ويوقظ فيه الشعور بالمسؤولية ويخلق حوله جواً للتحصيل العلمي ولو بأدنى مستوى بحيث يستطيع الإجابة على بعض المسائل العامة للابتلاء.

وهكذا يكون - التعمم - وسيلة تربوية ترفع من شأن صاحبه وتدفعه إلى الالتزام والاهتمام والتواجد في مقام مناسب.

3. إضافة إلى ذلك فإن التعمم هو الكادر المرجعي الاجتماعي، فالمرجع

الديني يؤدي دوره بواسطة رجال الدين المعممين المنضوين تحت لوائه، أما لو لم يكن معممًا فيضمّر دوره ويقل إنتاجه وتحدد فرص العمل الإسلامي إمامه.

هذا ولقد شاهدت رأي العين العشرات بل المئات من رجال الحوزة والعلم الذين تتوجوا على يد سماحته بالعمامة قد ارتقوا في مجتمعات مختلفة واستطاعوا أن يتصدوا لمسؤوليات كبيرة اجتماعية وإنسانية ودينية مختلفة. هؤلاء لو لم يعمموا لما كان لهم أن يخوضوا الميدان ويتصدوا لمسؤوليات انيطت بهم لكونهم رجال دين معممين وملتزمين بمدرسة السيد محمد الشيرازي (رحمه الله).

وقد كان سماحته حثيثاً في حركة التعميم وبذلك فإنه تمكن من تطوير وتنمية الحركة الإسلامية على صعيد العالم وفي بلاد مختلفة شرقاً وغرباً.

وكان سماحته (رحمه الله) لا يشدد في الشروط لنفس الفلسفة المذكورة سابقاً حين احتياج الساحة إلى المعمم وإن لم يكن متكاملًا.

وإنني أرى أن هذا الميدان من عمل السيد الراحل (رحمه الله) يستحق أن يؤلف حوله كتاب مستقل يتضمن وثائق وصور وأسماء الذين عممهم والنصائح الاستراتيجية التي كان يقدمها لهم في كل حفل تعميم، والدور الذي يؤديه المعممون اليوم، هؤلاء الذين تشرفوا بارتداء العمامة على يد سماحته (رحمه الله) والتواريخ وغير ذلك.

الهجرة إلى مشهد المقدسة

مع الوصول إلى مشهد المقدسة أمر سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بإكمال بناء مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) وانطلقت حركة أعمار نشطة واصلت عملها على مدار الساعة، وتم إنجاز البناء خلال أيام قليلة، وليس أشهر كما كان متوقعاً، فكان الطابق الأول من المدرسة تم اتخاذها مكتباً تدار فيه شؤون الحوزة والناس، مضافاً إلى البحوث العلمية، والحلقات الدراسية.

ولما انتشرت أنباء وصول سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) في أجواء مشهد المقدسة، أسرع مختلف الجهات الحوزوية والشعبية إلى زيارته.

كل أساتذة الحوزة وكل طلابها تقريباً البالغ عددهم حوالي سبعة آلاف زاروا سماحته (رحمه الله)، وكذلك من بقية مناطق إيران الأخرى، من جميع جهاتها إلى المشهد الرضوي، الذي حل فيه سماحته (رحمه الله)، وكان ذلك في أوج اشتعال نيران الحرب العراقية الإيرانية، حيث ركب العدو رأسه، وغمره غروره وغطرسته، فاستهدف مئات المدن الإيرانية، وصب نيران غضبه وصمم صواريخه على رؤوس آلاف الأبرياء من الطاعنين في السن والنساء الحوامل والعجائز والرضع من الأطفال.

بلغت الظروف الأمنية ذروتها في الخطورة وتحولت قم المقدسة والعديد من المدن إلى مدن أشباح لم يبقَ في ديارها ديار ولا في أسواقها ممتار، وتحت الضغط العام وبعد قصف أقرب المناطق ولحوق أضرار بمنزله ومكتبه (رحمه الله)، استجاب سماحته

لإجماع المستشارين وللرأي العام، فهاجر إلى المشهد الرضوي الشريف. فتقاطرت الوفود، زرافات ووحيداناً، تبارك له قدومه وسلامته من قصف المدن، لكن المصيبة الكبيرة التي ألحقت به وبرجاله وكوادره، فقدان العالم الجليل والمجاهد الكبير السيد علي الفالي (رحمه الله) في حادث سير مؤسف، حيث كان يحمل الأموال والمؤن إلى مهجّري الحرب في مشهد المقدسة، ففي لحظات من الغفوة لشدة الإرهاق وقلة النوم انكفأت المركبة وانقلبت ثلاث مرات وراح السيد الفالي وأخوه السيد جواد (رضوان الله تعالى عليهما) ضحية للحادث المؤسف ونجى ولده السيد محمد.

التدريس العام

أعلن سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بأنه سيبدأ ببحث (الخارج) كدرس عام في الحوزة العلمية في مشهد المقدسة، عنوان البحث كتاب (إحياء الموات) ومكانه: قبو مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام).

وما إن انتشر النبأ، إلا وعمت البهجة في الأوساط العلمية، واستقبل هذا الأمر بارتياح وقبول، وفي اليوم الموعد صباحاً في الساعة العاشرة بدأ سماحته بالتدريس وقد اكتظت الصالة بالفضلاء فكانت هذه الخطوة خدمة للحوزة، وتربية للتلاميذ الفضلاء، وأداءً للمسؤولية وارتباطاً للمئات من الفضلاء والعلماء بمرجعية سماحته (رحمه الله).

فوائد التدريس

الأولى: تبينت ملامح شخصية سماحته (رحمه الله) العلمية وقدرته الفائقة، وسعة أفقه العلمي والمعرفي.

الثانية: تأسيس شبكة علاقات حوزوية واجتماعية ومرجعية، على أثرها

ص: 256

صدرت عشرات أو مئات الوكالات للعلماء والمبلغين، ومدت جسور مع شخصيات اجتماعية معتبرة.

الثالثة: انكشفت ملامح مرجعية سماحته (رحمه الله) ومقدرته في الإدارة والأداء وأخلاقياته السامية والنموذجية.

الرابعة: وبالتصدي للتعليم العالي الإخباري، أدى جانباً من المسؤولية الشرعية الملقاة على كاهله، باعتباره عالماً يجب عليه إنفاق علمه.

الخامسة: خلق أجواء إيجابية وذات إشعاع مرجعي وودي، أكسبت مدرسته كثيراً من المواقف والمقلدين والمتعاونين مع مشايخته، وبعد انتهاء المرحلة خلف ذكراً حسناً وأثراً طيباً في النفوس.

ومع خوض سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ميدان التدريس، نزل كوادره معه أيضاً، فأولاده بدأوا بالقاء دروس مختلفة والسيد المرجع (دام ظله) بدأ يبحث خارج خاص، وأنا شخصياً بدأت بتدريس أصول المظفر والروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، وانطلقت حركة علمية ناشطة في أجواء مدرسته وتلامذته.

وفد المعارضة السعودية

في تلك الفترة زار سعوديون مختلفون من ذوي الشأن سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وكلهم من أبناء مدرسته. وقد كانت الدولة السعودية متوترة بشدة من حركة المعارضة الشيعية وعلى الخصوص من (منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية)⁽¹⁾ لهذا فقد بادرت أجهزة المخابرات السعودية، ورجال سياستها

ص: 257

1- وهي منظمة سياسية معارضة لنظام الحكم الموجود في المملكة العربية السعودية أسسها معارضون سعوديون شيعة كانوا متواجدين في قم المقدسة باسم الحوزة الحجازية وسمي فيما بعد باسم تجمع علماء الحجاز، كانوا جميعهم من محافظة القطيف و محافظة الأحساء شرق السعودية ما عدا شخص واحد كان من المدينة المنورة غرب السعودية.

الخارجية بطلب إجراء حوار مع هذه المعارضة التي أوزقت مضاجعهم وسلبت النوم من عيونهم، تكررت الوسائط والطلبات وقادة المعارضة يرفضون وأخيراً اقتنعوا ببدء الحوار نتيجة دوافع سياسية، أما على المستوى الشرعي فإن ذلك منوط بإجازة المرجع الجامع للشرائط، وكان هؤلاء مرجعهم ومرييهم الإمام الراحل (رحمه الله) فبعثوا إليه من يبحث معه أهمية الموضوع وإيجابياته وسلبياته، وكان الوسيط هو الدكتور (توفيق السيف)⁽¹⁾ وهو السياسي السعودي المخضرم، وأسرتة بفروعها الكثيرة، الحليفة والمقلدة لسماحة السيد الراحل (رحمه الله) .

التقى توفيق السيف بالإمام الراحل (رحمه الله) في اجتماع تفصيلي، ومعه - علي ما أتذكر - شخصية علمية وسياسية أخرى.

رفض سماحته خوض مفاوضات مع نظام مستكبر ومستبد ومدجج بالأسلحة والمال إلى النخاع، وقال لهما: إن النظام السعودي يريد أن يسحب منكم رؤية المعارضة، ويجركم إلى داخل المملكة، ثم لا يفي بأي من عهوده وموآثيقه.

وقد تعددت اللقاءات لدراسة موضوع الحوار مع الحكومة السعودية لأهميته بالنسبة للمعارضة الشيعية، وكان رأي سماحته (رحمه الله) الذي استقر عليه هو إن الطرف الآخر لا يفي بعهوده، ورغم ذلك قال لهم: (إن رأيي مع الأكثرية من قادة التنظيم)، وطلب إليهم عقد مؤتمر تداولي في الموضوع للخروج برأي واحد، ونفذ الطلب، فاجتمع إثنان وعشرون شخصية قيادية في المؤسسة التنظيمية ل(منظمة الثورة في الجزيرة العربية)، وخرجوا بعد يومين من النقاشات

ص: 258

1- مفكر وباحث سياسي ومؤلف سعودي مهتم بقضايا التنمية السياسية شيعي اثني عشري المذهب. وهو عضو في مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت وكذلك عضو في منظمة العفو الدولية في لندن.

المستفيضة والبحث الدقيق، برأي موحد مجمع عليه وهو الدخول في المفاوضات مع النظام.

بالمقابل كان هناك قادة كبار وأوائل في (حركة الرساليين الطلائع)⁽¹⁾ والتي تمثل (منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية) أحد فصائلها، وهم غير سعوديين، رافضين للمفاوضات ورأيهم الصريح الذي كانوا يعبرون عنه هو: إن المعارضة راية مرفوعة، والمفاوضات تعني إنزال الراية وعدم القدرة على رفعها مرة أخرى، ونتائج المفاوضات غير مضمونة، والخصم لا يفي بشيء منها، فماذا يصنع المعارضون وقد نكسوا رايتهم، وعادوا إلى البلاد، وأصبحوا في قبضة نظام متغطرس مغرور؟

نتيجة لذلك طلب إليهم الإمام الراحل (رحمه الله) بقاء شريحة منهم خارج البلاد، كي تضمن لنفسها الحرية، وتملك زمام نفسها وكلمتها، ولا تقع صيداً سهلاً بين براثن أجهزة الخصم.

تكاملت الأفكار والاطروحات حول مقترح المفاوضات، وتفاعلت الأحداث بسرعة، وأثمرت في النهاية عن زيارة لوفد المعارضة للملك فهد بن عبد العزيز⁽²⁾، وكان على رأس هذا الوفد الدكتور توفيق السيف، مع أربعة أو

ص: 259

- 1- بعد نشوب خلافات بين أعضاء منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، توجه قسم منهم إلى سوريا وقاموا بتأسيس تنظيم سياسي معارض لنظام الحكم الموجود في المملكة العربية السعودية باسم حركة الطلائع الرساليين و تحول مسماها فيما بعد إلى منظمة الثورة الإسلامية.
- 2- خامس ملوك المملكة العربية السعودية وأولهم اتخذاً للقب خادم الحرمين الشريفين. هو الابن التاسع من أبناء الملك عبد العزيز الذكور، من زوجته الأميرة حصة بنت أحمد السديري. تولى مقاليد الحكم في 13 يونيو 1982 بعد وفاة أخيه غير الشقيق الملك خالد. أصيب بجلطة في نوفمبر 1995، ومنذ عام 1997 تولى عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد حينها إدارة معظم شؤون البلاد اليومية.

خمسة أعضاء من شخصيات منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية.

وبعد ذلك، جرت سلسلة اجتماعات تفاوضية بين المعارضة والحكومة السعودية، بعد نهايتها وقع الطرفان على وثيقة تتضمن أحد عشر بنداً ومطلباً للمعارضة، لم تف الحكومة السعودية، ولا بواحد منها وصدقت نبوءة الإمام الراحل (رحمه الله) في إنهم لا عهد لهم.

الهدايا العامة

مع حلول شهر شعبان المعظم، اقترح سماحة السيد الراحل (رحمه الله) توزيع هدايا عامة على كل طلبة الحوزة العلمية البالغ عددهم حوالي سبعة آلاف عالم وطالب وخطيب وأستاذ، صوب الاقتراح بعد دراسته والتشاور بشأنه، وصدر بيان وعلق على أبواب المدارس والمراكز الحوزوية، موقع باسم مكتب سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) مفاده: إن هدية متواضعة من بقية الله الأعظم الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ستقدم إلى رجال العلم عموماً، مكان التوزيع: مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) وزمان التوزيع: يوم 11/ شعبان المعظم/ ولمدة ثلاثة أيام، صباحاً.

إضافة إلى الهدية النقدية، وزعت معها كتب ثقافية، ولا أتذكر كم كان مقدار الهدية، لكنني احتمل إنها كانت خمسة آلاف تومان إيراني، وأمثال هذه المبادرة تتقدم بها مختلف المرجعيات وقد نظمت هذه العملية بصورة رائعة، وسجلت الأسماء في دفاتر كبيرة معدة لهذا الغرض وكان التسامح سيد الموقف، ولم يحرم أحد مطلقاً، ومن يشك فيه هل أنه لا يزال يواصل المسيرة العلمية أم لا، كان التعامل معه بقاعدة (اللطيف) التي كان يؤكد عليها ويكررها المشرفون على العمل، وفي مختلف مناسبات الفرح والسرور.

ص: 260

مثل هذه المبادرة تنفذ على خلفية احترام الحوزة وطلابها، والعاملين تحت مظلتها الكبيرة، وتشير أيضاً إلى المحبة والاحترام وتقدير جهود رجال الدين، وإبداء النوايا الحسنة تجاههم، من قبل المرجعية الدينية وتجاه قواعد الحوزوية وقواعد غيرها من رجال العلم والدين.

وقد نشرت المبادرة الودية والإنسانية هذه، جواً من المحبة وقدرت شرائح الحوزة كلها

هذا الموقف الرمزي والودي من قبل مكتبه ومرجعته للعلماء والحوزويين.

أما التيار المتشدد، والمخاصم لأكثر المرجعيات التي لا توالي مرجعيته، فكان له حينها موقفان: أولهما: إن الشيخ الطبسي رجل الدين الرسمي الأول في مشهد المقدسة والذي لا يجري حدث ولا يتخذ قرار ولا ينفذ مشروع رسمي أو شعبي إلا بعد إرضائه وتأييده، هذا الرجل وبعد انتشار البيان اتصل وناقش الموضوع مع مرجعيته العليا في طهران، فكان الرد عليه: إن كان السيد الشيرازي ينوي تقديم هدية لطلبة الحوزة، فهذا أمر لا مانع فيه من قبلنا ولا داعي في هذه الظروف لمواجهة أمثال هذه الأنشطة.

والجدير بالذكر إن للرجل الأوحده في مشهد المقدسة، الذي لا يعلو على صوته صوت أحد ذو تجربة طويلة في مكافحة التيارات والشخصيات الدينية المختلفة، وطريقته في ضرب أمثال هذه الحركة - توزيع هدايا عامة للحوزة - إنه يعين مجموعة من البلطجية الموالين للتطرف، فينظمون تظاهرة معينة صاحبة تتأجج خلالها عواطف التطرف وتردد شعارات مفادها: الموت لأعداء الإسلام، الموت لأعداء الوطن، الموت لأعداء الثورة، وما أن تصل التظاهرة إلى مقر المكتب أو الموقع الذي ينفذ المهمة ويوزع الهدية فيشن هجوماً كاسحاً، ويعتدي

على العاملين ويشئت شملهم وأمتعتهم ويسلب أموالهم ويكسر أثاثهم ولو وقعت فتنة، وَرَدُوا بالمثل كان مصير المعتدى عليهم مصير أعداء الدين والوطن! ثم يغلقون أبواب المكتب ويكتبون بعض الشعارات عليه ويمنعونه مستقبلاً من أي نشاط، هذا ما حدث بالنسبة لأكثر من جهة مرجعية في مشهد المقدسة، وخلفها شخصية معينة هي من رموز التطرف في هذه المدينة المقدسة.

أما الانعكاس الثاني السلبي فتمثل في خطاب إمام الجمعة، الذي شن هجوماً كلامياً محموماً على سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وتكلم عنه بجمل نائية ووصفه بالجبن والفرار من قم المقدسة، هذا في الوقت الذي لم يبقَ رجل دين واحد مقيماً فيها بل إنها أصبحت مدينة أشباح لا رجل دين ولا غيره. فلم الهجوم على سماحته (رحمه الله) تحديداً؟ هل المطلوب منه أن يبقى فيها دون غيره ليستقبل صواريخ طغاة العراق بصدر واسع؟!

لقد نشرت الصحافة الإيرانية خطابه المشبوه ولم يلق في الساحة صوت مؤيد واحد غير بعض الجماعات المتطرفة من الخط الذي ينتمي إليه هو ليس إلا. وقد رد عليه البعض من الخطباء والعلماء واستنكروا عليه التصريحات غير المؤدبة التي قابل فيها ضيفاً كبيراً على المدينة المقدسة، واستنكره عليه والده أيضاً، وقد زارت وفود عديدة (الأب والابن) وأعلنوا احتجاجهم على الموقف السلبي من شخصية الإمام الراحل (رحمه الله).

ولم يكن موقف الامام الراحل (رحمه الله) ومكتبه الرد بالمثل ولا التهريج ولا نشر البيانات السلبية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وقد اقترح على سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) قطع الراتب الذي يقدمه مكتبه للخطيب المتطرف، فرفض سماحته (رحمه الله) ذلك، وبقى على العلاقة الودية معه وكذلك مع أبيه الذي خالف

ولده وموقفه غير المبرر واللا شرعي! وكان لموقف الصمت والتغاضي والرد بالحسنى أثر إيجابي كان داعماً لحق ومظلومية السيد الراحل (رحمه الله) الذي استهدف دون ارتكاب ذنب شرعي أو قانوني أو حتى ما يخالف العرف.

وفيما يتعلق بنشر العلم والمعرفة، فقد تم تجريد حملة ثقافية واسعة، نشرت خلالها آلاف الكتب في مستويات مختلفة ووزعت بعض أعداد موسوعة الفقه على أصحاب الفضيلة وطلاب التعليم العالي في (بحث الخارج).

كما وزعت كثير من الكتب الثقافية والعقائدية وأمثالها، ووزع أيضاً ووفق طلب المراجعين، كتاب (توضيح المسائل) وهو الرسالة العلمية لمقلدي سماحته (رحمه الله).

كان يمر على المكتب الكثير من رجال الدين من البلاد المجاورة، ويستلمون أمثال هذه الكتب لغرض نقلها إلى بلادهم. فأى فرد يستطيع نقل عدد من الكتب كان يستلمها من المكتب وينطلق إلى بلاده للدعوة والتبليغ والترويج للمرجعية، لكني للأسف لا أتذكر شيئاً من عناوين تلك الكتب التي تم توزيعها في تلك الفترة..

الأنشطة الإنسانية

اكتظت مدينة مشهد بمهجري الحرب العراقية الإيرانية، وهي التي احتضنت قبل ذلك جموعاً غفيرة من المعوزين، وهي موطن أساسي وكبير لمشردى الحروب والفقر في أفغانستان. في مثل تلك الظروف كان على المرجعيات الدينية الوقوف إلى جانب الطبقة المستضعفة والمنكوبة، وقد كان مكتب سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وكل الكوادر القادمين من مختلف المناطق في حركة دؤوبة لإعانة الضعفاء وإسعاف المعوزين وتقديم بعض العون لهم.

وكان من وصاياه (رحمه الله): لا تردوا أحداً ولو بإعطائه القليل والاعتذار منه.

وقد وزعت مقادير كثيرة من البطانيات والمواد الغذائية والأموال النقدية، وكان الجو بارداً وقارصاً يزيد الطين بلة، وتشتد فيه الحاجة إلى الملابس والوقود وغير ذلك.

وكان إيواء المهاجرين يتم في الحسينيات، أو الفنادق أو بعض البيوت المستأجرة، وهذه كلها تتطلب البذل المالي الذي لم يكن متوفراً بسهولة كبيرة في ظروف الهجرة، وكان لمكتب السيد الراحل (رحمه الله) موقف الداعم لهذه الأعمال. وكانت شاحنات كبيرة من المؤن تصل إلى مشهد قادمة من طهران بأمر من سماحته (رحمه الله) وتعاون الخيرين من التجار.

الحديث عن الأنشطة الإنسانية لمرجعية سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يتطلب كتابة آلاف من الصفحات، والمرحلة المشهدية صفحة مشرقة منها.

أوقات الفراغ

عاش سماحة السيد الراحل (رحمه الله) منفرداً في تلك المرحلة في الغرفة الثالثة من الجانب الأيمن للطابق الأول من مدرسة الامام الرضا (عليه السلام)، يطالع فيها ويكتب، ويعقد الاجتماعات الخاصة وبعد ذلك كان ينهض ويتمشى في الممر الذي أمام الغرفة والتمشي رياضة ضرورية ولازمة لأمثاله، وكان سماحته (رحمه الله) لا يكتفي بالمشي فقط، فكان يؤدي أحد عملين: إما أن يطلب أحد أولاده، أو تلامذته، ويتمشيان معاً ويتحدثان فيما بينهما.

وكان (رحمه الله) يركز في الحديث على ما له تأثير في بناء شخصية الطرف الآخر، ويتحدث بما يعده في قائمة الأولويات والظروف القائمة، وفي هذا الممر ناقش سماحته (رحمه الله) في بنود (القانون الأساسي للمؤتمرات) الذي طلبه مني (رحمه الله) فكتبته وقرأت بنوده كلها عليه، وبعثته إلى أهل الحل والعقد في الشام.

العمل الثاني: كان الإمام الراحل (رحمه الله) يهتم بالرياضة التفكير كثيراً، وكان

كلما يتمشى في برنامج الصباحي أو المسائي، ولم يكن معه أحد للحديث المشترك، كان يفكر في برنامج التأليف أو المواد التي يدرّسها أو قضايا الحوزة والمكتب أو القضايا السياسية العامة والظروف التي تمر بالأمة الإسلامية أو وضع حل لمشكلة معينة.

إهداء وردة

ومما يكشف عن بعض طبائعه وطريقة تفكيره في الأمور المهمة، إنه (رحمه الله) أهديت إليه وردة جميلة وجذابة، وكانت تفوح عطراً وتشتع أنيقة وجمالاً، وقد أهديت إليه لأنه لأنه يعيش بعيداً عن أهله الذين كانوا يقيمون في الفندق، وهو لبعده عنهم يعاني من الوحدة والغربة بالإضافة إلى كثرة الضغوطات المرجعية وغيرها، فجاءت تلك الوردة للتخفيف قليلاً من آلام وحدته، فشمها عدة مرات ثم بعثها إلى بعض الحراس، فاحتج عليه إنها قدمت له خصيصاً فأجاب: إن الدكتاتورية والغرور والحالة الفردية تبدأ من هذه الصغائر، فمثل هذه الوردة يلزم أن تكون لي ولغيري، ولا يصح أن احتكر جمالها وعطرها لي خاصة.

بعد الشقة وصعوبة الاتصالات

المرجعية الحيوية التي تتداخل في صميم القضايا العامة للمجتمع وللمقلدين، وتشارك الأمة همومها وآمالها، وتمارس الإدارة الحيوية والناشطة لشؤون الأمة والمجتمع، مثل هذه المرجعية يعاب عليها المكوث كثيراً في مدينة نائية مثل مشهد المقدسة، على الرغم من أنه (رحمه الله) كان قد لجأ إليها بعد تطورات قصف المدن في الحرب العراقية الإيرانية، لذلك كان يعاني كوادر مرجعيته (رحمه الله) من عقد اللقاءات معه وتنسيق الأعمال، وذات مرة كان العديد من الشخصيات قدّموا من

طهران للقاء به، كان منهم سماحة الحجة العلامة الشيخ نديم الطائي، فكان يعبر عن بعد مدينة مشهد بأنها اشبه ب(منفى)، كان يقول: والإمام الرضا (عليه السلام) قد نفي إلى (طوس) وهي مشهد المقدسة هذه نفسها، فكان رأيه ورأي عموم أهل الحل والعقد من رجال المرجعية، العودة إلى قم المقدسة، وذلك بعد هدوء في معركة استهداف المدن، قم المقدسة عاصمة العلم والمرجعية وقريبة من طهران، عاصمة السياسة والاقتصاد، أما مشهد فمركز ديني وروحاني لوجود قبر الإمام الرضا (عليه السلام).

ومع انسلاخ شهر رمضان المبارك استقبلني الشيخ نديم الطائي، وطلب مني التوجه إلى ساحة المنزل، والمعروف عندنا إن هذه الساحة هي مصلى، ومكان للمجالس العامة أيام الأعياد وأيام الأحران، قلت له: لماذا إلى الساحة؟ أجاب مسروراً فوراً: إن سماحة السيد المرجع جالس للاستقبال! قلت: عجيب، أرجع السيد؟ قال: نعم!

كدت أطيّر من الفرخ، وأسرعت إلى الساحة، فوجدته (رحمه الله) في صدر المجلس، تحف به كوكبة من العلماء.

كيف تمت العودة؟

من الواضح إن الحماية الأمنية لسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وللقادة تعتبر من أهم المسؤوليات، وهي عملية صعبة وتتطلب مهارة وتجربة ووعياً، وسماحة السيد الراحل (رحمه الله) كان مستهدفاً من البعثيين والقوى المتطرفة لذلك لزم التخطيط الأمني الدقيق، للحفاظ على حياته، ولكي لا يخطط الخصوم، بصورة مباشرة أو غير مباشرة في حادث مروري مصطنع وينهون حياته، والسؤال الذي ينتظر الإجابة: كيف تمت العودة؟ الجواب: تمت عبر خطة مكونة من عدة نقاط:

1. في حصن منيع من الكتمان والسرية، تمت العملية حيث لم يعلم بها إلا أخوه آية الله السيد صادق (دام ظله) وفضيلة الحجة الشيخ حسن الأصفهاني (رحمه الله).

2. أبلغ السائق الخاص والأمين المخلص، عبد الأمير الحسيني (أبو عطا) بالاستعداد للخروج في سفرة في الساعة الثامنة ليلاً، وطلب منه أن تكون السيارة جاهزة كاملاً، ولم يخبر بشيء آخر.

3. أعطي مقدار من المال لمدير المحراب والعاملين، وطلب إليه أن يضيّقهم جميعاً في المطعم في الساعة الثامنة مساءً. حيث إن تبرعاً خاصاً جاء لهم لهذا الغرض.

4. أطفئت الكهرباء المركزية لكل العمارة، لصيانة العطل المحتمل.

5. وفي لحظات سريعة تحت جناح الظلام، خرج الإمام الراحل (رحمه الله) وركب السيارة الواقعة بباب المدرسة في انتظاره، ولا أذكر إن كان هناك شخص رابع معهم أم لا؟ وهل إن أحداً آخر كان يعلم أم لا؟ أظن إن سماحة السيد صادق (دام ظله) كان معهم أيضاً، وأظن إن السيد الرضا (رحمه الله) والمرضى (حفظه الله) كانا على علم أيضاً بهذه الرحلة التي تم التخطيط لها.

انطلقت المركبة ولم تتوقف مطلقاً إلا للصلاة أو حاجة غاية في الضرورة، واستغرقت الرحلة إثنتي عشرة ساعة فقط. فوجئ بها الجميع بما فيهم العائلة الكريمة، والأقارب الخاصون.

وكانت الهجرة إلى مشهد المقدسة قبل ذلك، تمت أيضاً بفرقة مماثلة لعملية العودة إلى قم المقدسة.

والجدير بالذكر هنا إن هناك من كان يعمل ضمن مدرسة سماحته (رحمه الله) لكنه انفصل عن التنسيق مع سماحة السيد (رحمه الله)، فحين هاجر (رحمه الله) عام 1970م

إلى الكويت، هاجر هذا البعض إلى قم المقدسة وحين هاجر السيد إلى قم المقدسة، هاجر الآخر إلى مشهد المقدسة.

التحريض على التقدم الاقتصادي

كان من طبيعته (رحمه الله) تحريض الأفراد على تغيير واقعهم، والتقدم بخطوات نوعية إلى الأمام .. ومن أساليبه التشجيع على تغيير أساليب المهنة، وكان هذا سبباً في تقدم نوعي لجمع من رجال الأعمال.

من هؤلاء رجل من ولاية يزد الإيرانية، كان مقيماً في الكويت، يتفاعل مع جهاز سماحته (رحمه الله)، ويتبرع للمشاريع ويزور مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويسد الحاجات وبعض النفقات، ويرمم النواقص، حثه سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) على تغيير عمله، حيث كان يعمل في بقالية صغيرة (سوبر ماركت)، اقترح عليه العمل في الصباغة والذهب، لكنه لم يقتنع إلا بعد مرور مرحلة من الزمن، وتمكن من التغلب على مصاعب تغيير المهنة. أقدم على الخطوة الكبيرة فصار تدريباً تاجر ذهب.

وحين وقعت عملية اغتيال أمير الكويت الأسبق جابر الأحمد (1) والتي لم يكتب لها النجاح، حيث فشلت العملية وقبض على المتآمرين، شنت الحكومة الكويتية بعدها حملات واسعة على الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين المقيمين هناك، وقامت بترحيلهم بالجملة إلى بلادهم، بعد سحب وثائقهم الكويتية

ص: 268

1- أمير دولة الكويت الثالث عشر والثالث بعد الاستقلال من المملكة المتحدة، هو الابن الثالث للشيخ أحمد الجابر الصباح تعرض في يوم 25 مايو 1985 لمحاولة اغتيال نجا منها، وفي 2 أغسطس 1990 غزت العراق الكويت، فاستخدم كافة الوسائل لتحريرها، وتحقق ذلك في 26 فبراير 1991 بعد حرب الخليج الثانية.

وإسقاط الاقامات، هذا الرجل الذي نسيته اسمه تم ترحيله إلى إيران، ومعه كميات هائلة من سبائك الذهب، ومن المصوغات الذهبية وتمكن بأمواله الطائلة أن يؤسس بنكاً خيرياً في يزد، أطلق عليه (بنك الأئمة الأثني عشر للإقراض الخيري).

لجنة للزيارة والتعاون

نفس الرجل الذي كان يدير بقالية متواضعة في الكويت، وبعد وصوله إلى يزد أمر سماحته (رحمه الله) بتشكيل لجنة لزيارته، وهكذا التأم شمل اللجنة من أصحاب الفضيلة الشيخ حسن الأصفهاني (رحمه الله) والشيخ عبد الرحيم الحائري، والشيخ جعفر عسكر بور(1) وأنا المتكلم، وزارت اللجنة ذلك التاجر المجاهد والوجيه وحملت إليه تحيات سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ، وعرضت عليه التعاون فاستقبل المقترحات برحابة صدر وتم التنسيق معه نسبياً وقدر المستطاع.

ومن الذين ركز عليهم سماحته (رحمه الله) وغير مهنته هو الوجيه المجاهد: الحاج جعفر مير حائري(2)، والذي نزل إلى ميدان العمل وشارك في تأسيس بنك جواد الأئمة (عليه السلام) ومؤسسات مدنية وخيرية غير انتفاعية، منها مستوصف في مشهد المقدسة ومستوصف في قم المقدسة ومؤسسات راقية أخرى؛ ولأزال إلى الآن محوراً ذا يد طولى في كثير من الأنشطة الهامة. والتحريض على تغيير المهن، من وسائل سماحته (رحمه الله) في تغيير واقع رجال الأعمال ، ودفعهم إلى التقدم والنمو.

تأسيس حي لإسكان العراقيين

كان من رأي الإمام الراحل (رحمه الله) تأسيس مشاريع للإسكان، وحين كان

ص: 269

1- خطيب حسيني، وناشط في مكتب سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ومدير بعض الفروع فيه.

2- من كوادر سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وناشط يقيم في طهران.

العراقيون أكثر احتياجاً، قرر تأسيس حي في قم المقدسة وآخر في طهران وفي غيرهما أيضاً، إلا أن العقبات المصطنعة والغير مشروعة هي التي حالت دون تحقيق ذلك الغرض.

وكان حينها قد وصل إليه من الكويت حوالي مليوني تومان كدفعة أولى وهي تعادل آنذ حوالي مائتي ألف دولار ومئات الأطنان من المواد الإنشائية، الحديد خصوصاً مما احتاج نقلها إلى (160) مائة وستين شاحنة كبيرة، فصدورت الأموال والمواد والأرض التي أسس عليها فيما بعد ترمينال لقم.

أما في طهران فتأسس حي صغير في قضاء (باقر آباد) ولكن بصعوبات بالغة واضطر إلى التراجع عن هذه المشاريع السكنية، وكان المسؤول الإداري عن هذه المشاريع هما المرحومان الفاضلان السيد علي الفالي والسيد مرتضى خردمند(1).

ختان الأولاد

ومما بادر إليه سماحته (رحمه الله) خدمة للطبقة المستضعفة، مشروع الختان الجماعي، وذلك في مناسبات الأعياد الدينية ومواليد المعصومين (عليه السلام).

وأ تذكر المبادرة التي اتخذت من ميلاد بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) موعداً لها، وحسينية دار الحسين (عليه السلام) مقراً والحاج صادق خوشحالت (رحمه الله) (2) منفذاً، فتقرر ختان ألف طفل خلال ثلاثة أيام، وعمت الأفراح والمسرات مع هذه الحملة الإنسانية، إلا أن العدد وقف عند حوالي سبعمائة إذ تدخلت وزارة الصحة ومنعت إكمال المشوار ولا يدرى لأي سبب عقلاني أو شرعي منع هذا المشروع.

ص: 270

1- سبط آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) ومن الوجهاء ورجال الأعمال.

2- كان من الوجهاء والناشطين في خط سماحة الإمام الراحل (رحمه الله).

قرر سماحة الامام الراحل (رحمه الله) تأسيس محطة بث تلفزيوني لتهتم بالمحاضرات العلمية والتربوية ولإظهار الوجه الحضاري للفكر الإسلامي، كان هذا القرار حوالي عام (1980 م) وعين سماحته الأخ الفاضل الدكتور الشيخ فؤاد الحلواجي (1) مسؤولاً ومديراً وتحرك لتنفيذ مقدمات المشروع، غير إن الوزارة المعنية وخطوط العناصر المتطرفة تصدت للمشروع وأجهضته قبل أن يولدا! وصودرت الأجهزة التي أعدت للتنفيذ . وبعد سنين عدة جرت محاولة أخرى وكانت بالتنسيق مع (منظمة الإذاعة والتلفزيون الإيرانية) وهذه الكرة أخفقت بعد إعداد سلسلة من المقترحات أيضاً لنفس ما ذكر من الأسباب وكان المسؤول والمدير نفس الشيخ الحلواجي أيضاً.

وفد أفريقيا

في مساء أحد الأيام زار وفد أفريقي يتألف من ثلاث شخصيات من ذوي الشهادات العليا والأساتذة في جامعة أوغندا وغينيا وطرحت معهم أمور مختلفة. وكان مما طرحه سماحته معلومات كانت غائبة عن هؤلاء، منها التحرك الوهابي في أوغندا خصوصاً، وذكر لهم بعض الأرقام عن هذا التحرك، حيث فوجئوا بها وذكر لهم موضوع تهجير المسلمين الشيعة من مؤسسة (الخوجة) وزعزعة كيانهم في أوغندا واربك مشاريعهم فكانوا لا يعلمون بكثير من تلك المعلومات. وتبين أنه (رحمه الله) وهو جالس في غرفته ذات الستة أمتار أكثر معلومات عن البلاد التي يعيش فيها هؤلاء، وبحث معهم أيضاً نشاطات الفاتيكان هناك، وأهديت

ص: 271

1- خطيب حسيني من كوادر سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ، بالاضافة إلى كونه طيب أعشاب.

لهم حزمة من الكتب الهامة التي تنفعهم وتنفع قضايا بلادهم. وقد نسيت للأسف الكثير من المعلومات عن هذا الوفد.

وفد السلام الهندي

وزاره وفد من الهند من رجال الشيخ، لحاياهم معقودة ويرتدون بدلات بيضاء متشابهة وكانوا رجالاً نباتيين لا يأكلون اللحوم، وجاءت تلك الزيارة بعد أن تحملوا مسؤولية زيارة بغداد واللقاء بالحكومة العراقية لغرض المداوات في أمر السلام بين إيران والعراق، وطرح معهم سماحته (رحمه الله) رؤيته حول العنف في العراق ضد الشعب وضد دول الجوار، ثم تم تزويدهم بالكتب الانكليزية والاوردية وكانوا بطبعهم يحترمون كل أصحاب الأديان.

مع رئيس جمعية الخوجة

من الذين التقوا بسماحته (رحمه الله) ونسقوا العمل معه رئيس المسلمين الخوجة، الوجيه الفاضل المرحوم الملا أصغر (رحمه الله) (1).

وكان سماحته (رحمه الله) يهتم بهؤلاء ويحترمهم وكان في زمان مضى قبل الهجرة من العراق قد اقترح على قياداتهم تأسيس جمعية منظمة لكل الخوجة وتعدادهم حوالي (300000) نسمة، فلبوا الطلب وأسسوا جمعية (بلال مسلم مشن) ولا زالت تعمل إلى اليوم، ولها من الفروع أكثر من سبعين فرعاً منتشرة في مختلف بلاد العالم.

كما سعى لتأسيس حسينية لهم فتأسست بعد ذلك، وتم تأسيس موكب حسيني لهم أيضاً، وقد شاهدت هذا الموكب وكان جلّه من شيعة النيجر،

ص: 272

1- زعيم جمعية الخوجة في العالم ومقره في لندن.

وكانت حسينيتهم تقع في آخر شارع قبلة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة - حسب ما يغلب على ظني -.

وكان (رحمه الله) يوصي بزيارة مقرهم في قم المقدسة والتنسيق مع إدارتهم كما كنا نسق مع بعض شبابهم من (جزر القمر) وغيرها من أقطار أفريقيا، كان شاب بارز فيهم اسمه (مالك) وهو كان مثقف وقيادي مقلد لسماحة السيد الراحل (رحمه الله) ومتحمس للعمل في إطار خطته ومسيرته. والملا اصغر رئيس الجمعية من الناشطين المخلصين وكان في إحدى زيارته إلى العراق قد القي القبض عليه، وزج به في غياهب السجون ومورس بحقه أشع التعذيب، بعد أن اتهم بالجاسوسية والعمالة!

المركز القيادي العالمي للخوجة في لندن ومكتب الإمام الراحل (رحمه الله) كان على وفاق وتنسيق معه. وعندما شن الرئيس الأوغندي المخلوع الديكتاتور (عيدي أمين) (1) حملة تهجير ضد هؤلاء الخوجة المقيمين في بلاده تحرك سماحة السيد الراحل (رحمه الله) للاحتجاجات والاستنكار، وأصدر بياناً في هذا الصدد وسعى لإيصال صوت هؤلاء المظلومين إلى أسمع العالم.

وهذه الجمعية (الخوجة) منظمة ملتزمة تحترم قيادتها، وموالية لأهل البيت (عليهم السلام) تهتم بإقامة الشعائر الحسينية على مدار السنة، تعقد كل ثلاثة أشهر مؤتمرات محلية في مناطق تواجدها، وكل عام تعقد مؤتمراً سنوياً وأكثرهم من التجار والمتمولين، منتشرون في أوروبا وأمريكا أصولهم هندية وكانوا من

ص: 273

1- هو رئيس أوغندا الثالث في الفترة بين عامي 1971 و1979. ويوصف دائماً بالديكتاتور العسكري.

الإسماعيليين⁽¹⁾ الذين يعتقدون بأمامة ستة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ثم على أثر جهود مبلّغ مجاهد من علماء النجف الأشرف انفصلوا عن الإسماعيلية وانتموا إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ولهم بروتوكولات نظامية خاصة بهم، منها: إنهم بعد صلاة الجماعة يقف إمام الجماعة للسلام والمصافحة فيسلم أحدهم عليه ويصافحه ويقف بجانبه ثم يأتي الثاني ويأتي الآخر يبدأ بالسلام والمصافحة بالإمام أولاً ثم من بعده بالتسلسل ويقف إلى جنب الثالث وهكذا حتى يسلم الجميع على الجميع، يوماً مرة واحدة مساءً ومرة بعد صلاة الظهرين.

قضايا المسلمين

كان الإمام الراحل (رحمه الله) يبذل كل ما بوسعه لدعم قضايا المسلمين والمستضعفين وهو يأخذ في اعتباره الدافع الديني والإنساني، ف- (الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) كما في مضمون قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وثيقته الخالدة لمالك الاشر (رضوان الله تعالى عليه) حين ولاه مصر.

ومما أتذكر من مواقفه (رحمه الله) حول القضايا الإسلامية قضايا العراق وإيران وأفغانستان والباكستان والخليج ولبنان وفلسطين والشيشان والبوسنة والهرسك والمسلمين في البلاد الأجنبية والهند وقضية كشمير، وغيرها.

ص: 274

1- الإسماعيلية إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثنى عشرية. يشترك الإسماعيلية مع الاثنى عشرية في مفهوم الإمامة، إلا أن الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشيعة بعد استشهاد الإمام السادس جعفر الصادق (عليه السلام)، إذ رأى فريق من جمهور الشيعة أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي أوصى له إسماعيل المبارك، بينما الحق هو أن الإمام هو أخوه موسى الكاظم (عليه السلام) لثبوت موت إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك.

في قضية كشمير عموماً ومسجد (بابري) التي جرت في سبيله دماء المسلمين بغزارة، أصدر سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بياناً للدفاع عن حقوقهم، فاحتج سفير الهند في بيروت ورد بيان سماحته (رحمه الله) ونشر بياناً في جريدة السفير وغيرها.

وفي مختلف القضايا كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) يصدر بياناً يعلن فيه موقفه ورؤيته لعلاج الأزمة إن كانت هناك أزمة قائمة. وكان (رحمه الله) يعيش تلك القضايا بوجدانه. وقد عرض له ذات مرة فيلم لمدة (10) دقائق عن البوسنة والهرسك فما تمالك عواطفه وانفجر باكياً.

وباللقاء نظرة على بعض العناوين التي انتخبها لكتبه يتبين مدى اهتمامه بقضايا الأمة فكتاب (السيبيل إلى إنهاء المسلمين) و(ممارسة التغيير لإتقاذ المسلمين) و (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والسلام والرفاه والحرية) وغيرها، يظهر طبيعة تفكيره وخريطة عقله التي تدل بعمق على شعوره بالمسؤولية تجاه الأمة الإسلامية.

وكان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية بناؤها وجغرافيتها وقيادتها وعملتها وقوانينها وغير ذلك، وقد قال عنه سماحة آية الله السيد احمد الفالي (رحمه الله) (1): (إن السيد محمد الشيرازي يؤرقه ألم الدين) أي الشعور بالمسؤولية تجاه الشريعة والأمة الإسلامية، وكل من عاشر سماحته (رحمه الله) وسمع منه بعضاً من آرائه ورؤاه يعرف هذا الأمر بشكل واضح ومؤكد.

ص: 275

1- رجل دين ومؤلف شيعي. كان من المعارضين للحكومة العراقية إبان حكم حزب البعث العربي الاشتراكي، وتعرض جراً ذلك للاعتقال والتهجير ثم سحب جنسيته العراقية، فاستوطن إيران.

ومن القضايا التي أولاهما اهتماماً بالغاً، قضية العلويين في تركيا.

كان يرى ضرورة التخطيط لربط هذا الوجود الكبير بجسم الطائفة الشيعية والتي يربو عددهم على الاثنين وثلاثين مليون نسمة، وقد أكد لي في آخر زيارة إليه صيف عام (2002 م) بضرورة التحرك لهذه القضية، وقال: نسق مع الناشط الفاضل السيد هاني في الكويت لدعم هذا المشروع؛ وقبل ذلك بحوالي ثلاثة عقود أصدر أمره إلى أخيه الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) للاهتمام بعلويي سوريا ولبنان، ففعل (رحمه الله) وتمكن بعد مفاوضات ومناقشات علمية طويلة ومغنية مع قادتهم من إصدار بيان عن واحد وثمانين شخصية علمية ودينية منهم أعلنوا فيه عن انتماءهم إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وصدر البيان في كراس تحت عنوان (العلويون شيعة أهل البيت (عليهم السلام)).

ومن القضايا التي أولاهما اهتماماً بليغاً أيضاً قضية (الأكراد) في العراق وكان قال مكرراً: إنهم إخوة مع باقي المسلمين ولهم حقوقهم كاملة ولا فرق بين أي عراقي وبينهم.

مع العلماء والأعلام

كان سماحة السيد الراحل (رحمه الله) راسخ الاعتقاد بأهمية احترام رجال العلم والدين والدفاع عنهم، ويرى أن ذلك من ضرورات العمل فضلاً عن كونه مبدءاً شرعياً ومصدقاً للحديث الشريف: «الْمُؤْمِنُونَ فِي تَبَارَهُمْ وَتَرَأَاهُمْ وَتَعَاطَفَهُمْ كَمِثْلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى لَهُ سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»⁽¹⁾، وتمثل هذا الاعتقاد ب:

ص: 276

1- روي الإمام الصادق (عليه السلام) / بحار الأنوار: ج 71 ص 234.

1. التزاور معهم.

2. والتشاور في قضايا مشتركة.

3. وبعث الإصدارات إليهم بصورة متواصلة.

4. المشاركة في المجالس التي يقيمونها.

5. والمشاركة في أحزانهم وأفراحهم.

6. مساعدتهم ببعث الهدايا لهم.

7. إقامة مجالس الفاتحة لهم بعد الرحيل إلى الرفيق الأعلى.

إقامة مجالس الفاتحة كان ديدناً له كلما دعت الضرورة، أعني ضرورة احترام الطرف الآخر وللمرجعيات الكبيرة مثل الخوئي والكلبايكاني كان يقيم الفاتحة ثلاثة أيام. والمعروف الدارج في قم المقدسة: يوم واحد على الأعلب.

وفي الدفاع عنهم أتذكر حين ساقّت المخابرات العراقية السيد الخوئي (رحمه الله) إلى زيارة صدام قسراً، قال سماحة السيد (رحمه الله): إن وسائل الإعلام هذه ليست حجة شرعية وأصدر بياناً مقتضباً ذكر تشكيكه بالخبر، وقال (رحمه الله): (لا ينفع صداماً جمعه لمقاطع من الصدر وفبركة الأخبار واتهام المرجع الخوئي بأنه زاره في بغداد)، وكان يؤكد: يلزم أن ندافع عن المرجعية وعن هيبتها وسمعتها.

وذات مرة ألقى القبض على سماحة السيد عبد الله الغريفي⁽¹⁾ وكيل السيد الخوئي في البحرين من قبل المخابرات الإماراتية في دبي، وكانت الحكومة البحرينية قد أبعدهت إلى الإمارات أو طلبت منه مغادرة البلاد، وهو ابن البحرين

ص: 277

1- عبد الله حسين بن إبراهيم محسن الموسوي الغريفي البحراني مرجع شيعي بحريني يرجع نسبه إلى حسين الغريفي المتوفي سنة 1001 هجرية والمدفون في البحرين وتنتسب إليه السادة الموسويين من آل الغريفي وهي عائلة بحرانية.

ووكيل المرجعية هناك. نقل الخبر في محضر السيد الراحل (رحمه الله) فامتعض كثيراً وخطط للتحرك في الموضوع ومما أتذكر قوله: لو أن قسماً مسيحياً ينفى من بلد أو يعتقل في بلد فإن العالم المسيحي كله يقوم ولا يقعد والمطران (كبوحي) القس المسيحي الفلسطيني الذي ألقى القبض عليه في تل أبيب وفي منزله سلاح تابع للمقاومة، انتفض العالم المسيحي للدفاع عنه ونقلت أخباره كل وسائل الإعلام العالمية، أما عالم شيعي ووكيل للمرجعية ينفى ويعتقل وتهان كرامته ولا أحد ينطق ببنت شفة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

تفاعلت قضية اعتقال الغريفي قليلاً ثم أبعاد إلى سورية وأقام هناك. ولقد نقلت له موقف سماحة السيد الراحل (رحمه الله) في مكتبه في دمشق حي السيدة زينب (عليها السلام)، وقلت له: (إن السيد الراحل هكذا علق، وكان يخطط للتحرك إلا أن القضية أنهيت بتسفيركم إلى سوريا. وأظن أن سماحته كان قد أقدم على الدفاع عن الغريفي، لكنني لا أتذكر شيئاً لمرور أكثر من عقدين من الزمن عليها).

تأبين العلماء

كان يهتم سماحة السيد الراحل (رحمه الله) بتأبين العلماء والشخصيات الكبيرة، فكان يقيم مجالس الفاتحة على أرواحهم، فالشهداء من السادة الـ الحكيم والمرحومين منهم كآية الله العظمى السيد يوسف الحكيم (رحمه الله) والسادة أولاد الخوئي كالسيد جمال (رحمه الله) والمرجعيات الدينية كسماحة آية الله العظمى السيد كاظم شريعتمداري، مع أنه من ضحايا خط التطرف، وسماحة آية الله العظمى الشيخ بشير الخاقاني، أقام لهما السيد الراحل (رحمه الله) مجالس الفاتحة تكريماً للعلم والمرجعية، وقد رقى المنبر في رحيل الخاقاني سماحة الحجة الأديب الشيخ جعفر الهاللي (حفظه الله تعالى) وبعد الفاتحة هتف أحد الحاضرين بشعارات متطرفة

فلم يتفاعل معه أحد وانتهى المجلس بسلام والحمد لله.

وللوجهاء أيضاً

وكان يقيم مجالس التأبين للوجهاء والرموز أيضاً، إلا أن ذلك كان ينفذ بعد المشورة ودواعي الضرورة وممن أتذكر إقامة الفاتحة لهم: الوجيه الحاج محمد قبازداد والوجيه الفاضل الحاج زيد الكاظمي(1). وفي هذا الأمر كان يقتدي بمرجعية الفقيه الكبير المجاهد السيد ابو الحسن الاصفهاني (رحمه الله)، وكان كثيراً ما يذكر فضائله وحكمته وقصصه الأخلاقية في سعة صدره وذكائه الاجتماعي الذي مكنه من جمع الشمل المرجعي بعد حادثة ثورة المشروطة(2) الشهيرة في ايران، حيث أدت إلى انقسام كبير في الصف المرجعي. كان (رحمه الله) يقول: كان للسيد أبي الحسن الاصفهاني (رحمه الله) لجنة لإقامة مراسم الفاتحة والتأبين.

ولبعض المرجعيات الكبيرة، كان سماحته (رحمه الله) يعطل لجنة (الخارج) حداً لهم مثل فقدان المرجع الكبير السيد كاظم شريعتمداري (رحمه الله) وبالرغم من أن المتطرفين يتحسسون وبدرجة عالية من شخصية ومواقف هذا الرجل الذي طوى مراحل حياته في خدمة الدين والمجتمع، وكان من المتوقع أن تستهدفه بعض الأجنات.

ص: 279

1- من الوجهاء ورجال الأعمال في الكويت.

2- وتعرف بالمشروطة، حدثت بين عامي 1905 و1907. وأدت الثورة إلى إقامة البرلمان في إيران. كانت الثورة الدستورية الفارسية هي الحدث الأول من نوعه في آسيا. حيث فتحت الثورة الطريق للتغيير المزلزل في ايران، مبشراً بالعصر الحديث. ولقد شهدت فترة من الجدل غير المسبوق في الصحافة المزدهرة. ثم خلقت الثورة فرصاً جديدة وفتحت آفاقاً لا حدود لها على ما يبدو لمستقبل ايران.

وقد كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يبادر سريعاً إلى إرسال البرقيات للجهات المعنية في المناسبات المختلفة ولا سيما الأحران، ففي الأحداث المؤلمة التي ألمت بآل الحكيم بادر سماحته (رحمه الله) إلى إرسال برقيات التعزية، وكان رمزهم الشهيد السعيد آية الله السيد باقر الحكيم، وكذا بعث سماحته (رحمه الله) برقيات التعزية في مناسبات مختلفة إلى السيد الخوئي (رحمه الله) منها مناسبة رحيل نجله سماحة السيد جمال الخوئي الذي وافاه الأجل في الشام، وقد بعث السيد الخوئي (رحمه الله) جواب البرقية وقد قرأت نصها ومضمونها:

بسمه تعالى

وصلتني برقيتكم الموقرة ومشاطرتكم لنا في الحزن أشكر الطافكم.

وكان توقيعه كلمة (الخوئي) فقط، وتحتها الخاتم المبارك وكانت في ظرف كتب عليه: (سماحة آية الله السيد محمد الشيرازي دام بقاءه)، ونصوص البرقيات واجاباتها موجودة في الأرشيف الخاص لمكتبه (رحمه الله).

شاهد هذا الكلام أنه (رحمه الله) كان مهتماً بالتواصل والاحترام المتبادل والدفاع عن حرم المرجعية الدينية.

المجلس العائلي

وفي فترة من مراحل العمل والنضال كان يعقد سماحة السيد الراحل (رحمه الله) مجلساً يومياً للتربية الخطابية، أعضاؤها زوجته وبناته وزوجات أولاده، تواصل معهن وصنع منهن خطيبات وبعضهن ماهرات ومثقفات عاملات، كما أن بعضاً منهن تولفن الكتب، ولازلن إلى اليوم يشاطرن أزواجهن هموم العمل ويؤدين

ص: 280

مسؤولياتهن في هذا المسير.

وفي فترة معينة كان المجلس أسبوعياً ينعقد وكل منهن مستعدة لإلقاء كلمة، وهكذا أسس (رحمه الله) النهضة الثقافية النسوية وهي لازالت تتفاعل وتتسع قاعدتها، وبعض هذه النسوة أدين أدواراً قيادية في المجتمع في إيران وسوريا والعراق والكويت، منهن زوجته الفاضلة (أم السادة) تصدت لدور معين وألفت بعض الكتب منها: (من كلمات الإمام الحسن).

الصورة



كان لسماحة السيد الراحل (رحمه الله) ست بنات وستة أولاد كلهم علماء ومبلغون وبعضهم متميزون ويتصدون لتحمل المسؤولية منذ ريعان الشباب وكان يسارع إلى تزويجهم قبل أن يخضر لهم شارب أو عارض.

بعض المسؤولين المرجعيين

كان التصدي لبعض المسؤوليات الملقاة على عاتق الكوادر ينوء بها مسؤول واحد، وبعضها أكثر من مسؤول.

فمثلاً كان العالم الفاضل الشيخ حسين الشاهرودي مسؤولاً عن تحرير وتنقيح كتابات سماحته (رحمه الله) حيث كان خطه (رحمه الله) ناعماً دقيقاً ومعتمداً على رموز معينة وملكية خاصة، فمثلاً كان مثلث النقط يعني لفظ الجلالة الخاص، هذه وأمثالها يعرفها الشيخ ويستنسخها لتقدم للطبع بخط كبير نسبياً وواضح. وكان (الحاج رضا النائيني) الوجيه والكادر المعتمد الأمين المخلص وهو المسؤول عن طبع الكتب، وقد أسس مطبعة لهذا الغرض بتوجيه من سماحته (رحمه الله).

ص: 281

وكان فضيلة الحجة (الشيخ رضا السلطاني) مسؤولاً عن إعداد تقرير صحفي يومي يدرج فيه خلاصة مانشيتات ثلاث صحف: (كيهان، اطلاعات، وجمهوري اسلامي) وغيرها أحياناً، ويدرج فيها أيضاً خلاصة أهم الأخبار.

وكان مثلث الشيوخ الأفاضل (المحقق والمجاهد والتوكلي) مسؤولين عن المجموعة الافغانية من علماء الحوزة وطلبتها مضافاً إلى ذلك قضايا ومقلدي الساحة الافغانية.

والعلامة الحجة (الشيخ حسن الاصفهاني) مسؤولاً عن الشؤون الاقتصادية ورواتب الحوزة العلمية مضافاً إلى تنظيم المواعيد والتزاور مع العلماء برفقة سماحة آية الله السيد صادق الشيرازي (دام ظله).

وكتب هذه السطور مسؤولاً عن الخطوط العربية المتصلة بالمرجعية في مكتب سماحته (رحمه الله) : الخوزستانية واللبنانية والخليجية والعراقية، إضافة إلى مسؤوليات ذكرت سابقاً.

وسماحة السيد الرضا (رحمه الله) والسيد المرتضى (حفظه الله) (أبناء الإمام الراحل) مسؤولان عن التوجيه الفكري والحوزوي الخاص.

والمرحوم الفالي مسؤول عن شؤون المؤسسات داخل وخارج ايران ومسؤوليات اقتصادية وإدارية أخرى.

ومعروف عن السادة الفالية أنهم رموز تؤدي مختلف الأنشطة المرتبطة بالشريعة الكربلائية في ايران، وهذه مسؤولية كبيرة وصعبة (والحمل الثقيل لا ينهض به إلا أهله).

وسماحة (السيد المجيدي) رابط حيوي مع جمع من الشخصيات الإيرانية في إصفهان وغيرها.

وسماحة (الشيخ الحائري الكلاهي) مسؤول خط الخطباء والحسينيات في قم المقدسة وهو الذي يدعو حوالي (45) خطيباً لمجالس محرم الحرام، ويتواصل معهم على مدار السنة.

وكان سماحة الشيخ الفدائي (حفظه الله) هو المتصدي لكتابة وتقرير المحاضرات والدروس.

وسماحة (الشيخ التقوي) مسؤولاً ورابطاً مع الشرائح الاذربيجانية في الحوزة العلمية.

هذا وكان الرمز الكبير الذي يرجع إليه الأعضاء والكوادر بعد السيد الراحل (رحمه الله) هو سماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) فهو الشخصية القيادية الثانية في جهاز المرجعية الشيرازية العليا وذلك في حياة أخيه الراحل (رحمه الله).

وكانت نخبة من غير رجال الدين تنوء بمسؤوليات اجتماعية وترتبط بالشخصيات الاقتصادية في المجتمع منهم الوجهاء الأفاضل: الحاج جعفر مير حائري، والحاج ابورسول (حجو) والحاج محمد بوردارا.

زيارة الشيخ القرائتي

ذات مرة زار الشيخ القرائتي (رئيس نهضة محو الأمية في إيران)، الإمام الراحل (رحمه الله) ودار حديث وحوار مركز بينهما، وكان مما طرحه الشيخ على سماحة السيد (رحمه الله): كيف تمكن حضرتكم من إنجاز هذا الكم الهائل من الكتب؟! أجاب (رحمه الله): إنني لا أسافر ولا أخرج من المنزل مطلقاً، ولا أضيع دقيقة من الوقت فيما لا طائل تحته ولا أنام إلا قليلاً.

وأنا من خلال ملازمتي للإمام الراحل (رحمه الله) أضيف أنه (رحمه الله) كان يتمتع

بعقلية متميزة، فكانت تتدفق الأفكار والطروحات أمامه بغزارة، فيصبها على صفحات الورق بسرعة فائقة، وكان أيضاً يمتلك ذاكرة وقادة، وفكراً نابغاً، ولا يصرف الوقت لاستخراج أي مصدر ولا ينس شيئاً، ويستفيد من كل ظاهرة اجتماعية وخبر سياسي واقتصادي وكل حديث ينقل في ديوانه، ومع كل ذلك فأنت تجده عاكفاً ليل نهار على الكتابة، ويستعين أحياناً بألة التسجيل وشريط الكاسيت، وكان قد عبأ كل طاقاته للتأليف، فتمكن أن يصبح (سلطان المؤلفين) ويغمض عينه ملياً نداء ربه، وقد خلف وراءه ألف وثلاثمائة وأربعة وستين كتاباً (1364) فهو المؤلف الأوحدي على صعيد الكرة الأرضية دون منافس. وذكر في ترجمته (رحمه الله) أنه سافر يوماً من كربلاء المقدسة إلى النجف الأشرف ورجع وكان قد ألف قصة من قصص الأنبياء وحلقة من سلسلة (القصص الحق).

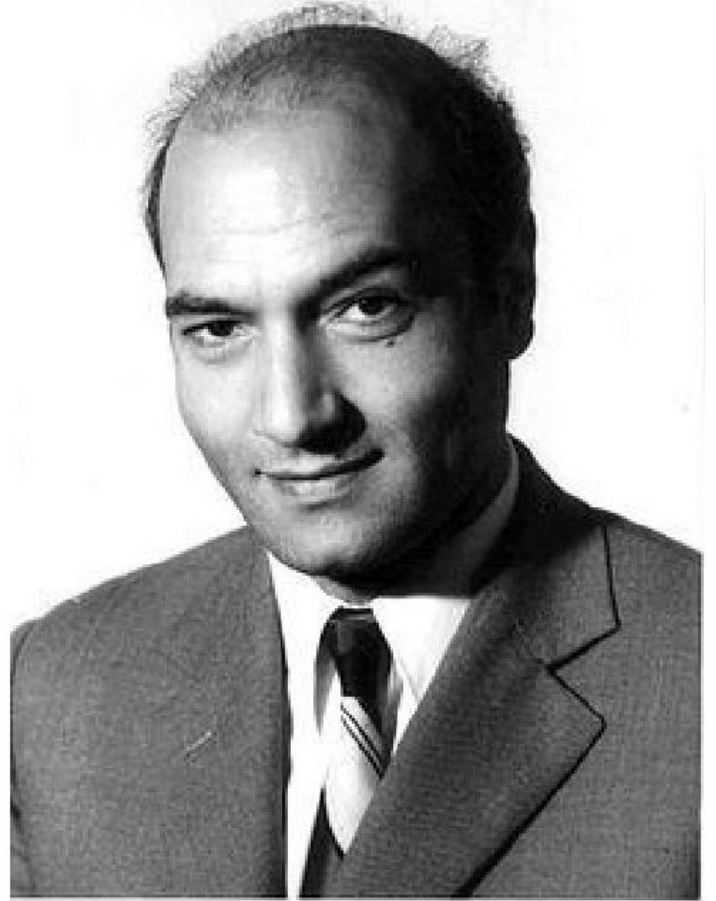
لقاء المتطرفين من عناصر المخابرات

أعلن بعض المسؤولين المتطرفين في الدولة الإيرانية، عزهم على لقاء سماحة السيد (رحمه الله)، فرفض اللقاء الخاص وبين جدران أربعة مغلقة، لأنهم على الأغلب كانوا سيطلبونه بما لا يطيقه ومما يخالف الشرع الشريف في رأيه الاجتهادي.

لكنه قبل اللقاء بهم على مضض ووفق شروطه، فزاره هؤلاء بعد صلاتي المغرب والعشاء، وقد استقبلهم في غرفته وفي وسط جمع من أعضاء المكتب فطرحوا مطالبهم، فأجابهم بكلمة: إنني أوذي ما أراه واجباً شرعياً وما يخالف الشرع لا أقبل به منكم كان أم من غيركم. وكان غاضباً وشديداً في كلامه معهم، فانتهى الاجتماع وعادوا هؤلاء بخفي حين.

وجانب آخر يكشف عن شخصية الإمام الراحل (رحمه الله) الفذة، حيث عرف عن الكثير من خط الدكتور علي شريعتي أنه قرأ للسيد (رحمه الله) وتفاعل مع رؤاه ومواقفه الحضارية واقتنع بوجود رجال دين كبار متورين وثائرين وليس كلهم - حسبما يصورهم شريعتي - خاملين انطوائيين ومستهلكين لا يجيدون غير الطقوس المظهرية ولا يمتون إلى حقائق الإسلام بصلة.

الصورة



وحين ظهر في البحرين من يدعي السفارة عن الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) صدرت الفتاوى واحدة تلو الأخرى تؤكد ضلاله وكفره، وبعضهم أفتى بوجوب قتله. أما سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) فكان رأيه صريحاً (يموت الباطل بترك ذكره) وإن الفتاوى تؤدي إلى إلفات النظر إليه مما يتسبب بحب الاستطلاع، وتوجه الجمهور إليه.

وحين تصاعدت حركة مدعي السفارة في البحرين وتصاعدت معه وتيرة المطالبات بالفتوى المضادة من قبل تياره في البحرين، بعد مداوات عديدة تم الاتفاق بيني وبين سماحته (رحمه الله) بتقديم أسئلة فقهية له، ويحجب عليها تحريرياً ثم تنشر الأسئلة غير المباشرة في أوساط الأمة. كتبت تلك الأسئلة بالتنسيق مع سماحة السيد الرضا (رحمه الله) وكانت أربعة أسئلة، فيها سؤال حول السجود على الورق الذي لم يتخذ من الخشب بل من القطن، وسؤال آخر هذا نصه: هل للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) نائب خاص أو سفير في زمن الغيبة الكبرى؟

أجاب سماحته (رحمه الله) بالعدم، وهذه الفتوى سحبت الشرعية عن كل مدعٍ للسفارة من دون تنصيب خاص. وكان مما تم طرحه عليه من أسئلة: ما هي مسؤولية الأمة في زمن الغيبة الكبرى؟ أجب سماحته (رحمه الله): الالتفاف حول راية المراجع العظام وعدم أخذ أي حكم من غيرهم وإطاعة أوامرهم والانتهاز عن نواهيهم، والدفاع عن الإسلام والالتزام بأحكامه والعمل لتطبيقها في مختلف مجالات الحياة. والسؤال الرابع (لا تذكره لطول الفترة التي مرت على تلك الحادثة).

هكذا ظهر موقفه (رحمه الله) دون أن يضع إصبعه على واحد أو يضخم شخصيته. ونشر الاستفتاء الذي وقع باسم جمع من مقلدي سماحته (رحمه الله)، وصدر الجواب موقعاً بخاتمه الشريف.

وهكذا امتنع طوال حياته المرجعية من إصدار أي فتوى ضد أي شخصية أو جهة، في الوقت الذي عاصر مرجعيات كانت هي الأكثر لإصدار الفتاوى الشخصية ضد هذا وذاك لأسباب هشة تكتنفها جملة إشكالات وملاحظات.

مع الاطباء توصيات في الصميم

أكثر من مرة التقى به وفد من الأطباء في قم المقدسة ومشهد الرضوي الشريف، وكان (رحمه الله) يعرف لغتهم الطبية وهو الذي ألف حوالي خمسة كتب في الطب منها كتابه القيم (مبادئ الطب).

كانت له توصيات يضعها بين أيديهم على خلفية رؤاه الإسلامية وقيمه الإنسانية، منها:

1. ابدلوا كل جهدكم لاكتشاف المرض وتشخيصه بدقة، ولو فعلت واخفقت في تشخيصه قل بشكل صريح وواضح: لم أعرف هذا المرض، إنك لا

تقدم على العلاج طبعاً ولا تسجل له دواءً.

2. ليكن تعاملك إنسانياً، بمعنى إنك لو عرفت أن المريض ينتمي إلى الطبقة الفقيرة فلا تتقاضى منه أجره العلاج، ولتكن أجور العلاج متواضعة ورخيصة.
3. اهتم بمعرفة قواعد الطب الإسلامي البديل، ذلك لأنه يتضمن كثيراً من العلاجات الناجحة واليسيرة والرخيصة، وإن العلاج الكيميائي العصري الحديث على ما فيه من إيجابيات كبرى فإنه محاط بسياج من التعقيد والروتين والتكاليف والبطء والأعراض السلبية التي تتطلب هي الأخرى علاجات خاصة.
4. شاركوا في العمل الإسلامي الاجتماعي، خذوا القلم وكتبوا ما فيه صلاح الأمة، فالتأليف من وسائل الإصلاح الهامة والطبيب ينتمي إلى النخبة المثقفة في المجتمع، وعليه أن يتصدى لدوره القيادي والتوجيهي المؤثر.
- وكان السيد الأستاذ (رحمه الله) يذكر شاهداً لرأيه هذا أطباء مصر حيث إن كثيراً منهم تصدوا ولا زالوا للتأليف في أي حقل ينفع المجتمع ويسير به نحو الصلاح.
5. وكان (رحمه الله) يؤكد أخيراً على ضرورة تأسيس الجمعيات الاختصاصية، والأطباء أكثر من غيرهم معنيون بهذا الأمر، فالجمعية والمنظمة تأخذ موقعها المتميز في خدمة المجتمع وهي الأقدر على النفع العام عما لو كان الطبيب يعمل منفرداً.
- وكان سماحته (رحمه الله) يهتم بتثقيف هذه الطبقة إسلامياً ويرفدها بالكتب العلمية التوعوية ويتعامل معها بعناية فائقة ويكسب ودها عبر أول لقاء. والجدير بالذكر أن طبيبه الخاص كان هو الدكتور (صادق دستجير) (1) وأحياناً الدكتور

ص: 287

1- من الأطباء في مدينة قم المقدسة، ومن الوجهاء الخيرين وكان الطبيب الخاص لسماحة السيد (رحمه الله) .

(بوشهريان) (1) وكان الدكتور صادق ملتزماً برعاية سماحته رعاية خاصة ومنظمة ويزوره في منزله كل شهر مرة أو أكثر أو أقل.

الرعاية الصحية

ولقد كان الأصل عند سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) اعتماد الطب الإسلامي والعلاج الطبيعي، ولو تعقدت حالته كان يلجأ مضطراً إلى الطب الكيماوي الحديث.

وكان هو (رحمه الله) على اطلاع بقواعد الطب، ويعالج نفسه وأهل بيته وأصدقاءه ويضع أمامهم توجيهاته الطبية الإسلامية، كما أنه كان أيضاً ملتزماً بالحجامة واستخراج الدم سنوياً مرة على الأقل وكان يرجع الجلطة القلبية التي أودت بحياة والده المعظم (رحمه الله) لتخثر الدم وعدم استخراجه في الوقت المناسب عبر الحجامة أو الفصد.

وكان ملتزماً بمختلف قواعد الصحة في تناول الطعام والشراب وممارسة الرياضة وكان ملتزماً بالسواك ورعاية صحة الأسنان، فكان (رحمه الله) إلى آخر حياته متمتعاً بأسنان سليمة وقوية.

كما كان ملتزماً باكتحال العينين فكانت عيناه قويتين إلى آخر حياته رغم أنه كان كثير المطالعة والكتابة والنظر إلى المطبوعات.

البقيع الفرقد

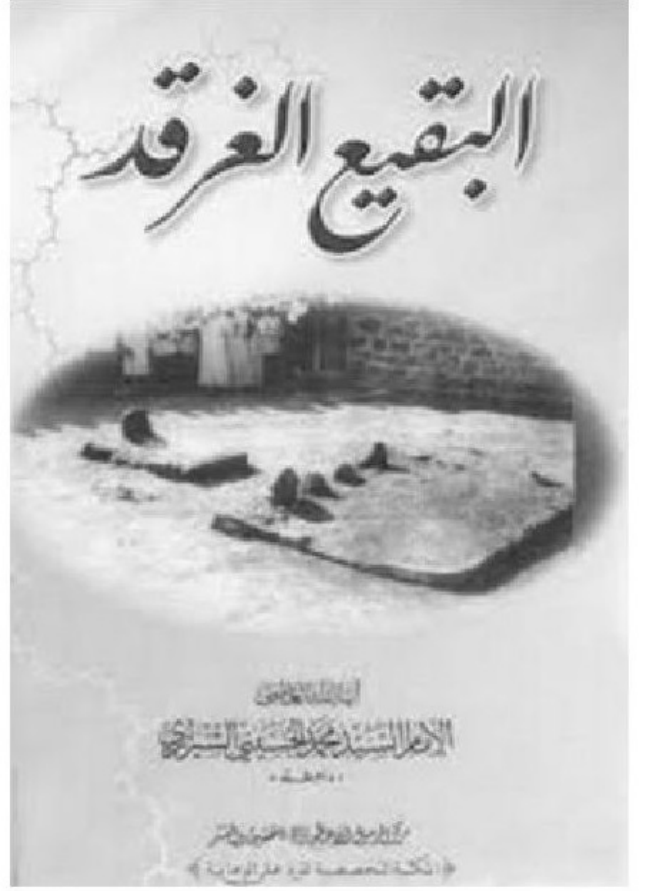
كانت فاجعة البقيع تؤرق سيدنا الراحل (رحمه الله) وكان يطرح الموضوع في كل مناسبة ويوقظ الشعور

ص: 288

1- من الأطباء الجيدين في مدينة قم المقدسة، والده كان من حلفاء مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) .

والراي العام ويلقي المحاضرات ويكتب حول الموضوع وقد صدر له كتاب يحمل اسم (البقيع الفرقد).

الصورة



وفي ما مضى من الزمن حمل أخوه الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) راية البقيع وتحرك في أوسع نطاق لإعادة إعمارها، ولكن الجهود الطائفة باءت بالفشل لأسباب لسنا في صدد طرحها.

كان (رحمه الله) يؤلمه الواقع المعاش وقد صرح ذات مرة في إحدى محاضراته الخاصة بقوله: (إنني استطع بناء البقيع في شهر واحد)، وكان يقصد تذليل العقبات واستصدار القرار، ثم أضاف: (ولكن من الذي يترك لنا الحرية ولا يكبل انطلاقتنا؟ إن المشكلة تكمن فينا لا في خصومنا).

ذكريات الشهيد الشيرازي (رحمه الله) عام 1981 م

أصبح يوم (16) من جمادى الثانية من كل عام يوم استذكار البطولات والقيم، إنه اليوم الذي اغتال فيه طغاة العراق، العلم والأدب والشهامة والعظمة التي كانت تتجسد في شخصية الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) اطلقوا عليه (13) رصاصة مزقت صدره وهشمت رأسه واودت بحياته في الحال في بيروت منطقة الرملة البيضاء، حيث كان (رحمه الله) متوجهاً لحضور المهرجان التأييني الذي أقامه لذكرى مرور (7) أيام على اغتيال الشهيد الصدر الأول (رحمه الله) في غياهب سجون بغداد!

فأصبحت هذه الذكرى السنوية للشهيد الشيرازي (رحمه الله) محطة لاستذكار التاريخ الجهادي الحافل للشجرة الشيرازية الطيبة ومناسبة للتثقيف العام.

وطبع

ملاحق للصحف ونشر البوسترات والأدبيات الثورية، فتحولت الذكرى إلى أسبوع لشهداء العراق ومنطلق لفضح جرائم البعثيين في العراق.

وكان مكتب سماحته (رحمه الله) يعلق أعماله في هذه المناسبة وينظم مجلساً تأييداً حوزوياً يحتشد فيه العلماء وشخصيات الحوزة يقرؤون القرآن الكريم والفتاحة، ثم يرقى خطيب حسيني ملهم بتاريخ الحركة الشيرازية ورموزها الكبار ويلقي محاضرة تتصل بهذا التاريخ ثم يستثير عواطف الولاء فتجري الدموع للحظات حزناً على سيد المظلومين أبي الأحرار الحسين (عليه السلام). بعدها تقام وليمة تكريماً للحاضرين واحتفاءً بالذكرى وينفض الجمع وفي وجدانه يقظة الذكريات وحرارة القيم.

وكان هذا التأييد يقام في مسجد الإمام الحسين (عليه السلام) في شارع (عمار ياسر) في قم المقدسة قبل غصبه، وبعده في (مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام)) وقبله في حسينية (دار الحسين (عليه السلام)).

وفي إحدى السنين تحركت خلية من شباب الحوزة المنتمين لمدرسة السيد الراحل (رحمه الله) لإقامة مهرجان تأييدي للشهيد في الحسينية النجفية في قم المقدسة، وهذه مبادرة نوعية لها دلالاتها، فالشهيد (رحمه الله) من مواليد النجف الأشرف وإن إحياء ذكره في تلك الحسينية ظاهرة وحدوية من شأنها تعميق أواصر المحبة بين شريحة الكربلايين وغيرهم من العراقيين والنجفيين خصوصاً، وتذويب حساسيات سوداء صنعتها السياسات السوداء على خلفية القاعدة الاستعمارية العريقة (فرق تسد) فكانت الخطوة رائعة قادها السادة آل القزويني أنجال المرحوم آية الله السيد عبد الحسين القزويني.

لقطات مشعة

من بنود دعوته: أنه (رحمه الله) كان يدعو إلى استهلاك البضاعة الوطنية ويمتنع

هو ويدعو الآخرين أيضاً إلى الاكتفاء بمنتجات البلاد الإسلامية، وكان يرفض بصورة جازمة شراء البضائع الأجنبية، لا من منطلق المقاومة والحرب ضدها بل من منطلق ضرورة الاكتفاء الذاتي، وكان يتحمل في سبيل ذلك تبعات السعر المضاعف للبضاعة الوطنية غالباً.

وكان أحياناً يرى ضرورة طرح فكرة معينة تتصف بنوع من الخصوصية فيبادر (رحمه الله) إلي ويطلب جمع الأخوة لحديث خاص، فكنت انتقي الشباب الواعد والذين اعمل معهم بصورة مباشرة أو بالواسطة واجمعهم في غرفة سماحته (رحمه الله) مساءً بعد الصلاة واتصل به هاتفياً أعلن له استعدادنا، فكان (رحمه الله) يخرج من الباب الداخلية لغرفته الخاصة ويلتقي ب- (20 - 25) شاباً ويطرح عليهم ما يدور بخاطره من قضية ساخنة أو أمر هام.

وأذكر بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة حين انفصل الشمال العراقي عن المنظومة الإدارية لحكومة بغداد، طلب سماحته (رحمه الله) الاجتماع بالشباب، ففعلت ما عليّ، فالقى محاضرة توعوية وجه الشباب لانتهاز فرصة الحرية والانفتاح في الشمال وطلب إليهم السفر إلى هناك والتعامل الإيجابي مع الوضع الجديد، فسارع بعضهم إلى التنفيذ وسافروا إلى (شقلاوة) واستقروا هناك ثم التحقت بهم، وأسسنا (حسينية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)) وانطلقنا في مرحلة جديدة من النشاط ذكرت بعضها سابقاً.

ومن ملامح شخصيته (رحمه الله) أنه كان لا يرتاح إلى أشعار المدح أو الذم، مدحاً له أو ذماً لغيره، وحين كان بعض الشعراء ينظمون حول شخصيته قصيدة ويطلبون إلقاءها في محضره كان يستجيب لهم على مضض، ولا يرتاح إلى مدحهم ولا يشجعهم، وكان يرى ضرورة استخدام الشعر النهضوي لغرض

إصلاح واقع الأمة، وقال لي ذات مرة: قل للشاعر - ولا اتذكر من كان الشاعر - أن ينظم الأفكار المبتوثة في كتاب (السبيل إلى إنهاض المسلمين)، ففعلت ولم أتابع المشروع، ولكنني بعد فترة من الزمان علمت أن بعض إخوتنا من الأدباء السعوديين قد نظم أفكار كتاب (السبيل) في سلسلة قصائد رائعة. أما الأشعار الشخصية فكانت بعد إلقائها تسلم إلي وأحولها إلى الأرشيف.

التعبئة للهجرة

كان الإمام الراحل (رحمه الله) كله أمل في هجرته من الكويت إلى إيران، وكان يأمل أن تخدمه الظروف الجديدة التي ساهم في صنعها، وأن يعيش نوعاً من الانفتاح والانطلاق في ظلها، لم يحصل ذلك نتيجة لعوامل عديدة، فلم يظفر بما كان يأمل، لكنه ظل محتفظاً بحيويته العالية ويعمل كل ما بوسعه من نشاط.

في تلك الظروف كان يقول أحياناً: (إن البلاد الإسلامية كانت ملجأ للغربيين يوم كانت بلادهم شبخ في بحر الظلمات والجهل والحروب، أما الآن فالعكس صحيح إذ يستطيع المبلّغ أن ينطلق من تلك البلاد للتبوير والإصلاح وتجريد المعارضة ضد الطغاة).

وعمل على تطبيق كلامه على أرض الواقع؛ فقد عبأ الطاقات للهجرة سواء تلامذته أو حلفاءه أو غيرهم، وعلى أثر تلك التعبئة اقتنع مقلدوه السعوديون أن يهاجروا إلى سوريا وبعض البلاد الأجنبية، وهاجر سماحة الشيخ نديم إلى كندا بعد أن تاملت عليه جهات مغرضة، وهاجر سماحة آية الله القزويني إلى الولايات المتحدة بعد أن احتجز جوازه واستدعي مكرراً إلى جهات أمنية معروفة الحال والتوجهات، واستجوب بصورة مشبوهة، وهاجر سماحة

الشيخ جمال الوكيل إلى سوريا، والسيد الرضا (رحمه الله) إلى الكويت. وغيرهم كثيرون انتشروا في بلاد عربية وأجنبية مختلفة.

انطلق هؤلاء المهاجرون بعد أن تحرروا من قيود السياسة التي فرضت عليهم، للعمل في أي مهجر أقاموا فيه، وأسسوا المشاريع وأدوا أدوارهم بصورة أوسع وأفضل مما كانوا يؤدونه سابقاً.

ومما يجدر ذكره: إن كثيراً من هذه الهجرات تمت بوثائق سفر اضطرارية ليست أصلية، ذلك لأن هؤلاء الرجال كانوا معارضين لطاغية بلادهم (صدام) ولا تتعاون جهة دبلوماسية معهم وتزودهم بوثيقة معترف بها دولياً، فكان وضعهم جزءاً من الوضع العراقي الصعب.

ومما يذكر في هذا المجال أيضاً أن دعم سماحته لمشاريع الهجرة أو المؤسسات أو أي نشاط آخر كان دعماً رمزياً، وذات مرة طلب إلي أن أكلم أحد إخوتنا العاملين الناشطين لغرض إرسال مبلغ مالي إليه في فرنسا فقال (رحمه الله): نعطيه مائة ألف تومان ثم تقدم إليه عشرة آلاف إلى ستة أشهر القادمة، وبعدها عليه أن يدبر أمره ويكتفي ذاتياً في الجانب المالي، ومائة ألف كانت تعادل حوالي (500 دولار) فقط. ونفذ المشروع، ولكن بعد عدة أشهر عاد الأخ الناشط لصعوبة الظروف وعدم مقدرته على المقاومة والتحمل.

والحقيقة: إن قرار الهجرة الاستراتيجي استبطن كثيراً من الملابس والتشابكات والتعقيد وقتها، إلا أنه بالمآل النهائي كان في صالح هذه المرجعية الرشيدة.

التدريس العام

وأيضاً مما يسلط الضوء على سيرته العملية في الحوزة، إنه (رحمه الله) وفي إحدى

المراحل من التدريس، ركز الإمام الراحل (رحمه الله) في التوجيه إلى ضرورة تأسيس حلقات دروس عامة معلن عنها في الأوساط الحوزوية لغرض طرح النخبة التدريسية والتعريف بهم على صعيد أساتذة قم المقدسة.

فتصدى سماحة السيد الرضا (رحمه الله) لتدريس المكاسب (كتاب البيع) والتف حوله حوالي خمسين طالباً من النخبة الناشطة الواعدة من طلاب الحوزة. وتصدى سماحة السيد المرتضى لتدريس (وسائل الشيخ الأنصاري) و (المطول للتفتازاني).

وتصدى سماحة (الشيخ حسين الفدائي) لتدريس شرح اللمعة الدمشقية. وتصديت أنا - المتكلم - لتدريس اللمعة أيضاً الجزء الثالث، وكان مقر هذه الحلقات كلها في مسجد الإمام الرضا (عليه السلام) وقد صدر لكل درس بيان خاص وعمم على مدارس الحوزة العلمية.

و حين قصفت مدينة قم المقدسة واستهدفت بتركيز واستمرار من قبل قوات طاغية العراق وكان أحد أهم عمليات القصف قد وقع ونحن في وسط الدرس فاضطربت الحوزة كلها وتوقفت الدروس ولم نستطع بعد هدوء الأوضاع من مواصلة المسيرة.

ولقد كان قرار التدريس العام في الحوزة استراتيجياً وذا أبعاد متعددة ودلالات هامة.

(بحث الخارج) العربي

استقر رأي أهل الحل والعقد من إخواننا خاصة شريحة الشباب على ضرورة تأسيس (بحث خارج) باللغة العربية، ذلك لأن بحث الخارج يستقطب بطبيعته النخب العلمية التي قطعت مراحل المقدمات والسطوح، وهذه النخبة

الملتزمة تستوعب عملية الفكر الموثق والمبرهن عليه. وقد استقر الجميع على هذا الرأي بعد مداوولات مستفيضة، فالتقيت بسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ونقلت له ما اتفقنا عليه من رأي وأخبرته بأنه قد تم طرح اسم السيد الرضا للتصدي لهذا البحث، ولم نستطع اقناعه بتبني هذا المقترح لأنه مزحوم بكثرة المشاغل ونرجو اقناعه، فقال سماحته فوراً موجهاً إليّ الخطاب: تصد أنت لهذا البحث، إلا أنني فوجئت بتوجيه سماحته (رحمه الله) هذا، ذلك لأنني لم أكمل تدريس السطوح فكيف أتصدى لبحث الخارج، وقلت له: إن ذلك سيستدعي الانسلاخ عن كل المسؤوليات والمشاغل التي التزم بها حالياً فسكت (رحمه الله) .

وبعد أيام وعلى أثر الطلبات الملحة تمكن بعض كبار الأساتذة من التصدي لذلك وتأسيس بحث خارج عربي في أوساطنا الخاصة.

البرامج النسوية

تمتعت النساء بدور كبير في مشاريع الإمام الراحل (رحمه الله) فكانت لهن حوزة علمية خاصة مقرها (مدرسة السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)) ومقرها قريب من (مدرسة جابر بن حيان) وهي الآن مقر مركزي لمؤسسة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) . ولهن أيضاً برامج حسينية تقام في حسينية (دار الحسين (عليه السلام)) وأنشطة مختلفة أخرى.

وقد اقترحت على سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) تنظيم برنامج لإلقاء محاضرة تربوية بين فترة وأخرى وبعد التداول في الموضوع قبل سماحته (رحمه الله) . وكان رأينا تنفيذ البرنامج في القاعة الواقعة على يمين الممر المؤدي إلى غرفته (رحمه الله) وهي القاعة الرئيسية التي يستقبل فيها أعضاء المكتب الوفود والضيوف وعموم المراجعين. غير أن البرنامج توسع وانتشرت أخباره في الوسط النسوي كالنار في الهشيم،

لذلك اضطررنا إلى تنفيذه في (المصلى) أي ساحة المنزل التي يدرس فيها سماحته (بحث الخارج) وتقام فيها صلاة الجماعة.

وترك هذا البرنامج تأثيراً إيجابياً ملحوظاً وتفاعلت معه الشرائح النسوية إلا أنه مع مرور الزمن لم يوفق له الاستمرار للضغوط المختلفة التي واجهها من المتطرفين.

الانتخابات الحوزوية

تجربة الانتخابات النزيهة هي الوسيلة الفاعلة لصعود الكفاءات إلى المناصب الإدارية، وكان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يعتقد أنها هي الطريقة الفضلى حصراً لصعود من يستحق وهبوط عديمي الكفاءة والمقدرة. وحين تم تجديد بناء (مدرسة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)) من طابقين إضافة إلى القبو والمكتبة والمطبخ، دخلت إدارة طلاب السيد الراحل (رحمه الله) الخواص مرحلة جديدة وبقي منصب الإدارة شاغراً، أو يسد هذا الفراغ بنفس الإدارة السابقة التي كانت في المدرسة السابقة، فاقترح (رحمه الله) إجراء انتخابات، وكان الاقتراح حيويًا وعمليًا، إلا أن المشكلة كانت تكمن في قلة الكفاءات الإدارية وعدم تصدي الموجود منها لهذا المنصب، لأنها لا تعد بأي امتياز مع تحميل الشخص المتصدي ركاماً من المشاكل الإدارية والتوترات.

كنا نعقد اجتماعات خاصة ونبذل جهوداً مضيئة للتخطيط وفي ساعة العمل يظهر الضعف أو التعثر في بعض جزئيات العمل المخطط له، أو كان انعدام الكفاءات الإدارية هو السبب الرئيسي في مثل تلك المواقف.

كان المطلوب وفق الخطة الانتخابية أن ينتخب ثلاثة مدراء ويشكلون مجلس إدارة ويديرون مجتمعين إعباء المسؤولية، فكنا نخطط لاستبعاد بعض ذوي

الكفاءة النسبية رغم فتح المجال أمامه ليرشح نفسه، ثم نخطط عبر الاتصالات المكثفة وممارسة وسائل الاقناع لانتخاب مرشحين إذ كنا نخشى أن يصعد من يخالف مدرستنا وتوجهاتنا فيكون علينا العزم والمصاريف والإتعا ب وله الغنم.

خضنا تلك التجربة البكر وكانت صعبة، إلا أنها ضمنت الحرية حتى لخصومنا ولحملة الفكر المتطرف، وانتشرت أخبار هذه الانتخابات الحوزوية وحرية المعارضة وتصاعد حرارة التنافس، غير إننا وبعد صعود المدراء الجدد كنا نعاني من عدم الانسجام فيما بينهم ومن الانسحاب العملي من بعضهم أحياناً ومن مشكلات أخرى، إلا أنها كانت تجربة رائدة طبقنا فيها واحدة من أفكار مدرستنا الحضارية وهي: الانتخابات وحرية المعارضة واحترام الرأي الآخر والإدارة الجماعية.

المجالس الأسبوعية

كان من البنود الأساسية في منهج الإمام الراحل (رحمه الله) تشجيع المجالس الأسبوعية لمختلف الشرائح وللجنسين، وكانت هذه المجالس ذات فوائد اجتماعية وثقافية وترشد إلى وتقوي من المعنويات في النفوس وتطلق طاقات الشباب نحو القيم والدين.

أذكر من هذه الهيئات الشبابية (هيئة مسلم بن عقيل (عليه السلام)) والتي كان يديرها فضيلة الشيخ علاء سلطان(1) وهي هيئة ناشطة وكان لها تأثير كبير في تربية مجموعة من الشباب المؤمن.

وكانت هذه المجالس الأسبوعية منتشرة في مناطق مختلفة من قم المقدسة وكذا في بعض المحافظات أيضاً، وهذه الاستراتيجية قديمة في منهج سماحته (رحمه الله)

ص: 297

1- من كوادر الجيل الجديد في مكتب الإمام الراحل (رحمه الله)، وناشط مرجعي في أوساط الشباب.

حيث عمل بها في العراق قبل الهجرة إلى الكويت عام 1970 م وتأسست حوالي مائتي هيئة شبابية ومجلس أسبوعي، كما أن المنهج عمل به في الكويت أيضاً حيث تأسست كثير من المجالس الأسبوعية وإلى الآن توجد بعض تلك المجالس واستمرت في نشاطها وانعقادها منذ ذلك الزمان إلى هذا اليوم.

اقترح الهجرة على الشهيد الصدر الاول (رحمه الله)

في إحدى المرات اقترح الإمام الراحل (رحمه الله) على شخصية يعرفها ويحترمها الجميع، أن يقوم بإيصال رسالة شخصية إلى الشهيد الصدر الأول (رحمه الله) مفادها: (إن البعثيين لا يتحملون وجود أمثالكم ويتآمرون على حياتكم وإنني اقترح عليكم الهجرة إلى إيران)، وكان يقصد (رحمه الله) من وراء ذلك أنه مع هجرة الشهيد الصدر الأول (رحمه الله) يمكن التعاون والعمل المشترك في سبيل اسقاط الكابوس الجاثم على صدر العراق وهو نظام البعث العراقي، لكن الأمور لم تجر على ما يرام وانتهت باستشهاد الصدر الأول (رحمه الله) وعلى سماحته (رحمه الله) كذلك بصورة أخرى.

المواكب الحسينية في منزل سماحته (رحمه الله)

درجت العادة القديمة في العراق على زيارة منازل العلماء في محرم وصفر حيث إحياء ذكرى الإمام الشهيد (عليه السلام). وفي العراق كانت المواكب الحسينية تزور منازل الفقهاء المرحومين: السيد حسين قمي⁽¹⁾، والسيد ميرزا مهدي الشيرازي، والسيد الراحل (رحمه الله)، والعادة جارية هذه إلى يومنا هذا ولكن بنسبة أقل، حيث

ص: 298

1- مرجع شيعي اثني عشري، ولد في قم المقدسة وأكمل دراسته الأولية فيها، ثم هاجر إلى العراق درس في النجف الأشرف وسامراء المشرفة. لبي نداء ربه بتاريخ 14/ربيع الأول/1366 هـ، ودفن في صحن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

إن كثيراً من هذه المواكب قد ابتعدت عن مثل هذه العادات التي تربطها بالمرجعية الدينية.

في اليوم التاسع والعاشر وأحياناً الحادي عشر من شهر محرم الحرام، كانت تتوجه بعض المواكب إلى منزل سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) وفي يوم أو ليلة الأربعاء كان موكب النجفيين في (دولة آباد - طهران) بقيادة خادم الحسين (عليه السلام) الوجيه (الحاج فاضل شفيع) يتوجه إلى منزل سماحته (رحمه الله)، ليعزبه بذكرى أربعين الحسين (عليه السلام)، أما في الثامن والعشرين من شهر صفر حيث استشهد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت هيئات حوالي خمسين حسينية في إيران تتوجه إلى قم المقدسة وتزور سماحته (رحمه الله) ويلقي عليهم كلمة ترويحية تتفد إلى القلوب والعقول وتزودهم بالدفع والشحن المعنوي لمدة طويلة. وهذه المواكب كانت تلقى كل الترحيب والتقدير والشكر وتسلم على الإمام الراحل (رحمه الله) ويوزع عليها الكتب الثقافية النافعة وتخرج بهدوء على العكس من حالة الوفود الأخرى لبعض الجهات المسيسة حيث ترافقها الهتافات الحسينية ودقات الطبول والهيجان العاطفي المتصاعد.

إطفاء الغضب

في أحد أيام التحصيل الدراسي وبعد انتهاء بحث الإمام الراحل (رحمه الله) جاء إلى غرفته وجلس يستقبل البعض بصورة خاصة، فطلبني وعرفني على رجل لم أعرفه من ذي قبل، وقال: اجلس معه وقم بتهديته، فأخذته إلى الغرفة الكبيرة التي يستقبل فيها المكتب عموم المراجعين وجلست جانبه وصرت أرحب به واستمع إلى ما يقوله، فرأيت ممتعضاً من الوضع العام، ومن ممارسات العاملين على الساحة العراقية المعارضة، ورأيت متشجاً ضد بعض قادة تلك المعارضة - لا

أحبذ ذكرهم - وبلغت به المعاناة حداً أنه قرر اغتيال شخصية معينة، فعرفت وقتها لم أوصاني السيد (رحمه الله) بتهدئته، فتكلمت معه طويلاً حوالي الساعتين، فانشى عن عزمه وذهب إلى سبيله وعاد إلى طهران وكان هذا الرجل كنيته (أبو أحمد).

لقاء عائلي

في زيارتي الأولى إلى إيران بعد أن مضت على هجرتي منها أكثر من عشر سنين التقيت سماحة السيد (رحمه الله)، جرى مع الإمام الراحل (رحمه الله) أكثر من حديث في مختلف القضايا والأمور.

وفي إحدى اللقاءات كان الاتفاق أن اجلب عائلتي معي لزيارته فجلبتهم، مضافاً إلى والدتي وحفيدها لها وعائلة الأخ الفاضل الشيخ عبد الحسن الأسدي، وكان لقاءً غمرته العواطف الجياشة بعد غربة ومعاناة وهجرات مضمينة وفراق عقد من الزمان، وبعد تبادل الأخبار عما جرى وحدث في تلك السنوات التي مضت، سألته زوجتي ما توصياتكم لطالباتكم في الحوزة الزينية؟ أجاب سماحته (رحمه الله) بشيء من الاسهاب:

1. الاهتمام البالغ بالتحصيل العلمي.
 2. المبادرة إلى الزواج وتشكيل الأسرة.
 3. تعلم الخطابة للانطلاق إلى أوساط المجتمع وتحمل المسؤولية الاصلاحية.
 4. ممارسة الكتابة والنشر لنفس الغرض.
 5. تعلم مهنة معينة كالخياطة والحيافة كي تضمن المرأة نفسها اقتصادياً وتساعدوا في المعيشة.
- وكانت لتوصياته (رحمه الله) أثر إيجابي جيد.

كان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) يتمتع بروح رياضية عالية، فيتعاطف مع مختلف الأشخاص ويستوعب مختلف أنواع الحديث والملاحظات والمقترحات ويستجيب إلى الطرف الآخر ويفتح حواراً معه ويوجهه كأنناً من كان إلى ما فيه تقدم مشروعه ويشجع الجميع لتأسيس حسينية أو مركز، وكان في نفس الوقت أريحيماً يمزح مع الآخرين بلباقة ويتبادل الضحك معهم، ولم يكن بأي حال من الأحوال، جافاً أو متشنجاً أو مقطباً لوجهه أو يغضب لأمر سطحي، فكان (رحمه الله) مالكاً للقلوب بدمائة أخلاقه ولين عريكته وروحه الرياضية العالية.

المعارضون المحافظون

منذ أن تصدى سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) لسُدّة المرجعية الدينية بعد رحيل والده المعظم السيد ميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) عام 1963 م، برزت تساؤلات في الساحة المرجعية والشعبية الشيعية يدور أكثرها حول: هل إنه بلغ مرحلة اجتهاد تمكنه شرعياً من هذه المسؤولية؟ وهل إنه كفوء لتحمل إعبائها؟ وظهرت أيضاً عدة تشكيكات هنا وهناك لم تكن تستند إلى أسس رصينة، ومن جهة أخرى ظهرت في أوساط معينة حساسية خاصة استندت على خلفيات عنصرية حيث إن الإمام الراحل (رحمه الله) كان من هذه المدينة دون تلك ومن العراق لا من إيران، هذا وكان الخصم المشترك لجميع هذه القوى الشيعية، كالبعثيين نموذجاً ينعشهم هذا الخلاف ويدفعون باتجاه تصعيده لهدم قواعد الصف الديني الشيعي وكسر شوكته.

تفاعلت تلك الحساسيات وانتفخت مع الزمن، ومما ساعد على نمو تلك

الملاحظات والتشكيكات عمره (رحمه الله) وكان وقتها (33 سنة) آنذاك مما يتعارض مع بروتوكولات المرجعية التقليدية المحافظة، تلك التي ترى أن المرجعية حكراً على كبار السن، لاعتقاد البعض أن العلم ينمو مع ارتفاع سني العمر، ويكون الشيخ الهرم اعلم من غيره طبيعياً، وهذا الاعتقاد وفق المعايير العلمية لا يقوم إلا على أساس هش، لو كان له أساس أصلاً.

في ماذا تجلت صور المعارضة اليمينية لو اخترنا لها تلك التسمية لسماحته؟ الجواب: بمختلف أساليب الانتفاض الهائج، والتعبير المسيء والتشهير، والمقاطعة والتشويه والإشاعات وحين تصاعدت درجة حرارتها ووصلت إلى القمة، ثم التغير بجهات محافظة لتشهر سلاح الفتوى الشرعية والباس المعارضة هذه عباءة الدين!

في الوقت الذي لم يصدر من سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ما يشم منه رائحة العصيان وتجاوز أحكام الشرع الشريف، بل إن الاحتياط الشرعي هو الأساس لتصرفاته وقراراته ومؤسساته وأفكاره، فأى تجاوز صدر منه ليشهر في وجهه سلاح الفتوى؟!

حاولت جبهة المحافظين التشكيك في شخصيته العلمية، وهذا التشكيك تجلى في محاولة لإبرازه (رحمه الله) غير مجتهد، واستصدرت فتاوى مفادها أن اجتهاده لم يثبت لدى من صدّرها، وعدم الثبوت لا يدل علمياً على عدم الوجود، بل يبقى محصوراً في أن الأمر لم يثبت، لا بمعنى ثبوت عدم وهذا ما لا يميزه من لا يعرف اللغة والمصطلحات الحوزوية، فاستثارت جهات يشك في إخلاصها عواطف صغار الحوزويين، وبعدهم مشاعر وأحاسيس شرائح واسعة من المجتمع مما أدى إلى إثارة الغبار في الأجواء.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل اتسع إلى إثارة البغضاء والاحقاد والمقاطعات الخطيرة في أوساط الشرائح الملتزمة، وتأجيج العواطف العنصرية الإقليمية، فأدى الأمر إلى شرخ كبير في الوسط الديني الذي يأمل فيه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتحول جبهة متحدة حبله حيث قال: «المسلمون كالجسد الواحد».

كان هؤلاء المعترضون يرون أن بروتوكولات المرجعية التي درجت عليها الحوزات العلمية مقدسة، ولا يجوز لأحد التجاوز عليها أو الغض عنها وترك الالتزام بها، وقد رسخت هذه البروتوكولات في النفوس والعقول إلى درجة عالية وتقدمت عندهم حتى على أولويات الأحكام الشرعية.

ومن هذه البروتوكولات: العمر المتصاعد، والحوزة المعينة، حيث إن المتخرج من غيرها لا يعترف به، وأساليب العمل، حيث إن الأنشطة الشبابية والحركية والتنظيمية وكذا الأنشطة السياسية والمواقف منها لا تتناغم مع طرائق العمل عند الخط المحافظ.

وهذه الأمور كلها التي اعترضوا عليها في ذلك الوقت كانت مجتمعة في شخصية وحركة الإمام الراحل (رحمه الله) فكان يمثل مرجعية (غير مألوفة) في أنشطتها وتحركاتها، والتي سلطنا الضوء على بعض ملامحها سابقاً.

ومن بروتوكولات الخط المحافظ أيضاً: اعتماد التعقيد في التأليف أو التدريس واستعمال مصطلحات حوزوية خاصة، وكان سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) لا يرتضي ذلك، ويؤكد على ضرورة إيصال الفكر بطريقة سلسة ومفهومة إلى الطرف الآخر، كما أن الخط المحافظ يرفض في مسلكه التقليدي إصدار كراسات لغرض التثقيف العام أو الخاص بل الأصل عنده إصدار

المجلدات الكبيرة والمعتمدة على أسلوب خاص، لذلك كان يشكل على إصدار السيد الراحل (رحمه الله) الكراسات التوعوية والميسرة لجيل الشباب وعموم القاعدة الشعبية. مع أن سماحته (رحمه الله) أصدر موسوعات علمية متعددة في شروح كتب (السطوح العليا) في الحوزة لغرض تيسير أفكارها وتوضيح قواعدها ومصطلحاتها لطلابها الحوزويين، ومن هذه الموسوعات (إيصال الطالب إلى المكاسب) و(الوصول إلى كفاية الأصول) و(الوسائل إلى الرسائل).

ثم إنه (رحمه الله) قد ألف العديد من الكتب التي اعتمدت الأسلوب الحوزوي المعقد منها (كتاب البيع) في أجزاء، وكتاب (الأصول: مباحث الألفاظ والمباحث العقلية) في عدة أجزاء أيضاً.

ذات مرة وفي مناسبة استثنائية في أيام إحياء الأيام الفاطمية شارك أحدهم في مجلس أقيم في (مسجد الإمام الحسين (عليه السلام)) في شارع (عمار بن ياسر) في قم المقدسة، فصار يتقل بطرفه إلى البناء المحكم والفخم وهو يبدي إعجابه ويهز رأسه ويقول: (إن شاء الله لا تكون الأموال المبذولة لهذا المسجد من الحقوق الشرعية!) وهذا معناه: إن تلك الأموال لا يجوز صرفها على هكذا مشروع. والواقع أن الفقيه الجامع للشرائط له أن يتصرف في سهم الإمام (عليه السلام) حسب مصالح المسلمين، ثم معناه أيضاً التهاون في صرف الحقوق الشرعية مع أن المسجد من أفضل المجالات الشرعية الكثيرة العوائد في صرف الحقوق الشرعية، ومثل هذا المسجد يتحول إلى مركز ثقافي وحوزوي علمي مضافاً أنه مركز عبادي واجتماعي، ولقد انبرى أحد إخواننا وقال للشيخ الذي هز رأسه محتجاً على تأسيس المسجد من الحقوق الشرعية قائلاً له: (بني هذا المسجد من تبرع أحد الخيرين المؤمنين واسمه مكتوب في أعلى الباب الخارجي الكبير للمسجد).

مثل هذا الموقف تكرر كثيراً فاصطنع جواً من التشكيك بتصرفات ومواقف ومؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله) ، ومما أود ذكره هنا حول المسجد أنه تأسس بمبادرة من فضيلة الحجة الشيخ علي حيدر المؤيد (حفظه الله) وليس مشروعاً خاصاً ومباشراً لسماحة الإمام الراحل (رحمه الله) ليرد أي إشكالات عليه.

وبالنسبة للإشكالات على اجتهاد سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) :

إن (موسوعة الفقه) هي الجواب الموثق والحي على جميع الإشكالات والطعون التي يجاب بها، وحين ذكر هذا الإشكال عند سماحة الشيخ اصف محسنى (1) المجتهد الناشط في الساحة الأفغانية والمعروف بفضلته وخبرته وجهاده علق بقوله: (إن من يطالع موسوعة الفقه ويستوعب موادها يرقى إلى درجة الاجتهاد، فكيف بالذي يؤلفها).

ثم هناك العشرات من الفقهاء الذين لم يؤكدوا فقط اجتهاده (رحمه الله) بل صرح بعضهم بأعلميته في الساحة المرجعية ووثانقتها تلك التصريحات موجودة ومطبوعة في وقتها.

وأما أنشطة مرجعية سماحته (رحمه الله) التي أشكل عليها تكتيكياً، فحقيقة الأمر أنه كان يشعر بالمسؤولية الكبرى التي تصدى لحمل إعبانها، وإن الإسلام يواجه حضارات عالمية عملاقة في الشرق والغرب تتحدى وتغزو النفوس والعقول، فالواجب تعبئة كل الطاقات وبمختلف الوسائل للدفاع عن القيم المستباحة وحريم الإسلام الذي ينتهك بأفتك الأسلحة كل يوم.

لذلك فإنه حاول استنفار الطاقات واستفراغ الوسع وخوض لجة الصراع الحضاري مع تيارات الشرق والغرب، فاستخدم كل وسيلة رآها فاعلة ومؤثرة.

ص: 305

1- من العلماء الكبار وتصدى للمرجعية الدينية، ولديه جمهور.

إذن كل ما بادر إليه من أنشطة ومشاريع ومواقف إنما كانت تلبية لنداء الواجب الشرعي والاجتماعي، واعتمد في ذلك كله أساليب السلم والتعقل والإنسانية، ولم تصدر في خلال الخمسين عاماً من الجهاد، أية إساءة لأحد، وأية كلمة جارحة، ولم ينجر إلى أي صراع إلا ضد من كان يعتبرهم خصوم الإسلام والأمة. بل كان يتحمل المعاكسات والتحركات المضادة ويقابلها بالتي هي أحسن مطبقاً حكمة نبي الله عيسى (عليه السلام) : (كونوا كالشجرة ترمى بالحجارة فترمي بالثمرة).

والجدير بالذكر هنا أنه (رحمه الله) كان مولعاً بالحكم العيسوية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) فكان يكررها ويذكرها في المحاضرات ويربي الآخرين على ضوءها ويرغبهم إلى مطالعتها في كتاب (بحار الأنوار).

أحدهم والذي كان من رموز المعارضة والتشيط كانت مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) تتواصل في العلاقة الودية معه، وكان سماحة آية الله العظمى السيد صادق (دام ظله) يزوره بين فترة وأخرى نيابة عن أخيه ويحمل إليه تحياته، ولعل الزيارات التي قامت بها الشخصيات المنتمية للمرجعية الشيرازية بلغت ثلاثين زيارة مباشرة لشخصه الكريم أو حضوراً للمجالس التي يقيمها في المناسبات. واقترح بعض أهل الخبرة إرسال هدية رمزية طبقاً للعادة الجارية في الحوزات فاستحسن (رحمه الله) الاقتراح وبعد جولة من المشاورات تقرر إرسال عباءة لائقة إليه، وفعلاً نفذ الاقتراح فرفض الهدية! وردها دون بيان أي سبب لهذا الموقف.

ومن المعروف في العرف الحوزوي، إن كل زيارة تتبع من المزور برد الزيارة، إلا أن الشيخ (رحمه الله) لم يرد على الزيارات الثلاثين ولا لمرة واحدة!

وكان الإمام الراحل (رحمه الله) يتعامل مع الخط المحافظ المعارض اسماً يتعامل

ويقوم تجاهه بأية خدمة مطلوبة وممكنة ولم يرد على أحد بالمثل مطلقاً، ومع ذلك كان يستهدف ويطوق بسياج من الممانعة والمقاطعة والانتهاك! فعاش (رحمه الله) مختلف مراحل حياته ضحية الراي والمبادئ!

الممانعة والحرب الباردة

كان السيد الراحل (رحمه الله) صلباً في المواقف والأحكام الشرعية ولا يتنازل عن شيء يراه حقاً ولا يراهن على أمر يراه باطلاً، اتخذ موقف المستشكل تجاه كثير من المواقف والقرارات التي كان يتخذها وينفذها متطرفون في ايران.

من الأمور التي أشكل عليها: موجات الإعدام، واستخدام العنف، والمحاکمات السطحية التي كانت لا تستغرق سوى (20) دقيقة.

ذات مرة وفي قم المقدسة دخل رجل يلقب بـ (الاثني عشري) على الشيخ صادق الخلخالي (رئيس المحاكم الثورية) سلم عليه وجلس عنده، ثم قال له: أتذكر زيارتك لمدينة (باوة) في غرب البلاد؟

أجاب الشيخ: نعم! قال: وشكلت محكمة في الصحراء حيث كنت في زيارة لمعسكر خارج المدينة؟

قال: نعم، وماذا بعد؟ قال: ثم أصدرت حكماً بالإعدام على ثمانية عشر رجلاً حيث المحاكمة كانت حوالي (20) دقيقة فقط؟ قال: نعم أتذكر!

قال له: كيف ثبت لديك صحة عقوبة الإعدام بهذه السرعة الفائقة ودون تحقيق وتدقيق؟

أجاب الشيخ: إن كان المحكومون مستحقون للإعدام، فقد نالوا جزاءهم، وإن لم يكونوا مستحقين فمصيرهم إلى الجنة!

فرد الإثني عشري عليه، وكشف له خطأ الحكم، ثم قال له: أنا أحد

الثمانية عشر المحكومين بالإعدام ولكني تمكنت من الإفلات واللجوء إلى قم المقدسة.

فقال الشيخ: إذهب واشكر ربك!!

مثل هذه المحاكمات والأحكام كان يرفضها سيدنا الراحل (رحمه الله) جملة وتفصيلاً.

وكان أيضاً ضد الضرائب التي ارهقت كاهل الشعب ويعتبرها محرمة شرعاً.

وقد التقيت بشاب كان يعمل في منجرة له ليعيش ويسد رمق أهله وأطفاله، ومنجرته لو عرضها للبيع لا يشتريها أحد بأكثر من مليون تومان إيراني - حسب قوله هو - هذا الشاب طالبته وزارة المالية بأربعة ملايين تومان كضرائب على محله لمدة سنين عديدة! فما كان منه إلا أن أغلق المنجرة وترك العمل وظل سائماً يبحث عن قوته وقوت عياله.

هذه الحادثة غيظ من فيض وقد كثرت أمثالها بصورة مفرطة، فكان السيد الراحل (رحمه الله) معارضاً لهذه الضرائب المجحفة.

وكان السيد الراحل (رحمه الله) ضد واقع الحرب، لأنه كان على قناعة تامة معتمداً على وثائق سياسية وعلمية، إن الحرب ليست إلا محرقة لشباب البلدين ولا يحترق فيها إلا شباب مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من كلا الطرفين والوسيلة النافذة في إسقاط دكتاتورية العراق هي العمل لإشعال فتيل الثورة الشعبية داخل مدن العراق والعصيان المدني على النظام، أما الحرب فليست إلا دماراً وهي أسوأ شيء عرفه الإنسان في التاريخ، وكان السيد الراحل (رحمه الله) تجاوز مرجعيات الأمة ويرى ضرورة تشكيل مجلس قيادي لشورى الفقهاء وبدون أن تؤول الأمور إلى الاستبداد، فكان (رحمه الله) يتبنى أفكاراً من هذا القبيل (ذكرنا بعضها آنفاً)، فكان

يتورط مع جهات متطرفة، تعمل بجد لمكافحة مشاريعه وحركته.

الإعلام المضاد

بين الحين والآخر كان بيان ينتشر في أوساط الحوزة والمجتمع في قم المقدسة، موقع بأسماء مستعارة لينتقص شخصية سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ويطعن في اجتهاده ومؤسساته ومبادئه بطريقة أو بأخرى.

ذات مرة نشر بيان في أيام أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) حيث ورود آلاف الزائرين المعزين إلى قم المقدسة، كان عنوانه: (السيد محمد الشيرازي أكبر عقبة في طريق الثورة الإسلامية في العراق).

أليس هذا مضحكاً؟ وفي نفس الوقت أليس هذا الموقف ضد مرجعية قيادية مجاهدة مبكياً ومأساوياً؟

وكان مع البيان ملحقات وثائقية على شكل فتاوى تطعن في مستواه العلمي وفقاهته، في محاولة لتثييط الجمهور عن تقليد سماحته أو إرجاع مقلديه عنه!

واقترح على سماحة السيد الراحل (رحمه الله) الرد الإيجابي فرفض قائلاً: (بمقدار ما نصرف من الوقت للرد تتأخر عن السير نحو الأهداف السامية وكل يوم يصدر شيء ضدنا فهل نتفرغ للردود؟).

* مرة أخرى وبعد العودة من رحلة مشهد المقدسة بفترة قليلة، أصدر متطرفون في القسم السياسي التابع لجماعة من المدرسين بحثاً من حوالي ثلاثين صفحة ضد شخصية وتاريخ وكتب ومؤسسات ورجال المرجعية الشيرازية وضد شخص سماحته بالذات. كان البحث سرياً وخاصة لأئمة جمعة إيران، إلا أن بعضهم من الموالين والمتعاونين مع مرجعية سماحته (رحمه الله) قد سربوا نسخة من البحث، واطلع خواص الجهاز على محتواه وقد حصلت أنا على نسخة أصلية

منه، طالعه بامعان ووضعت عليه (48) إشارة.

ثم كتبت الملاحظات حول النقاط المشار إليها وكانت بعضها تحليلات سلبية وغير واقعية مثل قولهم: إن السيد الشيرازي فعل كذا في كربلاء عام 1963م لأنه كان معزولاً ومرفوضاً في أوساط الجماهير وطرح نفسه، فقام بالاستقبال! وهذا مما يضحك الثكلى ويشير قهقهتها ذلك لأن الجماهير عموماً - إلا من خرج بالدليل - كانوا موالين لسماحته (رحمه الله) وإنما وقف ذلك الموقف لقناعته الشرعية والاجتماعية ولمعارضته الدكتاتورية، ومنها ما هو كذب محض وبهتان ضد سماحته (رحمه الله) .

ومنها ما هو سهو واشتباه مما يؤكد عدم الدقة في ذلك البحث مثل قولهم: إن الحادث الذي أودى بحياة سماحة السيد علي الفالي (رحمه الله) إنه حدث بالنسبة لأخيه السيد حسين!

فكان البحث تشويشاً وتحريفاً لحقائق تاريخية وإثارة لتشكيكات مغرضة. وكان موقف مكتب سماحة السيد (رحمه الله) أن التقى بالعديد من شخصيات وأساتذة الحوزة وعرفهم بحقيقة ما كتب في ذلك البحث وإن الأمر سابقة خطيرة قد تؤدي إلى سلسلة تسقيطات مغرضة لشخصيات اجتماعية ودينية كبيرة، وجرت سلسلة اعتراضات من العلماء على هذا البحث.

* وصدرت قرارات ظرفية ضد كل ما يمت إلى المرجعية بصلة، فلا ترسيم للمؤسسات ولا إجازة للمكتب ولا تمشية للمعاملات الإدارية ولا تجنيس لمن يستحق ولا إضافة ولا إجازة عمل ولا أي نوع من التعاون الطبيعي فضلاً عن عدم الاسناد والدعم.

وصدرت قرارات وتعليمات المنع من زيارة مكتبه ومنزله فلو تبين مثلاً أن

بعض الطلاب الرسميين في الحوزة يزور أو يتردد على مكتب سماحة السيد تصدر إليه التنبيهات ويمنع بشدة ويقع تحت الرصد.

ومع مرور الزمن منعت الإجازات للكتب والرسالة العملية واحرقت بعضها مثل كتاب (حكومة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام)) والذي طبعته مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) في طهران وبقيت أغلفة الكتاب وتعدادها عشرة آلاف في الوقت الذي أحرق فيه الكتاب نفسه!

وحين تعامل المتطرفون هكذا كان رد الفعل الطبيعي هو طبع الكتب دون ترخيص! كما منعت دور النشر من عرض كتب سماحة السيد (رحمه الله) في معارض الكتاب الدولية في طهران.

* اقضاء العاملين مع مكتب سماحة السيد (رحمه الله) عن مختلف المجالات ولم يشرك منهم أحد في المؤتمرات المختلفة ومن حيث يعقد مؤتمر (شهداء العراق) لا يذكر الشهداء المنتمون إلى مدرسته وعلى رأسهم الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) ، فواجه المؤتمر اعتراضات شديدة فطبع اسم الشهيد (رحمه الله) في قائمة شهداء ذكرت اسمائهم في التقرير الذي صدر عن المؤتمر فيما بعد!

* صودرت الأموال التي تبرع بها الخيرون لتأسيس مجمع سكني للعراقيين المهجرين في قم المقدسة كما صودرت مائة وستون شاحنة محملة بألاف الأطنان من الحديد لبناء تلك المنطقة.

* منعت مهرجانات وبرامج الزفاف الجماعي.

* منعت برامج (الختان المجاني) لأبناء الفقراء .

* اغلق مستوصف سيد الشهداء (عليه السلام) بعد ما مورست ضغوط شديدة ضده.

* صودر مستوصف (سيد الشهداء (عليه السلام)) في طهران وسلم بأيدي وجهات منفصلة عن مرجعية سماحته (رحمه الله) .

* كما صودرت الحسينية الكربلائية المركزية في طهران وسلمت قهراً لجهات لا تمت إلى المؤسسين والمرجعيين بصلة.

* شنت حملات اعتقال ضد الكوادر العاملة وزج بها في السجون ومورس بحقها أنواع التعذيب.

* واستهدف منزل سماحته (رحمه الله) في يوم (28/صفر) حيث ذكرى استشهاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان سماحته يلقي خطابه السنوي على الوفود والموكب فاندلعت توترات شديدة وقطع عليه خطابه واستهدف بعض رجال الدين لغرض الاعتقال فدافع عنه الناس وكان تجاوزاً وقحاً وانتهاكاً للحرمة وسحقاً لأبسط حقوق الإنسان الاولية.

الظلم تحت عباءة القانون!

إذا كان القانون وسيلة خدمة الإنسانية فإنه يتحول إلى عدو فتاك ينخر في الجذور الإنسانية هذا حين يشرع من حاكم جائر أو مشرع جاهل وأيضاً حين يعطى بيد مستهتر ويطلب منه التنفيذ!

منذ وطأنا أرض كرمشاه عاندين إليها من قم المقدسة كان شغلنا الشاغل والكابوس النفسي البغيض هو (التمديد القانوني لبقائنا) ذلك لأن كل يوم من الإقامة بعد إنتهاء مدتها يُعرم المقيم حوالي (30) دولاراً، هذا غير الهجوم الكلامي والاهانات والمحاسبة وتضخيم (الجريمة!) والروتين المتعب والمقزز وصدور قرار الطرد في نفس اليوم أو صبيحة غد وغير ذلك من المضاعفات والانعكاست والآثار السلبية.

ص: 312

واصل المتطرفون حركتهم المحمومة وتحت شعارات مختلفة دينية أحادية وجارية مع الهوى والمصالح لاكتساح الحركات المرجعية ومن أبرزها الحركة الشيرازية الاصلاحية الثورية، واختلفت أساليبهم في ذلك!

ونقل عن بعض قادتهم قوله: (لا تمسوا شخص السيد محمد الشيرازي بشيء، واعملوا جادين لقصصه اجنحته وتصفيه كوادره ومؤسساته).

* من المؤسسات التي نشطت تحت رعاية السيد (رحمه الله) هي (مركز النشر الإسلامي) والذي عبر عنه ب- (كانون نشر اسلامي) ودوره طبع وتوزيع الكتب المرجعية والثقافية باللغتين الفارسية والعربية، وقد واجه المركز سيلاً من الضغوط وأخيراً أغلق وصودرت كتبه!

ومثله باقي مؤسسات النشر أيضاً كل منها عانت من نفس الضغوط ولكن بأشكال مختلفة وتحت شعارات قانونية مرة وغيرها مرة أخرى!

منها مثلاً: (مطبعة القرآن الحكيم) والتي يديرها الوجيه المجاهد الحاج رضا النائيني (حفظه الله).

* ذات مرة وفي حركة استفزازية وغريبة من نوعها أعلن (الشيخ صادق الخلخالي) وهو المعروف بقسوته وأحكامه القضائية بألاف الإعدامات وهو مخلب الخط المتطرف، أعلن أنه سيلقي خطاباً في حسينية دار الحسين (عليه السلام) والتي تعتبر من قواعد حركة السيد (رحمه الله) ومرتكزه الاجتماعي التي لا تتفق مع خط ومسلك الخلخالي في شيء فكيف يعلن الخلخالي في خطاب عام في الحسينية النجفية بأنه سيخطب غداً في حسينية (دار الحسين) (عليه السلام) دون أي تنسيق ولا إعداد مسبق ولا اتفاق؟

على كل حال كانت الخطوة ملغومة وتوجسنا منها خيفة لاحتمال أن يكون وراء الأكمة شيء، دبر أمره بليل! فاستعد إخوتنا كامل الاستعداد واستقبلوه بكل احترام وحفاوة وحضروا لاستماع خطابه وكل يخفق قلبه وانتهى الأمر بسلام بالرغم من أن الأجواء كانت متوترة ومشوبة بحذر

* وقد سمعت من السيد الراحل (رحمه الله) قوله: إنه بقي مع التيار السائد يواصل مواقفه المؤيدة مدة ستة أشهر فقط، وقال: زارني المرحوم المرجع الديني (المرعشي النجفي) وقرب فاه من أذني وقال: (إنه ابونا جي لا تتخدع بهم). وهذه الكنية اصطلاح يستعمل في العراق والمقصود منه الاستعمار البريطاني!

* وفي عام انتفاضة شعبان (1991 م) في شهر صفر وذكرى وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث تتقاطر الوفود على قم المقدسة، إذ هجمت فرقة مسلحة على المنزل ودخلت فيه متجاوزة حرمة الناس وحرمة المرجع وحرمة العلم والعلماء وحرمة ذكرى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحدثوا اضطراباً شديداً وتوتراً متصاعداً ورأوا فضيلة الشيخ هاشم الشكرجي (1)، القوا القبض عليه إلا أنه قاومهم وصرخ في وجوههم وساعده الجمهور فاستنقذوه من مخالبتهم وفر بجلده من غير الباب الرئيسية وانقطع الخطاب والتهب الناس غضباً وتوتراً، إلا أن مرجعيتهم تمنعهم منعاً باتاً من المواجهة العنيفة لخصوصهم!

* تواصلت حملات الاعتقال وبين فترة وأخرى يشن هجوم كاسح وتدهام المنازل وتعتقل كوكبة من تلامذته وكوادره ولعل الذين اعتقلوا بلغت أعدادهم المئات من الناشطين والعلماء.

وذات مرة القي القبض على السيد المرجع السيد صادق (دام ظله) ومعه

ص: 314

1- من طلبه الإمام الراحل (رحمه الله) وناشط جماهيري.

السيدان الجليلان السيد الرضا (رحمه الله) والسيد حسين نجل السيد المرجع، إلا أن الخصم كان في تلك المرحلة يحذر من انتشار هكذا أخبار ضده في العالم فبادر إلى إطلاق سراهم دون كثير من التأخير! وللقضية قصة وتفصيل.

الصورة



* من الأساليب التي اعتمدها خط التطرف استدعاء الفرد الناشط عبر رسالة كتبية وأخذ توقيعه قسراً للحضور، والرسالة موقعة باسم (ستاد خبر) (1) فعليه الحضور في الموعد المحدد ومع حضوره يستجوب خلال ساعات ويُسال عن كل شيء وشخص وبرنامج وتفصيل يتصل بمرجعية السيد (رحمه الله) ثم يطلب إليه التوقيع على مقاطعة السيد (رحمه الله) وعدم التعاون معه اطلاقاً ومع من يعمل في جهازه، وبعد ذلك حيث سئل عن من يعرفهم من أصحاب السيد (رحمه الله) أن يتصل بهم جميعاً ويخبرهم بأنهم ممنوعون من الذهاب إلى مكتب السيد (رحمه الله) والاتصال به والتعاون معه.

واتسعت هذه الحملة فشملت حتى الموظفين العاملين في مكتبه من سواق وحرس وموظفي المشتريات والفراشين، وموظفي الاتصالات، وغيرهم! إلا أن هؤلاء رفضوا الايضاح فسجلت أسماؤهم في القائمة السوداء لاعتقالهم، فاعتصموا داخل منزل السيد (رحمه الله) ليلاً ونهاراً، ولم يخرجوا منه، فقاطعوا المجتمع والأهل والأقارب!

ص: 315

وقسم قليل من الذين اربعوا وجعجج بهم وهددوا انصاعوا لأوامر الجور، فانقطعوا عن التعاطي مع مكتب السيد (رحمه الله) وكان خط التطرف يصرح للمعتقلين أحياناً بأسماء أفراد ويطلب من المعتقل الاتصال به ونقل كلامهم وقرارهم إليه، ويؤخذ من المعتقل بالشدة في هذا الأمر.

وتؤخذ ارقام هواتف الأفراد من المعتقلين ويتصل بهم تلفونياً ويبلغون بالأوامر أو يطلب منهم الحضور في مقر خط التطرف (ميدان راه آهن ستاد خبر). وكان هذا الخط يتجاوز حدود قم المقدسة، ويعمل في طهران العاصمة أحياناً لملاحقة كوادر السيد (رحمه الله).

وبواسطة هذه السياسة الارهابية، فرض خط التطرف طوقاً اجتماعياً قاسياً حول منزل ومكتب السيد (رحمه الله) وبث في الأجواء سموم شائعاته وأرعب الناس وقال لهم: إن الذهاب إلى منزله (رحمه الله) يتسبب في اعتقال الزائر، لذلك امتنع الكثير عن الزيارة، حتى أنه قد بلغنا أن بعض التجار كان يخشى من أداء حقوقه الشرعية واستلام ورقة الايصال، وقيل، أن مجرد سحب قدر من المال من حسابه البنكي كان يكفي لاستدعائه ومراقبته ومعرفة مصرف المال الذي سحبه؟ لأنهم يعلمون وفق تقاريرهم الخاصة إن هذا التاجر مقلد لسماحته (رحمه الله).

نعم مرت فترة زمنية عجفاء خيم فيها الرعب على النفوس وقبع كابوس ثقيل على الصدور ويات مكتبه (رحمه الله) مقرأً للاعتصام يراقب من يراجعه والهواتف مرصودة رصداً والأفواه مكفمة ولا يعرف أحد أنه ارتكب جرماً!

* قد تصاعدت وتيرة استهداف أجندة السيد الراحل (رحمه الله) فطالت أولاده في مرحلة معينة فاعتقل سماحة السيد مرتضى وسماحة السيد مهدي أنجال سماحته (رحمه الله) ولم يعرف إلى الآن حقيقة الأمر!

واتهم السيد مرتضى (حفظه الله) بأنه علق على تفجير إرهابي وقع في حرم الإمام الرضا (عليه السلام) حيث قال: إن خط التطرف هو الذي دبر أمر التفجير الإرهابي وذلك لأغراض معينة ومدروسة، لا أن أعداء الدين والإمام الرضا (عليه السلام) هم من نفذوه. ومورس بحقه تعذيب وحشي واستعملت النار في تعذيب سماحة السيد مرتضى (حفظه الله) واحرقت رقبته واذنه! وبعد فترة طويلة من الاعتقال والتحقيق والتعذيب وتدخل قيادات علمية وحزوية وسياسية في أمرهما أجاز لهما أن يخرجوا إلى المنزل شريطة أن لا يلتقيا أحداً، ولا يتحدثا بأي أمر جرى عليهما!

الصورة



وكان خروجهما مقابل كفالة بكمية كبيرة من المال، أو سند طابو لمنزل مع ضمان بعض الشخصيات المعتبرة (الشيخ حسين الكرمانى) (1) لكن الأمر لكونه في مرحلة صعبة من التعقيد اضطر السيدان أن يرجعا إلى السجن بعد انتهاء مدة الإجازة وهي (5) أيام فقط ويخططا للهجرة من إيران وهكذا صار، وصودر المنزل الذي سلم سنده إلى الخط المتطرف الجائر!

وأعدوا فيلماً عن السيد مرتضى (حفظه الله) وهو يعترف بأنه كان يخطط لإسقاط النظام! وأنه معاد للثورة! وهذا الاعتراف ليس له من الاعتبار الشرعي

ص: 317

1- من وجهاء الحوزة وعلمائها، ونائب سابق في البرلمان الإيراني، من المعتمدين عند الإمام الراحل (رحمه الله) والمجاهدين.

قيد شعرة، ذلك لأن الجهات الإعلامية تتفنن تزوير الكلام وتجميع الكلمات واللقطات وتركيب جملة مفيدة منها، ثم إن أي اعتراف في السجن وأي قرار بأي أمر لا حجة شرعية له لأنه منتزع من الضحية في اجواء القهر والإكراه والتعذيب، وقد أجمع الفقهاء بأن إقرار السجين لا حجة له، ولا يؤخذ بشيء منه.

وقد عرض المتطرفون الفيلم في مناطق متعددة من قم المقدسة لعموم الناس والأذكياء منهم عرفوا جيداً إنها أمر دبر بليل!

* في اعتقال فضيلة الشيخ المجاهد والذي هو الآن وكيل سماحة السيد المرجع في كوتية - الباكستان، ومناطق من أفغانستان فإنه قد تعرض لأنواع الإهانة والضرب والتعذيب النفسي والجسدي وطالت القضية أربعة أشهر ونصف تقريباً ونقل من قم إلى طهران العاصمة دون أي جرم ارتكبه سوى أنه ناشط مرجعي ومتعاون مع مرجعية الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله).

* صدرت أحكام بالنفي والابعاد من قم المقدسة إلى يزد وهي الولاية التي تبعد عن قم حوالي (600 كم)، من الذين ابعدوا إليها (الشيخ محمد علي معاش) وهو ناشط حيوي، كان يدير جانباً من الأعمال الحوزوية وهو أخ زوجة السيد الرضا (رحمه الله) فكان عليه يوماً أن يراجع دائرة المتطرفين ويوقع ليثبت وجوده هناك، فبقي فيها ممنوعاً من أي عمل ومن أي اتصال، غريباً معوزاً قد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت وحولوا عليه النهار ليلاً والحياة شقاء!

* من الطريف أن السجنانيين كانوا في يوم الجمعة ظهراً يرفعون صوت الإذاعة حيث يلقي خطيب الجمعة في طهران خطابه ويبيث مباشرة وكان خطيب امام الجمعة المؤقت (جنتي)، فكان في الخطبة الثانية يستعرض أخبار البلاد ويعلق عليها، ومما ذكره: إن لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة أصدرت بياناً

استنكرت فيه هتك حقوق الإنسان في ايران حيث إن هناك الكثير من المعتقلين دون أن يرتكبوا جرمًا وإنما ينتمون إلى حركات فكرية معينة.

فقال الخطيب وأصدقائنا السجناء يسمعون، قال مانصه: (ليس في كل ايران سجين واحد سجن لانتمائه الفكري أو المرجعي أو السياسي وكل السجناء في ايران إنما هم مجرمون وقتلة وسراق وجناة!)

فما كان من إخوتنا إلا أن انفجروا بالضحك وظلت القضية لمدة يتدرون بها!

* طالت الأيدي الجائرة مؤسسات سماحته (رحمه الله) وحلفائه واقربائه ومن المؤسسات التي نالت حظاً وافراً من الانتهاك والرعب والمصادرة هي (حوزة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)) في (طهران - قضاء مامزند) والتي تأسست برعاية سماحة السيد المدرسي ابن شقيقة الإمام الراحل (رحمه الله) فاستهدفت الحوزة واهينت إدارتها وطلابها وصودرت محتوياتها ومكتبتها وكمية كبيرة من المؤلفات من تفسير (من هدي القران) لسماحة السيد المدرسي وامتعة الطلاب الشخصية، ثم منعت الاقامات عن طلابها فتلاشت الحوزة وانتهى أمرها وانتشر كوادرها في مختلف بلاد الخليج وافريقيا وظلت الذكريات النكراء عن تلك العملية المشينة!

* مستوصف (سيد الشهداء (عليه السلام)) في قم المقدسة الذي كان يعالج المرضى الفقراء ويقدم لهم الدواء مجاناً وبأجور رمزية تعادل عُشر الأجور الحقيقية منع من الترخيص واضطر إلى إنهاء عمله!

وفي فترة من عمر هذا المستوصف كان فضيلة الدكتور (ابراهيم الجعفري) رئيس وزراء العراق السابق، هو الذي يباشر علاج المراجعين المرضى.

ذات مرة كان فضيلة الوجيه السيد سجاد الفالي(1) جالساً عند الدكتور ابراهيم الجعفري إذ دخل فضيلة الوجيه أبو رسول (حجو) - المسؤول الإداري عن المستوصف - فسلم وقال للدكتور: (لو تمكنت وفق ظروفك أن تمدد دوامك في المستوصف ساعتين يومياً) وتقرر أن يبحثوا الأمر مستقبلاً.

* منع العديد من كوادر سماحته (رحمه الله) من السفر.

* منعوا من التسجيل الرسمي في الحوزة العلمية.

* منعوا من حق الحصول على الجنسية.

* حجزت آلاف النسخ من الكتب، من مدرسة (الإمام الحسين (عليه السلام)) الواقعة في زقاق (الوندية) في قم المقدسة، وتم استنقاذ جزء يسير منها استنقذت بعملية ثورية تحت جنح الظلام في الليل والذي قاد العملية هو الأخ الحجة الشيخ عبد الحسن الاسدي.

* فرضوا أجواءً من المقاطعة والرعب على الشرائح العربية في قم المقدسة من العراقيين والخليجيين والبنانيين والخوزستانيين.

* بين فترة وأخرى بثوا شائعات مسمومة ضد سماحته (رحمه الله) وكلما كان يصدر كتاب كانت الشائعات تنتشر انتشار النار في الهشيم بأن السيد (رحمه الله) كتب ضد الإسلام والثورة!

لأن الكتب كانت تحتوي على بعض الأفكار الإسلامية التي نوهنا إليها سابقاً.

* ضيق الخناق على حركة السيد (رحمه الله) يوماً بعد آخر وكانت لجنة أو جهة معينة في المخابرات من المتطرفين مسؤوليتها رصد حركة السيد (رحمه الله) والتخطيط لتضعيفها وإفشالها بمختلف الوسائل اللامشروعة.

ص: 320

1- من وجهاء الكربلائيين وكادر في مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) .

* وصدرت تعميمات إلى كل مؤسسات الدولة وأئمة الجمعة والجماعة بعدم التعاون مع كوادر سماحته (رحمه الله) بأي وجه من وجوه التعاون وذلك بعد تشويه صوت الحقيقة عند مختلف الجهات الحكومية وغير الحكومية!

* صدرت تهديدات قاسية ضده بممارسة أقصى العقوبات على أولاده السجناء وفي ذات مرة، وصل تهديد بإعدام ثلاثة وهم: السيد مرتضى وابو كمال غفاريان(1)

والحاج هادي الذاكري(2)، لكن سماحة السيد (رحمه الله) لم يعبأ بذلك وقبلها صدر تهديد بقطع يد السيد مرتضى (حفظه الله)، إلا أن السيد (رحمه الله) كان لا يزداد بذلك إلا صلابة وإيماناً بأنه على حق وأنهم على باطل.

ولم يتمكن أحد طوال تلك المدة من الحرب الباردة الشاملة القاسية ضده (رحمه الله) من تركيعه، وتليين مواقفه المبدئية وكلها مواقف شرعية فكرية ليس فيها شيء من العنف مطلقاً.

الحرب على الفساد

كان السيد (رحمه الله) يرى ضرورة النهي عن المنكرات كلما سنحت له فرصة وبالطرق السلمية، فكان ينتقد فكرة (ولاية الفقيه) الواسعة النطاق والتي قال عنها كبار القوم: (إنها في حدود ولاية الله تعالى) وقد نشرت الصحافة في منشياتها هذا التصريح للسيد الخميني، وهو يعتقد أن الفقيه يملك تغيير نظام العبادة، فمثلاً يقول: صلوا الصبح أربع ركعات والظهرين والعشائين ركعتين، وصوموا شعبان بدل رمضان، ويشرع وجوب الحج كل عام لمن يستطيع، والحقوق الشرعية ثلث وليس خمساً، وهكذا ..

ص: 321

1- كادر شعبي مخضرم في المدرسة الشيرازية ومعتمد عند الإمام الراحل (رحمه الله) .

2- من الكوادر الشبابية في مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) .

وهذه أمور ما أنزل الله بها من سلطان وهي ولاية تشريعية واسعة لرب العباد حصراً ليس لغيره ذلك حتى الأنبياء والأئمة (عليه السلام).

كافح السيد (رحمه الله) هذه النظرية بهذه الطريقة الغريبة التي يتحول الفقيه معها إلى الأوحدي الذي يمارس صلاحيات رب العباد!

* وقد زار السيد الراحل (رحمه الله) مكرراً السيد الخميني في قم المقدسة وفي طهران وذلك لغرض وضعه في صورة ما يجري على أيدي متطرفين متحكمين في الأمور، وزاره حين كان في مستشفى القلب في طهران وفي حسينية جماران.

في إحدى المرات قال له: اكسب تيارات الحوزة المختلفة وأرضهم بإعطاء الحرية لهم حيث إن رجال الدين شريحة نوعية في المجتمع وذات تأثير ولو لم يكسبوا فإنهم يؤثرون في هدم كيان نظامكم.

وفي مرة أخرى طرح له فكرته حول كيفية إنقاذ العراق من مخالب الطغمة المتحكمة به، وقال له مؤكداً: لا يمكن بالحرب الحدودية فعل شيء بل لابد من التخطيط لثورة شعبية داخلية.

* ذات مرة ذكر خطيب إيراني يلقب (الولايي) (1) على المنبر قصة من إحدى كتب سماحة السيد (رحمه الله) وذكر المصدر وكان الخطاب في حسينية قريبة من منزل سماحته (رحمه الله) فما كان من المتطرفين إلا أن حاسبوا الخطيب وقرروا منعه من ارتقاء المنبر هناك!

* وكان السيد (رحمه الله) يرى أن هذه الأحكام التي تجري في طول البلاد وعرضها مخالفة لأوليات الشريعة الإسلامية مثل تحديد حرية الناس في السفر والإقامة والعمل والبيع والشراء وغير ذلك.

ص: 322

1- من الخطباء ومن تلامذة الإمام الراحل (رحمه الله) والمدافعين عن المدرسة الشيرازية.

وقد كان يشدد في انتقاده لمختلف تلك الظواهر والقوانين وشن حملة إعلامية ضد (الكوبون) الذي عمل به كنظام لشراء مواد غذائية رئيسية منها اللحوم والسكر والزيت، وكان يقول هذه القوانين تحد من حرية الناس وهو أمر مخالف للشريعة!

* كان يعتقد (رحمه الله) أن الفكر حر والمعارضة حق وطباعة الكتب حق انساني مضمون لكل من يريد أن يطبع وينشر ويقول كلامه، لذلك فإنه حين منعت كتبه أجاز من الناحية الشرعية طبع أي كتاب ليس فيه أمر بالمنكر أو نهى عن المعروف حتى لو لم يقبل المتطرفون بذلك.

* وحين منعوا بعضاً من الشعائر الحسينية كان السيد (رحمه الله) مؤيداً لها ومشجعاً واعتبر المنع غير شرعي.

كان اصحابه ينفذون ما يعتقد ويرشد مرجعهم إليه، وكانوا يحاولون أن يضبطوا الأمور بشكل لا تقع معه أية مشكلة، إلا أن المتطرفين كانوا يمانعون من تلك الشعائر!

في احدى الأعوام زجوا بمئات من المعزين في السجن صبيحة يوم عاشوراء بجرم أنهم طبروا حزناً على الإمام الحسين (عليه السلام) .

* في أحيان معينة إذ كان المتطرفون يخططون لمؤامرة معينة كانت الأخبار تصل إلى أسماع سماحته (رحمه الله) فكان يجند أفراداً معينين لكشف الخبر لأهل الحل والعقد في الحوزة العلمية حيث كان المجندون يحصلون على أرقام هؤلاء ويتصلون بهم من مراكز الاتصال العامة كي لا يعرف المتطرفون من الذي اتصل ومن أين؟ فكان (رحمه الله) يكشف المؤامرة قبل وقوعها فكانت الجهات المعنية المستهدفة تتخذ حذرهما وتستعد لصد الاستهداف.

* وذات مرة صدر بيان موقع بختم (مجاهدين خلق ايران) وهي منظمة إرهابية، العمل العسكري باغتيال وتفجير المراكز والشخصيات، استراتيجية ثابتة لدى هذه الحركة، وفي البيان مقدمة ضد العلماء والحوزات ثم قائمة اسماء بالذين تعمل المنظمة لاغتيالهم هي اسماء جهات متصدية في إدارة الحكومة. إلا أن أول اسم في القائمة هو اسم سماحته (رحمه الله) .

رأيت نسخة منه بيد سماحة السيد الرضا (رحمه الله) وكانت تعم ايران حركة إرهابية.

والجدير بالذكر أن الشيوعيين في العراق في مطلع ستينات القرن الماضي حيث عاثوا في أرض العراق الفساد، أصدروا بياناً ذكروا فيه أسماء من يريدون اغتيالهم فكان أول اسم في كربلاء المقدسة هو اسم سماحة السيد (رحمه الله) !

* في الشهور الأولى للحرب أعلن السيد (رحمه الله) في مختلف وسائل الإعلام عبر بيان ذكر فيه أن صدام قد قتل! فبين خطأ الخبر وكذبه إلا أن السيد (رحمه الله) أعلن عن ذلك بعدما أعلن وزير خارجية ايران آنذاك (صادق قطب زاده) [\(1\)](#) أعلنه عصباً وأعلن السيد (رحمه الله) عن ذلك مساءً!

والخبر قد تسرب من داخل العراق حيث كان صدام قد زار معسكر الناجي ووقعت محاولة استهدفته ثم وقع اشتباك بين حمايته والذين قاموا بالمحاولة ففشلت المحاولة إلا أن الاضطراب الذي حدث تسبب في تسرب خطأ عن قتله. وكان السيد (رحمه الله) قد تحرك بصورة جادة وجرت اتصالات مختلفة فتكونت قناعة تامة عند جهات متعددة من أهل الخبرة من خواص السياسيين بعدئذ تم الإعلان بواسطة السيد (رحمه الله) ثم بعد فترة طويلة ظهر صدام على شاشة التلفزيون وكان

ص: 324

1- أحد الوزراء في بداية الثورة الإيرانية وقد عارض ولاية الفقيه إلى أن تم إعدامه.

مدعواً لمؤتمر لرؤساء الجمهوريات والزعماء فغاب عنه مما يقود احتمال أنه كان قد أصيب في قضية محاولة الاغتيال في معسكر التاجي ثم عولج وظهر في التلفزيون بعد حوالي ثلاثة اسابيع!

* كان رأي سماحة السيد (رحمه الله) أن الاستثمار يتسبب في إثارة إشكالات وتساؤلات، وإن كثيراً من الناس ينظرون إلى العالم بأنه تحول إلى تاجر! وكلما حاول العالم كتمان الأمر فإنه مع مرور الزمن ينكشف الأمر، فكان (رحمه الله) يعتقد بضرورة العمل المركز لاستخراج الحقوق الشرعية من المتدينين وهي نسبة كبيرة (20) (عليهم السلام) وتقع ضمن مسؤولية رجل الدين على عكس الاستثمار الذي هو ضمن مسؤولية التاجر لا العالم، ويقول أيضاً: لا استثمار كاستخراج الحقوق الشرعية من التجار!

* وفي تلك المرحلة نشبت خلافات داخلية ضمن دائرة خط السيد (رحمه الله) منها مثلاً: الخلاف بين شريحتين من كوادر الحسينية الكربلائية وحين تأسست (الحسينية الزينية) قال بعضهم: إنها تقع في وسط منطقة يكثر فيها العرب فلتكن لغة الخطاب والمجالس عربية، وقال آخرون منهم مؤسسوا الحسينية: إن أولادهم قد ترعرعوا في الأجواء الإيرانية ولا يجيدون اللغة العربية وإنهم يفضلون الخطابة الفارسية والقصائد والشعارات وغيرها كذلك، نشب الخلاف وتصاعدت نيرانه فاجتمعوا بسماحته (رحمه الله) وتأسست لجنة لحل الخلاف إلا أن ذلك لم يتم! فوجه سماحته (رحمه الله) إلى تأسيس حسينية أخرى (عربية) إضافة إلى (الزينية) الفارسية، فتأسست (حسينية جمهور كربلاء) في قم شارع جهاز مردان.

وخلافات أخرى أيضاً وهذه من طبيعة العمل غير أن الحل يلزم أن يكون ديمقراطياً يضمن حقوق الجميع وأن لا يؤول الأمر إلى التشرذم والتشطي، وهذا

ما حدث آنذ، ولشديد الأسف وفي مختلف هذه النزاعات لم يؤخذ بإرشادات السيد (رحمه الله) وأنه برؤاه الثاقبة كان يعالج تلك الانشقاقات الخطيرة وكلها قد فعلت فعلها في ضعضة الجبهة الشيرازية وتقويض هيتها وقوتها المتنامية.

وبقيت آثار تلك النزاعات والخلافات إلى هذا اليوم حيث يمضي على رحيل السيد الراحل (رحمه الله) عشر سنوات (تاريخ هذه السطور)، وعلاج الخلافات وهي طبيعية في كل حركة هو أن يرضخ الجميع لنظام شوروي ويعملون بأكثرية الآراء لحسم النزاع وإن لم يوفق هذا العلاج لحسمه فيأتي دور المرجع ليستقبل رأيه الشرعي ويعمل به وإن رفض ذلك أيضاً فيتعامل مع الفقيه كقاض شرعي يحكم بعد التحقيق والتثبت من الدعوى بحكمه القضائي والولائي أيضاً فيحسم النزاع وإن لم يقبل ذلك فهذا خروج عن قواعد الشريعة! وإن تطور النزاع فالمحاكم الرسمية هي الحل النهائي!

قصتي مع المتطرفين

كنت خلال أيام شهر صفر المظفر من عام الانتفاضة في العراق (1991 م) وهو الشهر الذي لقي فيه الإمام الخوئي (رحمه الله) ربه في السادس منه كنت قد تحركت لقضية اقتصادية حيث كان السيد (رحمه الله) طلب دينا من الوجيه الفاضل الحاج مهدي التاجر(1) وكان واسطته أقربائي واسمه السيد مهدي سجاد(2) وهو أكاديمي اقتصادي يعمل مع الحاج مهدي وكنت قد زرت السيد مهدي وطرحت معه موضوع القرض فوعد خيراً وعرضت عليه تحرك المتطرفين المحموم ضد أنصار وأصحاب السيد الأستاذ ومنهم أنا، وكنت استدعيت مكرراً وقد أخذ مني توقيع

ص: 326

1- تاجر اماراتي شيعي موالى للإمام الراحل (رحمه الله).

2- رجل أعمال وناشط موالى للإمام الراحل (رحمه الله).

بالحضور في مقر (ستاد خبر قم في ميدان راه آهن) وكان ذلك في شهر ذي الحجة.. وكان قراري هو عدم الاستجابة لأن الحضور عندهم معناه الرضوخ لأوامرهم والرضوخ ينتهي بالقسر والقهر لإعطائهم مختلف المعلومات ثم يطلبون التعاون (أي التجسس على السيد (رحمه الله) وأنصاره ومؤسساته) وهذا من أشد ما حرمة الله تعالى، وقد سبقت قضايا عديدة كان (طلب التجسس) والتعاون معهم على الإثم والعدوان هو نتيجة الأمر، وضعت السيد مهدي في الصورة لغرض أن يدافع عني وعن المرجعية لقربه من بعض القيادات العليا في إيران.

انتهى الاجتماع معه بعدما طلبت منه القرض وودعته وخرجت راجعاً إلى قم من طهران، وبقيت انتظر مبعوثه من طهران، في صبيحة 26/ صفر حوالي الساعة السادسة كنت استعد للذهاب إلى مجلس حسيني عقده المرحوم آية الله السيد كاظم المدرسي في حسينية (الزينبية) التي كان قد أسسها هو والمجلس أقيم بمناسبة استشهاد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). رن جرس الباب وظننت أن مبعوث السيد مهدي قد وصل بادرت مسرعاً إلى فتح الباب فكانت المفاجأة! مفاجأة كبيرة وقاسية حيث رأيت شاباً ثلاثينياً، متوسط الجثة ملتجياً يرتدي قميصاً وبنطلوناً رصاصياً وضع رجله اليمنى أمام الباب كي لا يغلق وهتف بغضب صائحاً: كل ما لديك من وثائق احضرها فوراً!! وتكلم بكلمات نابية وصوت مرتفع ودخل المنزل ودخل بعده ثلاثة شباب مسلحين وبدؤوا بتفتيش كل شيء في المنزل وكانت عائلتي وأطفالي نائمين فاستيقظوا مرعوبين وانفجر الأطفال بالبكاء والرعب مخيم عليهم يرتجفون ولا يعلمون لماذا هذا الهجوم وما الذنب الذي ارتكبناه!؟

اخذوا كل ما لدينا من وثائق منها الكارت الأخضر والذي يعتبر كالهوية الشخصية ومن يفقده أو يسحب منه يعتبر وجوده في البلاد غير قانوني، وكذا

جوازات السفر ومختلف الهويات والوثائق الأخرى، حاولت الإفلات منهم لعدم تسليم بعضها ما استطعت! لأن كلها مجموعة في محفظة واحدة فصدورت جميعها إلى هذا اليوم وهذه الساعة التي أسجل فيها هذه الذكريات السوداء!

قلبوا المكتبة والأوراق والدفاتر وأثاث المنزل وجعلوا عاليها سافلها واستغرقت العملية أكثر من ساعة، ثم اخذوا كل الأشرطة وكثيراً من الكتب الخاصة وكل الدفاتر والأوراق وكان من ضمنها حوالي أحد عشر دفترًا كتبت فيها تقارير بحوث الخارج لسماحة السيد (رحمه الله) فقهياً وأصولاً وشيئاً من تقارير سماحة الشيخ الوحيد (دام ظلّه) (1)، كل دفتر منها (100) ورقة كتب على كل ورقة صفحتان أي إن المجموع من الكتابات المصادرة من التقارير حوالي (2200) صفحة، هذا غير الدفاتر الأخرى التي كتبت فيها مواضيع كثيرة ومختلفة منها حوالي أكثر من مئتي صفحة تقرّض حول (موسوعة الفقه) وتاريخ الفقه الشيعي وغير ذلك.

ثم اقتادوني إلى سيارتهم الخاصة التي كانت قد أوقفت على فوهة الزقاق الذي في آخره منزلي الخاص والذي لا تزيد مساحته على (43 م2) والذي كنت أسكن وعائلتي في قبو ذلك المنزل الصغير حوالي إثني عشر عاماً.

بمجرد ما أركبوني في القسم الخلفي من السيارة صعد أحدهم من الجانب الأيمن وآخر من الجانب الأيسر واثنان في المقدمة أحدهما يقود السيارة، أسرع إليّ قائدهم بقوله في شدة وإهانة وإذلال: اخلع عمامتك! فخلعتها! قال بعدها: أنزل رأسك! ودفع برأسي إلى تحت كي لا يراني أحد في الشارع! ثم أخذ عصا به وشد بها عيني!

ص: 328

1- من كبار المراجع في قم المقدسة، وأستاذ كبير في الحوزة العلمية.

وصلنا إلى المركز الخاص وموقعه في ساحة محطة القطار في قم المقدسة وهو مركز مخبراتي رهيب فيه يخطط المتطرفون لمختلف حركات القمع والسحق والمؤامرات ضد العلماء ورموز المحافظة من الأشراف والأحرار.

مع الوصول إليه وهم يقتادوني إلى حيث يريدون وعند البوابة وفي مكان خاص، سلمتني الزمرة الخاصة إلى السجن فأخذني وأدخلني إلى غرفة، وقال: إخلع ملابسك كلها وأعطاني كيساً من الأكياس الخاصة بالنفايات سوداء اللون وقال: ضع الملابس في هذا الكيس ومعها الحذاء والجورب وأعطاني ملابس خاصة بالسجناء رصاصية اللون غامقة، قاتلاً: إلبس هذه وهي فضفاضة، قبيحة وغير لائقة.

نقلت إلى غرفة معينة ادخلت فيها واغلق الباب، ثم جيء إليّ بكوب بلاستيك وإناء مثله باللون غامقة رصاصية آنذ في الغرفة سمح لي بفتح العصابة التي شدت على عيني فتحتها وجدت رجلاً حليق الذقن مربوعاً وممتلئاً، صاح السجنان: يمنع الكلام بتاناً، ففي تلك الغرفة التي كان فيها مصباح صغير مضاء ليلاً ونهاراً فهي مظلمة ولا منفس للهواء فيها وفي أعلاها قرب السقف زجاجة تقدر مساحتها بـ (30سم × 30سم) يدخل فيها كم قليل من ضوء النهار.

في هذه الغرفة يمنع السلام والكلام والسؤال حتى عن القبلة للصلاة ولا يعرف أحد الوقت لأن الساعات حجزت وكل شيء مع الإنسان من نظارة أو خاتم أو ساعة أو ملابس أو قلم أو دفتر تليفونات أو دفتر ملاحظات أو نقود، كل ذلك يحجز!! فلا يملك شيئاً من مختصاته إلا بعض الملابس الداخلية اللاصقة بالبدن فقط.

ولكن على رغم أنهم بدأت بالتعارف مع النزير فتبين أنه رجل من أتراك اذربيجان يقيم في قم المقدسة اعتقل لأنه يعمل في تصريف العملات الأجنبية

وصودر ما عنده من أموال ومارسوا مختلف أنواع الضغط عليه، وكان مريضاً يعاني من التهابات في مجاريه البولية ويحتاج إلى الحمام في فترات متقاربة، وأما قانون السجن: أن الحق في الذهاب إلى الحمام لا يتعدى (3) مرات يومياً ومرة في آخر الليل، فكان يكثر من طرق الباب ولا يعبأ به وحين كان السجنان يفتحه كان ينهال عليه بسيل من الكلمات النابية والإهانات.

ذات مرة حين اشتد احتياجه إلى الحمام أراد أن يكشف عن نفسه ويتبول عند الباب فقلت له: إن هذا يعقد قضيتك ويشير غضبهم عليك، قال: أنا محصور ماذا أصنع؟ قلت له: تحمل قليلاً!!

وفعلاً فتح له الباب بعد هنيئة مع كثير من الإذلال والاهانة وعلى كل سجين أن يعصب عينه فوراً مع سماع صوت الباب قبل فتحه وإلا فإنه سيعرض نفسه للحساب والعقاب، ولو رأى السجنان أن العصاة لم يحكم شداها، فإنه يحكمها ويسد ثغراتها ويحتج على السجنين في ذلك ويهينه بكلمات نابية! عند الظهر طرقت الباب وطلبت الوضوء، فيا أمر السجنان أن تشدّ العصائب وتأخذ الأفراد واحداً واحداً إلى الحمام للوضوء.

ثم بعد ذلك يفتح جانب قليل من الباب ويدخل يده ويطلب الأواني فيأخذها فارغة ويعيدها وفيها الرز وعليها شيء من المرق ويعطي كمية من الجزر ووقدحاً خاصاً يملأ ماء.

وفي الغرفة قطعة من البلاستيك سوداء وهي في الأصل كيس من النوع الذي يستخدم في بيع الخضار والفواكه يدخل عليها إناء الطعام والخبز والماء ويأكل السجناء، على كل واحد منهم أن يغسل إناءه وكأسه وكوبه وملعقته ولو لم يفعل يحاسب ويعاقب!

في كل يوم عصراً يفتح السجن الباب ويأمر بشد العصائب والكل يتعودون وينضبون.

الإهمال

وبقيت لا أعرف ماذا جنيت؟ وما الذي يراد مني؟ ولماذا جيء بي إلى هذا السجن المظلم وإلى متى؟! والعديد من الأسئلة الأخرى.

كنت أفكر مستغرباً حين فتحت الباب مع جلبته وكلمات غير لائقة، وإذا بمعقل آخر زج به معنا، فتح عصابة عينيه فأرأته زميلي سماحة السيد هاشم اليعقوبي(1)!

ثم بعدها جيء ياخوتنا سماحة الشيخ عبد الرحيم الحائري والشيخ جعفر عسكر بور، والوجيه الفاضل عباس عاملان(2) ثم العلامة الشيخ حسن معيني

وهو الكاتب في مكتب سماحة السيد (رحمه الله) ورجل عصامي ومحتاط في شؤونه الدينية وخطيب لامع باللغتين الفارسية والأذرية التركية، شخصية مؤدبة شفافة طويل القامة شيخ أشرف على الستين من عمره، أنه رجل القيم والرزاة والتعقل ويستحق كل التقدير والاحترام.

زج به في جو من انتهاك الحقوق وعلى نسبة كبيرة من الامتهان والتصغير كان معصباً ومتوتراً ينزف جبينه العرق ادخل المعتقل واغلق خلفه الباب، ضاق نَفْسَه وأصيب بالتشنج ثم وقع شبه مغشي عليه ولم يتمالك نفسه حيث جرت دموعه، تمدد على الأرض مستلقياً يتنفس بصعوبة ويئن أنيناً حزيناً اجتمع حوله

ص: 331

1- من تلامذة الإمام الراحل (رحمه الله) وناشط في المكتب.

2- من كوادر العمل المرجعي وناشط في الوسط الشيعي.

السجناء كلهم ورشوا عليه قليلاً من الماء أفاق بعد هنيهة فلم تكن شفتاه تفتران عن ذكر الله.

ضاق المكان بالنزلاء وكان السراج مضاءً ليل نهار مما كان يزعجنا كثيراً. في كل أربعة وعشرين ساعة لا ينادون إلا على واحد أو اثنين وكنا نسمع أحياناً أصوات الضرب والتعذيب والصراخ ولا نعلم من المعذب؟ ولماذا هذه المعاملة القاسية التي يباها الشرع والعقل والقانون!!!

فكان السجناء يمتلئون رعباً لأنهم على علم بأن الخصم لا يفهم منطقاً ولا يتفاهم ويحاوّر وإنما يسير وفق منهجية شوفينية وجائرة ويريد (العمالة) من الضحية والارتقاء في أحضان الموبوءة.

بعد ثلاثة أيام من القلق حول المصير وفي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل فتح باب السجن على الطريقة المتعجرفة والصاخبة وفز السجناء من النوم صاح السجن (ناصر، ناصر) أجبت: نعم! قال: عجل أخرج أسرع لماذا تتأخر؟!

ولم يمهل في جمعته حتى لفترة شد العصابة حيث إن كل سجين هو المسؤول عن شد عصابة نفسه وإن لم يفعل يعاقب وإن شدها بغير إحكام بهان ويحاسب ويضبطه السجن نفسه، خرجت مسرعاً فأخذ بيدي واقتادني إلى غرفة أخرى أجلسني على (رحلة مدرسية) متجهة إلى زاوية الغرفة وقال: أمامك أوراق استمارة وقلم، أطرح عليك أسئلة معينة وعليك الجواب شفاها، ثم عليك ملاً الاستمارة التي أمامك.

كانت الاستمارة تحتوي على أكثر من مئة سؤال حول النسب والسبب والعمل والأقارب والأصدقاء ومحل الولادة ومراحل الحياة ومهنة الأقارب

واسمائهم الثلاثية والأقارب في خارج البلاد ونسبة القرابات، وفي أي بلد وماهي مهنتهم وانشطتهم؟ وما هي أنشطة سماحة السيد (رحمه الله) التي أدتها إلى هذا اليوم؟ والآراء السياسية حول القيادة الحاكمة ونظرياتها وأسئلة حول مختلف المرجعيات الدينية والحركات السياسية وأسئلة كثيرة حول مرجعية سماحة سيدنا سالأستاذ (رحمه الله) عن تحركاته وممثلياته في العالم والحوزة الزينية في الشام، ووكلائه وتلامذته وخصوصيات كل منها وعن كل شيء!

استغربت من هذا الاستجواب وهذه الاستمارة الراقدة أمامي وأجبت عنها جميعها بكل أمانة إلا ما احتملت أن يلحق أذى بصديق أو زميل أو شخصية عاملة مع مدرسة السيد الراحل (رحمه الله) وخطه ووكلائه.

سألني عن أصدقائي في مكتب سماحة السيد (رحمه الله) أجبت: إنني أتعامل مع كبار السن وذكرت له اسم المرحوم (الشيخ الحجتي)(1) وهو طاعن في السن، وذكرت سماحة السيد صادق (حفظه الله) ورجالاً آخرين من هذه الطبقة، حاول كثيراً وعبر تساؤلات مختلفة لأكشف له عن أسماء ناشطين مع السيد الشيرازي وبرامج خاصته، فلم أفده إلا بما يمنح مدرسة السيد (رحمه الله) هيبة واقتداراً.

سألني عن عدد مقلدي سماحته ووكلائه أجبته بالتفصيل من دون ذكر اسم معين ممن يحتمل أن يناله أذى من هؤلاء القساء المتطرفين.

وسألني عن مصادر المال، فلم أجبه جواباً يستفيد منه! بل قلت له: إنه مرجع ديني كبير وله مقلدون في كثير من بلاد العالم وهؤلاء يدفعون الخمس والتبرعات وأنتم على اطلاع تام بشرائح مقلديه في الكويت والبحرين والسعودية وغيرها من بلاد الخليج والعراق والبلاد الأجنبية، فهؤلاء هم المصدر الاقتصادي

ص: 333

1- من تلامذة الإمام الراحل (رحمه الله) .

لمؤسسات ومشاريع سماحته (رحمه الله) .

وسألني: كيف ارتديت العمامة ومن عممك؟

سردت له قصص تاريخية مفصلة وكل الفضل فيها يعود إلى سماحة السيد الراحل (رحمه الله) .

وكرت الأسئلة ولا أتذكر أكثرها وانتهى التحقيق حدود الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وكانت اعصابي متوترة ومنهار القوى.

فاقتادوني إلى الغرفة الخاصة فاستيقظ زملاء واعتذرت من ازعاجهم وكل من يعود من التحقيق يجتمع عليه السجناء ويسألونه بالتفصيل عن الأسئلة والأجوبة رغم ان التخاطب ممنوع بين السجناء! وغلبي النعاس والإرهاق فاستسلمت للنوم إلى حين صلاة الفجر في حوالي الساعة الخامسة، فخرج السجناء واحداً واحداً إلى الحمام للوضوء وصلينا ثم استسلمت للراحة إلى الساعة الثامنة صباحاً، حيث استيقظت على أثر حركة السجناء للإفطار حيث يفتح السجنان الباب ويسلم الخبز والجبن ويطلب من كل واحد أن يحضر كوبه للشاي فيصب الشاي المحلى في الكوب البلاستيكي الأحمر اللون.

وماذا بعد الإفطار صباحاً؟

تبادل الأحاديث مع رفاق السجن ممنوع طبعاً فلا يعلم السجناء ماذا يعملون؟ وكان برنامجي اليومي هكذا!

1. فأحياناً أصلي قضاءً وصلوات القضاء عبادة وأجر واستغلال للوقت في أمر نافع.

2. وأحياناً مناقشات علمية وثقافية مع الآخرين.

3. أحياناً قراءة عشرات ومئات سورة الفاتحة لكل المرحومين من المؤمنين

ص: 334

والمؤمنات، منذ فجر الرسالة إلى اليوم بما فيهم الشهداء والثوار والفقهاء والخطباء والمؤلفون والأصدقاء والأقرباء، وغيرهم.

4. وأحياناً قراءة أربعة عشر ألف مرة سورة التوحيد لأنها ختمة مؤثرة في قضاء الحوائج.

5. والنوافل اليومية مع تطويلها وتكرار أذكارها وقراءة مختلف السور القرآنية المحفوظة فيها.

6. وأحياناً التفكير في قضايا ثقافية أو اجتماعية أو غيرها، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا عبادة كالتفكير».

7. وأحياناً آلاف المرات من الاستغفار.

وكان للمداورات والمناقشات ومختلف البرامج الأخرى أثر كبير في القضاء على الضجر والفراغ.

وماذا يجري خارج السجن؟

كان منزلنا قد تحول إلى (دار الأحرار) للأطفال والعائلة والضيوف الموسمين وأقيمت مجالس نسوية باسم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وانطلقت حركة حامية من الزيارات النسوية ومجاميع من الأقارب، الغرض منها ضخ المعنوية في وجدان أعضاء العائلة، إلا أن زوجتي المجاهدة السيدة (أم محمد) كانت قد رفعت راية للمقاومة ضد المتطرفين الذين لا يعرفون معنى للدين والإنسانية، كانت تأخذ أطفالها الأربعة وتعتصم على باب مقر (المحكمة الخاصة) وتلقي بالمسؤولين القساة وتحتج وترفع وتيرة الاحتجاج وتصرخ أحياناً وتجلب الأنظار وتستثير مشاعر الناس بالإعلان عن أن هؤلاء الطغاة متجاوزون وظالمون يحتجزون العلماء والأحرار دون ذنب اقترفوه، كل ما أخذ عليهم أنهم أنصار

ص: 335

ودعاة المدرسة الشيرازية المرجعية الدينية والمعروفة بعلمها وجهادها وخدمتها.

وكان الجلاوزة يحاولون بمختلف الوسائل والسبل أن يثنوها عن الاحتجاج ولكن دون جدوى.

ذات مرة كانت تواصل اعتصامها عند باب السجن فرأت أحد الأربعة الذين هاجموا منزلي مع زوجته وهو شاب أشقر متوسط الحجم نحيف وعلى عينيه نظارة وهو متوجه إلى محطة القطار وموقع السجن قريب من المحطة، فاعترضته.

إطلاق سراح البعض من زملائي

أما المشهد داخل السجن فاستمرت التحقيقات مصحوبة بالضغط باتجاه طلب التعاون معهم، وبعبارة أخرى الخيانة للمرجعية والمدرسة المربية والحاضنة، وكانت المواقف متحدة وصلبة ولم يستطع الخصم جر حتى واحد من أصحابنا إليه، وبدأت حملة ضغط أخرى استسلم لها البعض وكانت تطالب أصحابنا بمقاطعة مكتب سماحة السيد (رحمه الله) وعدم التعاون معه إلا أن أساليب القهر والإكراه فرضت عليهم أن يوقعوا مجبرين فوقوعوا وأطلق سراحهم إلا أنهم في السر استمروا في تعاونهم مع مكتب سماحة السيد (رحمه الله) ولكن عبر واسطة بينهم وبين السيد (رحمه الله) .

عباس عامليان (رحمه الله)

وكان معنا الأخ الراحل (عباس عامليان) وهو من الكوادر الناشطة والفاعلة في مكتب سماحة السيد (رحمه الله) كان يحب الجميع ويخدم الجميع ويتعاون مع الكل وقد تعرض للاعتقال أكثر من مرة لأسباب تافهة ودوافع سياسية غير

واقعية، كان هذا المجاهد مصاباً بالفشل الكلوي ويأخذ يومياً (18) حبة علاج وكان يعاني بصورة استثنائية في السجن ويحتاج إلى الحمام أكثر من غيره ولا يتعاونون معه، وأخيراً بعد الضغط أجبر على التوقيع بعدم زيارة مكتب سماحة السيد (رحمه الله) وأخرج من السجن بكفالة. خرجوا واحداً بعد آخر وبقيت أنا اصارع الأزمة.

جولات أخرى من التحقيق

دعيت مرات عديدة للتحقيق بعد منتصف الليل! وجرى فيها كثير من الكلام والشد والجذب.

كنت أحاول أن أقول الحق قوياً صلباً، ولكن دون تجريح أو تحدي أو إثارة، خوفاً من العواقب الوخيمة على يد قوم لا يخافون الله واليوم الآخر وسألني المحقق مرة لماذا تدافع وتعتقد بالشيروازي؟ وما الذي قدمه للإسلام ولايران؟ رأيت إن أجيبه بشيء من الإسهاب حول ضرورة احترام المدرسة الشيروازية لمواقفها التاريخية في خدمة ايران خدمات متميزة وقليلة النظر، قلت له: إن للشيروازي مواقف تاريخية مشهودة يكفي الواحد منها أن تضع الحد للانتهاكات التي تمارس بحقه.

قال: مثل ماذا؟ اذكرها بالتفصيل!

وأنا كنت أحب أن أفصل له ذلك فذكرت له مواقف خمسة وكان هو يكتبها قلت له وأنا طبعاً معصب العين ووجهي إلى زاوية الحائط:

1. إن ثورة التبغ الكبرى ضد القوات البريطانية المحتلة فجرها وقادها الميرزا الشيروازي (رحمه الله) وهو جد هذه الأسرة المباركة فإتخاذ ايران من براثن الاستعمار تم على يده (رحمه الله).

ص: 337

2. إن والده الإمام الميرزا مهدي الشيرازي ترك كربلاء المقدسة وجاء إلى إيران وتحالف مع السيد البروجردي والميرزا حسين القمي (رحمه الله) وقادوا انتفاضة كبرى ضد الشاه وجماهير الشعب كله معهم فاجبروا الطاغية على التراجع في قضية: السفور الإجباري ومصادرة الأوقاف ومنع عمل الحوزات العلمية وارتداء العمامة!

3. إن هذه قم المقدسة والتي قادت الثورة المعاصرة ضد امبروطورية الشاه إنما أسسها عالم تخرج من حوزة كربلاء المقدسة وهو تلميذ من تلامذة الميرزا الشيرازي الثاني قائد ثورة العشرين في العراق فالشيخ عبد الكريم الحائري (رحمه الله) أحد أبرز تلامذة الميرزا الشيرازي (رحمه الله) وكان قد أوصاه بتأسيس حوزة في قم المقدسة، فاستجاب ونبئت هذه الحوزة الكبيرة التي يرجع الفضل إليها في قيادة إيران ضد الشاه، وهذه حسنة من حسنات الشيرازية أيضاً.

4. وحين أراد الشاه إعدام الخميني في عام (1963 م) تحرك السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) ، ذهب إلى النجف والتقى المراجع الكبار وعقدوا اجتماعاً هاماً وتحركوا وبرقوا للشاه وطلبوا منه إطلاق سراح الخميني فتم إبعاده فانقذ السيد بحركته النوعية الكبيرة رقبة الخميني من مشنقة الشاه بعد أحداث انتفاضة خرداد.

5. والفضل الكبير على إيران أنه ساند الثورة بكل ما أوتي من قوة ثم أسس المؤسسات الكثيرة ونشر مئات الآلاف من الكتب وأدى كثيراً من الأنشطة الإنسانية ولا زال هو ووكلاؤه ومؤسساته يقومون بكثير من النشاطات لخدمة شعب إيران المسلم.

ذكرت هذه الأمور بتفصيل إلى أن انتهى الوقت المحدد ونقلت إلى الغرفة الخاصة مرة أخرى.

أفرج عن زملائي واحداً بعد آخر بعد إكراههم على الانفصال عن السيد الراحل (رحمه الله) فوقّعوا لذلك، لكنهم بقوا أعضاء ناشطين دون حضور مباشر، بقيت أنا وشاب آخر ادعى أنه من تيار الشيخ المنتظري، فكنا نتحاور في أمور مختلفة تهتم الوضع الإسلامي العام وتوالت استجابات التحقيق مشوبة بالاستفزاز والتوهين أحياناً، وطلب إليّ بالبحاح أن أتعاون معهم أي أن أتحوّل بعد عشرات السنين من الإخلاص والخدمة للإسلام والمرجعية طلب إليّ أن أتحوّل إلى (جاسوس)!!

قلت له: هل يصح ويعقل أن فرداً عاش سنين طويلة على مائدة مضيف ثم يتحوّل إلى جاسوس وضيع وخائن؟! خلافاً لقوله تعالى: (وَلَا تَجَسَّسُوا)، حاول أن يبرر لطلبه دون جدوى وبعد المحاولات الفاشلة والترغيب والترهيب، طلب المحقق مني التوقيع على مقاطعة السيد (رحمه الله) قلت له: إنه أستاذ لي وذو فضل كبير، كيف أقاطع أستاذاً رباني كالأب الحنون، ثم إنه مرجع كبير واعتقد أنه الأعلم من غيره، فكيف أقاطعه؟ خلافاً لقول الإمام الصادق (عليه السلام) القائل: «زاحموا العلماء ولو بالجثو على الركب» كيف؟ وما هذا التناقض في الموقف مع أنك تدعي كونك على مذهب الإمام الصادق (عليه السلام)؟ لن أوقع مطلقاً وأبديت صلابة شديدة فأرجعت إلى السجن وقد هدد وتوعد هذه المرة، وقال: إن موقفك يكلفك الكثير، قلت: عليّ أن أؤدي واجبي الشرعي مهما كلف الأمر.

بقيت لفترة في شد وجذب وأنا مصر على موقفي. مضت أيام وأهملنا، ونحن نعيش في واقع يرثى له ولا نعرف مصيرنا.

ذات يوم صاح السجن من خلف الباب - طبعاً هناك ثقب صغير ينظر من

خلاله إلى ما يجري في غرفة السجن ويراقب سرّاً - صاح مستنكراً محتجاً: ماذا قلت للسجين الآخر؟ بادر إلى تهمة كبيرة فانلاً: إنك أعطيتهم أسماء معينة! ما هي الأسماء؟ ولماذا أعطيتها له؟ وماذا تهدفان من ذلك؟ وأحدث صخباً وجلبة كبيرة وفتح الباب بعد أن شد كل واحد عصابته على عينه وظل يثير قضية وهمية ويعطيها الحجم الكبير ويؤكد حدوثها، وجاء المحقق وقال لي وأنا واقف أمامه بملابس السجن الداكنة والمهلهلة وعينين معصبتين ونفس ثائرة ضدهم للبهتان الغريب قال المحقق: تكلم الواقع هل هذا السجن يكذب؟ هذا غير معقول أنه يرصد تحركاتكم ويسمع كلامكم فأني اسم قدمته للسجين الآخر؟ ولأي هدف؟

فأخذت زمام الكلام وتكلمت بلغة العتاب والتوبيخ أيضاً، قلت له: نحن المهاجرون من العراق منذ عام (1975) وهاجرنا إلى البلاد المختلفة وأهلنا هناك بين سجين وقتيل ومشرد ووقفنا مع الثوار في إيران وفرحنا بانتصارهم أعظم فرح في حياتنا على الإطلاق ونعيش في ظروف صعبة وقاسية وليس لنا من الصباح إلى المساء غير الخدمة للحوزة والمجتمع ووردنا إلى إيران سريعاً بعد الثورة للخدمة والعمل والجهاد هل هذا جزاؤنا؟ أهكذا تستقبلون الضيوف؟ وهكذا التعامل مع العاملين في الحوزة؟ هل قتلنا أو سرقنا أو اعتدينا على أحد؟! هل هذه مبادئ إسلامية؟ هل الإسلام يقول لكم افعلوا هذه الأفعال؟

واسهبت في الحديث ولا اتذكر أكثره، وسكت وليس له أي جواب لأن الأسلوب هذه المرة كان مختلفاً عما مضى.

بعد هذه الحادثة نقلت إلى زنزانة وفصلت عن غرفة السجن السابقة. زنزانة لا يستطيع الإنسان أن يأخذ فيها راحته في النوم أو اليقظة وكانت ثنائية بمعنى وجود شخص آخر شكله مختلف كثيراً عنا، ولا أعرف ماذا كانت التهمة الموجهة

إليه! لكنني أصبت بنكبة نفسية على أثر البهتان والتهمة ونقلني إلى الزنانة.

الإضراب عن الطعام

امتنتع عن الطعام كاملاً وكان السجان كلما جاء بالطعام اضطر إلى إرجاعه في اليوم الثاني واستمر الإضراب ثلاثة أيام فانتكست صحتي على أثر الضغط النفسي والجسدي وتغيرت سحتي وصرت أرتجف وأشعر أن آلاف الأبر توخز كل جسمي، فجاء السجان بعدما أخبره صاحبي السجين معي ونقلني إلى المحقق فقال: أطلق سراحك إلا أنك ممنوع من التعامل مع مكتب الشيرازي، ومرادة منزله عليك إحضار كفيل، فجيء بملايس فارتديتها وكانت بعض امتعتي ناقصة إلا أنني وقعت على استلامها كلها وأخذوني في سيارة خاصة بهم وبقيت حائراً حول من يكفلني؟

فذهبت إلى والد زوجتي وأخذته بصعوبة إليهم فنظر إليه الحاكم وقال: هذا كبير السن ولا يضمن إحضارك فهو مرفوض!!

وذهبت إلى بعض الجيران والأصدقاء فكانوا جميعاً يخافون من القيام بهذه المهمة، وأنا أيضاً كنت متحسناً من الموضوع لأن الكفيل يتورط لو حدث لي حادث معين، فذهبت أطلب من بعض المجاورين المخلصين فلم أجد جاري (مشتي غلام) فذهبت أبحث عنه ولقيته صدفة في الشارع وطرحت الموضوع عليه فاستقبل الأمر برحابة صدر فصعد المركبة معنا وذهبنا جميعاً إلى (المحكمة الخاصة) ودخلت على الحاكم فبادر بالقول انتهى الموضوع قلنا له كيف؟ قال: جاء (مهدي) نجل المرحوم الفالي جاء معي للكفالة وقد تكفلني، وسلم وثائق وخرج!

فأكبرت موقفه والتقيت به وشكرته كثيراً وكان موقفاً إنسانياً شريفاً. وذهبت إلى المنزل منهكاً من الجوع والعطش والمرض والسهر والإرهاق إلى

ولم يسلموا لي أياً من الدفاتر والكتب الخاصة والأوراق التي صادروها وكانت ثمرة جهد حوالي عشر سنوات وتضم تقارير بحوث الخارج ضمن المواد المصادرة.

فرح كل من عرف بالخبر ولعن الطغاة في نفس الوقت، وفي أوائل الليل أخبرت بأن سماحة السيد صادق سيزورني! ففرحت وجاء للزيارة وكانت دفعة معنوية كبيرة، وكان معه حسبما أتذكر بعض أولاده لأن كل الموظفين وأعضاء الجهاز المرجعي كانوا قد منعوا من التعاون والمرافقة والتزاور مع الشيرازيين ولا أتذكر ما جرى من الأحاديث إلا أنني وضعت سماحته (دام ظله) في الصورة وقلت له: إنني رفضت الإنصياع لأوامرهم ولم أوقع على مقاطعة المرجعية.

ثم قمت بزيارة لسماحة السيد الأستاذ (رحمه الله) في اليوم الثاني متحدياً قرار المنع وكانت الزيارة قبيل المغرب ووضعت سماحته (رحمه الله) في صورة ما جرى عليّ وكان السيد (رحمه الله) يعبر عن موقفه بكلمة يكررها كلما المت مشكلة أو أزمة، كان يقول: (يلزم أن نعالج الجذور كي نستأصل شافة الأزمات)، انتهى الاجتماع مع ارتفاع نداء الأذان للمغرب، فقامت للصلاة جماعة في المصلى (ساحة المنزل) واحتفى بي الجميع يهنؤني على الخلاص من براثن وانياب خط التطرف، وجلس للصلاة إلى جانبي الحاج (مسلم الأسدي رحمه الله) والد أخينا الفاضل العلامة الشيخ عبد الحسن الأسدي، فسألني: لماذا اعتقلوك؟! أجبت: لأنني من تلامذة وأصحاب سماحة السيد، فقال: وماذا فعل السيد؟ هل تجاوزت على زوجة القاضي؟ قالها ببراءة واستنكار وباللفظ العامي الصريح!

في اليوم الثاني استدعيت مرة أخرى إلى المحكمة الخاصة فذهبت على

الموعد فخالفوا الوعد وأخروني في غرفة الانتظار ثم دخلت على القاضي وأخبرني بتفاصيل ذهابي في اليوم الماضي إلى منزل سماحة السيد (رحمه الله) ولقائي به وبالناس إلا أنه لم يكن يعلم بما جرى من الحديث مع سماحة السيد (رحمه الله) ومنعني أيضاً عن مرادة بيت السيد (رحمه الله) إلا أنني لم أعبأ بكلامه وقال: إن ذلك يكلفك كثيراً، فلم أعبأ به أيضاً.

ظلت المحكمة الخاصة تلاحقني كل يوم وأخيراً حولت قضيتي على المخبرات الجناح المتطرف وكان شخص يطلق على نفسه لقباً مستعاراً هو (المنتظري) قبيح المنظر طويل القامة حاول كثيراً ومكرراً منعي من مرادة منزل السيد (رحمه الله) فلم أعبأ به، فقرر إبعادي إلى محافظة (كرمان) أو الخروج من إيران فاخترت الأمر الثاني وقدمت جواز سفري إليه إلا أنه راح يماطل في الأمر ويسوف من اليوم إلى غد وبعد غد..

واستدعيت مرة أخرى من المحكمة الخاصة وحاول الحاكم المتطرف (ابو الفضل أربابي) (1)

حرفي عن الهجرة، قال: إلى أين تريد السفر؟ قلت إلى سوريا! فبدأ يشوه صورة سورية عندي فرفضت كلامه ورددت عليه، ثم أعلن هو و(المنتظري) بعد أن رأى الجدية في السفر، أعلن المنع من السفر وإن قرارهم هو إبعادي إلى (كرمان) أو (يزد) وتركوا لي مدة أسبوع للاستعداد وقد طلبت شهراً.

لكنني اختفيت وقاطعتهم سافرت إلى طهران ثم هناك أعددت وثائق مزورة وهاجرت مع عائلتي في البرد القارص وفي جو من التشاؤم إلى كردستان العراق! في (شقلاوة) حيث كانت حسينية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هناك، وطالت الهجرة حوالي إثني عشر عاماً بعيداً عن السيد (رحمه الله) والأصدقاء والأقرباء وكانت

ص: 343

1- من مدرء ومسؤولي المحكمة الخاصة برجال الدين في مدينة قم المقدسة.

واشتدت المحنة على مرجعيتنا بعدها أكثر مما ذكرت قطرة منها فيما مضى. وفي سوريا جاءني تهديد بالقتل من المحكمة الخاصة والمخابرات العاملة معها وكان الوسطة الذي نقل لي التهديد هو فضيلة الاخ الشيخ جعفر الحائري، وقاطعتهم إلى هذا اليوم وليس لي مشروعاً للكفاح ضدهم إلا أنني معارض وكل الخط المرجعي كذلك و(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) صدق الله العلي العظيم.

مجلس خبراء الاقتصاد

انتشر تلامذة سماحة السيد (رحمه الله) في مختلف أنحاء البلاد تسنم بعضهم مناصب في القضاء وبعضهم صعدوا إلى مجلس النواب وبعضهم صار إماماً للجمعة وهو منصب يتمتع بحقوق وأدوار قانونية ويعتبر إمام الجمعة القائد الروحي للمجتمع وتحاول الأجهزة الإدارية أن لا تتجاوز تعليماته وإرشاداته.

أحد تلامذة سماحته (رحمه الله) ارتقى إلى مجلس النواب وكان على اطمئنان وثقة بأفكار وعمق رؤى سماحته (رحمه الله) فانتخب في المجلس مسؤولاً للجنة الاقتصادية، وهذه هي التي تنتج الأفكار الاستراتيجية لاقتصاد ايران الحالي والمستقبلي، وهو دور خطير وغاية في الخطورة قام هذا المسؤول والذي درس في مرحلة سابقة في حوزة سماحة السيد (رحمه الله) بزيارة على رأس وفد إلى مدينة قم المقدسة والتقى بسماحته (رحمه الله) لغرض التداول في شؤون اقتصاد البلاد ومستقبل هذا الاقتصاد وتكلم سماحته (رحمه الله) للوفد، وقد جلس رئيسه أمام سماحته (رحمه الله) جلسة الصلاة مؤدباً، وطلب من السيد أن يجلس إلى جانبه لكنه ولشدة تأدبه رفض وظل جالساً أمام سماحة السيد (رحمه الله) فقال السيد (رحمه الله) ما ملخصه:

(تنتخبون عشرة من المجتهدين من الحوزة العلمية من خبراء الفقه الاسلامي، وعشرة من حاملي شهادة الدكتوراه في الاقتصاد، ثم يخصص لهم مكان مكتبي خاص، ويوفر فيه كل ما يحتاجون إليه، ويدعمون بكل كتاب حول الاقتصاد ووسائل الاتصال بأية جهة يريدون، وكل ما يطلبونه في هذا المجال، يلتزمون خلال ستة أشهر يفكرون ويحققون ويسجلون نتائج تحقيقاتهم في دراسات تخصصية حول كل الجوانب في الاقتصاد ومجالات الاختصاص ستة عشر مجالاً منها - مثلاً - الاقتصاد الزراعي والنفطي والتجاري والبنكي والصناعي والعمراني وغيرها، وهذه كلها بحاجة إلى تحقيقات معمقة ودراسات مستفيضة وتفرد لهم مخصصات وأجور عالية ومرضية لهم، ثم بعد انتهاء المدة تؤخذ النتائج وتصوب في المجلس وتحول إلى وزارة الاقتصاد، وتنزل إلى الأرض للتنفيذ، بهذه الطريقة نكون قد دمجنا الفكر الاقتصادي الحديث مع النظام الاسلامي، وبذلك يمكن التمهيد لنهضة اقتصادية في البلاد).

هذه هي الفكرة الأولية التي قدمها سماحة السيد (رحمه الله) للجنة الاقتصادية ورئيسها إلا أن رئيس اللجنة اعتذر بأن للجنة ميزانية محدودة وإدارة مجلس النواب لا توافق على هكذا مشروع لاستنفاده مالاً كثيراً.

فقال سماحته: إن طريق التخطيط الاستراتيجي هو تشكيل هكذا لجنة بحثية وإلا يصطدم الاقتصاد بالعجز والفتور والمرض.

وانتهى الاجتماع بتقديم سماحته (رحمه الله) مجاميع من الكتب الخاصة لأعضاء الوفد ثم ودع وخرج وهو يحمل رؤية إيجابية حول كيفية إنقاذ الاقتصاد المنهار في البلاد إن وافق المسؤولون على تنفيذ هكذا خطة مكلفة، ثم طرحت اللجنة مشروعها هذا على النواب فلم يصوب منه شيء.

الأخلاق من أهداف الرسالة الإسلامية

إن الحديث المشهور عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» كان قد أخذ موقعه اللائق في سلوك سماحة السيد (رحمه الله) وخطه من قلمه المبارك وموقعه من برامج التربوية فقد كتب السيد (رحمه الله) كتباً عديدة في هذا الحقل منها: (الفضائل والأضداد) و(الأخلاق الإسلامية) و(الفضيلة الإسلامية) وغيرها أيضاً.

أما في منهجه التربوي فقد التزم (رحمه الله) في كل أربعماء إلقاء كلمة أخلاقية لمدة (20) دقيقة بعد أن يقتطع مقداراً من بحث الخارج، وكان أيضاً في مناسبات الأفراح والأتراح يلقي كلمة تتصل بالمناسبة، كما كان في كل أسبوعين أو لفترة معينة طويلة يلقي محاضرة تربوية- وكذا أخاه سماحة السيد المرجع (حفظه الله)، وكان يوصي أيضاً كل أساتذة الحوزة العلمية تخصيص (20) دقيقة في آخر يوم من الأسبوع لتدريس الأخلاق ونحن وزملاؤنا حين كنا ندرس في الحوزة كنا ملتزمين بهذه القاعدة التربوية كل أسبوع.

أما في المناسبات الكبيرة مثل عاشوراء أو استشهاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أو العطلة الصيفية أو ميلاد الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، كان يفرد لها محاضرة خاصة بعد أن يعطل درسه في ذلك اليوم المتقدم على المناسبة، وسلوكه (رحمه الله) كان نسخة عن فكره الأخلاقي فكان نعم القدوة والأسوة الأخلاقية لتلامذته وكل اتباع مدرسته المباركة، وقد اشتهرت المدرسة الشيرازية في أوساط الحوزات والمجتمعات بتميزها الأخلاقي الكبير.

التكرار والتأكيد لانضاج المطالب

كان (رحمه الله) لا يحب تكرار المعلومات ويرشد إلى التجديد فيها ويؤكد على

الخطباء ذلك إلا أنه طرح إرشاداته وأفكاره الأساسية في كل مناسبة لغرض الانضاج والتأكيد وكانت قضية (الدولة الإسلامية الواحدة) من أفكاره الأساسية التي ناضل ونظر وكتب وخطب فيها كثيراً كان يضطر أحياناً للتكرار ما دامت الفكرة والنظرية لازالت قيد الضمور والنسيان.

وحيث كانت ترد عليه الوفود في المناسبات السنوية منها موكب كبير من العراقيين يرد على مكتبه في كل أربعين للإمام الحسين (عليه السلام) من كل عام وكان يلقي عليه خطاباً سنوياً مركزاً، فكان سماحة السيد (رحمه الله) يؤكد ويكرر منطلقات ضرورة الدولة الإسلامية الواحدة، فاقترح عليّ أحد مسؤولي الموكب أن أذكر سماحته لئلا يكرر، ففعلت!! فارتقى سماحته (رحمه الله) المنبر وقال: إن فضيلة الشيخ ناصر الأسدي يقول لي: لا تكرر الأفكار والرؤى! والحقيقة أن التكرار لازم لغرض الانضاج والتذكير والتأكيد فكم مرة كرر ربنا الآية (وَيُلِّمُكُمُ الدِّينَ) في سورة المرسلات المباركة، وكم كرر (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في سورة الرحمن، وكم مرة نكرر يومياً: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وتكلم حول ضرورة التكرار ولكن بمعلومات جديدة، فركز الفكرة في الأذهان، في نفس المناسبة التي طرحها قبل عام.

مسجد الإمام الرضا (عليه السلام)

هو مسجد كبير ومركز حوزوي هام تعقد فيه برامج التدريس التي يحضرها أحياناً حوالي ألف طالب حوزوي فاضل، يدرس السطوح العلمية العليا، أسسه السيد الراحل (رحمه الله) وكانت ولايته بيده وبعد بيد سماحة السيد المرجع (دام ظله) ويتبع المسجد جملة من المحلات التجارية والتوابع الأخرى ويقع بجنبه موقع مكتبة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

و حين أراد اخوتنا في الحسينية النجفية تجديد بناء حسينيتهم زاره وفد من كبارهم وطلبوا من سماحته (رحمه الله) تسليمهم المسجد لغرض إقامة الشعائر الحسينية، فاستجاب لهم سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وكان يحترمهم كثيراً، ولكن شرط عليهم: استمرار الدروس من الصباح إلى المساء كل يوم وإقامة صلاة الجماعة بواسطة فضيلة الشيخ سعيد السعيدى (دام عزه)(1) ومتى ما انتهى بناء الحسينية يرجع المسجد إلى أصحابه الأولين، تم الاتفاق على ذلك.

لكن استمر الواقع إلى اليوم منذ حوالي عشرين عاماً وإمام المسجد سماحة آية الله الشاهرودى والمسجد لازال بيدهم وحسينيتهم انتهى بناؤها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً.

وموقف سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وسماحة السيد صادق (دام ظله) هو مواصلة التعاون معهم وإبقاء هذه المؤسسة الكبيرة الهامة بيدهم وإن كانوا ناشطين في خطوط مرجعية أخرى، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «المسلمون كالجسد الواحد».

الاستخلاف

نحن ومذهبنا كله لا نرى ذهاب قائد وارتقاء ابنه أو أخيه سدة القيادة إلا في أئمة أهل البيت (عليه السلام) لورود النصوص المتواترة الخاصة. إلا أن المدرسة الشيرازية المباركة تنتج علماء كبار ومراجع دين أكفاء وتتوارث العلم والحكمة والأخلاق والتقوى وكل القيم السامية، لذلك نرى أن كل رمز منهم كفؤ كريم ويشار إليه بالبنان ويطبق أهل الخبرة على فقاھته وأعلميته وتقواه.

وسماحة السيد الراحل (رحمه الله) بما يمثله من علم غزير وتميز كبير نظر إلى هذه القضية نظرة اعتبار واهتمام، فكان السيد (رحمه الله) يرجع في احتياطاته أيام حياته إلى

ص: 348

1- أستاذ حوزوي وخطيب ومؤلف، من كوادر مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله).

أخيه سماحة السيد المرجع (دام ظلّه) وبعد رحيله عثر في أوراقه على وثيقة اجتهاد متميزة لأخيه الصادق (دام ظلّه) وأنه الجدير بالفتيا والمرجعية وهذا معناه حسب مبني سماحة السيد (رحمه الله) أن أخيه في رأيه أعلم من الفقهاء الذين يعرفهم سماحته (رحمه الله) حيث إنه يرى الوجوب الاحتياطي في تقليد الأعلام، فلو وجه إلى أخيه معناه: أنه الأعلام في الساحة المرجعية. والحقيقة أن هذه المدرسة المباركة بما تحت مظلتها القيادية مئات من المؤسسات الهامة وملايين المقلدين، فمن أولى بالتصدي لإدارتها من أخيه؟! فأولى (رحمه الله) هذه القضية أهمية خاصة كما أنه كان يمثل في التعامل مع المرجعيات والرموز والكل مطبقون على كفاءته ولياقته لنظام المرجعية الحساس.

نبذة تعريفية عن الشيخ ناصر الأسدي

ولد سماحة الشيخ الأسدي في كربلاء المقدسة وذلك عام (1955م)، نشأ وتربى في هذه المدينة المقدسة، دخل في مدارسها حيث أنهى الثانوية الأكاديمية، وبعد ذلك التحق بالسلك الحوزوي حيث درس على يد كل من الشيخ جعفر الرشتي الأدب العربي، وعلى يد السيد محمد علي الطبسي الفقه، وعلى يد آية الله العظمى الإمام المجدد الراحل السيد محمد الشيرازي (أعلى الله مقامه) درس لديه الفقه ومقداراً من الأصول، ودرس لدى السيد المرجع آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) بعضاً من الفقه والأصول في بحث الخارج.

الهجرة إلى الكويت

في عام (1975م) هاجر كربلاء المقدسة متوجّهاً إلى الكويت حيث التحق بحوزة مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي أسسها الإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (أعلى الله مقامه).

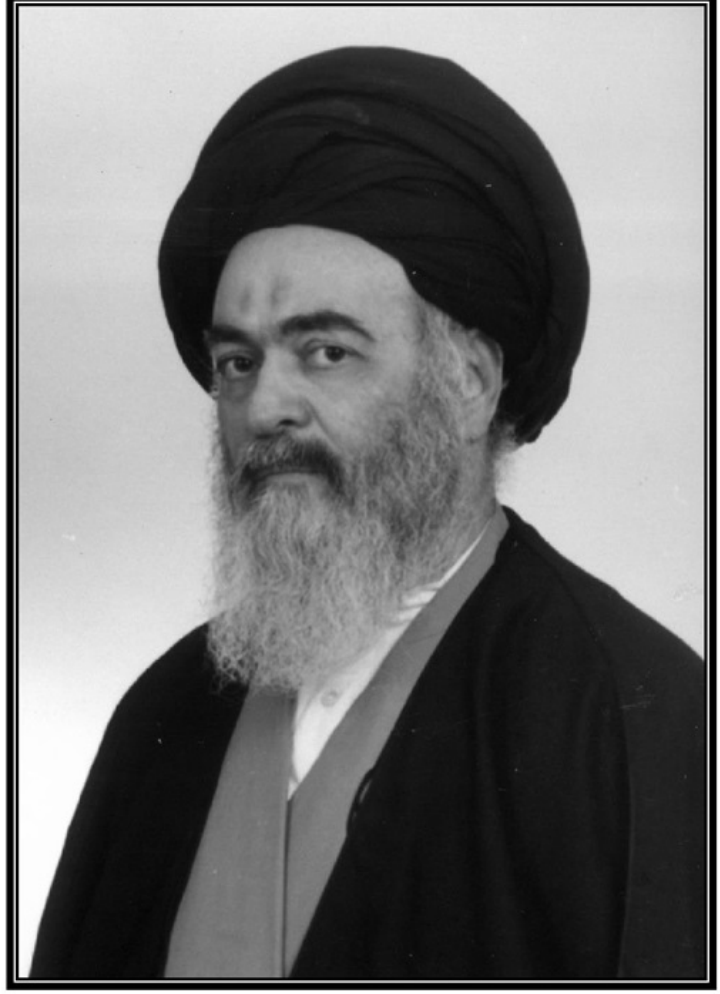
في قم المقدسة

في عام (1980م) التحق بحوزة قم المقدسة حيث درس على يد كل من الإمام الراحل (رحمه الله) والسيد المرجع (دام ظله) وعلى يد آية الله الشيخ الاعتمادي كتاب الرسائل، وحضر بحث الخارج عند الشيخ الوحيد الخراساني (دام ظله)، وحضر في الأدب العربي عند المرحوم الشيخ محمد علي المدرّس الأفغاني.

وفي عام (1992م) انتقل إلى سورية حيث التحق بالحوزة العلمية الزينية المباركة، ودرّس فيها أستاذاً في مادة الفقه كتاب (المكاسب المحرمة والخيارات)، وشرح (مختصر المعاني)، إضافة إلى تأسيسه للحوزة الزينية القسم النسائي وذلك بمعية عائلته، وكان سماحته المشرف العام على (مضيف الحوراء زينب (عليها السلام)).

العودة إلى العراق

انتقل بعد سقوط النظام البائد إلى العراق وبالأخص إلى مدينة كربلاء المقدسة حيث يعمل مدرّساً وعضواً في مكتب السيد المرجع آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله)، ومشرف على الحوزة النسائية ومركزها (مدرسة حافظات القرآن الكريم).



إشارة

الصورة



ربما كان هذا الحوار فيه الكثير من الجرأة، وهي لا تنفصل عن شخصية صاحبها، المعروف عنه نقده الصريح لكنه الحقيقي والواقعي تجاه الكثير من القضايا التي يتطرق إليها في مجالس خطبته من على المنبر، أو في لقاءاته مع الآخرين.

وهو حوار أيضاً فيه الكثير من المراجعة ونقد الذات، بحكم الأحداث التي عاصرها صاحب الحوار، أضيفت إليها خبرة متراكمة ونضج بحكم السنوات، مع تراجع للحماس والرومانسية الثورية التي قادته في فترة من عمره إلى سجن الفضيلية في العراق.

وهو إذ يقوم بعملية المراجعة ونقد الذات لا ينفصل عن الكثير من الشخصيات والأسماء التي ترد في حوار، إنه يقوم بعملية المراجعة ليس من خلال ذاته وحدها، بل وهو الأهم، من خلال ذوات الآخرين..

لا يعني هذا، إن عملية المراجعة والنقد الذاتي يمكن أن نطلق عليها أحكامنا القيمة بالصحة أو الخطأ، بالحق أو الباطل، يكفي أنها خطوة فيها من الشجاعة الشيء الكثير.

وهي الشجاعة التي تعلمها من الإمام الراحل (رحمه الله)، وبقي مثابراً عليها، شجاعة الموقف والقرار..

أئمة جعلهم الله هدى للناس واستدلالاً لطريق الحق يرفعون الظلم عن رعاياهم ولكن ظلموا من قبل رعاياهم، إنهم أئمة البقيع (عليهم السلام) ظلموا إحياء وكان باستطاعتهم إن يجعلوا الكون مسخراً لهم بإذن الله لكن أبوا ذلك وظلموا في قبورهم.

* ما هي تحركات الإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (رحمة الله عليه) بالنسبة إلى إعادة أعمار قبور أئمة البقيع؟

* وماذا كان يحمل من هموم عندما كان يعيش ذكراهم؟

- استطيع القول بأن السيد الشيرازي (رحمه الله) هو أول وأكثر من دافع عن أئمة البقيع (عليهم السلام) ووقف موقفاً حازماً أمام الحكم السعودي وكان يتوسط حسب إمكانياته ويتحرك خارجياً وداخلياً، حتى عندما كان في داخل العراق وفي مناسبة ولادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، كربلاء المقدسة تصبح عروساً في نشاطها، وهذا من بركاته ونفحاته، والاستقبال الكبير الذي كان يعقد في كربلاء المقدسة وكان يدعى له حتى السفراء، أصبح مؤتمراً بجهوده (رحمه الله) وتوجيهاته طبعاً.

* ما هو المؤتمر الخاص بولادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)؟

- هو حفل كبير ويدعى إليه السفراء مع شخصيات أخرى كبيرة، هؤلاء كانوا يحضرون ويلقون كلمات بهذه المناسبة، أمثال ذلك الشيخ الطيب الذي لا

يزال اسمه معروفاً صاحب كتاب (أبو طالب مؤمن قريش) (1) والذي حكموا بقتله.

كنت أشاهد هذه الأجواء وكيف كانوا ينصبون تماثيل رمزية، كانوا ينصبون مجسماً للكعبة وهناك ساحة ترمز لقبور أئمة البقيع (عليهم السلام) ولافتات يكتب عليها (نطالب بتعمير قبور أئمة البقيع (عليهم السلام)).

وأنا في عقيدتي وحسب علمي، أكثر الذين دافعوا بالإمكانات التي كانت لديه هو السيد الشيرازي (رحمه الله) وكان حلمه أن يعاد البناء ومن همومه هو بناء قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) فلم يقصر بحسب إمكانيته.

نظرة عالمية

* ماهي علاقة الإمام المجدد (رحمه الله) بالديانات والمذاهب الأخرى؟

* وكيف كان يوجه طلبته وأبناءه ومقلديه بخصوص هذا الموضوع؟

- السيد الشيرازي (رحمه الله) كان دقيقاً في كل أعماله، بمعنى أنه عندما يواجه مذهباً أو ديناً، يواجهه بعقلانية لا بتهور، وما كان يجامل على حساب عقيدته.

طبعاً هو ينظر للإسلام نظرة عالمية كما هو حال الإسلام: (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ) (2)، الإسلام في هذه الآية يضع خيمة تحتها الإنسان، فالملتقيات الإنسانية يدعو إليها السيد الراحل (رحمه الله) مع كل الأديان والمذاهب، وفي

ص: 357

1- العلامة الشاعر الشيخ عبد الله الشيخ علي الخنيزي، هو من الرواد الأوائل، والركائز التي ارتكزت عليها الحياة الفكرية والأدبية الجديدة في القطيف، وانطبع بأسلوب يميزه بطابع منفرد ينم عليه.

2- سورة الحجرات: 13.

نفس الوقت يكشف في كتبه التحريفات التي أحدثت في هذه الديانات، حول اليهود عنده كتاب (هؤلاء اليهود) وعنده (برتوكولات صهيون) وعنده (ماذا في كتب النصارى)، فهذه حقائق كان يذكرها ليحذر المسلمين منها، لأن اليهود وقعوا في خطأ أكبر من النصارى، وهم أبعد عنا من النصارى، السيد الشيرازي (رحمه الله) لم يترك شيئاً في هذه المجالات إلا وكتب عنه فموقفه خصوصاً من اليهود هو التحذير من خطرهم وكان (رحمه الله) يبين الدقائق في أمور اليهود وخطرهم العالمي، ومنذ كنت طفلاً كنت أسمعته يقول هذه المعلومة المعروفة (إن اقتصاد العالم تتحكم به اليهود) يعني الصهيونية، الكونكرس الأمريكي 70 (عليهم السلام) يهود ولذلك رئيس الجمهورية لا يفوز إلا أن رضي عنه اليهود.

* تطرقتم إلى أن اقتصاد العالم بيد اليهود، فهل كان هناك مؤلف أو توجيه أو مشروع لدى الإمام الراحل (رحمه الله) حول تغيير هذا الواقع وإنهاض الأمة الإسلامية أو إخراجها عن إن يكون اقتصادها بيد اليهود؟

- من المؤكد ذلك .. فكان يطرح هذه القضية ويحدد دائماً الإمكانات عند غيرنا سواء أكان عدواً أم صديقاً أم محايداً، ماذا كان هدفه من ذلك؟ ليس هدفه أن يعطي معلومة مجردة، بقدر ما هدفه أن يقول نحن يجب علينا أن نفعل ذلك أيضاً، لأننا نحن لدينا طاقات ونملك اقتصاداً وإمكانات جغرافية.

إن الله جعلنا أمة وسطاً يحتاج إلينا الشرق والغرب، بإمكاننا أن نكون أغنى من اليهود. فهو عندما يطرح هذه الأمور يريد أن يبين أو يوجه الشيعة أن يكونوا ذوي اقتصاد قوي، لأن الاقتصاد هو أساس القوة، فكان يطرح اقتصاداً مستقلاً عن الاقتصاد العالمي، ويظهر ذلك بوضوح في كتبه الاقتصادية، ومحاضراته القيمة.

* هل مثل هذه الأمور التي كان يطرحها هي التي دفعت بعض الجهات إلى اتخاذ الموقف السلبي تجاه السيد الراحل (رحمه الله)؟

- من المؤسف عندما قام البعثيون بانقلابهم في العام 1968م (1)، عادوا بوجه منافق غير ذلك الوجه الواضح والفاضح والذي كانوا عليه في العام 1963م (2)، وعملوا ما عملوا، ويتذكر العراقيون في ذلك الوقت ماذا كانت تفعل مقرات الحرس القومي (3)، وكيف كانت تعتدي على الأعراض والنساء، وقضى عليهم عبد السلام عارف (4) ولكنهم عادوا في 1968م بوجه آخر. وطبيعة شعبنا أنه عاطفي خصوصاً في قضية الشعائر، وهم يعرفون كيف يدغدغون مشاعر الناس، فلما جاءوا فاجؤونا ببث القراءة الحسينية في التلفاز والإذاعة، ولكنهم في أيامهم تلك، كان أول عمل قاموا به هو محاولة ضرب المرجعيات ببعضها، لأنهم يرون إن أخطر شيء، وإن الخطورة الأساسية ستأتيهم

ص: 359

- 1- قامت هذه الثورة في شهر تموز - يوليو من عام 1968، حيث تم الاطاحة بنظام حكم الرئيس عبد الرحمن عارف في العراق، وتولى حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة بما يعرف بالثورة البيضاء بقيادة أحمد حسن البكر، ونائبه صدام حسين.
- 2- انقلاب 8 شباط 1963 أو ثورة رمضان، وهي حركة مسلحة أطاحت بنظام حكم رئيس الوزراء في العراق العميد عبد الكريم قاسم.
- 3- مليشيات تابعة لحزب البعث شكلها عام 1963 بعد انقلاب 8 شباط 1963 التي قادها حزب البعث وقد وفر لها غطاءً قانونياً، بإصداره قانون الحرس القومي رقم (35) لسنة 1963 بتاريخ 18/5/1963 باعتباره على رأس السلطة.
- 4- الرئيس الأول للجمهورية العراقية وثاني حاكم أو رئيس دولة أثناء النظام الجمهوري، سبقه الفريق نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة.

من قبل المرجعيات.

* وهل نجحوا في ذلك؟

كلا، فغالبية المراجع ليس لديهم تقصير لكن قد يكون هناك قصور في بعض الأجهزة لتبنيهم ماذا يحدث.

والشيء بالشيء يذكر، لما قام البعثيون في حقبة السبعينيات بالتسفير⁽¹⁾ كان همهم الأكبر هو السيد محسن الحكيم (رحمه الله) حيث كانوا يرتجفون من اسمه، فاعترض السيد الشيرازي (رحمه الله) على التسفير، وانتقل السيد الحكيم (رحمه الله) من النجف الأشرف إلى الكاظمية المقدسة احتجاجاً على هذه القضية (وهذه القضية يذكرها الشيخ الكوراني بمناسبة استشهاد السيد الصدر (رحمه الله)، حيث قال: جاء السيد الحكيم عام 1969م إلى الكاظمية كاحتجاج على البعثيين، وقد جاء قياديون في حزب البعث يطلبون رضاه فطالب السيد الحكيم بأمرين:

الأول: الإفراج عن السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) .

الثاني: الإفراج عن طبيبه الخاص السيد شبر.

فأجابوه - ذكرها الكوراني - بأنه ثبت لديهم إن هؤلاء جواسيس. فسكت السيد الحكيم (رحمه الله) وخرج.

وفي الواقع إن اتهامهم السيد حسن (رحمه الله) بذلك يعني اتهام جميع العلماء

ص: 360

1- لم تقتصر عقوبات الفرد العراقي من التبعية الايرانية على فقدان الجنسية حيث اشتملت على التسفير، وعلى مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة، وعلى السجن للرجال من اعمار معينة، وفي أحيان أخرى شملت حتى الاختفاء عن وجه الأرض. حصل التسفير بموجتين، الأولى في أوائل السبعينات، وقد رعد الأشخاص الذين تم تسفيرهم بين 20000 إلى 30000 شخصاً. أما الموجة الثانية فحصلت في 1980.

والمراجع بما فيهم السيد الحكيم (رحمه الله) وبعد ذلك قال السيد الحكيم (رحمه الله) : (أنا لا أريد أن اصطدم بالبعثيين)، كما نقل نص كلامه الشيخ الكوراني، ولم يكن ذلك إلا لرؤية السيد الحكيم (رحمه الله) ، وهو الذي قد حطم الشيوعيين (1) بفتواه.

والذي كان يشغل بال البعثيين هو ضرب المرجعيات، وبدءوا في كربلاء المقدسة، لأن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان نشطاً وهم يعرفون كيف يقومون بأعمالهم.

كان هناك شيخ يصرف له السيد الشيرازي (رحمه الله) عشرة دنانير شهرياً مع أنه كان يكبر السيد بحوالي أربعين عاماً، ورغم أنه حضر لديه درساً في المقدمات، وكان الراتب ضخماً لأن راتب طالب العلم آنذاك هو دينار واحد شهرياً، لكن السيد (رحمه الله) كان يصرف له عشرة أضعاف لأسباب متعددة، المشكلة لم تكن مشكلة ذلك الشيخ فقد كان بسيطاً غاية البساطة، بل مشكلة ابنه الذي ضغط على والده مما أدى إلى أن يحصل البعثيون على كتابة له ضد السيد الشيرازي (رحمه الله) فأصبحت مستمسكاً للآخرين.

ص: 361

1- كما يذكرها الإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) : في عهد عبد الكريم قاسم عندما طغت الشيوعية في كربلاء المقدسة اجتمع الوالد (رحمه الله) مع السيد الحكيم والسيد الخوئي، وكان آنذاك مرتبطاً ببعض الجبهة العلمية في النجف الأشرف. اجتمعوا وقرروا إصدار فتوى ضد الشيوعية فصدرت الفتوى المشهورة وهي: (الشيوعية كفر وإلحاد)، ونشروا هذه الفتوى في كافة أنحاء العراق - ولهم صورة في بيت الوالد (رحمه الله) - وبعد صدور الفتوى وانتشارها قرر الشيوعيون اغتيال مائة وأربعة عشر شخصاً وكان من جملة أولئك الوالد (رحمه الله) حيث كان له الدور المهم في محاربتهم بالفتيا والتحريض ضدهم، كما كنت أنا من جملتهم حيث كنت أقوم بنشاط كبير؛ لكن الله لم يوفقهم لتنفيذ مآربهم. نعم قتلوا بعض الاشخاص. ومنذ ذلك اليوم أصبح لكربلاء المقدسة دور مهم في محاربة الانحرافات التي حفت بالعراق.

وأنا عندي معلومة تفيد بأن السيد محمد صادق القزويني(1) عندما ذهب إليهم وقابلهم ليناقشهم في الموضوع، قالوا له: اذهب وقل للسيد الشيرازي (رحمه الله) أن لا تطرح نفسك للمرجعية (هذه أمور يجب أن تذكر لتوعية الأجيال بالمستقبل).

وعندما اشتد عود السيد الشيرازي (رحمه الله) وانتشرت مرجعيته، اشتدت تلك الهجمات، وتبين فيما بعد أن أحد الأبناء كان خلف تلك الهجمات وقد انتبه إلى ظلمه الكبير تجاه السيد الراحل (رحمه الله) وصرح وهو في سوريا: (نحن من ضغطنا على الوالد، وسوف اعتذر من السيد الشيرازي) وكان مدير أعماله في السجن معنا وذكر نفس القضية، فالمخابرات كانت تضغط.

هذه بأمانة يجب أن تكتب للتاريخ.

ومثل هذه الصراعات في المحصلة النهائية أحد الأسباب لهدر طاقات الشيعة.

المهم إن السيد الراحل (رحمه الله) كان عملاقاً بطلاً، وجبلاً شامخاً، ووقف أمام تلك الهجمات والأعاصير العاتية بكل هدوء وعقلانية وصبر، وكذلك الحكومة الإيرانية التي حاربت بقتوتها، فوقف شامخاً ومرت عليه ظروف صعبة في إيران،

ص: 362

1- السيد محمد صادق بن محمد رضا بن محمد هاشم القزويني. هو رجل دين شيعي. ينتسب لعائلة (القزويني) التي سكنت في كربلاء المقدسة منذ أكثر من مئتين وخمسين سنة، ووالده هو السيد محمد رضا القزويني الذي كان من رجال الدين المجتهدين الذين يحملون لقب (آية الله)، وكذلك جده محمد هاشم الذي كان أحد مراجع الشيعة في وقته. ويعد من مشاهير رجال الدين الذين اشتركوا في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني، وكان له أثر لا يستهان به في تحريض العشائر العربية المجاورة لكربلاء المقدسة، للمشاركة في العمل الجهادي ضد الإنكليز.

لكنه صبر بإرادته العجيبة؛ والأعجب ما فيه هو صبره وعزمه وعدم انفعاله وكأنه لم يحدث شيء، هذه جوانب من تلك الهجمات بحسب علمي وأنا عايشتها وكنت شاهداً عليها في تلك الفترة، ولا يخفى أن هذه القضية لا تنطلي حتى على طفل صغير.

وأذكر أن السيد الراحل (رحمه الله) عندما قام بمشروع حفاظ القرآن الكريم في كربلاء المقدسة، كانوا يأتون إليه من سائر المدن ليأخذوا معلومات عن كيفية إنشاء مثل تلك المدارس.

وهذه من المفارقات، لأن الفعل ليس بالكلام وهم قد شاهدوا السيد الشيرازي (رحمه الله) كيف قام بهذه المشاريع والأعمال، فالسيد (رحمه الله) لديه إدارة، وهم لا يملكون الخبرة بهذه الأمور، لذلك لا تتعجب.

والمهم ولو بعد حين، تبينت الملابسات وتوضحت الحقيقة، نحن لا يهمنا ذلك فمن حقكم أن تسألوا وتتعبوا وليس هناك عجب بعد أن شاهدنا نتائج هذه الأمور التي يقال أنها قد حدثت قديماً بين البعض، فيلزم إجراء التعديل على النظام الموجود، بأن تحكم التعددية الحقيقية و يجب أن يكون الكل تحت خيمة واحدة، لتكون الأمة في أمان ومنيعة، ولا تتمزق كما تمزقت اليوم، ونعود إلى العهد الذي كان أمثال الشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) والسيد محمد حسن الشيرازي (رحمه الله) يهزان الحكومة البريطانية كما أن السيد الحكيم (رحمه الله) على زهده هز حكومات.

* لماذا لم تكن هناك إجراءات متخذة بخصوص الهجمات على الإمام الراحل (رحمه الله)؟

- ماهي الإجراءات التي يمكن أن تتخذ من الناحية الشرعية سوى الاعتذار والاستغفار؟!

ليس لدينا قوة على أحد. حتى لو لم يعتذر المسيبون لكل تلك الاتهامات، فإن السيد الشيرازي (رحمه الله) معروف بأخلاقه يسامح حتى من يسبه بدون إن يصل إليه ويعتذر، فهذه هي أخلاقه.

اسباب التشكيك

* لماذا برأيك التشكيك بالإمام الراحل (رحمه الله)؟

* ولماذا لم يحضر أحد اولئك الذين مارسوا التسقيط إلى الإمام الراحل (رحمه الله) ليناقشه أمام الملاء العام؟

- إن السيد الشيرازي (رحمه الله) قد عرفه البعثيون وهم كانوا يعرفون مكنن الخطر، لذلك استهدفوا العلماء النشطين الواعين، كل واحد بطريقة، ومن الطرق التشكيك بشخصيتهم وضرب بعضهم ببعض بهذه الطريقة التي ذكرناها في بداية الحديث، إذا لم يسقطوهم لن تنفذ مخططاتهم، وعندما يبدأ مرجع بمخالفتهم فانهم يخنقوه في المهدي.

أنا ذكرت بعض الأساليب، فعندما دخلت المخبرات على الخط اختارت ضعاف النفوس والمتعلقين بالدنيا، وإلا إذا كانت قضية مبدئية لا يحدث هذا حتى لو قتل.

ذكرت لك عندما اخترقت المخبرات هذه الأجواء التي خلقت بها الأجواء ضد السيد الراحل (رحمه الله) فهل هذا حدث بشكل إجباري أو عن طريق آخر المهم أنها حدثت.

بعبارة أخرى هناك حقيقة الشي وهناك صورة الشي كحقيقة الأسد وصورة الأسد، فكلامنا هو إننا (نريد حقيقة الأسد).

ما أريد قوله هو إننا بشكل عام كشيعة أو كمسلمين عبارة عن نظام مقابل

اللا- نظام، لماذا نحن لا نتجه إلى التنظيم «أوصيكمما ... ونظم أمركم» (1) ونحن نسمع حتى كلام أئمتنا (عليهم السلام) تحت على هذا الشيء؛ مثل هذه الإفرازات سببها اللانظام، واللا تنظيم الذي يحكمنا، فلا بد وأن نغير المسار، فكل شي إلى التقدم ماضياً فلماذا نبقي ساكنين؟

كل من أراد التجديد وقفوا ضده مع أن باب الاجتهاد مفتوح، ألا يجدر أن يعالج كل مشكلة كغزو الفضاء وغيره واسئلة حول زراعة الجنين وغيرها من الأمور الفقهية والمصيرية، وكذا الأمور المرتبطة بمصير الأمة التي تحاك من ورائها المؤامرات القضية هكذا هي منذ سبعين عاماً، نظام مخابرات دقيق يمتلك الإمكانات لأن يصل إلى غرفة أي شخص يعيش وسط الفوضى واللا نظام، إذن هذه القضية بسيطة فأنتم عندما تسألون عن السبب فهو واضح.

* فهل نستطيع القول بأنه إذا وجدت مرجعية واعية والتي تقدر الأمور بقدرها وتعيش زمانها فهي محاربة من تلك الجهات ؟

- الإنسان مهما بلغ فهو غير معصوم هوى النفس موجود والمعصومون معدودون، إنها النفس الأمارة بالسوء وهي أمام مغريات الدنيا.

فمثلاً عندما عرض المشركون على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا إذا أراد زوجة زوجته أفضل النساء وإن أراد جعلناه ملكاً، وإن أراد مالاً أعطيناه.

فهذه الظاهرة قد كافحها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال: «لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه» (2)، فهذا المنهج يريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ليس موجوداً لدى الكثيرين

ص: 365

1- نهج البلاغة: باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ... ووصاياهم لأهلهم وأصحابه، من وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن مجلم لعنه الله، 47.

2- بحار الأنوار: ج9 ص143.

لأنهم يخشون على أنفسهم من السجن والقتل فيجدد بهم أن لا يخشوا ذلك، كما أن الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ضحوا لأجل الدين.

اللامركزية في العلم

* لو نأتي مثلاً للمدارس الأكاديمية في العراق وعاصمته بغداد هل يقتصر العلم على بغداد فقط، دون انتشاره في أماكن أخرى، أم يجب أن ينتشر إلى تلك الأماكن؟

- هذه مسألة بديهية، الصغير يفهمها قبل الكبير، العلم لا يقتصر على مكان محدد، بل بالعكس فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد لطالب العلم أن يهاجر، فمن أقواله المشهورة التي ينسب إليه: «أطلب العلم ولو كان في الصين».

فتصور اختصاص العلم بمكان دون آخر تصور عاطفي تقليدي ما أنزل الله تعالى به من سلطان فهو دليل على الضعف والتمزق.

والفوضوية التي نعيشها مسألة دنيوية، ترتبط بحب التسلط والزعامة، هذه حال الدنيا فالملك عقيم، البعض ينظر إلى المرجعية كتسلط وملك! ولكن ليس الأمر هكذا، فالمرجعية خدمة للدين وكل أمر يرتبط برجال الدين يجب أن يكون هكذا مثلاً الشيخ عبد الزهراء الكعبي (1) هو كان يتمنى من أعماق قلبه أن يكون فرداً خادماً للإمام الحسين (عليه السلام). والمرجع بطريق أولى يكون كذلك.

فعندما يرى مرجعاً نشطاً فعلياً أن يبعث إليه ويتشاور معه، ويستفيد من آرائه وأفكاره ونظرياته، فهل للعمر علاقة في هذا الموضوع؟

وعلى ما أتذكر أيام الأعياد كان يحدث اختلاف، ففي أحد الأعياد قد ثبتت

ص: 366

1- يعد من أشهر خطباء المنبر الحسيني في العراق ودول الخليج. وهو أول من أحسن قراءة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم العاشر من المحرم وقراءة مسير السبايا في يوم الأربعاء.

رؤية الهلال عند السيد الشيرازي (رحمه الله) بينما لم تثبت لدى السيد الحكيم (رحمه الله) ، فلم يصل السيد الشيرازي (رحمه الله) صلاة العيد في الصحن احتراماً للسيد الحكيم (رحمه الله) لأنه لم يثبت لديه العيد، هذه هي الأصول المطلوبة (احترام العلماء) خاصة المرجع الأعلى كالسيد الحكيم (رحمه الله) ، وبعد ذلك ثبتت الرؤية في الناصرية لدى أحد وكلاء السيد الحكيم (رحمه الله) ، نعم هكذا كان يتعامل السيد الشيرازي (رحمه الله) .

أنا أقول كان السيد الشيرازي (رحمه الله) يقدم خدمة للناس، فاطلعوا على ما لديه من قضايا، لكن توضيح الواضحات من أصعب المشكلات.

الموقف تجاه عبد الكريم قاسم

* هذا حديث ذو شجون.. تعاقبت الحكومات العراقية على اختلاف توجهاتها مع فترة ظهور سماحة الإمام الراحل (رحمه الله) على الساحة، ماذا كان موقفه اتجاه حكومة عبد الكريم قاسم (28)؟

- أريد أن أكون صريحاً وغير عاطفي بحكم الضمير والمسؤولية، إن السيد الشيرازي (رحمه الله) كان في بداياته حتى قبل أن يعلن مرجعيته قد عارض علناً عبد الكريم قاسم رغم بعض الإيجابيات فترة حكمه، فهو خلال فترة حكمه لم يستغل منصبه في جمع المال وأتاح للناس امتلاك البيوت والبناء والإعمار، وهو لم يكن يمتلك بيتاً، وكذلك احترامه للعلماء وقد ذهب إلى السيد الحكيم (رحمه الله) حيث يرقد في المستشفى وقبل يده، وأذكر عنها أيضاً حين كنت طالباً في الصف الخامس الابتدائي في الكشافة زارنا عبد الكريم قاسم وهو يركب سيارة صفراء مكشوفة ويحیی الجماهير بيديه، جاء لزيارة الامام الحسين (عليه السلام) من باب الشهداء وهو حافي القدمين وقبل الرصيف ودخل.

ولكنه أخطأ حيث غير أحكام الإسلام وخاصة في الأحوال الشخصية

والضرائب وغير ذلك.

والسيد الشيرازي (رحمه الله) كان قد ذهب إليه كما ذهب السيد مرتضى القزويني للقائه في بغداد، ليطرحوا عليه هذه القضايا.

الصورة



وهناك قصة معروفة حدثت وهي إن السيد مرتضى لم يأكل من المأدبة التي

أقامها عبد الكريم ، وعندما سأله عن سبب عدم أكله، أجابه قائلاً: إن هناك قضايا غير جائزة من ضمنها قضية الضرائب.

* زاره الإمام الراحل (رحمه الله) في بغداد، فهل طرح عليه هذه الأمور؟

- إن السيد الراحل (رحمه الله) لم يكن يجامل في أموره فقد ذهب إليه لينصحه، فلما رأى عدم الفائدة في ذلك بدء بمعارضته جهاراً وأنا أتذكر إنه تهجم عليه في كثير من كتبه.

أنا أنظر إلى تلك المسائل من واقع كوني إنساناً شاهداً على الكثير من القضايا، فالسيد الشيرازي الراحل (رحمه الله) كان وقتها في سن دون الثلاثين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إنه عملاق، وأنا اعتقد أن السيد الشيرازي (رحمه الله) لو كان في غير تلك المرحلة الزمنية، وكان هو المرجع الأعلى، أقنع عبد الكريم على تغيير القوانين.

الحوزة بعد رحيل الامام الشيرازي (رحمه الله)

* فضيلة الشيخ لكل زمان رجال وهناك رجل لكل زمان، سؤالنا هو كيف وجدتم الحوزة بشكل خاص والحوزة الدينية بشكل عام بعد رحيل السيد الإمام

* هل حدث هناك فراغ، إذ من المعلوم أن كل رجل عندما يرحل يترك فراغاً بعد رحيله، وهل كان هناك مثل تلك الحالة؟

* وهل تعتقد أنه يوجد أحد لسد هذا الفراغ بعد رحيل الإمام الراحل (رحمه الله) ؟

- قلت سابقاً إن مرجعية الإمام الراحل (رحمه الله) قد ثبتت من خلال تلك الفترة التي عاشها، وأنها مرجعية واعية، وبسبب ذلك ضربت الحوزة في كربلاء المقدسة من قبل البعثيين.

إن السيد الشيرازي في عام 1963 كان لديه ألف طالب في كربلاء المقدسة يربهم ويبحث فيهم الحيوية والحركة لتبليغ الدين.

والآن في هذه السنوات بعد العام 2003 عادت الحوزة إلى الظهور مجدداً، لكنها ليست على ما كان يطمح إليه السيد الراحل (رحمه الله)، فالفراغ الذي تركه السيد الشيرازي (رحمه الله) لا يمكن سده وهذا هو الامتحان بين مغريات الدنيا والقبض على جمرة الدين.

* ذكرتم وجود ألف طالب في زمان الإمام الراحل السيد الشيرازي (رحمه الله) على الرغم من تلك المضايقات وتلك الظروف الصعبة، واليوم بعد سقوط النظام البعثي نجد أن العدد أقل فما هو السبب في قلة نسبة الطلاب؟

- هناك أمر حقيقي يجب الالتفات إليه، وهو لا بد أن تكون كل الحوزات مرتبطة ببعضها وهذا شيء إيجابي إذا كان الهدف من ذلك هو الخدمة للمذهب ويجب إن يكون التنسيق فيما بين تلك الحوزات، وعلى أقل تقدير يجب أن يكون هناك مشاوره في جميع الأمور (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [\(1\)](#) فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعظمته كان يشاور أصحابه، فهذه هي الشورى التي يحث عليها الإسلام. فالشورى بالحكم

واضحاً قال تعالى: (أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (1) بالنسبة لقضايا المعصومين بالنص.

أما المراجع فيتشاورون فيما بينهم، أو يؤسسون مجلس شورى الفقهاء الذي طرحه السيد الراحل (رحمه الله) في كتابه وكان يمثل الحل الأمثل للأمة فإذا اتبعوه فلا يخترقون.

فالمفروض أن يكون هناك اجتماع دوري أو أسبوعي لمناقشة أمور الأمة. ولذلك هذه الحالة يجب أن تكون ممتدة على مستوى الخطباء، ويجب أن يؤسسوا مجلساً أو نقابة أو يحددوا لقاءً معيناً ليناقشوا فيه على أقل السبل ما سيتناولوه في مجالسهم في شهر محرم وما هي المواضيع المهمة التي تتطلب أن تثار.

الموقف من الثورة الإيرانية

* ما هو موقف الإمام الشيرازي (رحمه الله) من الثورة الإيرانية؟

* ولماذا تغير موقفه بعد انتصارها؟

- هذه هي سبب النازلة إن صح التعبير، كل الناس تعرف موقف السيد الشيرازي (رحمه الله) من الثورة.

قبل انتصارها وبعده، فحينما ثار السيد الخميني عام 1963 كان قد حكم عليه بالإعدام في عام 1963 وكان موقف السيد شريعتمداري (رحمه الله) معارضاً لمثل هذه العقوبة حيث قال: إن المجتهد لا يعدم، وكذلك كان موقف السيد الشيرازي (رحمه الله) لا يختلف عن موقف السيد شريعتمداري، ونتيجة لهذه المواقف لم يتمكن الشاه من إعدام السيد الخميني لكن تم نفيه إلى تركيا.

وعند مجيئ الخميني إلى كربلاء المقدسة خرج السيد الشيرازي (رحمه الله)

ص: 370

لاستقباله إلى المسيب، وكان السيد الشيرازي (رحمه الله) في الثلاثينيات من عمره، وناصر الثورة وآزرها، ولما انتصرت الثورة هاجر إلى إيران، فزاره السيد الخميني، وطرح عليه السيد الشيرازي (رحمه الله) في تلك الزيارة مشروع شوري الفقهاء.

الصورة



بمعنى أن يجتمع المراجع ويتداولوا الأمور ثم يقرروا القرارات المصيرية بأكثرية الآراء وهذا لا ينافي كون أحدهم المسؤول التنفيذي، فمثلاً لو كان مجلس شوري الفقهاء مطبقاً في إيران لأمكن تجاوز حتى الحرب الإيرانية - العراقية التي كلفت الطرفين ثمناً عالياً حيث إنه بعد أن استرجعت إيران أراضيها أراد صدام إيقاف الحرب وتعويض خسائر الحرب، لكن إيران رفضت مع أن أكثر المراجع كانوا مع إيقاف الحرب، فمثلاً السيد القمي (رحمه الله) الذي احتجزوه في بيته، كان قد عرض عليهم هذا الحل، كما هو الحال في العشائر إذا تخاصمت عشيرتان وجرت بينهما دماء فإن الحل الأنسب هو الدية وبذلك تحل النزاعات بين الطرفين. وكذلك السيد الشيرازي (رحمه الله) وغيرهما من المراجع العظام.

سلسلة المحن

* شيخنا العزيز تكلمنا عن الكثير من المحن التي عاشها الإمام الراحل (رحمه الله) في فترات مختلفة من حياته، وهناك محن كبيرة كانت داخل العراق، ماهي برأيكم أكثر هذه المحن شدة التي تحملها الإمام الشيرازي (رحمه الله) في العراق؟

- لعل أهم محنة هي مجئ البعثيين عام 1968م، وأول سلسلة المحن التي

عاشها بسبب ذلك، هي اعتقال أخيه الشهيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) لأنه أول رجل دين كانوا يحسبون له حساب، لماذا؟ لأنه (رحمه الله) كان سياسياً وثورياً ومنذفعاً، بينما كان السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) سياسياً ثورياً عقلائياً، هذا يعني أن السيد حسن (رحمه الله) كان أكثر حرارة، ولأنه كان في كل احتفال سنوي يلقي عدة قصائد تهاجم البعث.

وأتذكر من هذه القصائد بيتا يقول فيه:

داسوا عفاف المحصنات لأنهم***لقطاء لم تحفظ لهم آباء

وقال في حق ميشيل عفلق:

أبوه جاء لسوريا مستعمراً***والأم فارسية عجماء

ففي كل سنة كانت له قصيدة على هذه الشاكلة، ويقال إنه عندما سجن السيد حسن (رحمه الله) كان عفلق بنفسه يشرف على تعذيبه وكان يطفئ السكاثر في وجهه والسيد حسن (رحمه الله) من القلائل الذين ثبتوا وهو القائل:

واسحق جباه الملحدين مرددا***لا السجن يرهبني ولا الإعدام

ذهب إلى السجن وفؤاده مثلج، ورأى من العذاب ألواناً وهو لا يهتم، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، هذه كانت محنة عسيرة على الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله)، بالرغم من أنه استخار الله وكانت خيرة جيدة لأنه لم يكن يريد تسليمه إلى رجال الأمن عند استدعائه، فالحكمة الإلهية اقتضت ذلك لأن حلاوتها في العطاء والشهادة فكانت محنة كبيرة.

واستمرت المحن حتى كادت أن تصل إليه، لولا أنه يقدر الأمور بقدرها ويخرج إلى الكويت، لكان أيضا اعتقل!

وعند خروجه إلى الكويت ترك مكانه السيد كاظم القزويني(1) والذي اعتقل كذلك وفرج الله عنه بعدها.

ومن المحن التي تابعتها بعد أن ذهب إلى الكويت، هي حبس تلاميذه ومدراء مكاتبه وكادر مدارس الحفاظ، فقد تم اعتقالنا أنا والشيخ عبد الحميد الزبيدي أيضاً، فكانت هذه محنة جليلة وهو يتألم لذلك.

وتعلم أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان يؤلمه أي شيء يصيب أصحابه، وخاصة الصاحب الصديق المخلص يتألم عليه، فعندما كان يرى في منامه عمار وغيره يتألم عليهم.

وفي الكويت بالرغم من أن هذه الفترة كانت بسيطة ركز وعيه وأقام هناك مشاريع وانتصار الثورة الايرانية كان السيد الراحل (رحمه الله) شديد الفرح لذلك.

في سجن الفضيلية

* سماحة الشيخ لندخل إلى سجن الفضيلية(2) ولنتعرف على سبب اعتقالكم واعتقال اتباع الإمام الراحل؟

- نحن اعتقلنا عام 1971م عندما هاجر السيد الراحل (رحمه الله) إلى الكويت،

ص: 373

- 1- رجل دين شيعي وخطيب حسيني، يعبر عنه أحياناً بلقب العلامة القزويني، وكذلك عبر عنه بعض الكُتّاب والمؤلفين بلقب سيد خطباء كربلاء المقدسة.
- 2- هو سجن كان يوجد في الفضيلية تم تأسيسه من قبل طاهر يحيى ومن المفارقات أن طاهر يحيى تم سجنه فيه بعد انقلاب 17 تموز عام 1968 وكان سيء السمعة وكان من يأتي لزيارة هذا السجن يختم على يده ختم خاص واذا انمحي الختم بأي طريقة تصبح من السجناء. وعند تسلم حزب البعث زمام السلطة في العراق وبامر من الرئيس العراقي صدام، وفي العام 1980/4/4 تم تهجير العديد من العوائل بعد مصادرة الجنسية العراقية وشهاداتهم واعتقال البعض منهم في سجن الفضيلية وتم اعتبار الغرض من هذا التهجير هو التحضير للحرب العراقية الإيرانية والسجن الان مهدم بالكامل.

حيث كان من ضمن مشاريع السيد (رحمه الله) الهيئات والشباب ونشر الوعي، والبعثيون أول ما بدأ به هو مدهامة مؤسسات الإمام الراحل (رحمه الله) وتفتيشها، وقد قاموا بمصادرة إحدى الطابعات، واعتقلوا الشيخ ضياء الزبيدي والسيد عبد الحسين القزويني، أما أنا فقد جرى اعتقالي بعد اعتراف من قبل الشاعر رضا خويطر حيث جاء في اعترافه، إن هناك هيئات ومن ضمن أعضائها فلان وفلان، وكنت أنا من ضمن هؤلاء، فاعتقلنا جهاز الأمن العام وبقينا حوالي أسبوع، وبعد ذلك نقلونا صباحاً بصحبة شرطي مرور يدعى كنعان وهو مازال شرطي مرور، وكانت في بيت دكتور يسمى شاكِر عبود، وهو عبارة عن صالة وتحتها سرداب وكان عددنا ثمانية عشر فرداً، وقد أفرجوا عن أحد المشايخ وكذلك السيد كمال الحيدري لأنه يحمل الجنسية الباكستانية، وكذلك رجل سعودي الجنسية وبقينا نحن الثمانية عشر.

وكانت الشعبة الخامسة عبارة عن مكان إرهاب، وكان معنا أبو ياس خضير الأسدي، كنت قد كتبت له أبيات من الشعر وكانوا كثيراً ما يفتشون الزنانات ليزرعوا الرعب في نفوس السجناء، وفي إحدى المرات وجدوا الشعر لديه فقالوا له: ما هذا؟! فقال: هذا شعر. فأطلقوا عليه بعض الكلمات المشينة لأنهم اعتقدوا أنه شاعر. فهذه هي ألفاظهم وأساليبهم، ووضعونا في سرداب صغير جداً بحيث إذا أردنا أن نركع في الصلاة تصطدم رؤوسنا بالجدار، وكان معنا مجموعة من حزب التحرير (1) وهؤلاء كانوا غالباً ما يتكلمون معهم ولا

ص: 374

1- تأسس حزب التحرير الإسلامي في العراق عام 1954 على يد مندوبين تم إرسالهم إلى العراق من قبل مؤسس الحزب في القدس (تقي الدين النبهاني) ويعتبر الشيخ سعدون أحمد العبيدي مؤسس الحزب في العراق.

يخافون لأنهم مدعومين من قبل بعض المسؤولين، ونحن جالسون ينظر بعضنا إلى بعض، وجلب لنا (سبق الدوري) وهو شخص بسيط بيضة وضمونة لكل فرد فلم نأكل منه شيئاً، لأن الجميع كان لا يفكر بالطعام.

وبعدها فتحوا الباب وسألونا لماذا لا تأكلون؟ هل الطعام لا يعجبكم؟ أتودون أن نجلب لكم الدجاج؟!!

وبقينا في الشعبة الخامسة حوالي 21 يوماً أو أكثر.

* ماهي الأسئلة التي طرحوها عليكم أثناء التحقيق معكم؟

- كان من بيننا أشخاص في تنظيمات سياسية وآخرون معممون فتشتت أفكارهم، فلم يستطيعوا أن يفصلوا ما بيننا، فإن أكثر تركيزهم كان على المعممين ونحن لم نحاكم لأنهم لم يصلوا إلى قناعة بأننا جزء من تنظيم حزبي، وكان معنا الشيخ ضياء والشيخ حميد وغيرهم، فانصب تركيزهم على هؤلاء وكان معنا في التنظيم عطاري وصادق الشكرجي، فلذلك لم يحصلوا على اعتراف نتيجة الضغط على المعممين، وإلا لكان قد حكم علينا مدة سنة وحجزونا في سجن الفضيلية الذي كان يحتوي على قاطعين: الأول للسياسيين والآخر للمتهمين العاديين.

ونحن احتجزونا مع هؤلاء الأشخاص وليس مع السياسيين، لكن كان معنا رجل سياسي يدعى سعدون عبد الرزاق وكانت رتبته عقيد ركن والذي أطلق عليه البكر⁽¹⁾ تسمية (الضابط الشهم) الذي كشف مؤامرة سنة 1970 التي

ص: 375

1- يقصد الرئيس أحمد حسن البكر ثالث رئيس لجمهورية العراق حكم في الفترة من 1968 إلى 1979. كما ويعد رابع حاكم جمهوري في تاريخ الجمهورية العراقية منذ تأسست في 14 تموز 1958.

قام بها راهبي عبد الواحد آل سكر(1) فبقينا في الفضيلية مدة سنتين وشهرين، وكان هناك وساطات وغيرها ونحن لا نعلم مصيرنا، وكنا نقول لهم إذا كانت لدينا جريمة فحاكمونا فكانوا يقولون إنكم لم تخالفوا القانون وإنما انتم مخالفين للواقع، إلى أن فرج الله عنا وخرجنا. وكانوا غالباً ما يسألون عن التنظيمات وعن الأحزاب وكانت بداية الحركة من المرجعية، واسم المنظمة كان لم يتم اختياره بعد، وكان آية الله العظمى السيد محمد تقي(2) والسيد عباس(3) هما

ص: 376

1- ولد الشهيد الشيخ راهبي عبد الواحد الحاج سكر آل فرعون عام 1924 للميلاد في ناحية المشخاب التابعة إلى محافظة النجف الأشرف. وقد كان والد الشهيد هو الزعيم الشيخ عبد الواحد آل سكر والذي عرف بمواقفه الدينية والوطنية فقد ساهم في بناء اضرحة الأئمة ومساعدة الفقراء ونصرة المظلومين وكان محط احترام رجال الدين، لا يعمل عملاً إلا ويأخذ رأي المراجع، ولا يتصرف تصرفاً إلا برضاهم وكان من الملتزمين والمتدينين. كما ابلى بلاءً حسناً في الثورة العراقية الكبرى حيث وصفه أحد التقارير البريطانية بأنه قائد قوات الثائرين. وعند وفاته عام 1956 للميلاد عطلت الحوزة العلمية في يومها وكانت العلماء متهيئة لاستقبال جثمانه وقد صلى عليه زعيم الطائفة في حينها السيد محسن الحكيم (رحمه الله) وقد انتقلت زعامة ال فتلة إلى الشهيد الشيخ راهبي الذي تسلم زمامها قرابة أربعة عشر عاماً فكان كوالده يدافع عن الحق وينصر المظلومين ولا تأخذه في الله لومة لائم وهو محل احترام قبيلته وزعماء الفرات الأوسط.

2- آية الله السيد محمد تقي المدرسي، والده آية الله السيد محمد كاظم المدرسي (رحمه الله) الذي كان من رجال الحوزات الدينية، ومنها حوزة كربلاء المقدسة على الخصوص. ومن جانب الأم، فهو ينتمي إلى عائلة السادة الشيرازية المعروفة بدورها البناء في الحوزات العلمية، وبتأريخها الجهادي على مستوى الساحة السياسية. فوالدته ابنة المرجع الكبير آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله)، وأخت الإمام الراحل السيد محمد الشيرازي (رحمه الله).

3- سماحة الفقيه السيد عباس المدرسي، أحد أبرز رواد النهضة المعاصرة، ولد في كربلاء المقدسة عام 1374هـ.

المسؤولان عن التنظيم، وأذكر إن السيد عباس كان هو المسؤول عني في التنظيم لفترة معينة، هذه هي الأسئلة التي كانوا غالباً مايسألونها، ويركزون على مسألة كوننا لنا علاقات خارجية وأنا جواسيس لجهات أجنبية وغيرها.

* وماذا كانوا يريدون أن يثبتوا على الإمام الراحل (رحمه الله) ؟

- كانوا يريدون إثبات تهمة الجاسوسية المزعومة، ولذلك كانوا يدعوننا باسم جماعة الشيرازي وبعدها حكم على السيد الراحل (رحمه الله) بالإعدام غيابياً.

الوحدة الإسلامية

* فضيلة الشيخ، كان الإمام الراحل (رحمه الله) كثيراً ما يتحدث عن الوحدة الإسلامية مثل بلدان بلا حدود، ومواطن بلا جواز، وإلغاء الجنسية، ماهي الوحدة عند الإمام الراحل (رحمه الله) ؟

- إن نظريته كانت تهدف إلى إلغاء الحدود، لأن الاستعمار قد وضعها بعد الحرب العالمية الثانية، وأما قبلها فلم يكن هناك حدود، وإن الدولة الإسلامية كانت واحدة ويرى أنه يجب أن ترفع الحدود ويعيش المسلمون في دولة واحدة كما كانوا من قبل، هذا هو رأي السيد الشيرازي (رحمه الله) ، لأنه ينطلق من منطلق الإسلام المبدي، وكان البعض يعترض بأن يقول الآن الظروف اختلفت، ففي موضوع الحج مثلاً لا يذهب إلى الحج إلا مليونين أو ثلاثة فإذا أصبحت هكذا فلإن الجميع يود الذهاب ففي هذه الحالة لا يستطيع الجميع الذهاب من دولة واحدة. وهذه الأمور ليس لها علاقة برأي السيد (رحمه الله) ، لأن الدولة هي التي تقدر الأمور بقدرها وتنظم الأمور.

الوحدة مع الحفاظ على العقيدة

ومن نشاطات السيد الراحل (رحمه الله) أنه كان يقوم بطبع كراسات تحمل

عناوين (هكذا الشيعة) و(اعرف الشيعة) على نفقة كسبة كربلاء المقدسة وكانت توزع في الحج، وكان السيد مرتضى القزويني له دور كبير في ذلك، وفي ذلك الوقت العصيب حيث كان الوهابيون في أوج قوتهم.

فالشاهد هنا أنه يرى الوحدة الإسلامية من منطلق مبدئي في الإسلام، كما يقول الله في القرآن الكريم: (أُمَّةً وَاحِدَةً) (1) و(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (2) لكن كيف يمكن تحقيق ذلك، ومشروع الوحدة كثيراً ما يطرح وحتى إيران طرحت مثل هذا المشروع؟ لكن مشروع الوحدة الذي يريده السيد الراحل (رحمه الله) هو إنها تعني التقاء مصيري بين جميع المسلمين بما يهمهم أمام العدو المشترك، فغالباً ما يتفق المسلمون على الأسس كتوحيد الله ورسول الله وكعبه الله هذا ما يجمعهم، بينما قضايا الاجتهادات والعقائد التي تختلف معهم فيها كقضية الإمامة، فهي لا تمنع من الوحدة والمساندة، لأن المسلم المتفق عليه عند جميع المسلمين هو الذي ينطق الشهادتين وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، أما أني سأتنازل عن مبدأ من مبادئ كما يسميها الفقهاء، فهو مستحيل، سواء في الأصول الخمسة، والتي منها العدل والإمامة وهما من فروع الأصول، فالعدل من فروع التوحيد والإمامة من فروع النبوة، أم في الفروع، فنحن نلتقي مع السنة كمسلمين، ولكن إذا كانوا يريدون منا أن نتنازل عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) أو شيء آخر فهذه ليست وحدة، فالمعتقد لا يضر بقضية الوحدة كما يقول المثل: (أنا وابن عمي على العدو وأنا وأخي علي ابن عمي)، فهذه مسألة فطرية فهو مشروع بحد ذاته وصعب على أصحاب المصالح الذين هدفهم الدنيا،

ص: 378

1- سورة البقرة: 213.

2- سورة البقرة: 143.

مثل جميع حكام العرب الذين نادوا بهذه الوحدة ولكنهم لم يستطيعوا إن يقيموها، فقد نادى بها عبد الناصر (1) ولم يستطع أن يقيمها، وكذلك القذافي (2)، فهؤلاء صناعة بريطانية.

فنعود إلى حديثنا الأول أنهم هم الذين يزرعون لنا الحكام، وإن وحدتنا تقوينا وتمنع عنا العدو.

ضياع الكتب

* ما هي الحادثة التي حدثت في مطبعة النجف الأشرف حول كتاب الإمام الراحل (رحمه الله)؟

- لا أعلم عنها شيئاً، ولكنني أعرف إن هناك كتاباً مهماً كان يطبع للسيد

ص: 379

1- جمال عبد الناصر حسين، هو ثاني رؤساء مصر. تولى السلطة من سنة 1956، إلى وفاته سنة 1970. وهو أحد قادة ثورة 23 يوليو 1952، التي أطاحت بالملك فاروق (آخر حاكم من أسرة محمد علي)، والذي شغل منصب نائب رئيس الوزراء في حكومتها الجديدة. وصل جمال عبد الناصر إلى الحكم عن طريق وضع محمد نجيب (الرئيس حينها) تحت الإقامة الجبرية، وذلك بعد تنامي الخلافات بين نجيب وبين مجلس قيادة الثورة، وتولى رئاسة الوزراء ثم رئاسة الجمهورية باستفتاء شعبي يوم 24 يونيو 1956.

2- معمر القذافي، حكم ليبيا لأكثر من 42 سنة. رئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية. بعدها صار يعرف بالأخ القائد للجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية. وصل القذافي إلى السلطة في انقلاب عسكري خلع به الملك إدريس ملك المملكة الليبية في العام 1969 وظل رئيساً لمجلس قيادة الثورة حتى عام 1977، عندما تنحى رسمياً من رئاسة مجلس قيادة الثورة، ونصب نفسه "قائداً للثورة". في عام 2008 عقد اجتماع لزعماء أفريقيا ومنح لقب (ملك ملوك أفريقيا) ومدافعاً رئيسياً عن الولايات المتحدة الأفريقية، وشغل منصب رئيس الاتحاد الأفريقي في الفترة من 2 فبراير 2009 إلى 31 يناير 2010. قتل القذافي من جانب مقاتلي جيش التحرير الوطني.

الراحل (رحمه الله) فيها، لأنه في ذلك الوقت لم يكن هناك مطبعة سواها والكتاب في ذلك الوقت اخفي واتلف.

* هل أخفي عن قصد؟ ومن كان وراءه؟

- طبعا عن قصد، وقد أدعي أنه ضاع ولكن حدث العاقل بما لا يليق فإن صدق فلا عقل له، ولما أخبر السيد الراحل (رحمه الله) بذلك ابتسم وقال لا يهم نكتب غيره. وفي الحقيقة أنا إذا كتبت قصيدة وضاعت أضجر وأحزن كثيراً، لكن كان السيد الراحل (رحمه الله) كالجبل، وأما من كان وراءه فلا أعلم لأن الكثير يمكن أن يصدر منه مثل ذلك، ولا أتذكر اسم الكتاب وربما الشيخ ناصر الأسدي يعلم بتفصيل القضية.

علاقات مرجعية

* اسمح لنا بالعودة إلى السيد ميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله)، كيف تستطيع أن تصف علاقته مع السيد محسن الحكيم (رحمه الله)؟

- الذي أعرفه أن السيد الحكيم (رحمه الله) كان يجلس السيد ميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) غاية الإجلال والاحترام. لأن السيد ميرزا كان معروفاً بالزهد والتقوى، وأتذكر أن السيد الحكيم (رحمه الله) كان يزوره في كربلاء المقدسة ولهم صورة تجمعهما معاً ومكتوب عليها بيتان هما:

بدران في أفق الهداية أشرفاً***أنبك في التفصيل والإيجاز

هذا هو المهدي يسمع محسناً***وترى الحكيم يحدث الشيرازي

فلا شك في هذه العلاقة الحميمة وخصوصاً ميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) كان عندما يسير في سوق العرب وجنتاه كأنهما نور، كنت صغير السن كما أذكر وقتها.

ص: 380

* في الحديث عن المد الأحمر والشيوعيين، ما هو موقف الإمام الراحل (رحمه الله) من الشيوعيين؟

- لاشك إن المد الأحمر جاء مع ثورة تموز(1) التي حدثت في 14/تموز/1958 الذي قام بها عبد الكريم قاسم.

والمشكلة إن الشيوعيين انتهزوا الفرصة وقاموا بجر الناس في الشوارع، لذلك كانت ردة فعل السيد قوية جداً، واذكر إنني كنت طفلاً وكانت تخرج مظاهرات في الشوارع للشيوعيين ينادون بها (ماكو مهر بس هالشهر) ويدعون إلى الفجور وغيره، فطبعاً هذا اعتى تيار كان وقتها، والسيد وقف ضده بحماس، ومنذ ذلك الوقت لمع في فكري أن هذا هو سبب موقفه من عبد الكريم قاسم فوقف هو والشهيد السيد حسن (رحمهما الله) في وجه المد الأحمر، وكان موقفه كما عهدناه يتحلى بالحكمة والعقلانية ويواجه الهجوم بالهجوم، مثال أذكره يدل على أخلاقه ومعالجته لأن هؤلاء ليسوا شيوعيين عقائديين، فالشيوعية كانت موضحة لأن روسيا كانت دولة محورية وما كان كما هو الآن تيارات بديلة كحزب الله وغيره، وأذكر إن أحد أقاربنا كان أمين عام الاتحاد

ص: 381

1- هي ثورة 14 تموز 1958 وتعرف أيضاً بحركة أو انقلاب 14 تموز 1958، التي أطاحت بالمملكة العراقية حيث كان الملك فيصل الثاني ملكاً على العراق. تم إعلان قيام الجمهورية العراقية وانتهاء حقبة العهد الملكي من خلال البيان الأول للحركة والذي أذاعه عبد السلام عارف من دار الإذاعة، وذلك بعد نجاحه في قلب نظام الحكم بالسيطرة على القيادة العامة للجيش ودار الإذاعة ومجمع بدالة الهاتف المركزي، من خلال قطاعات اللواء العشرين الذي تحت إمرته، وبمساندة من زملائه أعضاء تنظيم الضباط الوطنيين أو الضباط الأحرار في صباح يوم الاثنين الموافق 14 تموز 1958.

الاشتراكي وهو عبد الإله النصراوي(1) كان في سوريا فسألته لماذا لم تنتم إلى أحزاب إسلامية؟ فقال: أين هي الأحزاب الإسلامية وأين القيادة؟ ففي ذلك الوقت كان يوجد فراغ من الأحزاب الإسلامية والقيادات المؤمنة. والسيد الشيرازي (رحمه الله) كان يقدر هذه الأمة، كان بيته في ذلك الوقت مفتوحاً للجميع كبيت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان هناك رجل شيعي لديه دكان، وكان شيعياً متصلباً، والسيد الراحل (رحمه الله) كما نعلم عنه أنه كان يسلم على الصغير والكبير، وفي كل يوم كان السيد الشيرازي (رحمه الله) يلقي عليه التحية وهو لا يرد عليه، واستمر في ذلك عدة أيام وقد تصل إلى ثلاثين يوماً، وبعدها رد التحية ولكن ردها بضيق فقال السيد الراحل (رحمه الله) جيد لقد وصلنا، وفي اليوم الآخر قدم له دعوة ليحل ضيفاً عليه في بيته فخرج الرجل ولبي الدعوة، وبعد فترة أصبح من أخلص الخلاء ولم يترك صلاة الجماعة. فهذه أخلاق أهل البيت (عليه السلام).

أخلاق الأنبياء (عليهم السلام)

* من المعروف عن السيد الشيرازي (رحمه الله) أنه يبدأ بالصلاح أولاً ولديه باع طويل في ذلك، ويصبر حتى يصل إلى الهدف.. كيف تفسر لنا هذه الأخلاق التي كان يحملها؟

* وكيف كان يتعامل مع زواره ومن يقصده؟

- هذه هي تجيب عن نفسها، وقد ذكرت في أكثر من مناسبة، أحياناً يمثل الشخص على الآخرين ولكن سرعان ما ينكشف، كمثل الفنان والممثل عندما يقوم بدور قد يبكيك وقد يضحكك، ولكن بعدها يعود إلى أخلاقه الأصلية. ولكن السيد الشيرازي (رحمه الله) كانت هذه سجيته وأخلاقه، فلا يوجد عالم يقوم

ص: 382

للصغير والكبير، عالم لا ينفعل إذا سُب أو وُجِهت له إساءة، فهذا صعب جداً، وقد ذكرت أنه كان يحمل أخلاق الأنبياء وأخلاق أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذه السير نحن نقرأها ولا نطبقها، لكن السيد الشيرازي (رحمه الله) رأينا تطبيقه لتلك الأخلاق النبوية (رحمه الله) في حياته ولم تكن له مصلحة من الدنيا أبداً، حتى حين كانوا يقولون له اشتري عبادة جديدة لأن هذه ممزقة، فكان لا يابه لذلك لأنه لا يفكر في الدنيا.. باختصار إن خلقه خلق الأنبياء (عليهم السلام) وخلق جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

لماذا كربلاء

* ما حمل في قلبه إلى كربلاء المقدسة خاصة والعالم الإسلامي عامة، أوصله إلى أن يكون بيت الشيرازي (رحمه الله) قلب كربلاء النابض وأمل المواطنين وموضع شكوى المظلومين حتى عبّر عن هذه الحقيقة محافظ كربلاء وقال أنا هنا مجرد موقع معاملات، أما ملك كربلاء المطاع فهو محمد الشيرازي، ما هذا الموقع الذي احتله في كربلاء المقدسة؟

* وماذا صنع من أجل أهالي المدينة حتى يصل إلى هذا المقام؟

- هناك من يقول إن البيئة المحيطة لها الأثر الكبير في عالم الإنسان، والبيئة يتأثر بها الإنسان إذا كانت حارة أو باردة أو وسط بين ذلك، أتذكر إن الشيخ احمد الوائلي كان يقرأ في مسجد الكوفة وكان يقول نحن النجفيون يؤثر بنا لفيح الصحراء. المزاج المناخي يؤثر على الإنسان، وكربلاء مناخها وسط وأرضيتها مناسبة.

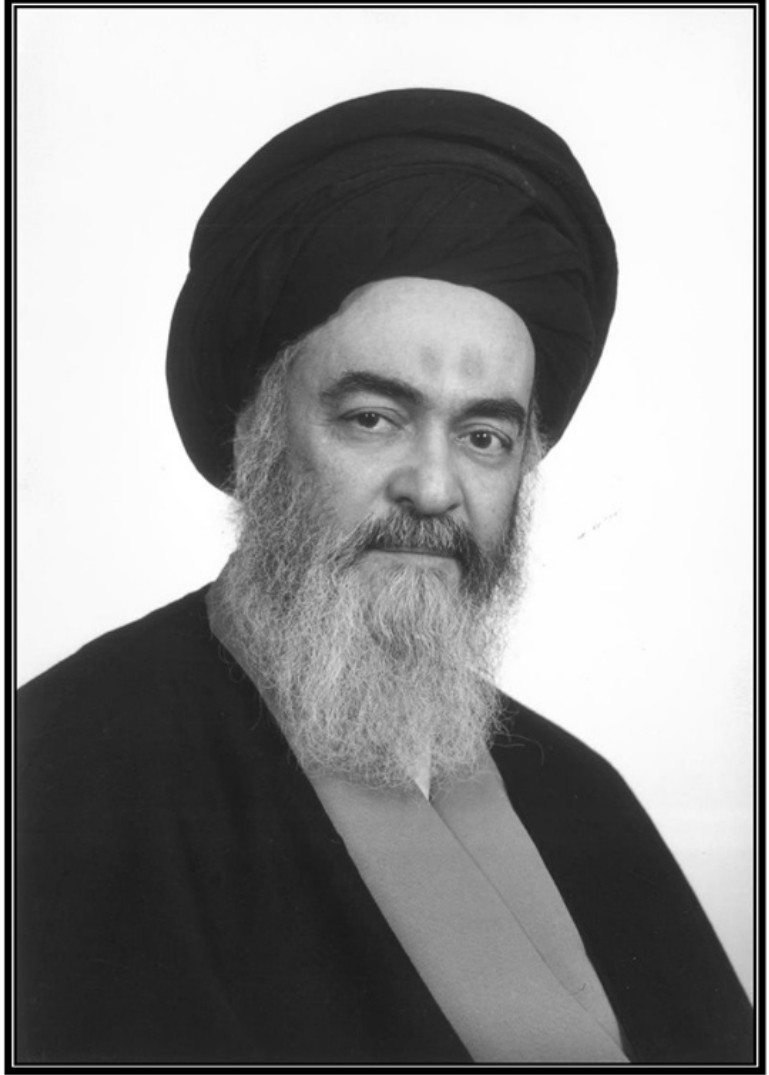
لماذا اختار الإمام الراحل (رحمه الله) كربلاء المقدسة وهو قد ولد في النجف الأشرف؟ لعل ذلك يعود إلى أن مجتمع كربلاء المقدسة غالبية ذو طبيعة طيبة، ودودة، الإمام علي (عليه السلام) يقول: «إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ أَقْوَامٍ يَشْتَرُونَ الْمَمَالِيكَ

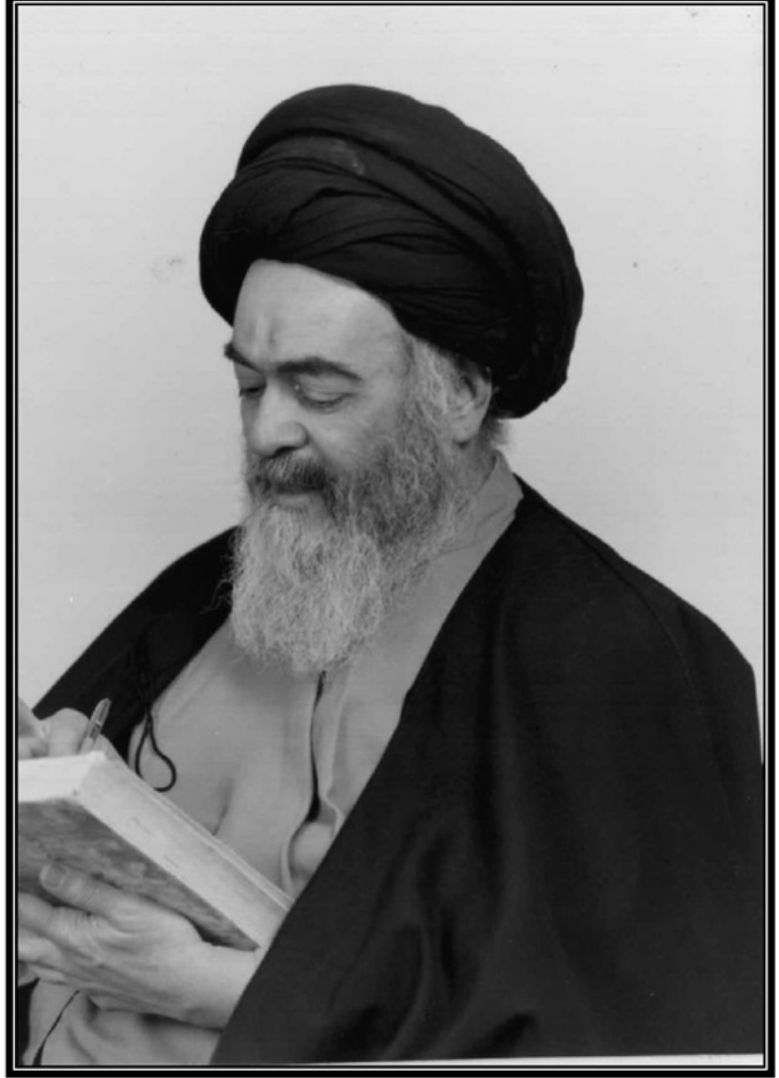
بِأَمْوَالِهِمْ وَلَا يَشْتَرُونَ الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِمْ»⁽¹⁾. بجهود الإمام الراحل وكذلك البيئة الاجتماعية المناسبة ساعدت على ذلك، أما في النجف فهناك ضجيج متواصل، لأن هناك مراجع متعددة والكلام لدى الناس سهل لأنهم معتادين على المعممين، فليس لديهم تورع حيث أنهم يتكلمون على العلماء، بينما في كربلاء المقدسة كان يوظف الكسبة في طبع الكراسات في تعريف الشيعة ويكتب على نفقة الكسبة حتى يشعر أنه إنسان له خصوصية، وذلك ترك أثراً طيباً في نفوس الناس. وكان لا يميز بين الغني والفقير، فكلهم يستقبلهم، في وقت يقول البعض إنني ذهبت إلى وكلاء مرجع معين فلم يعيروا لي أهمية وجلست بزاوية بعيدة عنه، وبعدها جاء رجل كويتي فاستقبله وكيل المرجع عند باب المنزل.

مسألة الحب كما يقال أنها بالقلب توجد في منطقة حرة منه، فلو أعطي مال الدنيا لا أحد يستطيع أن يكتسب الحب إلا بالحب، فهو اشترى القلوب واشترى الأحرار كما قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الحر لا يشتري إلا بالأخلاق بينما (العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة).

ص: 384

1- بحار الأنوار: ج 2 ص 357.





أجري هذا الحوار مع خادم القرآن الكريم ومؤذن وقاريء الحرمين الشريفين حرم الإمام الحسين (عليه السلام) وحرم أخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام) حيث عاشر الإمام الراحل المجدد الثاني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (رحمه الله) من شبابه حتى رحيله.

هجرة السيد الشيرازي من كربلاء المقدسة

* ماهي أسباب هجرة الإمام الراحل (رحمه الله) من كربلاء المقدسة، ومتى كان ذلك، وما هو أثره على العراقيين عامة وعلى أهالي كربلاء خاصة؟

- كانت هجرة السيد الراحل (رحمه الله) في حقبة السبعينات وتقريباً في العام 1971م بسبب الضغوطات التي مورست عليه من قبل نظام الحكم البعثي، وقد أخبر المحافظ بنفسه السيد مرتضى القزويني علناً وقال له: قل للسيد أن يخرج من كربلاء حيث هنالك تحركات وضغوطات وأمر صادر من الحكومة المركزية في بغداد باعتقاله.

وكان واضحاً بأن النظام لا يسمح لأي عالم أو مفكر أو مصلح في هذا البلد أن يؤدي دوره، وكان من المؤسف أن يعتقل أو يقتل مثل هكذا شخصية

فريدة، لأن النظام مجرم يفعل أي شئ من دون مبالاة حتى الإعدام، فخرج السيد الراحل (رحمه الله) من العراق حفاظاً على نفسه ودينه وعمله وتبليغه للإسلام، ليوصل مسيرته الجهادية فإذا لم تكن كربلاء المقدسة مناسبة للعمل فإن غيرها من المدن مناسبة لإكمال هذه المسيرة.

* لماذا اختار السيد الراحل (رحمه الله) الكويت تحديداً للهجرة دون غيرها من البلدان؟

- لأن الكثير من سكان الكويت شيعة وبعضهم من إيران والعراق وشتى المدن الإسلامية، كما إنها بلدة مسالمة تستقبل جميع الغرباء من مختلف الطوائف وليست لديها مشكلة بالعبادة أو التوجه أو التبليغ الإسلامي، فكان الشيعة يتمتعون فيها بحرية كبيرة

* ماذا فعل السيد في الكويت؟

- أسس السيد الراحل (رحمه الله) عشرات الحسينيات في الكويت وفي أطرافها وشتى أنحاءها فكانت مؤسسات خيرية تبليغية.

ومنها مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي كانت تضم مائة وخمسون طالباً وتحتوي على أربعين غرفة، وكانت تحتوي أيضاً على ديوانية الشيرازي وعلى مؤسسات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومنها مؤسسة سيد الشهداء (عليه السلام) لتزويج الشباب وأخرى لدعم الشيعة في العالم في أفريقيا والسودان وسوريا والعراق دعماً فكرياً ومادياً كما كانوا يبعثون الكتب إلى تلك الدول.

كل هذه الأعمال كانت تقوم بها مجموعة من المؤسسات ببركة السيد الراحل (رحمه الله) الذي كان يشوق العاملين ويحمسهم لهذه الأعمال مثل تأسيس

رياض ومدارس للأطفال ومدارس دينية للنساء ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم وكذلك مؤسسات خيرية واجتماعية وعقد ندوات علمية وفكرية، حيث كانت تعقد في مختلف المناسبات فيحضرها نخبة من المثقفين والشباب الواعين.

كما وأسست مخيمات للترفيه خارج الكويت وأنا زرتها فكان الطلاب يبقون أسبوعاً في هذه المخيمات يستمعون إلى محاضرات العلماء كالسيد مرتضى والسيد جعفر أبناء السيد الراحل (رحمه الله) وكذلك السيد أحمد والسيد حسين أبناء السيد آية الله السيد صادق والشيخ علي الحيدر وآخرين.

فكانت هذه المخيمات تحتوي على كل ما يحتاجه الشباب مادياً ومعنوياً كالعاب للأطفال وللشباب ومن ضمنها كرة القدم، بالإضافة إلى الطعام وما أشبه ذلك، فكانوا يبقون هناك مدة من الزمن ليرتاحوا ويرفهاوا عن أنفسهم، وكانت أسرة الشيرازي تزور تلك المخيمات وبقية المؤسسات الأخرى، وتوجههم وتحثهم على التقوى والأخلاق والعمل الصالح والعلم وغير ذلك.

* بعد هجرة الإمام الراحل (رحمه الله) من الكويت هل استمر عمل هذه المؤسسات أم لا؟

- بعد رحيل السيد الراحل (رحمه الله) من الكويت ازدادت هذه الأعمال، فإن أصل تأسيسها كان ببركة توجيهات سماحته (رحمه الله) واستمرت هذه البركة وقد سمعت الكثير من الكويتيين يقولون نحن اهتدينا على أيدي السيد الشيرازي ولولاه نحن لم نكن نعرف كل هذه الأمور.

وقد حدث موقف أمامي حيث جاء أحد الكويتيين إلى أحد السادة وقال له: سيدنا لولاكم لم نكن نعرف أحكام الصلاة وكان هذا بقرب إحدى الحسينيات.

وقد كان السيد الراحل (رحمه الله) يذهب بنفسه إلى أطراف الكويت كمحافظة الجهراء والسالمية، وكان يستقل الباخرة مع جماعة ويذهب إلى تلك المناطق وقد أسس حسينية ومدرسة وحوزة للتبليغ وهم يقولون نحن ببركة الله وأهل

البيت (عليهم السلام) ثم جهود السيد الشيرازي أصبحت لدينا كل هذه الخيرات والبركات ولم نكن من قبل في هذه الحالة، ولا زالت هذه الآثار تذكر في الكويت وهي في تطور وازدياد باستمرار.

وكان هؤلاء الكويتيون يقومون بزيارات إلى السيد الراحل (رحمه الله) في قم المقدسة، فيلقي عليهم محاضرات ويشوقهم ويحثهم على العمل.

كما أن المرجع آية الله السيد صادق الشيرازي يرفع هذه المؤسسات لحد الآن ويدعمها.

* لماذا هاجر الكويت مع وجود هذه الأرضية الخصبة التي أنتجت الكثير من المؤسسات والهيئات وأصلحت الكثير من الناس؟

- كان الكويتيون لا يريدون أن يغادروهم السيد الراحل (رحمه الله) وتألّموا لذلك أشد الألم، حتى أن أمير الكويت عندما بلغه الأمر تألم وتمنى لو لم يغادروهم، ولكن لم يكن بد من المغادرة، فقد اندلعت الثورة الإسلامية في إيران، وكان السيد الراحل (رحمه الله) من أشد الداعمين لها، حتى أن أصحاب السيد الراحل (رحمه الله) انزلوا صورة شاه إيران من السفارة وغيرها، فقد كان يرجو أن تخدم هذه الثورة العالم الإسلامي وتهدئ الأمور في المنطقة وتجعل الشيعة في راحة واطمئنان، وتقدم وازدهار، فكان انتقاله لأجل أن ينطلق إلى العمل الإسلامي والتوعوي العالمي، وعندما حدثت الأمور التي لم يكن يتوقعها وتغيرت النوايا والأهداف، جلس السيد الراحل (رحمه الله) في بيته وأصبح مهتما بعمله وجهاده فقط.

* ماهي النتائج التي انعكست على الإمام الراحل (رحمه الله) ، بعد هجرته إلى إيران؟

الصورة



- هذا كلام مؤلم ويحز بالنفس، فقد توحدت كلمة الفقهاء، وحدثت لقاءات بينهم وزيارات متبادلة وكان السيد يتواصل مع المراجع وقد زاره كل من السيد الخميني والسيد المرعشي النجفي والسيد شريعتمداري والسيد الكلبايكاني والسيد القمي وآخرين من العلماء البارزين في إيران، لكن حدثت أمور لم تكن بالحسبان، حيث كان ينظر السيد إلى بعض الأمور التي تحدث وهي غير شرعية وتنسب إلى الشرع، فأنتجت البرود في العلاقة بين السيد الراحل (رحمه الله) وبين الحكومة، وحدثت أمور أخرى أجبرت سماحته (رحمه الله) أن يجلس في داره ولا يتحرك، ومن هنا بدأت المضايقات حيث كانوا يريدون من السيد الراحل (رحمه الله) بعض الأمور، فكان يرفض أن يتدخل فيها لأنها تتعلق بدماء المسلمين وبعضها ترتبط بالحرب الإيرانية العراقية، حيث كان من أشد المعارضين لها كما عارضها بعض العلماء، وكان السيد الراحل (رحمه الله) يعطيهم حلولاً لتلك الحرب.

* هل كانوا يريدون من السيد الراحل (رحمه الله) أن يؤيد الحرب؟

- نعم وكذلك كانوا يضغطون على العلماء الباقين ليؤيدوا تلك الحرب لكنهم لم يستجيبوا، فعندما حدث المؤتمر من قبل الدول المجاورة لإيران كان رأي العلماء عقد الصلح قبل أن تسيل مزيد من الدماء مادامت إيران استولت على

المحرمة وعبادان⁽¹⁾، لكنهم خالفوا أقوال العلماء واستمروا في الحرب، وكان من جملة المعارضين للحرب بالإضافة إلى الإمام الراحل (رحمه الله)، السيد الكلبايكاني والسيد صادق الروحاني والسيد القمي في مشهد المقدسة.

حتى هجموا على بيت السيد الكلبايكاني وهجموا على شخص السيد القمي في الصحن الرضوي وضربوه وأسقطوا عمامته على الأرض، ثم بدئوا بمضايقة العلماء الآخرين.

* إذن لم تكن الحرب على الإمام الشيرازي (رحمه الله) فقط؟

- كلا كانت الحرب على جميع هؤلاء العلماء تحت شعار (من يعارض مصالحنا يضرب) وكانت لدى السيد الراحل (رحمه الله) فكرة شوري الفقهاء والتي أصبحت عنواناً لكتاب ألفه السيد مرتضى الشيرازي (حفظه الله) استناداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، فطبع الكتاب وعرض في جميع المكتبات فقام الأمن الإيراني وجهاز المخابرات بسحبه من جميع المكتبات وبدأت بعمليات الاعتقال حتى وصل الأمر إلى أبناء السيد الراحل (رحمه الله) وهم السيد مرتضى مؤلف الكتاب المذكور والسيد مهدي الشيرازي (حفظهم الله) وبدأت المضايقات من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وفي نفس الوقت كانت للسيد الراحل (رحمه الله) محاضرات متعددة ومن أهمها محاضرة يوم 28/صفر، حيث كان العراقيون يأتون من جميع المحافظات الإيرانية إلى بيت سماحته (رحمه الله) للاستماع إلى هذه المحاضرة، فهجم الأمن على بيت السيد الشيرازي في أثناء المحاضرة من دون أن يخلعوا أحذيتهم وقاموا بقطع التيار

ص: 394

1- من المدن الإيرانية الحدودية مع العراق، حيث سيطرت عليها قوات البعث خلال الحرب الإيرانية العراقية.

الكهربائي وقطعوا كلام السيد الراحل (رحمه الله) - وقد كنت حاضراً في حينها - ووزعوا مناشير ضد سماحة السيد (رحمه الله) ، ثم اعتقلوا بعض زائريه وأنا معهم، فأخذونا في سيارة وبعد ساعتين أو ثلاثة بدؤوا معنا بالتحقيق وكانوا يركزون على أمر التقليد، وعندما سألناهم عن سبب اعتقالنا نسبوا ذلك إلى تعدي أحد الزائرين على أحد أفراد الأمن، فكان ذلك ذريعة لمزيد من الاعتقالات! سبحان الله، يعتقل جمع غفير لأجل شخص واحد ولكن عندما يضرب مرجع كبير لا يحدث شيء إي إسلام هذا؟!!!

وبعد أن بعثت إليهم برقيات الاحتجاج ونشر الخبر في الاذاعات وباللغتين العربية والفارسية خافوا من الضجة الإعلامية فأفرجوا عنا، لكن استمرت مضايقتهم للسيد الراحل (رحمه الله) وبمختلف الطرق ومنها المضايقة المادية حيث قامت المصارف بحظر على أمواله التي كان يوزعها كرواتب للطلاب، وقد كان سماحة السيد (رحمه الله) يعطيني الشيكات وأنا أقوم بصرفها أيام توزيع الرواتب وأسلمها إلى (التقسيمة الشهرية).

* هل كانت هنالك إغراءات مالية للسيد الراحل (رحمه الله) لكي ينصرف عن مسيرته الجهادية؟

- كانت الأموال التي تأتيه من الحقوق الشرعية والتبرعات فقط، وقد عرضت عليه الدولة الإيرانية مبلغ مليار وكذلك الحكومة الليبية ولكنه رفضها، حتى لا تساهم هذه الأموال في تغيير موقفه وكذلك سوريا عرضت عليه أموالاً، وكان الغرض منها الإغراء لكي يسكت عن الباطل لكن السيد الراحل (رحمه الله) كان مصراً على عدم استلام هذه الأموال واعتماده وتوكله على الله تعالى وكانوا يريدوه أن لا يتكلم بالحق ولا يذم الباطل فهو لم يخش أحداً ولم يلتجئ إلى أي دولة لأن اعتماده على الله وأهل البيت (عليهم السلام) .

* قلت عرضت عليه أموال من ليبيا ما هي مصلحة ليبيا؟

- لا أعرف ما المصلحة ولكنه رفضها وكان توكله على الله وكان دعمه من بعض التجار المؤمنين المتعاونين معه في إيران والكويت بقية الدول وكانوا يعيشونها كحقوق شرعية وهو بدوره يصرفها على الحوزة والطلبة ولخدمة الناس، وأنا شخصياً كنت أنقل الأموال.

* ذكرت أن العامل الاقتصادي الذي حورب به السيد الراحل (رحمه الله) في إيران كان يتم عن طريق المصارف هل كانت الأموال التي تصله عن طريق المصارف تصادر؟ أم كانوا يمنعون وصول الناس والمقلدين إليه لإعطاء الخمس؟

ج/أما الحقوق فكانت تبعث من دون عنوان، وأنا كنت استلمها، وأما من ناحية وصول الناس والمقلدين فكانوا لا يستطيعون أن يأتوا إليه بحرية، لأن بيت السيد (رحمه الله) مراقب بالكاميرات والمخابرات حتى يضطر السيد الراحل (رحمه الله) للاستسلام.

* انقلوا لنا بعض الذكريات عن تلك الأيام العصبية التي عشت مع السيد الراحل (رحمه الله).

- عندما اعتقلوا أولاد السيد (رحمه الله) أصبح البيت فارغاً فبعث إلي السيد الراحل (رحمه الله) وقال لي: حاج مصطفى إبق في البيت ولا تخرج، فبقيت فترة تقارب الشهر والنصف هناك وكان السيد الراحل (رحمه الله) يعد الطعام بنفسه ويأتي به إلي، نعم الكثير من المقربين خذلوه ولم يأتوا إلي زيارته، وكنت عندما أفتح باب غرفة الاستقبال لأرى هل جاء السيد أم لا؟ أشاهده ويده مسححة ويسير في غرفته ذهاباً وإياباً ويستغفر ويدعو الله، وكان في تلك الأيام شديد الاعتماد على الله تعالى.

وكان يبعث إلي ويقول ناد العاملين بالمكتب والحراس لكي أتكلم معهم

حيث لا يوجد زوار في هذا الوقت، فكننت أجمعهم فيتكلم معهم حول الأخلاق وحول اللاعنف وحول مراعاة الناس وحول خدمة الناس، وكان دائماً يتكلم مع العاملين ويوجههم.

وكان السيد المرجع آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) يلتزم زيارة أخيه الإمام الراحل (رحمه الله) برفقة نجله السيد حسين الشيرازي، حيث كانا يتفقدانه يومياً أثناء المضايقات حيث كان البيت فارغاً لا يوجد فيه أحد إلا من عدة أشخاص.

وكان السيد المرجع يدير الشؤون العلمية والمرجعية وبعض الأمور الأخرى والسيد حسين يدير شؤون البيت إدارة جيدة.

وحدث عدة مرات أن دخل الأمن إلى بيت الإمام الراحل (رحمه الله) بالقوة ليفتشوا عن شخص فيعتقلوه، لكن وقف السيد حسين أمامهم وواجههم بكل قوة وشجاعة ومنعهم من الوصول إلى مبتغاهم.

والكثير من التجار في طهران وغيرها قطعوا زياراتهم للسيد الراحل (رحمه الله)، بل بعضهم أصبح ضد سماجة السيد (رحمه الله) متأثراً بالدعايات والمناشير التي كانت تسيء إليه وتتهمه بشتى التهم، حتى قال لي بعضهم لماذا أنت إلى الآن مع السيد وهو مضايق من قبل الحكومة مضايقة شديدة، فالأفضل أن تتفق مع جهة أخرى وتعمل معها، فكانوا يهبطون من معنويات الآخرين لكي لا يصلوا إلى بيت السيد (رحمه الله) حتى أصبح السيد الشيرازي (رحمه الله) وحيداً فريداً.

ومرات عديدة بعثوا بعض العلماء إلى الإمام الراحل (رحمه الله) ليقنعوه على التنازل، وذات مرة بعثوا المرجع السيد الزنجاني لأجل المحاورة أو الوساطة، فكانوا يطلبون منه أن يعتذر من قائد الثورة اعتذاراً كتيبياً، حتى يتم الإفراج عن

أولاده بعد أن كانوا في معرض الإعدام.

فكان يشتد غضب السيد الراحل (رحمه الله) ويحمل عباءته ويدخل إلى البيت ويقول اجلبوه إلى محكمة علنية ودعوه يتكلم في هذه المحكمة بحرية وأمام المملأ العام، وفي ذلك الوقت إذا كانت اتهاماتكم صحيحة طبقوا الموازين الشرعية، واحكموا عليه بما شئتم.

ذات مرة جاء إليه اثنان من الوزارة الخارجية وسألوه عن عدة مسائل ومنها عن رأيه بالجمهورية الإسلامية فأجابهم قد ذكرت آرائي في الكتاب الفلاني وذكر لهم أسماء بعض كتبه، فلم يدع لهم مجالاً للمفاوضات التي هي عادة من جانب واحد فخرجوا خائبين.

كان يواجههم بهذه الصلابة فلما ينسوا منه تركوه.

وقد كنت أشاهد تلك الجلسات لأنني كنت مسؤولاً عن اللقاءات، وقد كان السيد الراحل (رحمه الله) مضيقاً بشدة ولكن الله فرج عنه.

* كان الإمام الراحل مرجعاً دينياً عالمياً له مقلدون في العراق والكويت وإيران والكثير من البلاد الإسلامية والأجنبية، فكيف أرادوا تحجيمه؟

- وضعوا خططاً لأجل تحجيم مرجعيته وأعماله ومقلديه في العالم وفي سبيل أن يكون محاصراً ويكون تحت النظر ولا يتحرك إي تحرك، فقد كان السيد الراحل (رحمه الله) في إيران بل في العالم فعالاً ومتحركاً وتحركاً واسعاً، ومؤسساً لمشاريع كثيرة وضخمة، لكنهم منعه من إقامة تلك المشاريع.

ومن مشاريعه بناء مدينة سكنية في قم المقدسة للعراقيين وغيرهم لكن قامت الحكومة بوضع يدها على هذه المنطقة وصادروا جميع مواد البناء وجعلوا تلك الأرض الكبيرة كراجاً للسيارات المعروفة اليوم ب- (ترمينال) ثم جاء بعض

المسؤولين وقال للسيد (رحمه الله) اكتب إلى قائد الثورة رسالة واطلب منه أن يرجع إليك الأموال والأراضي المصادرة، فلم يقبل! حيث كان يراه مقدمة لمطالب أخرى بالإضافة إلى عدم مشروعية أصل المصادرة.

وقد كانت هذه الأموال أموالاً خاصة ومن الحقوق الشرعية أيضاً.

فكان السيد الراحل (رحمه الله) يحارب من هذه الناحية أيضاً لتحجيم أعماله وحركته المرجعية في العالم.

* لماذا عطل الإمام الراحل (رحمه الله) درسه في مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) ونقله إلى بيته؟

- كان ذلك لعوامل عديدة ومنها إن المخابرات كانوا دائماً يحيطون به، ويراقبون خروجه وجميع تحركاته خارج البيت، فنقل الدرس إلى بيته حتى لا يخرج من الدار ويكون قريباً إلى أهله وأصحابه فكان الطلاب والجماهير يأتون إلى بيته ليستمعون إلى المحاضرات والدروس وهذه من جملة المضايقات التي مرت به.

* كان للجانب الإعلامي الحيز الكبير في حياة الإمام الراحل (رحمه الله) والتي نرى آثارها اليوم، فما هي قضية شراء أجهزة إذاعية وعرقلة السلطات مشروع تأسيس محطة إذاعية في كربلاء المقدسة؟

- بالطبع كانوا لا يريدون للسيد الراحل (رحمه الله) أن تكون له إذاعة خاصة فهم يقولون نحن دولة ولنا إذاعة وإذا كنتم تريدون أن تتكلموا فتكلموا من خلالها فكانوا يريدون أن يحجموا السيد (رحمه الله) وإعلامه لأن الإذاعة تنشر أفكاره وهي مستنبطة من قوانين الإسلام وكلمات أهل البيت (عليهم السلام) فهم لا يريدون له التوسعة والانطلاق، لذلك ضغظوا عليه وحجموه، فأصبح لديه التوجيه الديني الموجود في بعض المناطق ككربلاء المقدسة وغيرها عبر تلك السماعات والتوجيه الديني ولكن بشكل بسيط ومختصر وليس كما يريد.

* تطرقتم إلى الحرب العراقية الإيرانية، ولكي نقولها بصراحة ماهو موقف الإمام الراحل (رحمه الله) من تلك الحرب؟

- بصراحة كان مخالفاً لها، فكان ينصحهم ببعض الحلول ومنها: ابعثوا للعشائر العراقية الأسلحة وادعموهم بمختلف أنواع الدعم لتكسيبهم فتكون الحرب داخلية لا حرب خارجية على الحدود فإنها تكلفكم طائرات وغيرها بالإضافة إلى إزهاق الأرواح البرينة، بينما العشائر في العراق هم يقوموا بهذه الأعمال بالأسلحة البسيطة من خلال تنظيم قوي، فهو أفضل من أن تسيل دماء على الحدود بين العراق وإيران، أو تبعثوا مجاهدين وتسلبوهم بأسلحة، وما أشبه.

وهذه الحلول لم تقبل بها الحكومة حتى جاءت لجنة الصلح فلم يقبلوا بها. حتى إن بعض العلماء قالوا: إننا لن نؤيد الحكومة بعد الآن! وأصبحوا يخالفون الحكومة في جميع الأحوال، حتى أنني زرت السيد المرعشي النجفي (رحمه الله) في أحد الأيام مع مجموعة من الأصدقاء فوضع يده على رؤوس الأطفال وتكلم بكلام يدل على عدم موافقته على هذه الحرب، فالكثير من المراجع في داخل إيران كانوا مخالفين لاستمرار الحرب.

* كيف كانت طبيعة علاقة الإمام الراحل (رحمه الله) مع عشائر العراق؟

* وماهي نظرتة إليهم؟

- كان الشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) قائد الثورة في العراق فالتفت العشائر حوله وكانوا بإمرته، وهذه خلفية قديمة وأرضية جيدة لعلاقتهم بآل الشيرازي الكرام منذ تلك الأيام، وقد استمرت هذه الحالة إلى يومنا هذا، فكان الإمام الراحل (رحمه الله) يرتبط بالعشائر ويحثهم حتى في إيران حيث كان يبعث إليهم، ويعمل لهم ندوات وجلسات.

ص: 400

واتذكر قبل سقوط النظام بعام كنت في إيران فقال لي أريد منك إن تتفاعل مع بعض الشخصيات وتجمع العشائر فلي كلام معهم، فجمع العشائر وألقى محاضرة مهمة عليهم.

ولازال آية الله السيد صادق (دام ظله) يقوم بنفس العمل.

* كيف كانت علاقته (رحمه الله) مع مراجع التقليد في العراق وفي إيران؟

- في العراق كانت العلاقة طيبة حيث كان يتزاور مع السيد محسن الحكيم والسيد السبزواري والسيد الخوئي في كربلاء المقدسة، وكان يتباحثون في كل الشؤون وحتى في أمر الهلال والعيد.

وفي إيران كانت أغلب الزيارات بين السيد الراحل (رحمه الله) والسيد المرعشي النجفي والسيد الكلبيكاني والسيد القمي والسيد الروحاني وكان هناك الكثير من الاجتماعات والزيارات والجلسات فيما بينهم.

وكانت مجالس العزاء في مصائب الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) تقام في بيوت المراجع فكانوا يحضرون إلى بيت السيد الراحل (رحمه الله) ، وأما سماحة السيد حيث لم يكن يخرج من البيت فكان السيد صادق حفظه الله يقوم بذلك بالنيابة عنه.

ولازال السيد إلى الآن يزور العلماء ويزورونه.

* كيف كان يقابل الإمام الراحل (رحمه الله) مخالفه؟

- في وقتها كان هناك بعض الأحزاب الإسلامية التي تروج ضد السيد الراحل (رحمه الله) في سبيل إسقاطه فكان يحارب من قبل هذه الأحزاب الموجودة ولا نريد أن نذكر أسمائها حتى أنهم أطلقوا عليه إشاعات وتهم شنيعة لا أود التطرق إليها، وكانوا يشككون في علميته ويقولون إنه غير عالم وكانوا يخلقون هذه الأمور ويحصلون على دعم وتأييد من قبل شخصيات وجماعات.

وفي إيران كانت هي ذات الأحزاب تلفق وتلقي التهم على السيد (رحمه الله) وتحدث له المشاكل السياسية.

وقد جاءني رجل من الأهواز وهو عراقي الجنسية في الساعة الثانية ظهراً وكان الجو شديد الحرارة، فقال لي: إني أتيت من مكان بعيد وأريد أن أقابل السيد الشيرازي ولدي قضية مهمة معه.

قلت له: أستريح قليلاً حتى يستيقظ السيد، فقال إنني أتيت من مكان بعيد وأريد العودة فيجب أن أقابل السيد الشيرازي الآن! فارجو أن تتصل به. فاتصلت بالسيد وكان مستيقظاً، فأخبرته بالأمر فقال إنني سأتي.

وخلال دقائق جاء السيد (رحمه الله) ودخلنا إلى الحجرة فأقبل الرجل وسلم على السيد (رحمه الله) ثم قبل يده وأراد إن يقبل قدميه، فرفض السيد (رحمه الله)، فقال له: تفضل ماذا تريد؟!

فقال: سيدنا أريدك أن تسامحني وأن تعفو عني لأنني لفتت الكثير من التهم عليك وكثيراً ما تكلمت بغير الحق بشأنك، وقد أجبرت على فعل ذلك، وكان عملي هو أن أقوم ببث الدعايات بخصوصك وأن أقوم بتشويه سمعتك، وكل ما أطلبه منك أن تسال الله سبحانه وتعالى بأن يعفو عني.

فضحك السيد الراحل (رحمه الله) وطلب مني أن أجلب له الشاي وبعدها سأله ما هو عملك؟ فقال: إني إنسان مثقف وكاتب في الأهواز.

فقال له السيد (رحمه الله): عليك القيام بخمس أمور: أولاً التقوى، ثانياً حسن أخلاقك مع الناس وعاشرهم بالتي هي أحسن وكن معهم، ثالثاً اقض حوائج المحتاجين، رابعاً قو قلمك لتكون مؤلفاً، خامساً ارتق المنبر وكن خطيباً ناجحاً.

ثم قال الرجل: سيدنا أكرر عليك ما قلته وإنني نادم على ما فعلت وأسأل

اللّٰه المغفرة لي! فقال له السيد: اللّٰه يغفر لك فاستأذن الرجل وخرج.

هذه هي أخلاق السيد الراحل (رحمه الله)

وفي أحد الأيام ونحن نسير في الشارع جاء رجل معمم وتظاهر أنه يريد أن يقبل يد السيد (رحمه الله) لكنه بدل أن يقبلها قام بعضها حتى خرج الدم من يده الكريمة، فلم يقل له السيد الراحل (رحمه الله) شيئاً، ثم قال لنا هل لديكم منديل؟ فأعطيناه منديل ولفه وذهب إلى البيت حتى يغسل الدم فشاهده ابنه وسأله ما هذا؟ فقال: لاشيء، فسأله فمن أين هذا الدم فقال له: إنه رجل طلب مني حاجة ولم أتمكن من قضائها، ففعل ذلك.

* تطرقتم في حديثكم عن ملازمتكم للسيد الراحل (رحمه الله) وأنكم لم تكونوا تتركوه بمفرده، فما هو السبب في ذلك؟

- كان ذلك من باب الاحتياط، فإن بيت السيد الراحل (رحمه الله) لم يكن فيه تقطيش، فكنا نجلس معه لكي نمنع حدوث إي تعد، لأن زوار السيد الراحل (رحمه الله) من جميع الفئات.

واذكر ذات مرة جاء رئيس القضاة الخليلي، فلم يعرفه السيد الراحل (رحمه الله) فجلس كسائر الزائرين، وعندما أراد المغادرة قام السيد الراحل (رحمه الله) احتراماً له، واصطحبه إلى الباب فقال أحد الجالسين سيدنا هذا الشيخ الخليلي، فطلب منه السيد أن يجلس فلما جلس سأله السيد (رحمه الله) وقال له هذه الدماء التي سفكتها هل كانت باستنادك إلى الكتاب أو السنة؟ فقال له: كلا وإنما هي بأمر الخميني وبعدها خرج ولم يقف له السيد ولم يرافقه إلى الخارج.

هكذا كان السيد الراحل (رحمه الله) صلباً في دينه ولا يخشى أحداً وهذه الأمور هي مقياس لإطاعة الله وإطاعة أوامر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

* هل كان الإمام الراحل في بيته تحت الإقامة الجبرية؟

- نعم كان تحت الإقامة الجبرية ولا يخرج من بيته، حتى إلى الحرم، نعم حدث في بعض المرات أن خرج من بيته متنخفاً إلى بيت السيد صادق (حفظه الله) لعيادته، فقد كان قريباً إلى بيته، وليست بينهما مسافة كبيرة، وكان مشغولاً بالتأليف في غرفة صغيرة في السرداب وقد رأيت ذلك مرات عديدة حينما كنت أدخل عليه.

فعلاً نحن خسرنا الإمام الراحل (رحمه الله) فكان لا يشبهه أحد في جهاده وعلمه وعمله.

* حدثنا عن بعض نشاطاتك في بيت الإمام الراحل (رحمه الله)؟

- كان السيد الراحل (رحمه الله) غالباً ما يقول لي اجمع هؤلاء الأطفال في أيام العطل وأقم لهم محفلاً قرآنياً وأريد منك أن تملأ هذا البيت بالأطفال وكان بيت السيد (رحمه الله) يعج بالأطفال وكنا نحضر لهم وجبة غذائية، وكان يرتاح نفسياً عندما يشاهدهم.

والآن أصبح هؤلاء الأطفال رجالاً وهم يقرؤون القرآن الكريم في المحافل والإذاعات وغيرها.

وكذلك قمنا ببعض المسابقات القرآنية لمدة 18 سنة وكنت أجري هذه المسابقات بين العراقيين وكان يأتي البعض من سائر المدن كالأهواز وغيرها، وبعض طلابنا أصبحوا اليوم محكمين في جلسات القرآن العالمية، وكنا بعد انتهاء المسابقة التي مدتها ثلاثة أيام نوزع الجوائز عند سماحة السيد الراحل (رحمه الله) وكنا نعد لهم وجبة العشاء وكان السيد الراحل (رحمه الله) يلقي عليهم محاضرة حول العمل الإسلامي وحول القرآن وتطبيقه.

وأذكر في ثاني مسابقة كان لدى الشباب حماس الثورة، فعندما دخل السيد (رحمه الله) قاموا ونادوا بالشعارات، فرجع السيد الراحل (رحمه الله) ولم يلقي المحاضرة، وعندما سألوني عن سبب رجوعه وعدم إلقاء المحاضرة قلت لهم هذا بسببكم لأن السيد الشيرازي لا يحب الشعارات وإنما يحب العمل، وكان دائماً يحث على العمل ويخالف الشعارات.

* من خلال معايشتكم لسماحة السيد الراحل (رحمه الله) كيف كان يريد أن يكون المنبر الحسيني، وهل اليوم نرى المنبر الحسيني كما أراده الإمام الشيرازي؟

- كان الخطباء الكرام يحضرون عنده فيلقي عليهم في السنة محاضرة أو محاضرتين في المناسبات كمناسبة عاشوراء واستشهاد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وكان يقول لهم على الخطيب أن يحضر الموضوع تحضيراً جيداً، ويلزم أن يطالع عدة كتب لمدة ساعتين أو ثلاث يوماً على الأقل، ويجب أن يجدد في المجالس فلا يلقي نفس الموضوع في أكثر من مجلس، ويلزم أن يجدد في بيان المفاهيم، ولا بد أن تحتوي المحاضرة على البساطة في بيان المطالب العميقة، وأن تكون غير فلسفية لكي يدركها الجميع حتى الطفل الصغير ويفهم عمقها المثقف وكان يحث الطلبة والخطباء باستمرار في المجالس الخاصة أيضاً على طول السنة.

والكثير من الخطباء الكبار اليوم، هم ممن حضر مجالس الإمام الراحل (رحمه الله) واستمع إلى توجيهاته، مثل الشيخ عبد الحميد المهاجر والشيخ فاضل المالكي والسيد محمد باقر الفالي والسيد حسين الفالي وكالشيخ محمد الفوزي والشيخ حسن الصفار وآخرين، حيث كانوا يحضرون في خطب السيد (رحمه الله) ويجري لهم لقاءات توجيهية خاصة.

وكان يقول لهم: المعمم يجب أن يحافظ على شخصيته وعلى هذه العمة،

فلا يشرب السكاثر ولا يتناول الأطعمة في الشوارع، حتى الأمور التي هي مستحبة بالأصل لكن يسوء سمعتهم يجب أن يتركوها، وكان يهتم بالمعممين إلى حد كبير لكي يحافظوا على شأن العمامة وكان يوصيهم بعدم الضحك والكلام في الشارع وغيرها وكان يدقق في جميع الأمور ويعالجها، فكان مريباً بما للكلمة من معنى.

* تطرقتم إلى المسائل المالية حيث كنتم أحد الأطراف في هذا الموضوع، وكما أعرف إن الإمام الراحل (رحمه الله) كان كثير العوز والعجز الاقتصادي حتى لاقى ربه وهو مديون مادياً، فكيف كان يعالج أزماته الاقتصادية؟

- كان كثير التوكل على الله والتوسل بالأئمة الأطهار (عليهم السلام) وخاصة بالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فإنه الذي يدير الأمور، فيمنه رزق الورى ويمنه ثبتت الأرض والسماء.

وكانت الأزمات تحل بسرعة، ولا أعرف كيف؟ نعم إنه الله الذي بيده الأمور كلها.

كان يأتي المراجعون ولديهم بعض الاحتياجات كالولادة أو السفر أو الطعام فكنت أعرض عليه الأمر فيعطيني شيئاً بسيطاً، فكنت أصر وأطلب أكثر فيقول: هداك الله يا حاج! قل له ليس لدي. فكنت أتصل ببعض أصدقائي في الخارج وأطلب منهم تبرعات لكي أعطيها للناس أصحاب الحوائج. أو اتصل بالسيد حسين وأقول له إن السيد قال أعطهم كذا مبلغ وذلك قليل فكان السيد حسين يكمل المبلغ، وهكذا كنا نعالج الأمور والله كان يجعل فيها البركة.

وعموماً كان السيد في أغلب الأوقات في ضائقة مالية لكن الله يفرج عنه.

* ما هي قصة الإمام الراحل مع مسجد السهلة؟

- كان يذهب كل ثلاثاء إلى مسجد السهلة ويدعوا الله بدعوات وقد سمعت أنه التقى بالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وقد أعطي بعد ذلك قوة نشاط وقوة تحرك ليسير في هذا المسير الجهادي، وله الدرجات العالية والتقدم في العلو والتقدم بالمرجعية، وكان يذهب إلى مسجد السهلة ولديه توسلات خاصة بالإمام الحجة (عليه السلام).

الحوار الثامن: مع الوجه الحاج جبار الياصري

إشارة

ص: 409



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعترته الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

نلتقي بالحاج جبار جمعة عبد الرضا الياصري (أبو طالب) ليحدثنا عن بعض المواقف والقصص عن سماحة الإمام المجدد السيد محمد الشيرازي (رحمه الله).

* متى كان أول لقائك بسماحة الامام الراحل، وكيف كان هذا اللقاء؟

- لا اذكر على وجه التحديد في أي سنة التقيت بسماحته (رحمه الله)، ولكن أذكر أنها كانت في حقبة الستينات من القرن الماضي، عندما هوجمت جمعية في شارع علي الأكبر ولا أعلم سبب مهاجمتها، هل كانت بسبب عمل ضد الدولة، أم هي ضد الإمام الشيرازي (رحمه الله) أم غير ذلك؟ فقد هجمت عليها جماعة ادعت أنها من أهالي كربلاء المقدسة وقد اتهموا مجموعة من منطقة (العباسية) (1) ومن منطقة (باب العلو) وكانوا حوالي 18 أو 20 شخصاً، اتهموا بتهديم مكتب الجمعية، فالتفت حولهم الشرطة وألقوا القبض عليهم ووضعوهم في التوقيف، فذهب جمع إلى السيد المرجع (رحمه الله) وطلبوا منه أن يساعدهم ويتوسط لإطلاق سراحهم، فلم يقصر في ذلك، حيث كلف الحاج (فالح أبو رسول) البقال فشرح

ص: 411

له القضية ومن ثم ذهب الرجل إلى المركز ونظر بأمرهم وعلمنا إنهم بريئون من التهمة وهم نزيهون، وليس لهم إي خلاف مع إي شخص كان، فهم مصلحون وغير مذنبين فيحتاجون إلى وساطة لإطلاق سراحهم، وبعد أن اطلع الحاج فالح على القضية ذهب إلى السيد الراحل (رحمه الله) وقال له: إن هؤلاء يحتاجون إلى وساطة، فذهبنا نحن ومعنا الشيخ عبد الزهراء الكعبي وآخرين إلى النجف الأشرف إلى مكتب السيد الحكيم (رحمه الله) ولم نجده، ولكننا وجدنا أبناءه وقالوا لنا إن السيد في الأعلى ولا يستطيع النزول، ماهي مطالبكم؟ قدموها لنا ونحن نذهب بها إلى السيد الحكيم (رحمه الله) .

فتقدم الشيخ عبد الزهراء الكعبي وقص عليهم قصة هؤلاء الأشخاص وبين لهم بأنهم متهمون وهم لم يفعلوا أي شئ من ذلك فصعد وبعد عشر دقائق نزل وقال لنا إن القضية حلت إن شاء الله غداً نتصل ببغداد وسيطلق سراحهم. ومن ثم رجعنا إلى كربلاء المقدسة وذهبنا إلى السيد الشيرازي (رحمه الله) وشرحنا له ما حدث معنا وبعد ثلاثة أيام أخبرنا المسجونون بأن مكانهم غير مريح وضيق، فذهبنا إلى السيد الراحل (رحمه الله) وأخبرناه! فبعث إلى الحاج فالح وقال له: انظر في أمرهم لأن مكانهم ضيق ونحن الآن في فصل الصيف.

والحاج فالح كانت لديه علاقة قوية بالشرطة وكذلك مع المحافظ وكان عندما يدخل إلى الدائرة يحترمه الجميع ويجله ولا يعلم ما سر ذلك لعله من كرامات الإمام الحسين (عليه السلام) .

وبعد ما أخذوا موافقة بأن ينقل السجناء إلى منزل في حي الحسين (عليه السلام) كنا نحن قد استأجرناه وقمنا بنقلهم إلى هناك وقد جاء برفقتهم اثنان من الشرطة لحراستهم وبعد خمسة عشر يوماً قاموا بتقديمهم إلى المحكمة وكانهم قد اتصلوا

وهو بدوره اتصل بكربلاء وقال قدموا هؤلاء الأشخاص إلى المحاكمة ومن ثم أطلقوا سراحهم وبعد خمسة وعشرين يوماً حضروا إلى المحكمة وحضر عبد الحسين كمونة (رحمه الله) .

أخلاق الإمام الشيرازي (رحمه الله)

* كيف وجدتم أخلاق الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) ؟

- كان ذا مستوى رفيع من الأخلاق بحيث إن أي شخص يدخل إليه لا يدعه يخرج فارغ اليدين سواء أكان فقيراً أم غنياً، فكان يدخل يده إلى جيبه ويخرج نقوداً ويعطيها إياهم فقد غمره الله بفضله، كما أنه كان يحل مشاكل الناس، فعندما يأتوه ويخبروه بحدوث مشكلة ما كان يذهب بنفسه لحلها.

* وكيف كان يقابل الإساءة؟

- كان يصلح الإساءة فإذا كان هناك شخص سيء فإنه يسعى لإصلاحه.

* ما حال الذين أساءوا للسيد الشيرازي (رحمه الله) ؟

- إن الذين أساءوا إليه قد فشلوا جميعاً. وكان يحدث أن يأتي المسيء إليه ويطلب منه العفو، فيعفو عنه وكانت غالباً ما أسمع كلامهم وهم يقولون نحن فعلنا كذا وكذا ونحن نادمون.

* هل من شاهد تذكره على أخلاق الإمام الراحل (رحمه الله) ؟

- في يوم عيد الفطر جئنا إلى مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) وكنا نمر من سوق العرب لكي ندخل من باب قاضي الحاجات، فصدفة شاهد السيد الراحل (رحمه الله) بعض الأعلام قرب مكتبة الكركاوي، فتوجه إليه السيد الشيرازي (رحمه الله) ليعايدته،

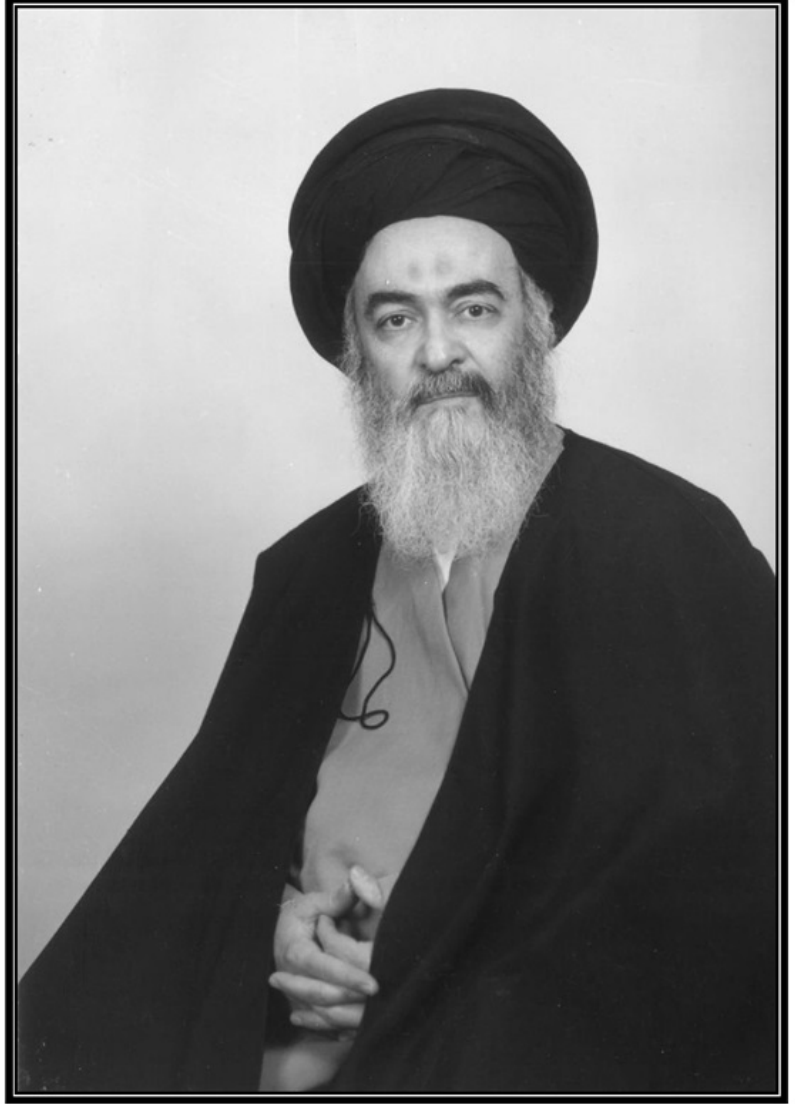
لكنه أعرض عن سماحة السيد (رحمه الله) ، فاقترب منه السيد (رحمه الله) ليصافحه، فدفعه ذلك الشخص ولم يقبل أن يعايدته فأراد بعض الأصدقاء أن يتعرضوا إليه ويردوا إساءته، فلم يقبل السيد الشيرازي (رحمه الله) ومنعهم وقال لهم: إنه رجل كبير السن وهو بمقام والدي، فلا تتعرضوا له، وبعد فترة جاء السيد الراحل (رحمه الله) مع مجموعة من الأشخاص وذهب إلى بيته وقام بمصالحته بالرغم من أنه هو الذي قام بالاعتداء على السيد الشيرازي (رحمه الله)

* لأي شيء أرسلكم السيد إلى النجف الأشرف؟

- أرسلنا سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) إلى النجف الأشرف لأنهم أرادوا إنشاء مكاتب هناك فذهبنا إلى مكتبة السيد الحكيم (رحمه الله) وقد حصل لنا حادث عندما خرجنا من هنا أنا وابن الشيخ حمزة الكعبي، لا أريد أن أتطرق إلى تفاصيلها.

ص: 414





الحوار الخامس

مع فضيلة الحجة الشيخ ناصر الأسدي حفظه الله/5

المقدمة... 7

تمهيد... 13

القسم الأول/15

في مدرسة حفاظ القرآن... 15

مرحلة التعميم... 19

البرنامج الأسبوعي لسماحة السيد الراحل (رحمه الله) ... 23

نظام الهيئات والمؤسسات... 26

أسلوب السيد الشيرازي (رحمه الله) ... 27

تطور فكر ومنهجية السيد الشيرازي (رحمه الله) ... 29

مقومات النجاح... 32

زيارة العسكريين (عليهما السلام) في سامراء المشرفة... 35

الإمام الراحل (رحمه الله) والآخرين... 37

الإمام الراحل (رحمه الله) مع المطران كابوجي... 38

إذاعة كربلاء المقدسة... 38

ص: 417

- الإمام الراحل (رحمه الله) وحوزة النجف الأشرف... 40
- موقف سماحة السيد الشيرازي (رحمه الله) ... 42
- الإمام الشيرازي (رحمه الله) يرفض الرد المباشر... 44
- موقف آخر... 45
- مؤلفات الإمام الشيرازي (رحمه الله) ... 47
- الشخصية الإبداعية للإمام الراحل (رحمه الله) ... 47
- الإمام الراحل (رحمه الله) والعشائر العراقية... 51
- الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) والحركة الوهابية... 53
- الإمام الراحل (رحمه الله) وإدارة المال... 55
- سلطان المؤلفين... 59
- وكلاء الإمام الراحل (رحمه الله) ... 60
- مقلدوا السيد الراحل (رحمه الله) ... 64
- نظرة الغرب... 66
- أول رسالة عملية... 72
- هجرة الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) ... 98
- دراسة الامام الراحل... 101
- السبيل لتحقيق أهداف الإمام الراحل (رحمه الله) ... 138
- علاقة الإمام الراحل (رحمه الله) بالأئمة الأطهار (عليهم السلام) ... 141
- السيد الراحل (رحمه الله) والدنيا... 146
- اهتمام الإمام الراحل (رحمه الله) بالطلبة الأكاديميين... 152
- علاقة الإمام الراحل (رحمه الله) مع المراجع... 154

الإمام الراحل (رحمه الله) ونظام البهلوي... 155

القسم الثاني/156

شهادات وانطباعات من حياة الإمام الراحل (قدس سره)... 156

العمامة... 156

كراس الاعلمية... 158

بحث الخارج... 159

بعث مجاميع إلى العاصمة وغيرها للتنسيق والتبليغ... 160

التنبؤات... 162

قادة المجاهدين الأفغان يلتقون سماحة السيد الراحل (رحمه الله)... 165

الوكالات المرجعية... 167

تملك السكن... 169

المؤتمرات... 170

كتاب (الأصول) وتدرسه في الحوزة... 171

الإمام الشيرازي (رحمه الله)، يؤسس تنظيمًا... 173

المؤسسات... 175

لقطات... 177

التعبئة للهجرة... 180

التخطيط للمستقبل... 181

عدم رد المحتاجين... 182

كتاب الله... 182

التواصل... 183

ص: 419

- الفكر الحضاري... 184
- القضاء... 188
- الاجتماعات التعبوية... 190
- العلاقات مع حركة حرية إيران... 191
- مع تنظيم الحجج... 192
- العمل المتواصل... 193
- محاولات الاغتيال... 193
- من وصايا السيد الشيرازي (رحمه الله) ... 195
- الهجرة إلى مشهد المقدسة... 196
- جامع الإمام زين العابدين (عليه السلام) ... 198
- القسم الثالث... 199
- تأسيس الجمعيات... 199
- تعزية الاخرين... 199
- فلم عن الايتام... 199
- بحوث الخارج... 201
- العمل الإداري... 201
- تشكيل نواة للتنظيم... 202
- قرار التأسيس... 204
- الانشطة المكتبية... 206
- صلاة الجماعة في مكتب السيد الاستاذ (رحمه الله) ... 209
- المجالس الحسينية... 210

- الجلسات الهادفة... 210
- أعمدة المرجعية... 217
- أعمدة مكتب سماحة السيد الراحل (رحمه الله) ... 220
- المستشارون السياسيون... 224
- الرصد الإعلامي... 225
- الدائرة الثانية في المكتب... 225
- الحراك الثقافي... 226
- مكتب السيد الراحل (رحمه الله) مركز لنشر الكتاب في العالم... 227
- إجازة مفتوحة... 230
- الاقتصاد المرجعي... 231
- الإبداع الفكري... 235
- مكتبة عامة وأخرى خاصة... 238
- قضية العراق الجريح... 240
- جوانب من عمل الإمام الراحل (رحمه الله) التي عمل فيها للعراق... 240
- شخصية سماحة الإمام الشيرازي (رحمه الله) ... 245
- حركة تزويج الشباب... 252
- مشروع حركة التعميم... 253
- القسم الرابع/255
- الهجرة إلى مشهد المقدسة... 255
- التدريس العام... 256
- فوائد التدريس... 256

وفد المعارضة السعودية... 257

الهدايا العامة... 260

الأنشطة الإنسانية... 263

أوقات الفراغ... 264

إهداء وردة... 265

بعد الشقة وصعوبة الاتصالات... 265

كيف تمت العودة؟... 266

التحريض على التقدم الاقتصادي... 268

لجنة للزيارة والتعاون... 269

تأسيس حي لإسكان العراقيين... 269

ختان الأولاد... 270

محطة بث تلفزيوني... 271

وفد أفريقيا 271

وفد السلام الهندي... 272

مع رئيس جمعية الخوجة... 272

قضايا المسلمين... 274

مع العلماء والأعلام... 276

تأبين العلماء... 278

وللوجهاء أيضاً... 279

البرقيات... 280

المجلس العائلي... 280

ص: 422

- بعض المسؤولين المرجعيين... 281
- زيارة الشيخ القرائتي... 283
- لقاء المتطرفين من عناصر المخابرات... 284
- الافتاء... 285
- مع الاطباء توصيات في الصميم... 286
- الرعاية الصحية... 288
- البقيع الفرق... 288
- ذكريات الشهيد الشيرازي (رحمه الله) عام 1981 م... 289
- لقطات مشعة... 290
- التعبئة للهجرة... 292
- التدريس العام... 293
- (بحث الخارج) العربي... 294
- البرامج النسوية... 295
- الانتخابات الحوزوية... 296
- المجالس الأسبوعية... 297
- اقتراح الهجرة على الشهيد الصدر الاول (رحمه الله)... 298
- المواكب الحسينية في منزل سماحته (رحمه الله)... 298
- إطفاء الغضب... 299
- لقاء عائلي... 300
- الروح الرياضية... 301
- المعارضون المحافظون... 301

- 307 ... الممانعة والحرب الباردة... 307
- الإعلام المضاد... 309
- الظلم تحت عباءة القانون!... 312
- 313 ... الممانعة والحرب الباردة... 313
- الحرب على الفساد... 321
- قصتي مع المتطرفين... 326
- الإهمال... 331
- وماذا بعد الإفطار صباحاً؟... 334
- وماذا يجري خارج السجن؟... 335
- إطلاق سراح البعض من زملائي... 336
- عباس عاملين (رحمه الله) ... 336
- جولات أخرى من التحقيق... 337
- 341 ... الاضراب عن الطعام... 341
- مجلس خبراء الاقتصاد... 344
- 346 ... الأخلاق من أهداف الرسالة الإسلامية... 346
- 346 ... التكرار والتأكيد لانضاج المطالب... 346
- 347 ... مسجد الإمام الرضا (عليه السلام) ... 347
- 348 ... الاستخلاف... 348
- 350 ... نبذة تعريفية عن الشيخ ناصر الأسدي... 350
- 350 ... الهجرة إلى الكويت... 350
- 350 ... في قم المقدسة... 350

في سوريه... 351

العودة إلى العراق... 351

الحوار السادس

مع فضيلة الحجة الشيخ عبد الأمير النصراوي/353

المقدمة... 355

أئمة البقيع (عليهم السلام) ... 356

نظرة عالمية... 357

المواقف السلبية... 359

اسباب التشكيك... 364

اللامركزية في العلم... 366

الموقف تجاه عبد الكريم قاسم... 367

الحوزة بعد رحيل الامام الشيرازي (رحمه الله) ... 368

الموقف من الثورة الإيرانية... 370

سلسلة المحن... 371

في سجن الفضيلية... 373

الوحدة الاسلامية... 377

الوحدة مع الحفاظ على العقيدة... 377

ضياع الكتب... 379

علاقات مرجعية... 380

مع الشيوعيين... 381

ص: 425

أخلاق الأنبياء (عليهم السلام) ... 382

لماذا كربلاء... 383

الحوار السابع

مع الوجيه الحاج مصطفى الصراف حفظه الله/387

هجرة السيد الشيرازي من كربلاء المقدسة... 389

هذه هي أخلاق السيد الراحل (رحمه الله) ... 403

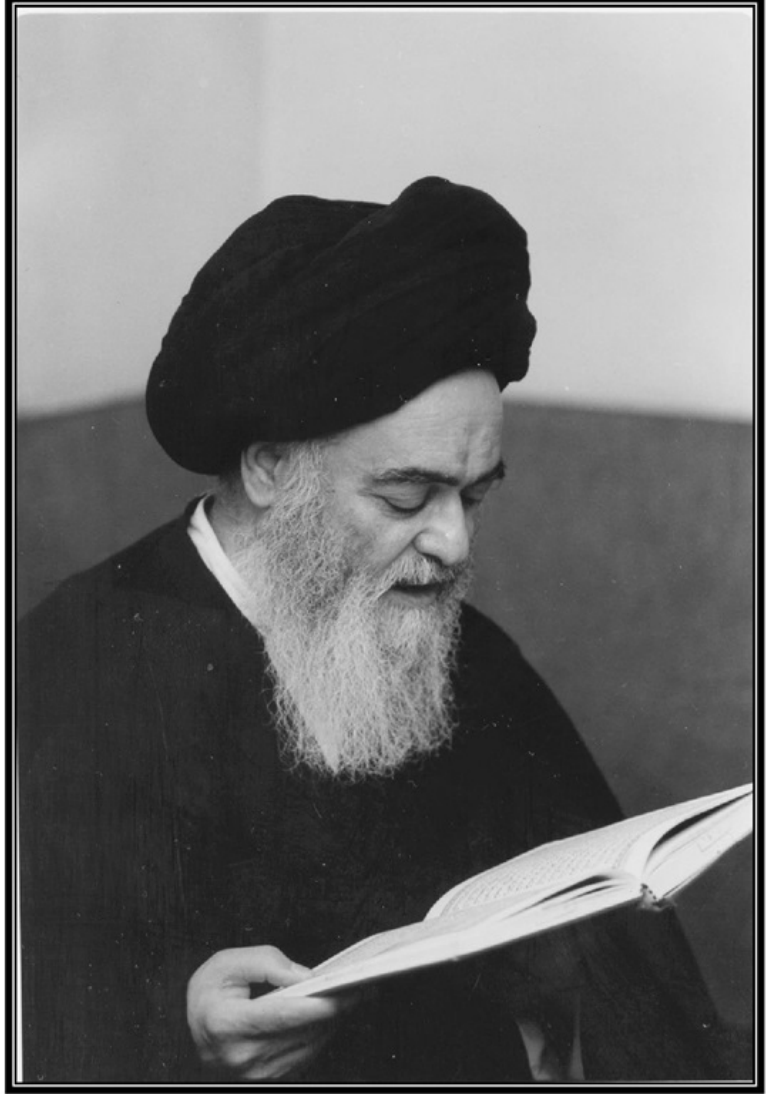
الحوار الثامن

مع الوجيه الحاج جبار الياصري/409

أخلاق الإمام الشيرازي (رحمه الله) ... 413

الفهرس... 417

ص: 426



للاطلاع على آراء وأفكار الإمام الشيرازي الراحل (رحمه الله) راجع المواقع التالية:

alshirazi.com *

annabaa.org *

malshirazi.org *

Iswf .us *

shirazinetwork.com *

shirazionline.org *

m.youtube.com/user/shajara14 *

①elegram.me/shajara14 *

①elegram.me/shirazi_lib *

①elegram.me/shajara14_f *

ص: 428

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميالت:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى : (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر أباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021_88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

